بسم الله الرحمن الرحيم

مؤتمر الامام الحسين ﷺ الدولي.الأول (٢٠١٦ : كربلاء العراق)
وقائع مؤتمر الامام الحسين ﷺ الدولي.-الطبعة الأولى - كربلاء، العراق: العتبة العباسية المقدسة، مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات، قسم النشر، ١٤٣٨ هـ. = ٢٠١٧.
٣٩١ صفحة : جداول؛ ٢٤ سم
يتضمن إرجاعات ببليوجرافية.
النص باللغة العربية والفارسية؛ ويتضمن مستخلصات بالانجليزية.
١. الحسين بن علي بن ابي طالب ﷺ ،--الامام،--٦١-٤ هجري--مقالات ومحاضرات.
٢.معركة كربلاء، ٦١هـ. الف العنوان.
BP193.13 .M88 2017
مركز الفهرسة ونظم المعلومات

وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي الأول

النَّاشر: العتبة العبَّاسية المقدَّسة – قسم الشؤون الفكرية والثقافية – مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات – قسم النشر

المتابعة والتنفيذ: رضوان عبد الهادي السلامي

الإدارة الفنية: حسين فاضل الحلو – غياث عبد الجبار – ثائر فائق

التَّصميم والإخراج: حسين شمران

عدد النّسخ: ٢٥٠

٢١ ذي القعدة ١٤٣٧ هـ – ٢٥ آب ٢٠١٦ م .

حقوق النَّشر والتَّوزيع محفوظة للعتبة العبَّاسية المقدَّسة – مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات.

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق العراقية ١٠٣٠ لسنة ٢٠١٨ م
كربلاء المقدسة جمهورية العراق

اللجنة المشرفة

أ.د. منير حميد السعدي.

رئيس جامعة كربلاء

أ.د. غسان حميد عبد المجيد.

مدير عام دائرة البحث والتطوير

أ.د. رياض طارق العميدي.

رئيس مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات

د. حسن هاجري.

مساعد الشؤون البحثية لمؤسسة(سمت)

اللجنة العلمية

أ.د. كريم حسين ناصح المستشار العلمي في مركز العميد الدولي

أ.د. عباس رشيد عبد الوهاب كلية التربية للعلوم الانسانية / جامعة بابل

أ.د سرحات جفات سلمان كلية التربية / جامعة القادسية

أ.د. علي كاظم محمد علي كلية التربية للعلوم الانسانية / جامعة كربلاء

أ.د. مشتاق عباس معن كلية التربية-ابن رشد-/ جامعة بغداد

د. احمد احمدي عميد مؤسسة(سمت)

د. مسعود فكري مدير مركز البحوث وتنمية العلوم الانسانية بمؤسسة (سمت)

د. غلا محسين زادة مدير قسم اللغة الفارسية بمؤسسة(سمت)

د. محمد دانشكر عضو هيئة تدريس

د. مهين بناهي عضو هيئة تدريس

د. حامد صدقي عضو هيئة تدريس

د. بلاسم عزيز شبيب كلية العلوم الإسلامية/ جامعة كربلاء

د. فاضل مدب متعب كلية العلوم الإسلامية/ جامعة كربلاء

د. عبد علي كاظم جلاب كلية العلوم السياحية/ جامعة كربلاء.

اللجنة التحضيرية

أ.د. عادل نذير بيري كلية التربية للعلوم الانسانية / جامعة كربلاء

أ.د. هناء حسن محمد مدير قسم الشؤون العلمية/ دائرة البحث والتطوير

أ.م.د. مكي محي عيدان عميد كلية العلوم الإسلامية/ جامعة كربلاء

أ.م.د. علاء جبر الموسوي كلية الآداب / الجامعة المستنصرية

أ.م.د. شوقي مصطفى الموسوي كلية الفنون الجميلة / جامعة بابل

أ.م.د. احمد صبيح الكعبي كلية التربية للعلوم الانسانية / جامعة كربلاء

أ.م.د. نورس محمد شهيد كلية العلوم / جامعة كربلاء

ا.م حيدر غازي الموسوي كلية التربية للعلوم الانسانية / جامعة بابل

د. محمد رضا سعيدي مساعد الشؤون الادارية والمالية في مؤسسة سمت

د. محمد حسين عبود كلية العلوم الإسلامية / جامعة كربلاء

رضوان عبد الهادي السلامي / قسم الشؤون الفكرية والثقافية / الفكر والابداع

م.م. ياسين خضير عبيس مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات.

السيد مصطفى غلا محسين زادة منسق الشؤون الدولية في مؤسسة سمت

سورة المجادلة / الآية (١١)

المحتويات

١- كلمة العدد ٩

٢- من تفاسير الثورة الحسينية (قصة أرينب بنت إسحاق) ١١

٣- بلاغة الحجاج في الخطاب الحسيني ..خطبة الإمام الحسين عليه السلام في صبيحة يوم عاشوراء أنموذجاً .. دراسة تداولية .٣٥

٤- دور النهضة الحسينية في التغير الاجتماعي .. تحليل سوسيولوجي ٥١

٥- أدب الإباء في الخطابِ الحُسيني ٦٣

٦- النهضة الحسينية ومقومات النصر القيمي ٧٥

٧- التداول السلمي للسلطة في نهضة الإمام الحسين عليه السلام ١٠١

٨- الأفعالُ الكلاميّة في الخطاب الأخلاقي عند الإمامِ الحُسين عليه السلام دراسةٌ تداوليَّةٌ ١١٥

٩- القيادة ومناصرتها في ضَوء النهضة الحسينية ١٣٥

١٠- المفارقة في المسرح الشعري الحسيني .. مسرحية عبد الرحمن الشرقاوي (ثأر الله) انموذجاً ١٤٣

١١- إشارية النص القرآني في كلام الإمام الحسين عليه السلام ١٧٣

١٢- خطبة الإمام الحسين عليه السلام في ترخيص أهل بيته وأصحابه ليلة عاشوراء قراءة فكرية دلالية في

اختلافها اللساني وأكملة الذات ١٩١

المحتويات

١٣- المضامين التربوية في قرابين الأنبياء (الإمام الحسين عليه السلام أنموذجا) ٢٠٩

١٤- الاستدلال القرآني و النسق الديني عند الإمام الحسين عليه السلام .. دراسة في البنية الحجاجية ٢٣٧

١٥- منهج الثورة الحسينية في التربية الروحية ٢٥٣

١٦- الأناقة النفسية في سيرة الإمام الحسين عليه السلام .. (دراسة تحليلية) ٢٦٥

١٧- ثورة الامام الحسين عليه السلام وأثرها في استنهاض الشعوب للتحرر من الظلم ٢٨٧

١٨- شعرية المفارقة الأسلوبية في كلام الإمام الحسين عليه السلام ٢٩٩

١٩- الانتفاضة الحسينية وتحرير الناس من الاستبداد والاستعباد .. ثورة الحسين عليه السلام درع حصين صان

المسلمين من جور بني أمية وعبوديتهم ٣١٥

٢٠- شمس الحقيقة الابدية ٣٣٣

٢١- البعد الأخلاقي في الثورة الحسينية ٣٤٣

٢٢- واقعة الطف برواية الشيعة الايرانيين في القرنين السابع والثامن الهجري ٣٥١

٢٣- النهضة في سبيل الله ومن اجل الناس هما سر خلود عاشوراء ٣٦١

٢٤- دراسة نهضة الامام الحسين منهجية التخطيط الاستراتيجي ٣٧١

في البدء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا واله الطيبين الطاهرين، اما بعد

فإن ثورة الامام الحسين بن علي بن ابي طالب (عليهم السلام) على من أراد هدم الإسلام وتحريف تعاليمه وتشويه قيمه قد أحدثت تغييراً جذرياً في الفكر الإنساني والفكر الإسلامي لما حملته هذه الثورة بمضامينها الدينية والفكرية والاجتماعية والسياسية والتربوية من معان وأفكار واحداث هزت الضمير الإنساني وجعلته ينتصر لمبادئ الحق والعدل والوقوف بوجه الظالم المستبد مهما طغى واستعلى لان الحسين (عليه السلام) أراد ان يحيي الدين ويصلح ما افسده الامويون وغيرهم من طغاة منحرفين فضحى بنفسه واهل بيته واصحابه لينتصر الدين وتعلو راية الإسلام، فصار انتصار الدم على السيف شعارا لكل الثائرين في بقاع الأرض.

وقد استوحى العلماء والباحثون من شعاع هذه الثورة المباركة كثيرا من المضامين والأفكار والدروس والعِبر التي صارت معينا لا ينضب لكثير من البحوث والدراسات وصارت ثورة الحسين عليه السلام عنوانا لكثير من الندوات والمؤتمرات ومنها المؤتمر الذي عقدته وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ومركز العميد الدولي للدراسات و البحوث وجامعة كربلاء ومؤسسة سمت الإيرانية، في كربلاء في رحاب قاعات العتبة العباسية المقدسة وكان مؤتمراً عالمياً مهماً شارك فيه باحثون من لبنان والبحرين وايران والعراق تناولت بحوثه موضوعات دينية وتربوية وسياسية واجتماعية واخلاقية وادبية ولغوية، وقد كتبت هذه البحوث باللغات العربية والإنكليزية والفارسية .

ولاشك في ان هذه الاضمامة من البحوث والدراسات التي امتازت بالجدةِ والسمو الفكري والرصانة في البحث وتنوع المضامين والأفكار ستسد ثغرات في المكتبات الفكرية العالمية والإسلامية لذا سعى مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات الى وضع هذه البحوث بين ايدي الباحثين والدارسين والقراء من خلال نشرها في عدد خاص بوقائع المؤتمر لتجتاز نطاق القاعات الى فضاءات ارحب يجد فيها الباحثون ضالتهم لاستيعاب هذه الجهود الفكرية المباركة التي استلهمت افكارها من وحي ثورة الحسين العظيمة لكونها ثورة تستقطب بخلودها وديمومة عطائها أقلام الباحثين في كل مكان ومن كل الاجناس، وتمدهم بمزيد من آفاق البحث بما يرفد طموح الثائرين على الظلم والجود بالعزيمة والقدرة على النهوض والاقتداء بالرجال الذين حملوا أرواحهم على اكفهم مضحين بالغالي والنفيس لينتصر الحق وتسمو راية دين محمد –صلى الله عليه وآله وسلم– وتصل صرخة (هيهات منا الذلة) الى كل بقاع الأرض ومن الله التوفيق.

من تفاسير الثورة الحسينية

(قصة أرينب بنت إسحاق)

From Husseinist Revolution Interpretations : Tale of Ureinab Bint Ishaq

الأستاذ الدكتور جواد كاظم نصرالله

جامعة البصرة. كلية الآداب

Prof. Dr .Jawad Kadhim Al-Nasarallah

University of Basra College of Arts

ملخص البحث

إن استشهاد الإمام الحسين **في** كربلاء **ترك** أثرا واضحا على بعدي الزمان والمكان، لذا شغل الكثيرين محاولة لتفسير سبب استشهاد الإمام، والكارثة التي حلت بالبيت النبوي، فمنهم من فسر ذلك على انه مجرد حلقة من حلقات الصراع الهاشمي الأموي، ومنهم من عزاه إلى زهو الحسين وغروره الذي ورثه عن أبيه أمير المؤمنين – عليه السلام –.

ومن تفاسير استشهاد الإمام الحسين عليه السلام ما تناقلته بعض المصادر من أن مقتل الإمام الحسين عليه السلام جاء بسبب فتاة تدعى أرينب بنت إسحاق عشقها يزيد مع أنها كانت متزوجة، لكن معاوية احتال على زوجها حتى طلقها، إلا أن الإمام الحسين قام بخطبتها والزواج منها. وهذا دفع يزيد الى قتل الإمام الحسين عليه السلام.

إلا أن كثيرا من الملابسات تشوب صحة هذه القصة، ابتداء من تاريخ الحادثة التي يفترض وقوعها بعد استشهاد الإمام الحسن عليه السلام سنة ٤٩ هـ، وهذا يتعارض مع وجود أبي الدرداء الذي مات سنة ٣٢هـ، فضلا عن أن أهم شخصيتين في الرواية وهما أرينب بنت إسحاق وزوجها عبد الله بن سلام ليس لهما أي واقع تاريخي ما خلا هذه القصة.

ثم إن الإمام الحسين عليه السلام لم يكن في الكوفة وقتها ، إذ كان آخر عهده بالكوفة سنة ٤١ هـ، وقد أشارت الرواية أنه عليه السلام لما طلقها، قال لها: (أنت طالق ثلاث)، وهذه الصيغة بالطلاق مخالفة لمنهج أهل البيت عليهم السلام، ويغلب على الرواية أنها تحاكي طابع العصور الأخيرة، فتؤكد الحب والغرام، والغيرة عند النساء، وخطبة عدة رجال **لامرأة** معينة، وبروز دور النساء في الحياة العامة .

ثم إن القصة وردت في الكتب الأدبية المتأخرة، وظهرت أولا في كتب الأندلس. ومنها انتشرت في المصادر الأخرى.

وقد وجدنا للقصة جذراً تاريخياً، فقد أشار ابن سعد إلى هند بنت سهيل بن عمرو زوجة عبد الله بن عامر الذي طلقها، فأراد معاوية خطبتها ليزيد لكن الإمام الحسن تزوجها في المدينة، لكن بمرور الزمن لما دخلت الرواية إلى بلاد الأندلس تحول اسم هند بنت سهيل إلى زينب أو أرينب بنت إسحاق، وتحول اسم الإمام الحسن إلى الإمام الحسين عليهما السلام، وتحول عبد الله بن عامر إلى عبد الله بن سلام، وتحول المكان من المدينة إلى العراق .

وتحولت قصة أرينب إلى قصة أدبية كتب عنها الكثير بوصفها إحدى قصص الأدب العربي. وأفاد منها بعضهم لبيان مكانة الإمام الحسين عليه السلام في المجتمع الإسلامي ، والإشارة إلى مثالب معاوية وولده يزيد، فيما عدها العقاد سببا دعا يزيد لقتل الإمام الحسين عليه السلام.

Abstract

A crystal clear impact of Al-Hussein martyrdom left on the scope of time and place that is why many endeavour to find a rationale of such a great martyrdom ، some attribute the act to the Hashemite-Umayyad conflict ، some do to the imam himself. One of the main interpretations is a tale of a girl called Ureinab Bint Ishaq ، married woman، whom Yazid Bin Mu`awia falls in love with and weaves a machination to divorce her from her husband، but the imam Al-Hussein engages and marries her ، such could be a reason to decapitate imam Al-Hussein. In fact، there are many controversial points in such a tale chronologically: first، the tale happened after the martyrdom of the imam Al-Hussein 49 Hijra، second، imam Al-Hussein was not in Kufa at the time of the tale ، third in the narrative context there are three " words of divorce " ; " divorced by three" ، such an expression is far and farthest from the Ahlalbayt doctrines، fourth، the narrative runs in line with the last ages of love ، sentimentality ، jealousy of women، engagement of many men to a woman and the rise of the feminine role in life .

Such a tale strikes deep root in history but with essential changes : Hind Suheil Bin `Amru was divorced by her husband `Abidallah Bin `Amir ، Mu`awia wanted to marry her to his son Yazid but Imam Al-Hassan married her in Medina . With process of time ، the names changed into different identities: Hind into Zeinab or Ureinab ، imam Al-Hassan into imam Al-Hussein his wife ، then the whole tale tends to be one of the moist important literary piece of writing manifesting the supreme niche of the imam Al-Hussein in the Islamic community.

المقدمة

تعد الثورة الحسينية من أهم الثورات عبر التاريخ البشري، إذ لم تكن ثورة خاصة بزمان ومكان معينين، بل هي ثورة الضمير الإنساني عبر التاريخ، بلحاظ قائد الثورة وهدفها، فكان قائدها أحد عظماء البشرية، وممن اختارته السماء للقيام على الشريعة إذ كان أحد الأوصياء، أما هدفها فهو الهدف الذي تنشده البشرية عبر التاريخ، ((إنما خرجت لطلب الإصلاح))، وهدف الإصلاح هو ما تنشده الأجيال عبر التاريخ.

من هنا شغلت هذه الثورة عقول المفكرين قديما وحديثا، رواية وتدوينا وتحقيقا، ومما نال عنايتهم تفسير هذه الحركة التاريخية، فكان هناك تفسيرات متعددة لهذه الثورة.

جاء هذا البحث ليسلط الضوء على واحد من هذه التفاسير ألا وهو ما تناولته بعض المصادر الادبية المتأخرة إذ تذكر وجود فتاة تدعى أرينب بنت اسحاق القرشية زوجة شخص يدعى عبد الله بن سلام القرشي، وكان يزيد راغبا في الزواج منها، لكن الامام الحسين عليه السلام خطبها وتزوجها، مما أغضب يزيد فكان دافعا له لقتل الإمام الحسين عليه السلام.

اقتضيت طبيعة البحث الوقوف عند نص الرواية، ثم بيان أهم الإشكالات التي يمكن تسجيلها على الرواية، فكان يستلزم أولا تحديد تاريخ الحادثة، ثم الوقوف عند أهم شخوص القصة، الذين تبين أن بعضهم أشخاص لا واقع تاريخيا لهم إلا في هذه القصة، فضلا عن تعذر وجود بعض الأشخاص إما لموتهم أو سبب آخر، ثم بعض التناقضات الفقهية مع مذهب أهل البيت عليه السلام، ثم ما لمسناه من تناقض في وصف الرواية لمعاوية ويزيد بين التقوى والمكر، ويظهر أن القصة تحاكي تقاليد العصور المتأخرة وتخلق شخصيات نسائية لهن دور كبير في التاريخ. وأخيرا توقفنا عند مسألة مهمة ألا وهي هل للقصة من جذر تاريخي بولغ فيه كثيرا لمقاصد ما؟

أما عن مصدر القصة التي حيكت بطابع أدبي فكنا نتوقع ورود ما يشير إلى أرينب ومكانتها الأدبية في مؤلفات خصصت لهذا الغرض كبلاغات النساء لابن طيفور، وعيون الأخبار لابن قتيبة، والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، ويتيمة الدهر للثعالبي وغيرها.

لقد وردت القصة في المصادر الأندلسية، وأقدم مصدر هو شرح قصيدة ابن عبدون لابن بدرون، ومنه انتشرت إلى المصادر الأخرى كثمرات الأوراق لابن حجة الحموي ونهاية الإرب للنويري وأخيرا كان المصدر الذي لا زال موضع خلاف بين الباحثين وهو الإمامة والسياسة الذي ينسب لمؤلف اسمه ابن قتيبة الذي تطورت عنده أحداث القصة أكثر مما ورد عند غيره.

واتضح أن بعضهم استفاد من القصة في تفسير مقتل الإمام الحسين عليه السلام على أنه لا يعدو صراعا على فتاة أحبها يزيد وتزوجها الحسين مما أغضب يزيد وأضمرها في نفسه حتى إذا تولى الحكم أمر بقتل الإمام الحسين (ع)، ولعل أريد من هذا التفسير الطعن بالثورة الحسينية وإفراغها من هدفها الإصلاحي .

من تفاسير الثورة الحسينية

لقد ترك استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) يوم كربلاء أثرا واضحا على بعدي الزمان والمكان، لذا شغل اهتمام الكثيرين في محاولة بيان سبب نهضة الإمام، والكارثة التي حلت بالبيت النبوي، فمنهم من فسر ذلك على انه مجرد حلقة من حلقات الصراع الهاشمي ـ الأموي[1]، ومنهم من عزاه إلى زهو الحسين وغروره الذي ورثه عن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام[2].

وذهبت بعض المصادر إلى أن استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، كان بسبب فتاة عشقها يزيد إلا أن الإمام الحسين عليه السلام قام بخطبتها والزواج منها[٣]. وهذا هو ما دعا يزيد إلى قتل الإمام الحسين عليه السلام. [٤]

ملخص الرواية :

ان فتاة من أهل العراق تدعى أرينب بنت إسحاق، عرفت بالجمال والأدب والمال، عشقها يزيد إلا أن أباه معاوية تغافل عن ذلك، حتى تزوجت من ابن عمها عبد الله بن سلام، لكن عشق يزيد استمر به وأضناه مما دفعه لمفاتحة والده من طريق احد غلمانه، فوعده معاوية أن يزوجه إياها، وكان عبد الله بن سلام والي معاوية على العراق، فكتب إليه معاوية ليقدم إليه لأمر مهم، وفي الوقت نفسه دعا معاوية أبا هريرة وأبا الدرداء، واخبرهم أن لديه بنتا بلغت مبلغ النساء، وانه يريد أن يزوجها من عبد الله بن سلام، وطلب منهما أن يعرضا عليه ذلك، فلما قدم عبد الله بن سلام وعرضا عليه فرح كثيرا، فقال لهما معاوية: إن أمر ابنته بيدها فاسألاها، فلما عرضا عليها الأمر، قبلت بشرط أن يطلق زوجته، فقبل ابن سلام ذلك، إلا انها لما علمت بموافقته وطلاق زوجته رفضت الزواج منه، ثم أن معاوية أوفد أبا الدرداء إلى العراق لخطبة أرينب ليزيد، ولما قدم أبو الدرداء، قرر أولا أن يمر على الإمام الحسين عليه السلام التي تصفه الرواية بأنه كبير أهل العراق، ليسلم عليه، فلما علم الإمام الحسين عليه السلام بمهمة ابي الدرداء، طلب منه أن يذكره إليها أيضا، فلما قدم أبو الدرداء على ارينب واخبرها، فوضت الأمر إليه في الاختيار ، فاختار لها الإمام الحسين عليه السلام، وتزوجها الحسين وأمهرها مبلغا كبيرا، ثم تشير الرواية أن ابن سلام عاد إلى العراق بعد أن جفاه معاوية، وقطع عنه صلاته، ولما بلغ العراق توسل إلى الإمام الحسين عليه السلام، ليبلغ ارينب انه قد أودعها مبلغا من المال، فلم تنكر وأخرجت المال له، وأخذا يبكيان عندها دخل عليهما الإمام الحسين وأعلن طلاقها بالثلاث، وأوضح أن قصده من الزواج بها هو لإحلالها إلى زوجها، فعادت أرينب إلى زوجها وعاشا متحابين حتى ماتا. [٥]

إشكالات الرواية

والآن لنضع جملة من الإشكاليات على الرواية :

أولا :تاريخ الرواية :

يمكن القول إن الرواية وقعت ـ إن صحت ـ بعد سنة ٤٩ هـ وذلك:

١ ـ الإشارة إلى الإمام الحسين عليه السلام دون الإمام الحسن عليه السلام لان وفاة الإمام الحسن عليه السلام كانت سنة ٤٩ هـ[٦].

٢ ـ أشارت الرواية إلى أن يزيد وقتها كان وليا للعهد، إذ جاء في كلام معاوية ليزيد ((وقد علمت إني تخطأت الناس كلهم في تقديمك، ونزلتهم لتوليتي إياك، ونصبتك إماما على أصحاب رسول الله صلى الله عليه واله وسلم، وفيهم من عرفت، وحاولت منهم ما علمت؟)) [٧]. مع أننا سنجد أن أصل القصة كانت مع الإمام الحسن عليه السلام.

ثانيا : شخصيات الرواية :

١ ـ أرينب بنت إسحاق:

تقرأ بضم الألف[٨]، وهي تصغير أرنب، وتؤنث[٩]، ويظهر أنها تطلق اسماً للبنات، ولكن هذا الاسم ليس من الأسماء

المتعارفة في الوسط العربي، فمن خلال البحث في المصادر المتوفرة لم نجد اللهم إلا إشارة ذكرها الشيخ الأميني عن أخت لعمرو بن العاص تسمى (أرينب)، إذ ذكر عن ابن الكلبي: ((ومن الأدعياء عمرو بن العاص[١٠]، وأمه النابغة حبشية، وأخته لأمه أرينب[١١] (بضم الألف) وكانت تدعي لعفيف بن أبي العاص[١٢]، وفيها قال عثمان لعمرو بن العاص: لمن كانت تدعى أختك أرينب يا عمرو؟ فقال: لعفيف بن أبي العاص. قال عثمان: صدقت. انتهى.)) [١٣].

لكننا عند تصفحنا لمصادر التراث العربي الإسلامي، لم نجد ذكرا لهذه الشخصية في المصادر الأولية، نعم وجدناها في المصادر المتأخرة التي يغلب عليها الطابع الأدبي، وذكرت الرواية أنها قرشية[١٤]، إلا انه لم يتضح من أي بطن من بطون قريش، وهل هناك من قريش من يتسمى آنذاك باسم إسحاق؟ . ولم نجد ما يشير إلى أبيها أو أمها أو سلسلة نسبها. ولم نجد عنها أي شيء في مصادر التراث سوى ما ورد في هذه القصة. نعم سيتضح لنا فيما بعد من أرينب هذه؟

٢ ـ عبد الله بن سلام: هو الآخر أشارت الرواية إلى انه من قريش، وانه وال لمعاوية على العراق. ولكن:

أ ـ لم نجد مصدرا يشير إلى أن هناك شخصا قرشيا يحمل هذا الاسم.

ب ـ لم نعثر في المصادر على وال لمعاوية بهذا الاسم سواء على العراق أو غيره.

ج ـ نعم، تذكر المصادر ثلاثة أشخاص بهذا الاسم، وهم:

الأول: عبدالله بن سلام أحد رجالات يهود بني قينقاع، ويعد من الصحابة، توفي سنة ٤٣ هـ فهو ليس بقرشي ولم يتول إي ولاية لمعاوية، فضلا عن أنه كان رجلا كبيرا أيام معاوية.[١٥]

أما الثاني: فهو أبو خديجة عبد الله بن سلام الكوفي الذي يعد من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام.[١٦] فهو ليس معاصراً لمعاوية ؛لأن معاوية مات سنة ٦٠ هـ والإمام الصادق عليه السلام ولد سنة ٨٠ هـ.

الثالث: أبو هريرة عبد الله بن سلام: لم أجد من يترجم له ولكن ورد اسمه في ترجمة خالد بن ماد القلانسي، كراو لكتاب خالد هذا، وخالد من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، وقيل إن الإمام الصادق عليه السلام ترحم على عبد الله بن سلام هذا.[١٧]

٣ ـ أبو الدرداء: أبو الدرداء هو عويمر بن عامر ، ويقال عويمر بن قيس بن زيد الخزرجي الأنصاري. شهد أحدا وما بعدها من المشاهد . قيل إنه كان أحد الحكماء العلماء والفضلاء. وإنه من الذين أوتوا العلم؟!!. وقيل إن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: حكيم أمّتى أبو الدرداء عويمر. وله حكم مأثورة مشهورة، منها قوله: وجدت الناس أخبر تقل[١٨]. ومنها: من يأت أبواب السلطان يقوم ويقعد. ووصف الدنيا فأحسن، فمن قوله فيها: الدنيا دار كدر، ولن ينجو منها إلا أهل الحذر، ولله فيها علامات يسمعها الجاهلون، ويعتبر بها العالمون، ومن علاماته فيها أن حفّها بالشّبهات، فارتطم فيها أهل الشهوات، ثم أعقبها بالآفات، فانتفع بذلك أهل العظات، ومزج حلالها بالمئونات وحرامها بالتبعات، فالمثرى فيها تعب، والمقلّ فيها نصب. نزل دمشق فولاه عمر قضاءها أيام إمارة معاوية فكان يدخل معه في إشكالات فقهية، كانت وفاته قبل قتل عثمان بعامين في حدود ٣١ أو ٣٢ هـ ، وقيل مات بعد صفين سنة ٣٨ أو ٣٩ هـ، والأكثر والأشهر والأصحّ عند أهل الحديث أنه توفى في خلافة عثمان .[١٩]

وقد دخل مرة على معاوية ووجده يشرب بآنية الذهب والفضة، فقال له: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن الشرب بآنية الذهب والفضة، فقال معاوية: أما أنا فلا أرى بذلك بأسا، فخرج أبو الدرداء وهو يقول: من عذيري من معاوية، أقول قال رسول الله وهو يقول لا أرى بذلك باسا، ثم ترك الشام وذهب للمدينة، حتى وفاته سنة ٣٢ هـ [٢٠] .

لقد أعطت الرواية لأبي الدرداء دورا كبير ا في بيان علاقته الطيبة مع معاوية حتى جعله رسوله لخطبة أرينب إلى يزيد،

اذن كيف يمكن وجوده بعد سنة ٤٩ هـ وهو قد مات في ٣٢ هـ.؟ ولعل عمله قاضيا لدمشق أدخل الشبهة على الراوي أو القاص، وسيتضح لنا أنه استبدل به أبو هريرة في الرواية الأم.

٤ ـ الإمام الحسين عليه السلام: أشارت الرواية أن الإمام الحسين كان في العراق يومذاك وهو كبير أهل العراق جودا وفقها، ولكن هذا لا يصح لانه بعد عقد الصلح بين الإمام الحسن ومعاوية سنة ٤١ هـ ترك الإمام الحسن ومعه الإمام الحسين عليهما السلام وسائر أهل البيت الكوفة وعادوا إلى المدينة[٢١]، ولم يعرف أن الإمام الحسين عليه السلام ذهب للكوفة أو غيرها من المدن العراقية بعد ذلك أبدا[٢٢]. وسنرى ان الرواية الام تحدثت عن الامام الحسن عليه السلام، لكن النص الاندلسي استبدل به الامام الحسين عليه السلام.

ثالثاً: تتناقض الرواية في وصفها لمعاوية ويزيد ففي الوقت الذي تضفي عليهما مسحة الإيمان [٢٣]، وتضفي على يزيد كمال الأخلاق ومنتهى الأدب [٢٤]، فإنها من جانب آخر تشير لغدر معاوية بعبد الله بن سلام وخديعته لطلاق زوجته وتزويجها من ابنه[٢٥]، فهل هذا يتناسب مع الشرع الإسلامي، والتقاليد العربية، لاسيما وهو زعيم الدولة الإسلامية.

رابعاً: لم تشر الرواية من هي بنت معاوية التي بلغت مبلغ النساء وأراد معاوية أن يزوجها من هو كفؤ لها، وهي التي شاطرت أباها معاوية الدهاء والمكر . ولماذا يكلف معاوية أبا الدرداء بمفاتحتها بموضوع زواجها من ابن سلام، ولم يقم هو بذلك . ثم لماذا غدر به ولم يزوجه ابنته فعلا، لاسيما أن الرواية تجعل منه أحد رجالات قريش ومن ولاة معاوية.

خامساً: أشارت الرواية أن عبد الله بن سلام كان والي العراق[٢٦]، والمعلوم أن العراق أيام معاوية كان ثلاث ولايات أشهرها البصرة والكوفة، وكل ولاية مستقلة عن الأخرى، نعم قد جمعتا تحت وال واحد أيام زياد بن أبيه. ثم إن الرواية لم تشر إلى من تولى العراق من بعد ابن سلام؟

سادساً: أشارت الرواية أن أبا الدرداء لما مر بالإمام الحسين عليه السلام واخبره عن سبب مجيئه، قال له الحسين : اذكرني عندها مع يزيد[٢٧] ! فهل هذا جائز في الشريعة الإسلامية[٢٨].

سابعاً: ولما أراد الحسين إعادتها لزوجها طلقها، قائلا : أنت طالق ثلاثا[٢٩]، وهذا الأسلوب بالطلاق مخالف لمذهب أهل البيت عليهم السلام[٣٠].

ثامناً: يغلب على الرواية الحب والغرام الذي أضنى يزيد، ثم مابين ابن سلام وارينب حتى أنهما بكيا لما حل بهما مما دفع الإمام الحسين عليه السلام لطلاقها لتعود لزوجها. على الرغم مما فعله ابن سلام فقد طلقها مقابل زواجه من ابنة معاوية .

تاسعاً: يلاحظ أن القصة تحاكي عادات وتقاليد لعصور متأخرة منها :

١ ـ الإشارة إلى خوف بنت معاوية من الغيرة على زوجها لأنه متزوج، لذا عليه طلاق زوجته[٣١]. وهذا لم يكن موجودا في ذلك العصر، ولذا قلما نجد رجلا اقتصر على زوجة واحدة، ابتداء من النبي وأئمة أهل البيت والخلفاء وسائر الصحابة.

٢ ـ الإشارة إلى الخطبة المشتركة للإمام الحسين عليه السلام ويزيد[٣٢]، وهذا إنما وجد في العصور المتأخرة فكان يتقدم لامرأة عدة رجال وهي تختار احدهم بعد أن يقدم كل واحد ما عنده.

٣ ـ إن الرواية تدور حول فتاة فهي محور القصة والأحداث كلها دارت حولها، فهي تحاكي ما حصل في العصور الأخيرة من بروز دور النساء في الحياة العامة[٣٣]، لذا نجد هناك من يختلق أسماء نسائية لتؤدي أدوارا لا واقع لها كما ورد في قصة خولة بنت الازور[٣٤] التي اختلقها صاحب كتاب فتوح الشام المنسوب للواقدي[٣٥]. أو المبالغة في أدوار نسائية كما ورد بشأن سجاح[٣٦] وقطام[٣٧].

عاشراً: مصدر القصة : لم ترد القصة في المصادر المتقدمة، لا سيما التي تهتم بالأدب كمؤلفات الجاحظ، وعيون الأخبار

لابن قتيبة، وبلاغات النساء لابن أبي طيفور، والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، والعقد الفريد لابن عبد ربه، ويتيمة الدهر للثعالبي وغيرها.

وأقدم مصدر وردت فيه هو شرح قصيدة ابن عبدون لابن بدرون الاندلسي ت٦٠٤ هـ[٣٨]، ومنها انتشرت في المصادر الأخرى كما في نهاية الإرب للنويري ت ٧٣٢ هـ[٣٩] ، وثمرات الأوراق لابن حجة الحموي في القرن التاسع الهجري[٤٠] ، وكتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة[٤١] وهي كتب يغلب عليها الطابع الأدبي.

هذه الرواية عدها بعضهم ومنهم العقاد أنها موثوقة، وبنى حكمه على أنها تفسر لنا مقتل الإمام الحسين عليه السلام[٤٢].

أصل القصة

هل لهذه القصة من جذر تاريخي ؟

عندتتبعنا لمصادر التراث على مختلف توجهاتها، نجد أن لهذه القصة أثرا تاريخيا تطور عبر التاريخ من جيل إلى جيل حتى غدت قصة تاريخية تتناولها الأجيال جزء من التراث العربي، ولم تكن في البدء سوى إشارة لزوجتين للإمام الحسن عليه السلام :

الأولى: أم إسحاق بنت طلحة

تزوجها الإمام الحسن عليه السلام، وكان معاوية راغبا بتزويجها من يزيد، فلما علم معاوية، قال: دعوها[٤٣]، وفي رواية ابن عساكر [٤٤]أن معاوية كتب إلى مروان والي المدينة بأن يخيرها، فاختارت الإمام الحسن عليه السلام، فأقرها وأضاف ابن عساكر أن الإمام الحسين تزوجها من بعده. وفي رواية ثانية لابن عساكر أن معاوية خطب أم إسحاق بنت طلحة ليزيد من أخيها إسحاق بن طلحة، فقال له: أقدم المدينة، فيأتيني رسولك فأزوجه، لكنه لما قدم المدينة زوجها من الإمام الحسن عليه السلام، فكانت في نفس يزيد على إسحاق فلما ولي يزيد وجهز مسرف بن عقبة المري إلى أهل المدينة أمره إن ظفر بإسحاق بن طلحة أن يقتله فلم يظفر به فهدم داره. [٤٥].

الثانية : هند بنت سهيل

هذه الزوجة استأثرت بحديث الرواة وتطور أمر زواجها من الإمام الحسن عليه السلام، فقد اكتفى ابن حبيب[٤٦] بذكرها زوجة للإمام الحسن عليه السلام إذ قال: (وتزوجت هند بنت سهيل بن عمرو (عبد الرحمن) بن عتاب بن أسيد بن أبي العيص[٤٧]. ثم (عبد الله) بن عامر بن كريز [٤٨]. ثم (الحسن) بن علي بن أبي طالب))،

و قدم ابن سعد ت٢٣٠ هـ، والبلاذري عن المدائني تفصيلات أكثر، إذ رواها المدائني عن الهذلي الذي رواها عن ابن سيرين، فذكر أن هند بنت سهيل بن عمرو القرشية كانت زوجة لعبد الرحمن عتاب بن أسيد الذي طلقها، فتزوجها عبد الله بن عامر، الذي طلقها باختياره، فأراد معاوية خطبتها ليزيد فكلف بذلك أبا هريرة الذي جاء إلى المدينة لخطبتها، فالتقى بالإمام الحسن عليه السلام الذي طلب منه ان يذكره لها أيضا، فطلبت من أبي هريرة النصح في الاختيار، فأشار عليها بالإمام الحسنعليه السلام، فتزوجته، ثم جاء ابن عامر طالبا وديعة كانت له عندها، وهي سفطا جواهر فأخذ بعضه وترك الباقي. وأراد الإمام إعادتها إليه فرفض. [٤٩]

لم توضح الرواية أسباب طلاقها من الأول والثاني، وهل بقيت عند الإمام أو طلقها أيضا، ولعل الرواية تأتي في سلسة المفتريات على الإمام الحسن عليه السلام ومنها كونه مطلاقا. وأيضا لم يتضح سبب رغبة يزيد بالزواج منها، فهل عمرها يتناسب مع عمره الثلاثيني، ولم يتضح من الرواية أن لها مميزات تدعو الرجال للرغبة فيها.

ولكن سنجد الرواية تتطور أكثر عند ابن حمدون[٥٠]، فهنا معاوية يخاطب ولده يزيد : هل بقي في نفسك من النساء شيء؟ قال نعم ، هند بنت سهيل بن عمرو، فكتب معاوية إلى عبد اللهَّ بن عامر: إنّك إن طلّقتها زوّجتك بنتي هندا. فطلّقها، وقدمت المدينة، فأرسل معاوية أبي هريرة لخطبتها، فلقيه الإمام الحسن عليه السلام، فقال له: إذا ذكرت يزيد فاذكرني لها بعده. فاختارت الإمام الحسن عليه السلام بمشوررة أبي هريرة، ثم قدم ابن عامر المدينة، لطلب ودائعه عندها، فدمعت عينه وعيناها! وأراد الإمام الحسن عليه السلام إعادتها له، لكنه رفض، بعد أن وافق على بقاء ابنتها منه إكراما للإمام الحسن عليه السلام .

فالنص يبدأ برغبة معاوية إشباع رغبات ابنه يزيد من النساء، التي لم تكتمل بعد، فهو يرغب بالزواج من هند بنت سهيل بن عمرو التي كانت تحت عبد الله بن عامر ، وهو أمر غريب أن يصدر هكذا فعل من زعيم الدولة الإسلامية أن يطلب من أحد أفراد دولته أن يطلق زوجته لاشباع نهم ولده الجنسية، مقابل أن يزوجه ابنته لكن هذه الرغبة لم تتحقق ؛ لأن الإمام الحسن عليه السلام طلب من أبي هريرة أن يذكره لها، فكان أن تزوجت الإمام الحسن عليه السلام باقتراح من أبي هريرة. ، ثم ما لبث أن قدم ابن عامر طالبا ودائع عندها، فلما التقيا دمعت عيناهما، فأراد الإمام الحسن عليه السلام إعادتها له، لكن ابن عامر رفض ذلك، الذي وافق على إبقاء ابنتها من ابن عامر عندها إكراما لطلب الإمام الحسن عليه السلام. فهي تظهر ابن عامر بالمظهر الايجابي.

ويأتي نص الميداني مقاربا لنص ابن حمدون مع بعض الاختلافات والزيادات، إذ لم يذكر اسم المرأة وإنما كنيتها، أم خالد، وهي زوجة ابن عامر الذي أغراه معاوية بطلاقها مقابل ولاية فارس طعمة له خمس سنين، وبعد طلاقها أرسل معاوية أبا هريرة ليخطبها، وهنا يرى في طريقه اليها الإمام الحسن والحسين (ع) وابن عباس وابن جعفر وابن الزبير وابن مطيع، وكل واحد طلب منه أن يذكرها له، فكان أن اختارت الإمام الحسن (ع) بمشورة من أبي هريرة، ولما بلغ معاوية ذلك قال: ((اسلمى أم خالد رب ساع لقاعد وآكل غير حامد)) فذهبت مثلا .[٥١]

ويأخذ النص بعدا آخر عند الخوارزمي[٥٢] إذ نلاحظ تغيرات في أحداث القصة، فقد أطلق كنية أم أبيها على هند بنت سهيل بن عمرو، وأوضحت الرواية أن يزيد خطبها مع ابن عامر فرفضته وتزوجت ابن عامر فاستاء يزيد من ذلك، فما كان من معاوية إلا أن أمر ابن عامر تطليقها مقابل إقطاعه البصرة، وإلا عزله عنها، فقبل بعد تردد. ويظهر أن هندا بنت عمرو كانت متخوفة من ذلك الأمر ، ثم أرسل معاوية أبا هريرة لخطبتها ليزيد فمر بالمدينة، وهنا تستبدل رواية الخوارزمي الإمام الحسين عليه السلام بالإمام الحسن عليه السلام الذي طلب منه أن يذكره أيضا، فكان أن قبلت بالإمام الحسين عليه السلام . مما أساء ذلك معاوية الذي وصف أبا هريرة بأنه حمار. ولما حج ابن عامر مر على الإمام الحسين عليه السلام طالبا منه وديعة له عند هند، وكانت من الجواهر واللآلئ، فبكى ابن عامر لورعها وكمالها وأدبها، فما كان من الإمام الحسين عليه السلام إلا أن طلقها لترجع لابن عامر.

بعد ذلك نجد الرواية قد انتقلت إلى الأجواء الأندلسية المفعمة بالخيال والأدب، فقد ذكرها ابن بدرون وهو أحد أدباء الأندلس، محدثا تغييرا في أسماء أشخاصها، إذ تحولت هند بنت سهيل إلى زينب بنت إسحاق أو أرينب بنت إسحاق، ((وسنرى من هي)) ، وتحول عبد الله بن عامر إلى عبد الله بن سلام، وتحول مسرح القصة برمته من المدينة إلى العراق، ولعل صياغة القصة في الأندلس البعيدة عن العراق، جعل الراوي أو القاص يتحدث عن الأقليم، فالعراق معروف للعامة، لكن مدنه قد لا تكون معروفه، ولتعلق اسم العراق بشخص الإمام الحسين عليه السلام.

وأضفى الخيال الأندلسي جمالا وكمالا على زينب (أرينب بنت أسحاق) انعدم نظيره، هذا الجمال لا واقع له إلا في هذه

القصة، مما زاد في هيام يزيد بها، حتى أضناه العشق، فاضطره للبوح به لأحد خصيان معاوية، ((وكانت أرينب هذه من أجمل نساء وقتها وأحسنهن أدبا وأكثرهن مالا، وكان يزيد بن معاوية قد سمع بجمالها، وبما هي عليه من الأدب وحسن الخلق والخلق، ففتن بها، فلما عيل صبره، استراح في ذلك مع أحد خصيان معاوية،))، وهنا تظهر القصة دورا للخصيان، وهو الدور الذي لعبه الخصيان والجواري في العصور المتأخرة، فعندها دعاه معاوية للصبر والكتمان لغرض إعمال الحيلة في تزويجها إياه، ولكن يزيد بلغ به العشق حدا لا صبر معه، إذ يقول لأبيه: ((قد عيل الصبر والحجا، ولو كان أحد ينتفع به من الهوى لكان أولى الناس بالصبر عليه داود)،

وهنا يشير يزيد إلى احدى الافتراءات اليهودية على النبي داود عليه السلام، وفحواها أنه أغرم بحب زوجة أوريا القائد الأعلى للجيش، فأمره أن يتقدم الصفوف حتى يقتل فيتزوج زوجته، فلما قتل تزوجها داود عليه السلام. وقد انتقلت هذه الفرية إلى فكرنا الإسلامي من طريق وهب بن منبه، وفسر بعضهم ما جاء في قوله تعالى في سورة ص: ((وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (٢١) إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ (٢٢) إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (٢٣) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (٢٤) فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ (٢٥)) على أنها إشارة لذلك. إذ قالوا إن داود كانت له تسع وتسعون امرأة ولم يكن لأوريا سوى زوجة واحدة. [٥٣]

تشير القصة الى أن معاوية أخذ بالاحتيال لتزويجها من يزيد، فدعا ابن سلام للشام. لتزويجه من ابنته بعد رضاها. وهنا تضيف القصة شخصية أخرى مع أبي هريرة وهو أبو الدرداء، ليكونا في بلاد الشام، ولا إشكال فإن كلا الرجلين كان له وجود في الشام أيام معاوية، لكن أبا الدرداء كان قاضيا لدمشق في إيام إمارة معاوية وقد مات سنة ٣٢ هـ،

وتشير الرواية الى أن معاوية وظف الرجلين لتحقيق رغبته، بالاحتيال عليهما، معربا لهما عن رغبته بتزويج ابنته من ابن سلام، كونه كفؤا لها، شريطة رضاها، وهنا كانت مناسبة لتسويق فضائل لمعاوية على لسان اثنين من الصحابة، إذ قالا له : ((أنت صاحب[٥٤] رسول الله صلعم وكاتبه[٥٥] وصهره[٥٦].) ،

لكن رغبة معاوية بزواج ابنته من ابن سلام انما هي مشروطة بموافقتها، لانه لا يجبرها، وبالمقابل اتفق مع ابنته على حيلة ما، وهي أنها وافقت بشرط طلاق زوجته. فوافق ابن سلام وطلق زوجته، لكن ابنة معاوية وحسب الاتفاق مع أبيها رفضت الزواج به مدعية أنها سألت عنه فوجدته غير ملائم لها. ثم أرسل معاوية أبا الدرداء إلى العراق لخطبة زينب (أرينب) وكان لقاؤه بالإمام الحسين الذي طلب منه أن يذكره لها أيضا، مع يزيد. وهنا استبدلت القصة الأندلسية بأبي هريرة أبا الدرداء، ليقوم بمهمة الخطبة، واستبدلت وجهته العراق بالمدينة ، فاختارت زينب (أرينب) الإمام الحسين عليه السلام بمشورة أبي الدرداء. مما أدى لغضب معاوية على أبي الدرداء ونعته بصفات سلبية.

ثم تعود القصة لتحكي أحوال ابن سلام الذي ترك الشام لجفاء معاوية له، وقدومه للعراق لمقابلة زينب (أرينب) لاسترداد وديعته عندها. فيسمح الإمام الحسين عليه السلام له بمقابلة زينب (أرينب) واسترداد أمانته وهما بحال من البكاء. فيرق لهما الحسين عليه السلام ويطلق زينب(أرينب) بالثلاث ويعيدها لزوجها. [٥٧]

ولكن لماذا استبدل اسم ارينب بزينب بنت إسحاق؟

ومن هي؟

عند تصفحنا لكتب التاريخ وجدنا أن هناك امرأة تدعى زينب بنت إسحاق النفزاوية، من بربر المغرب عرفت بالجمال والذكاء، فقد ترجم لها الزركلي[٥٨]: ((زينب بنت إسحاق النفزاوية ت٤٦٤ هـ/ ١٠٧٢م ، من شهيرات النساء في المغرب. قال ابن خلدون : كانت إحدى نساء العالم المشهورات بالجمال والرياسة . وهي من قبيلة نفزة ، من بربر طرابلس الغرب. تزوجت وانتقلت إلى أغمات ، وطلقت ، فتزوجها يوسف بن تاشفين اللمتوني سنة ٤٥٤ هـ ، قال صاحب الاستقصا : فكانت عنوان سعده ، والقائمة بملكه ، والمدبرة لامره ، والفاتحة عليه بحسن سياستها لأكثر بلاد المغرب . ونقل عن ابن الأثير في الكامل : كانت من أحسن النساء ولها الحكم في بلاد زوجها ابن تاشفين . وأورد بعض أخبارها.))

أما ابن خلدون[٥٩] فقد قال عنها: ((زينب بنت اسحق النفزاوية وكانت مشهورة بالجمال والرياسة))، كانت أولا زوجة يوسف بن علي بن عبد الرحمن بن وطاس وكان شيخا على وريكة، ولما تغلب بنو يفرن على وريكة وملكوا غمات تزوجها لقوط بن يوسف المغراوي صاحب غمات ، ولما تولى أمر المرابطين أبو بكر بن عمر ندب المرابطين إلى فتح المغرب فغزا بلاد السوس سنة ٤٤٨ هـ ، وافتتح ماسة وتارودانت سنة ٤٤٩ هـ ، وفر أميرها لقوط بن يوسف بن علي المغراوي إلى تادلا واستضاف إلى بنى يفرن ملوكها وقتل معهم لقوط بن يوسف المغراوي صاحب غمات، فتزوجها أبو بكر بن عمر ، ثم ارتحل أبو بكر إلى الصحراء واستعمل على المغرب ابن عمه يوسف ابن تاشفين ونزل له عن زوجه زينب بنت اسحق ولحق بقومه ورفع ما كان بينهم من حرق الفتنة وفتح بابا من جهاد السودان فاستولى على نحو تسعين رحلة من بلادهم، وأقام يوسف بن تاشفين بأطراف المغرب، ونزل بلكين صاحب القلعة فاس وأخذ رهنها على الطاعة وانكف راجعا فحينئذ سار يوسف بن تاشفين في عسكره من المرابطين ودوخ أقطار المغرب ثم رجع أبو بكر إلى المغرب فوجد يوسف بن تاشفين قد استبد عليه وأشارت عليه زينب أن يريه الاستبداد في أحواله وأن يعد له متاع الصحراء وما عونها ففطن لذلك الأمير أبو بكر وتجافى عن المنازعة وسلم له الامر ورجع إلى أرضه ومات سنة ٤٨٠ هـ،

وذكر ابن خلدون[٦٠] في موضع آخر وهو يتحدث عن أمراء أغمات من مغراوة: ((لم أقف على أسماء هؤلاء الا انهم أمراء بأغمات آخر دولة بنى زيرى بفاس وبنى يعلى اليفرنى بسلا وتادلا في جوار المصامدة وبر غواطة، وكان لقوط بن يوسف بن علي آخرهم في سنى الخمسين وأربعمائة، وكانت امرأته زينب بنت اسحق النفزاوية من احدى نساء العالم المشهورات بالجمال والرياسة، ولما غلب المرابطون على اغمات سنة تسع وأربعين، فر لقوط هذا إلى تادلا سنة احدى وخمسين، وقتل الأمير محمد واستلحم بنى يفرن، فكان فيمن استلحم، وخلفه أبو بكر بن عمر أمير المرابطين على زينب بنت اسحق حتى إذا ارتحل إلى الصحراء سنة ثلاث وخمسين، واستعمل ابن عمه يوسف بن تاشفين على المغرب، نزل له عن زوجه زينب هذه، فكان لها رياسة أمره وسلطانه، وما أشارت إليه عند مرجع أبى بكر من الصحراء في إظهار الاستبداد حتى تجافى عن منازعته، وخلص ليوسف بن تاشفين ملكه، كما ذكرناه في أخبارهم ولم نقف من لقوط بن يوسف وقومه على غير هذا الذي كتبناه والله ولى العون سبحانه .)).

وقد أشار لها النويري[٦١] في حديثه عن يوسف بن تاشفين لكنه ذكرها باسم زينب بنت إبراهيم، قائلا تحت عنوان اخبار يوسف بن تاشفين: ((واستقامت له الأمور . و تزوج زينب بنت إبراهيم زوجة أبى بكر بن عمر، و كانت حظية عنده، و أميرة عليه. و كذلك جميع الملثمين ينقادون لأمور نسائهم، و لا يسمون الرجل إلا بأمه فيقولون: ابن فلانة، و لا يقولون: ابن فلان . و كانت زينب لها عزم و حزم. حكى عنها أن زرهون – و يعرف بابن خلوف – و كان له أدب ، فبلغ زينب أنه مدح حواء امرأة سير بن أبي بكر و فضّلها على سائر النساء بالجمال و الكمال. فأمرت بعزله عن القضاء. فوصل إلى أغمات

واستأذن عليها. فدخل البواب و أعلمها به، فقالت: قل له: امض إلى التي مدحتها تردك إلى القضاء. فبقى بالباب أياما حتى نفدت نفقته.)). وقد علق محقق الكتاب قائلاً إن اسمها زينب بنت إسحاق.

وذكرها ابن الأثير[٦٢] دون التصريح باسمها مكتفيا بلقبها النفزاوية، قائلا: ((وكان يوسف بن تاشفين حليما كريما دينا خيرا يحب أهل العلم والدين ويحكمهم في بلاده وكان يحب العفو والصفح عن الذنوب العظام ، فمن ذلك أن ثلاثة نفر اجتمعوا فتمنى أحدهم ألف دينار يتجر بها وتمنى الآخر عملا يعمل فيه لأمير المسلمين وتمنى الآخر زوجته النفزاوية وكانت من أحسن النساء ولها الحكم في بلاده فبلغه الخبر فأحضرهم وأعطى متمني المال ألف دينار واستعمل الآخر وقال للذي تمنى زوجته يا جاهل ما حملك على هذا الذي لا تصل إليه ثم أرسله إليها فتركه في خيمة ثلاثة أيام تحمل إليه كل يوم طعاما واحدا ثم أحضرته وقالت له ما أكلت هذه الأيام ؟ قال : طعاما واحدا فقالت كل النساء شيء واحد وأمرت له بمال وكسوة وأطلقته .)) .

فهل استفاد القصاصون من أحداث سيرة هذه المرأة البربرية، وأضفوها على الرواية المشرقية .

ونجد النص عند النويري[٦٣] ت٧٣٣ هـ مطابقاً لما ورد عند ابن بدرون، إذ أكد أن اسم البنت زينب بنت إسحاق، وتحديد اسم الخصي الذي كانت له مكانة عند معاوية وقام بدور الوساطة باسم (رفيق). وأكد نص النويري أن الإمام الحسين عليه السلام كان راغبا بالزواج من زينب بنت إسحاق قبل قدوم أبي الدرداء، لكنه كان ينتظر شخصا يطلب منه القيام بخطبتها، فعندها طلب من أبي الدرداء أن يذكره مع يزيد في الخطبة. ويظهر أنه أوردها من باب إظهار دهاء معاوية.

وفي القرن التاسع دونها أحد الأدباء في كتابه نقلا عن ابن بدرون ذلك هو ابن حجة الحموي[٦٤] (ق ٩ هـ)، فجاء في كتابه: ((ومن لطائف المنقول قصة أرينب بنت إسحاق زوج عبد الله بن سلام)).

وانتهت القصة في أقصى تطوراتها إلى كتاب أثيرت كثير من الإشكالات حول مؤلفه وحول ما جاء فيه من نصوص ألا وهو الكتاب الموسوم ((الامامة والسياسة)) [٦٥] لمؤلف يسمى ابن قتيبة، الذي اختلف في أمره هل هو ابن قتيبة المؤرخ المشهور في القرن الثالث الهجري أو لشخص آخر يسمى ابن قتيبة. أم لمؤلف مجهول الهوية.

وقد جاء في هذا الكتاب تحت عنوان ((ما حاول معاوية من تزويج يزيد))، تفصيلات كثيرة، أضفى القاص من خياله الكثير، وحاول سد الثغرات، مقدما شخصية معاوية بإطار يغلب عليه أحيانا الإيمان والتقوى، وأحيانا المكر والدهاء، وأظهرت يزيد بمظهر الشاب صاحب الخلق والأدب، وكان أبوه يستدعيه إذا واجهته المعضلات[٦٦]، فكان أن قال لأبيه: ((كنت قد عرفت من أمير المؤمنين استكمل الله بقاءه، نظرا في خيار الأمور لي، وحرصا على سياقها إلي ، وأفضل ما عسيت استعد له بعد إسلامي المرأة الصالحة[٦٧])).

إلا أنه ابتلى بالعشق الذي لم يستطع الصبر عليه، فاضطر للبوح لأحد خصيان أبيه، وتبين القصة رد فعل معاوية ومدى اهتمامه بولده حيث ولاه العهد متجاوزا من هو أفضل من يزيد، لكن يزيد كان معذورا : ((ففضل جمال أرينب بنت إسحاق وكمال أدبها ما قد سطع وشاع في الناس ، فوقع مني بموقع الهوى فيها ، والرغبة في نكاحها ، فرجوت ألا تدع حسن النظر لي في أمرها ، فتركت ذلك حتى استنكحها بعلها ، فلم يزل ما وقع في خلدي ينمو ويعظم في صدري ، حتى عيل صبري ، فبحت بسري ، فكان مما ذكرت تقصيرك في أمري ، فالله يجزيك أفضل من سؤالي وذكري . فقال له معاوية : مهلا يا يزيد ، فقال : علام تأمرني بالمهل وقد انقطع منها الأمل ؟ فقال له معاوية : فأين حجاك ومروءتك وتقاك[٦٨]؟)).

ثم تعود القصة لتؤكد على جمال أرينب ((وكانت ارينب بنت إسحاق مثلا في أهل زمانها في جمالها، وتمام كمالها وشرفها، وكثرة مالها، فتزوجها رجل من بني عمها يقال له عبد الله بن سلام من قريش، وكان معاوية بالمنزلة الرفيعة في الفضل، ووقع

أمر يزيد من معاوية موقعا ملأه همّاً ، وأوسعه غماً، فاخذ في الحيلة والنظر أن يصل إليها، وكيف يجمع بينه وبينها حتى يبلغ رضا يزيد فيها)) .

وتستمر القصة كما ورد عند ابن بدرون، وما قام به معاوية من حيلة مع ابنته عندما استدعى ابن سلام للشام، وكلف أبا هريرة وأبا الدرداء بذلك، وانتهى الأمر بابن سلام إلى طلاق زوجته دون أن يحظى بابنة معاوية، الذي أرسل أبي الدرداء إلى العراق لخطبة أرينب ليزيد، ولما وصل أبو الدرداء إلى العراق، قرر أولا زيارة الإمام الحسين عليه السلام الذي تصفه القصة أنه كبير أهل العراق جودا وكرما، فكان أن كلفه الإمام أن يذكره مع يزيد، فاختارت الإمام الحسين عليه السلام بمشورة أبي الدرداء، مما أثار غضب معاوية عليه، وعاد ابن سلام للعراق طالبا من الإمام الحسين عليه السلام وديعة له عند أرينب، التي سلمتها له كما هي، مما أدى بهما للبكاء أسفا على ما حصل لهما من فراق، فرق لهما الإمام وطلقها بالثلاث، كما تشير الرواية متناسيا القاص أو متغافلا أن هكذا أسلوب في الطلاق لا يستخدمه أئمة أهل البيت عليه السلام.

موقف المعاصرين

عد الكثير من المعاصرين ما جاء في هذه الرواية صحيحا، لبيان فضائل الإمام الحسين عليه السلام من جهة أو لبيان مثالب معاوية أو دهائه من جهة أخرى، فيما عدها بعضهم من الأسباب التي أدت إلى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام،

ففي حديثه عن مروءة الإمام الحسين عليه السلام وذكائه وأمانته عدّ المهتدي البحراني[٦٩] ما ذكره ابن حمدون انموذجا على ذلك، وعلق بعد ذكره لنص ابن حمدون الذي ذكرناه : ((يا سبحان الله ، ما أعظمك يا ابن رسول الله ؟ ! أنت قمة المروءة والشرف ، قمة الذكاء وحفظ الأمانة ، قمة الشجاعة والنزاهة والإيثار ، لا أدري وهل بقيت فضيلة لست في قمتها يا سيدي أيها الشامخ المتلألئ في سماء الأخلاق الإلهية ؟ يا ليت بعضنا استلهم من بعض ما أنت على كله يا أبا عبد الله .))

ثم ذكر تحت عنوان : ((الدروس المستفادة هنا)) :

١ – القيم الانسانية تمنع الشهوة من السيطرة على الإنسان ، ويبقى الإنسان في سلامة من سرابها إذا ما عاش تلك القيم .

٢ – المروءة والشرف والحكمة في التصرف تظهر في سلوك الذي لا يعيش في داخله ضغط الشهوات ، أما الذي هكذا فلا يستطيع الحكمة في التصرف .

٣ – لابد لأفراد المجتمع أن يتربوا على نهج الحسين (عليه السلام) وإلا ماتوا في دناءة اليزيديين وبهيمية الشهوات .

٤ – من واجب ذوي الغيرة والمروءة حفظ شرف نساء الأمة ومنع الأيادي الأثيمة من الوصول إلى الفتيات المسلمات.

[٧٠] وعدها المرعشي[٧١] تدل على مروءة الإمام الحسين عليه السلام، أما البياتي[٧٢] فبعد أن ذكر نص الخوارزمي قال: ((هذه هي شهامة الحسين (عليه السلام) ومروءته، ونبله، وإنسانيته، وتلك كانت مواقفه مع نساء المسلمين، فكيف كان خصومه مع نسائه؟.))، في ما قال أبو رية[٧٣] معلقا على نص النويري، تحت عنوان ـ وقصة غريبة ـ : ((ولقد كان معاوية يعهد إليه بما يوصله إلى أغراضه ، فقد روى الثقات أنه لما أراد أن يحتال على طلاق زوجة عبد الله بن سلام القرشي زينب بنت إسحاق، بعد أن هام يزيد بجمالها ، أرسل أبا هريرة وأبا الدرداء إلى عبد الله ليبلغه رغبة معاوية في أن يزوجه ابنته لورعه ، على أن يطلق زوجته لكي تخلص ليزيد ، فصدق عبد الله ، ولكنه بعد أن خسر امرأته أبى معاوية أن يزوجه ابنته!)). ولم يتضح ماذا يقصد بالثقات هل المصادر، فهي كتب أدبية متأخرة؟ أو الرواة؟ فلا توجد إشارة لهم.

أما نص الإمامة والسياسة فقد اعتمده الكثير ، فقد نقل الكوراني القصة [٧٤] من ما جاء في تعليق محقق كتاب النصائح

الكافية لمن يتولى معاوية[٧٥]، متصورا أنها لابن عقيل وإنما هي للمحقق الذي عدها من مخزيات معاوية الفاضحة، فعلق الكوراني قائلا: ((هي قصة جسدت نبل الإمام الحسين (عليه السلام) وانحطاط معاوية ويزيد ، وقد روتها المصادر المختلفة واشتهر منها مثل: رُبَّ ساع لقاعدِ ... الذي قاله معاوية لما فشلت خطته ، وروي أنه قال لأبي هريرة (يا حمار) ! ، وضمنها أحمد خيري باشا في قصيدته المعنونة ((الأرجوزة اللطيفة)) إذ قال عن معاوية:

وغشه للرجل المسكين والغش ليس من أمور الدين
حتى تنال زوجه أرينب وفي الطلاق ليزيد مأرب
لولا الحسين جاءه برحمته لمات غما زوجها بحسرته[٧٦]

وضعف صاحب كتاب موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام[٧٧] نص كتاب الإمامة والسياسة، ولم يعتمده وإنما اعتمد نص الخوارزمي قائلا: ((ونقل ابن قتيبة الدينوري هذه القضيّة مفّصلاً مرفوعاً مع اختلاف في أسماء الأشخاص، وقد روى عنه كثير من المصنّفين، ولّما رأينا ضعف نقل ابن قتيبة اجتنبنا عن ذكره)).

وأيد صحة ما جاء في قصة أرينب لا سيما ما جاء في نص الإمامة والسياسة، عدد من الباحثين منهم: عمر رضا كحالة[٧٨]، وسامي جواد كاظم[٧٩] ، وعبد الإله الصائغ[٨٠] ، وتحولت قصة أرينب بنت إسحاق إلى رواية أدبية ألفت حولها المؤلفات، فقد ضمنها هلال محمد عيسى في كتابه ((أرينب ويزيد))[٨١] ، ومنهم من خصص كتاباً حولها، كما فعل عبدة محمد [٨٢]، وعادل أمين: [٨٣] ، وفريد شوقي شاهين أبو فاضل (١٩٠٨ ـ ١٩٦١)[٨٤] ، والشوبري[٨٥] ، والعلي[٨٦]. ونشرت دار الفكر كتابا بعنوان (أرينب ابنة أسحاق: حسناء البادية) في ٨٨ص، ذكر في مقدمته ((رواية تاريخية غرامية أدبية، تتضمن دهاء معاوية، وكرم الحسين بن علي عليه السلام وقصة أرينب بنت أسحاق ، وما كان من معاوية حين أراد أن يأخذها لابنه يزيد، وهي في عصمة عبدالله بن سلام، فسعى لديه حتى طلقها، ثم خطبها لابنه فحال الحسين بينه وبين ذلك، وردها لعبد الله، ووصف ما كانت عليه الحالة الإسلامية إبان ذلك العهد))[٨٧]. والغريب انه ادعى ان مصادره عنها هي كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه ومروج الذهب للمسعودي، والاغاني لابي الفرج الاصفهاني. مع أن هذه المصادر لم تشر إليها مطلقا.

وذهب العقاد بعيدا في صياغة النتائج المترتبة عن هذه القصة، فقد عدها سببا من أسباب قتل الإمام الحسين عليه السلام، بعد أن عدها صحيحة إذ قال بعد حديثه عن جذور الصراع الهاشمي ـ الأموي: ((وكأنما كانت هذه المنافسة المؤصلة الجذور لا تكفي قصاص التاريخ، فأضاف إليها أناس من ثقاتهم قصة منافسة أخرى هي وحدها كافية للنفرة بين قلبين متآلفين، وهي قصة زواج الحسين رضي الله نه بزينب بنت إسحاق التي كان يهواها يزيد هوى أدنفه وأعياه، .... فإن صحت هذه القصة ـ وهي متواترة في تواريخ الثقات، فقد تم بها ما نقص من النفرة والخصومة بين الرجلين، وكان قيام يزيد على الخلافة يوم فصل في هذه الخصومة لا يقبل الإرجاء.))[٨٨].

ولم يقطع الكرباسي[٨٩] برأي قاطع حيال قصة أرينب بنت إسحاق، فبعد أن تحدث عن زوجات الإمام الحسين عليه السلام، ولم يذكر أرينب كزوجة من بين زوجاته قال: ((أرينب وقيل زينب فلو ثبتت صحة القصة حيث اختلفوا في جوانب مختلفة ....)) ثم حاول أن يلملم شتات القصة، ويصحح أخطاءها.

إن الباحث الوحيد الذي وقف طويلا عند القصة لا سيما النص الوارد في كتاب الإمامة والسياسة هو المحقق المعاصر السيد جعفر مرتضى العاملي الذي تناولها ببحث تحت عنوان ((خرافات وأساطير :قصة أرينب بنت إسحاق)، استغرق ١٢ صفحة[٩٠] ، فقد قال في مطلع بحثه: ((من القصص التاريخية الشائعة بين الناس، قصة أرينب بنت إسحاق زوجة الأمير العراقي عبد الله بن سلام ، وهي قصة بديعة وطريفة بحد ذاتها،))[٩١] ثم قال بعد عرضه ملخص ما جاء في كتاب الامامة

والسياسة ((ونحن نشك في صحة هذه الرواية ونكاد نقطع انها مفتعلة)) [٩٢] ، ثم عرض عدة من الادلة التي استند إليها في بطلان الرواية[٩٣].

وخلص للقول: ((إذا أردنا أن نتكلم عن الدوافع التي دعت إلى وضع هذه الرواية، فلعلنا نستطيع أن نضيف إلى بعض ما ذكرناه سابقا، وإلى إرادة إظهار دهاء معاوية، وحسن دراية يزيد الذي كان أهلا لأن يستشيره أبوه في المعضلات، ويستعين به على الملمات ـ لعلنا نستطيع أن نضيف إلى ذلك ـ إرادة تخفيف حدة اللوم الذي يتوجه إلى يزيد بقتله الإمام الحسين ، وذلك بسبب وجود أحن وأحقاد قديمة، كان الحسين هو السبب في وجودها، لا سيما وإن ما أقدم عليه الحسين كان بمثابة صدمة عاطفية، وطعنة نجلاء في صميم قلب يزيد، الذي برح به الهوى، وألظ به الشوق، وواضح أن ذلك يعد من الأسباب الرئيسة في تخفيف فظاعة الجريمة، ومضاعفة عقابها، ...)) [٩٤].

الاستنتاج

يمكن القول إن الرواية وضعت في الاصل للطعن في الإمام الحسن عليه السلام بأنه مزواج كثير الطلاق، ثم تغير الاسم تصحيفا من الإمام الحسن إلى الإمام الحسين عليهما السلام في حدود مطلع القرن السادس الهجري، ولكن بانتقال الرواية إلى الأجواء الأندلسية خرجت من الإطار التاريخي إلى الإطار القصصي، واستفاد القصاص من عدد من الشخصيات والأحداث التاريخية لإعادة صياغة الرواية التاريخية بأسلوب قصصي أريد منه تحقيق مأرب شتى.

ولعل انتاج القصة بهذا الإسلوب كان في إبان تعرض البلاد الإسلامية للغزو الصليبي فكان أن حاول بعضهم إعادة قراءة الأحداث المهمة في العالم الإسلامي لتخفيف حدة الوطأة بين المسلمين، وكان منها كارثة كربلاء وما حل بالبيت النبوي، فكان أن أريد إخراج ذلك من الإطار العقائدي، وتخفيف أثره إلى إطار نفسي. ولكي تقبل القصة أعطي للإمام الحسين عليه السلام ذلك الدور لبيان مروءته وعلو مكانته.

الهوامش

١. المقريزي : تقي الدين أبو العباس احمد بن علي ت ٨٤٥هـ . النزاع والتخاصم بين أمية وبني هاشم ، ب.ط ، تحقيق السيد علي عاشورب.مط ، ب.مكا ، ١٣٦٨هـ . ص٢١.

٢. هذا ما ذهب إليه ابن تيمية، ونوه به محمد السباعي الحفناوي في كتابه ابو سفيان بن حرب شيخ الامويين. ط١، دار الزيني، القاهرة، ١٩٥٩م. وينظر رد الشيخ : مغنية: محمد جواد. الشيعة والحاكمون، الطبعة الأخيرة، دار ومكتبة الهلال، ٢٠٠٠م. ص٢١٢ ـ ٢٢٧.

٣. ابن حمدون: محمد بن الحسن بن محمد بن علي المعرو بأبي المعالي ت٥٦٢هـ. التذكرة الحمدونية، تح: إحسان عباس و بكر عباس، ط ١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦م. ٩/ ٢٦٩. الخوارزمي: أبو المؤيد الموفق بن احمد بن محمد المكي (ت ٥٦٨هـ) . مقتل الحسين عليه السلام، تح : محمد السماوي ، ط٢ ، مط : مهر، الناشر : أنوار الهدى ، ١٤٢٣هـ . ١/ ٢١٧ ـ ٢١٩ ، ابن بدرون : عبد الملك بن عبد الله الأشبيلي الحضرمي ت ٦٠٤ هـ. شرح قصيدة ابن عبدون، اعتنى بتصحيحه وطبعه: رينحرت دزي، ليدن، ١٨٤٦م. ص١٧٤ ـ ١٨٣، النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت٧٣٣هـ. نهاية الإرب في فنون الأدب، وزارة الثقافة والارشاد القومي، القاهرة، ب.ت. ٦/ ١٨٠ ـ ١٨٥، ابن حجة الحموي: تقي الدين أبي بكر بن علي بن محمد (ق ٩ هـ)، ثمرات الأوراق، تحقيق وتعليق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٣، دار الجيل ، بيروت، ١٩٩٧م. ص٢٢٩ ـ ٢٣٥، ابن قتيبة: ((مجهول)). الإمامة والسياسة، تحقيق: علي شيري، ط١، مط: أمير ، الناشر : الشريف الرضي ، قم ، ١٤١٣هـ . ١/ ١٦٦ـ ١٧٣.

٤. هذا ما ذهب إليه العقاد ينظر: العقاد: عباس محمود. أبو الشهداء الحسين بن علي، تحقيق: محمد جاسم الساعدي، ط٢، طهران، ٢٠٠٨م.ص٧٦ ـ ٨١.

٥. ابن بدرون: شرح قصيدة ابن عبدون ص١٧٤ ـ ١٨٣، النويري: نهاية الإرب ٦/ ١٨٠ ـ ١٨٥، ابن حجة: ثمرات الأوراق ص٢٢٩ ـ ٢٣٥، ابن قتيبة: الإمامة والسياسة ١/ ١٦٦ـ ١٧٣.

٦. ابن الأثير : عز الدين أبو الحسن علي بن محمد ت٦٣٠ هـ . الكامل في التاريخ : دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٦ . ٣/ ٥٨.

٧. الإمامة والسياسة ١/ ١٦٧.

٨. الاميني: عبد الحسين بن احمد النجفي ت ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م . الغدير في الكتاب والسنة والأدب ، مركز الغدير للدراسات الإسلامية ، ط١ ، ١٩٩٥م . ٢/ ١٢٣.

٩. الميداني : أبو الفضل احمد بن محمد ت ٥١٨هـ . مجمع الأمثال : تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ،ط٢ ، مط السعادة ، مصر ، ١٩٥٩ . ١/ ٣٢٠.

هو أبو عبد الله عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤيّ القرشي السهمي ، وأمه النابغة بنت حرملة سبيّة من عنزة. كانت من البغايا فولد لها لآباء شتى عمرو بن العاص وعمرو بن أثاثة العدوي، وعقبة بن نافع، وزينب بنت عفيف بن أبي العاص، وذكروا أنه جعل لرجل ألف درهم على أن يسأل عمرو بن العاص عن أمه وهو على المنبر ، فسأله فقال : أمي سلمى بنت حرملة تلقّب النابغة من بنى عنزة ، أصابتها رماح العرب، فبيعت بعكاظ، فاشتراها الفاكه بن المغيرة ، ثم اشتراها منه عبد الله بن جدعان، ثم صارت إلى العاص بن وائل ، فولدت له ، فأنجبت ، فإن كان جعل لك شيئا فخذه .

١٠. كان عمرو بن العاص وأبوه العاص من أشد المشركين على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكان يهجو النبي صلى الله عليه وآله وسلم شعرا، وكان يعير النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنه أبتر لا ولد له ، فنزلت فيه سورة الكوثر ، وأرسلته قريش إلى النجاشي ليرد مهاجري الحبشة ففشل في مؤامرته، وبعد خيبر أدرك عمرو بن العاص أن واقع الجزيرة أصبح يميل لصالح النبي صلى الله عليه وآله وسلم لذا أقبل وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة معلنين دخولهم الإسلام سنة ٨ هـ قبل الفتح. وقيل ولاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم على جيش فيه أبو بكر وعمر، وولاه على عمان حتى وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وعمل لأبي بكر وعمر الذي ولاه فلسطين ثم فتح مصر وولاه إياها، ثم عزله عثمان، مما دعاه لشن حملة على عثمان فكان من جملة الصحابة الذين حرضوا على عثمان، ولما تولى الإمام علي عليه السلام تواطأ مع معاوية بن أبي سفيان على حربه مقابل أن تكون له مصر ، واشترك في صفين ضد الإمام علي عليه السلام وكان صاحب حيلة رفع المصاحف المعروفة بعد نجاته من سيف الإمام علي عليه السلام بفضل سوءته، ثم قاد جيشا وقتل محمد بن أبي بكر والي الإمام علي عليه السلام على مصر فتولاها حتى وفاته سنة ٤٣ هـ وله من العمر ٩٠ سنة. ولما حضرته الوفاة قال : اللَّهمّ إنك أمرتني فلم آتمر ، وزجرتني فلم أنزجر ، ووضع يده في موضع الغل ، وقال : اللَّهمّ لا قوي فأنتصر ، ولا بريء فأعتذر ، ولا مستكبر بل مستغفر ، لا إله إلا أنت . فلم يزل يردّدها حتى مات . وقيل : لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة بكى ، فقال له ابنه عبد الله : لِمَ تبكي ، أجزعا من الموت ؟ قال : لا ، والله ، ولكن لما بعده . فقال له : قد كنت على خير ، فجعل يذكره صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفتوحه الشام ، فقال له عمرو : تركت أفضل من ذلك شهادة أن لا إله إلا الله ، ... إذا متّ فلا تبكين على باكية ، ولا يتبعني مادح ولا نار ، وشدّوا عليّ إزاري ، فإنّي مخاصم. ينظر: ابن عبد البر : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمري القرطبي ت٤٦٣ . الاستيعاب في أسماء الأصحاب ، بهامش كتاب الإصابة ،ب.ط،دار الفكر ، ب.ت . ٣/ ١١٨٤ ـ ١١٩١، ابن عساكر : أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله الشافعي (٤٩٩-٥٧١هـ) . تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: علي شيري ، ب.ط ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٥م . ٤٦/ ١٠٨ ـ ٢٠٣.

١١. قيل هي أرنب أو زينب بنت عفيف بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، وأمها النابغة بنت حرملة، فهي أخت عمرو بن العاص لأمه، تزوجت من

قيس بن عمرو بن المؤمل، فولدت له أم حبيب التي وصفت بأنها ذات ميسم وجمال. ينظر: ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ٤٦/ ١١١، ٥٢/ ١٣٦، ابن حجر : أبو الفضل احمد بن علي بن محمد (٧٧٣-٨٥٢هـ) . الإصابة في تمييز الصحابة ، ب.ط ، دار الفكر ، ب.مكا ، ب.ت . ٨/ ٦.

١٢. هو عفيف بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، قيل هو أول قتيل من بني أمية على يد بني هاشم قتله حمزة بن عبد المطلب، قيل تزوج من النابغة بنت حرملة فولدت له أرنب وقيل زينب . ينظر: ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ٤٦/ ١١١، ٥٢/ ١٣٦، ابن أبي الحديد : عز الدين عبد الحميد بن هبة الله المدائني (٥٨٦-٦٥٦هـ) . شرح نهج البلاغة ، تح : محمد أبو الفضل ، ط١ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٨٧ . ١٥/ ٢٣٣.

١٣. الأميني: الغدير ٢/ ١٢٣.

١٤. الإمامة والسياسة ١/ ١٦٨.

١٥. ينظر: ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ٢٩/ ٩٧ـ ١٣٦، التفرشي : مصطفى بن الحسين الحسيني (ق ١١هـ) . نقد الرجال ،تح :مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ، ط١ ، مط ستارة قم ، ١٤١٨هـ . ٣/ ١١١.

١٦. التفرشي: نقد الرجال ٣/ ١١١.

١٧. النجاشي: احمد بن علي بن احمد بن العباس ت ٤٥٠هـ . الرجال ، تح : السيد موسى الزنجاني ، ط٥ ، قم ، ١٤١٦هـ . ص١٤٩، الأمين: محسن العاملي ت ١٣٧١هـ . أعيان الشيعة، حققه وأخرجه : حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ، ب.ت.٢/ ٤٤١.

١٨. هذا من كلام أمير المؤمنين عليه السلام كما قال المأمون، أو من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي رواه أبو الدرداء. ينظر: الشريف الرضي: أبو الحسن محمد بن الحسين (٣٥٩-٤٠٦هـ) . نهج البلاغة، ضبط نصه: صبحي الصالح، ط١، بيروت، ١٩٦٧م. ص٥٥٣.، الهيثمي: نور الدين علي بن أبي بكر (ت٨٠٧هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٢-١٣٥٣هـ. ٨/ ٩٠.

١٩. ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/ ١٢٣٠ .

٢٠. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ٥/ ١٣٠.

٢١. الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير ت ٣١٠هـ . تاريخ الرسل والملوك، راجعه: صدقي جميل العطار، ط٢، دار الفكر، بيروت ، ٢٠٠٢م . ٤/ ١٢٦، ابن الأثير: الكامل ٣/ ٤٠٧ .

٢٢.نعم أراد الإمام الحسين عليه السلام أن يصل إلى الكوفة حينما أعلن ثورته سنة ٦٠ هـ، لكن الجيش الأموي حال دونه ولم يمكنه من ذلك وقد استشهد في كربلاء وهو في طريقه للكوفة في ١٠ محرم سنة ٦١ هـ .

٢٣. الإمامة والسياسة ١/ ١٦٧ .

٢٤. الإمامة والسياسة ١/ ١٦٦ .

٢٥. الإمامة والسياسة ١/ ١٦٨ ـ ١٧١.

٢٦. الإمامة والسياسة ١/ ١٦٨ .

٢٧. الإمامة والسياسة ١/ ١٧١.

٢٨. فقد ورد في الحديث النبوي: ((لا يخطب أحدكم على خطبة أخيه)). ينظر: الشافعي: أبو عبد الله محمد بن إدريس (١٥٠-٢٠٤هـ) . كتاب الأم ، ط٢، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٣ . ٥/ ٤١، الطوسي : أبو جعفر محمد بن الحسن (٣٨٥ ـ ٤٦٠هـ) . المبسوط في فقه الإمامية، تح: محمد تقي الكشفي، المكتبة المرتضوية، طهران، ١٣٧٨هـ. ٤/ ٢١٨ . إلا أن يقال أن الإمام الحسين عليه السلام كان بصدد إنقاذ المرأة من شر يزيد.

٢٩. الإمامة والسياسة ١/ ١٧٣.

٣٠. الشريف المرتضى: علم الهدى السيد علي بن الحسين بن موسى (٣٥٥ - ٤٣٦ هـ). مسائل الناصريات، تحقيق: مركز البحوث والدراسات العلمية، الناشر: رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية، مطبعة: مؤسسة الهدى، طهران، ١٩٩٧م. ص٤٥.

٣١. الإمامة والسياسة ١/ ١٦٨ ـ ١٦٩.

٣٢. الإمامة والسياسة ١/ ١٧١.

٣٣. كتب بعضهم في هذا الجانب كما في: العيسى: هلال محمد. الأيام الخوالي في أخبار النساء والإماء والجواري، ب.مكا، ١٤٢١هـ. (الصفحات جميعها).

٣٤. التي نسبت لها بطولات يوم اليرموك، في كتاب فتوح الشام المنسوب للواقدي. ينظر: الواقدي: ابو عبد الله محمد بن عمر بن واقد ت٢٠٧ هـ، فتوح الشام، ضبطه وصححه: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م. ١/ ٤٠ ـ ٤١.

٣٥. إذ إن منهج الكتاب وأسلوب مؤلفه لا ينطبق على منهج القرن الثاني للهجرة ولا أسلوب الواقدي المؤرخ المعروف. ينظر: الحداد: ياسر خضير، الواقدي ومنهجه في كتابه المغازي، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٩م. ص٣٧.

٣٦.التي قيل إنها المرأة الوحيدة التي ادعت النبوة عبر التاريخ . ينظر: الواقدي: محمد بن عمر بن واقد ت٢٠٧ هـ، كتاب الردة، تحقيق: يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، ط١، بيروت، ١٩٩٠م. ص٤٩، ١١١ ـ ١١٢.

٣٧. التي قيل إنه بسببها قتل أمير المؤمنين عليه السلام . ينظر : المسعودي: ابو الحسن علي بن الحسين ت٣٤٦ هـ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط١، عني

به: محمد هشام النعسان ـ عبد المجيد طعمة حلبي، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٥م. ٢/ ٣٦٦ ـ ٣٦٧.

٣٨. ص ١٧٤ ـ١٨٣.

٣٩. ص١٨٠ ـ ١٨٥ .

٤٠. ص٢٢٩ ـ ٢٣٥.

٤١. ١/ ١٦٦ ـ ١٧٣ .

٤٢. ابو الشهداء ص٧٦ ـ ٨١ .

٤٣. عبد الرزاق الصنعاني: أبو بكر عبد الرزاق بن همام ت ٢١١هـ / ٨٢٧م . المصنف ، تح : حبيب الرحمن الاعظمي ، ب.ط ، ب.مط ، الناشر : المجلس العلمي ، ب.مكا ، ب.ت . ٦/ ٢٣٣.

٤٤. تاريخ مدينة دمشق ٨/ ٢٢٩.

٤٥. تاريخ مدينة دمشق ٨/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠ .

٤٦. ابن حبيب : محمد البغدادي ت ما بعد ٢٧٩هـ . المحبر ،تح :ايلزة ليختن شتيز ، المكتب التجاري للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٤٢. ص٤٥٠.

٤٧. هو عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس ليس بصحابي ولكنه من التابعين، وأمه جويرية بنت أبي جهل، عده الجاحظ من زرق العيون، استجاب لدعوة عائشة لحرب الإمام علي عليه السلام وانطلق من مكة إلى البصرة، وأمرته عائشة أن يصلي بالجيش حتى وصلوا البصرة، فكانت له قيادة قريش وكنانة، لذا لقب يعسوب قريش، كان صاحب الخيل، فقتله مالك الأشتر . ابن سعد: محمد البصري ت ٢٣٠ هـ. الطبقات الكبرى ، ب.ط ، دار صادر ، بيروت ، ب.ت . ٥/ ٣٥، الجاحظ: ابو عثمان عمرو بن بحر (١٥٠-٢٥٥)هـ البرصان والعرجان والعميان والحولان، تح وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط٢، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٠م. ص٥٧٠، الدينوري : ابو حنيفة أحمد بن داود ت ٢٨٢هـ الاخبار الطوال، تح عبد المنعم عامر ،ط١،دار احياء الكتب العربية،١٩٦٠م ص١٤٦، الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/ ٤٧٢، ابن الأثير : عز الدين أبو الحسن علي بن محمد ت٦٣٠ هـ . أسد الغابة في معرفة الصحابة ،تح:خليل مأمون ،ط٢ ،دار المعرفة ،بيروت ،٢٠٠١م . ٣/ ٣٠٨، ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ١/ ٢٦٤، ١١/ ١٢٣.

٤٨. هو أبو عبد الرحمن وأما عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، ولد أيام النبي صلى الله عليه وآله وسلم، كان أبوه من مسلمة الفتح، عده الجاحظ من العوران، ولاه عثمان البصرة وأعمالها سنة ٢٩ هـ، وله من العمر (٢٤) سنة، بعد عزل أبي موسى الأشعري، فافتتح بلادا عدة في المشرق، واتخذ بالبصرة بالنجيب قصرا يعرف بقصر ابن عامر ، وحفر بالبصرة نهرين أحدهما في السوق والآخر الذي يعرف بأم عبد الله ، وغرس عليهما غراسا كثيرا . وأمر ابن عامر زيادا – وقد استخلفه على البصرة – أن يحفر نهر الأبلّة فحفره . فلما قتل عثمان، طُرِد من البصرة، فلحق بمكة، وقدم مع طلحة والزبير وحضر يوم الجمل فقتل ابنه عبد الرحمن ، ثم لحق بدمشق، فلما ولي معاوية، ولى عبد الله بن عامر البصرة وأعمالها، وكان عقده عليها بالنخيلة بالكوفة، وزوج معاوية ابن عامر هند ابنة معاوية، وكانت ولايته لمعاوية خمس سنين، ثم عزله معاوية سنة ٤٤ هـ واستعمل الحارث بن عبد الله الأزدي، ثم استعمل زيادا فتحامل على ابن عامر . وأراد معاوية أن يستصفي أموال ابن عامر، وكان قد طلق هند بنت معاوية قبل لأنه بلغ مبلغ الشيوخ مع صغرها مما أدى لغضب معاوية، مات ابن عامر قبل معاوية بسنة. ينظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى ٥/ ٤٤ـ ٤٩ـ الجاحظ: البرصان والعرجان ص٥٦٩، البلاذري: أنساب الأشراف ٩/ ٣٥٦ـ ٣٦٦، ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/ ٩٣١.

٤٩. ابن سعد: محمد البصري ت٢٣٠ هـ. ترجمة الإمام الحسن، تهذيب وتحقيق السيد عبد العزيز الطباطبائي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط١، قم، ١٤١٦هـ. ص٧١ . البلاذري: احمد بن يحيى بن جابر ت ٢٧٩هـ . أنساب الأشراف، تح : د. سهيل زكار – د. رياض زر كلي ، ط١ ، دار الفكر ، بيروت، ١٩٩٦م. ٣/ ٢١ ، الخوارزمي: مقتل الحسين عليه السلام ١/ ٢١٩ ـ ٢٢٠ . ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ١٦ / ١٣.

٥٠. التذكرة الحمدونية ٩/ ٢٦٩.

٥١. مجمع الأمثال ١/ ٣١١ ـ ٣١٢.

٥٢. مقتل الحسين عليه السلام ١/ ٢١٧ ـ ٢١٩.

٥٣. ينظر: الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير ت٣١٠هـ . جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تخريج: صدقي جميل العطار ، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م. ٢٣/ ١٧٤، ابن الجوزي : جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (٥١٠-٥٩٧هـ) . زاد المسير : تح : محمد عبد الرحمن ، ط١ ، بيروت ، ١٤٠٧ . ٦ / ٣٢٦ ، القرطبي : أبو عبد عله محمد بن احمد الأنصاري ت ٦٧١هـ / ١٢٧٣م . الجامع لأحكام القرآن ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٠٥هـ . ١٥٥/ ١٦٦.

٥٤. كان معاوية من الطلقاء يوم الفتح ومن المؤلفة قلوبهم الذين تآلف النبي صلى الله عليه وآله قلوبهم ليكسر شره نفوسهم ضد النبي والإسلام. لمزيدمن التفاصيل عن معاوية ينظر: الجزائري: عبد الباقي فرنة، معاوية، ط٢، قم، ١٤٢٧ هـ. ص٥ ـ ٤٩١.

٥٥. كيف يجعله النبي صلى الله عليه وآله وسلم كاتبا ويأمن جانبه، وهو الذي أمضى ٢١ سنة عدوا محاربا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وما دخل الإسلام إلا مستسلما من الموت . وهل كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم بحاجة له. إن فضيلة كاتب الوحي مختصة بأمير المؤمنين عليه السلام، ونتيجة للجنة التي شكلها معاوية لكتابة التاريخ نسبت هذه الفضيلة لمعاوية. ينظر: النصرالله: فضائل أمير المؤمنين المنسوبة لغيره، الطبعة الأولى، مركز الأبحاث العقائدية،

النجف الأشرف، ٢٠٠٩م. ص٥٦. وله أيضا: هيأة كتابة التاريخ برئاسة معاوية، مجلة رسالة الرافدين، العدد الخامس، ٢٠٠٨م. ص٩٧ ـ ١١٧.

٥٦. إشارة إلى أنه زوج أم حبيبة زوجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي تزوجها النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم كان معاوية كافرا، وهي مسلمة من مهاجري الحبشة. ينظر: ابن هشام: ابو محمد عبد الملك بن هشام الحميري ت٢١٨هـ، السيرة النبوية، تقديم: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٨م. ص٥٠٦.

٥٧. شرح قصيدة ابن عبدون ص ١٧٤ ـ ١٨٣.

٥٨. الزركلي: خير الدين ت ١٤١٠هـ الأعلام، ط٥، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠م. ٣/ ٦٥.

٥٩. ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م. العبر وديوان المبتدأ والخبر، ط٤، دار إحياء التراث، الناشر: مؤسسة الاعلمي، بيروت، ١٩٧١م. ٦/ ١٨٤.

٦٠. تاريخ ابن خلدون ٧/ ٤٦.

٦١. نهاية الإرب ٢٤/ ٢٦٥.

٦٢. الكامل في التاريخ ١٠ / ٤١٨.

٦٣. نهاية الإرب ٦/ ١٨٠ ـ ١٨٥.

٦٤. ثمرات الأوراق ص٢٢٩ ـ ٢٣٥.

٦٥. ١/ ١٦٦ ـ ١٧٣.

٦٦. لم نقرأ أو نسمع أن يزيد كان أهلا لمناقشة المعضلات التي كانت تواجه أباه أو غيره.

٦٧. إن الدراسة المتفحصة لشخصية يزيد لاتقوى على اثبات صحة هذا الكلام ليزيد، فأي إسلام يتحدث عنه؟ وأي أمرأة صالحة ينشدها.

٦٨. أي تقوى كان يتميز بها يزيد؟.

٦٩. من أخلاق الإمام الحسين عليه السلام ص٩٤.

٧٠. المهتدي البحراني: من أخلاق الإمام الحسين عليه السلام ص٩٤.

٧١. المرعشي: شهاب الدين ت ١٤١١هـ. شرح احقاق الحق، تح وتعليق السيد شهاب الدين المرعشي، تصحيح: ابراهيم الميانجي، ب ط، ب مط، منشورات مكتبة آية الله المرعشي، قم، ب.ت. ١١/ ٤٣٩.

٧٢. البياتي: جعقر. الأخلاق الحسينية، ط١، أنوار الهدى، قم، ١٤١٨هـ. ص٢٩١.

٧٣. ـ ابو ريه، محمود. ـ شيخ المضيره ابو هريرة، ط٣، دار المعارف (مصر. بلا، ت). ص٢٣٥.

٧٤. الكوراني: علي العاملي، جواهر التاريخ، مؤسسة التاريخ العربي، ط١، بيروت، ٢٠٠٤. ٣/ ٣٧٣ـ ٣٧٧.

٧٥. ابن عقيل: محمد العلوي ت ١٣٥٠ هـ. النصائح الكافية، ط١، دار الثقافة، قم، ١٤١٢ هـ. هامش ص١٢٨.

٧٦. الرضوي: مرتضى. مع رجال الفكر في القاهرة، ط٤، قم، ١٩٩٨م. ١/ ٢٩٦.

٧٧. لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، دار المعروف، ط٣، ١٩٩٥م. ص٧٥٠ ـ ٧٥٣.

٧٨. كحالة: عمر رضا (١٩٠٥ ـ ١٩٨٧م)، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام. ط٣، ب.مط، بيروت، ١٩٧٧م. ١/ ٣٤ ـ ٤١.

٧٩. كاظم: سامي جواد. استفيدوا يا حكام من قصة الحسين عليه السلام وأرينب، وكالة أنباء براثا، قسم المقالات، بتاريخ ٢٨/ ٢/ ٢٠١١م..

٨٠. الصائغ: عبد الإله. الحسين بن علي عليه السلام والمليحة أرينب بنت إسحاق، مركز النور للدراسات، ١٢/ ١١/ ٢٠١٣.

٨١. الأيام الخوالي في أخبار النساء والإماء والجواري، بلا مكا، ١٤٢١هـ. ص٥٩.

٨٢. في مجموعته ((نساء من التاريخ العربي الإسلامي)) خصص كتابا لأرينب بنت إسحاق. منشور غلاف الكتاب على النت دون تفاصيل.

٨٣. أرينب بنت إسحاق، رواية في التاريخ الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٨م.

٨٤. ألف كتاب الحسناء العربية أرينب بنت إسحاق، ذكر ذلك لبيب ناصيف في مقال له عن تاريخ أسر المناحلة، منشور على النت بتاريخ ٢١/ ٤/ ٢٠١٠.

٨٥. الشوبري: أمين ظاهر خيرالله صليبا، رواية أرينب بنت إسحاق، بلا مكان، ١٩١٩م. ٢٨٨ص.

٨٦. العلي: عبد الله حسون: أرينب، ١٩٥٠ م. ينظر: الاميني: محمد هادي، معجم المطبوعات النجفية: ط١، النجف، ١٣٨٥ هـ. ص٧٣.

٨٧. دار الفكر: أرينب بنت إسحاق، مكتبة الطالب، بيروت، ب.ت. ص١.

٨٨. أبو الشهداء الحسين بن علي ص٧٦ ـ ٨١.

٨٩. الكرباسي: محمد صادق محمد. دائرة المعارف الحسينية، المركز الحسيني للدراسات، ط١، لندن، ٢٠٠٩م. ١/ ٢٤٥

٩٠. العاملي: جعفر مرتضى. دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام، الطبعة الثانية، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٠٩ هـ. ١/ ١٥٥ ـ ١٦٧.

٩١. دراسات وبحوث ١/ ١٥٥.

٩٢. دراسات وبحوث ١/ ١٥٩.

٩٣. دراسات وبحوث ١/ ١٥٩ ـ ١٦٤.

٩٤. دراسات وبحوث ١/ ١٦٤

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم

ابن الأثير : عز الدين أبو الحسن علي بن محمد ت٦٣٠ هـ .

١ ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة ،تح:خليل مأمون ،ط٢ ،دار المعرفة ،بيروت ،٢٠٠١م .

٢ ـ الكامل في التاريخ : دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٦ .

أمين: عادل .

٣ ـ أرينب بنت إسحاق (رواية من التاريخ الإسلامي)، القاهرة، ١٩٩٨م.

الأمين : محسن العاملي ت ١٣٧١هـ .

٤ـ أعيان الشيعة ، حققه وأخرجه : حسن الأمين ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، ب.ت.

الاميني: عبد الحسين بن احمد النجفي ت ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م .

٥ ـ الغدير في الكتاب والسنة والأدب ، مركز الغدير للدراسات الإسلامية ، ط١ ، ١٩٩٥م .

الاميني: محمد هادي

٦ ـ معجم المطبوعات النجفية : ط١ ، النجف ، ١٣٨٥ هـ.

ابن بدرون : عبد الملك بن عبد الله الأشبيلي الحضرمي ت ٦٠٤ هـ.

٧ ـ شرح قصيدة ابن عبدون، اعتنى بتصحيحه وطبعه: رينحرت دزي، ليدن، ١٨٤٦م.

البلاذري : احمد بن يحيى بن جابر ت ٢٧٩هـ .

٨ ـ أنساب الأشراف ، تح : د. سهيل زكار – د. رياض زر كلي ، ط١ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٦م .

البياتي: جعفر.

٩ ـ الأخلاق الحسينية، ط١، أنوار الهدى، قم، ١٤١٨هـ.

التفرشي : مصطفى بن الحسين الحسيني (ق ١١هـ) .

١٠ ـ نقد الرجال ،تح :مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ، ط١ ، مط ستارة قم ، ١٤١٨هـ .

الجاحظ: ابو عثمان عمرو بن بحر (١٥٠-٢٥٥)هـ

١١ ـ البرصان والعرجان والعميان والحولان، تح وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط٢، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٠م.

الجزائري: عبد الباقي فرنة.

١٢ ـ معاوية، الطبعة الثانية، قم، ١٤٢٧ هـ.

ابن الجوزي : جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (٥١٠-٥٩٧هـ) .

١٣ ـ زاد المسير : تح : محمد عبد الرحمن ، ط١ ، بيروت ، ١٤٠٧ .

ابن حبيب : محمد البغدادي ت ما بعد ٢٧٩هـ .

١٤ ـ المحبر ،تح :ايلزة ليختن شتيز ، المكتب التجاري للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٤٢ .

ابن حجر : أبو الفضل احمد بن علي بن محمد (٧٧٣-٨٥٢هـ) .

١٥ ـ الإصابة في تمييز الصحابة ، ب.ط ، دار الفكر ، ب.مكا ، ب.ت .

ابن حجة الحموي: تقي الدين أبي بكر بن علي بن محمد (ق ٩ هـ)

١٦ ـ ثمرات الأوراق، تحقيق وتعليق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٣، دار الجيل ، بيروت، ١٩٩٧م.

الحداد: ياسر خضير.

١٧ ـ الواقدي ومنهجه في كتابه المغازي، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٩م. ص٣٧.

ابن أبي الحديد : عز الدين عبد الحميد بن هبة الله المدائني (٥٨٦-٦٥٦هـ) .

١٨ ـ شرح نهج البلاغة ، تح : محمد أبو الفضل ، ط١ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٨٧ .

الحفناوي: محمد السباعي.

١٩ ـ أبو سفيان بن حرب شيخ الأمويين، ط١، دار الزيني، القاهرة، ١٩٥٩م.

ابن حمدون: محمد بن الحسن بن محمد بن علي المعرو بأبي المعالي ت٥٦٢هـ.

٢٠ ـ التذكرة الحمدونية، تح: إحسان عباس و بكر عباس، ط ١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦م.

ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م .

٢١ ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ط٤ ، دار إحياء التراث ، الناشر : مؤسسة الاعلمي ، بيروت ، ١٩٧١م .

الخوارزمي: أبو المؤيد الموفق بن احمد بن محمد المكي (ت ٥٦٨هـ) .

٢٢ ـ مقتل الحسين عليه السلام، تح : محمد السماوي ، ط٢ ، مط : مهر ، الناشر : أنوار الهدى ، ١٤٢٣هـ .

دار الفكر:

٢٣ ـ أرينب بنت إسحاق، مكتبة الطالب، بيروت، ب.ت.

الدينوري : ابو حنيفة أحمد بن داود ت ٢٨٢هـ

٢٤ ـ الاخبار الطوال، تح عبد المنعم عامر ،ط١،دار احياء الكتب العربية،١٩٦٠م

الرضوي: مرتضى.

٢٥ ـ مع رجال الفكر في القاهرة، ط٤، قم، ١٩٩٨م.

ـ ابو ريه ، محمود.

٢٦ـ شيخ المضيره ابو هريرة، ط٣، دار المعارف (مصر . بلا ، ت).

الزركلي: خير الدين ت ١٤١٠هـ

٢٧ ـ الأعلام ، ط٥ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٠م .

ابن سعد: محمد البصري ت ٢٣٠ هـ.

٢٨ ـ ترجمة الإمام الحسن، تهذيب وتحقيق السيد عبد العزيز الطباطبائي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط١، قم، ١٤١٦هـ.

٢٩ ـ الطبقات الكبرى ، ب.ط ، دار صادر ، بيروت ، ب.ت .

الشافعي : أبو عبد الله محمد بن إدريس (١٥٠-٢٠٤هـ) .

٣٠ ـ كتاب الأم ، ط٢ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٣ .

الشريف الرضي: أبو الحسن محمد بن الحسين (٣٥٩-٤٠٦هـ) .

٣١ ـ نهج البلاغة، ضبط نصه: صبحي الصالح، ط١، بيروت، ١٩٦٧م..

الشريف المرتضى: علم الهدى السيد علي بن الحسين بن موسى (٣٥٥ - ٤٣٦ هـ).

٣٢ ـ مسائل الناصريات، تحقيق: مركز البحوث والدراسات العلمية، الناشر : رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية، مطبعة: مؤسسة الهدى، طهران، ١٩٩٧م.

الشوبري: أمين ظاهر خير الله صليبا.

٣٣ ـ رواية أرينب بنت إسحاق، بلا مكا، ١٩١٩م.

الصائغ: عبد الإله.

٣٤ـ الحسين بن علي عليه السلام والمليحة أرينب بنت إسحاق،مركز النور للدراسات، منشور على النت، بتاريخ ١٢/ ١١/ ٢٠١٣م.

الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير ت ٣١٠هـ .

٣٥ ـ تاريخ الرسل والملوك، راجعه: صدقي جميل العطار، ط٢، دار الفكر، بيروت ، ٢٠٠٢م .

٣٦ ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، تخريج : صدقي جميل العطار ، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م .

الطوسي : أبو جعفر محمد بن الحسن (٣٨٥ ـ ٤٦٠هـ) .

٣٧ ـ المبسوط في فقه الإمامية، تح: محمد تقي الكشفي، المكتبة المرتضوية، طهران، ١٣٧٨هـ.

العاملي: جعفر مرتضى.

٣٨ ـ دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام، الطبعة الثانية، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٠٩ هـ.

ابن عبد البر : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمري القرطبي ت٤٦٣ .

٣٩ ـ الاستيعاب في أسماء الأصحاب ، بهامش كتاب الإصابة ،ب.ط،دار الفكر ، ب.ت .

عبد الرزاق الصنعاني: أبو بكر عبد الرزاق بن همام ت ٢١١هـ / ٨٢٧م .

٤٠ ـ المصنف ، تح : حبيب الرحمن الاعظمي ، ب.ط ، ب.مط ، الناشر : المجلس العلمي ، ب.مكا ، ب.ت .

ابن عساكر : أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله الشافعي (٤٩٩-٥٧١هـ) .

٤١ ـ تاريخ مدينة دمشق ، تح : علي شيري ، ب.ط ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٥م .

العقاد: عباس محمود.

٤٢ ـ أبو الشهداء الحسين بن علي، تحقيق: محمد جاسم الساعدي، ط٢، طهران، ٢٠٠٨م.

ابن عقيل : محمد العلوي ت ١٣٥٠ هـ .

٤٣ ـ النصائح الكافية، ط١، دار الثقافة، قم، ١٤١٢ هـ.

العيسى: هلال محمد.

٤٤ ـ الأيام الخوالي في أخبار النساء والإماء والجواري، ب.مكا، ١٤٢١هـ.

ابن قتيبة : ((مجهول)) .

٤٥ ـ الإمامة والسياسة، تح : علي شيري ، ط١ ، مط : أمير ، الناشر : الشريف الرضي ، قم ، ١٤١٣هـ .

القرطبي : أبو عبد عله محمد بن احمد الأنصاري ت ٦٧١هـ / ١٢٧٣م .

٤٦ ـ الجامع لأحكام القرآن ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٠٥هـ .

كاظم: سامي جواد.

٤٧ ـ استفيدوا يا حكام من قصة الحسين عليه السلام وأرينب، وكالة أنباء براثا، قسم المقالات، بتاريخ ٢٨/ ٢ / ٢٠١١م.

كحالة: عمر رضا. (١٩٠٥ ـ ١٩٨٧م)

٤٨ ـ أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام. ط٣ ، ب.مط ، بيروت ، ١٩٧٧م .

الكرباسي: محمد صادق محمد.

٤٩ ـ دائرة المعارف الحسينية، المركز الحسيني للدراسات، ط١، لندن، ٢٠٠٩م.

الكوراني: علي العاملي

٥٠ ـ جواهر التاريخ، مؤسسة التاريخ العربي ، ط١ ، بيروت ، ٢٠٠٤ .

لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام

٥١ ـ موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، دار المعروف، ط٣، ١٩٩٥م.

المرعشي: شهاب الدين ت ١٤١١هـ.

٥٢ ـ شرح احقاق الحق ، تح وتعليق السيد شهاب الدين المرعشي ، تصحيح : ابراهيم الميانجي ، ب ط ، ب مط ، منشورات مكتبة آية الله المرعشي ، قم ، ب.ت .

المسعودي: ابو الحسن علي بن الحسين ت٣٤٦ هـ،

٥٣ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط١، عني به: محمد هشام النعسان ـ عبد المجيد طعمة حلبي، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٥م.

مغنية: محمد جواد.

٥٤ ـ الشيعة والحاكمون، الطبعة الأخيرة، دار ومكتبة الهلال، ٢٠٠٠م.

المقريزي : تقي الدين أبو العباس احمد بن علي ت ٨٤٥هـ .

٥٥ ـ النزاع والتخاصم بين أمية وبني هاشم ، ب.ط ، تحقيق السيد علي عاشورب.مط ، ب.مكا ، ١٣٦٨هـ .

المهتدي البحراني: عبد العظيم

٥٦ ـ من أخلاق الإمام الحسين عليه السلام دروس في السلوك والتربية وقيم الحياة الطيبة، ط١، انتشارات الشريف الرضي، قم، ٢٠٠١م.

الميداني : أبو الفضل احمد بن محمد ت ٥١٨هـ .

٥٧ ـ مجمع الأمثال : تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ،ط٢ ، مط السعاده ، مصر ، ١٩٥٩ .

ناصيف: لبيب.

٥٨ ـ تاريخ أسر المناحلة، مقال منشور على النت بتاريخ ٢١/ ٤/ ٢٠١٠م.

النجاشي : احمد بن علي بن احمد بن العباس ت ٤٥٠هـ .

٥٩ ـ الرجال ، تح : السيد موسى الزنجاني ، ط٥ ، قم ، ١٤١٦هـ .

النصرالله: جواد كاظم.

٦٠ ـ فضائل أمير المؤمنين المنسوبة لغيره، الطبعة الأولى، مركز الأبحاث العقائدية، النجف الأشرف، ٢٠٠٩م.

٦١ ـ هيأة كتابة التاريخ برئاسة معاوية، مجلة رسالة الرافدين، العدد الخامس، ٢٠٠٨م. ص٩٧ ـ ١١٧.

النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت٧٣٣هـ.

٦٢ ـ نهاية الإرب في فنون الأدب، وزارة الثقافة والارشاد القومي، القاهرة، ب.ت.

ابن هشام: ابو محمد عبد الملك بن هشام الحميري ت٢١٨هـ،

٦٣ ـ السيرة النبوية، تقديم: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٨م.

الهيثمي: نور الدين علي بن أبي بكر (ت٨٠٧هـ)

٦٤ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٢-١٣٥٣هـ.

الواقدي: ابو عبد الله محمد بن عمر بن واقد ت٢٠٧ هـ،

٦٥ـ كتاب الردة، تحقيق: يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، ط١، بيروت، ١٩٩٠م.

٦٦ ـ فتوح الشام، ضبطه وصححه: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م.

بلاغة الحجاج في الخطاب الحسيني

خطبة الإمام الحسين عليه السلام في صبيحة يوم عاشوراء أنموذجاً

دراسة تداولية

Eloquence of Argumentation in the Husseinist Discourse: Imam Al-Hussein Sermon in the Morn of the `Ashura First as a Nonpareil

(A Pragmatic Study)

أ.م.د. فضيلة عبوسي محسن العامري

جامعة الكوفة/ كلية الفقه

Asst. Prof. Dr. Fadhela `Abusi Muhssin Al-`Ameri, College of Theology, University of Kufa

ملخص البحث

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ،وعلى آله الطيبين الطاهرين.

وبعد...

تعدُّ الدراسة التداولية من الدراسات اللسانية الحديثة التي تقوم على محاور ثلاثة الفعل القولي ،والفعل الإنجازي، والفعل التأثيري ليحقّق منشئ النص التأثير في المخاطبين، وتعد الخطابة المحور الفعال في اللغة الذي تتجلى فيه عناصر الأفعال الكلامية، وقد كانت خطبة الامام الحسين (عليه السلام) مجالا وواسعاً تتبلور فيه عناصر الفعل الكلامي التي تحقق الانجاز والتأثير في السامعين والمخاطبين في وقت واحد لما فيها من عناصر الحجاج التي حققت بلاغة الإقناع والأثر والتأثير في السامعين بالاعتماد على عناصر الاحتجاج من التعريف بنفسه حيناً، والاستشهاد بالنص القرآني حينا آخر الذي يمثل حججاً جاهزة تكتسب قوتها من مصدرها ومصادقة الناس عليها وتواترها، والحجة الخبرية (النقلية) التي تستند الى الأحداث التاريخية التي رسخت أخبارها في أذهان السامعين وتحظى باهتمام السامعين ورعايتهم فقد ذكرهم (عليه السلام) بحسبه ونسبه على الرغم من معرفتهم بذلك، وكل ما تقدم جعل البحث يتألف من مبحثين تضمن الأول شذرات من حياة الإمام الحسين(عليه السلام)، أما المبحث الثاني فقد تضمن الدراسة التداولية في خطبة الإمام الحسين (عليه السلام) في صبيحة يوم عاشوراء وقد سبقهما التمهيد الذي تضمن التعريف بمفهوم التداولية في اللغة والاصطلاح، وشروط الأفعال الكلامية، ومفهوم نظرية الحجاج، ثم ختم البحث بالنتائج التي من أهمها:-

١- إن الثقافة الإسلامية المتمثلة بالقرآن الكريم والسنة النبوية كان لها الدور الكبير في تكوين الشخصية المتكاملة التي لها القدرة على المحاججة وإقحام الآخر على الاستماع بعد اللجوء الى طرق ملتوية تظهر فيها عجزه عن الرد من أمثلة ذلك قول الشمر متسائلاً **ماذا تقول؟ أفهمنا حتى نفهم فقد تظاهر بعدم الفهم لأنه لا يملك الرد المقنع الذي يقنع المخاطب والسامع.**

٢- بيان قوة شخصية المتكلم وعجز الآخر مما اجبر الآخر على الدعاء بالويل على جماعته وبيان قوة شخصية الخصم بالقسم على بلاغته وقوة شخصيته بوصفه(ابن أبيه) كما جاء في قول عمر:**ويلكم كلموه فإنه ابن أبيه،والله لو وقف فيكم هكذا يوماً جديداً لما انقطع ،ولما حصر، فكلموه، فتقدم شمر(لعنة الله عليه) فقال:ياحسين ماهذا الذي تقول،أفهمنا حتى نفهم،فقال(عليه السلام):أقول اتقوا الله ولا تقتلوني،فإنه لا يحل لكم قتلي.**

٣- البعد الرسالي الذي أوحى به الحسين(عليه السلام) في القاء الحجة على غيره بوسائل متعددة منها مباشر ومنها غير مباشر ، فمنها الصراحة في نهيهم عن قتله قائلاً (عليه السلام): (:**أقول اتقوا الله ولا تقتلوني،فإنه لا يحل لكم قتلي) فقد أبدى لهم النصح بتقوى الله ومن ثم النهي قائلاً(عليه السلام): (لا تقتلوني)**

٤- يقال في البلاغة العربية (لكل مقال مقام) لكننا وجدنا في خطبة الحسين(عليه السلام) المقال الذي كان في سياق الظرف الطارئ فقد تضمن من بلاغة الحجاج مما يعجز غيره عن الاتيان بمثلها وخير شاهد على ذلك الخصم الذي تراوحت اجابته بين الدعاء وبين الاستفهام وبين الاعتراف بالحقيقة ونكرانها في آن واحد اذ إنهم يعلمون أن الحسين(عليه السلام) هو ابن أبيه (علي بن أبي طالب) (عليه السلام) ولكنهم يكنون له العداوة ،والحقد، والبغضاء التي دفعتهم إلى الزحف ورائه إلى حيث خرج وما ترتب على ذلك من العواقب التاريخية التي لا يحمد عقباها،ولكن الحق ينتصر، والباطل مهما كانت دوافعه ستزهق، وكان الحسين(عليه السلام) يمثل الحق ،والآخر يمثل(الباطل) فانتصر الحق وخلدت معه الثورة الحسينية بآثارها العقائدية والإنسانية والتربوية وان استشهد قائدها فقد بقي ثائرها الإمام المهدي(عجل الله فرجه)، ولعل زيارة الأربعين للحسين (عليه السلام) خير شاهد لا يخفى على مر العصور والأجيال.

Abstract

Thanks be to the Evolver of the universe and peace be upon the master of the messengers and his immaculate progeny

Now

Pragmatics comes to the fore as a modern study emanating from three factors; verbal act، achievement act and effective act to influence the addressee، the sermon is the first fount depending upon these factors and there is great depth in the Husseinist sermons to attract and persuade the interlocutors ; the imam Al-Hussein alludes into the Quranic texts and historical events to dominate the addressees and reminds them of their pedigrees though known to him، just to rock their mind and drag them to sobriety . The present paper consists of two sections، the first tackles the life of the imam ، the second does the pragmatic angles in the sermons of the imam . In the aggregate، there are conclusion and recommendation.

التمهيد

أولاً: مفهوم التداولية في اللغة والاصطلاح

التداولية لغة: مصدر صناعي يشير الى المنهج العلمي اللساني الحديث ويصاغ من مصدر الفعل الرباعي (تداول) مع زيادة ياء مشددة مكسور ما قبلها وتاء التأنيث المربوطة[1]، وجاء الفعل (تداول) في اللغة بمعنى المشاركة حيناً ومعنى المبادلة حينا آخر أي مرة لهؤلاء ومرة لهؤلاء، كما جاء في المعجمات اللغوية : ((تَداوَلْنا الأَمرَ أَخذناه بالدُّوَل وقالوا دَوالَيْك أَي مُداوَلةً على الأَمر ، ودالَت الأَيامُ أَي دارت والله يُداوِلها بين الناس، وتَداولته الأَيدي أَخذته هذه مرَّة وهذه مرَّة))[2]، والتداول((هو حُصول الشيء في يد هذا مرَّةً وفي يد الآخر أُخْرى وتداولوه : تناولوه وأجْرَوْه بينهم وهو يدلّ على شُهرته ودورانه))[3]،وورد التداول في القرآن الكريم بمعنى الصرف والنقل من ناس الى ناس بتغيير أحوالهم في قوله تعالى:﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ الله الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَالله لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾آل عمران/ ١٤٠،وفسّر القرطبي ذلك بالمداولة بين الناس((من فرح وغم وصحة وسقم وغنى وفقر والدولة الكرة قال الشاعر :

فيوم لنا ويوم علينا ... ويوم نساء ويوم نسر))[4]، وفسّرها آخر بالصرف بين الناس تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء قائلاً ((((نداولها بين الناس نصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء أخرى كقول من قال ... فيوما علينا ... ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر ...))[5]

إذن يفهم من المعنى اللغوي أن صيغة التداولية تشير إلى دلالتين هما المشاركة الفعلية الآنية التي تحصل في وقت واحد في أمر ما ،وتدل على المشاركة البعدية في انتقال الفعل أو الحال عينه الى الآخرين، ونرى أن المعنى الأول هو الذي يرتبط بالتداولية اللسانية لارتباطه بالنص اللغوي المباشر في مخاطبة الآخرين وان انتقل في ما بعد الى الآخرين فإنه لا يحمل السبب عينه الذي أنشئ من أجله النص.

التداولية اصطلاحاً: لابد من الإشارة الى أنّ التداولية لم ترد مصطلحاً في التراث اللغوي القديم لكن مضامينها قد وردت في التراث اللغوي في استعمال الأدباء والبلاغيين خاصة ما يتعلق بالخطاب القرآني والحديث النبوي وأشعار العرب، ومن ثم دراسة أغلب محاورها فيمواضيع الخبر والانشاء[6]، أما الدراسات اللسانية الحديثة فقد تناولت المصطلح بكثرة حتى وردت عنواناً للعديد من مؤلفاتهم [7] ، وعرفوه بتعريفات عديدة منها أن التداولية هي ((فرع من علم اللغة بحث كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم ، أو دراسة معنى المتكلم ،فقول القائل : أنا عطشان تعني أحضر لي كوبا من الماء وليس من اللازم إخبارا له بأنه عطشان ،فالمتكلم كثيراً ما يعني أكثر مما تقوله كلماته))[8] ، وعرفها مسعود صحراوي بأنها ((مذهب لساني يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه، وطرق وكيفية استخدام العلاقات اللغوية بنجاح، والسياقات والطبقات المقامية المختلفة التي ينجز ضمنها الخطاب، والبحث عن العوامل التي تجعل رسالة تواصلية واضحة وناجحة، والبحث عن أسباب الفشل في التواصل باللغات الطبيعية))[9]

وتعدُّ الأفعال الكلامية محور الدراسة التداولية ومنبثقة من مناخ فلسفي هو الفلسفة التحليلية الغربية التي مهّد لها الفيلسوف الألماني غوتلوب فريجة في كتابه (أسس علم الحساب)، وعمق البحث فيه الفيلسوف النمساوي لودفيغ فيتغنشتاين مؤسس تيار(فلسفة اللغة العادية)[10] ، ثم جاء الفيلسوف الانجليزي أوستين الذي يعدُّ المؤسس الأول لنظرية أفعال الكلام وذلك في عام ١٩٥٥عندما القى محاضرات وليام جايمس[11] ،اذ يقسم أوستين الفعل الكلامي على ثلاثة أقسام

: فعل الكلام(التلفظ)،والفعل الكلامي، والفعل التأثيري، ويقسم فعل التلفظ الى الفعل الصوتي ،والفعل الانتباهي التركيبي،،والفعل الدلالي الإيحائي، أما الفعل الكلامي الانجازي فقد صنفه في محاور خمسة هي:أفعال الحكم، وأفعال الممارسة، وأفعال الوعد، وأفعال السلوك،،وأفعال الممارسة،وأفعال العرض[١٢].

فالأفعال الكلامية هي التي تصدر عن المتكلم ويتلقاها المخاطب أو المتلقي وتحقق التأثير به ويكون الفعل قد حقق انجازاً ما((فكل فعل كلامي هو في الوقت ذاته[١٣] فعل كلام ،أي فعل قول ، وفعل كلامي انجازي، وفعل تأثيري، رهين التحقق ،والتحقق لا يقتضي التحقيق على أرض الواقع فهو مجرد النطق به يعد فعلاً متحققاً، والآثار رهينة استجابة المخاطب (المتلقي))[١٤] وبحسب هذا التعريف فالأفعال الكلامية لا يشترط تحقيقها في الواقع الفعلي وإنّما مجرد الشروع بها وقولها يكون قد حقق انجازاً قولياً للمتلقي، وشمل الفعل الكلامي المنجز الكلامي والمنجز الكتابي[١٥]

ووضع ((أوستين) بعض الشروط التي تحقق النجاح للفعل الكلامي في ثلاثة مستويات هي:

١- الشروط الأولية: وهي الشروط التي تتعلق بالمتكلم ووضعه الاجتماعي الذي يخول له الفعل الكلامي بحيث يكون ملائماً لفعل الخطاب الذي يسمح له بفعل خطابي منتج وملائم للمقام.

٢- الشروط الجدية : التي تتعلق بسلوك المتكلم الذي عليه الالتزام بالجدية والصدق في أفعاله الكلامية،وإن عدم الجدية لا تعني الفشل، ولكن سيكون المتكلم قد ارتكب اثماً والذي يقر بالفعل الكاذب فهو كاذب.

٣- الشروط الأساسية : وهي التي ترتبط بسلوك المتكلم في التعبير عن أفكاره ومعتقداته ومقاصده((وهو سلوك خاص مستقل عن الصدق والحقيقة إلا أنه جوهري وأساسي بالنسبة للملفوظ))[١٦]

وخلاصة الشروط الثلاثة هي ارتباطها بالمتكلم ووضعه الاجتماعي والثقافي الذي يرتبط بمعتقداته وأفكاره في انجاز الأفعال الكلامية التي تحقق التأثير بالمتلقي أو لا تحققه على أرض الواقع ولكنها تعبر عن صدق المتكلم لأنها ملائمة لما عرف عنه من السلوك الحسن والمقام الاجتماعي الرفيع وهذا يكفي لإنجاز الفعل الكلامي الذي يعد عنصراً مهماً في موضوع التداولية اللسانية المعاصرة

ثانياً: مفهوم نظرية الحجاج

لقد ذكر أبو بكر العزاوي[١٧] أن نظرية الحجاج في اللغة انبثقت من داخل نظرية الأفعال اللغوية التي وضع أسسها أو ستين وسورل. وقد قام ديكرو بتطوير أفكار أوستين بالخصوص، واقترح، في هذا الإطار، إضافة فعلين لغويين هما فعل الاقتضاء وفعل الحجاج. وبما أن نظرية الفعل اللغوي عند أوستين وسورل قد واجهتها صعوبات عديدة(عدم كفاية التصنيفات المقترحة للأفعال اللغوية مثلا)، فقد قام ديكرو بإعادة تعريف مفهوم التكليم أو الإنجاز(illoutoire ،l)،مع التشبث دائما بفكرة الطابع العرفي (conventionnel)للغة. وهو يعرفه بأنه فعل لغوي موجه إلى إحداث تحويلات ذات طبيعة قانونية، أي مجموعة من الحقوق والواجبات. ففعل الحجاج يفرض على المخاطب نمطا معينا من النتائج بوصفه الاتجاه الوحيد الذي يمكن أن يسير فيه الحوار.والقيمة الحجاجية لقول ما هي نوع من الإلزام تعلق بالطريقة التي ينبغي أن يسلكها الخطاب بخصوص تناميه واستمراره.

إن الحجاج هو تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، وبعبارة أخرى، يتمثل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال، بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها.إن كون اللغة لها وظيفة حجاجية يعني أن التسلسلات الخطابية محددة، لا بواسطة الوقائع(les

faits) المعبر عنها داخل الأقوال فقط، ولكنها محددة أيضا وأساسا بواسطة بنية هذه الأقوال نفسها، وبواسطة المواد اللغوية التي وظفت.

أما الفعل الحجاجي فهو نوع من الأفعال الإنجازية التي يحققها الفعل التلفظي في بعده الغرضي ، وأضيف إليه مفهوم القيمة الحجاجية التي تعني نوعا من الإلزام في الطريقة التي يجب سلوكها لضمان استمرارية الخطاب ونموه حتى يحقق في النهاية غايته التأثيرية ، وتشير من ناحية ثانية إلى السلطة المعنوية للفعل القولي ضمن سلسلة الأفعال المنجزة لتبليغ فكرة ما إلى المتلقي[١٨].

وقد وضح أبو بكر العزاوي[١٩] الفرق بين مفهوم الحجاج ومفهوم البرهنة بالمقارنة بينهما بالتمثيل ذاكراً أن مفهوم «الحجاج» Argumentation ينبغي مقارنته بمفهوم البرهنة Démonstration أو الاستدلال المنطقي. فالخطاب الطبيعي ليس خطابا برهانيا بالمعنى الدقيق للكلمة، فهو لا يقدم براهين وأدلة منطقية، ولا يقوم على مبادئ الاستنتاج المنطقي.فلفظة "الحجاج" لا تعني البرهنة على صدق إثبات ما، أو إظهار الطابع الصحيح(Valide) لاستدلال ما من وجهة نظر منطقية. ثم نجده يمثل لكل من البرهنة والحجاج بالمثالين الآتيين:

كل اللغويين علماء _ زيد لغوي _ إذن زيد عالم (للبرهنة)

انخفض ميزان الحرارة _ إذن سينزل المطر (للحجاج)

يتعلق الأمر في المثال الأول ببرهنة أو بقياس منطقي (syllogisme)،أما في المثال الثاني، فإنه لا يعدو أن يكون حجاجا أو استدلالا طبيعيا غير برهاني .

واستنتاج أن زيدا عالم، في المثال الأول حتمي وضروري لأسباب منطقية، أما استنتاج احتمال نزول المطر في المثال الآخر فهو يقوم على معرفة العالم، وعلى معنى الشطر الأول من الجملة، وهو استنتاج احتمالي .

فالحجاج تلك الطريقة أو ذلك الأسلوب الذي يسلكه الخطاب لإضفاء سمة التماسك القضوي والشكلي والدلالي على ما ينسج من تراكيب تمنح الخطاب بعدا إقناعيا في التواصل اللغوي ، ويذهب شارل بريلمان(Ch.Prelman)إلى أن الحجاج سمة تصف كل الخطابات ، غايتها الاستمالة والإقناع في ضمن العلاقة بين الأنساق الصريحة والضمنية، وهذا بالضبط ما قرره دي كرو من وجود مؤشر حجاجي في كل معنى حرفي جملي يستدعي مضمر السياق للإيحاء بنتيجة ما مقنعة أو غير مقنعة[٢٠]

وتتضح –مما تقدم ذكره– العلاقة بين التداولية والفعل الحجاجي الذي يمثل نوعاً من الأفعال الانجازية التأثيرية التي تمثل عنصراً مهماً من عناصر الدراسة التداولية في النص الخطابي.

المبحث الأول

شذرات من حياة الإمام الحسين(عليه السلام)

هو الحسين بن علي ، وهو ابن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، يكنى أبا عبد الله ،ولد سنة أربع من الهجرة ، واستشهد سنة إحدى وستين ،وكان معاوية (لعنه الله) قد نقض شرط الحسن(عليه السلام) بعد موته ،وبايع لابنه يزيد (لعنه الله)،وامتنع الحسين (عليه السلام) من بيعته،وأعمل معاوية الحيلة حتى أوهم الناس أنه بايعه وأبقى على ذلك حتى مات، وأراده يزيد (لعنه الله) على البيعة وكتب إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان عامله على المدينة فلم يبايعه وخرج الى مكة ،وتسامع أهل الكوفة بذلك فأرسلوا إلى الحسين(عليه السلام) وعزوه من نفسه ،فأرسل إليهم ابن عمه مسلم

بن عقيل(عليه السلام) فبايعه ثمانية عشر الفاً، فأرسل إلى الحسين(عليه السلام) يخبره بذلك فتوجه إلى العراق وفي الطريق اتصل به خبر مقتل مسلم بن عقيل(عليه السلام)[٢١] .

خرجالإمام الحسين (عليه السلام) بالجيش من مكة بعد تهديد يزيد اللعين له(عليه السلام) وهدر دمه بعد رفض البيعة له فهو السلطان الجائر ،وقول يزيد (لعنه الله) اقتلوه ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة[٢٢]،فخرج (عليه السلام) بجيشه حفاظاً على قدسية الكعبة الشريفة، وخوفاً من الاغتيال فضلاً عن رسالة سفيره مسلم بن عقيل (عليهما السلام) التي تحثه على السفر فقد جاء فيها أن عدد المبايعين له يربو على اثني عشر ألفًا[٢٣]، فخرج الحسين(عليه السلام)، ووصل في مسيره إلى منطقة تدعى البيضة وقام فيها مع جيشه، من هنا عرفنا علة خروج الإمام الحسين(عليه السلام) من مكة إلى العراق، وما ترتب على ذلك من أحداث مختلفة ،ووقائع متنوعة كانت تحمل العبرة والعظة في كلّ لحظة وقف عندها الإمام الحسين(عليه السلام) وحاجج الخصم بشتى أنواع الحجج البالغة سواء في القول أم في الفعل؛ لكنه(عليه السلام) لم يجد الأذن الصاغية من الطرف الآخر، ومن هنا وقعت الواقعة في عاشوراء وصاحبها آلام ومصائب خالدة خلود التاريخ؛ وهي في كل حين تندب العقل والقلب الواعيين لكي ينهلا من هذا الشرف الرفيع في رسم الخطى الصحيحة لمواجهة الآخر وتحقيق النصر في الدنيا والثواب والأجر في الآخرة .

نقش خاتمه: ذكرت ثلاثة أقوال في نقش خاتم الإمام الحسين-عليه السلام-

عن أبي عبد الله-عليه السلام-: كان في خاتم الحسن والحسين: ((الحمد لله))

وروى البيهقي وغيره عنه -عليه السلام- : ((وفي خاتم الحسن والحسين ((حسبي الله))، وقيل نقش خاتمه وهو((إن الله بالغ أمره))، وكان له -عليه السلام- خاتم آخر نقش عليه مايعبر عن استعداده للقاء الله سبحانه، وإعداده العدة لذلك، وهو قوله: ((لا إله إلا الله عدة للقاء الله))[٢٤]

المبحث الثاني

بلاغة الحجاج في خطبة الإمام الحسين(عليه السلام) في صبيحة يوم عاشوراء دراسة تداولية

خطب الإمام الحسين(عليه السلام) في صبيحة يوم عاشوراء قائلاً:

((الحمد لله الذي خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال، متصرفةً بأهلها حالاً بعد حال، فالمغرور من غرته، والشقي من فتنته، فلا تغرنكم هذه الدنيا، فإنها تقطع رجاء من ركن اليها، وتخيب طمع من طمع فيها، وأراكم قد اجتمعتم على أمر قد أسخطتم الله فيه عليكم، وأعرض بوجهه الكريم عنكم، وأحل بكم نقمته، وجنبكم رحمته، فنعم الرب ربنا، وبئس العبيد أنتم، أقررتم بالطاعة، وآمنتم بالرسول محمدصلى الله عليه وآله، ثم إنكم زحفتم إلى ذريته وعترته، تريدون قتلهم، لقد استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله العظيم، فتبّاً لكم ولما تريدون، إنا لله وإناإليه راجعون، هؤلاء قوم كفروا بعد إيمانهم فبعداً للقوم الظالمين. فقال عمر: ويلكم كلموه فإنه ابن أبيه، والله لو وقف فيكم هكذا يوماً جديداً لما انقطع، ولما حصر، فكلموه، فتقدم شمر لعنة الله عليه فقال: ياحسين ماهذا الذي تقول، أفهمنا حتى نفهم، فقال(عليه السلام):أقول اتقوا الله ولاتقتلوني، فإنه لايحل لكم قتلي، ولا انتهاك حرمتي، فإني ابن بنت نبيكم وجدتي خديجة زوجة نبيكم، ولعله قد بلغكم قول نبيكم: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة))[٢٥].

لابد من التنويه بيسبب ذكر الخطبة كاملة في أول الدراسة لكي يحيط القارئ بمعنى النص أولاً، وحتى نبتعد عن التكرار بالإشارة الى مصادر الخطبة بعد تحليلها ودراستها ثانية، فعند التأمل في خطبة الإمام الحسين (عليه السلام) الآنفة

الذكر نجد جملة من العلاقات التداولية التي يستند فيها المتكلم إلى المخزون الثقافي واللغوي والبياني فضلاً عن المقدرات الشخصية التي يتحلى بها المتكلم التي تمكنه من إيصال مايريده الى المخاطب بأسلوب بلاغي مبين، وقد تجلت التداولية في الخطبة بمحاور عديدة منها:

المحور الأول: بلاغة الحجاج التي تعتمد على الموروث الثقافي الإسلامي الذي يتمثل بـ (القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والموروث الشعبي التي تعرف بالتعابير الاصطلاحية من الحكم والأمثال وغيرها)التي يعتمد فيها المتكلم على الاقتباس والتضمين وعلى الخزين اللغوي المألوف لدى السامعين والمخاطبين، وقد تمثل ذلك بافتتاحه خطبته (عليه السلام) بحمد الله قائلاً: (الحمد لله) فهي من المتلازمات اللغوية التي يتبادر الى الذهن من مجرد سماعها خصوصيتها بالله سبحانه وتعالى من دون غيره فهي تفيد الإطلاق والعموم في تخصيص الحمد لله سبحانه وتعالى ، ثم قال(عليه السلام) (... **لقد استحوذ عليكم الشيطان)**؛ فهي تضمين من القرآن الكريم الذي ورد في قوله تعالى﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ المجادلة/ ١٩، وقوله(عليه السلام): (...**إنا لله وإنا إليه راجعون)** فهو مقتبس من قوله تعالى ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا للهِ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ﴾البقرة/ ١٥٦، وقوله(عليه السلام): (...**فبعداً للقوم الظالمين)** فهو مقتبس من قوله تعالى﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاء فَبُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾المؤمنون/ ٤١، والثانية في قوله (عليه السلام): (...**ولعله قد بلغكم قول نبيكم: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة)**، وهو مقتبس من قول رسول الله(صلى الله عليه وآله) الذي ورد في مصادر الحديث: ((الحسن و الحسين سيدا شباب أهل الجنة))[٢٦]، ومما ورد من الموروث في الاستعمال قوله بالدعاء عليهم بالويل والثبور قائلاً: (...**فتبّاً لكم ولما تريدون)**

المحور الثاني: بلاغة الحجاج في التداولية المبنية على التقابل الدلالي

عرف اللغويون التقابل بأنَّه: ((ذكرُ الشيء مع ما يوازيهِ في صفاتهِ وتخالفهُ في بعضها، وهي من باب (المفاعلة) كالمقابلة والمضاربة، وهي قريبة من الطباق))[٢٧]، وقد جاء هذا النوع من التداولية في قوله(عليه السلام): ((...**نعم الرب ربنا،وبئس العبيد أنتم**))، فقد ورد التقابل الدلالي بين فعل المدح وفاعله ((نعم الرب ربنا))، وبين فعل الذم وفاعله ((بئس العبيد))، وقوله (عليه السلام): ((...**هؤلاء قوم كفروا بعد ايمانهم**)) فقد ورد التقابل الدلالي بين الكفر والإيمان للقوم عينهم بعد الإشارة إليهم بقوله (هؤلاء) فقد خصهم بالذكر من دون غيرهم وقدم (عليه السلام) صفتهم بالكفر على صفة الإيمان أي قدم ما هو ماثل للعيان على ما مضى من إيمانهم أي قدم ما هو محسوس على ما هو مغيب وفي ذلك دلالة إيحائية إلى أن هؤلاء لا يكمل إيمانهم ولا يصح وذلك لما اقترفوه من جريمة بحق آل الرسول(صلى الله عليه وآله) الذي جعل رسول الله (صلى الله عليه وآله) محبتهم مرتبطة بمحبته وهم من نسل فاطمة الزهراء التي قال في حقها رسول (صلى الله عليه وآله))) **إن فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها ويغضبني ما أغضبها**))[٢٨]؛ لذا علل ذلك بسخط الله عليهم فقال(عليه السلام))):... **وأراكم قد اجتمعتم على أمر قد أسخطتم الله فيه عليكم،واعرض بوجهه الكريم عنكم**)) فقد وردت المصاحبة اللغوية بين الاجتماع والإعراض في قول واحد، وقدم (عليه السلام) السبب في إعراض الله سبحانه وتعالى عنهم بعد أن اجتمعوا على أمر فيه سخط الله تعالى فكان الجزاء على ذلك إعراض الله تعالى عنهم في قوله (عليه السلام): ((...**واعرض بوجهه الكريم عنكم**)) أي مع كرمه سبحانه وتعالى فقد أعرض عنكم وفي ذلك دلالة إيحائية على عظم الأمر الذي عقد عليه الإجماع وهو قتل الإمام الحسين(عليه السلام) وسبي آل بيته (عليه السلام)، وقوله(عليه السلام): ((...**وأحل بكم نقمته،وجنبكم**

رحمته؛ فقد ورد بين إحلال النقمة وبين جنب الرحمة)) مستعملاً لذلك الفعل وحرف الجر(الباء) الذي يفيد السببية في العربية[٢٩]، وفي ذلك إشارة إلى سبب إحلال النقمة بهم والتي ترتب عليها إبعاد الرحمة عنهم فقد استعمل الفعل (جنبكم) الذي اسند إلى كاف الخطاب وميم الجماعة وقد فارق حرف الجر الفعل وفي ذلك دلالة على هول الموقف والجريمة التي ارتكبها المخاطبون التي بسببها فارقتهم الرحمة فراقاً مباشراً لا عودة له لأن واهب الرحمة هو الله سبحانه وتعالى، وهؤلاء اسخطوا صاحب الرحمة بفعلتهم الشنيئة التي خلدها التاريخ وان خفتها أهواؤهم وافتراءاتهم ، فضلاً عن المصاحبة اللغوية التي تحققت في الانسجام الصوتي بين كلمتي(نقمته، نعمته)فقد ختمت الكلمتان بصوت الهاء وهو من أصوات الهمس[٣٠]؛ وفي ذلك بيان للناس إلى فضح جرمهم من إحلال النقمة بهم وبعد الرحمة عنهم، فضلاً عن ذلك الانسجام الصوتي بين الصوتين الكاف والميم في قوله(عليه السلام): ((أحلّ بكم ،وجنبكم) لتأكيد أن هؤلاء المخاطبين من دون غيرهم قد اقترفوا الجرم بحق الحسين(عليه السلام) وعياله.

المحور الثالث: بلاغة الحجاج في المصاحبة اللغوية بين المضاف والمضاف إليه

المضاف والمضاف إليه من المتلازمات التي تؤلف تركيباً واحداً يفيد تخصيصاً أو تأكيداً أو تعريفاً أو مدحاً أو ذما، يؤدي التعريف بالإضافة جملة من الأغراض الدلالية إذ يصبح المضاف والمضاف إليه كالكلمة الواحدة على الرغم من أنه يدخل في مصطلح التركيب الإضافي... وتنتج الإضافة معنًى جديداً خاصاً لم يكن قبل ذلك[٣١].

ومما ورد من هذه التداولية قوله (عليه السلام): ((**الحمد لله الذي خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال**))، فقد وردت المصاحبة اللغوية بين المضاف (دار) الذي جاء بصيغة النكرة التي تفيد العموم ثم تخصصت بالمضاف اليه (فناء) فقال (عليه السلام): ((دار فناء وزوال) فقد أفادت المصاحبة اللغوية تخصيص الدار بالدنيا التي وصفت بالفناء الذي هو في اللغة نقيض البقاء[٣٢] ،والزوال بمعنى الفراق[٣٣] ،وقد قدم (عليه السلام) الفناء على الزوال وفي ذلك مراعاة للترتيب المنطقي في تقديم الفناء الذي هو خاص ببني البشر الذي يعني موتهم ،ثم يأتي بعد ذلك الزوال الذي يبنى على العموم في زوال كلّ شيء من النعيم والرفاه والعمران ومايتعلق بهما، ومن الاضافات التي أفادت التخصيص في المصاحبة اللغوية (قتلي، حرمتي) في قوله(عليه السلام): (...**فإنه لايحل لكم قتلي،ولا انتهاك حرمتي**)فقد خصصت الإضافة بحرمة قتل الحسين(عليه السلام) بقوله (لايحل لكم) ثم يلاحظ قال بعد ذلك (ولا انتهاك حرمتي) فقد سبق الانتهاك (لا) النافية وجاء اسمها على صيغة المصدر لتفيد النفي المطلق، فضلاً عن ذلك الترتيب الذي وقع فيه الانتهاك بعد القتل الذي يشير بدلالته الايحائية الى مايحل بعياله من انتهاك حرمة عياله بعد استشهاده(عليه السلام)

المحور الرابع :بلاغة الحجاج في المصاحبة اللغوية بين المعطوف والمعطوف عليه

من المعروف عند النحويين أن المعطوف من التوابع التي توافق متبوعها في الإعراب رفعاً ونصباً وجراً[٣٤]،وأدواته تسمى حروف العطف ((حروف الإشراك))[٣٥]وعبر عن المعطوف والمعطوف عليه ((بضم أحد الاسمين الى الآخر))، وجاءت المصاحبة اللغوية بين المغرور والشقي في قوله (عليه السلام): ((...**فالمغرور من غرته ،والشقي من فتنته**)) وقد بنيت المصاحبة اللغوية على العلاقة الدلالية التي تقوم على السببية والترتيب في قوله(عليه السلام): (فالمغرور من غرته) وقوله(عليه السلام): (والشقي من فتنته)، فقد وردت المصاحبة اللغوية بين اسم المفعول (مغرور) من الفعل المبني للمجهول (غُرَّ) وبين المعطوف عليه (الشقي) فقد قدم (عليه السلام) الغرور على الشقاء فالغرور من أسماء الشيطان فهو الذي يغوي

ويؤدي بالإنسان إلى الشقاء والبؤس والشر[٣٦]، فقد قدم السبب على المسبب ،فضلاً عن ذلك نلحظ المصاحبة اللغوية بين الفعل (غرته) وبين المعطوف(المغرور) فحققت المصاحبة بينهما الانسجام الصوتي بين حروف (الغين والراء) وهما من الحروف المجهورة[٣٧]،وقد تكرر حرف الراء بلفظه في لفظة (المغرور) وتكرر بصوته المشدد في (غرّته) وفي ذلك دلالة إيحائية إلى كثرة التغرير الذي توقع به الدنيا بالمغرور بها ،وأيضاً جاءت صيغة اسم المفعول للدلالة على تعدد الأسباب التي توقع بصاحبها الاغترار بالدنيا الزائلة بأهلها، ومنه قوله(عليه السلام): ((...**وآمنتم بالرسول محمد صلى الله عليه وآله**))، فقد وقعت المصاحبة اللغوية بين المعطوف (محمد (صلى الله عليه وآله) والمعطوف عليه (آله) وقوله(عليه السلام): ((... **ثم أنكم زحفتم إلى ذريته وعترته**))، فقد جاءت المصاحبة اللغوية بين المعطوف والمعطوف عليه (ذريته وعترته) مقدماً(عليه السلام) الذرية على العترة فدلالة الذرية عند سماعها ينصرف الذهن إلى النسب ؛فالذرية اسم يجمع نسل الإنسان من ذكر وأُنثى[٣٨] ، وذريته أقرب الناس إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حين تدل كلمة (العترة) على الجماعة أو الرهط[٣٩]التي اختارها الله سبحانه من ذرية رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقد قدم (عليه السلام) العام وهي (الذرية) على الخاص وهي (العترة) وفي ذلك أيضاً دلالة إيحائية إلى قول الرسول(صلى الله عليه وآله): ((**إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما**))[٤٠]، وقوله(عليه السلام): ((...**فاني ابن بنت نبيكم وجدتي خديجة زوجة نبيكم**))، فقد وردت المصاحبة اللغوية بين (ابن بنت نبيكم) وقوله(عليه السلام) (جدتي خديجة زوجة نبيكم)، ويلاحظ في هذه المصاحبة التسلسل المنطقي والترتيب في تقديم الأقرب فالأقرب فقد قدم (عليه السلام) ابن بنت نبيكم على جدته(عليه السلام) زوجة النبي (صلى الله عليه وآله)

المحور الخامس: بلاغة الحجاج في المصاحبة اللغوية بين الفعل وحرف الجر

الفعل يدل على الحدث الذي يقترن بزمن ماضٍ أو حاضر أو مستقبل[٤١]، ولكن عندما يقع الفعل في مصاحبة حرف الجر وفي مصاحبة سياق لغوي ما فإنه يخرج عن تلك الدلالة الخاصة إلى دلالات أخر تظهر بها معانيها[٤٢]،ومن ذلك المصاحبة اللغوية التي وقعت بين الفعل الماضي (أقرر) وحرف الجر(الباء) الذي يفيد السببية[٣٤] في قوله (عليه السلام): ((... **أقررتم بالطاعة**)) فقد أفادت المصاحبة اللغوية بين الفعل وحرف الجر إلى بيان دلالة إقرارهم بالطاعة للرسول(صلى الله عليه وآله) منذ مجيئه إلى زمان التكلم فضلاً عن ذلك أن حرف الباء يفيد السببية أي إن الرسول(صلى الله عليه وآله) كان السبب في إقرارهم بالطاعة ولكنهم اليوم خرجوا عن الطاعة في إيذاء عترته الطاهرة ، ثم قال (عليه السلام): ((...**وآمنتم بالرسول محمدصلى الله عليه وآله، ثم إنكم زحفتم إلى ذريته وعترته، تريدون قتلهم**))، فقد وقعت المصاحبة اللغوية بين (آمن) وحرف الجر(الباء) الذي يفيد السببية وفي ذلك إشارة إلى أن الرسول(صلى الله عليه وآله) كان السبب في إيمانهم، وأنه صاحب الرسالة الخالدة التي أنقذتهم من أحكام الجاهلية الشعواء، إلا أنهم بماذا قابلوا ذلك، فجاء(عليه السلام) بحرف العطف (ثم) الذي يفيد الترتيب مع التراخي[٤٤] أي بعد الإقرار والطاعة زحفوا إلى إيذاء ذريته وعترته، ونجد أن المصاحبة اللغوية جاءت بين الفعل (زحف) وحرف الجر (إلى) الذي يفيد انتهاء الغاية[٤٥]، ،فالدلالة التي خرجت بها المصاحبة هي أنهم خططوا ودبروا للمكيدة والإيذاء في سبيل الوصول إلى غايتهم التي زحفوا إليها، ونجد أن الإمام (عليه السلام) استعمل الفعل (زحفوا) ولم يستعمل الفعل (خرجوا) ففي ذلك دلالة إيحائية الى أن الإمام الحسين (عليه السلام) هو الذي خرج من اجل أن لا تراق الدماء في الكعبة الشريفة بعد السماع بتهديهم ووعيدهم إلا أنهم زحفوا وخططوا من أجل اللحاق به، والحاق الأذى والضرر به وبعياله(عليه السلام).

المحور الخامس: بلاغة الحجاج التداولية في بنية النص الخطابي

١- التداولية في براعة الاستهلال وهو((بدء الكلام ، ويناظره في الشعر: المطلع؛ وفي فن العزف على الناي : الافتتاحية. فتلك كلها بدايات كأنها تفتح السبيل لما يتلو))[٤٦]، وقد تمثلت براعة الاستهلال في خطبته(عليه السلام)بحمد الله تعالى.

٢- التداولية في حسن الختام الذي تمت به الفائدة وحسن السكوت عليه[٤٧]، وختم خطبته (عليه السلام) بذكر الحديث النبوي الذي يتضمن مكانة الحسن والحسين (عليهما السلام) وبيان قرابتهما من رسول الله(صلى الله عليه وآله) وهو خاتم الأنبياء؛ فقد ألقى على مسامعهم تلك الخطبة من أجل إقامة الحجة على الآخر وهو في أحنك الظروف.

٣- الحجاج بالسياق الخطابي وهو ((استراتيجية تواصلية الى التأثير في الآخر بالاعتماد على تمثلات حجاجية تكون في شكل أفكار وآراء، وبهذا المعنى يصبح الحجاج شكلاً أو نظاماً تواصلياً يتفاعل فيه ماهو لفظي بما هو غير لفظي، وسيلته اللغة وغايته الإقناع))[٤٨]، وقد تضمنت خطبة الإمام الحسين (عليه السلام) وسيلة من وسائل الحجاج هو القياس الخطابي وهو ((آلية من آليات الذهن البشري، تقوم بالربط بين شيئين على أساس جملة من الخصائص المشتركة بينهما للوصول إلى استنتاج ما، بألفاظ فيها شيء من الالتباس والاشتراك ، بناء على أن القياس يقوم على التجربة التي ينطلق منها المتكلم لتشكيل صورة استدلالية))[٤٩]

الخاتمة ونتائج البحث

قبل البدء بذكر النتائج لابد من التأمل والتدبر في أي شكل من أشكال التعبير جاءت هذه الخطبة، وفي أي ظرف كان صاحبها، ومن كان المستمعون، فعند الإجابة عن هذه الأسئلة مع وقوع المصاحبة بين التعبير وبين المتكلم وبين المتلقي نخرج بنتائج عدة منها:

٥- إن الثقافة الإسلامية المتمثلة بالقرآن الكريم والسنة النبوية كان لها الدور الكبير في تكوين الشخصية المتكاملة التي لها القدرة على المحاججة وإقحام الآخر على الاستماع بعد اللجوء إلى طرق ملتوية تظهر فيها عجزه عن الرد من أمثلة ذلك قول الشمر متسائلاً ((...**ماذا تقول؟ أفهمنا حتى نفهم**)) فقد تظاهر بعدم الفهم لأنه لايملك الرد المقنع للمخاطب والسامع.

٦- بيان قوة شخصية المتكلم وعجز الآخر مما أجبر الأخير على الدعاء بالويل على جماعته وبيان قوة شخصية الخصم بالقسم على بلاغته وقوة شخصيته بوصفه(ابن ابيه) كما جاء في قول عمر(...**ويلكم كلموه فإنه ابن أبيه،والله لو وقف فيكم هكذا يوماً جديداً لما انقطع ،ولما حصر**)) ،فكلموه، فتقدم شمر(لعنة الله عليه((...**فقال:ياحسين ماهذا الذي تقول،أفهمنا حتى نفهم،فقال(عليه السلام):أقول اتقوا الله ولاتقتلوني،فإنه لايحل لكم قتلي**)).

٧- البعد الرسالي الذي أوحى به الحسين(عليه السلام) في القاء الحجة على غيره بوسائل متعددة منها مباشر ومنها غير مباشر، فمنها الصراحة في نهيهم عن قتله قائلاً (عليه السلام): ((...**أقول اتقوا الله ولاتقتلوني،فإنه لايحل لكم قتلي**)) فقد أبدى لهم النصح بتقوى الله ومن ثم النهي قائلاً(عليه السلام): (**لاتقتلوني**)

٨- يقال في البلاغة العربية (لكل مقال مقام) لكننا وجدنا في خطبة الحسين(عليه السلام) المقال الذي كان في سياق الظرف الطارئ قد تضمن من المصاحبة اللغوية مما يعجز غيره عن الإتيان بمثلها وخير شاهد على ذلك الخصم الذي تراوحت إجابته بين الدعاء والاستفهام والاعتراف بالحقيقة ونكرانها في آن واحد اذ إنهم يعلمون أن الحسين(عليه السلام)

هو ابن أبيه (علي بن أبي طالب)(عليه السلام)؛ ولكنهم يكنّون له العداوةوالبغضاء والحقد الذي دفعهم الى الزحف وراءه إلى حيث خرج وماترتب على ذلك من العواقب التاريخية التي لايحمد عقباها،ولكن الحق ينتصر، والباطل مهما كانت دوافعه فسيزهق، وكان الحسين(عليه السلام) يمثل الحق، والآخر يمثل(الباطل) فانتصر الحق وخلدت معه الثورة الحسينية بآثارها العقائدية والإنسانية والتربوية وان استشهد قائدها فقد بقي ثائرها وهو الإمام المهدي(عجل الله فرجه)

٩- إن المصاحبة اللغوية لاتقع بمعزل عن السياق اللغوي الذي ترد فيه، بل ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالسياق اللغوي، ونعني به السياق الصرفي والنحوي والدلالي.

١٠- إن المصاحبة لاتقتصر في وقوعها على الأسماء فقط أو على الأفعال بل قد تقع المصاحبة بين الاسم والفعل أو بين الفعل وحرف الجر

١١- قد تقع المصاحبة اللغوية بين بعض التراكيب اللغوية التي قد اطلق عليها بالتعابير الاصطلاحية التي تجري مجرى المثل، والتي يكون السامع لها على معرفة بمضمونها .

الهوامش

١. ينظر: شذا العرف في فن الصرف، أحمد الحملاوي، تحقيق: محمود شاكر، ط١، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان،١٤٢٥هـ- ٢٠٠٥م:٥٧

٢. لسان العرب، ابن منظور، تحقيق: أمين محمد عبد الوهاب وآخرون، دار صادر، بيروت:١١/ ٢٥٢

٣. تاج العروس ، الزبيدي، تحقيق:عبد الكريم الغرباوي،،ط٢، مطبعة الكويت،١٩٨٧م:١/ ٤٧

٤. تفسير القرطبي(الجامع لأحكام القرآن)،تحقيق:عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٧هـ٢٠٠٦م:٤/ ٢١٤.

٥. تفسير أبي السعود(أرشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم)،دار أحياء التراث العربي،بيروت:٢/ ٨٩

٦. ينظر: التداولية في كتاب دلائل الاعجاز لعبد القاهر الجرجاني(رسالة ماجستير):ثقباني حامدة،التداولية والبلاغة العربية،الاستاذ:باديس لهويمل.

٧. التداولية عند العلماء العرب،مسعود صحراوي، التداولية وتحليل الخطاب،د.جميل حمداوي،التداولية والبلاغة العربية،الاستاذ: باديس باديس لهويمل ،وغيرها من المؤلفات

٨. آفاق جديدة في الأدب اللغوي المعاصر،محمود أحمد نحلة،دار المعرفة الجديدة،مصر،٢٠٠٢م. :١٣

٩. التداولية عند العلماء العرب،مسعود صحراوي،ط١،دار الطليعة،بيروت،٢٠٠٥م:٦

١٠. ينظر: نظرية الأفعال الكلامية في البلاغة العربية،د.ملاوي صلاح الدين،بسكرة،الجزائر،٢٠٠٩م:٨، وينظر: نظرية الأفعال الكلامية بين التراث العربي والمناهج الحديثة دراسة تداولية،محمد مدور، العدد١٦، ٢٠١٢م :٤٧

١١. ينظر:سلطة الفعل الكلامي من خلال رسائل الامام علي بن أبي طالب،أ.دراجي صافية،جامعة بجاية، الملتقى الدولي الخامس(السيمياء والنص الأدبي):٩،وينظر: الأفعال الكلامية في القرآن الكريم (سورة البقرة)دراسة تداولية،محمد مدور،كلية الاداب واللغات، اشراف:جودي مرداسي:١١

١٢. ينظر:سلطة الفعل الكلامي من خلال رسائل الامام علي بن أبي طالب،أ.دراجي صافية:٨

١٣. كذا ورد في النص والصحيح (في الوقت نفسه)

١٤. ينظر:سلطة الفعل الكلامي من خلال رسائل الامام علي بن أبي طالب،أ.دراجي صافية:٨

١٥. ينظر:نظرية الأفعال الكلامية بين التراث العربي والمناهج الحديثة دراسة تداولية،محمد مدور:٥٠

١٦. السياق والنص الشعري،علي آيت أوشان:٧٣،وينظر:سلطة الفعل الكلامي،أ.دراجي صافية:٨

١٧. ينظر: اللغة والحجاج،أبو بكر العزاوي، ط١، مؤسسة الرحاب،٢٠٠٩م:٦١

١٨. ينظر: اللغة والحجاج ،أبو بكر العزاوي:٦١

١٩. ينظر: اللغة والحجاج ،أبو بكر العزاوي:٦١

٢٠. ينظر: الحجاج في الفلسفة ، حميدة عبيدة مجلة فكر ونقد ،١٩

٢١. ينظر: عمدة الطالب، ابن عتبة،المطبعة الحيدرية،١٣٨٠ه- ١٩٦٠م:١٩١

٢٢. ينظر: حياة الإمام الحسين(عليه السلام) دراسة وتحليل،باقر شريف القرشي،ط٢، كربلاء، العتبة الحسينية المقدسة،١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م :٣/ ٤٥

٢٣. ينظر:تاريخ الرسل والملوك، الطبري، تحقيق:محمد أبو الفضل ابراهيم،دار المعارف،١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م:٥/ ٢٥٦

٢٤. ينظر: نقش خواتيم النبي(صلى الله عليه وآله) والائمة-عليهم السلام-،السيد جعفر مرتضى،معاصر:٥

٢٥. صحيفة الحسين(عليه السلام)،جمع الشيخ جواد الفيومي،ط١،مؤسسة التاريخ العربي،بوت،لبنان :٣٠٤- ٣٠٨

٢٦. سنن الترمذي،الترمذي،تحقيق:محمد شاكر وآخرون،دار احياء التراث العربي،بيروت،لبنان:٥/ ٦٥٦،وينظر: سنن ابن ماجة،تحقيق:محمد فؤاد عبد الباقي،دار الفكر،بيروت:١/ ٤٤، مسند أحمد بن حنبل،مؤسسة قرطبة، القاهرة::٣/ ٣، المسترك،الحامكم النيسابوري:،تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١ ،دار الكتب العلمية،بيروت:٣/ ١٨٢، المعجم الكبير،الطبراني،تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي،ط٢، مكتبة العلوم والحكم،الموصل ١٤٠٤ه- ١٩٨٣م:٣/ ٣٥

٢٧. البرهان في علوم القرآن، الزركشي،تحقيق:محمد أبو الفضل ابراهيم،دار المعرفة،بيروت، ١٣٩١ه: ٣/ ٤٥٨.

٢٨. المعجم الكبير،الطبراني:٢٢/ ٤٠٥

٢٩. ينظر:حروف المعاني،الزجاجي،د.علي توفيق الحمد،ط١ ،مؤسسة الرسالة،بيروت،١٩٨٤م.:٨٥

٣٠. ينظر:سر صناعة الاعراب،ابن جني،تحقيق:حسن هنداوي،ط١ ، دار القلم،دمشق،١٩٨٥م:٢/ ٥٥١

٣١. ١٩ينظر: جمالية الكلمة المفردة ، حسين جمعة،منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق،٢٠٠٥م:١٤٥

٣٢. ٢٠ينظر: كتاب العين، الخليل، تحقيق: د.مهدي المخزومي، ود.ابراهيم السامرائي، ط١، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٨٨م: ٨/ ٣٧٦

٣٣. ٢٠ينظر: كتاب العين،الخليل: ٧/ ٣٨٥

٣٤. الكتاب، سيبويه، تحقيق: د.أميل بديع يعقوب، ط١، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ- ١٩٨٣م: ١/ ٣٠٧

٣٥. المصدر نفسه:١/ ٤٢٩،٣٩١،٣٨٩

٣٦. كتاب العين،الخليل:٥/ ٢١٦

٣٧. أسرار العربية، أبو بركات الأنباري، تحقيق:د.فخر صالح قباوة،ط١،دار الجيل،بيروت،١٩٩٥م:٣٦١

٣٨. لسان العرب،ابن منظور:٤/ ٣٠٣

٣٩. لسان العرب،ابن منظور:٧/ ٣٠٥

٤٠. سنن الترمذي:٥/ ٦٦٢-٦٦٣

٤١. الأصول في النحو،ابن السراج،تحقيق: د.عبد الحسين الفتلي،ط٣، مؤسسة الرسالة،بيروت،١٩٨٨م: ١ / ٤١ .

٤٢. شرح الكافية، الرضي، وضع هوامشه:د.أميل بديع يعقوب،ط١، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت،لبنان ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م : ٤/ ١٣٨ ؛ ويُنظر : شرح جمل الزجاجي، ابن عصفور، تحقيق:د.أنيس بديوي، ط١، دار إحياء الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م: ١/ ٢٧٤

٤٣. ينظر: معاني الحروف، الرماني، تحقيق :الشيخ عرفان بن سليم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٨م- ١٤٢٨هـ.

٤٤. ينظر: أسرار العربية، ابو البركات الأنباري:٢٦٩

٤٥. ينظر:حروف المعاني، الزجاجي:٦٤

٤٦. الخطابة، ارسطو طاليس، تحقيق:عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت، ١٩٤٩م:١٣٠

٤٧. ينظر:خزانة الأدب: ابن حجة الحموي،تحقيق: عصام شعيتو،ط١، دار ومكتبة الهلال،بيروت،١٩٨٧م: ٢/ ٤٩٤

٤٨. الحجاج في النص القرآني-سورة الأنبياء أنموذجاً-:ايمان الدروني،كلية الآداب،الجزائر،٢٠١٣م:٤٩،وينظر: بلاغة الاقناع قراءة حجاجية في خطب الامام الحسين(عليه السلام)،رائد حاكم الكعبي،مجلة العميد،س٣،مج٣، العدد١٤٣٥،١هـ-٢٠١٤م:٢٨

٤٩. الحجاج في كتاب الامتاع والمؤانسة،حسن بوبلوطة،كلية الآداب ،الجزائر،٢٠١٠م:٩٩

المصادر والمراجع

١. آفاق جديدة في الأدب اللغوي المعاصر،أحمد محمود نحلة،دار المعرفة الجديدة، مصر، ٢٠٠٢م.

٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (تفسير أبي السعود) : محمد بن محمد العمادي أبو السعود،الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣. أسرار العربية: عبد الرحمن بن أبي الوفاء محمد بن عبيد الله بن أبي سعيد، تحقيق : د.فخر صالح قدارة،ط١ ، دار الجيل – بيروت ، ١٩٩٥.

٤. الأصول في النحو: أبو بكر بن السراج البغدادي (ت٣١٦هـ)،تح: د. عبد الحسين الفتلي، ط٣، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٨م.

٥. البرهان في علوم القرآن: محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي (ت٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، الناشر: دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ، د. ط.

٦. بلاغة الاقناع قراءة حجاجية في خطب الامام الحسين (عليه السلام):رائد حاكم الكعبي،مجلة العميد، السنة الثالثة،المجلد الثالث،العدد الأول،١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.

٧. تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (١٢٠٥هـ)، تحقيق: عبد الكريم الغرباوي، ط٢، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٧م

٨. تاريخ الرسل والملوك:أبو جعفر محمد بن جرير الطبري(٣١٠هـ)، تحقيق:محمد أبو الفضل ابراهيم،دار المعارف، ١٣٨٧هـ- ١٩٦٧م.

٩. التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي:د.مسعود

صحراوي،ط١،دار، الطليعة،بيروت،لبنان،٢٠٠٥م.
١٠. ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام): ابن عساكر(ت٥٧١) ،تحقيق : الشيخ محمد باقر المحمودي،ط٢، مط.فروردين،قم،ايران،١٤١٤.
١١. الجامع لأحكام القرآن(تفسير القرطبي) : محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله.،تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي،مؤسسة الرسالة،١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
١٢. جمالية الكلمة المفردة: د. حسين جمعة، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥م.
١٣. الحجاج في كتاب الامتاع والمؤانسة (رسالة ماجستير): حسين بوبلوطة،كلية الآداب، الجزائر،٢٠١٠م.
١٤. الحجاج في النص القرآني -سورة الأنبياء أنموذجاً- (رسالة ماجستير): ايمان دروني،جامعة بانتة،كلية الآداب، الجزائر، ٢٠١٣م.
١٥. حروف المعاني : أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، تحقيق : د.علي توفيق الحمد،ط١،الناشر : مؤ سسة الرسالة - بيروت ، ١٩٨٤.
١٦. حياة الامام الحسين بن علي(عليه السلام) دراسة وتحليل:باقر شريف القرشي،تحقيق:مهدي باقر القرشي،ط٢،كربلاء،العتبة الحسينية المقدسة،١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
١٧. خزانة الأدب وغاية الأرب : تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الأزراري، تحقيق : عصام شعيتو،ط١،الناشر: دار ومكتبة الهلال - بيروت،١٩٨٧.
١٨. الخطابة:أرسطو أطاليس،حققه وعلق عليه:عبد الرحمن بدوي،دار القلم،بيروت،١٩٤٩م.
١٩. سر صناعة الإعراب : أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق : د.حسن هنداوي، ط١،الناشر: دار القلم - دمشق، ١٩٨٥م.
٢٠. سلطة الفعل الكلام من خلال رسائل الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام):أ.دراجي صافية،جامعة بجاية، الملتقى الدولي الخامس((السيمياء والنص الأدبي) .
٢١. سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، **الناشر**: دار الفكر، بيروت.
٢٢. سنن الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي السلمي (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق: محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
٢٣. شذا العرف في فن الصرف: الشيخ أحمد الحملاوي،تحقيق: محمود شاكر،ط١،دار احياء التراث العربي،بيروت ، لبنان،١٤٢٥هـ- ٢٠٠٥م.
٢٤. شرح جمل الزجاجي (الشرح الكبير): ابن عصفور الاشبيلي (٦٦٩ ه)، تحقيق: د. أنيس بديوي، ط١، دار إحياء الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م.
٢٥. شرح الرضي على كافية ابن الحاجب: الرضي الاستراباذي (٦٨٨ ه)، وضع هوامشه: د. اميل يعقوب، ط١، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت- لبنان، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
٢٦. صحيفة الحسين (عليه السلام): جمع الشيخ جواد القيومي،ط١ ،الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ، ١٣٧٤ش.
٢٧. عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب:جمال الدين أحمد بن علي الحسيني المعروف بابن عنبة(٨٢٨هـ)،ط٢،المطبعة

الحيدرية،١٣٨٠ه-١٩٦٠م.
٢٨. العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي (١٧٥ ه)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. ابراهيم السامرائي،ط١، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٨٨م.
٢٩. كتاب سيبويه: ابو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بـ«سيبويه» (ت١٨٠هـ)، تحقيق: د. إميل بديع يعقوب، ط١، منشورات: محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.
٣٠. لسان العرب: ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري (ت٧١١هـ)، تحقيق: أمين محمد عبد الوهاب،ومحمد الصادق العبيديّ ،دار صادر - بيروت، لبنان، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ .
٣١. اللغة والحجاج:د.أبو بكر العزاوي، مؤسسة الرحاب،ط٢٠٠٩،١م.
٣٢. المستدرك على الصحيحين: محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠م.
٣٣. مسند الإمام أحمد بن حنبل : أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني،الناشر : مؤسسة قرطبة - القاهرة
٣٤. معاني الحروف: أبو الحسن علي بن عيسى الرماني،تحقيق:الشيخ: عرفان بن سليم الدمشقي، المكتبة العصرية،بيروت،لبنان١٤٢٨هـ-٢٠٠٨م.
٣٥. المعجم الكبير: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي،ط٢،الناشر : مكتبة العلوم والحكم - الموصل، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.
٣٦. نظرية الأفعال الكلامية في البلاغة العربية:ملاوي صلاح الدين،كلية الآداب والعلوم الإنسانية،جامعة محمد خيضر،بسكرة ،الجزائر،٢٠٠٩.
٣٧. نظرية الأفعال الكلامية في القرآن الكريم(سورة البقرة) دراسة تداولية:محمد مدور،اشراف:د. جودي مرداسي،جامعة الحاج خضر،باتنة،كلية الآداب واللغات.
٣٨. نظرية الفعل الكلامي بين التراث العربي والمناهج الحديثة دراسة تداولية:محمد مدور،مجلة الواحات للبحوث والدراسات،قسم اللغة العربية وآدابها،غرداية ،الجزائر، العدد١٦،٢٠١٢م.
٣٩. نقش خواتيم النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة (عليه السلام): السيد جعفر مرتضى،معاصر.

دور النهضة الحسينية في التغير الاجتماعي

تحليل سوسيولوجي

Role of the Husseinist Revivalism in the Social Change

(Sociological Explication)

أ.م. د. بشير ناظر حميد

الجامعة المستنصرية/ كلية الآداب/ قسم الانثروبولوجيا التطبيقية

Asst. Prof. Dr. Basheer Nadhir Hameed, Department of Applied Anthropology, College of Arts, University of Al-Mustansiriya

ملخص البحث

يعتبر موضوع التغير الاجتماعي من المواضيع التي يهتم بها علماء الاجتماع، بل كل علماء المجتمع لكون موضوع التغير الاجتماعي يمس حياة جميع افراد المجتمع، ويحدث التغير نتيجة أسباب متعددة أبرزها حدوث الثورات من أجل اصلاح المجتمع والقضاء على مظاهر الانحلال والتدهور التي عمت في المجتمع. فما كانت نهضة الامام الحسين (علية السلام) وثورته إلا من أجل تغيير أوضاع المجتمع واصلاحها، فقد تفشت كل الامراض الاجتماعية في جسد ذلك المجتمع، وفي جميع الأنساق الاجتماعية، السياسية، والاقتصادية، والثقافية، بسبب فساد حكامها وانحرافهم عن مبادئ الدين الإسلامي الحنيف، ففي النسق السياسي بات التلويح إلى ما نسيمة اليوم بالتوريث واضحاً لدى الحاكم، وشاع الفساد بكل أشكاله وانهار المجال الاقتصادي وتدهوراً كثيراً، وكذلك تغيرت القيم والعادات وبات الظلم والسكوت عن الحق من أبرز الملامح التي يتسم بها الافراد، وهذا نتيجة الخوف من استبداد الحاكم الظالم وطغيانه، هنا وفي ظل هذه الظروف التي يعيشها المجتمع كان صوت الامام الحسين (علية السلام) صادحاً بقول كلمة الحق بوجه الظلم والاستبداد، كلمة لا لتوريث الحكم، ولا للفساد، ولا للحاكم الظالم، وقوله المعروف «إذا كان دين محمد لم يستقيم الا بقتلي فيا سيوف خذيني»، دلاله على خروجه من أجل تغيير أوضاع المجتمع وإصلاحه والنهوض به حتى لو كلف هذا الامر حياته. وفي هذه المقولة الكثير من الدروس التي لا بد من استلهامها لكي تصبح خارطة طريق لجميع افراد المجتمع ومنهج يسيرون عليه من اجل اصلاح المجتمع وتقدمة وتطوره والقضاء على جميع مظاهر الفساد والتخلف والانحلال.

لهذا يأتي بحثنا ليسلط الضوء على دور النهضة الحسينية في التغير الاجتماعي وفي الأنساق الاجتماعية المختلفة السياسية والاقتصادية والدينية والاجتماعية والثقافية، ومن خلال النظريات الاجتماعية التي تناولت موضوع التغير بالتحليل والتفسير مع التركيز على بعض المفاهيم الأساسية في البحث مثل التغير الاجتماعي، والثورة، والإصلاح الاجتماعي، وبيان دور الثورة الحسينة وأثرها في نفوس الافراد خاصة وفي نهضة المجتمع عامة. ولهذا سيكون عرضنا لهذا البحث من خلال المحاور التالية:

أولاً: مدخل لموضوع البحث.
ثانياً: مفاهيم البحث.
ثالثاً: التنظير السوسيولوجي للنهضة الحسينية.
ربعاً: النهضة الحسينية ومظاهر التغير الاجتماعي.
خاتمة البحث.

Abstract

The social change as an issue is of importance the sociologists take a great interest in tackling ; as it pertains to the life of people and urges man to revolt and change his conditions of corruption and collapse in the community. That is why the Imam Al-Hussein reverts into the revolution as there is a symptom of deterioration ، abomination in the society and violation to the Islamic doctrines and teachings. In time ، people never think of revolting or reforming and keep reticent ، yet the voice of the imam for social justice rocks the palaces and the citadels of the despots and paves the way to the free.

The current paper focuses upon the role of the Husseinist revivalism in light of certain social theories and consists of an introduction، concepts، sociological interpretation to the Husseinist revivalism and a conclusion.

أولاً: مدخل لموضوع البحث

الحديث عن النهضة الحسينية ودورها في التغير الاجتماعي أصبح واضحاً ومسموعاً أكثر من ذي قبل، وذلك لأسباب كثيرة ومعروفة للجميع لا مجال لذكرها الان، فعملية التغير الاجتماعي مستمرة ما دامت الحياة، والنهضة الحسينة لم تكن خاصة بزمان ما أو مجتمع معين، وانما هي تصح لكل زمان ولكل مكان ولجميع المجتمعات بغض النظر عن دياناتهم وانتماءاتهم والوانهم واطيافهم، فهي نهضة عالمية لجميع الإنسانية. و ان استذكارها واستلهام العبر والمواعظ منها هي ديمومة لاستمرار الإسلام بشكل خاص والحياة عامة.

وتمثل مقولة الامام الحسين (علية السلام): « لم أخرج أشراً ولا بطراً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في امة جدي، أريد أن أمر بالمعروف وانهي عن المنكر ... فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد على هذا اصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين» اعلاناً واضحاً من اجل التغيير والإصلاح بجميع مجالات الحياة الاجتماعية. و ان ثورة الامام الحسين (علية السلام) ودعوته الى الإصلاح تختلف عن جميع الثورات وجميع الدعوات لكونها خرجت من رحم المجتمع المقهور، فضلاً عن كونها أصبحت فيما بعد إطاراً لكل الدعوات المطالبة بالتغير الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والثقافي وفي الكثير من المجتمعات وفي مناطق مختلفة من العالم. كما أن التغير الاجتماعي الذي يحدث نتيجة النهضة الحسينية يحمل صفة الاستمرارية لكونه متجدداً وحسب التطورات التكنولوجية والثقافية التي تحدث في شتى مجالات الحياة المختلفة، ويظهر على شكل ممارسات وافعال في سلوك الافراد، وخصوصاً في شهر محرم الحرام الذي قامت فيه ثورة الامام الحسين (علية السلام). ولهذا يهدف البحث للإجابة عن التساؤلات الاتية:

١. ما مفاهيم التغير الاجتماعي، والثورة، والإصلاح الاجتماعية في إطار النهضة الحسينية؟
٢. كيف أسهمت النظريات السوسيولوجية في تفسير النهضة الحسينية؟
٣. ما مظاهر التغير الاجتماعي التي احدثتها النهضة الحسينية؟

ثانياً: مفاهيم البحث

١. التغير الاجتماعي

ان الحديث عن التغير الاجتماعي يعني الحديث عن المجتمع برمته في تفاعلاته المعقدة وفي اتساعه في الزمان والمكان، وهو أنه يعني الإشارة الى نقيضه أي الى عناصر الثبات والاستقرار في المجتمع. فليس هناك تغير بغير ثبات، و ان التغير عندما يحدث لا يحدث بشكل لا متنام وانما يكون له دائما حدود يحدث فيها، وأيضا الحديث عن التغير الاجتماعي يعني صعوبة القياس وصعوبة الإمساك بالعناصر الأساسية فيه. وقد يشير التغير الى التحولات في أنماط الفعل الاجتماعي والتفاعل الاجتماعي التي تشكل العلاقات الاجتماعية المنظمة التي هي جوهر البناء الاجتماعي، ويتضمن ذلك كل اشكال التحول التي تحدث في القيم والمعايير وقواعد السلوك الضابطة لأنماط التفاعل بين الافراد، والتغير بهذا المعنى هو التبدل الجوهري في الأبنية الاجتماعية أي في أنماط الفعل الاجتماعي بما في ذلك النتائج المرتبطة بهذا التبدل كما تنعكس في التغيرات التي تطرأ على القيم والمعايير والمنتجات الثقافية والرموز[١]. ويشير مصطلح التغير الاجتماعي الى أوضاع جديدة تطرأ على البناء الاجتماعي، والنظم، والعادات، وأدوات المجتمع نتيجة لتشريع أو قاعدة جديدة لضبط السلوك، أو كنتاج لتغير اما في بناء فرعي معين أو جانب من جوانب الوجود الاجتماعي أو البيئة الاجتماعية[٢]. والتغير الاجتماعي يمكن تعريفه اجرائياً هنا هو الذي يحدث في البيئة الاجتماعية بشكل عام وبأنساقها المختلفة نتيجة النهضة الحسينة التي قام بها الامام الحسين (علية السلام) عام ٦١ للهجرة والتي تتجدد في كل عام في العاشر من محرم الحرام.

٢. الثورة

مصطلح ذو معان عدة، مرتبطة بعضها ببعض، وهو يستخدم أحياناً للإشارة إلى تدمير احدى الجماعات الحاكمة بواسطة جماعة أخرى. وان كان هذا الحدث يسمى انقلاباً، اذ ان الثورة تطلق عادة على الوقائع التاريخية التي يتم فيها القضاء على نظام سياسي، وليس تدمير جماعة أو صفوة حاكمة فقط . أما المعنى الثالث للثورة فهو إحداث تغييرات جذرية في النظام الاقتصادي والسياسي والاجتماعي، سواء كانت تلك التغييرات مصحوبة بثورة بالمعنى الأدق للكلمة أو داخلة في إطار ثورة[٣]. والحق ان الثورة فيما تتضمنه من معان أصبحت عادة لا تعني شيئاً أكثر من مرادف «للتغيير» وربما التغيير المفاجئ الهائل. كما اننا نستخدم لفظ الثورة والصفة المشتقة منها ثوري للدلالة على مجموعة من التغيرات المتباينة[٤]. والثورة هنا هي ثورة الامام الحسين علية السلام التي قام بها عام ٦١ للهجرة من أجل التغيير والإصلاح في الامة الإسلامية بشكل خاص وفي الإنسانية بشكل عام، لأنها ثورة عالمية تصح لكل زمان ولكل مجتمع قامت لكي تؤسس لدولة العدل الاجتماعي.

٣. الإصلاح الاجتماعي

يقصد بكلمة الإصلاح في اللغة العربية: ازالة الفساد، وصلح الشيء أي زال فساده، والصلاح الاستقامة والسلامة من العيب[٥]. أما المعنى الاجتماعي للإصلاح فيعني التغيير إلى الأحسن، وتحقيق التقدم وتحديث المجتمع وتطويره بما يتناسب وإمكانية المجتمع المتاحة، وينبع هذا التغيير والإصلاح في المجتمع من حاجة المواطنين، ولا تمليه عليهم النخب الحاكمة ولا حتى تفرضه عليهم، ويشير الإصلاح الاجتماعي إلى الحركة العامة التي تحاول القضاء على المساوئ التي تنشأ من خلل وظائف النسق الاجتماعي أو أي جانب منه، ويهدف الإصلاح الاجتماعي إلى تذويب الفوارق الطبقية، وتحقيق التكافؤ في الفرص والمساواة أمام القانون، والعدالة في توزيع أعباء الإنفاق العام، واشتراك جميع أفراد المجتمع في المسؤولية والتمتع بالحريات السياسية. ويرجع الفضل إلى تشارلز بوث في استخدام مفهوم الإصلاح الاجتماعي ففي دراسته عن مشكلة الفقر استطاع التوصل إلى عامل أو نتيجة أساسية هي أن الفقر يرجع إلى سوء الادارة والتنظيم في المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية ولا يرجع إلى تقصير الفرد وسوء أخلاقة، كانحرافه السلوكي أو كسله أو إفراطه في تناول المشروبات الكحولية، ومن أسباب الفقر التي وجدها بوث في بحثه أيضاً عدم وجود توازن بين متطلبات العائلة ودخلها، إذ ان متطلباتها واحتياجاتها تزيد بكثير عن مقدار دخلها وذلك لكبر حجمها وقلة دخلها، ومن العوامل الأخرى التي كشفها بوث في بحثه عدم وجود مؤسسات الضمان المالي والصحي التي تضمن للعمال تأيناً أو دخلاً عن البطالة والمرض وقد دفعت هذه النتائج بعض أعضاء الطبقة الوسطى في أوربا إلى المطالبة بالإصلاحات الاجتماعية[٦]. بهذا نستطيع أن نقول إن حركة الإصلاح الاجتماعي تحاول تحسين الأحوال والأوضاع داخل النسق الاجتماعي دون إحداث تغيير في الطابع المميز للنظام بشكل عام، وبهذا نستطيع أن نعرف مفهوم الإصلاح الاجتماعي: هو كل ما جاء به الإمام الحسين من فكر وفعل من أجل تغيير واقع المجتمع من حال إلى حال أفضل مع القضاء على كل أنواع الفساد والتسلط والاستبداد التي كانت سائدة في المجتمع.

ثالثاً: الحركات الاجتماعية مصدر التغيير

أبرزت دراسات علم الاجتماع أن التغير الاجتماعي يحدث نتيجة للحركات الاجتماعية، فعندما يشعر أفراد عديدون في المجتمع أن هناك قصوراً في البناء الاجتماعي يحول دون اشباعهم لحاجات معينة أساسية، واخذت هذه الحالة صفة العموم فأنهم ينخرطون في مناقشات فيما بينهم، ويتوصلون إلى أن حاجاتهم لن تشبع إلا بأحداث تغيرات في البناء الاجتماعي،

عندها تبدأ الحركات الاجتماعية في التشكل للقيام بالتغير، وهذه الحركات قد تكون حركات إصلاحية أو حركات ثورية أو حركات تعبيرية، ذلك أن الحركات الإصلاحية تقوم بأجراء تغيرات في اطار البناء الاجتماعي القائم كإصدار تشريعات وقوانين أو اجراء تعديلات واسعة هنا وهناك، على أن تقوم بهذا الإصلاح الحكومة القائمة عندما تجد تقبل الناس للأهداف الموضوعية لحركة الإصلاح. وقد تأخذ الحركات الاجتماعية شكل الثورة التي تقوم بأجراء تغيرات واسعة ليس في البناء الاجتماعي فحسب وأنما أيضاً في الجوانب الاقتصادية والسياسية، وقد تشمل جميع مظاهر الحياة في المجتمع[٧]. ومن هنا نعتبر النهضة الحسينة حركة اتخذت شكل الثورة من أجل التغير الشامل في جميع مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، بمعنى انها تشمل البناء الاجتماعي بشكل عام مجتمعاً وأفراداً.

رابعاً: التنظير السوسيولوجي للنهضة الحسينية

للنظريات الاجتماعية دور كبير في تحليل الظواهر والمشاكل الاجتماعية، ولها القدرة الكافية على تفسير المشكلات وتحليل جميع الظواهر التي تحدث في المجتمع، سواء كانت في النسق السياسي، أو الديني، أو الاقتصادي، أو الثقافي، و ان نظريات التغير الاجتماعي متعددة، وموضوع التغير الاجتماعي من زوايا مختلفة، ولهذا سوف نتناول موضوع النهضة الحسينية ودورها في التغير الاجتماعي بالتحليل والتفسير اعتماداً على بعض النظريات السوسيولوجية التي نعتقد انها الأقرب لتحليل موضوع البحث، وهي:

١. نظرية التغير الاجتماعي عند اوكست كونت

يعد كونت أحد رواد علم الاجتماع الأوائل الذين أسهموا في تطوير المعرفة السوسيولوجية، وقد اعتمد كونت في صياغة نظريته على بناء معرفي واسع اشتمل على كل العلوم والمعارف السائدة أنداك، فجاء اتجاهه الفكري تركيبياً قائماً على نسق موحد للمعرفة، والتحليل والإصلاح والتغير الاجتماعي ولبناء تصوره النظري ذهب كونت إلى أنه هناك ثلاثة جوانب رئيسة تنطوي عليها طبيعة الانسان تنتظم العلاقة بينها بصورة مرضية وتشمل هذه الجوانب

- المشاعر: وتتضمن الدوافع والعواطف التي تكمن خلف النشاط الذي يمارسه الانسان.
- الأفكار: وهي تخدم المشاعر ولكنها تعين على التحكم فيها.
- الأفعال: تلك التي تتم في ضوء المشاعر والأفكار معاً.

وهذه الجوانب توجد في الحياة الاجتماعية وفي السلوك الاجتماعي مع الاخرين، ووجود المجتمع واستمراره ينبغي أن يقوم على تنظيم محدد للنظم والمؤسسات والمعرفة والقيم والمعتقدات، وهي جميعاً مرتبطة ارتباطا وثيقاً بالمشاعر والأفكار والأنشطة التي يمارسها أعضاء المجتمع[٨]. وعند التطبيق على ثورة الامام الحسين (علية السلام) سوف نلاحظ ان هذه النهضة المتمثلة بالثورة على التخلف والفساد والجهل الذي كان يسود في المجتمع بقيت خالدة إلى يومنا هذا، وهي مستمرة ما استمرت الحياة لأنها مست مشاعر الافراد وغيرت أفكارهم وأصبحت أفعالاً يقوم بها الافراد في المناسبات الدينية، وخصوصاً في شهر محرم الحرام التي قامت فيه ثورة الامام الحسين (علية السلام). وأصبحت ممارسة الشعائر والطقوس والممارسات الدينية أحد ملامح المجتمع العراقي التي تميزه من بعض المجتمعات المجاورة.

٢. نظرية الفعل الاجتماعي عن تالكوت بارسونز

تعد نظرية الفعل الاجتماعي احدى النظريات المهمة في المدرسة البنائية الوظيفية التي ذاعت شهرتها بين مدارس واتجاهات علم الاجتماع المعاصر، وتضرب البنائية الوظيفية بجذورها في أعمال الرواد المؤسسين لعلم الاجتماع بل أنها ارتبطت بعلم الاجتماع منذ ظهوره حتى الوقت الحاضر، والوظيفية تعني الأثر أو النتيجة، وعندما يضاف مفهوم البناء فأن ذلك معناه أن البناءات تؤدي وظائف، والدور هو الوظيفية بمعنى أن السلوك الذي يؤديه الجزء انما من أجل بناء الكل ولفهم الوظائف التي ينطوي عليها بناء معين فأنه ينبغي البدء بمختلف الاثار أو النتائج المترتبة على وجود هذا البناء ومن ثم فالمجتمع لدى البنائية الوظيفية هو نسق مؤلف من مجموعة نظم اجتماعية وانماط محددة بالثقافة، بحيث تعد أنماط العلاقات بين الأدوار والشخصية جوهر البناء الاجتماعي، وبذلك فأن أنماط العلاقات بين النظم الاجتماعية هي البناء الكلي للمجتمع.

وترتبط نظرية الفعل الاجتماعي بعالم الاجتماع تالكوت بارسونز الذي اهتم بقضية النظام الاجتماعي العام متبنياً نظرية نسقية للفعل الاجتماعي الذي ينتج من تفاعل (أفعال وفاعلين ومواقف) مجموعة من الناس بعضهم مع بعض في شبكة من العلاقات المتفاعلة بهدف الاشباع الأمثل لاحتياجاتهم الأساسية بحيث تمثل العلاقة بينهم وبين المواقف جوهر النسق الاجتماعي، ومن ثم فمهمة التحليل البنائي الوظيفي تتمثل في دراسة الأبنية لوظائفها، والتحليل المنهجي لمكانات الفاعلين وادوارهم في صلاتهم بالمواقف الاجتماعية.

ويرى "بارسونز" أن هناك مصدرين للتغير الاجتماعي الذي ينشأ عندما يختل التوازن داخل النسق، الأول: ناتج من الضغوط الداخلية، أو الذاتية مثل ظهور اختراعات، أو تغيرات في التركيب السكاني، أو نتائج عمليات الصراع والضغوط التي تحدث داخل النسق. والثاني: يحدث من خارج النسق، أي من البيئة الطبيعية كظهور ثروات جديدة، أو حدوث نكبات طبيعية، أو بسبب الاحتكاك الثقافي بمجتمعات أخرى، أو من نسق الشخصية، مع تأكيده أن هناك تفاعلاً مستمراً بين هذين النوعين من التغير، اذ تثير التغيرات الخارجية عدة تغيرات داخلية، والعكس صحيح، وعند استجابة النسق لهذه العوامل الداخلية والخارجية فإن النسق يحاول أن يوجهها بعملية التوازن الديناميكي. وعندما تحل التغيرات عموماً، فإنها تؤدي إلى إعادة تنظيم الأدوار والعلاقات، وقد تظهر أدوار جديدة، أو يكتفى ببعض التعديلات على مضامينها، عندها يحاول النسق العودة إلى حالة التوازن، للتغلب على ما قد ينتج من حوادث اجتماعية، ومن ثم تتولد بعض الوظائف التي تؤدي إلى عودة النسق إلى حالة التوازن النسبي. ويركز تالكوت بارسونز على العامل القيمي أو العامل الأخلاقي في تفسير التغير، اذ يرى أن أعمق أنواع التغير يحدث في النسق الفرعي للقيم والمعتقدات، كونها تعمل على فقدان النسق لتكامله وتماسكه. وتعد القيم والمعايير محكمات لقياس درجة التوازن والتكامل داخل المجتمع[٩]. وما كان لثورة الامام الحسين (علية السلام) أن تقوم لولا مجموعة كبيرة من المواقف التي هددت بانهيار المجتمع وتدهوره وكانت نتيجتها فعل اجتماعي على شكل ثورة غيرت المجتمع وأسست لنظام اجتماعي جديد قائم على العدل والمساواة وفعل الخير.

٣. نظرية الممارسة الاجتماعية عند بيير بورديو

تكتسب نظرية الممارسة الاجتماعية أهميتها في العلوم الاجتماعية والإنسانية المختلفة، بسبب قدرتها التفسيرية المتنوعة والملائمة لكشف طبيعة الظواهر الاجتماعية والإنسانية المختلفة، فيمكن بها تفسير التباينات الاجتماعية والثقافية في آن واحد، وأيضا تفسير الظواهر السياسية والاقتصادية والثقافية والدينية وغيرها. والممارسة الاجتماعية عند بيير بورديو ليست

مجرد فعل صادر في الزمن الحاضر، ولكنها فعل موجه من الماضي، فعل تاريخي، فكما لا بد من أن تتضافر عدة ظروف قبل هطول المطر فكذلك الممارسة، بمعنى أن مظاهر التغير تتكون في ظل ظروف تاريخية بنائية كامنة في المجتمع، تظهر بشكل ممارسات فردية، أو جماعية تتم في إطار علاقات القوة، وصور التفاعل الرمزي داخل مجالات البناء الاجتماعي[١٠].

ان الشعائر الحسينية باعتبارها أحد مظاهر التغير الثقافي في أشكالها المشروعة ليست وليدة اليوم، ولا هي من نسخ الممارسات المستحدثة، بل تمتد في تاريخ الإسلام إلى القرن الهجري الأول، وتخضع في شكلها الاجتماعي وتعابيرها الأدائية الفنية إلى إطار تشريعي يؤسس لمشروعيتها، ويحث على ممارستها في أوساط المسلمين. إذ أن قضية أبن بنت رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) هي قضية إسلامية عامة، يسع نورها الجميع، وهي ليست حكراً لطائفة معينة، وإنما هي للجميع، للمسلمين ولغير المسلمين، سواء كانت بالممارسة أو بالعمل، ولكننا نجدها تظهر في ممارسات المسلمين الشيعة أكثر من كل بقية الطوائف، وهذه يعزوها الكثير من الباحثين إلى أن المجتمعات الشيعية هي أكثر المجتمعات التي تعرض فيها الإنسان المسلم لصنوف القهر، وهو القهر الذي يذكره دائماً بمأساة كربلاء التاريخية، التي تلعب دورها في فهم البناء النفسي للشخصية الشيعية. فضلاً عن هذا أصبحت اليوم الشعائر الحسينية جزء من الممارسة الاجتماعية لأفراد المجتمع، فهم يؤدونها أما صراحةً في شهر محرم الحرام وأربعينية الإمام الحسين (علية السلام)، أو ضمناً من خلال ممارستها كجزء من حياتهم اليومية، وبهذا يمكن أن تكون الشعائر الحسينية أحد أهم روافد تشكيل الثقافة بالنسبة للكثير من أبناء المجتمع. كما أن ممارسة الشعائر الحسينية تعبر عن فعل اجتماعي أصبح جزء من الممارسات اليومية لأفراد المجتمع، وأصبحت مظهراً من مظاهر التغير الاجتماعي والثقافي تتغير وتتطور مع تطور المجتمع التكنولوجي.

خامساً: النهضة الحسينية ومظاهر التغير

ان موضوع التغير الاجتماعي الذي احدثته النهضة الحسينية ليس بالأمر الهين إذا اخذنا بنظر الاعتبار التطورات السياسية والعسكرية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية التي حدثت بفعل هذه النهضة التي قام بها الامام الحسين (علية السلام) من خلال ثورته التي قادها ضد قوى التخلف والظلام التي كانت تقود المجتمع في ذلك الوقت، واستمرت نتائج هذه النهضة الى يومنا هذا كونها غيرت فكر الافراد ومست وجدانيتهم، ومن أهم مظاهر التغير الاجتماعي التي حققتها النهضة الحسينية وكانت سبباً لقيامها والدعوة اليها هي ما يأتي:

١. التغير الاجتماعي

لقد غيرت نهضة الامام الحسين (علية السلام) من مفهوم التنشئة الاجتماعية لكي يتناسب مع حجم الحدث الحسيني واهميته ودوره في المجتمع، فالقائد الذي تزحف اليه الجموع من غير دعوة، وينتصر بدمه على السيف، ويصبح خالداً في التاريخ الإنساني ما حيينا لا بد لأبناء المجتمع كافة من استلهام العبر والدروس من مسيرة وهذه النهضة تعد الإطار العام للمسلمين في بقاع الأرض المختلفة، و تعتبر أيضا أحد أهم أسباب تماسكه المجتمع ووحدته في أيام الازمات، وذلك من خلال إقامة الطقوس الحسينية والولائم التي تجمع أطياف المجتمع كافة وبها تتوحد الأجساد والقلوب وتتماسك المجتمعات، كما لا بد من نبذ كل ما يخالف فكر الإمام من تطرف وتنشئة طائفية وسلوكيات غير رشيدة، التي نراها هذه الأيام وباشكال مختلفة وبطرق يتفنن بها الكثير، والتي غالباُ ما تصدر عن جهل وقصر في الرؤية، فشهر محرم الحرام الذي قدم فيه الإمام الحسين(علية السلام) روحه الطاهرة من أجل نصرة الإسلام وإعلاء كلمة الحق، لا يمكن استذكاره واختصاره ببعض

الطقوس التي تعود على إقامتها أبناء المجتمع منذ أقدم الأزمان، نحن بحاجة إلى فعل حسيني وثورة حسينية على الذات نعود من خلالها إلى طريق الحسين لكي نسمو ونعلو بالقيم الحسينية ونعبر بها إلى شاطئ الأمان ونجعل من محرم الحرام نقطة انطلاق حقيقية لإصلاح أنفسنا وإصلاح مجتمعنا وتطوير تلك الطقوس بما يتناسب والتقدم الحاصل في كافة المجتمعات، والاهم بما يتناسب مع أهمية الحدث وقدسيته لدى جميع أفراد المجتمع.

وبهذا قدمت النهضة الحسينة درساً في التربية هدفه تعديل وتغيير سلوك الافراد بما يتناسب مع اهداف ومبادئ الثورة الحسينية، وخلقت تفاعلاً اجتماعياً بين الافراد في المواقف المختلفة، خصوصاً في شهر محرم الحرام الذي يكون فيه التفاعل الاجتماعي في اعلى مراحله وبين فئات المجتمع المختلفة، ويظهر بصور مختلفة وحسب الأدوار التي يقوم بها الافراد والمراكز التي يوجدون فيها.

٢. التغير السياسي

من قول الإمام الحسين « لم أخرج أشراً ولا بطراً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في امة جدي، أريد أن أمر بالمعروف وانهي عن المنكر ... فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد علي هذا اصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين» فقد منح الهدف من ثورتـه، وهو السـعي من أجل تحقيق الإصلاح الشامل في الأمة، ومنه الإصلاح السياسي، وليس تحقيق أية مصالح شخصية، أو السعي من اجل تسلم السلطة، إذ كان الإمام الحسين (عليه السلام) يعلم أنه سيقتل في المعركة، ومن هنا تبرز عظمة الإمام الحسين(عليه السلام)، اذ أنه ضحى بنفسه وبأهله من أجل تحقيق الأهداف السامية المتمثلة في الإصلاح والتغيير الشامل، والقضاء على الفساد السياسي، ونشر القيم والمبادئ والمثل. و أن أهم درس يجب أن نتعلمه من نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) هو الاستعداد لتقديم كل غال ونفيس من أجل الإصلاح في الأمة، فالإصلاح لا يمكن تحقيقه بالأماني والأحلام، وإنما يحتاج إلى إرادة وعزيمة، وعمل دائم، ونشاط مستمر، واستعداد للتضحية بمختلف أشكالها من أجل الوصول إلى الإصلاح الشامل في الأمة.

لقد خرج الإمام الحسين لكي تقام دولة العدل الاجتماعي لئلا يرضخ الناس للحكام المستبدين والسير ضمن نطاق الحرية والتغيير والعدالة الاجتماعية واحترام مكانة الإنسان، فلا يمكن تحقيق أي اصلاح سياسي إلا بالتغيير سواء اكان تغيراً جذرياً أو جزئياً، فما كان خروج الإمام الحسين(علية السلام) إلا بسبب ما تفشى في المجتمع من فساد وفوضى وإهمال، فضلاً عن تغليب المصالح الخاصة على المصلحة العامة، و هناك مبدأ مهم في فكر الإمام الحسين (علية السلام)، وهو من مبادئ أي عملية إصلاحية وخصوصاً السياسية، هو إعلاء مبدأ (الحرية) باعتبارها الوسيلة المهمة لتحقيق إنسانية الإنسان، وبها يستطيع التعبير عن آرائه وأفكاره ووجوده. لقد كان الإمام الحسين (علية السلام) كثيراً ما يركز على أهمية التحرر من الذل والقهر إذ يقول (عليه السلام) (لا.. والله، لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفر فرار العبيد)، ولهذا كانت ثورة الإمام الحسين (علية السلام) التي بها نهتدي ونقتدي لكي تكون لنا وللجميع نقطة انطلاق لأي عملية إصلاحية بغض النظر عن الزمان أو المكان ولجميع المجتمعات.

٣. التغير الاقتصادي

من أهم أسباب ثورة الإمام الحسين(عليه السلام) هو التدهور الاقتصادي الذي كان سائداً في المجتمع آنذاك، وانتشار الفساد بإشكاله المختلفة، فقد انهار اقتصاد الأمة الإسلامية الذي هو شريان الحياة الاجتماعية، وازداد الثراء الفاحش لحكام ذلك الزمن، ونهبوا الخزينة المركزية للدولة التي هي أموال المسلمين، وتكدست في بيوتهم الأموال وحاروا في صرفها،

وكان من نتيجة ذلك انتشار الفقر والبطالة وغيرها من الظواهر الاجتماعية غير المرغوبة، والتي كانت سبباً لكي يثور الإمام الحسين(علية السلام) من أجل إصلاح الوضع الاقتصادي والقضاء على الفقر، وتوزيع الثروات توزيعاً عادلاً بين المسلمين.

واليوم ملامح التخلف الاقتصادي وتدهور المستوى المعاشي نستطيع أن نلتمسه ونحن نرى أفواجاً من المتسولين، ومن العاطلين، وأزمات اقتصادية مختلفة، مع انتشار غير مسبوق للفساد الإداري بجميع مفاصل الدولة، وكما هو واضح من بيانات منظمة الشفافية الدولية التي تصدر نهاية كل عام حول مؤشرات قياس مدركات الفساد في بلدان العالم المختلفة، ويأتي فيها العراق ضمن الدول الخمس الأعلى فساداً في العالم، ولا يضاهيه عربياً ألا السودان وحسب قائمة منظمة الشفافية الدولية لعام ٢٠١٣، وكذلك للسنوات التي مضت، فطريق الحسين وحب أهل البيت لا يمكن أن تُجمع في قلب مسلم يتعاطى الرشوة، أو مسؤول عن تجويع وتهجير الملايين من أبناء المجتمع العراقي، ودولة الحسين هي دولة العدل والرفاهية الاجتماعية وعدم التمييز بين مناصر أو مهاجر، لا دولة الحزب الواحد، ولا دولة أفواج من الشباب العاطلين عن العمل. المهم هو استذكار العبر من ثورة الإمام الحسين (علية السلام)، ونصرة المظلوم والوقوف بوجه الظالم مهما كان، والاقتداء والاهتداء بقيم الامام الحسين (ع) ومبادئ فهي الطريق الأقصر والأسرع للانتعاش الاقتصادي، ودفع عجلة التنمية في المجتمع إلى الأمام من أجل تحقيق التنمية والرفاهة الاجتماعي وتحقيق دولة العدالة الاجتماعي التي أهم عوامل قيامها هو التوزيع العادل للثروات بين الافراد ورفع مستواهم المعاشي.

٤. التغير الثقافي

يعتبر ظهور الإسلام أكبر تغير ثقافي في حياة المجتمع العربي والإسلامي فيما بعد، وفي نواحي الحياة المختلفة، ومن أبرز مظاهر الإسلام وانتشاره هو النهضة الحسينة ودورها الكبير في التغير بشكل عام والثقافي خاصة، فقد غيرت وعدلت العديد من المفاهيم التي كانت سائدة في المجتمع، واليوم تعد الشعائر الحسينية والطقوس الدينية أحد مظاهر هذا التغير التي تظهر بشكل كبير في شهر محرم الحرام.

خاتمة البحث

تعتبر نهضة الإمام الحسين (علية السلام) ثورة إصلاحية في مجالات الحيات كافة، وتجربة عالمية وكونية مستمرة وممتدة منذ استشهاد الإمام الحسين (علية السلام) إلى قيام الساعة، وتجربة تستطيع المجتمعات كافة الاستفادة منها وتطبيقها من أجل نهضة مجتمعاتها، فلم يكن من احد وعبر التاريخ أن يمحو ألأثر الحسيني من أذهان البشرية، وبالأخص معركة ألطف الدامية، معركة انتصار الدم على السيف، التي تبقى نقطة الدم الثائر في حياة الإنسانية، ووصمة عار تلاحق الظالمين في كل زمان ومكان، لان تلك الثورة التي ما زال صدى كلمات قائدها الإمام الحسين (علية السلام) يدوي وينادي «إن كان دين محمد لم يستقيم إلا بقتلي، فيا سيوف خذيني». ان الإمام الحسين عليه السلام مشروع سلم وسلام ومنهج يضيء الدرب وسارية راية الحق في كل ارض طاهرة، ومن نهضة الإمام الحسين تحتفظ الأمم بكرامتها، وبشموخها، وعزها، ومجدها، فالفكر الحسيني خارطة طريق لجميع المجتمعات لتحيا بكرامة وتنهض بأبنائها من خلال السير على ما ورد في فكر الإمام الحسين (علية السلام)، من دعوات إلى الإصلاح والتغير الاجتماعي بأشكاله كافة، ضد الظلم والطغيان والفساد. و إن أهم درس يجب أن نتعلمه من نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) هو الاستعداد لتقديم كل غال ونفيس من أجل الإصلاح في

الأمة الإسلامية، فالإصلاح لا يمكن تحقيقه بالأماني والأحلام، وإنما يحتاج إلى إرادة وعزيمة، وعمل دائم، ونشاط مستمر، واستعداد للتضحية بمختلف أشكالها من أجل الوصول إلى الإصلاح الشامل في المجتمع، والإصلاح لا يمكن تحقيقه إلا من خلال عملية التغير الاجتماعي التي يعتبر الفرد مصدر قوتها واستمرارها، ولا بد من الإشارة هنا إلى أن اصعب أنواع التغيير هو تغير الفكر، وهذا احد أسباب استمرار نهضة الامام الحسين (علية السلام) وتجددها في كل عام، لأنها استطاعت ان تغير فكر أمة بأكملها وتنقلها من الوهم إلى الحقيقة، ومن الظلام إلى النور، وأصبحت مصدر قوة وامان لأفراد المجتمع بألوانهم واطيافهم المختلفة.

الهوامش والمصادر حسب ورودها في البحث

١. احمد زايد، اعتماد علام، التغير الاجتماعي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٦، ص١٨.
٢. محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٢، ص٤١٥.
٣. شارلوت سيمور سمث، موسوعة علم الانسان المفاهيم والمصطلحات الانثروبولوجية، ترجمة مجموعة من أساتذة علم الاجتماع بإشراف محمد الجوهري، ط٢، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٩، ص٢٥٠.
٤. كرين برنتون، دراسة تحليلية للثورات، ترجمة عبد العزيز فهمي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١١، ص٣.
٥. المعجم الوسيط، الجزء الأول، ط٣، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ٢٠٠٥، ص٥٤٠.
٦. أنظر الموقع الالكتروني التالي: http: / /www.moqatel.com
٧. احمد علي الحاج محمد، علم الاجتماع التربوي المعاصر، الطبعة الثانية، دار المسيرة، الأردن، ٢٠١٤، ص٢٣٦.
٨. المصدر نفسه، ص٢٣٧.
٩. المصدر نفسه، ص٢٣٩.
١٠. بشير ناظر حميد، التحليل السوسيولوجي للأزمة دراسة تحليلية للأزمة الطائفية في مدينة بغداد، أطروحة دكتوراه، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ٢٠١٢، ص٤٩.

أدَبُ الإباءِ في الخطابِ الحُسينيّ

Quixotism Literature in the Husseinist Discourse

أ.م.د. عبّاس عليّ الفحّام

جامعة الكوفة/ كلية التربية الأساسية/ قسم الفقه وأصوله

Asst. Prof. Dr. `Abbas Ali Al-Faham, Department of Theology and its Principles, College of Basic Education, University of Kufa

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين وأتم الصلاة والتسليم على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله الطاهرين وبعد ،

فقد سرني أن أشارك في المؤتمر العلمي حول الإمام الثائر الحسين عليه السلام على وفق المحاور العلمية المثبتة على كراس المؤتمر . وقد اخترت جانبا حيويا من جوانب هذه الشخصية العظيمة وهو الإباء لأدرسه دراسة أدبية في خطابه الذي شمل سيرته الجهادية الشريفة، لذلك استوى عنوان البحث (أدب الإباء في الخطاب الحسيني) ، وتضمنت الدراسة أشكال هذا الخطاب الأبي ومحدداته على النحو الآتي :

الأول: درس (أدب الإيجاز) .

الثاني: درس (صور استقبال الموت) .

الثالث: فصّل الكلام في (لغة المقارنة) .

الرابع: وقف على (حماسة الشاهد الشعري).

ولكلّ هذه الأشكال وقفاتٌ تفصيلية مختلفة كان فيها البحث يميل إلى التحليل الأدبي والفني مقتنصين الصورة البلاغية الفريدة والعبارة الحماسية المبتكرة ، ومستعينين بجملة عريضة من المصادر المعرفية المختلفة كالأدبية والتاريخية والنقدية . وانتهى البحث بمجموعة من النتائج المحددة بنقاط تمثلتْ بأهم ما وصلت إليه الدراسة التي عسى أن تكون وُفِّقتْفي الإتيان بما هو نافع وجديد في مجال خدمة العلم وطلابه، والله تعالى وليّ التوفيق .

Abstract

Thanks be to the Evolver of the universe and peace be upon the master of the messengers and his immaculate progeny

It is of importance for researchers to tackle such a viewpoint ، quixotism literature in the Husseinist Discourse ، in light of certain steps : first، economy literature ، second ، images of holding death، third، speech acts in the comparison language ، fourth، pondering over the poetic enthusiasm . Such steps manipulate certain images in the Husseinist discourse in light of explication and depend main upon various critical، historical and eloquent sources ، then the paper concludes with the meant results and findings.

محور البحث

أشكال أدب الإباء

الإمام الحسين عليه السلام هو سيدُ أهلِ الإباء الذي علّم الناس الحمية والموت تحت ظلال السيوف اختيارا له على الدنيّة كما قال ابن أبي الحديد ((سمعت النقيب أبا زيد يحيى بن زيد العلوي البصري يقول : كأنّ أبيات أبي تمام في محمد بن حُميد الطائي ما قيلتْ إلا في الحسين عليه السلام : (من الطويل)

وقد كان فوتُ الموت سهلا فرده إليها لحفاظ المر والخلقُ الوعرُ
ونفسٍ تعافُ الضيم حتى كأنه هو الكفرُ يوم الروع أو دونه الكفرُ
فأثبتَ في مستنقع الموت رجلَه وقال لها : من تحت أخمصكِ الحشرُ
تردّى ثياب الموت حُمرا فما أتى لها الليلُ إلّا وهْي من سُندسٍ خُضرُ))[1]

ولأدب الإباء في الخطاب الحسيني أشكال مختلفة التمَسَتْها الدراسة بما يأتي :

أولا: أدب الإيجاز

ولأدب الإباء أثره في فن الإيجاز، فهو يوجز شكل العبارة ويستبطن معاني هائلة، استعمله الحسين عليه السلام في كثير من مواقفه الحماسية التي يمكن تبيانها في المواقف الآتية :

الفتح:

كتب الحسين عليه السلام إلى بني هاشم كتابا في غاية التكثيف للعبارة وفي منتهى السعة للمعاني وذلك حين توجه إلى العراق جاء فيه: ((فإنّه من لحق بي منكم استُشهد، ومن تخلّف عنّي لم يبلغ الفتح))[2] . بهذا الاختصار أوجز الحسين عليه السلام قصة فدائه وفلسفة خروجه على الظلمة واستشرافه للمستقبل وللخلود الذي سماه (الفتح) .

الإصلاح :

أبان الحسين عليه السلام- فيلسوف التضحية – بكل وضوح عن غايته من مسيرته الثورية التصحيحية في أكثر من مرة وفي أكثر من موضع ، فمن كتاب له إلى أخيه محمد بن الحنفية قال : ((إني لم أخرج أشرا ولا بطرا ،ولا ظالما، ولا مفسدا، وإنما خرجتُ لطلب الإصلاح في أمة جدي))[3] ، وقد تكرر مثل هذا الوضوح والايجاز كثيرا نحو قوله : ((والله ! ليعتدن عليكما اعتدت اليهود في السبت)).[4]

وفي منطقة قريبة من الكوفة تسمى بذي حسم قام الحسين عليه السلام خطيبا في الناس موضحا أهداف ثورته بعبارات موجزة ومكثفة اختصرت معاني الحياة والثورة على الباطل ((..وإن الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها .. ولم يبقَ منها إلا صُبابة كصُبابة الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل ، ألا ترون أن الحق لا يعمل به، وأن الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله محقا)).[5]فهي المعركة الأزلية في الحياة الدنيا بين الحق والباطل ، وليس ثمة خيار للمؤمنين إلا ابتغاء الحق ولقاء الله تعالى به . ومن اللافت للانتباه أن هذه الخطبة تكاد تكون نسخة مكررة من خطب أبيه الإمام علي عليه السلام في التحذير من الركون إلى الدنيا ، ، وهي قوله عليه السلام: ((إلا وإنّ الدنيا قد ولَّتْ حذّاء فلم يبقَ منها إلاّ صُبابةٌ

كصُبابة الإناءِ اصطبّها صابُّها))[٦]، وقوله : ((أَلا وإنّ الدُّنيا قد تصرّمتْ وآذنَتْ بِوَداعٍ وتَنكَّرَ معروفُها فأدْبَرتْ حذّاءَ))[٧]. والصُّبابة وهي ما تبقّى في الإناء[٨] استُعيرت لتبيان بقيتها القليلة ، وليس كالتشبيه بالحسّ في (صبابة الإناء) أصلح لبيان مقدار تلك القِلّة، فما تبقّى من الدنيا قليلٌ مثلُ عدمه ولهذا يُشعر بشيء من التهكم والتحقير بقوله ((اصطبها صابها)) وهي بمثابة قولهم (تركها تاركها)[٩].ولا ريب في أن الحسين عليه السلام كان قد حفظ كلمات أبيه وجرت على لسانه، وكثيرا ما كان الأئمة الطاهرون يطيب لهم تكرار كلمات أمير المؤمنين عليه السلام وترديد عباراته كما فعل الإمام زين العابدين وهو يواري جسد أبيه الحسين عليه السلام الثرى قائلا : ((أمّا حزنيَ فسرمدُ ، وأما ليلي فمسهَّد))[١٠]. وتلك كلمات أمير المؤمنين عليه السلام راثياً زوجه فاطمة الزهراء عليها السلام وهو يواريها الثرى ، وما أشبه الحالين !

هيهات منا الذلة:

إنّ هذا الشعار الذي رفعه الحسين عليه السلام في إباء الذل وإيثار الموت لا يمكن عده لزمن دون زمن إنه يسري من مفاصل مستقبل الإنسان سريان الدم في الشرايين ، تصلح في كل زمان وتتخذ لغة لكل إنسان حر يناضل من أجل قضية يؤمن بها ، ولعل ذلك من بعض أسرار الحياة للثورة الحسينية وهذا الفكر الوقاد الذي أحسن مخاطبة الإنسان وعرف لغاتها كلها ، قال الحسين عليه السلام : ((ألا إن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين، بين السلة والذلة، وهيهات منا الذلة ، يأبى الله ذلك لنا ورسوله، وجدود طابت، وحجور طهرت، وأنوف حمية، ونفوس أبية ، من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام، ألا إني زاحف بهذه الأسرة معقلة العدد، وخذلة الناصر))[١١] .لذلك أعلنها الإمام صرخة مدوية(هيهات منا الذلة)، لأنّ مسألة الاستكانة بالوضع المنحرف القائم يومذاك يعني بالنسبة للحسين عليه السلام ذلا لا يمكن له الإقرار عليه لذلك أعلنها صراحة وهو في المدينة حين طلب إليه بيعة ليزيد بن معاوية (إن مثلي لا يبايع مثله) ، لا حين خير بين اثنتين القتل أو المبايعة التي سماها الذلة فضل الأولى معللا بأسباب معروفة لا تسمح بغير خيار الإباء فقال مباشرة على سبيل تواصل الكلام (وهيهات منا الذلة) وعدد منها :

أولا : أنها قضية شرعية ، إذ كيف لمسلم – فضلا عن الإمام الحسين ومنزلته بين المسلمين – مبايعة رجل معروف بخلاعته وخروجه العلني على قوانين السماء والشريعة من اللهو الماجن وشرب الخمر واللعب بالقرود وإتيان المحرمات .

الثاني: الطبيعة الاجتماعية المعروفة لهذه الأسرة الهاشمية المحمدية من الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة التي عبر عنها الإمام بـ (جدود طابت وحجور طهرت ..) وأطلق عليها مختلف الصفات الأبية من الأنوف الحمية والنفوس الأبية وكلها من كنايات العز والشرف التي تأبى الذل والانقياد الأعمى للباطل وتفضل عليه الموت .ومن هنا أعقب هذه الإباء بما يعزز مكانة هذه الأسرة فقال معلنا أنه زاحف بها للتغيير ولا أدري هل فهم الناس وقتها بعد معنى كلامه هذا، لأن العربي من طبيعته وقت الحرب أن يصون عرضه ولا يعرضه لأخطار الحرب والسبي ، بينما الحسين عليه السلام يعلن أنه سيزحف إشعارا ببدء حربه السلمية بدلالة لفظ (الأسرة) وأي أسرة إنها أسرة آل محمد وحرمه الذين أذهب الله تعالى عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا .وما أشبه هذا الكلام بلغة أبيه عليه السلام في قوله : ((إن امرأ أمكن عدوا من نفسه، يعرق لحمه، ويفري جلده، ويهشم عظمه، لعظيم عجزه، ضعيف ما ضمت عليه جوانح صدره ،فكن أنت ذاك إن شئت ،فأما أنا فدون أن أعطي ذلك ضرب بالمشرفية تطير منه فراش الهام، وتطيح السواعد والأقدام))[١٢] .ولا غرابة فكلاهما– الوالد والولد – يستقي من نبع الإباء ذاته .

ثانيا: صور استقبال الموت

استقبل الإمام الحسين عليه السلام الموت بهمة عالية ورسم صوره بلغة منفعلة ومتحمسة تختلف عما أثر من الموروث الأدبي العربي عن الصور المنفرة عن الموت.إنّ لغة التشويق وحرارة الانتظار للموت مثيرة لافتة في أدب الإباء عند الإمام الحسين ، وهي تستدعي إدامة النظر، إذ ليس معهودا توصيف الموت بلغة القلادة والفتاة والوله والاشتياق ، وهي ليست من أجل الموت حتما، بل لأن الأخير السبيل الموصل إلى لقاء الله عز وجل أولا ، ولقاء أحبائه من آبائه، كجده الرسول الأعظم وأبيه وأمه وأخيه عليهم السلام وكل الأنبياء والصالحين ، وبهذا البصر النافذ نظر الحسين عليه السلام إلى إقباله على الموت، بوابة عظيمة من بوابات العبور إلى الفوز بالشهادة ورضوان الله تعالى وإحياء دين المصطفى صلى الله عليه وآله ورفض الظلم والطغيان ، لذلك كانت تعبيراته ناظرة إلى أبعد من زمانه الذي عاشه، إلى العصور كلها، وكأنه يعلم أنه سيكون شعار الأحرار وطالبي الحرية ورافضي الظلم عبر المستقبل الإنساني ، فالتمس لأفكاره زيادة على ما ورث من آبائه من قيم البطولة والشهادة كلمات تستعمل في معاني الحب والاشتياق وقلما تستعمل في صور الموت ، في ظاهرة تستحق من الباحثين الوقوف عليها مليا لاستجلاء خباياها وخفاياها ، أقلها روعة استبساله في الإيمان بفكرته والتضحية دونها ورؤيته للفوز الحقيقي المستقبلي، على الرغم من يقينه بخسارته العسكرية الآنية ، بعبارة ثانية قدم الحسين عليه السلام معنى جديدا للانتصارات والانكسارات في الحروب لا يمكن تبيانه إلا بالنظر الفاحص إلى قصته وعمق كلماته. ويمكن تلمس بعض الوقفات :

السعادة :

قال الحسين عليه السلام في مكة حين عزم على بدء الإعلان عن ثورته والمسير إلى العراق : ((لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برما))[١٣] .بهذا الحصر والقصر بأسلوب النفي والاستثناء ، ينفي رؤيته للموت بغير رؤية الفرح والسعادة ، والحياة مع الظلم والطغيان سوى الضجر والبرم . إن ذلك الموت الذي يقضي على الأنفاس ويقطع الآمال وبكل ما يحمل من معاني التعلق بالحياة لا يعني للإمام سوى السعادة ، سعادة لا يبصرها غيره ، لأنها تتعلق بقيم غالية اختير لإحيائها وإن كان الثمن غاليا بقيمة دم الحسين وأبنائه وصحبه إلا أن الغاية أغلى وأثمن إنها إحياء الدين الإسلامي وسنة الرسول صلى الله عليه وآله ، نعم إن ثمن دماء الحسين غال وخسارته بهذه الطريقة عزيزة نعم هي كل تلك المعاني التي نحيي من أجلها ذكراه على مدى القرون الماضية غير أن الهدف الأسمى يستحق ذلك ، فالأمة التي استساغت لنفسها هذا الركون وهي ترى وتسمع كيف تسعى السلطة الأموية علنا لتشويه صورة الإسلام وتغيير شكله ومضمونه – أقول – إن الأمة لا يوقظ نومتها غير هذا الثمن العظيم ولا ينبهها من نومتها سوى صيحات الحسين عليه السلام (ألا هل من ناصر ينصرنا) و(انسبوني معرفة من أنا) وغير صراخات أطفاله العطشى وسبي نسائه الثكلى كأسارى الديلم والروم .لكل ذلك سميى الحسين عليه السلام موته سعادة، لأنه حقق اختيارا إلهيا لهذه المهمة العظيمة، ولأنه أنجز واجبا نيط به، ونبأه بتفاصيله وفداحته جده العظيم وأبوه البطل صلوات الله عليهما وعلى آلهما .

القلادة والوَلَه :

يتداعى إلى الذهن حين تطلق لفظة (القلادة) منظر الفتاة ومعاني النعومة والانشداد إلى الحياة وملذاتها ، غير أنها هذه المرة تخالف المخزون الذهني بقلب صورتها على وفق فلسفة الحسين عليه السلام ، فقد قال عليه السلام في خطبته ذاتها التي عزم فيها على التوجه إلى العراق الذي هو رمز معارضة الطغيان على الرغم مما يقال عنه من غدر للحسين عليه السلام: ((

الحمد لله وما شاء الله ، ولا قوة إلا بالله ، خُطّ الموتُ على وِلْدِ آدمَ مخطَّ القلادة على جيد الفتاة ، وما أوْلَهَني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف)).[١٤] لا أذكر أحدا قدّم للموت صورةً جميلة في الظاهر سوى هذه الصورة التي تحمل فكرا عظيما بعظمتها ، فالإمام يريد أن للموت أثرا على المرء لابد منه وهو لصيق به ،و لا يمكن نزعه عنه ، وعقد له شبها يخالف ما أثر من الصورة المأثورة المنفرة عن الموت وذكر سماعه بالنسبة لغير الحسين وآل الحسين عليهم السلام ، صورة أثر خط قلادة الفتاة المطوق لجيدها ، وفي إيحاء الطوق المستبطن في معنى القلادة ما يشير إلى حتمية انقياد المرء إلى الموت، والانقياد يتم في العادة من الرقبة إمعانا في رسم صورة الاستسلام ،على الرغم من أن ظاهر الصورة قلادة وفتاة ، ويبدو أن اختيار الفتاة دون غيرها لولعها بديمومة لبس الحلي ديمومة تستبين معه آثار الطوق أكثر . إن تقديم هذه المعاني باستعمال الفعل المبني للمجهول (خط) يشير أيضا إلى تلك الحتمية ، إذ إن التصريح بالفاعل هنا لا مبرر له لأنه معلوم لدى السامع وظاهر وهو الله تعالى ، وطالما أنه حتمي قدر على كل ولد ابن آدم بأجناسهم وأديانهم المختلفة ، وهو هنا يعني تلك المعاني لأنه لم يستعمل بدلها لفظة (المسلمين أو المؤمنين) بل (ولد آدم) على جهة العموم .أقول طالما أنه كذلك فما أشوق الإمام عليه السلام للالتحاق بآبائه مشبها ولهه هذا باشتياق يعقوب النبي لولده يوسف عليهما السلام ، في كناية واضحة إلى تطلعه إلى الفوز بالشهادة في سبيل الله تعالى .وهي من قوله تعالى حكاية عن يعقوب : ((وتولّى عنهم وقالَ يأسفى على يوسفَ وابيضّتْ عيناه من الحزنِ فهو كظيم، قالوا تالله تفتؤا تذكرُ يوسفَ حتى تكونَ حَرَضا أو تكونَ من الهالكين، قال إنّما أشكو بثّي وحزني إلى الله وأعلمُ من الله ما لا تعلمون))[١٥].

إن عبارات الإمام الحسين عليه السلام وما تحمل من ألفاظ الوله والسعادة والاشتياق لا تدل إلا على عشق حقيقي عميق لاغتنام فرصة الشهادة التي أولها الموت وآخرها لقاء الأحباب الماضين وغايتها نيل الفوز برضوان الله تعالى.

العسل :

كان الامام الحسين عليه السلام في غاية الصراحة والواقعية مع أصحابه وأهل بيته في مواقفه كلها، فقد دعاهم غير مرة إلى الاختيار بين الرحيل أو البقاء إن شاؤا، وفي ليلة الواقعة قال لهم: ((يا قوم ! إني في غد أقتل وتقتلون كلكم معي ولا يبقى منكم واحد . فقالوا : الحمد لله الذي أكرمنا بنصرك وشرفنا بالقتل معك ، أو لا ترضى أن نكون معك في درجتك يا ابن رسول الله ؟ ! فقال (عليه السلام): جزاكم الله خيرا . ودعا لهم بخير، فأصبح وقتل وقتلوا معه أجمعون. فقال له القاسم بن الحسن (عليه السلام): وأنا فيمن يقتل؟ فأشفق عليه فقال له: يا بني ! كيف الموت عندك ؟ قال: يا عم ! أحلى من العسل ! فقال (عليه السلام): إي والله ! فداك عمك ، إنك لأحد من يقتل من الرجال معي بعد أن تبلي ببلاء عظيم))[١٦]، ومحل الشاهد قول القاسم ابن أخيه الحسن عليه السلام وتأييده له (أحلى من العسل) بهذه السهولة من التعبير عن الموت وبهذه الثقة العظيمة بالله تعالى. وكأن هذه الروح التواقة إلى ذلك اللقاء الإلهي انتقلت بفعل العشق الحسيني إلى جميع أهل بيته وأصحابه الصغار منهم والكبار الرجال فيهم والنساء لأن في قصص كربلاء من تلك الصور ما يعجز عنه وصفه البيان ويقصر دون حده اللسان.

الحق :

وللموت معنى آخر في فكرالامام أبي عبد الله الحسين عليه السلام هو (الحق) ، ومن أجل إحقاق الحق ترخص النفوس، ففي حوارية بينه وبنين ولده علي الأكبر في منطقة قريبة من ضواحي الكوفة تسمى (قصر بني مقاتل) ورد عن

الإمام زين العابدين أنه : ((لما كان في آخر الليل أمر الحسين بالاستقاء من الماء ، ثم أمرنا بالرحيل ، ففعلنا ، قال : فلما ارتحلنا من قصر بني مقاتل ، وسرنا ساعة خفق الحسين برأسه خفقة ثم انتبه وهو يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، والحمد لله رب العالمين. ففعل ذلك مرتين أو ثلاثا ، فأقبل إليه ابنه علي بن الحسين على فرس له فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، والحمد لله رب العالمين ، يا أبت ! جعلت فداك مم حمدت الله واسترجعت ؟ قال : يا بني ! إني خفقت برأسي خفقة فعن لي فارس على فرس، فقال : القوم يسيرون والمنايا تسري إليهم ، فعلمت أنها أنفسنا نعيت إلينا ، قال له : يا أبت ! لا أراك الله سوءا، ألسنا على الحق ؟ قال : بلى والذي إليه مرجع العباد . قال : يا أبت ! إذا لا نبالي ، نموت محقين . فقال له [الامام الحسين (عليه السلام)] : جزاك الله من ولد خير ما جزى ولدا عن والده)).[١٧]، ولاشك في أن هذه الصور البطولية تنقل لنا عظمة هذه النفوس وسر الله تعالى في اختيارها في قرابين التضحية لأجل التغيير وهز العالم الإسلامي لينتفض من جديد .فهي شخوص قالت وفعلت، بل إنها حين قالت فعلت أكثر مما قالت .

ثالثا: لغة المقارنة

إنّ لغة المقارنة التي أعني بها هي لغة الأقدار المتضادة وليست لغة الأنداد والأكفاء، فهذا التسلسل التاريخي من الأجداد إلى الأحفاد في تقابل الأضداد مثير للسخرية والأسى على حد سواء ، فمحمد العظيم صلى الله عليه وآله قابله أبو سفيان، ثم الإمام علي عليه السلام وقف له معاوية بن أبي سفيان ، ثم شاء الله أن يقابل التاريخ عظمة الإمام الحسين عليه السلام شخصا ضئيلا مثل يزيد بن معاوية . وإذا كان الإمام علي (عليه السلام) قد عبر في واحدة من مناسبات صراعه المرير مع الباطل بقوله : ((أنزلني الدهر حتى قيل معاوية وعلي))[١٨] فانه عليه السلام لا يذكره كندّ، بل كنقيضٍ له في النبل والخلق والإنسانية)). وفي هذا الشأن يذكر أن معاوية وضع نفسه ندًا لعلي في المكانة الاجتماعية والسلطوية ففنّدها الإمام بأروع مقالٍ في رسالة جوابية له: ((وَ أَمَّا قَوْلُكَ إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ، فَكَذَلِكَ نَحْنُ وَ لَكِنْ لَيْسَ أُمَيَّةُ كَهَاشِمٍ، وَ لَا حَرْبٌ كَعَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَ لَا أَبُو سُفْيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ، وَ لَا الْمُهَاجِرُ كَالطَّلِيقِ وَ لَا الصَّرِيحُ كَاللَّصِيقِ، وَ لَا الْمُحِقُّ كَالْمُبْطِلِ وَ لَا الْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغِلِ))[١٩]. فألفاظ (المهاجر والصريح والمحق والمؤمن) كنايات استعملها الإمام عن اسمه بينما كنى في مقابلها عن معاوية بـ (الطليق واللصيق والمبطل والمدغل). ولا شك في أن الإمام قصد من وراء كناياته التعريض بخصمه أولا ثم بيان مكانته والتذكير بها ثانيا ، لذلك أطال بكناياته في تقابل دلالي بينما لم يقف على السابقين طويلا بأكثر من تقابل صريح لأن غرضه من ذلك الوصول إلى بيان حاله ومقارنتها بحال خصمه. ومن هنا جعل أمية مقابل هاشم ((وكان الترتيب يقتضي أن يجعل هاشما بإزاء عبد شمس لأنه أخوه في قعدد[٢٠]، وكلاهما ولد عبد مناف لصلبه، وأن يكون أمية بإزاء عبد المطلب ، وأن يكون حرب بإزاء أبي طالب ، وأن يكون أبو سفيان بإزاء أمير المؤمنين عليه السلام ، لأن كل واحد من هؤلاء في قعدد صاحبه ، إلا أن أمير المؤمنين عليه السلام لما كان في صفين بإزاء معاوية اضطر إلى أن جعل هاشما بإزاء أمية بن عبد شمس))[٢١] . وإنما لم يصرح الإمام بقوله مثلا ((ولا أنا كأنت)) ترفعا عن أن يقيس نفسه بمعاوية بل قبيح به أن يقولها مع أحد من المسلمين كافة، كما لا يقال السيف أمضى من العصا [٢٢]. واسترسال الإمام عليه السلام في هذه الكنايات بسبب ادعاء معاوية في الرسالة التي بعث بها إليه في أنهما متساويان في المنزلة على أساس أن كليهما من بني عبد مناف [٢٣]، لذلك حين أقره الإمام فصل في شرف الآباء منهما حتى إذا وصل إلى نفسه معاوية أطال لأجل التعريض . فقوله (الطليق) كونه من طلقاء النبي يوم فتح مكة، وقوله (اللصيق) كونه مدخولا في نسبه أو مشكوكاً في إيمانه ، وقوله (المبطل) بادعائه ما ليس له بأهل من الخلافة وغيرها، وقوله (المدغل) كونه ممن عرف بنفاقه وترصده للإسلام ورموزه.[٢٤]

وشاء الله أن يتكرر هذا المشهد عند الامام الحسين عليه السلام، وبدأ حين استُدعي إلى حاكم المدينة الوليد بن عتبة ((فوجد عنده مروان بن الحكم فنعى إليه الوليد معاوية فاسترجع الحسين ثم قرأ عليه كتاب يزيد وما أمره فيه من أخذ البيعة منه له ، فقال الحسين عليه السلام : إني لا أراك تقنع ببيعتي ليزيد سراً حتى أبايعه جهراً فيعرف ذلك الناس ، فقال له الوليد : أجل فقال الحسين : فتصبح وترى رأيك في ذلك ، فقال له الوليد : انصرف على اسم الله تعالى حتى تأتينا مع جماعة الناس . فقال له مروان : والله لئن فارقك الحسين الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبدا حتى تكثر القتلى بينكم وبينه احبس الرجل ولا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه ، فوثب الحسين عليه السلام عند ذلك وقال : أنت يا ابن الزرقاء تقتلني أم هو ؟ كذبت والله وأثمت ... ثم أقبل على الوليد فقال : أيها الأمير ! إنا أهل بيت النبوة ، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة ، وبنا فتح الله ، وبنا ختم الله ، ويزيد رجل فاسق شارب الخمر، قاتل النفس المحرمة ، معلن بالفسق ، ومثلي لا يبايع مثله ، ولكن نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون ، أينا أحق بالبيعة والخلافة ، ثم خرج عليه السلام))[٢٥].

بهذه النفس الكبيرة أجاب الحسين عليه السلام وبهذه اللغة الحادة الصريحة التي لامجال فيها للمقارنة (مثلي لا يبايع مثله).

ومثل هذه اللغة قوله عليه السلام في خطبته حين عزم على الخروج إلى العراق: ((ألا وإنّ الدعيّ بن الدعيَّ قد ركز بين اثنتين: السِّلة [٢٦]والذلة، وهيهات منا الذلة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت ونفوس أبية وأنوف حمية من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام ..)) [٢٧]. عقد الإمام لأسباب هذا الإباء صورتين متقابلتين : الأولى: صورة الدعي ابن الدعي ويعني به عبيد الله بن زياد ، وهو دعي لأنه مطعون النسب ، فأبوه زياد – الملقب بابن أبيه – قد أغراه معاوية أن يلحقه بأبيه أبي سفيان شريطة الالتحاق باتباعه ، ولذلك هو دعي وابن دعي . أو لأنه يدعي ما ليس له من الإمرة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحجة قتال الحسين بعده خارجا على بيعة الخليفة يزيد الفاسق والخارج على سنن الإنسانية فضلا عن الإسلامية ، والأول هو الأرجح .

الصورة الثانية : صورة نفسه وأهله التي صرح بإبائها للذلة وأخذ الدنية ، موضحا عزة المحتد وطيب الأرومة من الآباء الطيبين والأمهات الطاهرات اللواتي كنى عنهن بـ (حجور طابت) معرضا في الوقت ذاته بإيحاء خفي بالصورة المقابلة له حين ذكره بلفظ الدعي. لا مجال – إذن – للمقارنة بين الكرام واللئام.

رابعا : حماسة الشاهد الشعري

من الطبيعي أن يرتبط انتقاء الشعر بسمو النفس ورفعة توجهاتها وطموحها الكبير، ولذا ارتبط الشاهد الشعري في خطاب الإمام الحسين عليه السلام بالحكمة والشجاعة والنصح والإيثار بلغة شاعرة منفعلة فرضها الموقف واستوجبتها الهمة العالية، فهو نفس أبيه بين جنبيه دائما ، فقد رُوي أنه لمّا ورد خبر مسلم وهاني ارتجّ الموضع بالنوح والعويل والدموع فقال عليه السلام متمثلا[٢٨] : (من الطويل)

لئِنْ كانت الدنيا تعد نفيسةً ... فإن ثواب الله أعلى وأنبلُ
وإنْ كانتِ الأبدانُ للقتل أُنشئتْ ... فموتُ الفتى في الله أولى وأفضلُ
وإنْ كانت الأرزاقُ قسماً مُقدَّرا ... فقلةُ حرصِ المرءِ في الَكسبِ أجملُ
وإنْ كانتِ الأموالُ للتركِ جمعُها ... فما بالُ متروكٍ به المرءُ يبخلُ

وتُروى هذه الأبيات لأبيه علي عليه السلام ، وقيل هي من إنشاء الامام الحسين عليه السلام[٢٩].

ومن تمثُّله بشعر الحماسة والانفعال لفروة المرادي قوله من خطبة له عليه السلام: ((.. ألا وإني زاحف بهذه الأسرة مع

قلة العدد وكثرة العدو وخذلة الناصر : (من الوافر)

فإنْ نُهزمْ فهزّامون قدمًا وإنْ نُغلبْ فغيرُ مُغلَّبينا
وما إنْ طبَّنا جُبنٌ ولكنْ منايانا ودولةُ آخرينا
إذا ما الموت يرفع عن أناس كلاكله أناخ بآخرينا
فأفنى ذلكم سروات قوم كما أفنى القرون الأولينا
فلو خلد الملوك إذا خلدنا ولو بقي الكرام إذا بقينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

ومن هذه اللغة المتحمسة تمثله بهذه الأبيات وهو يعالج سيفه ويصلحه ليلة استشهاده عليه السلام: (من الرجز)

يا دهرُ أفٍّ لك من خليلِ كم لك بالإشراق والأصيلِ
من صاحبٍ أو طالبٍ قتيلِ والدهرُ لا يقنعُ بالبديلِ
وإنما الأمرُ إلى الجليلِ وكلُّ حيٍ سالكِ السبيلِ

قال الإمام زين العابدين وقد كانت عنده عمته زينب عليها السلام تمرضه : ((فأعادها مرتين ، أو ثلاثا حتى فهمتها فعرفت ما أراد ، فخنقتني عبرتي ، فرددت دمعي ولزمت السكوت ، فعلمت أن البلاء قد نزل . فأما عمتي فإنها سمعت ما سمعت – وهي امرأة ، وفي النساء الرقة والجزع – فلم تملك نفسها أن وثبت تجر ثوبها – وإنها لحاسرة – حتى انتهت إليه، فقالت : واثكلاه ! ليت الموت أعدمني الحياة ! اليوم ماتت فاطمة أمي ، وعلي أبي ، وحسن أخي ، يا خليفة الماضي وثمال الباقي ! فنظر إليها الحسين (عليه السلام) فقال : يا أخية ! لا يذهبن بحلمك الشيطان . قالت : بأبي أنت وأمي ، يا أبا عبد الله ! أستقتلت ؟ نفسي فداك . فرد غصته وترقرقت عيناه وقال : لو ترك القطا ليلا لنام ! قالت : يا ويلتي ! أفتغصب نفسك اغتصابا ؟ ! فذلك أقرح لقلبي وأشد على نفسي ! ولطمت وجهها ، وأهوت إلى جيبها وشقته وخرت مغشيا عليها ! فقام إليها الحسين (عليه السلام) ، فصب على وجهها الماء وقال لها : يا أخية ! اتقي الله وتعزي بعزاء الله ، واعلمي أن أهل الأرض يموتون ، وأن أهل السماء لا يبقون ، وأن كل شيء هالك إلا وجه الله الذي خلق الأرض بقدرته ، ويبعث الخلق فيعودون ، وهو فرد وحده ، أبي خير مني ، وأمي خير مني ، وأخي خير مني ، ولي ولهم ولكل مسلم برسول الله أسوة . فعزاها بهذا ونحوه ، وقال لها : يا أخية ! إني أقسم عليك فأبري قسمي ، لا تشقي علي جيبا ، ولا تخمشي علي وجها ، ولا تدعي علي بالويل والثبور إذا أنا هلكت . ثم جاء بها حتى أجلسها عندي))[٣٠] .إن هذا النعي التفصيلي المبكر من الحسين لنفسه يعجز عن صفته البيان حقا ، ولا مثيل له في تاريخنا غير الحسين عليه السلام نفسه، لأنه تنظير وتطبيق في الوقت نفسه، نعم، توجد له شواهد من آبائه عليهم السلام وهي لا ريب عظيمة ، إلا أن الله دفعها عن أصحابها كما قدمنا بفداء إسماعيل بذبح عظيم، وكما دفع الله تعالى عن فداء الإمام علي عليه السلام بنفسه للنبي صلى الله عليه وآله يوم نام في فراشه .ومن هنا تبدو حرارة مصيبة الحسين ووقع شدتها على النفوس على مر التاريخ.

ومما تمثل به الإمام الحسين من شعر الحماسة ما ذكره أبو مخنف في هذا الحوار حين ساير الحر الإمام فقال ((يا حسين إني أذكرك الله في نفسك فإني أشهد لئن قاتلت لتقتلن، ولئن قوتلت لتهلكن فيما أرى، فقال له الحسين : أفبالموت تخوفني؟ وهل يعدو بكم الخطب إن تقتلوني ، ما أدري ما أقول لك ، ولكن أقول كما قال أخو الأوس لابن عمه ولقيه وهو يريد نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له : أين تذهب ؟ فإنك مقتول فقال: (من الطويل)

سأمضي وما بالموت عارٌ على الفتى إذا ما نوى حقا وجاهد مسلما

وآسى الرجال الصالحين بنفسه وفارق مثبـورا يغش ويرغما

قال : فلما سمع ذلك منه الحرُّ تنحّى عنه وكان يسير بأصحابه في ناحية وحسين في ناحية أخرى))[٣١] . الشعر إذن كان من ضمن لغة الإمام في تصوير علو الهمة ورفعتها وإبائها.

الخاتمة

مما سبق من الدراسة التي حملت عنوان (أدب الإباء في خطاب الإمام الحسين عليه السلام) يمكن استخلاص النتائج الآتية :

١- حدد البحث أن للحسين عليه السلام أدبه الخاص به في الإبانة عن إبائه وعلو همته .

٢- تحددت أنماط أدب الإباء استنادا إلى طبيعة الخطاب الحسيني المستعمل في المواقف المختلفة من سيرة جهاده الشريف.

٣- توضحت لأدب الإباء أربعة أشكال هي: صور استقبال الموت، وحماسة الشاهد الشعري، ولغة المقارنة وأدب الايجاز).

٤- أكد البحث أحقية الإمام الحسين عليه السلام في تولي الناس وأفضليته في قيادة الأمة بالطبيعة القيادية الأبية له .

الهوامش

١. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٣/ ٢٤٩

٢. اللهوف في قتلى الطفوف، ابن طاووس : ٤١

٣. مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب: ٣/ ٢٤١، حياة الإمام الحسين ، باقر شريف القرشي: ١/ ١٢

٤. الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤/ ٣٨

٥. مقتل الحسين ، ابو مخنف : ٨٦

٦. شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد: ٢ / ٣١٨.

٧. المصدر نفسه : ٣/ ٣٣٢.

٨. ظ. لسان العرب،ابن منظور : مادة (صبب).

٩. ظ.التصوير الفني في خطب الإمام علي(ع)، عباس الفحام : ٨٩

١٠. شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد: ١٠/ ٢٥٦.

١١. : اللهوف في قتلى الطفوف ، ابن طاووس: ٥٩

١٢. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٣/ ٢٤٩ - ٢٥٠

١٣. مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب: ٣/ ٢٢٤، ترجمة الإمام الحسين، ابن عساكر : ٣١٦

١٤. كشف الغمة ، الإربلي : ٢/ ٢٣٩ ، موسوعة كلمات الإمام الحسين (ع) : ٣٩٨

١٥. يوسف : ٨٤-٨٦

١٦. الهداية الكبرى، الخصيبي : ٢٠٤ ، موسوعة كلمات الإمام الحسين (ع) : ٤٨٧

١٧. مقتل الحسين، أبو مخنف : ٩٢ ، الإرشاد، الشيخ المفيد : ٢/ ٨٢ ، تاريخ الطبري، الطبري: ٤/ ٣٠٨ ،

١٨. فرحة الغري، السيد ابن طاووس : ٧

١٩. نهج البلاغة ، الإمام علي(ع) : ٢/ ١٥١

٢٠. القعدد هو القريب الآباء في الجد الأكبر ، ظ.لسان العرب ،ابن منظور : قعد

٢١. ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة : ١٥/ ١١٨

٢٢. ظ. المصدر نفسه والصفحة .

٢٣. ظ.وقعة صفين ، ابن مزاحم : ٤٧١

٢٤. ظ. بلاغة النهج في نهج البلاغة: ١٦٩

٢٥. بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٤٤/ ٣٢٤ – ٣٢٥

٢٦. السل : انتزاعك الشئ وإخراجك إياه في رفق ، وعند السلة ، أي عند استلال السيوف

٢٧. بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٤٤/ ٣٢٤ – ٣٢٥

٢٨. مناقب آل أبي طالب ن ابن شهراشوب : ٣/ ٢٤٦

٢٩. ظ. مثير الأحزان، ابن نما الحلي : ٣٢ ، بحار الأنوار، المجلسي : ٤٥/ ٤٩

٣٠. الكامل ، ابن الأثير : ٤/ ٥٨

٣١. مقتل الحسين (ع)، أبو مخنف الأزدي: ٨٧ – ٩٢

المصادر والمراجع

ـ القرآن الكريم

١. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد ، الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان المفيد(ت٤١٣هـ).تحقيق : مؤسسة أهل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث ، دار المفيد ، الطبعة الثانية ، بيروت – لبنان ١٤١٤هـ– ١٩٩٣م .

٢. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، الشيخ محمد باقر المجلسي(ت١١١١هـ) ، مؤسسة الوفاء ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٣ .

٣. بلاغة النهج في نهج البلاغة، الدكتور عباس علي الفحام، دار الصادق ، عمان ، ٢٠١٣م.

٤. تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ) ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الخامسة ، دار المعارف – مصر ، ١٩٨٧م .

٥. شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد المدائني (ت ٦٥٦ هـ).تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء التراث العربي، القاهرة ،١٩٥٩ م .

٦. فرحة الغري، السيد ابن طاووس(ت٦٩٣هـ)، تحقيق السيد تحسين آل شبيب الموسوي، ط١، مطبعة محمد ، ١٩٩٨م.

٧. الكامل في التاريخ، ابن الأثير(ت ٦٣٠هـ) ، المطبعة : دار صادر – دار بيروت، دار صادر للطباعة والنشر ، دار بيروت للطباعة والنشر– ١٩٦٦م.

٨. لسان العرب ،جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصري(ت ٧١١هـ).دار صادر ودار بيروت ، لبنان ١٣٧٩هـ ـ ١٩٥٥م.

٩. اللهوف في قتلى الطفوف ،السيد ابن طاووس(ت٦٦٤هـ) ، ط١، ١٤١٧هـ، مطبعة مهر.

١٠. مثير الأحزان ، ابن نما الحلي(ت٦٤٥هـ) ،المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف –١٩٥٠م.

١١. مقتل الحسين (ع)،أبو مخنف الأزدي(ت ١٥٧هـ)، تعليق : حسين الغفاري،مطبعة العلمية – قم.

١٢. مناقب آل أبي طالب ، محمد بن علي بن شهر آشوب (ت٥٨٨هـ) ، مصحح من لجنة من أساتذة النجف الأشرف ، المطبعة الحيدرية ، ١٩٥٦م . مواقف الشيعة، الأحمدي الميانجي.
١٣. موسوعة كلمات الإمام الحسين ، لجنة الحديث في معهد باقر العلوم ، ط٣، ١٩٩٥.
١٤. نهج البلاغة ، محمد عبده ، مطبعة بابل – بغداد ١٩٨٤م .
١٥. نهج البلاغة ، علي بن أبي طالب عليه السلام (ت٣٦هـ) ، بجمع الشريف الرضي (ت٤٠٦هـ). تحقيق وشرح : محمد أبو الفضل ابراهيم ، بيروت – لبنان ، دار الجيل ، الطبعة الثانية ١٤١٦ هـ .
١٦. وقعة صفين . ابن مزاحم ، نصر المنقري(ت٢١٢هـ) .تحقيق وشرح:عبد السلام محمد هارون ، الطبعة الثانية ، المؤسسة العربية الحديثة ، القاهرة ١٣٨٢هـ

النهضة الحسينية ومقومات النصر القيمي

Husseinist Revivalism and Principlist Triumph Factors

الحقوقي: يوسف شفيق البيومي
ماجستير حقوق في القانون العام الجامعة الإسلامية في لبنان

Yousif Shafeeq Al-Baeomi
MA in General Law, Islamic University of Labanan

ملخص البحث

حين خلق الله سبحانه الأرض، وبرأ النسمات، وأقام السماوات، ودحا الأرض، وخلق الإنسان وجعله خليفته فيها، وسبب له الأسباب والمقومات الأساسية التي يحتاجها لكي يحيا فيها، ويمشي في مناكبها، وأراد له الكمال في كل الصعد النفسية، والتربوية، والأخلاقية، والحياتية، والصحية، والجسدية..الخ

فما كان منه عز وجل إلا أن أرسل للبشرية على مر تاريخها، الهداة المهديين، والرسل المختارين، وختم بأعظم الأنبياء والمرسلين محمد «صلى الله عليه وآله»، وجعل من يخلفه في هذه المهمة من الأوصياء المنتجبين، اثنا عشر إماماً، أو خليفة «كلهم من قريش»[1].

وإن النظر والبحث في تاريخ وسيرة النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» وأهل بيته الأطهار «عليهم السلام» لا يقاس به أي تاريخ آخر وذلك يعود إلى «حساسيته وأهميته وتأثيراته على مختلف مناحي الحياة الإنسانية أي تاريخ لأي شخص، أو أية فئة مرت في أي مجال في تاريخ البشر العام قديمه، وحديثه.

لأنه يمس جوهر الحياة الإنسانية في الصميم، ولأن نجاح البشر، وسعادتهم في حاضرهم ومستقبلهم، ومصيرهم في الدنيا والآخرة مرهون بمدى استفادتهم، وطبيعة تفاعلهم مع هذا التاريخ ..

وذلك لأن نبينا الأكرم «صلى الله عليه وآله» هو خاتم الأنبياء ووارثهم [وأوصيائه هم آخر الأوصياء]، والمسؤول عن استثمار كل جهودهم وتضحياتهم، وتحويلها إلى واقع عملي فاعلٍ، يبعث الحياة والحركة في كل فكرٍ، ومشاعرٍ، وعواطفِ الأمة. ويسهم في تكوين خصائصها الإنسانية، ويثير فيها روح الإيمان، ويجسد في واقعها القيم الأخلاقية، ويرسم كل سماتها الحية، والفاعلة في مختلف جوانب شخصيتها، ويثير الحركة والحياة والطموح في أفرادها وجماعاتها وسائر مكوناتها، وينسج علاقاتها بكل ما ومن حولها، ويحدد موقعها وأهدافها، ومسارها، ومصيرها.

ليكون ذلك وفق النهج الإسلامي القويم، وبوهج إيماني صادق، والتزام حازم وصارم، بما يفرضه هذا المسار، مع وضوح في الرؤية، وسلامة في النظرة، ووضع للأمور في نصابها الصحيح، والتعامل معها بواقعية وصدق وإخلاص»[2].

وبعد هذا كله، ففي النظر في نهضة الإمام الحسين «عليه السلام» دور لا يمكن لأحد أن ينكره، أو أن يتغاضى عنه فيما يرتبط في تأثير تلك النهضة على المجتمع الإسلامي، وما أرسته من مقومات اعتبرت أساسية في انتصار القيم.

وانطلاقاً من هنا، لا بد لأي باحث كان أراد الخوض في غمار البحث عن النصر القيمي وقبل تبيان ما هي المقومات التي ساعدت على انتصار هذه القيم، هذا **أولاً**. عليه تحديد هذه القيم التي يركن لها البشر.

ثانياً: إظهار المفاصل الأساسية والمقومات الموجودة في تلك النهضة والتي ساهمت في انتصار هذه القيم.

فلذلك، سوف ينقسم البحث الذي بين أيدي القارئ الكريم إلى قسمين:

الأول: القيم وتعريفها.

الثاني: مقومات انتصارها.

فإلى ما يلي من مطالب، متوكلين على المولى عز وجل، ومصلين على النبي وآله..

Abstract

Scrutinizing the chronicle of the prophet Mohammed and his progeny (peace be upon them) come beyond any comparison as there are certain factors giving humanity all the sense of being and success ; they are the essence of humanity ; it is of principlism to adhere them to the last since the prophet is the sealed and the inherited one . there is none denying the impact of the Husseinist revivalism on the Islamic community and the factors of the principlism triumph . Hence a research could not take the initiative in such an orbit unless he reverts into delimitation of the principles people take hold of and manifestation of the main conjectures of such revivalism : the paper is to be bifurcated into two sections، first، principles and definition، second، factors of revivalism.

القيم وتعريفها:

تُعرف لغةً بأنها جمعٌ لكلمة قيمة، وقيل: «قوام كل شيء: ما استقام به»[٣]. وقيمة الشيء أي أنه ذو المقدار، أو الثمن.

وتُعرف اصطلاحاً: بأنها مجموعة الصفات الأخلاقية، التي يتميّز فيها البشر، وتقوم الحياة الاجتماعية عليها، ويتمّ التعبير عنها باستخدام الأقوال والأفعال، وتُعرف أيضاً بأنّها مجموعة من الأخلاق الفاضلة التي اعتمدت على التربية في توجيه السلوك البشري للقيام بكل عمل، أو قول يدلّ على الخير.

ولكن السؤال الذي يمكن أن يطرح من هو القيم على كل تلك الأمور، وما هو الحاكم عليها والمرجع الذي يمكن العودة إليه في تحديد القيم الإنسانية؟!

ونجيب:

أولاً: لا يمكن لأي مخلوق كان الادعاء أن القيم التي يسير عليها، والتي تحكم سيرته هي الأفضل، وذلك لأن الناس في مبادئهم مختلفون، وفي أفكارهم يتبدلون، وفي أحكامهم يتلونون، وعقائدهم غير مستوون.. فما يراه أحدهم أنه حق وسليم قد يكون في نظر الآخرين باطل وسقيم.

من هنا فلا بد للعودة إلى نقطة مشتركة يقبلها الجميع، ومساحة التقاء يتفق عليها السامي والوضيع..

ثانياً: إن القيم الإنسانية نسبت للإنسان لأنه المخلوق العاقل الذي منحه الله ميزة الاختيار، وهو في هذه الدنيا في موقع الاختبار، فلا بد للإنسانية جمعاء بما أن القيم منسوبة لهم جميعاً أن يقفوا عند حدود تكون مقبولة لديهم دون استثناء.

ثالثاً: الإنسان بما هو إنسان فإنه يؤثر ويتأثر بشتى العوامل والأفكار، ولربما يتقلب في فهمه للأمور، وإن خلق الإنسان كان من وراءه هو الخلافة في الأرض، والتعرف على غيره، وأن يعمل لما فيه خير نفسه والآخرين على حد سواء، فمن عمل على تقويم نفسه أولاً، لا بد أن يؤثر في غيره ويشدهم إلى أعماله لو كانت صالحة، وكذلك المفسد فإنه يؤثر في من حوله سلباً وإيجاباً..

الدين القيم:

إذن وجب البحث عن تلك القيم الحاكمة التي فيها قوام الإنسان وخيره وصالحه، في هذه الدنيا، وما لها انعكاس على مصيره في الآخرة، ويوم الحساب..

ولأن الله عز وجل ما كان ليترك الناس يضربون في الأرض ضرب عشواء، فبعد أن منحهم العقل ليعقلوا به ويتفكروا، وأعطاهم الإرادة ليكونوا مختارين، أرسل لهم الأنبياء والمرسلين، والأوصياء المعصومين..

فكان وظيفة هؤلاء أن يعرفوا الناس على أفضل، وأسمى، وأرقى القيم الإنسانية، بما أنهم هم يجتمعون مع باقي البشر بإنساتيهم، إلا أنهم ميزوا عنهم بأنهم أفضل الناس خليقة، وأرقى البشر خلقاً، وهم متصلون بالله من خلال الوحي الإلهي عليهم..

وحيث أن لكل الأديان خاتمة، ولجميع الأنبياء صفوة، وفي أوصيائهم الفضلى والقدوة، كان الدين الخاتم هو الحاكم على هذه القيم الإنسانية، وفيه تمامها وكمالها..

وهذا يناسب أن يكون المراد بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٤]. هو الدين.

وهذه الآية ليست في صدد مدح الخصال الأخلاقية لرسول الله «صلى الله عليه وآله» وحسب، ولست في مقام إظهار

حسن خلقه فقط، وقد روي عن الإمام أبي جعفر «عليه السلام» في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٥].

حيث قال: هو الإسلام. وروي أيضاً، أن الخلق العظيم: الدين العظيم[٦].

وفي رواية أخرى عن أبي جعفر الباقر «عليه السلام» في تفسير الآية قال: أي على دين عظيم[٧].

وما جاء عن النبي «صلى الله عليه وآله»، من أنه قال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[٨].

فذلك مع ملاحظة حصر ما جاء به «صلى الله عليه وآله» بذلك، بواسطة كلمة إنما.

ويضاف إلى ذلك: أن ما جاء به الأنبياء السابقون هو ذلك نفسه أيضاً..

ويؤيد ما سبق الذي روي عن طريق أهل البيت عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أنه قال: «عليكم بمكارم الأخلاق فإن ربي بعثني بها.. الخ»[٩].

وخلاصة الموضوع: أن الدين الخاتم، هو أعظم القيم وأدلها إلى ما فيه خير الإنسان، والبشرية جمعاء، وإن الميل نحو التدين لهو «صاحب الدور الأساسي في حل المشكلة الاجتماعية، عن طريق تجنيد الدافع الذاتي لحساب المصلحة العامة.

وبهذا نعرف أن الدين حاجة فطرية للانسانية، لأن الفطرة ما دامت هي أساس الدوافع الذاتية التي نبعت منها المشكلة فلابد أن تكون قد جهزت بإمكانات لحل المشكلة أيضاً، لئلا يشذ الانسان عن سائر الكائنات التي زودت فطرتها جميعاً بالإمكانات التي تسوق كل كائن إلى كماله الخاص. وليست تلك الامكانات التي تملكها الفكرة الانسانية لحل المشكلة إلا غريزة التدين والاستعداد الطبيعي لربط الحياة بالدين وصوغها في إطاره العام.

فللفطرة الانسانية إذن جانبان: فهي من ناحية تملي على الانسان دوافعه الذاتية. التي تنبع منها المشكلة الاجتماعية الكبرى في حياة الانسان (مشكلة التناقض بين تلك الدوافع والمصالح الحقيقية العامة للمجتمع الانساني).

وهي من ناحية أخرى تزود الانسان بإمكانية حل المشكلة عن طريق الميل الطبيعي إلى التدين، وتحكيم الدين في الحياة بالشكل الذي يوفق بين المصالح العامة والدوافع الذاتية. وبهذا أتمت الفطرة وظيفتها في هداية الانسان إلى كماله. فلو بقت تثير المشكلة ولا تموت الطبيعة الانسانية بحلها، لكان معنى هذا أن الكائن الانساني يبقى قيد المشكلة، عاجزاً عن حلها، مسوقاً بحكم فطرته إلى شرورها ومضاعفاتها وهذا ما قرره الإسلام بكل وضوح في قوله تعالى:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ الله الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ الله ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[١٠].

فإن هذه الآية الكريمة تقرر:

أولاً: إن الدين من شؤون الفطرة الإنسانية التي فطر الناس عليها جميعاً، ولا تبديل لخلق الله.

وثانياً: إن هذا الدين الذي فطرت الإنسانية عليه ليس هو إلا الدين الحنيف، أي دين التوحيد الخالص، لأن دين التوحيد هو وحده الذي يمكن أن يؤدي وظيفة الدين الكبر، ويوجد البشرية على مقياس عملي وتنظيم اجتماعي، تحفظ فيه المصالح الاجتماعية.

وأما أديان الشرك أو الأرباب المتفرقة على حد تعبير القرآن، فهي في الحقيقة نتيجة للمشكلة فلا يمكن أن تكون علاجاً لها، لأنها كما قال يوسف لصاحبي السجن ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ الله بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾[١١].

يعني بذلك أنها وليدة الدوافع الذاتية، التي أملت على الناس أديان الشرك طبقاً لمصالحهم الشخصيّة المختلفة، لتصرّف بذلك ميلهم الطبيعي إلى الدين الحنيف تصريحاً غير طبيعي، وتحول بينهم وبين الاستجابة الصحيحة لميلهم الديني الأصيل.

وثالثاً: إن الدين الحنيف الذي فطرت الانسانية عليه يتميز بكونه ديناً قيماً على الحياة ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّم﴾[١٢]، قادراً على التحكم فيها وصياغتها في إطاره العام. وأما الدين الذي لا يتولى إمامة الحياة وتوجيهها، فهو لا يستطيع أن يستجيب استجابة كاملة للحاجة الفطرية في الانسان، إلا الدين، ولا يمكنه أن يعالج المشكلة الأساسية في حياة الإنسان»[١٣].

الحسين «عليه السلام» إمام القيم:

بعد أن وصلنا إلى النتيجة التالية، وهي:

أولاً: الدين الخاتم، وهو الإسلام، دين الله العظيم.

ثانياً: إن القائم على هذا الدين هو النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله»، لأنه صاحب الرسالة الخاتمة.

ثالثاً: إن الأوصياء الأثنا عشر «عليهم السلام» هم القائمون على هذا الدين من بعد النبي «صلى الله عليه وآله».

رابعاً: ووظيفة النبي «صلى الله عليه وآله» والأئمة «عليهم السلام» هو وضع الأطر والقيم التي يجب على الناس انتهاجها في حياتهم ليصلوا إلى كمال أنفسهم.

خامساً: إن منهجة القيم في بوتقة، أو دستور يمكن أخذه من المعصوم، وعمل فيه في كل زمان ومكان، ذلك لأن هذا النهج هو النهج الخاتم الصالح لكل الأزمنة من بعده.

سادساً: إن تلك القيم يمكن أخذها من المعصوم في حال السلم والحرب، في حال القعود أو القيام.

وبما أن الإمام الحسين «عليه السلام» هو أحد الأئمة المعصومين «عليهم السلام»، الذي يجب أن نقتدي بهم وذلك من خلال الدور الذي أعطي لهم من قبل رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولأن نهضة الإمام الحسين «عليه السلام» كان علامة فارقة في تاريخ الأمة، بكل ما فيها، فلا بد أن هذه النهضة قد خطت ووضعت نهجاً للقيم الإنسانية الصالحة لكل البشر أن يسيروا عليها، حيث أن هذا هو النصر المبين، بأن تترك ما هو مؤثراً بشكل إيجابي، ويحفر في ذاكرة الناس ذلك النهج القويم ولو تبع ذلك التضحيات الجسام، وكان نتيجة هذا النهج فقد العزيز والغالي، بل بذل نفسه الشريفة من أجل إعلاء ما يراه أنه حق.. وهذا ما يسمى باختصار: «**النصر القيمي**»..

مكانة الإمام الحسين «عليه السلام» من دين الله:

ولا بد لنا، وقبل الانتقال إلى المقومات التي جعلت القيم الإنسانية التي اسس لها الإمام الحسين «عليه السلام» تنتصر، وتبقى ما دام هذا الدنيا موجودة من خلال نهضته المباركة، أن نتكلم بإيجاز عن موقعية الإمام الحسين «عليه السلام» من دين الله العظيم، الذي جعله الله خاتم الرسالات بأكملها.

إن مقام الإمامة للإمام الحسين الشهيد «عليه السلام» ثابت وواضح ولا يمكن التغاضي عنه أو الاعتراض عليه. فقد جاء في جملة من الروايات والمصادر أدلة وبراهين لا تعد ولا تحصى، ولسنا هنا بصدد سرد جميع تلك الأدلة والوقوف عليها، لا شك أن مقام الإمامة هو المهم.

وهنا يأتي السؤال التالي: ما هو دور الإمام الحسين «عليه السلام» في ذالكم المشروع الإلهي؟!

ونقول:

إن التفكير السليم يقتضي أن تكون الإمامة هي المشروع الإلهي وفيما تكون الخلافة جزء من منصب الإمامة، حيث

أنها المشروع الإلهي الأساس والمهم. وكما وإن الإمامة لا تبطل، ولا ينتهي تأثيرها، ولا تنقضي أهدافها باغتصاب بعض صلاحياتها من صاحبها الشرعي، لذلك «فإن الإمامة ليست هي الخلافة والسلطة، بل السلطة بعض شؤون الإمام «عليه السلام». ومن شؤون الإمام الحكم بين الناس بالحق والعدل.. ومن شؤونه أيضاً مرجعيته الشرعية والفكرية في مختلف العلوم والفنون، والحكمة والأدب والمعارف، واكتناه الأسرار والغيوب التي أذن الله لخلَّص أوليائه وأصفيائه بالوقوف عليها.. ومن أجل القيام بنفس المهام التي كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقوم بها في مختلف الأحوال والمجالات. وللإمام خصائص النبي وحالاته باستثناء الوحي، وكما للإمام مقام الشاهدية، وتعرض على الإمام أعمال الخلائق. ومن شروط تقبل الأعمال الاعتقاد بالإمامة، وبه تنال الجنة، وبه النجاة من النار، وقد ورد أنه لا يدخل الجنة إلا من كان معه جواز من علي «عليه السلام»[١٤].

وضياع مقام الإمامة كما صرحت به آية: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ..﴾ يوازي ضياع الرسالة كلها، بل كل شيء في هذا الدين يبقى ناقصاً بدونها، وغير ذي فائدة أو أثر، فهي تقول: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾..»[١٥].

وعلى هذا فإن العقل والفطرة السليمة، والدليل العقلي لازم لوجود الحجة، والمعصوم، والإمام المختار من الله عز وجل ومن رسوله «صلى الله عليه وآله»، من هنا فإن الدليل العقلي والمنطقي يُخبر بالتالي:

من الثابت أن الله تعالى قد خلق هذه الخلائق لغاية معينة؟!

وذلك هو مقتضى الحكمة وإلا لكان لخلقه هذا عبثاً – والعياذ بالله – وتنزه الله عن هذا تنزيها. وقد قام سبحانه بخلق الإنسان في أطوار من التدرج، وجعل لهذا المخلوق – أي الإنسان – قابلية التكامل، وأعطاه هبة العقل الذي ميزه به عن سائر المخلوقات لكي يستطيع بواسطته أن يتكامل، غير أن العقل لا يستطيع وحيداً أن يصل إلى معرفة الحقائق بشكل دائم، فكان لا بد لهذا العقل من مرشدٍ إلهي يساعده على التكامل، ويوصله إلى الدرجة التي بمقدوره أن يصل إليها. وبالتالي لا يمكن أن يبلغها من دون واسطة، وهذه الواسطة هي: الرسول ومن بعده الوصي الإمام..

لذلك، وجب أن لا تخلو الأرض من هذا المكمّل، لئلا يضل الإنسان عن الطريق في بلوغه الغاية التي خلق لأجلها، وهذا الضلال يؤدي إلى حصول الفساد في الأرض، وشيوع الاضطراب والتنازع، والتصارع والتخاصم، وينجم عن ذلك الكوارث التي يهلك فيها الخلق، وهذا هو مصداق قوله: «لساخت الأرض بأهلها»[١٦]. وعندها نتساءل عن الغاية في هذا الخلق ترى هل هو عبثي؟!

والمعلوم لدى الجميع بأن: الله حكيم ليس في غاياته أي عبث.

ولذلك كله: فالإمام الحسين «عليه السلام» هو إمام الأمة، من هديه نستنير وبضوء إرشاداته نهتدي إلى سواء السبيل، وبكلماته الشافية نعرف الحق من الباطل، والصالح من الطالح، ومن خلال نهضته الشريفة نهتدي إلى سواء السبيل..

والإمام يظل إماماً واجب الإتباع والاقتداء به في حال نهضته إذا قام، أو قعد لمصلحة الدين قد أرتأها، وهذا ما يختصر حديث النبي «صلى الله عليه وآله» في حق الحسن والحسين حين قال: «الحسن والحسين إماما قاما أو قعدا»[١٧].

وفي نص آخر: «الحسن والحسن إماما أمتي بعد أبيهما»[١٨].

النهضة الحسينية المباركة:

حين يريد أحدنا أن يتحدث عن حركة الإمام الحسين «عليه السلام»، ونهوضه ضد الحاكم الظالم لربما يحصر فترة تلك النهضة من حين خروجه من المدينة المنورة، ومن ثم إلى مكة المكرمة، متوجهاً بعد ذلك إلى العراق إلى أن انتهى الأمر في العاشر من المحرم، باستشهاده في أرض كربلاء المقدسة..

ولعل البعض يطلق على قيام الإمام الحسين «عليه السلام» ضد الظلمة، ومن باب التسامح «الثورة الحسينية»، ولكن هذا يحتاج من الباحث إلى تدقيق أكبر، ونظر في مفاهيم الحركة الحسينية، ولا بد لمن أراد التدقيق بهذه الأمور، لكي نصل لنتيجة لا يكون فيها اجحافاً بحق الإمام الحسين «عليه السلام» وحركته المباركة..

إذن ومن هذا المنطلق تطرح بعض التساؤلات حول ما قام به الإمام الحسين «عليه السلام»، ويمكن حصر هذه التساؤلات فيما يلي:

ماذا تسمى حركة الإمام الحسين «عليه السلام»، هل هي نهضة، ثورة، أو خروج؟!

متى بدأت حركة الإمام الحسين «عليه السلام» ونهضته المباركة؟!

ونجيب:

بالنسبة للسؤال الأول:

أولاً: لا يمكن أن نطلق على حركة الإمام الحسين أنها خروج، وذلك يعود لعدة أمور، منها:

أ: الخروج يطلق على من خرج على إمام زمانه، الشرعي، المبايع له بالسمع والطاعة.

ب: إن إطلاق هذه التسمية على حركة الإمام الحسين «عليه السلام» كان من قبل المعسكر الأموي حيث ادعى ابن خلدون، وابن العربي بأن الإمام الحسين «عليه السلام»: «إن الحسين قتل بسيف جده»[١٩].

ج: وفي هذه الدعوى تبرئة ليزيد «لعنه الله» من دم الإمام الحسين «عليه السلام» حيث قالوا أن خروجه لم يكن مصلحة للدين ولا للدنيا، وقالوا أن يزيداً لم يأمر بقتله، ومن هؤلاء:

ابن حجر الهيثمي[٢٠]، ومنهم محمد كرد علي، وتقي الدين ابن الصلاح، والغزالي، وابن العربي، وابن تيمية وأمثالهم[٢١].

حيث اعتبر هؤلاء: أن من يخرج على إمام زمانه فقد اسقط ذمة الله من رقبته وأصبح «خارجي»، وبذلك تسقط حرمة دمه وماله، وأهله. وهذا كله تبرير ساقط غير حصيف، فقط ليقولوا أن خروج الإمام الحسين «عليه السلام» لم يكن له وازع ديني أو غيره..

ومن هنا، لا يصح ولا يجوز لأي أحد أن يقول أن حركة الإمام الحسين «عليه السلام» كانت خروجاً. وإلا صرنا في النطاق الذي أراده هؤلاء الحاقدين، الناصبي العداء لأهل بيت النبوة «عليهم السلام».

وهذا يفتح المجال لنقول: هل كان يزيد «لعنه الله» إماماً حقاً واجب الطاعة؟!

والجواب: بالطبع كلا، لأن في ذلك خلاف لما أقره النبي «صلى الله عليه وآله» من إمامة الحسنين «عليهما السلام» في كثير من النصوص العامة والخاصة..

ويزيد «لعنه الله» هو من أمر بقتل الإمام الحسين «عليه السلام»، بعد هلاك أبيه، وقبل أن يبايعه الناس، خصوصاً في العراق والحجاز واليمن، وقد دسوا الرجال لكي يغتالوه في أقدس مكان، وفي أشرف وأفضل الأيام، ولو كان معلقاً بأستار الكعبة، أو بضرب عنقه كما جاء في نص رسالته إلى عامله على المدينة حيث أنه أمره: «أن يأخذ البيعة من هؤلاء الأربعة [ويقصد بهم] (الحسين «عليه السلام»، وابن الزبير، وابن عمر، وابن أبي بكر) أخذاً ضيقاً، ليست فيه رخصة، فمن تأبى عليك فاضرب عنقه، وابعث إلي برأسه»[٢٢].

والإمام الحسين «عليه السلام» وغيره من الذين يعتبرون بأنهم كبار الصحابة لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهم – كما يعتقدون – أهل الحل والعقد قد رفضوا خلافته عليهم بالقوة، وهو المعروف بفسقه وجوره[٢٣].

ويكفي ما قاله النبي «صلى الله عليه وآله» في حق يزيد ونقله ابن عباس عنه «صلى الله عليه وآله»، وهو قوله: «ما لي

وليزيد، لا بارك الله في يزيد فإنه يقتل ولدي، وولد ابنتي الحسين.. الخ»[٢٤].

فهذا الحاكم لا تصح بيعته بأي شكل من الأشكال، ولا يُصالح ولا يُسالم معه، فهو معتد آثم، كان يتربص الدوائر بالإمام الحسين «عليه السلام»، ويبذل قصارى جهده لكي يوقع به «عليه السلام»..

ثانياً: ولا يمكن القبول أن حركة الإمام الحسين «عليه السلام» كانت ثورة بمعنى الصحيح للكلمة، وذلك يعود إلى عدة نقاط أهمها:

أ – إن طلب الإصلاح في أمة النبي «صلى الله عليه وآله» لا يمكن أن يكون «ثورة» حيث أن كلمة ثورة لا تليق بالإمام الحسين «عليه السلام»، وذلك لأنه لا ارتباط ديني من قريب وبعيد بين الثورة وما قام به الإمام «عليه السلام».

ب – وقد ارتأى لفيف من علمائنا الأعلام أن حركة الإمام الحسين «عليه السلام» هي «محض جهاد في سبيل الله، بالمفهوم الديني الدقيق، ولا يصح وصفها بالثورة، بل يكون إطلاق وصف الثورة عليها إهانة للإمام الحسين «عليه السلام» لا يجوز أن ترتكب في حق هذا الإمام العظيم»[٢٥].

وقد صحب الإمام الحسين «عليه السلام» في مسيره نحو العراق أهله، وعياله، وقلة قليلة من الأصحاب الذين رافقوه واستشهدوا معه في كربلاء، فهو لم يجهز عسكراً، ولم يجيش الجيوش، وكل هدفه كان أن يقوم بحركة إصلاحية جهادية فيها لله رضا ولرسوله، مضحياً بنفسه الشريفة، ولكي تتجلى حقائق الدين الحنيف، ويعمل على إظهار المعالم التي درست منه، ويقوم بترسيخ دعائم الإسلام المحمدي الأصيل في وجدان هذه الأمة وضميرها، ويكشف زيف ادعاء الظالمين ويسقط تلك الأقنعة الخداعة التي لبسها أولئك، ويضحد الباطل، ويفضح أمور الظالمين ومن يحمونه ويدعون إليه.

ج – وهناك فوارق جمة وشتى وعديدة فيما بين: «الثورة» و «الجهاد»، حيث أن «الجهاد مفهوم ديني خالص، فمن الطبيعي أن نتحدث عنه بما له من خلال نظرة الدين والإسلام له. ووفق ما له من نصوص وأحكام. ولا نتحدث عنه بمفهومه اللغوي الصرف الذي هو مجرد بذل الجهد.

ومن الجهة الأخرى، فإنه ليس للثورة مفهوم ديني يمكن الحديث عنه، أو التلويح به.

وهذا ما يميز الجهاد عن الثورة، وهو أمر مهم جداً. لأنه يكرس مجموعة من الفوارق بين الجهاد والثورة»[٢٦]. ومن تلك الفوارق التي أذكر بعضها بإيجاز:

١: الجهاد هو من صلب المفهوم الديني، أما الثورة فليست كذلك.

٢: إن الجهاد لا يمكن أن يتحقق إلا إذا كان صادراً بقصد التقرب من الله، ومن مسلم عاقل بالغ، أما الثورة قد لا تكون مشتملة على تلك الشروط، بحيث يسقط شرطاً من هذه الشروط المطلوبة في الجهاد.

٣: إن الجهاد يشترط بالهدف من وراءه أن يكون عملاً محبوباً لله عز وجل مرضياً له، وهذا الشرط قد يكون ساقطاً في مبادئ الثورات.

٤: إن الجهاد يتطلب معنى القتال في سبيل الله وتضحية في سبيل إعلاء كلمته، والذود عن حياض الإسلام، وفي الثورات قد نجد خلاف ذلك فقد يكتفى بالاعتصامات والاحتجاجات والعصيان المدني فقط.

٥: إن الجهاد في سبيل الله يجب العودة فيه إلى صاحب قرار معصوم، مؤيد من الله سبحانه، عالماً بأحكام الشرع، وفي الثورات قد يكون سببها هو الهيجان، والغضب، والتحرك العشوائي..

٦: الجهاد لا بد فيه من تأمل وتدبر وتفكر في شؤون البلاد والعباد، ومصيرها، وما سيؤول إليه حالها، ولكن هذا غير متوفر في الحركات الثورية بسبب الاندفاع والهياج الشعبي..

وهناك العديد العديد من الفورقات والتباين فيما بين «الجهاد» و «الثورة»، ومن أراد التوسع في ذلك فليراجع كتاب: سيرة الإمام الحسين «عليه السلام» في الحديث والسيرة، لمؤلفه السيد المحقق جعفر مرتضى العاملي «حفظه الله» في ج١٥ من ص١٤ إلى ص٢١، المبحث: (الحسين «عليه السلام» مجاهد أم ثائر؟!).

ثالثاً: ونصل بعد هذا كله إلى النتيجة التالية، أن حركة الإمام الحسين «عليه السلام» الإصلاحية، الجهادية، هي نهضة مباركة، وذلك يعود إلى الأسباب التالية:

أ: النهضة: هي الحركة التي تعقب السكون، وهي حركة تبدو متسمة بالسرعة والمفاجأة، وهي ليست بعيدةً عن المعنى الاصطلاحي الشائع أي «البَراحُ من الموضع والقيامُ عنه، ونهَضَ، يَنْهَضُ، نَهْضاً، ونُهوضاً، وانْتَهَضَ، أَي: قامَ»[٢٧].

وقيل النهضة ما كانت مشتملة على القوة والعزيمة والمقاومة، وهي متممة لمعنى الحركة المفاجئة السريعة، لأن أي حركة تحتاج إلى قوة وعزيمة وجلد. حيث قالوا: «ناهَضْتُه: أَي قاوَمْتُه»[٢٨]. وقالوا: «النَّهْضةُ: الطَّاقةُ والقوَّةُ»[٢٩].

وانطلاقاً من هذه التعريفات الاصطلاحية واللغوية، تكون النهضة للقيام بأي عمل يسبقه سكون عن الحركة، ولا بد من أن تكون مشتملة على قوة الموقف، وعزيمة الإرادة، ومقاومة الضلال بشتى أشكالها وأنواعه، ويمكن أن يكون النهوض قولياً، وفعلياً.

ب: النهضة الحسينية لا يمكن حصرها بواقعة كربلاء فقط، فهي ممتدة ومتواصلة من بعد شهادة الإمام الحسن المجتبى «عليه السلام»، إلى أن وصلت السلطة ليزيد «لعنه الله»، إلا أنها كانت نهضة قولية في زمن معاوية، وذلك التزاماً من الإمام الحسين «عليه السلام» ببنود المعاهدة التي تمت بين معاوية «لعنه الله» والإمام الحسن «عليه السلام».

ج: وهذا يعني أن النهضة الحسينية المباركة أخذت المنحى التصاعدي، بأن بدأت بالتصدي للمعتدي بإظهار ظلمه وعدوانه لسانياً، وقولياً من باب إلقاء الحجة، ومن ثم حينما تصاعد التعدي عليه من قبل السلطة الأموية كان مدافعاً عن نفسه وعن حقه، فهو لم يبتدأ بقتال، بل هم من أرادوا قتله بداية، فهو لم يعترف بسلطة يزيد «لعنه الله» لأن ذلك خلاف المعاهدة، بأن تتنقل الخلافة للإمام الحسين «عليه السلام» من بعد معاوية في حال لم يكن الإمام الحسن «عليه السلام» موجوداً على قيد الحياة.

وخلاصة فالنهضة الحسينية من بدايتها وحتى استشهاد الإمام الحسين «عليه السلام» كانت في مقابل كشف الظالمين على حقيقتهم وبلورة الأمور لكي تفهم الأمة ماذا ضيعت.

وبالنسبة للسؤال الثاني، نقول:

إن النهضة الحسينية المباركة وكما أسلفنا آنفاً ليست مختصة من وقت أن ترك الإمام الحسين «عليه السلام» مدينة جده «صلى الله عليه وآله»، بل من حين شهادة الإمام الحسن «عليه السلام»، وسيظهر ذلك من خلال الآتي في هذا البحث إن شاء الله.

مقومات النصر:

حسب ما وصلنا إليه فإن نهضة الإمام الحسين «عليه السلام» كانت منذ بدئه بالتصدي للسلطة الأموية المتمثلة بمعاوية بن أبي سفيان والتي انتقلت بعد هلاكه إلى يزيد «لعنه الله»، ومن بين المقومات التي أسست للنصر القيمي:

المحور الأول: إسباغ الحجة، وإثبات الدليل:

هو التصدي لهذه السلطة قولياً، إسباغاً بالحجة عليهم، فكان نفس خروجه هو لطلب الإصلاح في الأمة، بهدف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والخروج جاء محصلة لتزايد المظلومية عليه، وسعيهم الحثيث لقتله «عليه السلام». فأراد أن

يصل لقمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خلال حركة إصلاحية يكون دمه الشريف فداء لذلك الهدف السامي.

فالنصر لا بالسيف فقط بل بقوة الدليل الذي يظل محفوراً في ضمير الأمة بإظهار ضعف منطقه، وهشاشة دليله، وهذا ديدن الأنبياء والأوصياء..

روي عن موسى بن عقبة أنه قال: قيل لمعاوية: إن الناس قد رموا أبصارهم إلى الحسين «عليه السلام»، فلو قد أمرته يصعد المنبر ويخطب، فإن فيه حصراً، أو في لسانه كلالة.

فقال لهم معاوية: قد ظننا ذلك بالحسن، فلم يزل حتى عظم في أعين الناس وفضحنا.

فلم يزالوا به حتى قال للحسين: يا أبا عبد الله لو صعدت المنبر فخطبت.

فصعد الحسين «عليه السلام» على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي «صلى الله عليه وآله»، فسمع رجلاً يقول: من هذا الذي يخطب؟!

فقال الحسين «عليه السلام»:

نحن حزب الله الغالبون، وعترة رسول الله «صلى الله عليه وآله» الأقربون، وأهل بيته الطيبون، وأحد الثقلين (الذين) اللذين جعلنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» ثاني كتاب الله تبارك وتعالى، الذي فيه تفصيل كل شيء، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والمعول علينا في تفسيره، لا يبطئنا [نتظنّى] تأويله، بل نتبع حقائقه.

فأطيعونا فإن طاعتنا مفروضة، أن كانت بطاعة الله ورسوله مقرونة، قال الله عز وجل: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ﴾[٣٠].

وقال: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَ قَلِيلاً﴾[٣١].

وأحذركم الإصغاء إلى هتوف الشيطان بكم، فإنه لكم عدو مبين، فتكونوا كأوليائه الذين قال لهم: ﴿لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ، وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ، فَلَمَّا تَرَاءتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ، وَقَالَ: إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ﴾[٣٢]. فتلقون للسيوف ضرباً وللرماح ورداً، وللعمد حطماً، وللسهام غرضاً. ثم لا يقبل من نفس إيمانها ﴿لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً﴾[٣٣].

قال معاوية: حسبك يا أبا عبد الله قد بلغت[٣٤].

وفي هذه الخطبة إشارات مهمة، منها:

أولاً: الظاهر من نص الرواية أن السلطة وأتباعها يقومون بتقصي أحوال من هم حولهم، وخاصة من يرونهم أنهم مناوئين لهم، بل قل أنهم يخافون منهم، لأنهم يعلمون علم اليقين أنهم الأحق بما تحت إيديهم.

ثانياً: تحاول هذه الطبقة من الناس أن تنصب الأفخاخ للأئمة «عليهم السلام» بشتى الوسائل، فحين يوسوسون لمعاوية بأن يطلب من الإمام الحسين «عليه السلام» ظناً منهم أنه سوف يرهبه الوقوف على المنبر، ويتهيب من هذا الموقف، ولكن معاوية يعلم عكس ذلك، وقد خبره من خلال تجربة سابقة مع الإمام الحسن المجتبى «عليه السلام»، ومع ذلك يحاول مرة ثانية مع الإمام الحسين «عليه السلام».

ثالثاً: حين صعد الإمام الحسين «عليه السلام» إلى المنبر، سمع أحدهم يقول: « من هذا الذي يخطب؟!»، فهل قال هذا جهلاً بشخص الإمام الحسين «عليه السلام»، أم استهزائاً منه فقط، وقد حاول الجبابرة من المتسلطين على الناس فعل مثل هذه الأفعال مع جميع الأئمة «عليهم السلام» وتعج كتب الأحاديث بمثل هذه المواقف، ومنها قصيدة الفرزدق بالإمام زين

العابدين «عليه السلام» حين قال هشام بن عبد الملك: «من هذا؟!»، فكانت تلك القصيدة الرائعة المفعمة بمعاني الولاء والحب.

رابعاً: إن رد الإمام الحسين «عليه السلام» حين قال: «نحن حزب الله»، إشارة منه إلى أن من يعاديهم، ويتربص بهم ويحاول المحاولة تلو الأخرى لقتلهم، ويبذل الغالي والرخيص في سبيل ذلك هم حزب الشيطان.

خامساً: عترة الرسول هم الذين أوصى بهم النبي «صلى الله عليه وآله» لأنهم هم الأقربون، حيث أنهم الأعلم والأدرى بما جاء به، فلا يمكن لأحد أن يدعي بأنه أقرب منهم لهذا الدين وأعلم به غيرهم.

سادساً: هم عدل القرآن، وأحد الثقلين الذين أوصى الأمة بأن تتمسك بهم، فمن كان عدل القرآن كان تفصيل كل ما فيه لديه.

سابعاً: وهم أهل بيته الطيبون إشارة منه إلى طهارة نفوسهم، وبعدهم عن الخبائث، بحيث لا يمكن للخبيث أن يكون مع الطيب، بل هم المطهرون من كل رجس.

ثامناً: وأشار إلى أن طاعته واجبة مفروضة على كل الأمة وهي حق له، فكيف بمن يتربص به الدوائر يريد قتله والخلاص منه. وقد احتج عليهم بآية الطاعة..

تاسعاً: «حسبك يا أبا عبد الله قد بلغت»، قول معاوية هنا يدل أنه لا يستطيع أن يتحمل قول الحقيقة، ولم يستطيع التعامل مع الدليل، ولا مع حجة الإمام الحسين «عليه السلام» التي ساقها، وهذا هو أول مقومات النصر على العدو. بفضحه وفضح أساريره لا بالتهجم والسب والشتم، بل بإظهار الحق وأهله له..

وأخيراً، فإن كل تلك المعاني والإشارات تدل بما لا يدانيه الظن أو الريب والشك، أن من يملك الحجة يمكن أن يخرس الباطل، ومن معه الدليل هو في موقع القوة، وهذا من مقومات النصر للقيم السامية، وذلك قيل: «نحن أبناء الدليل نميل معه كيفما يميل». ولأن الدليل بوضحه يكون كالشمس في رائعة النهار، لا يمكن لأحد أن ينفي وجودها، فالنصر يبدأ بأن تنصر الحق بالدليل القوي، الذي لا يمكن لأحد أن ينفيه أو يشكك به.

المحور الثاني: الهجرة:

إن خطوات النبي «صلى الله عليه وآله» خلال عمله الرسالي هي التي أنجحت مهمته، وأظهرت دين الله على الجميع ولو كره المشركون، والمنافقون، والمبغضون..

فإنه «صلى الله عليه وآله» بخطواته الحكيمة، وسياساته الرشيدة أستطاع أن يقوم بنشر الهداية، وإيصال الكلمة الحق..

بداية، بلغ ذوي قرابته وأهله، ومن ثم قومه، وحين حاربوه على مدى ثلاثة عشر سنة، ترك مكة مهاجراً لله، وقد أجمع القوم على قتله، ظناً منهم أنهم سيفلحون في ذلك ولكن: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[٣٥].

وقد اجتمعت قريش في دار الندوة، واتفقوا على أن يقتلوا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فاختاروا عشرة أو خمسة عشر رجلاً، من كل قبيلة من قريش ـ وكانوا عشر أو خمس عشرة قبيلة أو أكثر ـ ليبيِّتوا النبي «صلى الله عليه وآله» بضربة واحدة من سيوفهم.

فأخبر الله تعالى نبيه بمكرهم، فأخبر «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام» بمكر قريش، وأمره أن يتغشى ببرده الحضرمي، وينام في فراشه.

فقال علي «عليه السلام»: أوتسلم بمبيتي هناك يا نبي الله؟!

قال: نعم.

فتبسم علي «عليه السلام» ضاحكاً، وأهوى إلى الأرض ساجداً شكراً لله.

فنام على فراشه، واشتمل ببرده الحضرمي، وخرج النبي «صلى الله عليه وآله» في فحمة العشاء، والرصد قد أطافوا بداره ينتظرون، وهو يقرأ ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ﴾[٣٦]. وذهب «صلى الله عليه وآله» إلى الغار[٣٧].

ونلاحظ ما يلي من هذه الرواية:

أولاً: إن القوم من المشركين قد عزموا أمرهم على اغتيال النبي «صلى الله عليه وآله»، وبذلك ينتهوا منه ومن دعوته.

ثانياً: إن خروج النبي «صلى الله عليه وآله» هو أمر لا بد منه، وهجرته إلى المدينة أيضاً، فلو بقي لما كان لمقومات ظهور الدين أن تتم.

ثالثاً: إن جميع أفعال النبي «صلى الله عليه وآله» إنما هي من أمر إلهي، لما فيه مصلحة الدين ومصلحته «صلى الله عليه وآله».

رابعاً: كان لا بد للهجرة أن تتم وبذلك لكي يقوم النبي «صلى الله عليه وآله» بترتيباته، وتنظيم أموره بعد أن فقد المعين والناصر بوفاة عمه أبي طالب «عليه السلام» وزوجته أم المؤمنين خديجة «رضوان الله عليها».

خامساً: إن خروج النبي «صلى الله عليه وآله» من بين المجتمعين حول بيته كان بصورة طبيعية لا إعجازية. واستفاد من الوسائل نفسها التي تكون من خيارات جميع الناس، فالجميع يستفيد من حلكة الظلام في الليل ليتستر له ويختفي عن أنظار المناوئين له، كما وأنه يحاول الاستفادة من هبوب الريح في تلك الظلمة، لينثر على أعدائه تراباً يدخل في عيونهم، ويربكهم، حتى يظنوا أنه الريح هي التي أثارت ذلك التراب.

سادساً: كما أن الجميع يتلو تلك الآية المباركة ليصرف أنظار الأعداء عنه. وما قام به «صلى الله عليه وآله» لم يزد بالإستفادة منه مما هو ميسور لجميع الناس. لأن جميع الناس أيضاً يحاولون أن يوهموا عدوهم بوجودهم في مكان، ولو بإضاءة المصباح، أو إبقاء أناس فيه، يظن العدو الراصد، أنهم هم بغيته، وهذا هو الهدف من اضطجاع الإمام علي «عليه السلام» في فراش النبي «صلى الله عليه وآله» من هذا.

وقد شابه الإمام الحسين «عليه السلام» في هجرته من المدينة النبي «صلى الله عليه وآله» من عدة جهات، فإنه «عليه السلام» خرج لما هو أهم من البقاء، وذلك بذهابه إلى مكة ومن ثم إلى العراق لكي يستشهد هناك وتكون هجرته هذه إعادة لإحياء الدين المحمدي، وإعادة الروح إليه بعدما حاول بني أميه طمسه، وتغيير معالمه.. حتى أن الإمام الحسين «عليه السلام» قد استعمل نفس الطريقة في هجرته من مكة وقد خرج في جوف الليل.

يروي ابن أعثم: إن الإمام الحسين «عليه السلام» خرج في جوف الليل[٣٨].

وصرح ابن طاووس: بأن ارتحاله «عليه السلام» كان في وقت السحر[٣٩].

وقيل أيضاً: «أنه «عليه السلام» خرج من المدينة وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[٤٠]»[٤١].

وما يمكن قوله هنا، هو التالي:

أولاً: إن ترك الإمام الحسين «عليه السلام» للمدينة المنورة قد شابه به خروج النبي «صلى الله عليه وآله» من مكة المكرمة، وكان ذلك ليلاً حسب الروايات المنقولة. وذلك حفاظاً على نفسهما الشريفتان من القتل، وتضييع أهداف الأعداء.

ثانياً: إن استخدام الإمام الحسين والنبي «صلى الله عليه وآله» للآيات الكريمة لا يخرج عن الاستعانة بالله سبحانه في كل الأحوال وعلى جميع الأصعدة.

ثالثاً: إن الإمام الحسين «عليه السلام» قد ترك المدينة لإنجاح أهداف نهضته الشريفة، ومن مقومات انتصار الحق على الباطل، بحيث ينفذ الخطة الإلهية حتى النهاية.

رابعاً: لا يخفى على أحد: أن الإمام الحسين «عليه السلام» لم يكن خائفاً من القتل، وإنما كان يريد إفشال ما يريده قاتلوه من تضييع دمه هدراً قبل أن يفعل ما عليه فعله، مع علمه بأنهم مصرون على قتله، كما دل عليه قوله لأخيه ابن الحنفية: «والله يا أخي، لو كنت في حجر هامة من هوام الأرض لاستخرجوني منه حتى يقتلوني»[٤٢].

خامساً: الذهاب لمكة المكرمة لكي يلقى الحجيج في موسم الحج كان أيضاً من الأهداف التي أرادها الإمام الحسين «عليه السلام»، وهو في بيان حقه في نهضته المباركة.

وأخيراً نقول: إن هجرة النبي «صلى الله عليه وآله» كانت في صالح الدعوة، وهجرة الإمام «عليه السلام» كانت في صالح النهضة وإحياء الدين.

المحور الثالث: الدعوة إلى الله:

حسب ما ينقل التاريخ أن إقامة الإمام الحسين «عليه السلام» في مكة كانت أكثر من أربعة أشهر، ثم توجه إلى العراق في العشر الأولى من ذي الحجة..

وفي هذه الفترة الزمنية، قام بالدعوة إلى الله بما هو يناسب، والتأكيد على مشروعية نهضته ضد الظلم، فمن الأمور التي نشط بها «عليه السلام»، التالي:

أولاً: لقاؤه بالوافدين والحجيج إلى مكة، فكانوا يجتمعون حوله حلقاً حلقاً، ويتبادل وإياهم أطراف الحديث بما يهمهم من الشؤون.

ثانياً: كان يجتمع بالشخصيات البارزة آنذاك، ويتحاور معهم في شتى الأمور.

ثالثاً: قام بإرسال الرسائل إلى أهل البصرة، وأهل الكوفة..

رابعاً: تلقى رسائل أهل الكوفة وأجابهم عليها، حتى أنه أوفد ابن عمه وثقته مسلم بن عقيل إليهم كي يستطلع أحوال أهلها.

خامساً: ألقى الخطب في مكة ومنها ما فيه عبر للتاريخ ولأصل الدعوة إلى الله..

سادساً: كان يصلي في الناس جماعة..

سابعاً: حين عرف البعض عزمه الذهاب إلى الكوفة كتب إليه البعض ظناً منه إنه في مقام النصيحة له.

ثامناً: بعد تزايد الناصحين له بترك الذهاب إلى الكوفة خطب خطبته الشريفة التي رسم فيها الخطوط العريضة لقيامه، والهدف من نهضته المباركة.

تاسعاً: نقلوا: أنه بعد «مسير طويل، دام عدة أيام لاحت للإمام ومن معه من بعيد جبال مكة، فجعل يتلو هذه الآية: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[٤٣]»[٤٤].

وبقراءته لهذه الآية الشريفة يشير إلى ما يلي:

أ: يخبر أنه يقدم على مرحلة جديدة يحتاج فيها إلى هدايات الله، ودلالاته وألطافه.

ب: ويشير «عليه السلام» بقراءته لهذه الآية أيضاً على: أن مكة هي البداية لمسيرته الشريفة، وليست نهاية.

ج: ويشير كذلك: أن في تلك مسيرة خفايا، ومفاجآت كبرى، وحوادث لم يسبق أن مرت في التاريخ مشابه لها أو من مثيل.

د: ومن الدلالات أيضاً: «أن موسى «عليه السلام» بعد أن قتل القبطي، وطلبه أعداؤه خرج إلى جهة مدين ولم يكن قد ذهب إليها من قبل ولا عرف طريقها.

كما أنه لم يكن يعرف فيها أحداً من الناس، ولا كان له فيها بحسب علمه معين ولا ناصر. وإنما توجه إليها لأنها كانت لا تخضع لسلطان فرعون .. وكان «عليه السلام» يطلب الخروج إلى بلد له هذه الصفة. لأنه يريد أن يسلك طريق النجاة من الظالمين.

وهذه كانت حال كربلاء، فهي بمثابة سبيل نجاته باستشهاده «عليه السلام»..الخ»[٤٥].

عاشراً: خطبة المسار:

فقد روي: «أَنَّهُ «صلوات الله عليه» لَمّا عَزَمَ عَلَى الخُروجِ إلَى العِراقِ قامَ خَطيباً، فَقالَ: الحَمدُ لله، ما شاءَ اللهُ ولا قُوَّةَ إلّا بِالله، وَصَلَّى اللهُ عَلى رَسولِهِ وسَلَّمَ.

خُطَّ المَوتُ عَلى وُلدِ آدَمَ، مَخَطَّ القِلادَةِ عَلى جيدِ الفَتاةِ.

وما أولهَني إلى أسلافِي اشتِياقَ يَعقوبَ إلى يوسُفَ.

وخيرَ لي مَصرَعٌ أنَا لاقيهِ.

كَأَنّي بِأَوصالي تُقَطِّعُها ذِئابُ [عسلان] الفَلَواتِ بَينَ النَّواويسِ وكَربَلاءَ، فَيَملَأنَ مِنّي أكراشاً جوفاً، وأجرِبَةً سُغباً. لا مَحيصَ عَن يَومٍ خُطَّ بِالقَلَمِ.

[زاد في عدد من المصادر قوله: رِضَى الله رِضانا أهلَ البَيتِ، نَصبِرُ عَلى بَلائِهِ، ويُوَفّينا أُجورَ الصّابِرينَ.

لَن تَشُذَّ عَن رَسولِ الله «صلى الله عليه وآله» لُحمَتُهُ، بَل هِيَ مَجموعَةٌ لَهُ في حَظيرَةِ القُدسِ، تَقَرُّ بِهِم عَينُهُ، ويُنجَزُ بِهِم وَعدُهُ].

مَن كانَ باذِلاً فينا مُهجَتَهُ، ومُوَطِّناً عَلى لِقاءِ الله نَفسَهُ، فَليَرحَل مَعَنا؛ فَإِنّي راحِلٌ مُصبِحاً إن شاءَ اللهُ»[٤٦].

وما يمكن الاستدلال به من هذه الخطبة الشريفة، ما يلي:

أ: إن إخبار الناس عن خبر استشهاده «عليه السلام» يستند إلى علم الله بعصيان الناس ما يأمرهم الله به، ولا يقتضي الجبر الإلهي لهم، ومنعهم عن القيام بواجبهم العقلي والشرعي. فلو اجتمع له المناصرين كان من الممكن أن تتغير الأحوال..

ب: إن قانون البداء يبقى هو الحاكم، فلا يمكن لأي كان تجاهله وصرف النظر عنه .. ولاسيما فيما يرتبط بحدوث الإستشهاد للحسين «عليه السلام» في خصوص هذا المسير.

ج: إن الإمام الحسين «عليه السلام» يشير إلى أن الموت ليس بحد ذاته سيء في، وليس فيه خسارة لبني البشر، بل قد يكون سبيل إلى الارتقاء في سلم الدرجات الآخروية، وباعث للبهجة، ودرب أنس للذين يعلمون ويتدبرون، ويتأملون ويتفكرون.

فكما أن العقد الذي يزين به جيد الفتاة مما يزيد في بهرجتها، ورونقها ويضفي عليها جمالاً، ويجعل الأنظار مشدودة إليها، ويزد من الرغبة فيها، وتنشد النفوس لها. فالموت هو كذلك بالنسبة للإمام «عليه السلام»، فإنه يضيف على حياة الإنسان

المؤمن الموقن البهجة والرونق والجمال، ويزيد من طموحه، ويدفعه إلى الاستبسال لاتمام العمل، وعلى أكمل وجه، ويتسابق والمؤمنين أخوته لكسب الخيرات، ويتنافس وإياهم ليعلو في الدرجات، وإكمال المهمات، وقال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[٤٧].

إن بيان الإمام الحسين «عليه السلام» لمعنى الموت وحتميته بأروع الصور والتشابيه البلاغية فهو مثل «زينة الحياة، يزيدها جمالاً، وبهاءً ورونقاً، ويعطيها المزيد من البهجة واللذة، تماماً كما هو الحال بالنسبة للقلادة إذا كانت على جيد الفتاة، فإنها تكون زينة لها، تشدُّ الأنظار إليها، وتزيد من تعلق القلوب بها.

ويستوقفنا هنا التعبير بكلمة: «جيد» التي توحي بالجودة، وهو تعبير مريح للنفس، مثير للكثير من المعاني اللذيذة في أعماقها.

كما ويلفت نظرنا أيضاً اختيار خصوص الزينة التي في هذا الموقع الحساس من جسد المرأة، بما يثيره من إيحاءات تنبعث من صميم الإغراء الأنثوي، وفي النقطة المركزية والأساس فيه.

ثم إنه «عليه السلام» يختار التعبير بكلمة «الفتاة» بدلاً من كلمة «المرأة» ونحوها. لأن الفتاة وليس سواها، هي التي تمثل القمة في الحيوية، والطموح، والجمال، وما إلى ذلك.

فهذا موقع الموت، وهذه هي حساسيته، وبذلك تظهر أهميته»[٤٨].

من هنا، فإن شهادته «عليه السلام» بما هي موت، ليست موتاً بحقيقتها بل هي حياة له في الدنيا والآخرة، حياة له بتجدد ذكراه الشريفة، فكلما ذكر إسم الإمام الحسين «عليه السلام» فهمنا معنى التضحية بأكمل صورها، والدعوة بأبهى طلتها، وفهمنا الحق بأوضح نهج ومنهاج..

فشهادته إحياء لما حاول الآخرين طمسه، وإعادة لنهج الرسالي القويم، وسيراً على خطى النبي «صلى الله عليه وآله»..

المحور الرابع: مرضاة الله:

قالوا: أقبَلَ الحُرُّ بنُ يَزيدَ حَتّى نَزَلَ حِذاءَ[٤٩] الحُسَينِ «عليه السلام» في ألفِ فارِسٍ، ثُمَّ كَتَبَ إلى عُبَيدِ اللهِ بنِ زِيادٍ يُخبِرُهُ أنَّ الحُسَينَ نَزَلَ بِأَرضِ كَربَلاءَ.

قالَ: فَكَتَبَ عُبَيدُ اللهِ بنُ زِيادٍ إلَى الحُسَينِ «عليه السلام»:

أمّا بَعدُ يا حُسَينُ، فَقَد بَلَغَني نُزولُكَ بِكَربَلاءَ، وقَد كَتَبَ إلَيَّ أميرُ المُؤمِنينَ يَزيدُ بنُ مُعاوِيَةَ أن لا أتَوَسَّدَ الوَثيرَ، ولا أشبَعَ مِنَ الخُبزِ [الخمير] أو أُلحِقَكَ بَاللَّطيفِ الخَبيرِ، أو تَرجِعَ إلى حُكمي وحُكمِ يَزيدَ بنِ مُعاوِيَةَ، وَالسَّلامُ.

فَلَمّا وَرَدَ الكِتابُ قَرَأَهُ الحُسَينُ «عليه السلام»، ثُمَّ رَمى بِهِ، ثُمَّ قالَ: لا أفلَحَ قَومٌ آثَروا مَرضاةَ أنفُسِهِم عَلى مَرضاةِ الخالِقِ.

فَقالَ لَهُ الرَّسولُ: أبا عَبدِ الله، جَوابُ الكِتابِ؟

قالَ: ما لَهُ عِندي جَوابٌ؛ لِأَنَّهُ قَد حَقَّت عَلَيهِ كَلِمَةُ العَذابِ.

فَقالَ الرَّسولُ لِابنِ زِيادٍ ذلِكَ، فَغَضِبَ مِن ذلِكَ أشَدَّ الغَضَبِ[٥٠].

وفي هذه الرواية ما يدلنا على الآتي:

أولاً: إن الإمام الحسين «عليه السلام» حين ألقى رسالة عبيد الله بن زياد، أوصل بفعل عملي رفضه لمضمون الرسالة، ليفهم الرسول أنها مرفوضة عنده نصاً ومضموناً.

ثانياً: إن الإمام الحسين «عليه السلام» لا يمكن له بموقعيته في الأمة، وبما أنه الإمام المعصوم أن ينزل على حكم هؤلاء القوم الضالين، الظلمة، فإن إلقاءه للكتاب يدل على أنه لا يرضى بالنزول على حكمهم، والتنازل عن الذي فيه مرضاة الله ليرضيهم.

ثالثاً: إنه «عليه السلام» أشار إلى أن هؤلاء الظلمة ركنوا إلى أنفسهم، والسلطة قد أعمت قلوبهم، وحب التسلط حتى الإمام المفترض الطاعة صار هدفهم، لأن حب الدنيا استحوذت عليهم، وغرتهم، وجعلت منهم، عبيداً لها، لا يأتمرون بحكم الله ووليه..

رابعاً: إن مرضاة الله عز وجل هي من أسمى الأهداف عند الإمام الحسين «عليه السلام»، لو في ذلك ذاهب نفسه الشريفة، فهو لا يهاب أي شيء في سبيل مرضاته تعالى. وذلك ما جعل الإمام الحسين «عليه السلام» منتصراً عليهم. فمن كان مع الله، كان الله معه مؤيداً ومسدداً..

خامساً: إن مرضاة الله سبحانه التي سعى لها الإمام الحسين «عليه السلام» هي إحدى مقومات النصر للقيم الإلهية، والدينية.. فـ «لا أفلَحَ قَومٌ آثَروا مَرضاةَ أنفُسِهِم عَلى مَرضاةِ الخالِقِ».

سادساً: إن العذاب محق لمثل هؤلاء، لأنهم يسعون لمرضاة أنفسهم على حساب ولي الله، وأقدس، وأطهر إنسان على وجه الأرض.. فلعنهم الله لعنة الأولين والآخرين.

سابعاً: إن غضب ابن زياد لم يكن لله وهذا واضح، بل غضبه كان حمية لنفسه، لأن جاء من يفضحه على حقيقته، ويخبر عن سرائره الدنيئة.. وهذا ما جعلهم يقدمون على ما أقدموا عليه من جريمة نكراء..

المحور الخامس: التعلق بالله:

لما كان الدعاء هو أحد الوسائل والوسائط في التقرب من الله عز وجل، وصورة من صور التعلق بالذات الإلهية المقدسة، والإمام الحسين «عليه السلام» هو من أفضل الخلق تقرباً وتعلقاً به عز وجل، ويتجلى ذلك في أدعيته يوم عاشوراء، وفي لحظات الأخيرة من عمره الشريف، ولسانه يلهج بذكر الله سبحانه وتعالى..

روي عن علي بن الحسين زين العابدين «عليه السلام» قال: لَمّا صَبَّحَتِ الخَيلُ الحُسَينَ «عليه السلام»، رَفَعَ يَدَيهِ وقالَ: «اللهمَّ أَنْتَ ثِقَتي في كُلِّ كَرْبٍ، وَرَجائِي في كُلِّ شِدَّة، وَأَنْتَ لي في كُلِّ أَمْرٍ نَزَلَ بي ثِقَةٌ وَعُدَّة. كَمْ مِن هَمٍ يَضْعُفُ مِنهُ الفُؤاد، وَتَقِلُّ فِيهِ الحِيلَةَ، وَيَخْذُلُ فِيهِ الصَّديق، وَيَشمَتُ فِيهِ العَدوُّ، أَنْزَلتُهُ بِك، وَشَكَوتُهُ إِلَيْك، رَغبَةً مِنّي إِلَيْك عَمَّنْ سِواكَ، فَفَرَّجْتَهُ وَكَشَفتَهُ، وَأَنْتَ وَليُّ كُلِّ نِعْمَةٍ، وَصَاحِبُ كُلِّ حَسَنَةٍ، وَمُنْتَهىً كُلِّ رَغبَة»[٥١].

وروي عنه أيضاً أنه دعا بهذا الدعاء الأخير يوم الكوثر[٥٢]: «اللهمَّ أَنْتَ مُتَعالِي المَكانِ، عَظِيمُ الجَبَروتِ، شَدِيدُ المِحال، غَنِيٌّ عَنِ الخَلائِقِ، عَرِيضُ الكِبْرِياءِ، قادِرٌ عَلى ما تَشاءُ، قَرِيبُ الرَّحْمَةِ، صادِقُ الوَعْدِ، سابِغُ النِّعْمَةِ، حَسَنُ البَلاءِ، قَرِيبٌ إِذا دُعِيتَ، مُحِيطٌ بِما خَلَقْتَ، قابِلُ التَّوْبَةِ لِمَنْ تابَ إِلَيْكَ.

قادِرٌ عَلى ما أَرَدْتَ، وَمُدْرِكٌ ما طَلَبْتَ، وَشَكُورٌ إِذا شُكِرْتَ، وَذَكُورٌ إِذا ذُكِرْتَ؛ أَدْعُوكَ مُحْتاجاً، وَأَرْغَبُ إِلَيْكَ فَقِيراً، وَأَفْزَعُ إِلَيْكَ خائِفاً، وَأَبْكِي إِلَيْكَ مَكْرُوباً، وَأَسْتَعِينُ بِكَ ضَعِيفاً، وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْكَ كافِياً، اُحْكُمْ بَيْنَنا وَبَيْنَ قَوْمِنا، فَإِنَّهُمْ غَرُّونا، وَخَدَعُونا، وَخَذَلُونا، وَغَدَرُوا بِنا، وَقَتَلُونا. وَنَحْنُ عِتْرَةُ نَبِيِّكَ، وَوَلَدُ حَبِيبِكَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الله، الَّذِي اصْطَفَيْتَهُ بِالرِّسالَةِ، وَائْتَمَنْتَهُ عَلى وَحْيِك، فَاجْعَلْ لَنا مِنْ أَمْرِنا فَرَجاً، وَمَخْرَجاً، بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ»[٥٣].

وهذه الأدعية الشريفة تبين لنا مرتكزات نهج أهل الإيمان السليم، منها:

أولاً: أن هناك نوعان من البشر، أهل الباطل وأهل الحق، فأما أهل الباطل فكل اهتمامهم هو العمل على تقوية الأمور الذاتية والمادية في جانبهم، بحيث يعتمدون على القدرات العسكرية، وما يشتمل عليه من سلاح وعتاد، ويرتكز في أنفسهم أنه كلما زادت قوتهم المادية هذه كلما كان الأمل بالنصر أكبر وفرصه أكثر.

أما أهل الحق، وعلى قلة عددهم، وكثرة الأعداء من حولهم، وتضييق الخناق عليهم، فإن اهتمامهم مختلف تمام الاختلاف عن أهل الباطل، فتراهم قد سلموا جميع أمورهم وأحوالهم، وشؤونهم في حال الضيق أو الفرج، للتدبير الإلهي الذي وضعه في تسيير أحوال الكون، وهذا التسليم لهذه السنن الكونية، والأهداف التي وضعها، ما هو إلا طمعاً في مرضاته سبحانه وتعالى. وكل هموم هذه الثلة من أهل الحق هو تحقيق الأهداف الإلهية بكل توابعها..

ثانياً: إن أهل الباطل بما حصل لهم من قدرات مادية جعلتهم يتجبرون، ويبطشون ويظلمون، حتى اختصروا كل معاني القوة التي اغرتهم وجعلت منهم أداة طيعة بيد سلطان متجبر، عنده نفس فرعونية، فسخر كل تلك القوة من أجل ذاته وأهوائه، فبئس مثل القوم.

أما أهل الحق، فإن نظرتهم إلى ما سخره الله لهم في هذا الوجود هي نظرة رحبة، فإنهم من خلال هذا الفهم الحقيقي لأصل وجودهم يضعون كل شيء في موضعه الحقيقي، بما يتوافق مع السنن الإلهية، والهداية الربانية. ومع ذلك فإنهم لا يؤولون جهداً، ولا يتركون فرصة على الصعيد الشخصي إلا واستثمروه، وحرصوا عليه، وأعطوه دوره الكامل، واعترفوا بقيمته الحقيقية، وحيويته الفاعلة.

وانطلاقاً من هذه المرتكزات، إثباتاً وتأكيداً على هذه الحقائق: كان دعاء الإمام الحسين «عليه السلام» في هذه اللحظات العصيبة، وهذا التوقيت بالذات..

ثالثاً: لقد أظهرت هذه الأدعية ثقة مطلقة، وتوكل كلي على الله، وخاصة في الشدائد والبلايا، بل أظهرت أيضاً إيمان يقيني بأن الله وحده هو الذي يكشف الكرب، ويزيح الهم..

رابعاً: إن الإمام الحسين «عليه السلام» توجه إلى الله وحده دون غيره حاصراً رجاء به، مع الأمل به أنه هو القادر على كل شيء، في هذه الشدة وفي كل شدة..

خامساً: الإنسان المؤمن الكامل لا يجد في نفسه حول ولا قوة من دون الله، فهو لا يعول على قدرته الذاتية، بما لديه من قوى كالتفكير، والعدة، والقوة الجسدية، وهو لا يعتد بها مثل باقي الناس، بل المعول عليه هو الله القادر..

سادساً: يؤكد الإمام الحسين «عليه السلام» في دعاؤه على قرابته من النبي «صلى الله عليه وآله»، ومكانته من هذا الدين، ويشكو لله كيف أن أمته ضيعت حقوقه، لا بل اعتدت عليه ظلماً وعدواناً وقتلته مظلوماً..

سابعاً: لا يرى الإمام الحسين «عليه السلام» مخرجاً له إلا برحمة من الله عز وجل، مسلماً أمره له على كل الأحوال، متعلقاً بجنابه..

هذا هو حال العارف بالله، المتعلق به فهو لا يرى لنفسه وجوداً حقيقياً إلا بوجوده في الله، وهو ذائب فيه، بكل حركة من حركاته، وبكل سكنة من سكانته.. وهذه تعتبر من أعلى القيم التي تجعله منتصر..

المحور السادس: وارث الأنبياء:

من كان مقومات نصره القيم التي سار عليها أنبياء الله فيما سبق، وحاول بكل وجوده أن يطبقها، وبشهادته أن يحيها من جديد، فلا بد أن يكون مستحقاً لأن يكون وارثاً لهذا الخط الرسالي، وهذا هو النصر بعينه، فالنصر لا يكون فقط بالانتصار

في معركة أو حرب ما، بل النصر الحقيقي هو أن يظل ذكر صاحب النصر مخلداً، وبنظرة سريعة أين هو ذكر يزيد بن معاوية، وعبيد الله بن زياد، وعمر بن سعد، وشمر بن ذي الجوشن، وغيرهم من الطواغيت..

وانظر في ذلك الخط الرسالي والقيم الإلهية الخالصة لله عز وجل، والتي مثلها الإمام الحسين «عليه السلام» من خلال نهضته الشريفة حتى استحق بذلك أني يكون «وارث الأنبياء».

فأصبح الإمام الحسين «عليه السلام» وارث لآدم أبي البشر «عليه السلام» من حيث كونه صفوة الله،

ثم ورث نبي الله نوح «عليه السلام» بما اختصه من النبوة والارتباط المباشر بالله عز وجل، وكما أنه تلقى المعارف منه سبحانه.

وهو وراث إبراهيم «عليه السلام» بخصوصية الخلة والقرب من الله سبحانه، ووارث إسماعيل «عليه السلام» بكونه ذبيح الله، وموسى «عليه السلام» من حيث هو كليم الله، ومن ثم عيسى «عليه السلام» من حيث كونه روح الله، ويرث خاتم الأنبياء والرسل محمداً «صلى الله عليه وآله» من باب كونه حبيب الله، فالإمام الحسين «عليه السلام» قد ورث جميع الأنبياء «عليهم السلام» بخصوصياتهم هذه كلها والتي كانت أبرز ميزاتهم، وصفاتهم، وأظهر ما فيهم وأتمها..

فكل من تمسك بهذا النهج الحسيني، ومشى على خطاه الخالدة، فإنه في الركب النبوي الرسالي، الذي يحبه الله ورسوله، وبالتالي فإن الانتصار لهذه القيم، لهو النصر الحقيقي والتام، الذي لا يشوبه أي نقص أو اختلال، بل هو نصر كامل، مظفر، كما هو حال الانتصار النهضة الحسينية المباركة..

وبالتالي فإن هذا مختصر في مقولة أمير المؤمنين «عليه السلام» حيث قال: «فَالمَوْتُ في حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ، وَالحَيَاةُ في مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ»[٥٤].

فإن القهر والذلة، هو الموت بعينه، وإن كان حياً يرزق في صورة الأحياء، فقد قال تعالى: ﴿أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْياءٍ وما يَشْعُرُونَ﴾[٥٥]. والحياة الخالدة في الموت قاهرين لأعداء الله، ومظهرين الحق زاهقين للباطل، فتلك هي الحياة الطبيعيّة في الموت، مع القهر لأعداء الله. كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ الله أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[٥٦].

وقوله عز وجل: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ الله أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[٥٧].

فإن الغاية «الَّتي عساهم يفرّون من القتال خوفاً منها وهي الموت موجودة في الغاية الَّتي عساهم يطلبونها من ترك القتال، وهي الحياة البدنيّة حال كونهم مقهورين. وتجوّز بلفظ الموت في الشدائد والأهواء الَّتي تلحقهم من عدوّهم لو قهرهم وهى عند العاقل أشدّ بكثير من موت البدن وأقوى مقاساة فإنّ المذلَّة وسقوط المنزلة والهضم والاستنقاص عند ذي اللبّ موتات متعاقبة، ويحتمل أن يكون مجازاً في ترك عبادة اللهَّ بالجهاد. فإنّه موت للنفس وعدم لحياتها برضوان اللهَّ، وكذلك جذبه لهم أنّ الغاية الَّتي تفرّون إليها بترك القتال وهى الحياة موجودة في الغاية الَّتي تفرّون منها، وهي الموت البدنيّ، حال كونهم قاهرين. أمّا في الدنيا فمن وجهين: أحدهما الذكر الباقي الجميل الَّذي لا يموت ولا يفنى.

الثاني: أنّ طيب حياتهم الدنيا، إنّما يكون بنظام أحوالهم بوجود الإمام العادل وبقاء الشريعة كما هي، وذلك إنّما يكون بإلقاء أنفسهم في غمرات الحرب محافظة على الدين وموت بعضهم فيها. ولفظ الموت مهمل تصدق نسبته إلى الكلّ وإن وجد في البعض، وأمّا في الآخرة فالبقاء الأبدي بالمحافظة على وظائف اللهَّ والحياة التامّة في جنّات عدن»[٥٨].

وسيظل النهج الحسيني من خلال النهضة المباركة محفوظاً، صادعاً، متكرراً، في كل مرة يتصدى فيها أهل الحق لأهل الباطل..

وسيظل نداء الإمام الحسين «عليه السلام» خالداً إلى يوم القيامة، مختصراً كل معاني النصر القيمي، في قوله «عليه السلام»: «ألا وإنَّ الدَّعِيَّ ابنَ الدَّعِيِّ قَد رَكَزَ بَينَ اثنَتَينِ، بَينَ السَّلَّةِ وَالذِّلَّةِ، وهَيهاتَ مِنّا الذِّلَّةُ، يَأبَى اللهُ لَنا ذلِكَ ورَسولُهُ وَالمُؤمِنونَ، وحُجورٌ طابَت، وحُجورٌ طَهُرَت، وأُنوفٌ حَمِيَّةٌ، ونُفوسٌ أبِيَّةٌ، مِن أن تُؤثِرَ طاعَةُ اللِّئامِ عَلى مَصارِعِ الكِرامِ»[٥٩].

الخلاصة والخاتمة

هذا البحث المقتضب الذي بين يدي القارئ الكريم، لم يقف على كل تلك المقومات للنصر القيمي، ولا أدعي أنني أستطيع أن أحصيها جميعها أو جلها، فإن مواقف الإمام الحسين «عليه السلام» وأقواله وأفعاله ومواقفه ضمن هذه النهضة المباركة هي كثيرة، وكثيرة جداً تحتاج من الباحث المتأمل، وذو الرأي الحصيف، إلى مطولات، ونحن في موضع الاختصار، والوقوف على أهمها لا يمكن أخذ بها، وتبيانها بما تتيح لنا الفرصة لذلك، ولا يمكن الادعاء أننا أحصيناها كلها وبشكل كامل وتام..

وأقول: إن مثل هذه الأبحاث وغيرها، هي السبيل لتقصي أحوال النهضة الحسينية تحتاج لمجهود كبير، واجتماع أهل العلم لكي يتبينوا الأسس والأهداف لتلك النهضة المباركة، وإن تظافر الجهود ما يمكن التعويل عليه في مثل هذا النوع من الأبحاث.

إن الهدف من هذا البحث:

أولاً: هو وضع لبنة، أو حجر أساس يبنى عليه ويؤسس من خلال انطلاقة لأبحاث أخرى، ومحاور عديدة كانت أيضاً من صلب المقومات للنصر القيمي.

ثانياً: إضافة شيء جديد في طرق البحث العلمي الديني، التي تساعد على إظهار القيم الدينية التي حارب من أجلها الأئمة المعصومين «عليهم السلام»، والمتمثلة هنا بالنهضة الحسينية المباركة.

ثالثاً: إظهار النهج الحسيني في استنهاض الأمة من كبوتها، وإيقاظها من غفوتها، الذي يصلح لجميع الأزمنة وفي جميع الأمكنة، وذلك أن هذا النهج لم يكن مقتصراً فقط على زمانه، وليس هو بالحالة الخاصة التي تقتصر على من عاصروه فقط. بل هذا النهج الإمامي هو نهج خالد، قد خلده الإمام الحسين «عليه السلام» بدمه، وهو حي بذكره.

رابعاً: مقارنة النهج الحسيني الرامي لإنقاذ الأمة وإسعادها، وإظهار أهدافه، وشعاراته، ورموزه، وبين نهج أعدائه من أهل الباطل ومن لف لفهم، والذي يمكن أن يقال عنه أنه: نهج عدوان وإجرام، وإذلال للعباد، وإفساد في البلاد، وشعاراتهم وأهدافهم كانت شعارات فساد وإفساد، ورموزهم وشخصياتهم كانوا أشر وأحط الناس.

خامساً: إبراز مثل هذه المقومات التي تساعد في تغيير أحوال الأمة، ويساعد في نهضتها من جديد.

وأخيراً، لا يسعني إلا بالتقدم بخالص الشكر والامتنان إلى «**مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات في العتبة العباسية المقدسة**» وكل المؤسسات والمراكز المتخصصة في نشر علوم أهل البيت «عليهم السلام»، واقتفاء اثارهم الشريفة، والذين كانوا السبب المباشر ومن خلال «**مؤتمر الإمام الحسين (عليه السلام)**» لكي اتشجع لكتابة هذا البحث المتواضع..

وأرجو من الله عز وجل أن يتقبل هذا القليل مني في حق المولى الإمام الحسين «عليه السلام»، وأتقدم من القارئ الكريم بجزيل الشكر والامتنان لقراءة ما خطته يدي، راجياً منه التفضل عليّ بالنصيحة، والتجاوز عن الأخطاء التي سهوت عنها..

أخوكم الفقير إلى الله، عبد الله وعبدهم..

السيد يوسف شفيق البيومي/ الرضوي.

حرر في: لبنان – صيدا: ليلة ١٥ شعبان ١٤٣٧ هـ. ق.

ذكرى ولادة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف.

الموافق له: ٢١ آيار ٢٠١٦ م.

الهوامش

١. راجع: كشف الغطاء (ط.ق) ج١ ص٧ والسنة في الشريعة الإسلامية لمحمد تقي الحكيم ص٦٣ والأمالي للصدوق ص٣٨٧ و ٤٦٩ والخصال ص٤٧٠ و ٤٧١ و ٤٧٢ وإكمال الدين ص٦٨ و ٢٧٢ و ٢٧٣ وكفاية الأثر ص٥١ و ٧٦ و ٧٧ و ٧٨ = = وشرح أصول الكافي ج٢ ص٢٤٠ وج٥ ص٢٣٠ وج٧ ص٣٧٤ وكتاب الغيبة للنعماني ص١٠٤ و ١٠٥ و ١٢٠ و ١٢١ و ١٢٢ و ١٢٣ و ١٢٤ والغيبة للطوسي ص١٢٨ و ١٢٩ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص٢٤٨ و ٢٤٩ و ٢٥٤ والعمدة لابن البطريق ص٤١٦ و ٤١٧ و ٤١٨ و ٤٢٠ و ٤٢١ والطرائف لابن طاووس ص١٧٠ وبحار الأنوار ج٣٦ ص٢٣١ و ٢٣٤ و ٢٣٥ و ٢٣٦ و ٢٣٧ و ٢٦٦ و ٢٦٧ و ٢٦٩ و ٢٩٨ و ٣٦٢ و ٣٦٣ و ٣٦٤ و ٣٦٥ وكتاب الأربعين للماحوزي ص٣٨١ و ٣٨٦ وسفينة النجاة للسرابي التنكابني ص٣٨٥ والإكمال في أسماء الرجال للخطيب التبريزي ص١٩٣ والملاحم والفتن لابن طاووس ص٣٤٥ والمسلك في أصول الدين للمحقق الحلي ص٢٧٤ وتقريب المعارف لأبي الصلاح الحلبي ص٤١٨ وإعلام الورى ج٢ ص١٥٩ و ١٦٢ وكشف الغمة ج١ ص٥٧ و ٥٨ ومسند أحمد ج٥ ص٨٧ و ٨٨ و ٩٠ و ٩٢ و ٩٣ و ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ و٩٧ و ٩٨ و ٩٩ و ١٠٠ و ١٠١ و ١٠٦ و ١٠٧ و ١٠٨ وصحيح البخاري (ط دار الفكر) ج٨ ص١٢٧ وصحيح مسلم (ط دار الفكر) ج٦ ص٣ و ٤ وسنن أبي داود ج٢ ص٣٠٩ وسنن الترمذي ج٣ ص٣٤٠ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٦١٧ و ٦١٨ وشرح مسلم للنووي ج١٢ ص٢٠١ ومجمع الزوائد ج٥ ص١٩٠ وفتح الباري ج١٣ ص١٨١ وعمدة القاري ج٢٤ ص٢٨١ ومسند أبي داود الطيالسي ص١٠٥ و ١٨٠ ومسند ابن أبي الجعد ص٣٩٠ والآحاد والمثاني ج٣ ص١٢٦ و ١٢٧ وكتاب السنة لابن أبي عاصم ص٥١٨ وصحيح ابن حبان ج١٥ ص٤٣ و ٤٤ و ٤٦ والمعجم الأوسط ج٣ ص٢٠١ وج٦ ص٢٠٩ والمعجم الكبير ج٢ ص١٩٥ و١٩٦ و ١٩٧ و ٢١٤ و ٢١٨ و ٢٢٣ و ٢٢٦ و ٢٣٢ و ٢٤١ و ٢٤٩ و ٢٥٣ و ٢٥٤ و ٢٥٥ وج٢٢ ص١٢٠ والرواة عن سعيد بن منصور لأبي نعيم الأصبهاني ص٤٤ والكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ص٩٥ والكامل لابن عدي ج٢ ص٣٨٦ وطبقات المحدثين بأصبهان ج٢ ص٩٠ وتاريخ بغداد ج٢ ص١٢٤ وج١٤ ص٣٥٤ وتاريخ مدينة دمشق ج٥ ص١٩١ وسير أعلام النبلاء ج٨ ص١٨٤ وج١٤ ص٤٤٤ وذكر أخبار إصبهان ج٢ ص١٧٦ والبداية والنهاية ج١ ص١٧٧ وج٦ ص٢٧٨ و ٢٧٩ وإمتاع الأسماع للمقريزي ج١٢ ص٣٠٢ و ٢٠٣ وينابيع المودة ج٣ ص٢٨٩.

٢. مختصر مفيد للسيد جعفر مرتضى العاملي (أسئلة وأجوبة في الدين والعقيدة)، المركز الإسلامي للدراسات، ط١، لبنان، بيروت، ٢٠١٤م، ج١٧ ص٧٥.

٣. كتاب العين للفراهيدي ج٥ ص٢٣٣.

٤. الآية ٤ من سورة القلم.

٥. الآية ٤ من سورة القلم.

٦. معاني الأخبار للصدوق ص١٨٨ وبحار الأنوار للمجلسي ج٦٨ ص٣٨٢ وتفسير نور الثقلين للحويزي ج٥ ص٣٩١ وتفسير كنز الدقائق للقمي المشهدي ج١٣ ص٣٧٧.

٧. بحار الأنوار للمجلسي ج١٦ ص٢١٠ وج٦٨ ص٣٨٢ وميزان الحكمة للريشهري ج١ ص٨٠٠ وتفسير القمي لعلي بن إبراهيم القمي ج٢ ص٣٨٢ والتبيان في تفسير القرآن للطوسي ج١٠ ص٧٥ وتفسير مجمع البيان للطبرسي ج١٠ ص٨٦ والمنتخب في تفسير القرآن لابن ادريس الحلي ج٢ ص٣٤٥ وج٣ ص٣٠٣ وروض الجنان لأبي الفتوح الرازي (فارسي) ج١٩ ص٣٤٦ والتفسير الأصفى للفيض الكاشاني ج٢ ص١٣٣٥ وج٥ ص٢٠٨ والبرهان في تفسير القرآن للسيد البحراني ج٥ ص٤٥٥ وتفسير نور الثقلين للحويزي ج٥ ص٣٩٢ وتفسير الميزان للطباطبائي ج١٩ ص٣٧٧ وجامع البيان لابن جرير الطبري ج٢٩ ص٢٤ وتفسير السمعاني ج٦ ص١٨ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١٨ ص٢٢٧ والتبيان في أقسام القرآن لابن القيم الجوزية ص١٣٥ والدر المنثور للسيوطي ج٦ ص٢٥١.

٨. مسند الرضا «عليه السلام» لابن سليمان الغازي ص١٣١ ومكارم الأخلاق للطبرسي ص٨ وبحار الأنوار للمجلسي ج١٦ ص٢١٠ وج٦٨ ص٣٨٢ ومواقف الشيعة للميجاني ج٣ ص٤٥٢ وميزان الحكمة للريشهري ج١ ص٨٠٤ والسنن الكبرى للبيهقي ج١٠ ص١٩٢ ومكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا ص٦ ومسند الشهاب للقضاعي ج٢ ص١٩٢ والاستذكار لابن عبد البر ج٨ ص٥٧٦ وج١٦ ص٢٥٤ وكشف الخفاء للعجلوني ج١ ص٢١١ وتفسير جوامع الجامع للطبرسي ج٣ ص٦١١ وتفسير مجمع البيان للطبرسي ج١٠ ص٨٦ وزبدة التفاسير لفتح الله الكاشاني ج٧ ص١٤٠ وتفسير نور الثقلين للحويزي ج٥ ص٣٩٢ وتفسير كنز الدقائق للقمي المشهدي ج١٣ ص٣٧٧ والتفسير الكاشف للشيخ مغنية ج١ ص٣٩ وج٥ ص٣٣ وج٧ ص٥٥٣ وتفسير الأمثل للشيرازي ج١٨ ص٥٢٩ وأضواء البيان للشنقيطي ج٨ ص٢٤٨ وأعيان الشيعة للسيد محسن الأمين العاملي ج١ ص٣٠١، وغيره الكثير من المصادر.

٩. وسائل الشيعة للحر العاملي (ط آل البيت) ج١٢ ص١٧٤ و(ط الإسلامية) ج٨ ص٥٢١ والأمالي للطوسي ص٤٧٨ وبحار الأنوار للمجلسي ج١١ ص١٥٦ وج٦٦ ص٣٧٠ و٣٧٥ وج ٦٨ ص٤٢٠ وج٨٩ ص١٩٧ ومستدرك الوسائل ج١١ ص١٩١ ومستدرك سفينة البحار ج٣ ص١٧٤ وج٩ ص١٠٣ وراجع أيضاً: الأمالي للصدوق ص٤٤١.

١٠. الآية ٣٠ من سورة الروم.

١١. الآية ٤٠ من سورة يوسف.

١٢. الآية ٣٦ من سورة التوبة.

١٣. اقتصادنا للسيد محمد باقر الصدر «قدس سره» (تحقيق المكتب الإعلامي الإسلامي)، مؤسسة بوستان، ط٢، إيران، خراسان، ١٤٢٥ هـ. ق، ص٣١٣.

١٤. راجع: الأمالي للطوسي ص٢٩٠ ومناقب آل أبي طالب ج٢ ص٧ والتحصين لابن طاووس ص٥٥٨ و ٥٥٩ والطرائف لابن طاووس ص٨٢ والمحتضر للحلي ص١٧٠ وبحار الأنوار ج٨ ص٦٨ وج٣٩ ص١٩٦ و ٢٠٢ و ٢٣٤ وكشف الغمة ج٢ ص٢٤ ونهج الإيمان ص٥٠٦ ومستدرك سفينة البحار ج٦ ص٢٦٤ وذكر أخبار أصبهان ج١ ص٣٤٢ وبشارة المصطفى ص٢٢٧ و ٣٠٩ ونور الثقلين (تفسير) ج٤ ص٤٠١ وينابيع المودة ج١ ص٣٣٨ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٧ ص١١٩ عن جملة من المصادر.

١٥. راجع: تفسير سورة الانشراح، للمحقق السيد جعفر مرتضى العاملي ص٧٩ وسيرة الإمام الحسين «عليه السلام» في الحديث والسيرة للمحقق السيد جعفر مرتضى العاملي ج٤ ص٥٧.

١٦. راجع: نهج البلاغة (بشرح عبده) ج٤ ص٣٧ رقم الحديث ١٤٧ والإرشاد ج١ ص٢٢٨ والخصال ص١٨٧ والأمالي للصدوق ص٢٥٣ والأمالي للطوسي ص٢١ وكمال الدين ص١٣٩ و ٢٠٧ و ٢٩١ و ٢٩٢ و ٢٩٣ و ٢٩٤ والأمالي للمفيد ص٢٥٠ وبصائر الدرجات ص٥٠٦ ورسائل في الغيبة للمفيد ج٢ ص١٢ والإحتجاج للطبرسي ج٢ ص٤٨ و ٤٩ وج١ ص٣ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص٢١١ وبحار الأنوار ج٢٣ ص٦ و ٤٨ و ٤٩ وج٥٢ ص٩٢ ونهج السعادة ج١ ص٤٩٥ وج٨ ص٢١ وعيون الحكم والمواعظ ص٥٤١ ودستور معالم الحكم لابن سلامة ص٨٤ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج١٠ ص٢٦٣ وتاريخ مدينة دمشق ج٥٠ ص٢٥٥

وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص٢٠٦ والمعيار والموازنة ص٨١ ونزهة الناظر للحلواني ص٥٧ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٨ ص٣٤٧ وإعلام الورى ج٢ ص٢٢٨ وينابيع المودة ج١ ص٧٥ وج٣ ص٣٦٠ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص٢٠٥ والغيبة للنعماني ص٣٢ و ١٣٦ وتفسير القمي ج١ ص٣٥٩ وتفسير نور الثقلين ج٢ ص٤٨٤.

١٧. راجع: الكافي ج١ ص٢٨٨ ومكاتيب الرسول ج١ ص٥٦١ وغنية النزوع ص٣٢٣ وجامع الخلاف والوفاق ص٣٦٨ و ٤٠٤ وتذكرة الفقهاء ج٥ ص٤٣٥ و (ط قديمة) ج١ ص٢٥٤ وج٢ ص٤٣٧ ومختلف الشيعة ج٣ ص٣٣٣ وج٦ ص٣٠٨ و ٣٣٠ ومجمع البيان (ط مؤسسة الأعلمي) ج٢ ص٣١١ وج٨ ص١٦٥ وتفسير جوامع الجامع ج٣ ص٧٠ و ٨٥٧ وتلخيص الشافي ج٤ ص١٧٠ ونور الثقلين ج٣ ص٢٩٠ وج٤ ص٢٨٤ والميزان ج٤ ص٣١٢ والإرشاد للمفيد ج٢ ص٣٠ والمسائل الجارودية للمفيد ص٣٥ والمستجاد من الإرشاد للعلامة (المجموعة) ص١٥٧ والصراط المستقيم ج٢ ص١١٨ وج٣ ص١٣٠ والمحتضر لابن سليمان الحلي ص١٧٩ والتعجب للكراجكي ص١٢٩ والفصول المختارة للمرتضى ص٣٠٣ وروضة الواعظين ص١٥٦ وكفاية الأثر ص٣٨ و ١١٧ والفرق بين الفرق ص٢٥ ودعائم الإسلام ج١ ص٣٧ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٤٣ و ١٦٣ والفضائل لابن شاذان ص١١٨ والطرائف لابن طاووس ١٩٦ وعوالي اللآلي ج٣ ص١٣٠ وج٤ ص٩٣ ومدينة المعاجز ج٢ ص٣٩١ وج٣ ص٢٩٠ وبحار الأنوار ج١٦ ص٣٠٧ وج٢١ ص٢٧٩ وج٣٥ ص٢٦٦ وج٣٦ ص٢٨٩ و ٣٢٥ وج٧٣ ص٧ وج٣٧ ص٢٩٨ و ٢٩١ وج٤٤ ص٢ و ١٦ وإعلام الورى ج١ ص٤٠٧ و ٤٢١ وكشف الغمة ج٢ ص١٥٦ وج٢ ص٢٢٥ و ٢٤٥ والفصول المهمة لابن الصباغ ج٢ ص٧١٧ و ٧٣٢ وفضائل أمير المؤمنين «عليه السلام» لابن عقدة ص١٦٨ ونزهة المجالس ج٢ ص١٨٤ وفي السراج الوهاج للشبراوي الشافعي أنه «صلى الله عليه وآله» قال لهما: أنتما الإمامان، ولأمكما الشفاعة، وغاية المرام ج٢ ص٢٤٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٧ ص٤٨٢ وج١٩ ص٢١٦ و ٢١٧ عن أهل البيت لتوفيق علم (ط مطبعة السعادة القاهرة) ص١٩٥ وعن الرسالة في نصيحة العامة لابن كرامة البيهقي (النسخة المصورة في مكتبة أمبروزيانا في إيطاليا) ص١٨ و ٦٧ وينابيع المودة ص٤٤٥.

١٨. راجع: كمال الدين وإتمام النعمة للصدوق ص٢٦٠ وبحار الأنوار للمجلسي ج٣٦ ص٢٥٤ ومسند الإمام الرضا «عليه السلام» للعطاردي ج١ ص٢٢٠ والبرهان في تفسير القرآن للسيد البحراني ج٤ ص١٩٥ وأهل البيت في الكتاب والسنة للريشهري ص ٤٦٤ والقرآن وفضائل أهل البيت «عليهم السلام» للأنديمكشي ص٣٧٦ وغاية المرام وحجة الخصام للسيد البحراني ج٢ ص١٥٨ وج٧ ص١٢٧ وإلزام الناصب لليزدي الحائري ج١ ص٧٦ وشرح إحقاق الحق للمرعشي ج١٣ ص٦٧ وفرائد السمطين للحموييني ج١ ص٥٥.

١٩. الضوء اللامع (دار الجيل) ج٤ ص١٤٧ وفيض القدير بشرح الجامع الصغير ج١ ص٢٦٥ وج٥ ص٢١٣ ولكنهم قالوا: إن ذلك لم يوجد في تاريخ ابن خلدون، والحق أنها كانت في النسخة الأولى لذلك الكتاب، ثم حذفها منه في النسخة الثانية.

٢٠. راجع: الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي (ط دار الفكر) ص١٩٣.

٢١. راجع: رسالة ابن تيمية: سؤال في يزيد بن معاوية (لعنه الله) ص١٤ و١٥ و١٧، والعواصم من القواصم لأبي بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (مكتبة دار التراث، مصر) ص٢٣٢ و٢٣٣ وإحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي ج٣ ص١٢٥ والإتحاف بحب الأشراف لعبد الله بن محمد بن عامر الشبراوي ص٦٧ و ٦٨ والصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة لإبن حجر الهيتمي (مؤسسة الرسالة، بيروت) ص٢٢١ وخطط الشام لمحمد بن عبد الرزاق بن محمَّد، كُرْد عَلي (مكتبة النوري، دمشق) ج١ ص١٤٥ وقيد الشريد من أخبار يزيد لابن طولون (دار الصحوة للنشر) ص٥٧ و ٥٩.

٢٢. راجع: مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ج٤ ص٨٨ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢٤٠ وبحار الأنوار للمجلسي ج٤٤ ص٣٢٥، الإمام الحسين «عليه السلام» لعبد الله العلايلي ج١٧ ص١٧٤ و ١٧٥ والفتوح لابن أعثم ج٥ ص١٠ وتذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي (ط النجف) ص٢٣٥.

٢٣. راجع: مقتل الحسين للسيد عبد الرزاق المقرم من ص٦ حتى ص١٦.

٢٤. مثير الأحزان لابن نما ص١٢ وبحار الأنوار للمجلسي ج٤٤ ص٢٦٦، الإمام الحسين «عليه السلام» لعبد الله العلايلي ج١٧ ص١٣٧ والدر النظيم لليافعي ص٥٤٠ والمجالس الفاخرة للسيد شرف الدين ص٢٥٧.

٢٥. سيرة الإمام الحسين «عليه السلام» في الحديث والسيرة للسيد جعفر مرتضى العاملي (منشورات المركز الإسلامي للدرسات) ج١٥ ص١٤.

٢٦. سيرة الإمام الحسين «عليه السلام» في الحديث والسيرة للسيد جعفر مرتضى العاملي (منشورات المركز الإسلامي للدرسات) ج١٥ ص١٦.

٢٧. لسان العرب لابن منظور ج٧ ص٢٤٥.

٢٨. المصدر السابق.

٢٩. المصدر السابق.

٣٠. الآية ٥٩ من سورة النساء.

٣١. الآية ٨٣ من سورة النساء.

٣٢. الآية ٤٨ من سورة الأنفال.

٣٣. الآية ١٥٨ من سورة الأنعام.

٣٤. الإحتجاج للطبرسي ج٢ ص٢٣ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٢٠٥ والعوالم ج١٧ ص٨٣ و ٨٤ وراجع: وسائل الشيعة (آل البيت) ج٢٧ ص١٩٥ و (الإسلامية) ج١٨ ص١٤٤ ومناقب آل أبي طالب ج٤ ص٦٧ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢٢٣.

٣٥. الآية ٣٠ من سورة الأنفال.

٣٦. الآية ٩ من سورة يس.

٣٧. راجع ما تقدم في المصادر التالية: المناقب للخوارزمي الحنفي ص٧٣ والمستدرك للحاكم ج٣ ص١٣٣ وتلخيصه للذهبي بهامشه وصححاه، ومسند أحمد ج١ ص٣٢١ وتذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ص٣٤ وشواهد التنزيل ج١ ص٩٩ و ١٠٠ و ١٠١ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص١٠٠ والبرهان ج١ ص٢٠٧ والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص٣٠ وخصائص أمير المؤمنين للنسائي (ط النجف) ص٦٣ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٥ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٢٠ عن أحمد، ورجاله رجال الصحيح غير واحد وهو

ثقة، وعن الطبراني في الكبير والأوسط، وبحار الأنوار ج١٩ ص٦٠ و ٧٨ و ٩٣ عن الطبري وأحمد، والعياشي، وكفاية الطالب، وفضائل الخمسة ج١ ص٢٣١ وذخائر العقبى ص٨٧ وكفاية الطالب ص٢٤٢. وقال: إن ابن عساكر ذكره في الأربعين الطوال، وترجمة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام»، من تاريخ ابن عساكر (تحقيق المحمودي) ج١ ص١٨٦ و ١٩٠ ونقله المحمودي في هامشه عن: الفضائل لأحمد بن حنبل، حديث٢٩١ وعن غاية المرام ص٦٦ عن الطبراني ج٣ في الورق ١٦٨/ ب وفي هامش كفاية الطالب عن: الرياض النضرة ج٢ ص٢٠٣. وأما الفقرات الأخرى فهي موجودة في مختلف كتب الحديث والتاريخ. وراجع: حلية الأبرار ج١ ص١٤٤ والميزان ج٩ ص٨١ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٣٧ و ٣٧٦ والأمالي للطوسي ص٤٦٦ ومستدرك الوسائل ج٥ ص١٥٥ و ٤٦٥ وجامع أحاديث الشيعة ج٥ ص٤٧٥ وكشف الغمة ج٢ ص٣٠.

٣٨. الإرشاد للمفيد (ط دار المفيد سنة ١٤١٤هـ) ج٢ ص٣٤ وروضة الواعظين ص١٨٩ و (منشورات الشريف الرضي) ص١٧١ وإعلام الورى ج١ ص٤٣٥ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٢٦ و ٣٣٠ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٧٦ و ١٧٩ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٣٨٠ وتاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٤٠ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٥٢ والكامل في التاريخ ج٤ ص١٦ و ١٧ وجمهرة خطب العرب ج٢ ص٣٤ وراجع: الأخبار الطوال ص٢٢٨ وتذكرة الخواص ج٢ ص١٣٢ والبداية والنهاية ج٨ ص١٤٧ و (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص١٥٨ ومصادر كثيرة أخرى.

٣٩. الملهوف ص٣٩ و ٤٠ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٦٤ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٢١٤ ولواعج الأشجان ص٧٢ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٩٣ وعن معالي السبطين ج١ ص٢٥١.

٤٠. الآية ٢١ من سورة القصص.

٤١. الإرشاد للمفيد ص٢٢٣ و (ط دار المفيد سنة ١٤١٤هـ) ص٣٥ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٣٢ ج١٧ ص١٨١ وتفسير كنز الدقائق ج١٠ ص٥٣.

٤٢. بحار الأنوار ج٤٥ ص٩٩ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٣٢٣ وينابيع المودة ج٣ ص٦٠ وراجع: الكامل في التاريخ ج٤ ص٣٨ وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٨٩ والفتوح لابن أعثم ج٥ ص٦٧ وراجع: مدينة المعاجز ج٣ ص٤٨٥ ولواعج الأشجان ص٧٢ و ٢٥٦ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٩٣ و ٦٢٠ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٤٠٧ والمجالس الفاخرة للسيد شرف الدين ص١٠٦.

٤٣. الآية ٢٢ من سورة القصص.

٤٤. الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٢٣ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص١٩٠ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٣٢، الإمام الحسين ج١٧ ص١٨١ ولواعج الأشجان ص٣٢ وتاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٤٣٤ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٥٤ والكامل في التاريخ ج٤ ص١٧ والإرشاد (ط دار المفيد) ج٢ ص٣٥ وروضة المواعظين ص١٩٠ و (منشورات الشريف الرضي) ص١٧٢ وإعلام الورى ج١ ص٤٣٥ والأغاني ج١٨ ص٤٤٧ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٨٨ وتفسير كنز الدقائق ج١٠ ص٥٣. .

٤٥. سيرة الإمام الحسين «عليه السلام» في الحديث والتاريخ للسيد جعفر مرتضى العاملي ج١٢ ص١.

٤٦. راجع: المسائل العكبرية للمفيد ج٦ ص٦٩ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٦٦، الإمام الحسين ج١٧ ص٢١٦ والملهوف ص١٢٦ و(نشر أنوار الهدى) ص٣٨ ومثير الأحزان ص٤١ و (ط المكتبة الحيدرية) ص٢٩ وكشف الغمة ج٢ ص٢٣٩. وراجع: الحدائق الوردية ج١ ص١١٤ وتيسير الوصول ص١٩٩ ونزهة الناظر ص٨٦ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٥ ولواعج الأشجان ص٧٠ وإبصار العين ص٢٧ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١١ ص٥٩٩.

٤٧. الآية ٦٤ من سورة العنكبوت.

٤٨. مقالات ودراسات للسيد جعفر مرتضى العاملي (منشورات المركز الإسلامي للدراسات) ط١، لبنان، بيروت، ٢٠٠٩م، ص١٢.

٤٩. حذاء: أي سار سريعاً حتى أدركه، وقيل: سَرِيعُ الإِدْراكِ.

٥٠. الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٨٤ ومقتل الحسين ج١ ص٢٣٩ ومطالب السؤول ص٧٥ و (تحقيق ماجد العطية) ص٤٠٠ ومناقب آل أبي طالب ج٤ ص٩٨ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢٤٨ وموسوعة الإمام الحسين ج٤ ص٣٤ عنهم، وعن كشف الغمة ج٢ ص٢٥٩ و (ط دار الأضواء) ج٢ ص٢٥٧ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٨٣ وراجع: أعيان الشيعة ج١ ص٥٩٨.

٥١. الإرشاد ج٢ ص٩٦ وبحار الأنوار ج٤٥ ص٤ وتاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٤٢٣ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٣٢١ وتاريخ مدينة دمشق ج١٤ ص٢١٧ وترجمة الإمام الحسين لابن عساكر ص٣١٣ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٤٣٩ والوافي بالوفيات ج١٢ ص٢٦٥ والطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة من الصحابة) ج١ ص٤٦٨ وترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص٧١ والكامل في التاريخ ج٤ ص٦٠ وراجع: سير أعلام النبلاء ج٣ ص٣٠١ ونظم درر السمطين ص٢١٦ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص١١٥ وإبصار العين ص٣٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١١ ص٦١٣ وج١٢ ص٢٩٣ وج١٩ ص٤١٥ وج٢٧ ص٢٠٩.

٥٢. يوم كوثر، مبنية للمجهول: أي صار مغلوباً بكثرة العدو.

٥٣. مصباح المجتهد للطوسي ص٨٢٧ والمزار للمشهدي ص٣٩٩ وإقبال الأعمال لابن طاووس ج٣ ص٣٠٤ والمصباح للكفعمي ص٥٤٤ وبحار الأنوار للمجلسي ج٩٨ ص٣٤٨ وموسوعة مكاتيب الأئمة «عليهم السلام» لنجف آبادي ج٢ ص٢١٨ والبلد الأمين والدرع الحصين للكفعمي ص١٨٦.

٥٤. نهج البلاغة (خطب الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام») تحقيق صالح، ص٨٩.

٥٥. الآية ٢١ من سورة النحل.

٥٦. الآية ١٦٩ من سورة آل عمران.

٥٧. الآية ١٥٤ من سورة البقرة.

٥٨. شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني (منشورات مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي) ط١، ١٣٦٢ هـ. ش، قم المقدسة، إيران، ج٢ ص١٣٦.

٥٩. الملهوف ص١٥٥ و (نشر أنوار الهدى) ص٥٨ والإحتجاج ج٢ ص٩٧ ح١٦٧ و (ط دار النعمان) ج٢ ص٢٤ وتحف العقول ص٢٤٠ ومثير الأحزان ص٥٤ و (ط المكتبة الحيدرية) ص٣٩ كلها نحوه، وراجع: إثبات الوصية ص١٧٧ وبحار الأنوار ج٤٥ ص٨٣ و ١٠، الإمام الحسين ج١٧ ص٢٥٢ ولواعج الأشجان ص١٢٩ وأعيان الشيعة ج١ ص٦٠٢ وإبصار العين ص٣٤ وموسوعة الإمام الحسين ج٤ ص١١٤ – ١١٦ عن تلك المصادر.

المصادر والمراجع

١. الأمالي، أبو جعفر الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي «قدس سره» (المتوفى ٣٨١هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الاسلامية، الطبعة الأولى، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة – إيران، ١٤١٧ هـ. ق.

٢. اقتصادنا، السيد محمد باقر الصدر «قدس سره»، (تحقيق المكتب الإعلامي الإسلامي)، الطبعة الثانية، مؤسسة بوستان، إيران، خراسان، ١٤٢٥ هـ. ق.

٣. إمتاع الأسماع بما للنبي صلى الله عليه [وآله] وسلم من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي(لمتوفى سنة ٨٤٥ ه)، تحقيق محمد عبد الحميد النميسي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.

٤. الآحاد والمثاني، أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: ٢٨٧هـ)، تحقيق: فيصل أحمد الجوابرة، الطبعة الأولى، دار الراية – الرياض، ١٤١١ هـ – ١٩٩١م.

٥. الإرشاد في معرفة حجج الله علي العباد، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي الملقب بالشيخ المفيد (المتوفى ٤١٣ هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت «عليهم السلام» لتحقيق التراث، الطبعة الثانية، دار المفيد، بيروت – لبنان، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣م.

٦. أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين العاملي، تحقيق: حسن الأمين، الطبعة الأولى، دار التعارف للمطبوعات، بيروت – لبنان.

٧. إكمال الدين وتمام النعمة، أبو جعفر الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي «قدس سره» (المتوفى ٣٨١هـ)، دار الكتب الإسلامية، طهران ايران، سنة ١٣٩٥ هـ. ق.

٨. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، الشيخ محمد باقر المجلسي «قدس سره»، الطبعة الثانية المصححة، مؤسسة الوفاء، بيروت – لبنان، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م.

٩. البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم الحسيني البحراني (المتوفى ١١٠٧ هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى، مؤسسة البعثة، قم المشرفة – إيران.

١٠. البداية والنهاية، ابن كثير إسماعيل بن عمر الدمشقي (المتوفى سنة ٧٧٤هـ)، تحقيق أحمد جاد، دار الحديث، القاهرة – مصر.

١١. تاريخ بغداد أو مدينة السلام، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (المتوفى سنة ٤٦٣)، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م.

١٢. تفسير نور الثقلين، المحدث الجليل العلامة الخبير الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي «قدس سره»، تحقيق: الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي، الطبعة الأولى، مؤسسة اسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، قم المقدسة – إيران، ١٣٨٢ هـ. ق.

٣١. تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، الشيخ محمد بن محمد رضا القمي المشهدي (من اعلام القرن الثاني عشر)، تحقيق: حسين درگاهي، الطبعة الأولى، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والارشاد الإسلامي، إيران، ١٣٦٦ هـ. ش.

١٤. التفسير الأصفى في القرآن الكريم، محمد محسن الفيض الكاشاني «قدس سره» (المتوفى ١٠٩١ه)، تحقيق: مركز الأبحاث والدراسات الاسلامية، الطبعة الأولى، منشورات مكتب الإعلام الإسلامي، قم المشرفة ـ إيران، ١٤١٨ هـ . ق - ١٣٧٦ هـ. ش.

١٥. تبيان في تفسير القرآن، شيخ الطائفة أبى جعفر محمد بن الحسن الطوسي (المتوفى ٤٦٠ هـ)، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، الطبعة الأولى، مكتب الإعلام الإسلامي، إيران، ١٢٠٩ هـ. ق.

١٦. الخصال، أبو جعفر الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي «قدس سره» (المتوفى ٣٨١هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، الطبعة الأولى، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة ـ إيران، ١٤٠٣ هـ.

١٧. روضة الواعظين، الشيخ الشهيد محمد بن الفتال النيسابوري (المتوفى ٥٠٨ هـ)، تقديم: السيد محمد مهدى السيد حسن الخرسان، الطبعة الأولى، منشورات الرضي، قم المقدسة ـ إيران.

١٨. السنة في الشريعة الإسلامية محمد تقي الحكيم (متوفى ١٤٢٣ هـ)، الطبعة الأولى، شبكة الإمامين الحسنين «عليهما السلام» للتراث والفكر الإسلامي، بيروت، لبنان.

١٩. سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (المتوفى ٧٤٨ هـ)، الطبعة التاسعة، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٢٠. سيرة الإمام الحسين «عليه السلام» في الحديث والسيرة، السيد جعفر مرتضى العاملي (منشورات المركز الإسلامي للدرسات)، ٢٠١٥م.

٢١. شرح أصول الكافي، محمد صالح المازندراني (المتوفى ١٠٨١ هـ)، علق عليه: الميرزا أبو الحسن الشعراني، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٤٢١ هـ -٢٠٠٠م.

٢٢. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، حمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م.

٢٣. الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، السيد ابن طاووس، مطبعة الخيام، إيران، قم المقدسة، سنة ١٣٣٩هـ وسنة١٤٠٠هـ.

٢٤. العمدة (عمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار)، يحيى بن الحسن الأسدي الحلي المعروف بابن البطريق، مؤسسة النشر الإسلامي، إيران، قم المقدسة، سنة ١٤٠٧هـ.

٢٥. الغيبة، الشيخ الجليل أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن جعفر الكاتب المعروف بابن أبي زينب النعماني (المتوفى حدود سنة ٣٦٠ هـ ق)، تحقيق: فارس حسون كريم، الطبعة الأولى، دار الجوادين، ٢٠١١م.

٢٦. الغيبة، الشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، نشر مؤسسة المعارف الإسلامية، إيران، قم المقدسة سنة ١٤١١هـ.

٢٧. كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء، الشيخ جعفر كاشف الغطاء (طبعة حجرية انتشارات مهدوي ـ أصفهان).

٢٨. كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر لأبي القاسم علي بن محمد بن علي الخزاز القمي الرازي انتشارات بيدار، إيران، قم المقدسة، سنة ١٤٠١هـ.

٢٩. كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٣٠. الكافي، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (المتوفى سنة ٣٢٩ هـ)، تعليق علي أكبر الغفاري، الطبعة

الثالثة، دار الكتب الإسلامية، طهران – إيران، ١٣٨٨ هـ. ش.
٣١. الكامل في التاريخ، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير، الطبعة الأولى، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ١٣٨٥ هـ – ١٩٦٥م.
٣٢. لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري، الطبعة الأولى، دار نشر أدب الحوزة، قم المقدسة – إيران، ١٤٠٥ هـ. ق.
٣٣. مناقب آل أبي طالب، مشير الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن شهرآشوب ابن أبي نصر بن أبي حبيشي السروي المازندراني (المتوفى سنة ٥٨٨ ه)، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف – العراق، ١٣٧٦هـ – ١٩٥٦م.
٣٤. الملهوف على قتلى الطّفوف، السيّد رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن طاووس الحسني الحلّي (السيّد بن طاووس)، المحقق: الشيخ فارس تبريزيان، دار الأسوة للطباعة والنشر.
٣٥. مقالات ودراسات، السيد جعفر مرتضى العاملي، (منشورات المركز الإسلامي للدراسات)، الطبعة الأولى، لبنان، بيروت، ٢٠٠٩م.
٣٦. مسند أبي داود الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى (المتوفى: ٢٠٤هـ)، تحقيق الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى، دار هجر – مصر، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م.
٣٧. مسند ابن الجعد، علي بن الجَعْد بن عبيد الجَوْهَري البغدادي (المتوفى: ٢٣٠هـ)، تحقيق عامر أحمد حيدر، الطبعة الأولى، مؤسسة نادر – بيروت، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠م.
٣٨. المعجم الأوسط، الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (متوفى ٣٦٠ هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، دار الحرمين للطباعة والنشر، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م.
٣٩. المعجم الكبير، الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (متوفى ٣٦٠ هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة، منشورات: مكتبة ابن تيمية، القاهرة – مصر.
٤٠. مختصر مفيد للسيد جعفر مرتضى العاملي (أسئلة وأجوبة في الدين والعقيدة)، الطبعة الأولى، المركز الإسلامي للدراسات، لبنان، بيروت، ٢٠١٤م.
٤١. معاني الأخبار، أبي جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي [الشيخ الصدوق]، دار المعرفة للطباعة والنشر.
٤٢. وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة (ط آل البيت)، الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي «قدس سره» (المتوفى ١١٠٤ هـ)، الطبعة الأولى، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المقدسة ـ إيران، ١٤١٤ هـ. ق.
٤٣. وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة (ط الإسلامية)، الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي «قدس سره» (المتوفى ١١٠٤ هـ)، تحقيق: الشيخ عبد الرحيم الرباني الشيرازي، دار احياء التراث العربي، بيروت – لبنان.
٤٤. ينابيع المودة لذوي القربى، الشيخ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي (متوفي ١٢٩٤ هـ)، تحقيق: سيد علي جمال أشرف الحسيني، دار الأسوة للطباعة والنشر، ١٤١٦ هـ. ق.

التداول السلمي للسلطة في نهضة الإمام الحسين عليه السلام

Peaceful Circulation of Authority in Imam Al-Hussein Revivalism

أ.م.د. مِيثَم مهدي صالح الحمَّامِيّ

كلية التربية الأساسية/جامعة الكوفة

Asst. prof. dr. Maitham Mahdi Saleh Al Hamami
College of Basic Education / University of Kufa

ملخص البحث

يعد البحث قراءة جديدة لنهضة الإمام الحسين يبيّن أن النهضة كانت سلمية النشأة والإعداد والامتداد، من خلال عرض النصوص التاريخية والوثائق المعتمدة لهذه النهضة . وسيقسم البحث على ثلاثة مباحث، الأول :البناء المجتمعي قبل النهضة الحسينية، وسيحاول البحث إثبات ما مر لمبدأ التداول السلمي للسلطة، والثاني :الأهداف الآنية للنهضة في هدي النتائج ، والثالث : المجتمع بعد النهضة الحسينية : وسيمس المبحث ثلاثة موضوعات ، المجتمع في فكر المعصومين، المجتمع عند أتباع النهضة ومن تأثروا بها، والمجتمع عند الفريق الآخر. ثم خاتمة وأهم الاستنتاجات التي توصل إليها البحث.

Abstract

The current paper is a new reading on the imam Al-Hussein revivalism manifesting that such an insurrection comes as peaceful from the very beginning ، preparation and expansion through surveying historical documents. The current study bifurcates into three sections : the first takes hold of the societal structure before the Husseinist revivalism، the second does the peaceful circulation of authority and the third does the society after the Husseinist revivalism; there are three topics، the society in the mind of the infallibles، the society in the line of the revivalism and the society in the other team. In the aggregate، there are conclusion and important results.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أعزَّنا بأوليائه الطاهرين ، ومنَّ علينا برحمته التي لا تخبو محمد وآله الكرام البررة الأطهار ، فكانوا أعلام الهدى والعروة الوثقى ، سفينة النجاة التي من ركبها نجا ومن تخلف عنا غرق وهوى ، الذين نذروا وجودهم لطاعة الله ومرضاته ، فلم يعصوا الله طرفة عين ، حجج الله على البرايا ، فالسلام عليهم يوم ولدوا ويوم نلقاهم عند مليك مقتدر،وقد خاب من حمل ظلمهم .

وبعد فقد تلقينا هذه الدعوة الكريمة لمؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي بقلوب ملؤها الشوق إلى التشرف في الكتابة عن أبيّ الضيم وأبي الأحرار الإمام الحسين عليه السلام ، فجزى الله العاملين عليه خير الجزاء على هذه المبادرة الطيبة التي تتناول واحدا من أهم الموضوعات التي وإن كثر الحديث والبحث فيها فما زالت موضع عناية الدارسين ، وما زالت أرضها عطشى لمزيد من القول فيها .

وقد أردت أن أكتب في هذا الموضوع عن الحدث الإنساني التاريخي العظيم ، بعين الباحث عن الحقيقة من مضانها، فاخترت الحديث عن فلسفة النهضة الحسينية ، من طريق بيان ماهية النهضة في هدي المعايير التي يقرها العقل والمنطق، وأن أُبعد ما يبعد العقل عن القول فيها ، راجيا من الله التوفيق والسداد فيما أرمي إليه ، فإن وفقت كان ذلك من فضله ورحمته، وإن كانت الأخرى فحسبي أني سعيت إلى الحقيقة ، ولكن الذنوب قد تحول دون البصيرة ، فأستغفره وأسأله العفو للسداد والتوفيق .

كان الموضوع الذي وقع عليه اختياري يتناول الجانب السلمي لنهضة الإمام الحسين عليه السلام ، متخذا من التداول السلمي للسلطة طريقا للغوص في الموضوع ،فقد أراد الباحث من هذا المصطلح أن يقول بالأدلة العديدة إن الإمام الحسين عليه السلام رجل السلام وصانعه وقائده ، وقد سعى بنهضته إلى إدامة الحياة الكريمة التي أوجدها النبي الأعظم صلوات الله عليه وعلى آله ، ووأدها أو كادوا بنو أمية ، ولذلك انتفض الحسين عليه السلام ليعيد المجتمع إلى ما كان عليه زمن النبي، فسار بخطى جده المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وقد قسمت البحث على ثلاثة مباحث ، الأول منها هو البناء المجتمعي قبل النهضة الحسينية ، وسيحاول البحث إثبات ما مر لمبدأ التداول السلمي للسلطة ، لا سيما فيما يتعلق بمرحلة الإعداد للنهضة الحسينية ، والمبحث الثاني فسيكون عن الأهداف الآنية للنهضة في هدي النتائج ، محاولين الاحتكام إلى الواقع والوقائع ، والثالث من هذه المباحث فيكون حديثا عن المجتمع بعد النهضة الحسينية ليمس المبحث ثلاثة موضوعات، المجتمع في فكر المعصومين ، المجتمع عند أتباع الثورة ومن تأثروا بها ، والمجتمع عند الفريق الآخر . ثم يتبع ذلك خاتمة تبين أهم الوقفات في مسيرة هذه الدراسة الموجزة ، لنبين أهم النتائج التي توصلنا إليها والله المستعان .

المبحث الأول

البناء المجتمعي قبل النهضة الحسينية

المبحث إطلالة سريعة على النهج المحمدي لبناء المجتمع الأمثل ، من طريق استقراء وتتبع الخطوات والإجراءات التي اتخذها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومحاولة إيجاد فلسفة أو حكمة منها ، بما في ذلك ما يتعلق بالإمام الحسين عليه السلام وإعداده لهذه المهمة العظيمة .

لقد تحلى النبي الأعظم بصفات كريمة شهد بها الجميع ، تمثلت بالصدق والأمانة ، فلقب بهما ، فلقبه الصادق الأمين

تكاد المصادر التاريخية لا تذكر غيره ممن لقب به ، فضلا عن صفات جليلة أخر من قبيل الشهامة والكرم والشجاعة .... إلخ، ولعل الصفتين الأولتين لهما حدان الأول أنهما قد حببتا شخصه الكريم عند العرب ، وهذا من البديهيات طبعا ، والآخر أنها قد خلقتا صعوبة عند النبي في أن يتآلف مع من يفتقدهما من أبناء المجتمع، ولعل عزوفه عن مخالطة أقرانه وملازمته للغار مردها لهذا الأمر على ما يظن الباحث ، فضلا عن أن النبي(ص) قد كان ممن اتسم بالفطنة والذكاء وسيرته تشهد بذلك، وهذه الصفة جعلته دائم التأمل في شأن مجتمعه سيما ما عكفوا عليه من عبادة الأوثان التي لا تضر ولا تنفع ، فلم يجد أفضل من الاختلاء فكان غار حراء أنسب مكان له .

لقد سعى الرسول إلى تصحيح مفاهيم الناس ومعتقداتهم ، ليتمكن من إنشاء مجتمعه الذي يرمي إليه ، والذي أمره الله به، لأن الأساس الذي يخلق التطور في المجتمعات هو الفكر، فأراد أن يصحح فكرهم، لينطلق إلى بناء المجتمع بناء يخلق له التقدم والرقي ، ولكنه اصطدم بعنادهم الذي كان متوقعا عند النبي (ص) ، ولهذا قام النبي بالدعوة السرية ليخلق له قاعدة أولية للانطلاق بالنهضة المحمدية أولا، وليتجنب عناد المشركين ثانيا ، ولعله كان مراعيا لمشاعر أبناء مجتمعه لاسيما شيوخهم وكبارهم ، فلم يشأ أن يجرح شخصهم بتسفيه عقيدتهم مباشرة ، بل احتاج إلى وقت ليكون القاعدة التي ينطلق بها ، وليعلم الأمر كبار قريش ولا يتفاجؤون بالدعوة ، وما قيل من أن الدعوة السرية كانت بسبب الخوف من قريش على وأدها أمر لا يستقيم مع كثير من الشواهد التاريخية والمواقف والحالات التي مرت بالنبي والمسلمين[1] .

فلما أعلنت الدعوة ولقي النبي وصحبه ما لقوه من أمر قد يعرّض الدعوة للخطر ، لم يطلب عقوبة السماء لرد كيدهم وأذاهم، بل كان يكثر من قوله ودعائه لهم (اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون)[2]، فاتجه إلى يثرب ليجد أرضية مناسبة لدعوته، وليتجنب إيذاء قومه من بقائه ، ويعلمنا الرسول التضحية والصبر من أجل تحقيق الهدف ، لم يهدف النبي إلى تبليغ الدعوة فحسب بل كان همه إنقاذ المجتمع من الضلال الذي كان مخيما عليه وذلك ببناء الفرد وتنمية شخصيته ليكون فردا نافعا وصالحا في مجتمعه .

بعد هذا بدأت دولة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بالظهور، وبدأت ملامحها بالبزوغ، فمما يلفت النظر في هذه الدولة الفتية، أن شرع رئيسها بصياغة دستور لها، ولعل وثيقة النبي كانت الأولى في زمانه في أرض الجزيرة العربية، ولعل أكثر ما يثير الإعجاب فيها أنها أعطت الأقليات حقها في هذه الدولة من العيش الكريم ، وفرض عليهم واجبات لأنهم من المجتمع ، فيكون النبي قد أسس لنا مبدأ احترام حقوق الأقليات فهو السباق في هذا الميدان الذي يعد من مقومات الدولة المدنية والعصرية اليوم ، لكون أولئك هم جزء من المجتمع.

ولم يكفّ المشركون أذاهم عن المسلمين ، لأن ما صنعه محمد يعد تمردا عليهم وكسرا لهيبتهم أمام الآخرين ، فسلبوا أموال المسلمين التي تركوها في مكة ، فأراد النبي أن يوجه لهم ضربة ليكفوا أذاهم عن المسلمين[3] ، فتعرض لقافلتهم ،وهنا أصر المشركون على قتال النبي(ص) حتى بعد أن أمّنت قافلتهم ، فكانت بدر التي فرضت عليه سنة ٢ للهجرة[4] ، ومن بعدها معارك كانت تهدف إلى رد الأذى عن دولة المسلمين التي ما وصلوها إلا من بعد كثير من التضحية ، ولكن الغباء الذي كان فيه المشركون قد حال دون فهم مقصد النبي الأكرم في بناء مجتمعهم ، وعمى الغل بصيرتهم وملأ الحقد قلوبهم إلا ما رحم الله وهدى .

وسعى النبي محمد (ص) بكل جهده ليحل السلام وينشره ، فقبل بصلح الحديبية سنة ٦ للهجرة مع ما فيه ، لأن النبي جاء من أجل السلام ، فليس صحيحا أن يُجرَّ إلى الحرب ، وهو المنتقد لسلوكيات قومه التي منها الحرب لأتفه الأسباب ، ثم إن المشروع الأكبر سيُهدَّد بخطر القضاء والانتهاء ، فأرسى مبدأ السلام وصيره وسيلة لنشر دعوته وتحقيق هدفه فحقق

في سلامه وسلمه ما لا يتحقق في الحرب[٥] ، فمكّن الله له أن يدخل مكة منتصرا مرفوع الرأس بعد أن خرج منها ((فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين)) القصص: ٢١ .

وبعد أن شهدت الدولة شيئا من الاستقرار استأنف الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مشروعه الأكبر ، فأراد له الدوام والبقاء ،كما أراد الله (عز وجلّ) له ذلك ، فوضع أسسا لبقاء هذا البناء ، كان منها وضع مبدأ تداول السلطة ، فلما كان السلطان هو الموجه والمدير للمجتمع ، والسلطة والملك الدافع إلى التقاتل وسفك الدماء ، فلا بد من أن يجنب المجتمع شر التزاحم والتقاتل على السلطة ليكون تداولها سلميا ومرسوما بالطريقة التي تحفظ بناء المجتمع وتماسكه ، فأمره الله أن ينصّ على ولاة أمره فأنزل هذا الأمر منزلة الرسالة ، فقال سبحانه وتعالى : ((يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَالله يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ الله لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)) المائدة: ٦٧

وبقي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يحدث الناس بما يخلق لهم الحياة الكريمة التي تحصنهم مما يعصف بالمجتمعات ويهوي بها إلى الهلاك ، فقال صلوات الله وسلامه عليه : " إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهم لن تضلوا بعدي أبدا "[٦]، وقال في أكثر من مناسبة أن عليا وزيره وخليفته والأولى بالموالاة كحديث المنزلة[٧] وحديث الراية[٨]، فقد أسس لتداول السلطة وانتقالها، ولكن بشكل محدد لا أن يترك للمنازعات، لكي لا يجعل للفتن مكانا في هذا المجتمع الذي عانى النبي ما عاناه لبنائه، ولم يقتصر النبي على التبليغ بعلي بن أبي طالب عليه السلام بل تعدى الأمر ذلك أن وضّح لهم كل الخلفاء الذين من بعده فقال الخلفاء من بعدي اثنا عشر وكلهم من قريش[٩] ، لينهي مسألة الاقتتال أو التنازع على السلطة الذي يعد من أخطر ما يعصف بالمجتمعات، فوضع له النبي حلا ناجعا ، بيد أن القوم قد نأوا عنه ، فوقعوا فيما وقعوا فيه من خلاف وشقاق .

والأساس في كل ذلك هو رفاهية المجتمع واستقراره ، ولذلك نجد أن الإمام عليا عليه السلام قد ترك المطالبة بحقه في خلافة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ، لأنه قد نظر إلى مصلحة المجتمع ، التي أرادها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فآثر المواصلة على نهج الرسول، وترك أمر المطالبة بالخلافة مع أحقيته بها ، يقول في خطبته المعروفة بالشقشقية :" لقد تقمصها فلان، وإنّه ليعلم أنَّ محلي منها محل القطب من الرحا "[١٠]، كما صنع الإمام الحسن عليه السلام في صلحه مع معاوية، وهو الذي يعرف ما معاوية ، لكنه نظر إلى المصلحة العامة وما يلحق بالمجتمع.

حتى الجانب الإنساني الذي تعامل به النبي صلى الله عليه وآله مع الحسن والحسين عليهما السلام، كان يشير إلى أمته بمكانتهما عند النبي الذي هو لا ينطق عن الهوى قال تعالى : ((وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى» النجم : ٣-٤، يريد من ذلك تنبيه الأمة على منزلتهم ، وإعدادا لهما إلى أن يتسنم كل واحد منهم مسؤوليته إزاء المجتمع ، ففي ما كان يفعله النبي معهما من إطالة السجود إذا اعتلى ظهره أحدهما، أو قطعه لخطبته إذا أقبل أحدهما عليه، وأحاديثه التي بيّن منزلتهما عنده وعند الله وعند المسلمين، كل ذلك هو عملية إعداد للمهمة التي تنتظرهما.

إن ترك المجتمع من دون سلطان أومن دون آلية لوصول سلطان يودي به إلى الاقتتال والهلاك ، فتذهب الجهود هباء منثورا. ولعل هناك من ينتقد أسلوب عدم إعطاء الناس الحق في اختيار سلطانهم، وأنه لا ينسجم مع الأنظمة للدول المتقدمة. وهذا أمر فيه قول كثير نسلمه للقارئ مع ملاحظة الواقع. ونترك الحديث عنه في هذا البحث ونرجئه إلى مناسبة أخرى، إلا إشارة واحدة أحببت أن أذكرها للقارئ الكريم، وهي أن عملية الإعداد والتهيئة لا تتنافى مع مبدأ الانتخاب من الشعب، فلو وجدوا من هو أولى بالحكم من هؤلاء وأعرف منهم في حكم الله وتحقيق العدالة الاجتماعية فليأتوا به، ولكن أنى لهم مثل هذا، وتبقى الوقائع شاهدا لا يمكن تغافله.

هذه كلها كانت دروسا للإمام الحسين عليه السلام، لأنه كان يسمع ويراقب ما قام به النبي وأبوه وأخوه، ولهذا لم يخالف سنة النبي ولا نهج علي ولا نهج الحسن صلوات الله عليهم أجمعين ، فقد نظر أولا إلى مصلحة المجتمع الذي أسسه جده النبي (ص) وغذّاه أبوه وأخوه ، فكان شعاره الذي رفعه يؤكد هذه الحقيقة من دون أدنى شك ((إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي ص)) [١١]، ولهذا نجد الإمام عليه السلام قد انتفض لمصلحة المجتمع الذي بناه الرسول وجاهد أبوه وأخوه من أجل رفعته ، فلم يبال في التضحية لمجتمعه، فخرج لا أشرا ولا بطرا، تدفعه نية الإصلاح والفلاح للعالمين، بصدق ويقين منقطع النظير ، ولهذا هون ما نزل به لأنه كان بعين الله سبحانه وتعالى.

مما تقدم نجد أن النبي قد تحرك من أجل إصلاح مجتمعه، وسعى لهذا الهدف بكل الوسائل فقدم الجهد والتضحيات، ورغب عن ما رغب فيه غيره، سيما حينما أراد سادة قريش أن يعطوه مفاتيح الكعبة، لكنه أبى حتى لو أعطوه الشمس في يمينه والقمر في شماله، وقد كان رؤوفا بمجتمعه وعمل من أجل مصلحتهم وأرسى السلام وفضله على غيره من الخيارات، فأسس هذه المبادئ التي سار عليها الحسين بن علي عليه السلام، إذ وجدناه رجل السلام الذي انتفض من أجل حياة كريمة بعدما لاحظ أن الأمويين قد حرفوا دين الله، لاسيما حين حل يزيد خليفة عليهم، وهو ما هو : قاتل النفس المحترمة ،شارب الخمر، الذي لا يتورع عن ارتكاب معصية ، وبعدما وصله المجتمع من انحراف فكري خطير نتيجة ممارسات آل أمية من أجل الوصول إلى الملك ، ولكي يفعلوا ما يفعلونه من دون حساب من الناس ، وخشية أن يرفض الناس دين محمد الذي مكن آل أمية منهم ، نهض الحسين نهضته العظيمة التي باتت نبراسا للشعوب المضطهدة ومنارة للباحثين عن الحرية والحياة الكريمة، متبعا نهج النبي المصطفى صلى الله عليه وآله ، فأبقى الإسلام خالدا بعد أن أوجده جده صلى الله عليه وآله، ورحم الله القائل الإسلام محمدي الوجود حسيني البقاء .

المبحث الثاني
(المكاسب الآنية للنهضة في هدي الوقائع)

مرت النهضة الحسينية في ثلاث مراحل، المرحلة الأولى حينما لازم بيته واعتزل الناس لحكمة تخدم المجتمع والنهضة، استمرت إلى حوالي سنة ٥٠ للهجرة، ثم مرحلة تصديه للمرجعية الفكرية إلى حوالي ٥٨ للهجرة. بعدها جاءت مرحلة الزعامة السياسية للإمام، بدأت في ٦٠ للهجرة[١٢].

بعد وفاة الإمام الحسن عليه السلام، ومآل أمر إمامة الناس إلى الإمام الحسين عليه السلام، واستمرار معاوية في نهجه، بل الأدهى حينما طلب معاوية البيعة من الناس لولده يزيد المعروف بشربه للخمر ومجونه ولهوه، أدرك أن المجتمع سيصل إلى نهاية الخراب، وسيؤول الفكر إلى الانحراف التام ، فلا بد من تدارك الأمر ، فبدأ التحرك وعقد مؤتمرا حاشدا في بيت الله دعا فيه وجوها من المهاجرين والأنصار والتابعين وعامة المسلمين ، فبيّن لهم المحن التي ألمت بالمجتمع من جراء النهج الأموي، ودعا الناس إلى أن يذهبوا إلى أمصارهم ويحدثوا خاصتهم ومن يثقون بهم عنه وعن ما قام به معاوية [١٣].

وفي سنة ٦٠ للهجرة ، هلك معاوية وأخلف يزيد بعده، وبدأ النهج الأموي يزيديا هذه المرة ، فبعث يزيد كتابا إلى واليه في المدينة ليأخذ من الحسين البيعة ليزيد ، فبدأت المضايقة والمطاردة للإمام ، فعزم روحي له الفداء الرحيل إلى العراق وهنا يقف البحث على أمور ليعطي رأيا فيها :

أولا لِمَ خرج الحسين من المدينة؟

لماذا يتجه إلى العراق دون غيره؟

لم يأخذ عياله وأطفاله معه ؟

ما عدد الذين خرجوا معه، وهل أعد العدة لأمره ؟

فلنحاول الإجابة عن هذه الأسئلة، أما خروجه من مدينة رسول الله فذلك لأنه عليه السلام قد علم أن المدينة ليست المكان المناسب لنهضته ، لأن مجتمعها بفعل السياسة الأموية غير قادر على التفاعل الإيجابي مع نهضة الإمام الحسين عليه السلام ، فضلا عن إحكام السيطرة الأموية عليها، إمارة وعيونا ورجالا، وبقاء الإمام في هذه البقعة لن يتيح له أن يفعل شيئا لمجتمعه الذي بدأ ينهار أمام ناظره، فلا بد من حل ومخرج لإنقاذه ، ففكر بالعراق بديلا عن المدينة ليكون مهدا لنهضته ونقطة إشعاع لبث الحياة الكريمة ، وإنشاء المجتمع المدني السعيد الذي وصف الباري الحياة فيه بأنها ((اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكاثُرٌ فِي الْأَمْوالِ وَالْأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَباتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَراهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطاماً وَفِي الْآخِرَةِ عَذابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرِضْوانٌ وَمَا الْحَياةُ الدُّنْيا إِلاَّ مَتاعُ الْغُرُورِ)) الحديد: ٢، إذ إن جمالها يغرّ الإنسان ، وكأنه لا يبرحها . وهو بهذا يذكرنا بخروج النبي إلى يثرب من أجل نهضته المحمدية ، فقد خرج الحسين بن علي عليه السلام ((**فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**)) القصص: ٢١. ورحم الله السيد جعفر الحلي إذ يقول :

خرج الحسين من المدينة خائفا كخروج موسى خائفا يتكتم

لقد نصح معاوية ولده قبل وفاته فقال في وصيته التي سأختار منها ما ذكره عن المدن وأقوامها : « انظر أهل الحجاز فهم أصلك وفرعك، فأكرم من قدم عليك منهم ومن غاب عنك فلا تجفهم ولا تعقهم، وانظر أهل العراق فإنهم لا يحبونك أبدا ولا ينصحونك ... وإن سألوك على كل يوم أن تعزل عنهم عاملا فافعل، فإن عزل عامل واحد هو أيسر وأخف من أن يشهر عليك مائة ألف سيف ، وانظر يا بني أهل الشام فإنهم بطانتك وظاهرتك وقد بلوتهم واختبرتهم فهم صبر عند اللقاء حماة في الوغى ...))[١٤] وإني لست أخاف عليك من قريش إلّا أربعة: ((الحسين بن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن أبي بكر)) [١٥]. وهذان النصان يبينان كل مجتمع وعلاقته مع الأمويين ومن سواهم، وأن هذه الرؤية كانت موجودة عند الإمام الحسين عليه السلام بل كانت معلومة عند كثير من الرجال، لذلك كان الاختيار الخروج من المدينة والسير إلى العراق .

ثم إن الإمام محمد بن الحنفية قد دخل على الحسين عليه السلام، حين علم أنه عازم على الخروج من المدينة، فقال له ناصحا أن ينزل غير العراق فقال: ((تخرج إلى مكة، فإن اطمأنت بك الدار فذاك، وان تكن الأخرى خرجت إلى بلاد اليمن، فإنهم أنصار جدك وأبيك، وهم أرأف الناس وأرقهم قلوبا، وأوسع الناس بلادا، فإن اطمأنت بك الدار، وإلاّ لحقت بالرمال وشعب الجبال ، وجزت من بلد إلى بلد ، حتى تنظر ما يؤول إليه أمر الناس، ويحكم الله بيننا وبين القوم الفاسقين))[١٦] . وقد شكره الإمام الحسين على نصحه ولم يبين له خطأ رأيه تأدبا كعادته عليه السلام، لأن الإمام لم يخرج خوفا من يزيد أو أتباعه، إنما خرج من أجل المجتمع لإصلاحه وحريته ورفاهيته، فكيف يذهب إلى اليمن، ولم يكن الخيار الموفق لانطلاق نهضته، لكن الحسين آثر العراق لأنه الأنسب لنهضته ففيه شيعة أبيه ،وهم أرضية النهضة ومادتها، يضاف إلى ذلك أمور لحظها الإمام عليه السلام في اختياره العراق، منها أن العراق يشغل موقعا جغرافيا مهما في المنطقة يصلح أن يكون نقطة انطلاق النهضة إلى الشعوب، ومنها أن العراق محط أنظار العالمين والمهتمين منذ ذلك الزمن حتى اليوم ، ففي وسائل الإعلام لا تجد يوما محطة إعلامية إلّا وتذكر العراق ، في حين تشهد دول المنطقة كلها ومنها اليمن أحداثا مماثلة وكثير من القنوات تهمل ذكرها، وما جرى في العراق في الوقت الراهن أقام الدنيا ولم يقعدها ، فقد وصل الأمر إلى أن تستقصي هذه القنوات حتى

الأحداث اليسيرة من قبيل مقتل أفراد أو حوادث في مناطق متفرقة من البلد ، فالإمام عليه السلام يعلم بهذه المزايا قطعا وإلا ما أصر على الذهاب إلى العراق .

ولابد أن يعلل البحث إخراج الإمام لعياله، مع أن هناك من نصح الإمام بإبقاء عياله، بيد أن الحسين قد أصر على أخذ عياله ، فلماذا يفعل الإمام ذلك ؟ يمكن تعليل الأمر بكل ما يأتي :

• لم يخرج الإمام محاربا، وإنما خرج لإصلاح المجتمع فغرضه الحياة لا الموت، وإن كان عالما أنه سيموت " كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلا "[١٧]، وتكراره لعبارة :» القوم يسيرون والمنايا تسير وراءهم «[١٨]، إلّا أن ذلك من بصيرة المعصوم، وهي من الغيب لا التوقع العملي، وإلا لمَ خرج الإمام وهو يعلم أنه مقتول في ضوء المقدمات المادية ؟، وإنما خرج لغرض الإصلاح وأخذ الأثر في المجتمع، وإلّا يبقى في المدينة وهو مقتول لا محالة ؟. بل أراد أن يؤسس نقطة انطلاق لنهضته التي حال دونها الأمويون كما ظنوا بقتلهم الحسين، وإلّا فإن الحسين برفضه للظلم والفساد الأموي فإنه سيحقق إصلاح المجتمع سواء قتل أم لم يقتل، فقد خط نهج الإباء والخروج على الظالم لاسيما حين يكون الظالم مثل يزيد .

• ليس من شيم المرء ترك عياله وهو يعلم أن هناك من يستهدفه ويستهدفهم ، فكيف بابي الأحرار الحسين بن على بن أبي طالب .

• قد يكون ترك العيال نقطة ضعف على الإمام ، قد يستغلها الخصم الذي لا يتوقف عن أي سلوك لبلوغ هدفه.

بقي أن يوضح البحث مسألة الذين خرجوا مع الإمام ،كم كان عددهم ؟ لم يخرج معه إلا رهط قليل من إخوته وأبنائهم وبعض الأصحاب والصحابة. ألم يستطع الإمام جمع عدد أكبر للقتال ؟ وهو الذي جمع ما يقرب من السبع مائة نفر في منى[١٩] . الجواب أن الإمام لم يخرج لحرب بل خرج للإصلاح وبناء المجتمع فماذا يصنع بالجيش ؟ لقد خرج الإمام بنهضة فكرية وعملية ،- وإن كانت الفكرية تعني العملية في المعنى والاشتراك لكن لا بأس من العطف للاهتمام -، والنهضة الفكرية أوسع من أن تكون سلاحا أو دماء أو أي شيء آخر، لذا عندما اعترض الخصم هذه النهضة لم يكن مهما دونها الأرواح والعيال والحياة وأي شيء آخر، وهنا يكمن السر في النهضة الحسينية ، لقد كانت في الله ومن أجل المجتمع لم يكن لا للحسين ولا لعياله ولا لصحبه مطمع في شيء غير رضا الله وخدمة المجتمع، ولهذا نلحظ أن المجتمع يقدم ويقدم من أجل الحسين وفاء لما قدمه للمجتمع، ولكن أفضل ما يقدمه المرء وفاء لسيد الشهداء والبطل الخالد هو السير على نهجه وما أراد تحقيقه في المجتمع، فمتى صلح الفرد كان ناصرا للحسين ﷺ، أما غير ذلك ومن دون الصلاح الفكري والعملي فأمر قد يكون مردودا سيما إذا ألحق ضررا بالمجتمع أو بالنهضة نفسها، وهنا أدعو إلى أن توضع الشعائر والممارسات في ميزان الحكم، ليعلم الناس والمحبون ما يرضي الإمام وما يحقق الانتصار لنهضته وما يكون غير ذلك .

بقي أن أذكر أمورا أدلل بها على أن نهضة الإمام الحسين كانت للحياة لا للموت وأنها أكبر من أن تكون ثورة سلاح أو موت، فالموت أوالشهادة مفردة من المفردات العظيمة للنهضة الحسينية لكنها ليست كل النهضة. وهذا ما سيكون في المبحث الأخير من البحث .

المبحث الثالث

(المجتمع بعد النهضة الحسينية)

إذا كان ما ذكرناه موضع القبول فإننا سنمضي للحديث عن المجتمع بعد النهضة الحسينية ، وسنتوقف متأملين عند ثلاث محطات الأولى عند المجتمع الذي بقي يراقب المعصوم، والثانية عند من تأثر بجانب من النهضة الحسينية وهو جانب الشهادة ، والثالثة عند الطرف الآخر كيف وجد هذه النهضة وبماذا أثرت .

الوقفة الأولى: بقيت مأساة كربلاء وآثارها النفسية ملازمة للإمام زين العابدين (عليه السلام)، كونه كان متابعا ومشاهدا لما جرى على الحسين وعياله من وحشية التعامل مع من خرج لخيرهم وصلاحهم ، مع من لم يرفع سيفا لقتالهم، لم نجد في أن الإمام قد دعا إلى حمل سيف أو إراقة دماء، لأنهم ما كانوا كذلك أبدا ، حتى مع كل الثورات التي جاءت بعد واقعة الطَّف المروعة، من أمثال حركة المختار بن يوسف الثقفي، والتوابين، وغير ذلك، لم نجد من عد أو خطط منهم سلام الله عليهم ، لأنها بكل بساطة لم تمثل النهج الرسالي الذي سار عليه المعصومون ، لهذا مارسوا عملهم في الحياة كونهم مصلحين يهدون الناس لما فيه خيرهم ، فهم عدل الكتاب والوسيلة التي تنجي الناس من الضلالة والزيغ عن الحق . ولست فيما قلت أقلل من شأن الثورات ضد الطغاة معاذ الله ، بل إني لأقلل شأنها أمام العمل المتكامل الرائع في نهضة الحسين(عليه السلام) التي صنعت الحياة إزاء الموت الذي صنعه الأمويون في تضليل العقول وتجهيل الناس، فالثورات التي تخرج إنما تنظر إلى جزئية من جزئيات النهضة ، لهذا لم تتورع الثورات من إراقة الدماء أمام من يقف ضدها أو يرفضها، إلا نهضة الحسين عليه السلام ، فقد عرف أن المجتمع مضلل فكيف يقاتله ؟! وهو من جاء من أجل إصلاحهم وصلاحهم، لذلك لا يمكن القول إن الحسين عليه السلام خرج مقاتلا بأي حال من الأحوال ، لكن القوم قد فرضوا عليه سل السيف أو الموت بالذل والهوان، ((ألا وإن الدعي بن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة يأبى الله لنا ذلك، ورسوله والمؤمنون ، وحجور طابت وطهرت ، وأنوف حمية ، ونفوس أبية من أن نؤثر طاعة اللئام ، على مصارع الكرام))[٢٠] مرددا أبيات فروة بن مسيك المرادي[٢١] :

فإن نهزم فهزامون قدما وإن نهزم فغير مهزمينا
وما إن طبنا جبن ولكن منايانا ودولة آخرينا
فقل للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

لم يكن هذا الخروج إذن من أجل المعركة ، ولم يدع الحسين إلى جمهرة الناس من حوله ، بل طلب من من يريد اللحاق به والخلاص من طغيان السلطة المستبدة الغاشمة أن يلحق به عاجلا أو آجلا، وأعلن سلام الله عليه وجهته، فبقي من المسلمين من يراقب الأمور، ليرى إلى ما ستؤول إليه، من دون أن يكون له موقف واضح من الإمام الحسين عليه السلام، أو من لم يكن بقادر على أن يعلن تأييده للإمام خشية من جور الجائرين، وهناك الذين ناصروه وكانوا معه وغالبيتهم من أهل الكوفة ، وهناك من تحزب لقتاله وغالبيتهم في جيش بني أمية وممن كانت لهم مطامع مادية دنيئة في قتل الحسين[٢٢].

الوقفة الثانية : عاش يزيد بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام ثلاث سنوات وشهر وبضعة أيام غزا بها المدينة وأباحها ثلاثة أيام للجند وغزا الكعبة ورماها بالمنجنيق، بعد ذلك تصدعت الدولة الأموية وتمزقت وعاشت حروبا داخلية[٢٣].

شهد التأريخ فيها ثورات حملت السيف للذود عن أهدافها ومراميها، متخذة من موقف أبي الأحرار وسيد الشهداء مثلا في ترخيص النفس أمام الغايات السامية ، إذ استطاعت ثورة الحسين عليه السلام أن تحرر الناس من القيود وأن يعلنوا

صرخاتهم بوجه الاستبداد والجور ، فبزغت ثورات عدة أشهرها ثورة أبي اسحق المختار الذي استطاع أن يقتص من بعض الجرم الذي ارتكبه الأمويون بحق آل بيت النبوة ، وتتالت بعدها الثورات الواحدة تلو الأخرى[٢٤].

ولكن هذه الثورات لم ترق إلى ما ارتقت إليه النهضة الحسينية ، فهل من علة لذلك ؟

لم تكن نهضة الحسين تنطلق من ضغائن في نفسه من أحد حتى لو كان يزيد ، فهو لم يخرج على يزيد كونه ابن معاوية أو غاصبا لحقه، بل لأن المجتمع سيهلك تماما بوجود نهج يزيد، فنهض لتدارك المجتمع الذي سخر الله له الأنبياء والأولياء لصلاحه. فأي عمل ثوري أو بطولي يمكنه أن يقترب مما قام به الحسين بن علي من نكران للذات، لقد تحلى بنهج أبيه أمير المؤمنين حين خرج لصد عمرو بن ود العامري إذ قال النبي فيه: (برز الإيمان كله إلى لشرك كله)[٢٥]. عندما تأخر علي (عليه السلام) في قتله وسأله النبي صلوات الله عليه وعلى آله، فأجابه بأنه إنما تأخر لأن ابن ودٍ قد بسق في وجهه الشريف وكان غاضبا فخشي أن يقتله وهو كذلك، فتأخر حتى هدأ روعه، فأي أناس أولئك صلوات الله وسلامه عليهم ؟.

الوقفة الثالثة: لقد أذهلت صرخات أبي عبد الله الحسين أذهان الطغاة، وهزت مضاجعهم تلك المواقف التي وقفها الحسين وأصحابه، فدكت تلك المواقف عروش الطغاة، وعلموا أن ليس لهم بقاء أمام صمود الأحرار، ولهذا بقي هتاف يا لثارات الحسين تهز مضاجعهم، ويتخذها الأحرار في كل زمان ومكان. لكن شعار يا لنهضة الحسين يكون شعارا للحياة وللشهادة والخير.

لقد اختلف الناس في رؤيتهم لنهضته فصوروها بثلاث صور الصورة الأولى التي يصورها الإعلام الأموي الذي تبنى أن الحسين خارج على الدين وخارج على الخليفة الشرعي، فهو مارق في عرفهم وفيما أوهموا الناس ، فقد ذكرت مصادرهم هذا الفهم فيما روي من بعض ما جرى من كلام بين قادة الجيش الأموي وبين الجند إذ قال : « يا أهل الكوفة ألزموا طاعتكم وجماعتكم ولا ترتابوا في قتل من مرق من الدين وخالف الإمام «[٢٦]، حتى وصلت هذه الأقوال إلى يومنا هذا، كما نجدها عند الشيخ الخضري الذي يقول : " وعلى الجملة فان الحسين أخطأ خطأ عظيما في خروجه هذا الذي جر على الأمة وبال الفرقة والاختلاف، وزعزع عماد ألفتها إلى يومنا هذا ... غاية الأمر أن الرجل طلب أمرا لم يتهيأ له ولم يعدّ له عدته . فحيل بينه وبين ما يشتهي وقتل دونه "[٢٧] . والصورة الثانية هي الصورة التي أظهرت الحسين عليه السلام ثائراً من أجل الملك وكان من حقه ذلك بيد أنه قد أخطأ فقُتل وانهزم، ليؤسس العباسيون لهم الحق في الخروج على الأمويين ويأخذون الملك منهم باسم الثأر للحسين والانتصاف للعلويين جميعا كما كانت تنص شعاراتهم على ذلك (الرضا من آل محمد)، فقد خطؤوه باختياره الكوفة دون غيرها، كما خطؤوه بصحبِهِ لعياله نساء وأطفالا ، وقد تبنى هذه الصورة جمع من المؤرخين ممن كتبوا التاريخ في عهد بني العباس مثل الطبري وغيره، وحذا حذوه فيما بعد الذهبي وابن كثير وغيرهم [٢٨]، أما الصورة الثالثة التي تقابل ما تقدم فهي التي تصور الحسين عليه السلام وارث الأنبياء وإماما من أئمة الهدى، خرج من أجل دحر الظلم وإرساء الدين الذي أقامه جده المصطفى صلى الله عليه وآله، وهذا ما ظهر في تراث أهل البيت وأحاديثهم، وما تناقله شيعتهم ومحبوهم وكل من نظر ببصيرة وعدل وإنسانية وأزاح هواه وأمراض النفس التي تُسلّمها إلى الشيطان. فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام، قوله : " اللهم إني أشهد أن هذا القبرَ قبرُ حبيبك وصفوتك من خلقك، الفائز بكرامتك، أكرمته بالشهادة، وأعطيته مواريث الأنبياء، وجعلته حجة لك على خلقك، فأعذر في الدعوة، وبذل مهجته فيك ليستنقذ عبادك من الضلالة والجهالة والعمى والشك والارتياب، إلى باب الهدى والرشاد. وأنت يا سيدي بالمنظر الأعلى ترى ولا ترى، وقد توازر عليه في طاعتك من خلقك من غرته الدنيا وباع آخرته بالثمن الأوكس، وأسخطك و أسخط رسولك عليه السلام، وأطاع من عبادك أهل الشقاق والنفاق، وحملة الأوزار، المستوجبين النار، اللهم العنهم لعنا " وبيلا " وعذبهم عذابا " أليما) " [٢٩] ، وهنا تتجسد الصورة التي يصورها أهل البيت عن الحسين عليه السلام جلية ، وهذا النهج التصويري

هو ما قام به شيعته وموالوه إلى يومنا هذا وحتى ما يشاء الله سبحانه وتعالى .

الخاتمة والنتائج

يمكن أن يجمل البحث نتائجه في النقاط الآتية :

* وجد البحث من طريق مسيرته وعرضه لشيء من سيرة المصطفى (صلى الله عليه وآله) وسيرة أمير المؤمنين وولديه الحسنين(عليهم السلام)، أن هناك نهجا متحدا عندهم صلوات الله عليهم أجمعين ، فقد كانوا يختلفون عن التفكير السائد عند كثير من الناس أن الإصلاح يكون بالسيطرة أولا على دفة الحكم ومنه إلى المجتمع ، ولكنهم لم يقصروا الإصلاح على هذا بل يمكن أن يتخذ طرائق شتى لحصوله، وهذا ما نجده عند ملاحظة ما مر في البحث لسيرة النبي وآله .
* إن فكرة الحكم وإدارة الدولة ورعاية شؤون الناس عند أهل البيت تختلف عما في أذهان عامة الناس ، فهو لا يعني الجلوس في كرسي الحكم أولا .
* فكرة الحكم إما أن تكون سلمية فبها وإلا فلا قيمة للحكم عندهم لهذا أسسوا قبل الجميع مبدأ التداول السلمي للسلطة بالطريقة التي يرونها .
* إن الإمام الحسين قد خرج ناهضا بأمته، ومخلصا لها من طغيان الظلمة، من طريق مسيرة إصلاح وتوعية وتبصير لما ستؤول إليه الحياة .
* الحسين عليه السلام بطل السلام ورجل السلام كجده وأبيه.

الهوامش

١. ظ : الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة : الدكتور هشام يحيى الملاح ، ١١٧ .
٢. أضواء البيان : الشنقيطي ٨ / ٢٥٥ ، حلية الأبرار: ٣٠٥ .
٣. تذكر بعض الدراسات أسبابا أخرى لهذه الغزوات ، ينظر الوسيط في السيرة النبوية ، ٢١٥ .
٤. سبقت هذه المعركة غزوات عدة ، ينظر الوسيط في السيرة النبوية ٢١٧ _ ٢٢٥ .
٥. ظ : الوسيط في السيرة النبوية ، ٢٩٠ .
٦. سنن الترمذي : ٣ / ٥٤٣
٧. ينظر : صحيح مسلم : ٤/ ١٨٧٠ ؛ فضائل الصحابة : ١/ ١٣-١٤
٨. ينظر : صحيح البخاري : ٥/ ١٨ ؛ بحار الأنوار : ٣٩/ ٨، ١٠
٩. ينظر : صحيح مسلم : ٣/ ١٤٥٢
١٠. نهج البلاغة : ٣٦
١١. بحار الأنوار : ١٠ / ٣٤٢
١٢. ظ : تاريخ الطبري : ٥ / ٣٢١
١٣. ظ : المصدر نفسه .
١٤. الفتوح : ٤/ ٣٥١

١٥. تاريخ الطبري : ٥ / ٣٢٢
١٦. بحار الأنوار : ٤٣ / ٤٤٢
١٧. مقتل الحسين : ٦٥ .
١٨. المصدر نفسه: ٦٢ .
١٩. ظ : الحسين في مواجهة الضلال الأموي ، ١٥١ .
٢٠. تاريخ ابن عساكر ح ٦٧٠ ، وتهذيبه ج ٢ ص ٣٣٤ ، والمقتل للخوارزمي ج ٢ ص ٧
٢١. الكامل في التاريخ ، ٢ / ٢٠٢ .
٢٢. ظ : الحسين في مواجهة الضلال الأموي : ٢٣٦ .
٢٣. ظ : المصدر نفسه ، ٢٣١ .
٢٤. ظ : الحسين في مواجهة الضلال الأموي : ٢٤٣ .
٢٥. بحار الأنوار : ٣٩/ ٥
٢٦. تاريخ الأمم والملوك : ٣/ ٣٢٤
٢٧. الدولة الأموية : محمد الخضري / ٣٢٧
٢٨. ينظر الحسين في مواجهة الضلال الأموي وإحياء سيرة النبي (ص) وعلي (ع) : السيد سامي البدري / ١٤
٢٩. كامل الزيارات : ابن قولويه / ٢٢٣

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. بحار الأنوار: الشيخ محمد باقر المجلسي، إحياء الكتب الإسلامية، قم المقدسة- إيران، ١٣٨٨هـ .
٢. تاريخ الرسل والملوك، الطبري ٣١٠هـ ، ط٢، دار التراث، بيروت، ١٣٨٧هـ .
٣. الحسين في مواجهة الضلال الأموي وإحياء سيرة النبي صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام ، السيد سامي البدري، ط ١، مطبعة ياسين ، بغداد ، ٢٠٠٦ .
٤. سنن الترمذي: الترمذي ٣٧٩هـ، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ
٥. صحيح البخاري :محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري(٢٥٦هـ)، تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.
٦. صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج النيسابوري(٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).
٧. الفتوح: أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي ٣١٤هـ، تحقيق : علي شيري، مطبعة دار الأضواء، ١٤١١هـ.
٨. فضائل الصحابة: أبو عبد الرحمن النسائي (٣٠٣هـ) ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ.
٩. مقتل الحسين: السيد عبد الرزاق المقرم، ط١، مطبعة الشريعة، ١٤٣٢ هـ ق .
١٠. نهج البلاغة للإمام علي: جمع الشريف الرضي، تحقيق: الشيخ فارس الحسّون، مركز الأبحاث العقائدية، قم المقدسة، إيران، ط١، ١٤١٩هـ .

الأفعالُ الكلاميَّةُ في الخطاب الأخلاقيّ عند الإمامِ الحُسين عليه السلام

دراسةٌ تداوليَّةٌ

Speech Acts in the Ethical Discourse of Imam Al-Hussein (Pragmatic Study)

أ.م. د رحيم كريم عليّ الشَّريفي ـّ م . د . حسين عليّ حسين الفتلي ـّ

جامعة بابل/ كلية الدراسات القرآنية، وزارة التربية/ الكلية التربوية/ بابل

Asst. Prof. Dr. Raheem Kareem Ali Al-Shareifi- College of Quranic Studies- University of Babylon

Lectur. Dr. Hussein Ali Hussein Al-Fatali- Ministry of Education- Educational College - Babylon

ملخص البحث

الحمدُ لله الذي عدّد صُورَ البَيانِ، ولمْ يجْعَلْه باللِّسان وَحْدَه، وهَيّأ لعباده أصنافَ الدلالات من أجل التحاوُر والتواصُل والتعايُش مِصْداقًا لمحكم كتابهِ،وشريفِ خطابه: وَجَعَلْنَاكُمْشُعُوباًوَقَبَائِلَلِتَعَارَفُوا إِنَّأَكْرَمَكُمْعِندَاللهأَتْقَاكُمْإِنَّاللهعَلِيمٌخَبِيرٌ[الحجرات: ١٣]، وصلّى الله على الخطيبِ بالقرآنِ سيّدِ البيانِ، وأميرِ التراحُمِ والحوارِ محمدٍ الخَيْرِ والحِكْمةِ والرَحمةِ ، وعلى آله بيَنَةِ الكتابِ ، وأدِلّة الرَّشاد ، وفَصَلَةِ الخِطابِ .أمّا بعدُ،

فلا جَرَمَ في أنَّ الخطابَ الأخلاقي للإمام الحسين (عليه السلام) يمثّل منظومةً احتجاجيةً تَوَافَقَ وتَسَانَدَ في قَبُولِها من قَعّد أُسسَ قواعدِ الاحتجاجِ الكَلاميّ في البيئةِ العربيّةِ، وكنا نَحْتَفي بقُيُودِ علماء العربيةِ ومُحَدِّداتِهم، وحَقًا أنَّ رجْعَ النظرِ في هذه المقيّداتِ والمعايير يَجْعلُنا مطمئنين لهذا الأدب الحسينيّ الماتعِ النافعِ من جهة قَبولِه في ضِمْنَ الدائرة الاحتجاجيّةِ المتواترة في صحتها وقبولها مرّة، والبحث في تراكيب هذا الأسلوب الرائع مرّة أخرى .

ومن هنا فإنّنا نَسْعَدُ حينما نتناوش جنبة لغويّة تداوليّة عظيمة البيانِ، عاليّةَ المضمونِ في الخطاب الأخلاقيّ الحسينيّ، وهي تغطّي – فيما نَخالُ – حيزًا كبيرًا مِنْ أدبِهِ، وهي مباحثُ الأفعالِ الكلاميّةبوصفها آليةً، أو مظهرًا من مظاهر النظريّة الحديثة(التداوليّة)، التي يمثّلُ الفعل الكلاميّ فيها محور عملها، وزبدة منهجها، وثمرة فكرتها[1]، وإذا كان عَمَلُ الذين درسوا أدبَ الإمّام الحسين (عليه السلام) يَرْكَنُونَ الى ملاحِظَ تركيبيةٍ تتعلَّقُ بالجملِ وأنواعِها، ونظامِ الإعرابِ، والدلالةِ وتشعباتِها، فإنَّ مباحثتنا تمثل مَرْجِعًا تأصيليًّا منهجيًا مستوعبًا لأبعاد التداوليّة، ولاسيّما بُعدُ (الأفعال الكلاميّة) الذي يَسْتَشْرِفُ حَدَثًا كلاميًّا مقصودًا ، له تجلياتُهُ ، وتأثيراتُهُ ، وإنجازاتُهُ .

إنَّ الأفعالَ الكلاميّةَ تُمثِّلُ بابًا عريضًا من أبوابِ التواصل والإبانة والتحاوُرِ ، وهذا ما تَسْعَى إليه التداوليّة المعاصرة، فالمتكلمُ والسامعُ في دائرة متصلة من الحوار والتواصل ، وهذا ما ألفيناه في خطابِ الإمامِ الحسينِ(عليه السلام) الأخلاقيّ، ولَعَلهُ مِنْ بَدَهي القول : إنَّ معاينةَ الحدث الكلاميّ وأقطابَهُ تؤذن بتحقّق دلالة الحدث الكلاميّ الكليّة ، وهذا ما نحاول مسترفدين إيّاه في مباحثتنا هذه ، التي بدت على استظهار الدلالات المترشِّحَةِ من الخطاب الحسينيّ باستشراف جسور التواصل والإبانة ومِنْ أجلِ استثمار القوى القوليّة والتأثيريّة والإنجازيّة التي عُرفت في الدرس التداوليّ ولاسيّما في مظهر (الأفعال الكلاميّة)، وقد ائتلفت من ثلاثة مباحثَ عريضةٍ ، هي:

أولُها : الخطابُ الأخلاقيّ والتداوليَّة مقاربةٌ تأصيليةٌ .

وثانيها: الأفعالُ الكلاميّةُ المباشرةُ في الخِطابِ الأخلاقيّ الحسينيّ.

وثالثُها: الأفعالُ الكلاميّةُ غير المباشرةِ في الخطاب الأخلاقيّ الحسينيّ .

وحَسْبُنا بعد هذا المُتَقَدِّمِ أنْ نَفْلي إلماحة مُعْجِبةً في طيّات الخِطابِ الأخلاقيّ الحُسينيّ الذي يتضمَّن المصالح التي تضمَّنتها الشريعة المطهرة .

نرجو أنْ يكون هذا العملُ فاتحةً لأعمالٍ أُخر، والحَمْدُ لله (تنزّه) في بَدْء وفي خَتَمٍ ، وصَلَّى الله على محمّد وآله الأطهرين الأنجبين.

Abstract

Thanks be to Him for granting us the evidences not only does the tongue take the priority، there are kinds of evidences and signs of communication and coexistence as stated in the glorious Quran :

O you mankind، surely We
Created you of a male and a
female ، and We have made
you races and tribes that you
may get mutually acquainted. Surely the most honorable among you in the Providence of Allah are the most pious. Al-Hujarat ،13.

For truth ، the argumentative devices in the Husseinist literature could be a cornerstone in the argumentation system ، here it is to tackle the linguistic locus in light of the ethical angle; such is regarded as pragmatic since there are many speech acts in the Husseinist contexts designating certain portals of communication that is what pragmatics today endeavours to have and that is what it is familiar in the Husseinist ethical discourse ; it is of axiomatics when hearkening to the speech acts ، there should be perception : the Husseinist discourse erects the rapports of communication and mutual dialogues . However the study runs into three sections: the ethical discourse and pragmatic derivation، direct speech acts in the ethical Husseinist discourse ، indirect speech acts in the ethical Husseinist discourse.

المبحث الأول
الخِطابُ الأخلاقيُّ والتداوليّةُ مقاربةٌ تأصيليةٌ

الخِطابُ في اللّغة:

(خَطَبَ) الْخَاءُ وَالطَّاءُ وَالْبَاءُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا الْكَلَامُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، يُقَالُ خَاطَبْتُهُ أُخَاطِبُهُ خِطَابًا، وَالْخُطْبَةُ مِنْ ذَلِكَ... وَالْخُطْبَةُ: الْكَلَامُ الْمَخْطُوبُ بِهِ ، وَيُقَالُ اخْتَطَبَ الْقَوْمُ فُلَانًا، إِذَا دَعَوْهُ إِلَى تَزَوُّجِ صَاحِبَتِهِمْ ، وَالْخَطْبُ: الْأَمْرُ يَقَعُ ; وَإِنَّمَا سُمِّيَ بِذَلِكَ لِمَا يَقَعُ فِيهِ مِنَ التَّخَاطُبِ وَالْمُرَاجَعَةِ[٢] ، خَطَبَ فُلان : أحسَنَ الخِطاب، والخطاب هُو المُواجَهةُ بالكَلام[٣] ، والخِطابُ مراجَعة الكلام ، وخاطَبَهُ بالكلامِمخاطبةً وخِطَابًا وهُما يَتخاطبان[٤]. ويبدو لنا أنَّ المشاركةَ في الكلام ومواجهة السامع إنْ حاضرًا وإن غائبًا هي أُسُّ عملية الخطاب، فلا يُعقل أن يصدرَ الخطاب من متكلِّمٍ من دون معاينة السامع، والالتفات إليه، من أجل استكمال عملية التواصل والإبلاغ.

الخِطابُ في الاصطلاح:

تنوعت تعريفات الخِطاب عند البيانيين العرب، وكان لتباين الفكر والتفكير في المنظومات العقلية لمنتجي الخِطاب الأثر البالغ في تلون نظرتهم لمفهوم الخِطاب ، ويظهر أنّ التعريف في الاصطلاح لا يخرج عن المعنى اللغوي في عملية الإبلاغ والتوصيل، فضلاً عن تلمّس الإقناع والإمتاع ، فهو في أصل اللّغة توجيه الكلام نحو المخاطَب (بفتح الطاء) ، ثم نُقِل الى الكلام الموجّه نحوه للإفهام اصطلاحًا، وسنحاول ذكر أهم تعريفات الخطاب من أجل الوصول الى مقاربة تأصلية له مع النظرية اللسانية الحديثة التداوليّة، فقد عرّف الآمديّ الخطاب بأنّه:((اللَّفْظُ الْمُتَوَاضَعُ عَلَيْهِ الْمَقْصُودُ بِهِ إِفْهَامُ مَنْ هُوَ مُتَهَيِّئٌ لِفَهْمِهِ))[٥]، نافيًا أنْ يكون الخطاب : ((هُوَ الْكَلَامُ الَّذِي يَفْهَمُ الْمُسْتَمِعُ مِنْهُ شَيْئًا))[٦]، وعرّفه بدر الدين الزركشيّ بأنّه: ((الكلَامُ المقصُودُ مِنْهُ إفهَامُ مَنْ هوَ مُتَهَيِّئٌ لِلفَهم؛ وَعَرَّفهُ قومٌ بِأَنَّهُ مَا يُقصَدُ بِهِ الْإِفْهَامُ أَعمُّ مِنْ أَنْ يكونَ منْ قَصَدَ إفْهَامَهُ مُتَهَيِّئًا أَمْ لَا. قِيلَ: وَالْأَولَى أَنْ يُفَسَّرَ بِمَدلُولِ مَا يُقصدُ بِهِ الْإِفهامُ))[٧]، ونلحظ أنَّ في تعريفي الآمديّ والزركشيّإشارة الى أركان الخطاب الثلاثة: (المخاطِب، والمخاطَب، والخطاب)، زد على ذلك وجود عملية تواصلية وإفهامية بين الطرفين، وهذا الفهم لأركان الخطاب ووظيفته الإبلاغية الإبداعية فطن لها اللّغويون المحدثون في ظلّ تعريفاتهم مستثمرين أفكار القدماء، فقالوا بأنَّ الخِطاب هو : ((كلّ تلفّظ يفترض متكلمًا ومستمعًا وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما)) [٨].

والخِطاب يتكامل مع المنهج التداوليّ: ((لأنّ استراتيجيات الخطاب تُعنى بدراسة اللغة في الاستعمال، فإنّ هذا يتطلب منهجًا يعتدّ بالسياق الذي تستعمل فيه، وأثره على بنية الخطاب ومعناه، وهذا ما يوفّره ما عُرِف في المناهج اللّغوية الحديثة بالمنهج التداوليّ كونه يتأسس على مفاهيم عديدة تؤلف فيما بينها محاوره التي يتشكل منها، وأطره العامة التي توضِّحمعالمه))[٩]، ومن هنا بدا لزوم الدعوة الى التركيز على علم اللغة المكبّر الذي يدرس اللغة بوصفها خطابًا فعالًا، ووسيلة للتواصل، ونقل المعنى والقصد، وليس نظامًا جامدًا من العلاقات النحويّة والشكليّة والدلاليّة[١٠].ومثلما يلتقي الخطاب مع التداولية، يلتقي مع الأخلاق، لاشتراكهما في جانب الاستعمال، يقول طه عبدالرحمن: ((فليس التخاطبُ تواصلاً فقط، بل هو أيضا تعامل))[١١]، ويرى أنَّ الخطاب الأخلاقي الموجَّه إلى المجتمع الإسلامي يعاني من هشاشة المفاهيم، وضعف في إدراك الرؤية الإسلامية فضلًا عن ذلك التشويه الفكري بفعل الأفكار الوافدة من بيئات ثقافية مختلفة، وهو ما يصطلح عليه بـ(المجال التداوليّ)، فكلّ مجال تداوليّ له شحنةٌ تداوليةٌ متأثرةٌ بالمفاهيم الثقافية لذلك المجال، فتداخل المجالات التداولية قد يحدث آثارًا وجروحًا جانبيةً، فاذا كان المجال المنقول اليه ضعيفًا أدى هذا النقل الى مسخ ثقافته، وإنْ كان متوسطًا أدّى الى تشويهه، وإنْ كان المجال

المنقول إليه قويًّا استقوى بالفكر الوافد عبر توظيفه توظيفًا يتلاءم مع الفضاء الإسلامي في ضوء تكييفه وتبيئته، وهو مشروع طه عبدالرحمن المعروف بـ(التقريب التداولي)[١٢]، إنّ التحليل السَّاكرونّي الصّرف (الآنّي)، لا الدايكروني (الزمانيّة التعاقبيّة) تفقد الخطاب إحساسه بالزمن وبفعاليته، ولا يقارب الواقع، إنَّ الخطاب الذي لا يقرأ ضمن واقعه الحيويّ هو خطابٌ ميّت، علينا إيجاد البديل النقدي الناجح لاستعادة القيم الأخلاقية في النصوص وفرزها ثقافيًّا؛من أجل بعث الفضائل الأخلاقية الإسلامية من جانب، وتقويم السلوك بما يتناغم، ويتغازل، ويلاطف الثقافة القرآنية الإسلامية من جانب آخر .

الاخلاق لغةً :

رَصَدَ ابنُ فارس أصلين لمادة (خلق): ((أحدهما: تقديرُ الشَّيء، والآخر: مَلاسَةُ الشَّيء))[١٣]. ويرى محمد عابد الجابري في ضوء مناقشته النافعة للنصوص اللغويّة المتصلة بتصريفات مادة (خ ل ق) أنّ للفظ (الخُلق) أربعة استعمالات نحسَبُ أنَّها ذات سُهْمةٍ تقارب بالأصلين المذكورين، هما: القوة الغريزة أي الهيأة الموجودة في النفس، والحالة المكتسبة التي يصير بها الإنسان خليقًا أنْ يفعل شيئًا دون شيء ، وأنْ يستعمل اسمًا للفعل الصادر عن تلك الحالة ، وقد يستعمل اسمًا للهيأة، والفعل معًا ، مثل : العفة والعدالة والشجاعة[١٤].

والخلق قرآنيًّا بمعنى الإيجاد والتقدير، وقد ورد في القرآن الكريم في آيات عدة بوصفه فعلًا خاصًا بالألوهية ، وقد يرد منسوبًا الى الإنسان بمعنى نسبيّ أو مجازيّومن الدلالات التي لها مسيس ببحثنا ، دلالة التحلّي والالتصاق بالصفات الحسنة، والفضائل الحميدة ، وتبلغ الكمال والتمام في الخلق العظيم ، وهذا ما تجسّد وترشّح للنبيّ محمد(صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم) بحكم قوله تعالى ((وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ)) [القلم/ ٤] .

ويرى الشيرازي(الملا صدرا) أنَّ شرط الفهم هو التخلق بالقرآن، وإنّ القرآن بحقيقته هو خلق النبي (صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم)، قال: ((والقرآن بحسب حقيقته الأصلّية خلق النبي(صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم)، وكل ما يفهمه المفسرون، ويصل إليه إدراكهم ظِلٌّ من ظِلاله القريبة والبعيدة ، وشَبَحٌ من أَشباحه العالية والدانية))[١٥].

الأخلاق اصطلاحًا:

الخُلُقُ والخُلْق هو:((ملكة نفسانية تقتدر النفس معها على صدور الأفعال عنها بسهولة من غير تقدم روّية))[١٦] ، والخُلُقُ: ((مَلَكة في النفس تحصل من تكرّر الأفعال الصادرة من المرء على وجه يبلغ درجة يحصل منه الفعل بسهولة ، كالكرم فإنه لا يكون خُلُقا للإنسان إلا بعد أن يتكرر منه فعل العطاء بغير بدل حتىّ يحصل منه الفعل بسهولة من غير تكلف))[١٧]، والأخلاق عند علماء المسلمين وغيرهم من الفلاسفة القدماء ملكة تصدر بها الافعال عن النفس تلقائيًّا، من غير تفكير أو روية أو تكلّف، وكلّ ما يصدر عنها عن النفس من سلوك ليس مطبوعًا فيها كغضب الحليم وكرم البخيل لا يعدّ خلقًاوهي صفات راسخة في النفس موجبة لصدور أفعال متناسبة معها ، من دون إعمال رويّة وتفكّر، وهيّ قد تكون ذاتيّة، أو وراثيّة، أو تكتسب بالعادة والمران[١٨] . نخلصُ من هذا المتقدِّم أنَّ الخطابَ الأخلاقيّ بوصفه مركبًا وصفيًّا ناقصًا، يعني مواجهة الآخر – إن حاضرًا أو غائبًا – بأبهى طرق اللباقة الأخلاقيَّة، وأجمل قيم الفضائل والمحامد؛ كونها راسخة في نفس المنشئ، وقارَّة ومطبوعة فيه.

ثالثا : التداولية لغة:

الدَّالُ وَالْوَاوُ وَاللَّامُ : يَدُلُّ عَلَى تَحَوُّلِ شَيْءٍ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ ، قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: انْدَالَ الْقَوْمُ، إِذَا تَحَوَّلُوا مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ. وَمِنْهَذَا الْبَابِ تَدَاوَلَ الْقَوْمُ الشَّيْءَ بَيْنَهُمْ: إِذَا صَارَ مِنْ بَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ، وَالدَّوْلَةُ وَ الدُّولَةُ لُغَتَانِ. وَيُقَالُ بَلِ الدُّولَةُ فِي الْمَالِ وَالدَّوْلَةُ فِي الْحَرْبِ، وَإِنَّمَا سُمِّيَا بِذَلِكَ مِنْ قِيَاسِ الْبَابِ; لِأَنَّهُ أَمْرٌ يَتَدَاوَلُونَهُ، فَيَتَحَوَّلُ مِنْ هَذَا إِلَى ذَاكَ، وَمِنْ ذَاكَ إِلَى هَذَا[١٩]، وقد استثمر اللغويون المعجم القرآنّي في استشراف دلالات تصريفات هذه المادة ، ولاسيّما (التداوليّة) فقد وردت بمعناها اللّغوي في عدد من الآيات القرآنية الكريمة ومن ذلك قوله تعالى:وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ [البقرة: ١٨٨] ، وقوله تعالى: مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ [الحشر: ٧] ، وقوله تعالى : إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ [آل عمران: ١٤٠].

إنّ المتأملَ في الآيات المباركات يلمس منها أنّ (التداول) يأتي بمعنى التحوّل وعدم الثبوت ؛ فهي لا تختلف كثيراً عن المعنى اللغويّ ، إذ يفهم منها انتقال الملك ، والتعاقب والتناوب على أمر ما.

التداولية في الاصطلاح:

أقدم التعريفات التي قُدِّمت للتداولية هي لشارلز موريس عام ١٩٣٨ يرى فيه أنَّ التداولية: فرعٌ من فروعِ السيمائية، إذ تُعنى بدراسة علاقة العلامات بمفسريها، وهذا التحديد يوسّع من مجال التداولية لتشمل العلامات اللغوية وغير اللغوية[٢٠]؛ غيرَ أنَّ التداولية لم تصبح مجالًا يعتدُّ به في الدرس اللغوي إلاّ في العقد السابع من القرن العشرين بعد أن قامَ على تطويرها ثلاثة من فلاسفة اللغة، هم:(أوستن، وسيرل، وكرايس)[٢١].

وهي فرع لساني يُعنى بدراسة التواصل بين المتكلم والمتلقي، أو بمعنى آخر يُعنى بدراسة الرموز التي يستخدمها المتكلم في عملية التواصل، والعوامل المؤثرة في اختيار رموز معينة دون أخرى، والعلاقة بين الكلام وسياق حاله، وأثر العلاقة بين المتكلم والمخاطَب في الكلام[٢٢]؛ ومصطلح التداول (التداولية) جاء على صيغة تفاعُل (تفاعُلية) وهذا البناء يرد للدلالة على المشاركة، أي: المشاركة بين المتكلم والمتلقي.

والحق أنّ الإفادة من المنهج التداوليّ الحديث في تحليل أنواع الخطاب المختلفة تقود الى الوعي بالذات في ضوء فهم أمثل للتراث، ومن هنا فإنَّ الحديث عن علاقة التداوليات بتحليل الخطاب يتطلب تعرّف أصول التداولية في الفكر اللساني الحديث[٢٣].

إنَّ الإفادة من المنهج التداوليّ في سبر الخطاب والإحاطة بأغراضه ، فضلًا عن ذلك الكشف عن استعمالات الخطاب باستشراف تداوليته في البيئة التي انتجته، حَفّزَ الباحثين على إنجاز هذه الدراسة الواصفة التحليلية التي لا تخلو من أنماط تعليمية حديثة، نخال ـــ بسبب قلة البحوث المنهجية في العربية بخصوص التداولية مقارنة بالجمّ الغفير من الدراسات الغربية ـــ أنّنا معنيون بالسير بخطىً حثيثاتٍ من أجل مقاربة الدرس اللساني التداولي الحديث[٢٤].

لا جَرَم أنّنا معنيّون بقراءة الخطاب الأخلاقيّ الحسينيّ قراءة تداوليّة باسترفاد (نظريّة الفعل الكلاميّ)، قراءة واعيّة باصرة من أجل كشف القيم الأخلاقيّة، وتفكيكها وفرزها وربطها بالحياة الواقعية باستشراف طرق المقارنة والتحفيز،

واستظهار القوى التأثيرية والإنجازيّة في هذا الخطاب البيانيّ الهادف الى جعل المعاني والدلالات مفهومات لدى مطلق الناس، ومن ثمّ الإسعاف في جعل النصّ حيّا متحركًا في ضمن شروط التلقيّ المختلفة، ولا ريبَ أنَّ المقاربات بين الخطاب والوعيّ الأخلاقيّ ، والأفعال التواصليّة التي هي نتاج التداوليّة، ثمرتها جليّة واضحة، فالخطابات الأخلاقيّة لا بُدَ من أنْ تكون مؤسسة على الفعل التواصليّ (الكلاميّ) [٢٥].

المبحث الثاني
الأفعال الكلاميّة المباشرة

هي أقوال تُؤدّى بها أفعال فيها يمكن للمرء أن ينجز أفعالاً بواسطة اللغة، نحو أزوجك ابنتي، فمجرد التلفظ بالقول تصير الابنة زوجة؛ ومن ثم يَحْدُث فعل كلاميّ[٢٦].

يتضح في ضوء المسار التطوريّ للتداولية أنّ المقاربة التداولية قامت على الأُسُسِ التي وضعتها فلسفة اللّغة مع كلّ من أوستين، وسيرل، وغرايس، فقد عَمِل كلُّ واحدٍ من جهته على تقديم رؤية لمقاربة اللّغة في إنجازاتها المختلفة .

ابتدأَ أوستين أولًا بالتمييز بين الجُمل الوصفيّةِ، والجمل الانشائيّة فالأولى تخضع لحكم الصدق والكذب بينما الثانية ترتبط بالنجاح والإخفاق، غير أنّ أوستين سرعان ما سيكشف أنّه لا جدوى من هذا التقسيم، وينزع عنه نسبيًّا ؛إذ إنّ كلَّ جملة تامة مستقلة تقابل إنجاز عمل لغوي واحد على الأقل، ويميّز بين ثلاثة أنواع من الأعمال اللغوية، العمل الأول هو العمل القولي، وهو الذي يتحقق ما إنْ تتلفظ بشيء ما. أمّا الثاني، فهو العمل المتضمّن في القول وهو الذي يتحقّق بقولنا شيئاً ما. وأمّا الثالث، فهو عمل التأثير بالقول، وهو الذي يتحقّق نتيجة قولنا شيئًا ما ومن ثمّ فإنّ كلّ جملة عند التلفظ في نظر أوستين توافق على الأقل إنجاز عمل قولي، وعمل متضمّن في القول، وأحياناً توافق القيام بعمل تأثير القول[٢٧] .

إنّ هذا التقسيم للأعمال اللغوية جذوره ضاربةٌ في التراث العربي بلحاظ حقائق ، وقواعد أسّسها العرب ، منها الحقيقة والمجاز، والسياق وتقنياته، من نحو سياق المقام (لكل مقام مقال)، وسياق الحال وغيرها [٢٨].

إنّ اللّغةَ بحسب نظرة التداوليين، ولاسيّما (جون أوستين) ليست مجرد وسيلة للوصف ونقل الخبر، بل أداة لبناء العالم والتأثير فيه، وقد تقدّم بنظرية بسط القول فيها: عبر جملة محاضرات ومقالات ضمنّها نظريته بخصوص الأفعال اللّغوية التي ظهرت بعد وفاته بعنوان:(كيف نُنْجِزُ الأشياء بالكلمات؟)، والذي ترجم الى الفرنسية عام ١٩٧٠ [٢٩]. وأُولى الخطوات التي تحدّث عنها موقفه من الأثر الذي تحدثه الجمل في إقرار حدث ما، وهو ما تكون بموجبه صادقة أو كاذبة أي التي تقوّم على وَفق معيار الصدق والكذب، زد على ذلك جمل التعجب والاستفهام والأمر والنهي ...وغيرها، فقد أقر أوستن في نظرية الأفعال الكلاميّة أركان العملية الكلاميّة؛ إذ أصبحت لديه ثلاثة، هي: (فعل الكلام) الألفاظ والتراكيب، والأصوات، و(قوة أفعال الكلام) المحتوى القضوي أو الدلالة، و(لازم أفعال الكلام) الفعل التأثيري[٣٠] .

واسْتَجْلَى جون سيرل أربعة محاور من نظريّة أستاذه (جون أوستن)، مع لحاظ التعديل عليها، الاول: تطوير شرط الملائمة والانجاز، والثاني: تقسيم الفعل الكلامي الى أربعة أركان مع التعديل الطفيف، والثالث: جعل الفعل الكلاميّ نوعين المباشر، وغير المباشر، والمحور الرابع: تصنيفه الأفعال الكلاميّة الأصناف الخمسة: (التقريرات)، (الطلبيات)، و(التعهدات)، و(الإفصاحات)، و(التصريحات)[٣١] .

ومن هنا فإنّنا سنحلّل الخطاب الأخلاقيّ الحسينيّ في ضوء نظريات تحليل الخطاب تداوليًا ، وفي ظلّ نظريّة أفعال الكلام التي طرحها أوستن ، وطورها سيرل ، ولا يخفى التواشج والتآلف بين الخطاب الأخلاقي ، وفلسفة التواصل التداوليّ ،

فالخطاب الأخلاقيّ الذي يفتقد مشروعية التواصل والإبلاغ هو خطابٌ ميِّت جامد وهذا ماتنبه عليه(هابرماس)[٣٢].

لا جرم أنّ سيرل قد ميّز بين الفعل الإنجازي المباشر الذي يكون قصد المتكلم مساويًا للمعنى الحرفي، وبين الفعل الإنجازي غير المباشر الذي يقصد فيه المتكلم إنجاز جملة تتضمّن قوتين إنجازيتين، قوة حرفية، وقوة إنجازيّة مستلزمة سياقيّا[٣٣].

وسنحاول استجلاء معاني الأفعال الكلاميّة المباشرة في الخطاب الأخلاقيّ الحسينيّ، في ظلّ استنطاق تراكيب هذا الخطاب، تأمّل خطبة الإمام الحسين (عليه السلام) في ذم بني أميّة، والتنبيه على حقّه:((إنَّ هَؤُلاءِ قد لَزِمُواطَاعَةَ الشَّيطَان، وَتَرَكُوا طَاعَةَ الرَحمَنِ، وأَظْهَرُوا الفَسَادَ وَعَطَّلُوا الحُدُودَ، واسْتَأْثَرُوا بِالفيءِ، وأَحَلُّوا حَرَامَ الله وَحرَّمُوا حَلَالَهُ، وأَنَا أَحَقُّ مَنْ غَيَّرَ، قَدْ أَتَتنِي كُتُبُكُم وَقدِمَت عَليَّ رُسُلُكُم، أَنَّكُم لَا تُسْلِمُونِي ولا تَخْذِلُونِي، فَإِنْتَممتُم عَليَّ بِبَيعَتِكُم تُصِيبُوا رُشدَكُم)) [٣٤]، فقد أشار الإمام الحسين (عليه السلام) الى الجماعة التي ثبتت ودامت على الانقياد والخضوع لإبليس، وتخلّوا عن الانقياد والخضوع لله تعالى، فأعلنوا الانحراف واللهو واللعب والضرر، تركوا حدود الله (عز وجلّ)، وضيّعوها، وخصّوا أنفسهم بالخراج وغنيمة المسلمين، وأنا أولى من يحول دون ذلك[٣٥].

فنلمح أنّ تعاقب الجمل الخبرية (إنّ هؤلاء قومٌ لَزِمُواطَاعَةَ الشَّيطَان)، (وَتَرَكُوا طَاعَةَ الرَحمَنِ)، (وأَظْهَرُوا الفَسَادَ)، (وَعَطَّلُوا الحُدُودَ)، (واسْتَأْثَرُوا بِالفيءِ)، و(أَنَا أَحَقُّ مَنْ غَيَّرَ) ... تمثل أفعالًا كلاميّة مباشرة، والسّرُّ في ذلك أنّ الجبهة المناوئة له (عليه السلام)، جبهة الشر والعصيان، تيار الخروج على الشرعيّة أمرها واضح ومكشوف، فأراد الإمام إبانة هذه الحقيقة ، وإذاعتها من أجل الإقرار وترسيخ القوة الانجازيّة التأثيرية في نفوس المتلقين لخطابه (عليه السلام)، وتتضافر القرائن السياقية في تعجيل القوة الإنجازية التأثيرية للخطاب، فنرقب الضمير المنفصل(أنا)، وأفعل التفضيل (أحقّ)، واسم الموصول (مَنْ)، زد على ذلك ضمير المتكلم (الياء) في (أتتني)، و(عليّ) ، فضلا عن ذلك التعاقب الفعليّ المُعْجِب تسلسلًا ودلالة (لزموا ، تركوا ، أظهروا ، عطّلوا ، استأثروا) كلّ هذه الالتفاتات المعجبة كان لها القدح المعلّى، والسهم الأوفر في وصف بني أميّة باتجاه مطابقة أفعالهم وأعمالهم الواقع الخارجيّ فيكون القول، والعمل مطابقين للوقائع الموجودة في زمنه (عليه السلام)، وهذه التقنيّة سمّاها (جون سيرل) بـ(التقريرات)، ((الغرض منها تحمل المتكلم مسؤولية صدق القضية المعبّر عنها، وتتميّز التقريرات بأنّ إتجاه المطابقة يكون اتجاهًا من القول الى العالم، أي أنْ يكون القول مطابقًا للواقع، والأحداث الموجودة في العالم الخارجي، كما تتميز التقريرات بصدورها عن حالة نفسية عُبّر عنها بالاعتقاد))[٣٦]، وهي إضافة لما بدأه استاذه (أوستين) من قبلُ من: حكميات، وتنفيذيات، وسلوكيات الأفعال الكلاميّة المباشرة وغيرها[٣٧].

ومن الأنماط الاستعماليّة المباشرة في الخطاب الحسيني الأخلاقيّ لأفعال الانجاز ، خطبته التي يقرع فيها أهل الكوفة: ((أمّا بعد: تبًا لَكُم أيتُها الجَمَاعَةُ وَتَرَحًا ، أحِينَاستَرَخصتُمُونَا وَاهِينَفَأصرَخنَاكُم مُوجِفِينَ سَلَلتُم عَلَيْنَا سَيفًا لنا في أيمانكِمُ وَحَششتُم عَلينا نارًااقتَدَحْناها على عَدُوِّنَاوعدُوِّكم، فَأَصبَحْتُم إلَبًا لأعدائِكُم على أوليائِكُم بِغيرِ عَدلٍ أَفْشُوهُ فِيكُم ولَا أَمَلٍ أَصْبَحَ لَكُم فِيهم...))[٣٨].

إذ يزهر الفعل الكلاميّ الإنجازيّ بطرفيه (التقريريّ) مرّة، والتصريحيّ مرّة أخرى، في ضوء وصفه لحالة أهل الكوفة حينما بعثوا بكتبهم إليه (عليه السلام) من أجل تخليصهم من الواقع المزري، والوضع المشين، وزعمهم الانقياد واتباع الإمامة الحقة المتمثلة بالإمام الحسين (عليه السلام)، إلّا أنّهم تقهقروا ونكصوا بعد ذلك[٣٩]، زد على ذلك فإنّ الفعل الكلاميّ الانجازيّ (التصريحي) ، وهو فعلٌ يتغيّر بمقتضاه الواقع، ويتضمّن أغلب الأفعال الشعائرية التي أوردها أوستن، وهو يتطلب بصورة خاصة مؤسسات غير لغوية تحدد قواعد استعماله مثل: محكمة، أو لجنة، أو مسجد، أو كتب السلوك[٤٠].

ويُسْتَجْلى الفعل الكلاميّ الإنجازيّ في الخطاب المبارك ، بمعاينة المصدر النائب عن فعله (تبًا)، و(ترحًا)، الدالّين على الدعاء على هؤلاء الفئة من الذين استنجدوا به (عليه السلام)، والجمل الخبريّة (استصرختمونا)، أصرخناكم، سَلَلْتم، حَشَشْتم، فأصبحتم ... ، زد على ذلك نلمح تكرار الضمير المنفصل (نا) الذي يُعدّ وسيلة كبرى من وسائل التواصل مع المتلقين والمستقبلين للخطاب؛ لكونه الإمام المفترض الطاعة، وإنّه صاحب الأمر والولايّة .

قُصارى مايمكن قوله في الخطاب الأخلاقيّ الحسينيّ محط البحث أنّ الإمام الحسين (عليه السلام) باستشراف جسد النص نجد القوة الإنجازية المباشرة للأفعال الكلاميّة في طور ردّه على هؤلاء ، ودعائه عليهم .

وقبل أنْ نختم مباحثة هذا النص المبارك ، لدينا وقفة نحسبها ملحة من أجل الوصول الى محزّ الحقيقة، وهي أنّ الكوفة قد ظُلمتْ ونُسِبَ لها من الغدر والمكر ولاسيّما أهلوها، وينسى متهمو الكوفة أنّ فريقًا من رجالها العظماء قد خرج من الأمان والدعة والراحة، وحارب مع الإمام الحسين (عليه السلام) في محنته مع صوت الباطل والمكر والخداع معاوية بن أبي سفيان، فالروايات التي جاءت في ذمّها، ولا سيّما في خطاب الإمام الحسين هي من الخطابات الخاصة ولا يمكن عُمُوم الخطاب، وشموله [٤١].

ويشتدُّ الفعل الكلاميّ الإنجازيّ ويعلو في خطبته التي خطبها (عليه السلام) في كربلاء بعد أنْ عزم القوم على قتله، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال:((إِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَغَيَّرَتْ وَتَنَكَّرَتْ، وَأَدْبَرَ مَعْرُوفُهَا وَاستمرتحذاء، فلَمْ يَبْقَ منها إِلّا صَبابَةٌ كَصُبَابَةِ الإِنَاءِ،وخَسِيسَ عَيْشٍ كَالْمَرْعَى الْوَبِيلِ، أَلا تَرَوْنَ أَنَّ الْحَقَّ لا يُعْمَلُ بِهِ، وَأَنّ الْبَاطِلُ لا يُتَنَاهَى عَنْهُ، لِيَرْغَبَ الْمُؤْمِنُ فِي لِقَاءِ الله محقًا، فإِنِّي لَا أَرَى المَوتَ إلّا سعادةً والحَيَاةَ مع الظالمينَإلّا بَرَمَا)) [٤٢].

إنّها ترنيمة في الحريّة، وهجران الظالمين، إنشودة في اختيار الطريق الحق، والسبيل القويم، إذ يشير الإمام (عليه السلام) الى الدنيا بأنّها لم تبق على حالها السابق من تعظيم واحترام وتثمين لأهل البيت (عليهم السلام)؛ إذ تتجلّى القوة الإنجازية للفعل الكلامي في الخطاب الأخلاقي الحسيني، فقد انطوت على وصف الحدث، والإخبار عنه، فضلًا عن تقريره، وهذا أمر بَدَهي؛ لأنّ الإمام الحسين (عليه السلام)، ودرايته الحقيقية بلحاظ الإحاطة بالواقع السياسي والاجتماعي المعيش فيه قد فاح وتضوع في كلّ كلمة نطق بها (عليه السلام) ، فطابق قوله ماكان جاريًا آنذاك من تهافت القيم، وسقوطها، واضمحلال الحقّ واندراسه، وعلّو صوت الباطل، وصراخ الرذائل[٤٣]، فنلمح تلاحق الجمل الخبرية التي ترشّح عنها الصدق، والإقرار بأبهى صوره، وأجمل أنساقه باسترفاد أوصاف الدنيا الزائلة (تغيّرت، تنكّرت، أدبر معروفها، لم يبق منها إلاّ صبابة)، ومن وُجْهَةٍ ثانيةٍ نجد إلماحة التقرير والإقرار في قوله (عليه السلام): ألا ترون أنّ الحقّ لايعمل به، وأنّ الباطل لا يتناهى عنه، التي تمثّل زخمًا وتعجيلاً في جذب المتلقي واستفزاز خواطره، والوصول الى أعلى مراقي الإبانة والتواصل والتحاور .

ومن وُجْهَةٍ ثالثةٍ يستشرف الخطاب الحسيني الأخلاقي ملامح العود الى الله (عزوجل) ، ولزوم طاعته ومحبته ٬ فهي أساس العيش الهنيء ، وتمام الخُلُق العظيم ، ومن هنا فقد حذّر طه عبدالرحمن من عدّ الأخلاق من المقاصد الكمالية ففي هذا سوء فهم لحقيقة الدين ، وإنّما مدار الأمر ومحصله يكون للمعاني الروحيّة، والمطالع الأخرويَّة[٤٤]. وهذا ما انتجته الأفعال الكلاميّة في الخطاب الحسينيّ الأخلاقيّ ، فإنّ الوصول الى درجات البعد عن الله (عز وجلّ) والسير بخلاف القيم والتعاليم التي شرّعها (عزّ وجلّ) ، يعني خروج المرء من دائرة الإنسانية، ومن ثمّ فإنّ العيش مع هؤلاء يعدُّ ضربًا من المحال، لأنهم خرجوا من الإنسانية الى البهميّة، ومرآة ذلك كلّه قوله (عليه السلام): (لِيَرْغَبَ الْمُؤْمِنُ فِي لِقَاءِ الله محقًا، فإِنِّي لَا أَرَى المَوتَ إلّا سعادةً والحَيَاةَ مع الظالمينَ إلّا بَرَمَا)، ولا يخفى أنّ الإمام الحسين (عليه السلام) كان يشاغف المجال التداوليّ (الثقافة المتداولة) في عصره في ضوء التصور الدلاليّ المتناغم من حال المجتمع، وما أصابه من تقهقر، ونكوص في القيم الأخلاقيّة التي تعدّ أسّ الإنسانية وجوهرها .

وهذا ما نستقيه من خطابه (عليه السلام) في خطبة له مقرعا أهل الكوفة ((فسحقًا وبعدًا ياعبيدَ الأُمَّة، وشُذَّاذَ الأحزَابِ، وَنَبَذَةَ

الكتابِ، ونَفثَةَ الشَّيطَانِ، ومُحرِّفي الكَلِم، ومُطْفِئِ السُّنَنِ، ومُلْحقي العُهَّار بالنَّسب المستهزئين الذين جعلوا القُرآنَ عِضين))[٤٥].

إذ تتحقق الأفعال الكلاميّة المباشرة في ضوء معاينة المصدرين النائبين عن الفعل (سحقًا وبعدًا)؛ إذ يمثّلان قوتين إنجازيتين كبيرتين،ونلمح في الخطاب الحسيني تعدادًا لأصناف من أهل الكوفة ممّن خذلوه (عليه السلام) باستشراف جموع العربية التي تدلّ على العموم والشمول ، والتي تترشح منها القوة الإنجازية التعبيرية ومن أجل تقوية الخطاب ، وتعجيل القوة الإنجازيّة وتأسيس لحظة ولادة النص ، لأنها ولادة مقدسة استثمر الإمام الحسين (عليه السلام) المعجم القرآني في وصف هؤلاء الذين استهزؤوا بالقرآن فجعلوه عضين ، اقتباسًا من قوله تعالى: ((الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ)) [الحجر: ٩١][٤٦]، جاء التصريح بوصفه قوة انجازية صادقة في كلام الإمام الحسين (عليه السلام)؛ إذ وصف هؤلاء بأوصاف عرفها فيهم، وخبرها عنهم، فتلبسوا بأخسّ الأوصاف، وأحطّ النعوت، وأصبح الدين لَعِقًا على ألسنتهم، والقرآن لا يعمل به، وإنْ قرؤوه، فهم لا يتدبرونه، ويخالفون أحكامه وتعاليمه؛ لأنهم قطّعوا آياته، وفرّقوها جهلًا وبغيًا.

وما قلنا قبلًا ، نعيده بعدًا علينا إبعاد القراءات السطحية والساخطة على أهل الكوفة ، لذا نجد أنّ الإمام الحسين (عليه السلام) في خطبة له يبين منزلته ومنزلة أصحابه وجلهم من أهل الكوفة : ((أمّا بعد، فإنّي لا أعْلَمُ أصحابًا أوفى ولا خيرًا مِنْ أصْحابي ولا أهْلَ بيتٍ أبرَّ ولا أوْصَلَ مِنْ أهلِ بيتي فجزاكُم اللهُ عنيَّ خيرًا)) [٤٧] ، فالإمام (عليه السلام) لا يعرف مرافقين واتباعا أكثر التزاما بإداء عهدهم ، ولا أحسن صدقًا في وعدهم من أصحابه ، ولا أهل بيت وأسرة أشفق، وألطف، وأطوع من أهل بيته، فأثابهم الله نيابة عنه (عليه السلام) حسن الدنيا والآخرة[٤٨].

فاللافت للنظر أنّ الخطاب ترشّحت منه قوىً إنجازيّة تتمثّل في الطلبيات (التوجيهيات)، التي يكثر منها في الخطابات ((وغرضها محاولة جعل المخاطب يقوم بعمل ما، والمتكلم في هذه الحالة يريد أو يرغب في تحقيق وضع في المستقبل يكون فيه العالم الخارجي مطابقًا لكلماته))[٤٩]، فقد استغرق الامام (عليه السلام) في وصف أصحابه أولا، ثم أهل بيته (عليهم السلام)، من أجل إقرار الأفضلية وترسيخها ، وقد حشد الإمام الحسين (عليه السلام) أفعال التفضيل (أَوْفَى، خَيْرًا، أبرّ، أوْصَل) من أجل دعم هذه القوة واستظهارها، ولا تخفى القراءة الواعية والباصرة من لدن الإمام الحسين (عليه السلام) لأصحابه، وأهل بيته (عليهم السلام) بلحاظ معاينة المجال التداوليّ، فبعد أنْ يئس (عليه السلام) من نصرة أهل الكوفة ترشّح هذا النفر الكريم، والثلة المؤمنة من الأصحاب الأوفياء الأبرار، فأراد الإمام (عليه السلام) أن يمدحهم مدحًا عظيمًا ، بأنهم خير الأصحاب وأن الزمان الذي جاء بمثلهم ، لا يمكن أنْ يجود بغيرهم البتة .

ويصرُخ الفعل الكلامي بقوته الإنجازية في قوله (عليه السلام) داعياً لهم بالجزاء، وحسن العاقبة (فجزاكم اللهُ عني خيرًا)، وهذا ما عبّر عنه جون سيرل بـ(التعبيريات) التي تمثّل غرضًا إنجازيًّا في التعبير عن حالة (سايكولوجيّة) نفسية تعبيرًا يتماشى، ويتماهى مع شرط الإخلاص، وليس لهذه الجهة اتجاه مطابقة، إذْ لا يقصد بها مطابقة العالم للكلمات، أو مطابقة الكلمات للعالم بلِ المقصود فيها صدق القضية، ويدخل في هذا الصنف، الأفعال من مثل: (شكر، اعتذر، عزّى، هنّأ، ...)) [٥٠].

وبعد هذا العرض الآخذ في استشراف ملامح القوة الانجازية المباشرة للأفعال الكلاميّة من الخطاب الحسينيّ الأخلاقيّ، نلمح قدرة هذا الخطاب على سَبْر أغوار الدلالات والمقاصد والغايات من لدن الإمام الحسين (عليه السلام) فكانت التقريرات، والافصاحات ، والتعبيريات في ضوء الاتّكاء على مرتكزات الدين الاسلاميّ، القائم على استشراف كتاب العربية الأكبر (القرآن الكريم)، واستنطاقه بوصفه يمثل نظامًا أخلاقيًّا متكاملًا، ومرقاةً عالية في نيل سعادة الدنيا، وسعادة الآخرة .

المبحث الثالث
الأفعالُ الكلاميَّةُ غير المباشرة

وظيفة اللّغة لا تقتصر على تقرير الوقائع، أو وصفها لكنّ للّغة وظائفَ متعددة: كالأمر، والاستفهام، والنهيّ، والتمنيّ، والشكر، والتهنئة، والقسم، والتحذير ... وغيرها، وليست اللّغة حسابًا منطقيًّا دقيقًا لكلّ كلمةٍ فيها معنى محدد، ولكلّ جملة معنًى ثابت؛ إذ لا تنتقل من جملة الاّ ما يلزم عنها من جمل مراعيًا قواعدَ الاستدلال المنطقي، بل الكلمة تتعدد معانيها بتعدد استعمالنا لها في الحياة اليومية، ويتعدد معنى الجمل بحسب السياقات التي ترد فيها، فالمعنى هو الاستعمال[٥١] .

هذا الفَهْم في توجيه وظيفة الخطاب بوصفه عملية إجرائية غايتها الإبلاغ والاتصال والإقناع، جعلت الإمام يستثمر البعدَ التداوليّ للخطاب، لأنّه آلية كاشفة عن الاستعمال من جهة، ومصوّرة الحال والمقام من جهة أخرى، وبتواشُج هذين العنصرين يتمُّ إصابة الدلالة المرادة بَلْهَ القصديّة أيضًا .

ومن هنا علينا قراءة الخطاب الأخلاقيّ الحسينيّ قراءة نقدية واعية ، ولا تحصل هذه القراءة إلّا بدراسة الأفعال الكلاميّة عنده من أجل استظهار إرادة المتكلم ، واستجلاء قصديته ، فالأفعال الكلاميّة تؤثر وتغيّر ، والفعّالية القائمة في العمل ليست اعتباطيّة ، وإنّما فعالية موجهة ، أي أنّها تتحدد بوجهة مخصوصة ، فلا عمل بغير وجهة تضبطه ، وقد اصطلح على تسمية هذه الوجهة الضابطة باسم القصد ، فلا عمل بغير قصد [٥٢]. فضلًا عن ذلك فإنّ ما يقدّمه جسد اللغة البنيويّ، إنّما هو المعنى البنيويّ المقالي فقط، والجسد لا بدّ له من محيط يشتمل عليه ويؤثّر فيه، فيأتي فضل سياق الحال، والأنظار الخارجية، والقرائن لتفعل فعلها في تشكيل المعنى، وبذا يكون المعنى مؤتلفًا من الرافدين: المعنى المقالي، والمعنى المقامي، وما يُنسَب إلى المقامي ملاحظة الأحوال، والقرائن والأنظار الخارجية التي تعدّ رافدًا معنويًّا أمينًا ذا وظائف متعددة[٥٣].

وسنتناوش خطابات حسينية أخلاقية نستشرف فيها أفعالاً كلامية غير مباشرة، ففي خطبة له عليه السلام في مكارم الأخلاق: ((أَيُّهَا النَّاسُ نَافِسُوا فِي الْمَكَارِمِ ، وَسَارِعُوا فِي الْمَغَانِمِ ، وَلاَ تَحْتَسِبُوا بِمَعْرُوفٍ لَمْ تَعْجَلُوا ؛ وَاكْسِبُوا الْحَمْدَ بِالنُّجْحِ، وَلاَ تَكْتَسِبُوا بِالْمَطْلِ ذَمّاً ؛ فَمَهْمَا يَكُنْ لِاحَدٍ عِنْدَ أَحَدٍ صَنِيعَةٌ لَهُ رَأَي أَنَّهُ لاَ يَقُومُ بِشُكْرِهَا فَاللهُ لَهُ بِمُكَافَأَتِهِ ؛ فَإِنَّهُ أَجْزَلُ عَطَاءً وَأَعْظَمُ أَجْراً .وَاعْلَمُوا أَنَّ حَوَائِجَ النَّاسِ إِلَيْكُمْ مِنْ نِعَمِ اللهِ عَلَيْكُمْ ؛ فَلاَ تَمَلُّوا النِّعَمَ فَتَحُورَ نِقَماً، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْمَعْرُوفَ مُكْسِبٌ حَمْداً ، وَمُعْقِبٌ أَجْرًا)) [٥٤]فالإمام الحسين (عليه السلام) يدعو الناس إلى المسابقة والمباراة في فعل الخيرات، والتعجيل في تحصيل الربح والنفع وعدم كشف المعروف إذا لم يُسرع في فعله، وأنّ النجاح والفوز يطلب في الثناء الجميل، وإن فعل العبد الأعمال الصالحة هي من أجل طلب رضا الله عزّ وجلّ وهو الذي يجزيه ويشكره...[٥٥]

وتتجلى القوة الإنجازية التأثيرية للأفعال الكلامية في الخطاب الأخلاقي الحسينيّ باستشراف دلالات (فعل الأمر) وهو طلب الفعل على جهة الاستعلاء والإلزام.[٥٦]في (نافسوا، سارعوا، اكسبوا، اعلموا)، وكذا استشراف دلالات (النهي)، وهو طلب الكفّ عن فعل على وجه الاستعلاء، وصيغته (لا تَفعَلْ).[٥٧] في (لا تحتسبوا، فلا تملّوا)، فالسياق الإنتاجي التوليدي الذي يترشّح من أسلوب الأمر في الخطاب الحسيني الأخلاقيّ، وكذا السياق الإنتاجي التوليدي المترشّح من أسلوب النهي بوصفه فعلًا كلاميًّا غير مباشر (سياق النصح والإرشاد)، ويمكن بيان الفعل الكلامي في الأسلوبين في ضوء المخطّطين الآتيين:

الأمر إنشاء طلبي سياق إنتاجي ⟵ النصح والإرشاد ⟵

(نافسوا، سارعوا، اكسبوا، اعملوا) (قوّة إنجازية تأثيريّة)

النهي إنشاء طلبي سياق إنتاجي النصح والإرشاد ⟵

(لا تحتسبوا ، لا تملّوا) (قوّة إنجازية تأثيريّة)

فالفعل الكلامي مثلاً (نافسوا)، يكون من فعل إسناديّ يتمثّل من الجملة الفعليّة الأمريّة المكوّنة من محمول الفعل (نافسوا) وموضوعه الرئيس (الفاعل) المضمر المتصل (الواو) (الناس)، وفعل إحاليّ (إحالة إليهم) من طريق الإشارة إليه بالضمير (الواو)، وفعل دلالي الذي يتشكّل من القضية التي تتمثل في أمر الناس في التنافس والتباري في مكارم الأخلاق في ظلّ إصلاح السريرة، والتشوّف إلى معالي القيم ومحاسنها، وتتشكّل القضية من الاقتضاء (المنافسة في اكتساب مكارم الأخلاق)، والاستلزام المنطقي (أمر الناس بالمسارعة والمنافسة في الاحتواء وحيازة الأخلاق ومكارمها).

ويظهر الفعل الإنجازي في ضوء الجملة الفعلية (نافسوا) التي تتكون حمولتها الدلالية في أمرين الأول: قوّة إنجازية حرفية تتجلّى في (الأمر)، والآخر: قوّة إنجازية غير مباشرة (تأثيرية) مستلزمة تستظهر في النصح والإرشاد.

ويمكن استحضار القوة الإنجازية التأثيرية غير المباشرة في ضوء المباحثة والمقاربة التداولية في أسلوب النهي، فالفعل الكلامي الحسينيّ (لا تحتسبوا) مثلاً فعل إسناديّ يتمثّل في الجملة الفعليّة المكوّنة من محمول الفعل (تحتسبوا)، وموضوعه الفاعل المتصل (الناس) والفعل الإحالي (إحالة إلى الناس الذين يحتسبون المعروف ولم يعجّلوا في صنعه)، والفعل الدلالي المكوّن من القضية التي تتمثل في تنبيه الذين يقومون بهذا العمل عن طريق الوعظ والإرشاد، وتتكوّن القضية من اقتضاء عدم احتساب المعروف بلا قيام له، واستلزام منطقي النهي، والكفّ عن هذا العمل، فالفعل الكلامي الإنجازي تتكون حمولته الدلالية من قوة إنجازية حرفية هي (النهي)، وقوة إنجازية غير مباشرة تأثيرية مستلزمة في تحذير الناس مع وعظهم وإرشادهم.

ونقدح بأمر – نخال أنه مهمّ – أنّ هؤلاء المخاطبين إن قاموا لأمر المتكلّم، واستجابوا لطلبه من جهة، وتركوا المنهيّ عنه من جهة أخرى، فقد أنشأ المتكلّم (الأمر)، و (النهي) حينئذ، وهذا ما عبّر عنه (ابن عربي) بالإنشاء الإلهي؛ لأنّه إنشاء الأعيان.[٥٨]

حقاً وصدقاً أنّ الغاية من معرفة الأخلاق، وتعلّم هذا العلم ليست ذاتيّة، بمعنى أنّنا لا نتعلّمه؛ لأنّنا نريد تعلمه، بل المراد هو الوصول عبر طريق الأخلاق الشريفة إلى الغاية المحمودة وهي تحقيق رضا ربّ العالمين.[٥٩]

ولا بدّ من الإشارة أنّ الإمام الحسين في خطابه الأخلاقي آنفاً أراد أن يصل إلى أعلى درجات التواصل، والتعاون التداولي مع المخاطبين من أجل بناء الانسجام التخاطبي، الذي يقتضي أنّ المتكلّمين والمخاطبين متعاونون في ما بينهم بحسب قاعدة (بول كرايس) المعروفة بـ (قاعدة التعاون)، حتى يحصل التواصل والإبلاغي التخاطبيّ[٦٠].

ويمكن أن نعطي مثالاً لسقوط التواصل وتهافته من جهة المخاطبين (السامعين)، فقد اجتهد الإمام الحسين (عليه السلام) في النصح والإرشاد، ولكن ليس كلُّ من توجّه إليهم بالنصح انتصحوا ولا كل مَن خاطبهم بالتوحيد أسلموا وأقرّوا، لذلك نراه يقول عليه السلام يوم نزوله كربلاء يوم الأربعاء أو الخميس في الثاني من محرّم سنة إحدى وستين ((أمّا بعدُ، فإنَّ الناسَ عبيدُ الدنيا، والدينُ لَعِقٌ على ألسنتِهم يحوطونه ما درّتْ معائشهُم فإذا مُحِّصوا بالبلاءِ قَلَّ الديّانونَ))[٦١].

فالإمام (عليه السلام) يؤكّد أنّ غير المؤمنين من الناس يعبدون الدنيا بما فيها من مال ونساء وجاه وهوى وشهوات، وأمّا الدين والإيمان فما هو إلا لحسة على الألسن ليس لها قرار، ودوام يحفظونها ما كثُرت ، وتيسّرت أرزاقهم، فإذا اختُبروا بالاختبار تركوا الدينَ وتهافتوا على مَن تلبّس به.[٦٢]

وهذا الفهم والتصوّر الدلالي على تهافت التواصل، وانخرامه عبّر عنه ابن عربيّ في الفتوحات المكيّة أي : إنّك لا تقدر على من تريد أن تجعله محلًّا لظهور ما تريد إنشاؤه أن يكون محلًّا لوجود إنشائك فيه فليس كل متكلم في الدنيا بإلهيّ مطلقاً، لكن له الإطلاق في ما يريد أن يُنشئه في نفسه إلى في غيره[٦٣].ويُفهم في ضوء تقاطع إرادة التكوين (الإلهي) المتكلم، وإرادة التكليف (الناس) اللافظ؛ إذ الأولى لا تتخلف في حين الثانية يمكن أن تتخلّف[٦٤].

ويزهر الفعل الكلامي غير المباشر في الخطاب الأخلاقي الحسينيّ (السياق الإنتاجي التوليدي)، سوء العاقبة والمآل في بيان

حال الذين نقضوا العهد، وخلعوا البيعة من أعناقهم ، مبيّناً عاقبتهم المخزية وسوء مآلهم، قال في خطبة خطبها بـ(البيضة): ((فأنَا الحسينُ بنُ عليٍّ وابنُ فاطمةَ بنتِ رسولِ الله صلى اللهُ عليهِ وسلّمَ نفسي مع أنفسِكُم وأهلي مع أهليكُم فلكُم فيَّ أسوةٌ وإنْ لم تفعَلوا ونقضتُم عهدَكُم وخلعتُم بيعتِي من أعناقِكُم فلعمرِي ما هيَ لكُم بنُكرٍ لقد فعلتُموها بأبِي وأخِي وابنِ عمّي مسلمٍ، والمغرورُ من اغترَّ بكُم فحظُّكُم أخطأتُم وضيّعتُم ومَن نكثَ فإنّما ينكُثُ على نفسِه وسيغنيني اللهُ عنكم))[٦٥].

وتأسيساً على معاينة النصّ وتكشيف دلالاته يمكننا الاستنتاج أنّ الخطاب الحسيني الأخلاقيّ خرج على مقتضى الظاهر مع مراعاة حال المخاطب يُعدّ إنجازاً لأفعال كلامية غير مباشرة؛ لأنّ الخطاب حينها قد استشرف نفسية متلقيه وراعى الحال غير الظاهرة في المقام؛ من أجل أن يصل إلى إخراج كلامه على مقتضى تلك الحال، وهذا ((ما يدلّ على مراعاة لأوضاع غير لسانية لا تظهر على مستوى البنية السطحية للكلام وإنما يتمّ الوصول إليها على مستوى البنية العميقة ممّا يعني أنّ هناك علاقة متينة بين قصد المتكلّم، ومقام المتلقي ونفسيّته ... وهو ما تركّز عليه اللسانيات التداولية في أبحاثها)) [٦٦].

وعوداً على بدء فإنّ الخطاب الحسيني الأخلاقي كشف نيّات هؤلاء وأفعالهم الآن، ومن قبلُ، وهم يرون بأمّ أعينهم كيف تتهاوى أعمالهم، وتتطاير أفعالهم؟، وهو مصداق عظيم على سوء عاقبتهم ومآلهم المخزي، فالجملة الخبرية المؤداة بالجملة الاسمية (فأنا الحسين بن علي) (وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)، (نفسي مع أنفسكم)، (وأهلي مع أهليكم)، (لكم فيّ أسوة) وغيرها تقرير وإقرار بمكانته، وإمامته وقد تحصلت القوّة الإنجازية بلحاظ الضمير المنفصل (أنا) الذي يمثّل شحنة تواصلية إبلاغية بين المتكلّم والمتلقي، زد على ذلك ضمير المتكلّم الياء في (نفسي، وأهلي، بيعتي، عمري، أبي، أخي، عمي) الذي يؤكد إمامته وأحقيته بالاقتداء، والاتباع إلا أنّهم فقدوا التعاون، وأخفقوا في التواصل والانسجام، فكانت عاقبتهم الحظ الأوكس، والنصيب المضيع، والنكث المخزي.

ومن السياقات الإنتاجية التوليدية التي ترشّحت من الخطاب الحسيني الأخلاقي بوصفها أفعالاً كلامية غير مباشرة، سياق التبكيت والتقريع، خطب (عليه السلام) في القوم بعد أن حالوا بينه وبين رحله، فصاح بهم الحسين (عليه السلام): ((ويحكم يا شيعة آل سفيان؛ إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا أحراراً في دنياكم هذه، وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم أعراباً كما تزعمون))[٦٧]. فنادى الشمر بن ذي الجوشن – لعنه الله – ماذا تقولُ يا حسين؟ قال: ((أقولُ أنا الذي أُقاتِلُكُم وتقاتلوني، والنِّساء ليس لكم عليهُنَّ جُناح، فامنعوا عُتاتَكم وطَغاتَكم وجُهَّالكم عن التَّعرّض لِخَرَمي مادُمتُ حيًّا))[٦٨]. فمعاينة النص نستجلي القوة الإنجازية التأثيرية بلحاظ سياق التقريع والإهانة لهؤلاء، فالأفعال الكلامية (ويحكم) ، (شيعة آل سفيان) والطلقاء وأبناء الطلقاء، إن لم يكن لكم دين، وعدم الخوف من الميعاد تنبئُ بالفعل الدلالي الإنجازي التأثيري (التهديد والتقريع والذم)، إذ تتشكَّلُ هذه الأفعال من القضية التي تظهر بُعْد هؤلاء عن الشريعة المقدسة، بل إنكارها فضلًا عن عدم الخوف من وعيد الله (عزّ وجلّ)، فتتكوّن القضية من أمرين، الأول: الاقتضاء، أي اقتضاء جحود هؤلاء بالدين والمعاد والقيم الأخلاقية، والآخر: استلزام منطقي في لوم هؤلاء وتقريعم وتبكيتهم لجحودهم وإصرارهم على الذنب والمعصية.

ويتجلى الفعل الإنجازي في قوّتين، قوّة إنجازية حرفية في البنية الجسدية للخطاب بمعاينة (ويحكم، شيعة آل أبي سفيان، لم يكن لكم دين، عدم الخوف من الميعاد) وقوّة إنجازية مستلزمة (تحذير وتوبيخ ولوم وعتاب).

يصوّر لنا هذا الخطاب الحسيني الأخلاقي إصرار هؤلاء على العصيان تكبّراً وتعالياً، غافلين عن قدرة الله (عزّ وجلَّ) ووعيده وناره، موبّخاً إياهم (عليه السلام)بسبب تماديهم وانحرافهم عن الحق والدين المقدّس.

ومن السياقات الإنتاجية التوليدية التداولية التي تمثّلُ قوّةً إنجازيَّةً تأثيريَّةً في الخطابِ الحسيني الأخلاقيّ سياق (التقرير

والإثبات)، الذي يتجلَّى ويزهرُ بأبهى صورة، وأكملها في قوله (عليه السلام): ((ما أهونَ الموتَ على سبيلِ نيلِ العزّ، وإحياء الحقّ، ليس الموتُ في سبيل العزّ إلّا حياة خالدة، وليست الحياةُ مع الذّلِّ إلّا الموت الذي لا حياةَ معه))[٦٩]. لا جَرَمَ أنَّ صورةَ الثائر المسلم قد تجلَّت بأبهى صورها وأكملها في إباء الإمام الحسين (عليه السلام). وقد أبدع ابن أبي الحديد في وصفِ إباء سيِّد الشهداء، الإمام الحسين (عليه السلام)، فقال: ((سيِّدُ أهل الإباء الَّذي علَّمَ النَّاسَ الحمية، والمَوْت تحت ظلال السيوف اختيارًا على الدَّنيَّة أبو عبد الله الحسين بن عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)))[٧٠].

ويُمكنُ استظهار القوة الإنجازيَّة للفعل الكلامي المؤدَّى بأسلوب التعجب: (ما أفْعَلَهُ!)، (ما أهونَ الموت!)؛ إذ خرج الأسلوبُ من سياق الانفعال، واستعظام الزيادة في وصف الفاعل، أو من الانبهار والدهشة والانفعال الذي يعرض للنفس عند الشعور بأمر يخفى سببه؛ ولذا قيل: إذا ظهرَ السبب بَطَلَ العجب[٧١]. إلى سياق التقرير والإقرار، فالفعل الكلامي (ما أهونَ الموتَ) يتكون من فعل إسنادي (ما) والفعل المتعجب منه، ومن محمول الفعل (أهون)، وموضوعه الفاعل المستتر (المُتَعجِّبُ)، أي: ما أهونه (الموت) عندي، وفعل إحالي إحالة إلى النفس من طريق الإشارة إليه بالفاعل المستتر. أمَّا الفعل الدلالي، فيتشكل من القضية التي تظهر الإقرار وتقرير (العزَّة) على الذلة، وإن كان ثمنها الموت والفناء، وتتكون القضيَّة من أمرين: الاقتضاء، أي: اقتضاء إقرار العزَّة وتقريرها على حساب الموت والفناء، والآخر: استلزام منطقي في إثبات العزّة وتقريرها، ونصرة الدين.

ويتجلَّى الفعل الإنجازي في قوَّتين: قوة إنجازية حرفية (بنيوية) أسلوب التعجب (ما أفْعَلَه!)، (ما أهونَ الموتَ!)، وقوة إنجازية تأثيريَّة مستلزمة (تقرير العزّة وإثباتها وإقرارها).

والذي يبدو أنَّ التعجب يمثلُ فعلًا لغويًّا مباشرًا نستدلُّ عليه حرفيًّا بقرائن بنيوية، (ما)، وفعل التعحب والمفعول به، غير أنَّ الجملة في السياق التي وردت فيه لا يقصد بها إنجاز فعل التعجب والدهشة والانبهار، وإنَّما أُنجز بها فعل التقرير والإثبات، ومن ثمَّ تولَّد من التعجب غرضٌ تواصلي تداولي هو (التقرير).

ومن هنا عبَّر الإمام الحسين (عليه السلام) عن أسمى مواقف العزَّة، لأصحاب المبادئ والقيم الأخلاقية والتربوية السامية، وحملة الرسالات: ((هيهات منا الذلَّة، يأبى الله ذلك ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت، وأنوف حمية، ونفوس أبيَّة من أن نؤثرَ طاعة اللِّئام على مصارع الكرام))[٧٢].

خاتمة البحث ونتائجه

أولًا: إنّ المنظومة الاخلاقية التي نستظهرها في الخطاب الحسيني هي منظومة اخلاقية ترتكز على المبادئ الدينية التي تنسجم والأسس التي تستشرف الغيب والدين وتجعل قيم الله تعالى وتعاليمه هدفا، وهي تستمد مضامينها من الدين ومن ثم فان تلك المنظومة الاخلاقية هي منظومة الهية دينية .

ثانيًا: لا جرم أنّ نزعة الأخلاق، والوعظ، والارشاد، تُعدّ علامة وضّاءة، وسمة غالبة في مراحل الخطاب الأخلاقي الحسيني كافة، وتهيمن على أغلب تراكيب الخطاب، ومن هنا تلونت أساليب الأخلاق ، والوعظ والإرشاد ، وتنوعت بحسب المقامات الحالية ، والسياقات التداولية.

ثالثًا: إنّ التواصل التداوليّ في الخطاب الحسينيّ الأخلاقيّ قائمٌ على الرجاء، واللطف والرحمة، والحنان، والرأفة، والجود والإحسان، وغيرها، وهي قيم أخلاقية عليا ومعانٍ مقاميّة، وسياقات تداولية إيجابية بنائية .

رابعًا: قدم الامام الحسين (عليه السلام) خطابًا قادرًا على النفوذ الى الوعي الشعبي ، والعقل الجمعي ، فالخطاب الأخلاقي يجب أنْ لا يكون خطابًا نخبويًا وهو ليس لفئة دون اخرى ، إنّه لعموم الناس ويجب أن يستخدم في آلياته البيانية

تلك الآليات التي يمكن لعموم الناس أنْ يفهموا دلالاتها ومعانيها .

خامسًا: بدا لنا في ظلّ مباحثتنا في الأفعال الكلاميّة في الخطاب الآخلاقي الحسينيّ أنّ الأفعال الكلاميّة غير المباشرة هي أكثر ورودًا من الأفعال الكلاميّة المباشرة ، ولا غرو أنّ القوى الإنجازيّة التأثيريّة تأخذ مدياتها وتخومها في غير المباشرة ، وهذا ما لفتنا إليه الخطاب الحسينيّ الأخلاقيّ .

سادسًا: إنّ المتحصل من جسد اللغة في ضوء النظام اللغوي، وإنّ ما يقدمه جسد اللغة البنيوي إنَّما هو المعنى البنيوي المقالي فقط، والجسد لابُدَّ له من محيط يشتمل عليه ، ويؤثر فيه ، ومن هنا يأتي فضل سياق الحال، والأنظار الخارجيّة، والقرائن لتفعل فِعْلها في تشكيل المعنى، وبذا يكون المعنى مؤتلفًا من الرافدين: المعنى المقالي والمعنى المقامي، وما ينسب الى المقامي ملاحظة الاحوال، والقرائن والأنظار الخارجيّة التي تعدّ رافدًا معنويًّا أمينًا ذا وظائف متعددة .

سابعًا: اننا بحاجة الى تفكيك الخطاب الأخلاقي الحسيني من أجل فهمه وإعادة تقييمه من جديد، فاذا لم تحصل تلكم المراجعة لهذا الخطاب فلن تحصل النتائج الخصبة والمفيدة، التي تجعل هذا الخطاب تداوليًا على مر الأزمان والأعصار .

ثامنًا: علينا قراءة الخطاب الأخلاقي الحسيني قراءة نقدية واعية، ولا تحصل هذه القراءة إلاّ بدراسة الأفعال الكلامية عنده إرادة المتكلم وقصديته .

تاسعًا : الخطاب الأخلاقيّ الحسيني يسعى إلى إصلاح القيم المثلى، ومعلوم أنّ القيمة عبارة عن معنى يتجاوز الواقع، إذ يُحدد لا ما هو كائن، وإنّما ما يجب أن يكون ومن هنا كُتِب لخطابه (عليه السلام) الديمومة والخلود.

عاشرًا: إنّ الإمام الحسين (عليه السلام) كان يشاغف المجال التداوليّ (الثقافة المتداولة) في عصره في ضوء التصور الدلاليّ المتناغم من حال المجتمع، وما أصابه من تقهقر، ونكوص في القيم الأخلاقيّة التي تعدّ أس الإنسانية وجوهرها .

الهوامش

١. ينظر: نظرية الفعل الكلاميّ (بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربيوالإسلاميّ: هشام إبراهيم عبدالله الخليفة، لونجمان، بيروت ، ٢٠٠٧ م : ١١

٢. مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٣٩٩ : ٢ / ١٩٨

٣. أساس البلاغة: أبو القاسم الزمخشري ،دار صادر، بيروت ، الطبعة الأولى، ط١، ١٩٩٢م : ١/ ١٦٧

٤. لسان العرب، مادة (خطب) : أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور ،دار صادر ، بيروت ، ١٤١٤ه ١ / ٣٦١ .

٥. الإحكام في أصول الأحكام : أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (ت٦٣١هـ) ، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي ، المكتب الإسلامي ، بيروت،(د.ت) :١ / ٩٥ .

٦. الإحكام في أصول الأحكام: ١/ ٩٥.

٧. البحر المحيط في أصول الفقه : بدر الدين الزركشي(ت ٧٧٢ه) ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٠م : ١ / ٩٨

٨. الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة : د . عبدالله إبراهيم، الطبعة الأولى، الدار العربية للعلوم ، بالاشتراك مع دار الأمان ، الرباط، ٢٠١٠م:٦٥ .

٩. استراتيجيات الخطاب: عبدالهادي بن ظافر الشهري (المقدمة) الطبعة الأولى، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت ، ٢٠٠٤ م . : ١٠

١٠. ينظر: نظرية الفعل الكلاميّ (بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والاسلاميّ): : هشام إبراهيم الخليفة : ١٨ .

١١. اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: طه عبد الرحمن، ط١، المركز الثقافيّ العربيّ، الدار البيضاء ، المغرب ، ١٩٩٨م: ٢١٧ .

١٢. اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: طه عبد الرحمن: ٢١٧.

١٣. مقاييس اللغة، مادة (خلق): ٢/ ٢١٣.

١٤. ينظر: نقد العقل العربي (العقل الأخلاقي العربي): محمد عابد الجابري ، الطبعة الخامسة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠١٢ م : ٣٣.

١٥. تفسير القرآن الكريم، صدر الدين الشيرازي (ملا صدرا) ، تحقيق : بيدافر ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، بيروت ، ١٤١٥هـ: ٧/ ١٧٨ .

١٦. نهاية المرام في علم الكلام، الحسن بن يوسف الحليّ ، تحقيق : فاضل العرفان ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الامام الصادق عليه السلام ، ١٤٢٩ : ٢/ ٢٧٣.

١٧. المنطق، محمد رضا المظفر، ط٣، دار التعارف، بيروت، ١٩٩٠م: ٣٤٤

١٨. ينظر: مدخل الى علم الأخلاق، شفيق جرادي،ط١، دار المعارف الحكمية، بيروت، ٢٠١٤م – ١٤٣٥ه : ١٢ .

١٩. ينظر مقاييس اللغة،مادة (دول) : ٢/ ٣١٤ .

٢٠. ينظر المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينكو: مركز الآنماء القومي : ٨٠

٢١. ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، دار المعارف الجامعية، ٢٠٠٢م : ٩ والمقاربة التداولية: ٨٠

٢٢. ينظر: معجم المصطلحات اللغوية ، د . رمزي منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٩٠م: ٣٩٠ .

٢٣. ينظر: الخطاب الأدبي ورهانات التأويل (قراءات نصية تداولية حجاجية)، نعمان بوقرة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط١، ٢٠١٢م : ٦٧.

٢٤. ينظر: نقد العقل العربي (العقل الأخلاقيّ العربيّ): محمد عابد الجابريّ: ٣٤.

٢٥. ينظر: أخلاقيات المناقشة في فلسفة التواصل، لـ(هابرماس): د . محمد عبدالسلام الأشهب، الطبعة الأولى، دار ورد، الأردن، ٢٠١٣م : ٣٠ .

٢٦. ينظر: معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو ، ترجمة عبدالقادر المهيري ، وحمادي صمود، دار سيناترا، تونس، ٢٠٠٨م : ٢٠

٢٧. ينظر: التداولية اليوم: آن ومرشلار جاك، ترجمة سيف الدين دغفوساميكو، ومحمد الشيباني، دار الطليعة، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م: ٣٢ –٣٣ .

٢٨. ينظر: نظرية الفعل الكلاميّ: (بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والاسلاميّ): هشام ابراهيم عبدالله الخليفة: ١٦ ، وتداوليّة قبل التداوليّة (هي تداولية قروسطيّة عربيّة إسلاميّة) (بحث) ، بيار لا شي ، ترجمة: د. عز الدين المجدوب : ٤٩٩.

٢٩. ينظر: المقاربة التداولية : فرانسوا ز أرمينكو : ٨ ، و الاستلزام الحواريّ في التداول اللسانيّ ، العياشيّ أدواري، دار الأمان، المغرب، ط١، ٢٠١١م – ١٤٣٢هـ: ٧٧ .

٣٠. ينظر: في التداولية: (إشكاليّة المصطلح بين المفهوم والترجمة والتعريب)، د . عيد بلبع ، بحث في مجلة الأقلام ، العدد / ٥ ، ٢٠٠٨م : ٢٢ – ٢٣ .

٣١. ينظر: خطبتا الزهراء (عليها السلام) دراسة في البعد التداولي في نظرية أفعال الكلام : د . خالد حويّر الشمس، بحث في مجلة العميد ، العتبة العباسية المقدسة العدد/ ٩٤ ، المجلد ٣ ، السنة الثالثة ، ١٤٣٥هـ – ٢٠١٤م : ٢٤ .

٣٢. ينظر: أخلاقيات المناقشة في فلسفة التواصل لهابرماس : د. محمد عبدالسلام الأشهب : ١٢ .

٣٣. ينظر: التداولية في الفكر النقدي (أطروحة دكتوراه) : كاظم العزاويّ ، جامعة بابل / كلية التربية : ٢٠١١م : ٥١ .

٣٤. تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك) : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ١٩٧٤م: ٥/ ٤٠٣.

٣٥. ومضات السبط (البعد العقائدي والأخلاقي في خطب الإمام الحسين (عليه السلام): الشيخ علي الفتلاوي، قسم الشؤون

الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء المقدسة، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م: ٢/ ١٢٥.

٣٦. نظرية الفعل الكلاميّ (بين علم اللغة الحيث والمباحث اللغويّة في التراث العربي والإسلاميّ): ١٢٥.

٣٧. المصدر نفسه: ٤٤ – ٤٥.

٣٨. مقتل الحُسين (عليه السلام): أبو المؤيّد الموفق أخطب خُوارزم، تحقيق: محمد السماوي، منشورات أنوار الهدى، قم – إيران، ط٣، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٥م: ٢/ ٩.

٣٩. ينظر: ومضات السبط (البعد العقائدي والأخلاقي في خطب الإمام الحسين (عليه السلام): ٢/ ١٥١.

٤٠. نظرية الفعل الكلاميّ: ١٢٦.

٤١. إسهام الحكومة العلويّة المثاليّة في رمزيّة مدينة الكوفة (بحث مخطوط) : رحيم كريم الشريفيّ ، جائزة سيد الأوصياء العالميّة للإبداع الفكري والأدبي ٢٠١٦ : ٣١.

٤٢. تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك): ٥/ ٤٠٣ – ٤٠٤.

٤٣. ينظر: ومضات السبط (البعد العقائدي، والأخلاقي في خطب الإمام الحسين عليه السلام) : ١/ ٣٣.

٤٤. ينظر: سؤال العمل: طه عبدالرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٢ م : ٧٤

٤٥. تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك): ٥/ ٤١٨ .

٤٦. نلحظ تداخل (القرآنية) بوصفها مصطلحًا ابتكره الدكتور مشتاق عباس معن في الخطابات الحسينية؛ إذ إنَّ حفظ القرآن الكريم، وتدبّره من لدن الإمام الحسين (عليه السلام)، أعطى للمتون الحسينية الأخلاقية، وغيرها قدسيتها وشرافتها وعظمتها؛ لأنَّها تنبع من النبع الخلّاق، والبحر الزَّخّار (القرآن الكريم). ينظر: تأصيل النص قراءة في أيديولوجيا التناص: الدكتور مشتاق عباس معن، مركز عبادي، صنعاء – اليمن، ط١، ١٤٢٤ه – ٢٠٠٣م: ١٦٩ – ١٧٠.

٤٧. تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك) : ٥/ ٤١٨ .

٤٨. ينظر: ومضات السبط (البعد العقائدي، والأخلاقي في خطب الإمام الحسين عليه السلام) : : ٢/ ٢٢٠ .

٤٩. نظرية الفعل الكلاميّ: ١٢٥ .

٥٠. ينظر: الاستلزام الحواريّ في التداول اللسانيّ، العياشيّ أدراوي : ٧٩ – ٨٠ .

٥١. ينظر: الاستلزام الحواري في سورة البقرة في القرآن الكريم (دراسة وصفية تحليلية تداولية) ، حجر نورما وحيدة : ٦٧

٥٢. ينظر: القصدية (بحث في فلسفة العقل): جون سيرل، ترجمة: أحمد الأنصاريّ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م: ٢٥ – ٢٦، وينظر سؤال العمل : طه عبدالرحمن : ١٨ .

٥٣. ينظر:البيان بلا لسان (دراسة في لغة الجسد): د. مهدي أسعد عرّار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٧م – ١٤٢٨ه: ٢٧.

٥٤. بحار الأنوار الجامعة لـ(أخبار الأئمة الأطهار): للعلامة المجلسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٩٨٣ – ١٤٠٣هـ : ٧٥/ ١٢٧ .

٥٥. ينظر: ومضات السبط (البعد العقائدي ، والأخلاقي في خطب الإمام الحسين عليه السلام): ٢/ ١٧٨-١٧٩

٥٦. ينظر: مفتاح العلوم: السكاكي، تحقيق: أكرم عثمان يوسف، مطبعة دار الرسالة، بغداد، ط١، ١٩٨٢م: ١٥٢.

٥٧. ينظر: المصدر نفسه:٣٢٠

٥٨. ينظر: الفتوحات المكية: ابن عربي، ضبطه وصححه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، (د.ت): ٣/ ١٠٣.

٥٩. ينظر: مدخل إلى علم الأخلاق:٩

٦٠. ينظر: الأفق التداولي (نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية): إدريس مقبول، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن،

ط١، ٢٠١١م: ١٣٣.

٦١. ينظر: مقتل الحُسين (عليه السلام): الخوارزمي: ١/ ٣٣٧ .

٦٢. ينظر:ومضات السبط (البعد العقائدي ، والأخلاقي في خطب الإمام الحسين عليه السلام): ٣٤ .

٦٣. ينظر: الفتوحات المكيّة : ٣/ ٢٣٧.

٦٤. ينظر: الأفق التداوليّ (نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية): ١٣٤ .

٦٥. مقتل الحُسين (عليه السلام): للخوارزمي: ١/ ٢٣٤ .

٦٦. مظاهر التداوليّةفي مفتاح العلوم للسكاكي: باديس لهويمل، جامعة محمد خيضر، بِسكَرَة ، الطبعة الأولى ، عالم الكتب ، الأردن،٢٠١٤ م : ١٤٣ .

٦٧. مقتل الحُسين (عليه السلام): للخوارزمي : ٢/ ٣٨ .

٦٨. المصدر نفسه: ٢/ ٣٨ .

٦٩. تاريخ الطبري: ٣/ ٣٠٦.

٧٠. شرح نهج البلاغة: عزّ الدّين عبد الحميد بن أبي الحديد المعتزلي، دار إحياء التراث، القاهرة، ١٣٨٥ه: ١/ ٥٧٠.

٧١. ينظر: شرح الكافية، الرضي الاستراباذي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (د.ت): ٢/ ١٠٨٨.

٧٢. مقتل الحسين (عليه السلام)، الخوارزمي: ٢/ ٩.

مصادر البحث ومراجعه

القرآن الكريم

١. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢م.

٢. الإحكام في أصول الأحكام: أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (ت٦٣١هـ) ، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي ، المكتب الإسلامي، بيروت، (د.ت)

٣. أخلاقيات المناقشة في فلسفة التواصل لـ(هابرماس): د. محمد عبدالسلام الأشهب، الطبعة الأولى، دار ورد، الأردن، ٢٠١٣م .

٤. أساس البلاغة: جار الله أبو القاسم الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) ، دار صادر، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٩٩٢م .

٥. استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية : عبدالهادي بن ظافر الشهري، الطبعة الأولى ، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، بيروت ، ٢٠٠٤ م .

٦. الاستلزام الحواريّ في التداول اللسانيّ، العياشيّ أدراوي، الطبعة الأولى، دار الأمان ، المغرب، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م .

٧. الأفق التداولي (نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية) ، د. ادريس مقبول ، عالم الكتب الحديث ، الطبعة الأولى ، أربد ، الاردن ، ٢٠١١م .

٨. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار : للعلامة الشيخ محمد باقر المجلسيّ (١١١٠هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م .

٩. البحر المحيط في أصول الفقه : بدر الدين الزركشي(ت ٧٧٢هـ) ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٠م .

١٠. البيان بلا لسان (دراسة في لغة الجسد): د. مهدي أسعد عرار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٧م -

١٤٢٨ه.
١١. تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك): أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠ هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، مصر، ١٩٧٤م .
١٢. التداولية اليوم، آن ومرشلار جاك ، ترجمة سيف الدين دغفوساميكو ، ومحمد الشيباني، الطبعة الأولى، دار الطليعة، بيروت ، ٢٠٠٣ م .
١٣. تفسير القرآن الكريم : صدر الدين الشيرازي (ملا صدرا)، تحقيق : بيدافر، الطبعة الثالثة، دار المعارف، بيروت، ١٤١٥ هـ.
١٤. الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة : د . عبدالله ابراهيم ، الطبعة الأولى ، الدار العربية للعلوم ، بالاشتراك مع دار الأمان ، الرباط ، ٢٠١٠م .
١٥. الخطاب الأدبي ورهانات التأويل (قراءات نصية تداولية حجاجية) : نعمان بوقرة ، الطبعة الأولى ، عالم الكتب الحديث ، الاردن ، ٢٠١٢م .
١٦. سؤال العمل: طه عبدالرحمن ، المركز الثقافيّ العربي ، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٢ م .
١٧. القصدية (بحث في فلسفة العقل): جون سيرل، ترجمة: أحمد الأنصاريّ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م.
١٨. قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم : سناء حميد البياتي، دار وائل للطباعة والنشر والتوزيع ، الأردن ، ٢٠٠٣ م.
١٩. لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، الطبعة الثالثة ، دار صادر، بيروت ، ، ١٤١٤هـ .
٢٠. اللسان والميزان أو التكوثر العقلي : د. طه عبد الرحمن ، الطبعة الأولى ، المركز الثقافيّ العربيّ ، الدار البيضاء ، المغرب، ١٩٩٨م.
٢١. مدخل إلى علم الأخلاق: شفيق جرادي، دار المعارف الحكمية، بيروت، ط١، ٢٠١٤م – ١٤٣٥هـ.
٢٢. مظاهر التداولية في مفتاح العلوم، للسكاكي: باديس لهويمل، عالم الكتب، الأردن، ط١، ٢٠١٤م.
٢٣. معجم المصطلحات اللغوية: د . رمزي منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.
٢٤. معجم تحليل الخطاب : باتريك شارودو ، ترجمة عبدالقادر المهيري ، وحمادي صمود ، مراجعة صلاح الدين الشريف ، دار سيناترا ، تونس ، ٢٠٠٨ م.
٢٥. مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن محمد بن عليّ السكّاكي (ت٦٢٦هـ)، تحقيق: أكرم يوسف، مطبعة دار الرسالة، بغداد، ط١، ١٩٨٢م.
٢٦. المقاربة التداولية: فرانسواز أرمينكو ، مركز الإنماء القومي ، (د . ت) .
٢٧. مقاييس اللغة : أبو الحسين احمد بن فارس ، تحقيق وضبط : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٣٩٩هـ .
٢٨. مقتل الحُسين (عليه السلام) : أبو المؤيد الموفق بن أحمد أخطب خوارزم (ت ٥٦٨ه) ، تحقيق الشيخ محمد السماوي، منشورات أنوار الهدى ، قم ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٥ه – ٢٠٠٥م .
٢٩. المنطق: محمد رضا المظفر، (ت ١٣٨٣ه) ، دار التعارف ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٩٠م.
٣٠. نظرية الفعل الكلاميّ (بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والاسلاميّ : هشام ابراهيم

عبدالله الخليفة ، لونجمان ، بيروت ، ٢٠٠٧ م
٣١. نقد العقل العربي (العقل الأخلاقي العربي) : محمد عابد الجابري ، الطبعة الخامسة ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، ٢٠١٢ م .
٣٢. نهاية المرام في علم الكلام: الحسن بن يوسف الحليّ، تحقيق: فاضل العرفان، الطبعة الأولى، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام ، ١٤٢٩هـ .
٣٣. ومضات السبط، البعد العقائدي والأخلاقي في خطب الإمام الحسين (عليه السلام): الشيخ علي الفتلاوي، قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة ، كربلاء المقدسة، ١٤٣٢ه -٢٠١١م .
٣٤. البحوث والدراسات
٣٥. تداولية قبل التداوليّة (هي تداولية قروسطية عربية إسلاميّة)، بيار لارشي ، ترجمة الدكتور عز الدين المجدوب، (بحث) منشور في (إطلالات على النظريات اللسانية والدلاليّة في النصف الثاني من القرن العشرين) (مختارات معرّبة)، ط١، بيت الحكمة، قرطاج _ تونس ، ٢٠١٢م .
٣٦. خطبتا الزهراء (عليها السلام) دراسة في البعد التداولي في نظرية أفعال الكلام : د . خالد حويّر الشمس، بحث في مجلة العميد ، العتبة العباسية المقدسة ، العدد/ ٩ ، المجلد ٣ ، السنة الثالثة ، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م .
٣٧. في التداولية: (إشكاليّة المصطلح بين المفهوم والترجمة والتعريب): د. عيد بلبع، بحث في مجلة الأقلام، بغداد، العدد / ٥ ، ٢٠٠٨م .
٣٨. الرسائل والأطاريح والمخطوطات
٣٩. الاستلزام الحواري في سورة البقرة في القرآن الكريم (دراسة وصفية تحليلية تداولية) (رسالة ماجستير)، حجر نورما وحيدة، جامعة مولانا مالك إبراهيم، مالانج. أندنوسيا، ٢٠١٠م.
٤٠. إسهام الحكومة العلوية المثالية في رمزية مدينة الكوفة (مخطوط)، رحيم كريم عليّ الشريفيّ، جائزة سيد الأوصياء العالميَّة للإبداع الفكري والأدبي، الكوفة، ٢٠١٦م.
٤١. التداولية في الفكر النقدي (أطروحة دكتوراه): كاظم العزاويّ، جامعة بابل / كلية التربية : ٢٠١١م .

القيادة ومناصرتها في ضَوء النهضة الحسينيّة

Leadership and its Buttress in Light of the Husseinist Revivalism

د . جعفر محمّد أيوب / وزارة التربية والتعليم/ مملكة البحرين

Dr. Ja`afir Mohammed Ayoub, Kingdom of Al-Bahrain

ملخص البحث

ليست دراستنا عن أيّ قيادة حكوميّة أو إداريّة أو تربويّة أو اجتماعيّة أو عسكريّة، ولكنها تنصبّ على القيادة الشرعيّة[1]،وتحاول أن تستنير بنهضة عاشوراء وبقيادتها وأبطالها في قضيّة خصائص القيادة ومناصرتها، استجابة لإشكاليّة عقائديّة وإداريّة وتربويّة واجتماعيّة وسياسيّة وأمنيّة بالغة الأهميّة والخطورة.

ومع أهميتها، فإنّ هذا الجهد، بحسب طبيعة الدراسة وقصرها، سوف يتركّز في رصد بعض أقوال الإمام الحسين عليه السلام في عاشوراء لنستلهم منها دروساً في معرفة أخلاقيّات القيادة وسماتها، ثم يتتبّع بعض أقوال الطفيين ليستّل من نبراسها الذي لا يخبو، أمثلة في مناصرة القيادات الحقّة على مرّ التاريخ.

إنّ أقوال الامام الحسين عليه السلام ومواقف الطفيين في يوم عاشوراء تمثّل مخزونًا ضخمًا لدراسة موضوع القيادة ومناصرتها، فبها نستطيع أن نقف على أهم خصائص القيادة الشرعيّة التي يجب على الناس الانقياد لها، ونستلهم منها المواقف المتميّزة لإنقياد الطفيّين للقيادة الشرعيّة التي يؤمنون بها. ليكون نبراسًا لكلّ المناصرين للقيادة لشرعيّة في كلّ العصور.

واليوم ما نسمعه على المنابر وما تتناقله الكتب عن إباء القيادة وشهامة مناصريها وأبطالها في كربلاء لا يكفي؛ إذ لا بدّ من دعمه بالدراسات العلميّة الجادّة التي تبيّن خصائص القيادة الشرعيّة الحقّة، ولزوم الطاعة والانقياد لها، حتى يتحوّل السماع إلى اقناع مبني على أساس علمي واضح ودقيق لا لبس فيه، ومواجهة التحريف الثقافي في ظلّ تحالف الظالمين وافتراسهم لحقوق الناس في أوطانهم وفي أمنهم وفي حريّة معتقداتهم، وحملات التشويه للقيم والمبادئ الإنسانيّة وتدليسها من طريق إعلامهم المتنوّع والمتعدّد والممنهج.

وقد كان المنهج الذي اعتمدناه لهذه الدراسة خارجيًا تاريخيًا، يتتبع أقوال الامام الحسين عليه السلام في نهضته وموقف الطفيّين منه من جهة، وداخليًا من جهة أخرى يستلهم أصول التحليل في الكشف عن مضامين أقواله. دون الوقوع في التأويل.

لذلك ارتأينا أنّ من الأنجع أن يكون سيرنا في الدراسة من التطبيق إلى التنظير، على عكس ما نقوم به في بحوثنا التربوية والعلوم التطبيقية من التنظير إلى التطبيق، وربّما لن يكون حظ التنظير في هذه الدراسة كبيرًا، لقصر البحث وطبيعته، وبحدّ علم الباحث بموضوع البحث، ولكن ستحصل في عملنا نتائج نستطيع أن نعرف بفضلها خصائص القيادة الشرعيّة وما هو موقف المناصرين على مرّ التاريخ.

اقتصرت دراستنا على الآتي: أوّلا، خصائص القيادة الشرعيّة وثانيًا، موقف المناصرين من القيادة.

Abstract

It is not a way to study a leadership administrative، educational، social and military ، but it is a study of a leadership emulating `Ashura revivalism and its paragon . Therefore the study is to focus upon certain sayings of Imam Al- Hussein and the Taff figures to elicit specific morality issues of leadership a pole should acquire ، revert to and be a fount to the legal revolutions throughout ages. Today it is not quite convenient what it is heard from the minbars، there should be certain studies tackling such edification and knowledge on the scientific scales .However the study delimits itself to features of the legal leadership and the stance of the adherents of the leadership.

أوّلاً-خصائص القيادة الشرعيّة

ثمّة خصائص للقيادة الشرعيّة يمكن أن نتعرّفها من النصوص التي وردت عن الإمام الحسين في النهضة الحسينيّة من مصادر فكريّة متعدّدة، يمكن عرض هذه الخصائص على النحو الآتي:

١-القيادة تمثّل القيم الإنسانيّة والمثل العليا، فقد ورد عن الإمام الحسين عليه السلام أنه قال: « فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن ردّ عليّ هذا أصبر، حتى يحكم الله، وهو خير الحاكمين «[٢].

وكأنّ الحسين عليه السلام، ينادي أيّها الناس لا يكون خيار قبولكم إياي شخصياً، إنّما اقبلوني لأني أمثّل القيم الحقّة والمبادئ الإنسانيّة، فمن قبلني فإنما يقبل القيم الحقّة والمبادئ الإنسانيّة العليا، ومن ردّ عليّ فإنما يردّ على القيم الرفيعة والمبادئ الإنسانيّة. هكذا ترتفع المبادئ فوق الأشخاص، ويبقى المبدأ هو القائم البارز، ويبقى الشخص بمقدار ما يمثل من مبدأ. [٣]

٢-القيادة ليست بفرض القيم والمبادئ الإنسانيّة على المناصرين، فقد جمع الإمام عليه السلام، أصحابه قبل مقتله بليلة وقال: « ... ألا واني أظن يومنا من هؤلاء الأعداء غداً، واني قد أذنت لكم فانطلقوا جميعاً في حلّ، وليس عليكم مني ذمام، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً، وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي، فجزاكم الله جميعاً خيرا...». [٤]

ولعلّ الحسين عليه السلام، مع أنّه الإمام المعصوم المفترض الطاعة، لا يريد أن يفرض على الناس أي أسلوب أو قيم أو قناعات، بل يريد أن تصبح القيم الإسلاميّة والمبادئ الانسانيّة التي ضحّى من أجلها جزءاً من وجودهم يجري مع دمهم وعروقهم، مع فكرهم وعواطفهم وتنعكس على كلّ مجالات تصرفهم وسلوكهم مع الله سبحانه وتعالى، ومع نفسهم ومع الآخرين.[٥]

فالقائد الذي يسعى إلى فرض آرائه وقناعاته وأسلوبه لا يأمر أصحابه بالتفرّق عنه، ويختلي بهم فرادى أو جماعات ليلاً ليهمس فيهم بالتخلّي عنه.وسنثبت لاحقًا كيف انعكست هذه القيم الحقّة والمثل الإنسانيّة العليا التي يمثلها الامام الحسين عليه السلام في موقف الطفيّين المتمثلة بتضحياتهم وأقوالهم في يوم عاشوراء.

٣- القيادة تدافع عن الحق والمبادئ الإنسانيّة وحدها، فعندما خرج الحسين عليه السلام، في ليلة العاشر وحده ليتفقّد التلال حول المخيم، وجد نافع بن هلال، فقال له الحسين عليه السلام، وهو قابض على يسار نافع، ألا تسلك بين هذين الجبلين، وانجُ بنفسك؟ قال نافع: سيّدي إذن ثكلت نافعاً أمُّه، إنّ سيفي بألف ، وفرسي بمثله، فو الله الذي منّ عليّ بك في هذا المكان ، لن أفارقك أبا عبد الله حتى يكلّا عن فري وجري.»[٦]

وربّما يريد الامام الحسين عليه السلام بقوله هذا أن يختبر أصحابه ومناصريه في صلابة إيمانهم ومدى تمسكهم بقيادتهم الشرعيّة، ولكن لاشكّ، برأينا، أن هذا القول يثبت أنّ القيادة مستعدّة للوقوف مع القيم الحقّة والدفاع عن المبادئ الإنسانيّة العليا والاستشهاد في سبيل الله حتى بدون الناصر، وإلاّ لما خاطب مناصريه سرًا وفي جوف الليل وعلى انفراد بأن يتفرقوا عنه.

٤- الصراحة والشفافيّة في الأهداف والتخطيط، فقد كتب الإمام الحسين عليه السلام إلى بني هاشم عليه السلام «فمن لحق بي منكم استشهد، ومن تخلّف لم يبلغ الفتح» . وهنا، الحسين عليه السلام يعلنها بصراحة أن ما يترتب على نهضته، استشهاد وتضحية بالنفس في سبيل بناء القيم الإسلاميّة، وإيقاظ الإرادة، وإقامة أركان العدل، والمتخلّف عن هذه النهضة لن يصل إلى مقام درجة الشهادة والتضحية الكربلائيّة.[٧]

وورد عن الإمام الحسين (ع): « إني لم أخرج أشرًا ولا بطرًا ولا مفسدًا ولا ظالمًا،وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة

جدّي،أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي علي ابن أبي طالب.فمن قبلني بقبول الحق،فالله أولى بالحق،ومن ردّ عليّ هذا أصبر،حتى يحكم الله،وهو خير الحاكمين.»[٨]

قبل أن يسير الحسين(ع) من المدينة المنورة إلى مكة، دعا بداوة وبياض وكتب وصيّة تاريخيّة لأخيه محمد بن الحنفيّة. التي تكشف بوضوح الصراحة التي لا تعرف غير وجه واحد.

هذه الوصيّة وغيرها من أقواله عليه السلام في أثناء تحركه في نهضته العظيمة، توضّح بجلاء أهداف هذه النهضة المباركة.[٩] وتكشف عن اعتماده الصراحة أساساً للعمل، إذ كان لا يؤمن بالتسلط وفرض القناعات على الناس أو حجب حقيقة التحرك ضد العدو. [١٠]

٥-القيادة تحشّد ولا تتسلّط، فهي تدعو إلى القيم والمبادئ الانسانيّة والدفاع عن الحق وتحشّد الناس للنصرة ولكن بالحكمة والموعظة الحسنة وبدون قهر وتسلّط، وحتى ندرك المزيد من جمال القيادة في دعوتها للحشد والنصرة دون تسلّط نضرب مثالين لذلك.

* عندما ذهب الحسين عليه السلام إلى عبيد الله بن الحر يطلب منه النصرة،واعتذر، قال له الحسين عليه السلام: يا بن الحر إنّا لم نأتك لفرسك وسيفك، وإنّما أتيناك نسألك النصرة، فإن كنت بخلت علينا في نفسك فلا حاجة لنا في شيء من مالك.ثم تلا قوله تعالى « وما كنت متخذ المضلّين عضداً «، ثمّ قال:ولكن فُرّ، فلا لنا ولا علينا، لأني قد سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: من سمع بواعية أهل بيتي ، ثم لم ينصرهم على حقهم، أكبّه الله على وجهه في نار جهنم » .[١١]

* وعندما دعا الحسين عليه السلام عمرو بن قيس المشرقي وابن عمه لنصرته، واعتذرا. قال لهما عليه السلام: انطلقا فلا تسمعا واعية، ولا تريا لي سواداً، فإنّه من سمع واعيتنا أو رأى سوادنا، فلم يجبنا أو يغثنا كان حقاً على الله عز وجلّ أن يكبّه على منخريه في النار».[١٢]

يمكن استنادًا لما تقدّم، أن نخرج بخلاصة خصائص القيادة الشرعيّة، وهي على النحو الآتي: القيادة الشرعيّة لا بدّ لها أن تمثّل القيم الحقّة والمثل الإنسانيّة الرفيعة، ولا تفرض هذه المبادئ والقيم على الناس مع أنها تدافع عن القيم الحقّة لحد الاستشهاد حتى لو بقيت وحدها دون ناصر ولا معين. وهي تعلن عن أهدافها وخططها لمناصريها بكل صراحة وشفافية دون لفٍ أو دوران، وتحشّد الناس لنصرة الحق والدفاع عنه دون قهر أوتسلّط. بل عن قناعة باتباع القيادة الشرعيّة، وايمانًا عميقًا بالمبادئ الإنسانيّة والقيم الحقّة التي تمثلها هذه القيادة الشرعيّة أفضل تمثيل.

بعد أن عرفنا بعض خصائص القيادة الشرعيّة في ضوء النهضة الحسينيّة، فما موقف المناصرين من هذه القيادة الشرعيّة التي تتوافر فيها هذه الخصائص،بعد أن عرفت هذه القيادة وسلّمت بأمرها؟ يمكننا أن نوضّح موقف المناصرين من القيادة من خلال ردود الطفيين على تسريح الحسين عليه السلام وإعفائه لهم من القتال، وتضحياتهم. وسوف نعرض بعضاً من أقوال الطفيّين لينكشف إلينا موقفهم من القيادة الشرعية الحقّة، ونعني بذلك الإمام الحسين عليه السلام.

١-أخوة الحسين عليه السلام وجميع أهل بيته

« ... لا والله يا بن رسول الله لا نفارقك أبداً، ولكنا نفديك بأنفسنا ونقتل بين يديك ونرد موردك، فقبّح الله العيش من بعدك » [١٣] فالموقف هو الفداء والتضحية بالنفس، واستقباح العيش في الدنيا من دون القيادة الشرعيّة.

٢-كلام مسلم بن عوسجة الأسدي

« ... لا والله لا يراني الله وأنا أفعل ذلك أبدا، حتى أكسر في صدورهم رمحي، وأضرب فيهم بسيفي، ما ثبت قائمه

بيدي، ولو لم يكن لي سلاح أقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة، ولم أفارقك حتى أموت بين يديك «.[١٤] فالموقف هو الدفاع عن القيادة حتى من دون سلاح، والموت من أجل الدفاع عن القيادة.

٣- كلام زهير بن القين البجلي

« ... والله يا بن رسول الله لوددت أني قتلت فيك ثم نشرت، حتى أقتل فيك ألف مرّة، وأن الله قد دفع القتل عنك وعن هؤلاء الفتية من إخوتك وولدك وأهل بيتك «. [١٥] والموقف هنا لزهير أن يكون أوّل الفدائيين من أجل الدفاع وحماية كلّ الطفيين والحسين وأبناء الحسين.

٤- كلام سعيد بن عبد الله الحنفي

« ... والله لو علمت أني أقتل ثم أحيا ثم أحرق حيا، يفعل بي ذلك سبعين مرّة، لما فارقتك أبداً حتى ألقي حمامي من دونك ...».[١٦]

والموقف لسعيد هو الموت من أجل القيادة حتى لو استخدم العدو أبشع صور القتل من تكرار الحرق حتى الموت.

٥- كلام بقية الطفيّين

« ...أنفسنا لك الفداء، نقيك بأيدينا ووجوهنا وصدورنا، فإذا نحن قتلنا بين يديك نكـــون قد وفينا وقضينا ما علينا «.[١٧] الموقف لمجمل الطفيين هو حماية القيادة الشرعية والفداء من أجلها ضرورة واجبة حتى لو كان الدفاع بالأيدي وبالصدور العارية.

من السياق المتقدّم، تتجلى لنا بوضوح صورة ذوبان المناصرين في القيادة الشرعيّة والتفاني من أجلها في أعلى صورهما، والذي ليس لهما مثيل في العالم بأسره ولن يكون.

والجدير بالإشارة هنا، أنه ربّما يجد القارئ لأقوال الإمام عليه السلام تناقضاً، بين موقف الإمام في تفريق أصحابه من حوله من جهة، ودعوته لحبيب بن مظاهر وزهير بن القين، وكذلك عبيد الله بن الحر وعمرو بن قيس المشرقي إلى نصرته من جهة أخرى.

للإجابة على هذا الإشكال نعرض بعض الآراء، فمنهم من يجيب بأنه عند التدبّر لخطب الحسين عليه السلام وكلامه مع الناس، ندرك أن الإمام عليه السلام كان يبحث عن أنصار حقيقيين ينضمّون تحت لوائه ويبايعونه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واستنكار بيعة الضلال، ويقاومون إغراءات الدنيا، ويصارعون الحكم الظالم الغاشم؛ حتى يقتلوا في سبيل ذلـك.[١٨]

وهناك من يرى، بأن العقدة ليست في دعوة الامام عليه السلام لأصحابه بالتفرّق عنه، فهذا ليس محل العجب منه، وإنّما في إباحته لهم بالجهاد معه وهو يعلم، كما يعلم كلّ واحد منهم، بأنّهم لا يستطيعون دفع القتل عنه مهما جاهدوا واجتهدوا، وللإجابة عن هذا السرّ الغامض نقول إنّ الامام الحسين عليه السلام إمام معصوم وإنسان حكيم فلا يخفى عليه الصواب، وتتجلّى إصابته في مواقفه على تضحيتهم معه بعد تخييرهم، فالتضحية في سبيل الحق على اختلافها وإن لم تكن ذات فائدة آنيّة فإنها تثمر في المستقبل، وخصوصًا الشهادة في سبيل الحقّ، فإنّها تنبّه الأفكار وتهيّج النفوس لطلب الثأر ومواصلة الكفاح للوصول إلى الهدف والغاية.[١٩]

بين هذا وذاك، فليس هدفنا أن نثير الاشكالات والأسرار الغامضة في النهضة الحسينيّة، فهذا يحتاج إلى بحث آخر، ولعلّ حلّ هذه العقد لا يعلمها إلاّ الله والراسخون في العلم، والله هو العالم بأسرار أوليائه وحكمة أحكامه وقضائه. وإنّما أردنا توضيح موقف الطفيين من القيادة الشرعيّة الحقّة بأعلى مستوى من الإيمان والإخلاص والذوبان في القيادة، فبالرغم من أنّ الحسين عليه السلام قد أحلّ لهم التفرق عنه في كربلاء فإنهم قد أصروا على الوقوف معه؛ مما يعكس مدى المعرفة والقناعة والإيمان والحب العميق للقيادة.

الخاتمة: الدروس التي يمكن أن نستنير بها من مدرسة الطفيين عظيمة-ونحن نقترب من نهاية هذا الموضوع-نحاول أن نصلَ إلى نتيجة -مع الالتفات إلى خصوصيّات قيادة المعصوم عليه السلام-ونعرض منها ثلاثة دروس:

* عاشوراء تهدف إلى إيقاظ الإرادة الحرّة في الناس. وترفض أسلوب القهر والتسلّط، الذي يبني شخصيّات مطواعة غير مدركة،ينتفي فيها العمل التلقائي من أجل الحق، وتنتشر فيها حالة من ضعف الثقة بالنفس، وتترنح عند وجود الهزّات، وتنخدع بالكلمات والشعارات.

* القيادة الشرعيّة الحقّة هي الأساس في عمليّة الإصلاح (أو الثورة، أو النهضة)، وهي قيادة لا تذلّ ولا تضعف ولا تجامل ولا تهدف إلى السلطة ولا تستعمل أسلوب التسلّط، بل تنطلق من رؤية إلهيّة تنظر إلى أنّ كل شيء راجع إلى الله في يوم الحساب، وتهدف رضاه، وهي بالضرورة تعتمد الأحكام الشرعيّة التي تعرفها بدقّة للوصول إلى رضاه، وتجذب الناس بأخلاقها العالية. سماتها كما قال الإمام علي عليه السلام: « لا يقيم أمر الله إلا من لا يصانع ولا يضارع ولا يتّبع المطامع »[٢٠].

* الذوبان في القيادة الإصلاحيّة الشرعيّة لابد له أن يكون ذوباناً في المبادئ والقيم الإسلاميّة، بعيدا عن تقديس الذّات. أمّا إذا مالت قيادة ما إلى جذب الأفراد واستقطابهم بالإكراه والتبعيّة دون إدراك، فهذا برأينا، ينبع من روح الاستبداد، لأن المستبد يهمّه ألاّ يرى من يظهر رأياً مخالفاً أو يناقش فكرة أو أسلوبا مغايراً.

في ضوء ما تقدّم من نتائج يمكننا أن نخرج ببعض المقترحات لمواطن دراسات علميّة، لم تستطع الدّراسة أن تستكملها، ويمكن أن تشكّل أرضيّة لفتح آفاق جديدة لدراسات في غاية من الأهميّة من الناحية الدينية والسياسيّة والاجتماعية والأمنيّة.

- دراسة تجربة الحشد الشعبي في العراق لمناصرة القيادة الشرعيّة.
- دراسة دور القيادة الشرعيّة في المحافظة على القيم والمبادئ الإنسانيّة عالميّا.

وفي الختام، نسأل الله تعالى أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه.اللهم اجعل محياي محيا محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله وسلّم، ومماتي مماتهم، ولا تفرق بيني وبينهم في الدنيا والآخرة، إنك سميع الدعاء، برحمتك يا أرحم الراحمين.

الهوامش

١. القيادة الشرعيّة نقصد بها قيادة المعصوم المصون من الخطأ في معرفة الأحكام والقوانين الإلهية وفي تطبيقها، كالنبي أو الإمام المعصوم. وأمّا اتباع الفقيه – على الرغم من احتمالية خطئه وعدم عصمته – فهو مما أمرنا به الإمام المعصوم في عصر الغيبة الكبرى، فحينئذ تكون طاعة الفقيه – في حقيقتها – طاعة للإمام المعصوم.

٢. ابن قولويه، كامل الزيارات، ص٧٥.

٣. لبيب بيضون، موسوعة كربلاء، ص٢٨٨.

٤. محمد باقر المجلسي، البحار، ج٤٤، ص٢٤٦.

٥. السيد محمد باقر الصدر، أهل البيت تنوع أدوار ووحدة هدف، ص١٢٠.

٦. المقرم، مقتل الحسين،٣٢٤.

٧. الطوسي، رجال الكشي، ص٧٢.

٨. محمد باقر المجلسي، البحار،ج ٤٤،ص٣٢٩.

٩. لبيب بيضون، موسوعة كربلاء، ص ٢٨٩.

١٠. محمد حسين فضل الله، في رحاب أهل البيت، ص٣٤٢.

١١. الطبري، تأريخ الرسل والملوك، ج٦،ص٢٣٩.
١٢. الطبري، م.ن.، ج٦،ص٢٣٩.
١٣. الطبري،م.ن.، ج٦،ص٢٣٩.
١٤. الطبري،تأريخ الرسل والملوك، ج٦،ص٢٣٨.
١٥. الطبري،م.ن.، ج٦،ص٢٣٩.
١٦. الطبري،م.ن.، ج٦،ص٢٣٩.
١٧. الطبري، م.ن.،ج٦،ص٢٣٩.
١٨. لبيب بيضون، موسوعة كربلاء، ص٥٧٩ _ عن قول السيد مرتضى العسكري، مرآة العقول للمجلسي، ص٢١٤.
١٩. محمد حسين آل كاشف الغطاء، نبذة من السياسة الحسينيّة، ص١٦١.
٢٠. الشريف المرتضي،نهج البلاغة، ج١١،ص٢٧٤.

قائمة المصادر والمراجع

١. آل كاشف الغطاء(محمد حسين)، **نبذة من السياسة الحسينيّة**، طب١، لبنان، بيروت، دار المحجة البيضاء، ٢٠٠٧.
٢. ابن قولويه (جعفر بن محمد القمي)، **كامل الزيارات**، تحقيق جواد القيومي، طب١، ايران، قم، مؤسسة النشر الإسلامي،١٤١٧ه.
٣. بيضون (لبيب)، **موسوعة كربلاء**، طب١، لبنان، بيروت، شركة الأعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٩.
٤. الشريف المرتضي (علي بن الحسين)، **نهج البلاغة في كلام امير المؤمنين علي بن ابي طالب**، لبنان، بيروت، الدار الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٣.
٥. الصدر(محمد باقر)، **أهل البيت تنوع أدوار ووحدة هدف**، طب٣، لبنان، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ١٩٨٥.
٦. الطبري(محمد بن جرير)، **تأريخ الرسل والملوك**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، لاطب، مصر، دار المعارف، ١٩٦١.
٧. الطوسي(محمد بن علي)، **رجال الكشي**، تصحيح حسن المصطفى، لاطب، ايران، مشهد، جامعة مشهد، ١٣٤٨هـ ش.
٨. فضل الله (محمد حسين)، **في رحاب أهل البيت**، طب٢، لبنان، بيروت، دار الملاك، ١٩٩٨ .
٩. فضل الله (محمد حسين)، **حديث عاشوراء**، طب١، لبنان، بيروت، دار الملاك، ١٩٩٧.
١٠. القرشي (باقر شريف)، **حياة الإمام الحسين**، طب٤، ايران، قم، مدرسة العلمية الايرواني، ١٩٩٢.
١١. المجلسي (محمد باقر)، **بحار الأنوار**، الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، احياء الكتب الإسلامية، لبنان، بيروت، طب ٣، ١٩٨٣.
١٢. المقرم (عبد الرزاق)، مقتل الحسين،لاطب، بيروت، مؤسسة الخراسان، ٢٠٠٥.

المفارقة في المسرح الشعري الحسيني
مسرحية عبد الرحمن الشرقاوي (ثأر الله) انموذجاً

Contrast in the Husseinist Verse Drama Revenge of Him of `Abidalrahman Al-Sharqawi as a Nonpareil

أ.م.د. رفل حسن طه
كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة كربلاء

م. ذكريات طالب حسين
كلية العلوم/ جامعة كربلاء

Asst. Prof.Dr. Rafil Hassan Taha, College of Education for Hummanist Sciences, University of Karbala
Lectur. Thakraiat Talib Hussein, College of Science, University of Karbala

ملخص البحث

تطلق المفارقة في الأدب على ذلك الأسلوب الذي يجمع بين وجهات نظر مختلفة أو متناقضة، لأسباب شتى ومن دون تعليق، ذلك انها تتمثل في كل ما تعبر عنه نصوص الأدب من تناقضات واختلال موازين، وخروج عمّا هو منطقي أو مألوف يثير المتلقي، ويشد انتباهه، ويحفزه على استنطاق النص للوقوف على قصد المبدع الحقيقي.

لقد خلص ميويك في (المفارقة) التي ترجمها إلى العربية الدكتور عبد الواحد لؤلؤة في ضمن موسوعة المصطلح النقدي، وأعاد مرة أخرى ترجمتها بـ (المفارقة وصفاتها) إلى أن أول استعمال أدبي لكلمة المفارقة كان نهاية القرن الثامن عشر ، ثم تدرج استعمالها منذ نهاية هذا القرن في التطور واكتسبت دلالات جديدة اضيفت إلى دلالاتها السابقة ، ولأن مصطلح المفارقة لم يستقر عند مفهوم واحد فقد رأيناه يتغير بتغير الزمان والمكان امتثالاً لسنة التطور، لا بل هو متغير من باحث إلى آخر ، وربما يكمن في ذلك سبب كثرة صور المفارقة ، وتعدد تعريفات دارسيها بتعدد اتجاهاتهم واختلاف ثقافاتهم و اهتماماتهم .

ولعل مما يذكر أن النظرة إلى المفارقة قد أخذت أبعاداً واسعة بعد أن توسعت الدراسات النقدية الحديثة التي جعلت للمتلقي الأولوية في اهتماماتها ، ابتداءً من الدراسات النقدية الأسلوبية، والألسنية، والشعرية ،ونقد استجابة القارئ، وصولاً إلى نظرية التلقي أو الاتصال إذ وجدت المفارقة مكاناً رحباً لها .

من هنا فإن هذا البحث يُحاول أن يدرس المفارقة وجماليتها في جنس أدبي مهم هو : (المسرح) وتحديداً (المسرح الشعري) إيماناً في أن هذا اللون من الأدب هو من أغزر الألوان الأدبية تعبيراً عن حياة الإنسان واقدرها على كشف الحجب عن حقائق النفس ، ذلك لأن الشعر قادر على أن يُكيف نفسه للمسرح ، ويكون أداة مرنة للتعبير عن غاياته وأفكاره التي يطرحها ، ولا يُمكن التسليم أن الشعر لم يعد يصلح للمسرح ،فما زالت إلى اليوم تكتب المسرحيات بالشعر وهو دليل على أن المسرح يصلح للشعر بشكل لا شك فيه .هذا من جانب ، ومن جانب آخر فإن أكثر ما تبرز المفارقات في المسرح ، لأنها تقوم على الخطأ في تبيّن الهوية عندما لا يعرف المرء من هو أو ما هو .

وقد اتخذ البحث من مسرحية عبد الرحمن الشرقاوي (ثأر الله) نموذجاً تطبيقياً لتبرز منها المفارقة في المسرح الشعري ، فالمفارقة مثلما ذكرنا تتصل أساساً بالمسرح لتوفره على ثلاثة عناصر : الراوي ، والممثلون ، والجمهور ، والمعرفة المتبادلة بين الراوي والجمهور تضع الممثلين في موقف المفارقة ، إذ يضع الكشف التدريجي لحقيقة الأحداث السابقة الممثلين والمشاهدين في المستوى نفسه من المفارقة لجهلهم بالأحداث الماضية .

وأخيراً ، فإن للمفارقة في المسرح غايات تُنشد ، إذ إنها تمنح المبدع التميز ، ويكون للمتلقي الدور البارز فيها، من طريق الهجوم غير المباشر ، والتكثيف الدلالي ، والسخرية الهادفة ، والتوازن بين ما تحقق و ما يُمكن تحقيقه .

Abstract

Contrast as a device yokes certain contradicted viewpoints and events on one spot of time and place to drag the attention of the prescient readership to the morality of an artwork . With the process of time the device takes shape and content of certain shades of meanings; Meuk coins the concept and then translated into Arabic by `Abidalwahid Lulua in The Literary Terms Collection and evolves from one content to another . The more the critical theories augment، the more the device finds much existence in the verse drama ، hence the study endeavours to dissect the contrast into its mere roots ; the verse drama whets the sense of the contrast as there is a combination of both poetry and drama . For factuality The Revenge of Him set as a nonpareil to manifest the angles of the contrast as there are three essential tenets of drama ; the narrator، actors and the audience ، the identity of the actors emerges into perception bit by bit : the contrast lays foundations of peculiarity ، steered humour and the equilibrium between what has been achieved and what could be achieved.

التمهيد

نبذة عن المسرح

أخذت كلمة المسرح عبر التاريخ دلالات متنوعة تبعاً لتنوع النظرة إلى هذا الفن ومقوماته ، ولعل تتبع تاريخ تطور هذه الكلمة يظهر الدلالات المتنوعة لها ، فقد استعملت كلمة المسرح على ((شكل من أشكال الكتابة يقوم على عرض المُتخيَّل عَبر الكلمة كالرواية والقصة ، وقد عدّ أرسطو في معرض حديثه عن فنون الشعر التي تقوم على المُحاكاة كالملحمة والتراجيديا إن هذه الأخيرة تتميز بكونها تُحقق المحاكاة من خلال الفعل وقد كان وراء النظرة التي تحكمت لمدة طويلة بالنقد الغربي))[١] إذ إنه بقوله هذا عدَّ المسرح جنساً من الأجناس الأدبية .

ومن تتبع دلالة كلمة المسرح نتوقف عند من جعلها تدل على ((شكل من أشكال الفُرْجة قوامه المُؤدي/ المُمثِّل من جهة ، والمُتفرِج من جهة أخرى ، وفي هذه الحالة يُعد المسرح فناً من فنون العَرض كالسيرك والايماء والباليه وغيرها))[٢] .

ويُمكن أن تدل كلمة المسرح على ((المكان الذي يُقدّم فيه العَرض، وهذا هو المعنى الذي ارتبط بالأصل اللغوي لكلمة Theatre ولكلمة المسرح ، فكلمة Theatre مأخوذة من اليونانية Theatron التي كانت تعني حرفياً مكان الرُؤية أو المشاهدة، وصارت تدل فيما بعد على شكل عمارة يُرتَّب بحيث يستطيع المتفرجون أن يَروا أو يسمعوا فيه عرضاً يُقدِّمه آخرون))[٣] .

لا تتوقف كلمة المسرح عند حدود الدلالات التي ذكرناها ، إذ إنها يُمكن أن تدل على أعمال الكاتب المسرحي أو إنتاجه ولهذا فإنه بالإمكان القول : مسرح راسين ، ومسرح شكسبير.. الخ ، فضلاً عن أنها يُمكن أن تطلق كي تدل على مجمل الأعمال التي تنتمي إلى عصر مُعيّن أو مدرسة محدّدة أو توجه ما، ومن هنا يُقال: المسرح الكلاسيكي و المسرح الشعبي ..الخ [٤] .

و مما سبق يظهر أن اختلاف دلالة كلمة المسرح وتنوعها يرجع إلى تنوع الكلمات المستعملة للدلالة على هذا الفن التي ترتبط بالنظرة إلى المسرح بوصفه نصاً وبوصفه عرضاً عبر التاريخ ، ففي الحضارة اليونانية حيث انبثق النشيد الديّرامبي عدّ المسرح فناً من فنون الشعر ، فقد أطلق أرسطو تسمية (الشعر التراجيدي) ليدل على المسرح بوصفه جنساً أدبياً ، بيد أنه ميّز في حديثه عن مضمون المسرحيات وشكل كتابتها بين الأنواع المسرحية ، إذ تحدث عن التراجيديا والكوميديا والدراما الساتيرية ، وقد ميز أيضا بين النص والعرض وعدّ العرض من أجزاء التراجيديا الستة (يستهوي النفس) لكنه أقل الأجزاء صُنعة وأضعفها بالشعر[٥] .

أمّا في الحضارة الرومانية فالمسرح يأخذ معناه من نوعية الحكاية التي تعتمد عليها الأعمال المسرحية وهي في أصلها خُرافة Fabula استعملت هذه الكلمة بمعنى النص المكتوب الذي يجمع بين الفِقْرات المُختلفة التي يُؤديها الممثلون[٦] .

وأمّا في القرون الوسطى فقد أطلق على المسرحية تسمية (اللعبة أو التمثيلية) وهذا الاستعمال هو الذي بقي سائداً ((في انكلترا بالمقابل صار كل شكل من الأشكال المسرحية يُعرف باسم يُشير إلى خصوصية الأسرار، الأخلاقيات الخ))[٧] ومع بداية القرن السادس عشر أصبح استيحاء الأنواع المسرحية التي قام بكتابتها القدماء هو السائد لتعود المسرحية من جديد تُسمّى اعتماداً على النوع المسرحي الذي تنتمي إليه كمسرحية التراجيديا،والكوميديا، والتراجيكوميديا الخ ، لكن ذلك لم يمنع من أن تستعمل (الكوميديا)كي تدل على المسرحية في فرنسا وفي اسبانيا أيضاً وذلك في حدود القرن السابع عشر[٨] .

أخذت كلمة (دراما) تستعمل في القرن الثامن عشر كي تدل على نوع مسرحي جديد، بيد أنها مالبثت فيما بعد لتستعمل في المسرح الحديث للدلالة على النص مقابل العرض ، ثم صارت تسمية الدراما تُطلق على أي عمل تمثيلي يقوم على عرض فعل درامي يتطور في مسار محدد وينطوي على الصّراع ، ومن هنا جاءت تسمية الدراما الإذاعية ، والدراما التلفزيونية ، في

حين أن كلمة Theatre أصبحت أكثر شمولية وصارت تستعمل كي تدل على المسرح كنوع ، وكعرض ، وكمكان[٩] .

أمّا في اللغة العربية فتبرز اشكالية تتعلق بتسمية المسرح والتعبير عنه وذلك بسبب عدم وجود المسرح في الحضارة العربية ، ويبدو أن هذه الاشكالية قد بدأت مع ترجمة أبي بشر بن متى كتاب فن الشعر لأرسطو من السريانية إلى العربية ، إذ يلاحظ أنه استعمل كلمتي (المديح ، والهجاء) للدلالة على (الكوميديا، والتراجيديا)، بيد أن ابن سينا فضل استعمال كلمتي (طراغوذيا ، وقوموذيا) في تعليقاته على كتاب فن الشعر لأرسطو مثلما وردتا في النص الأصلي ، ثم عاد بعد ذلك ابن رشد لاستعمال تعبير (شعر المديح ، وشعر الهجاء) في مقابل (الكوميديا ، والتراجيديا) ، الأمر الذي يُشعر بالصعوبة الكبيرة التي كانت موجودة في فهم ماهيّة المسرح وكل ما كتبه أرسطو عنه[١٠] .

ويبدو أن تعرف روّاد عصر النهضة من المسرحيين العرب والمفكرين المسرح الغربي وذلك في نهاية القرن التاسع عشر جعلهم يحاولون إيجاد كلمات عربية تصف هذا الفن الجديد الذي لم يكن معروفاً بشكل متكامل في الحضارة العربية الأمر الذي سمح بتنوع المصطلحات المستعملة التي تدل على المسرح[١١]، ويُعد بطرس البستاني من أوائل الذين اهتموا بوضع مصطلحات تدل على المسرح فقد ((ورد في معجم (محيط المحيط) الذي صدر بين ١٨٦٦ و ١٨٦٩ كلمتي (مسرح) و (خشبة) ، إذ شرح معناهما و وصفهما بأنهما مكان الرقص واللعب))[١٢] .

فالكلمة في اللغة العربية تدل على فِناء الدار والفسحة الوسيطة فيه[١٣] ، فضلاً عن ذلك فإن كلمة (المسرح) يُمكن أن تكون قد أخذت من الفعل (سَرَّح عنه: فرّج عنه)[١٤] في إشارة إلى معنى التسلية والاستمتاع الذي تتضمنه ، ويبدو أن هذا المعنى استدعى لاحقاً استعمال كلمة (الفُرْجة) كي تعبر عن شكل العلاقة المتولدة من مشاهدة العروض المسرحية[١٥] .

من هنا يُمكن القول إن (توفيق الحكيم) هو أول من استعمل كلمة (مسرح) بمعناها الحديث وربما يعود ذلك لمعرفته بالمسرح الغربي عن كثب ، في حين أن (طه حسين) فضّل استعمال (الأدب التمثيلي) وهو يتحدث عن النصوص المسرحية اليونانية المترجمة ، من جانب آخر فقد ظلت تسميات من مثل: رواية، وتمثيلية ، ورواية تشخيصية متداولة مدة من الوقت أكثر من المسرحية ، فضلاً عن شيوع استعمال كلمة (دراما) لتدل على المسرحية ، وقد أخذ هذا الاستعمال من معنى الكلمة الانكليزية ، أمّا مصطلح العرض المسرحي فإنه لم يرد إلا في وقت متأخر مع بداية الاهتمام به بوصفه مكوناً أساسياً في مكونات العمل المسرحي[١٦] .

المسرح الشعري العربي، والمسرح الشعري الحسيني

لم يعرف العرب الفن المسرحي[١٧]، لكنهم أخذوا هذا الفن من أوربا بعد عصر النهضة العربية، فظهر المسرح في الأدب العربي ((بشكله الغربي عام ١٨٤٧م حين أنشأ مارون النقاش مسرحه في مدينة بيروت))[١٨] وقد كانت تجربة مارون النقاش وتجارب مسرحيين عرب بداية لتطور المسرح الشعري في العالم العربي ونضوجه على يد ثلاثة ممن كتبوا فيه وهم : أحمد شوقي، وتوفيق الحكيم، و محمود تيمور[١٩] .

وعلى الرغم من أن بعض الباحثين يرجحون معرفة حضارة وادي الرافدين، و وادي النيل لأشكال من الأداء التمثيلي كان يقدم في المعابد الدينية القديمة يُصاحبه موسيقى وغناء و رقص و تمثيل وهي العناصر التي اعتمدت عليها مسرحيات اسخيلوس و يوريبيدس ، فضلاً عن وجود أشكال من العروض التمثيلية شهدها العصر الجاهلي مظهراً من مظاهر الطقوس والأعراف الدينية القديمة[٢٠]، لكن تبقى أصول المسرح الشعري العربي بشكله الدرامي غربية فقد برز مثلما ذكرنا بعد عصر النهضة، و أخذ يتطور بعد أن قام (علي أحمد باكثير) بتجربة الشعر المرسل في كتابة مسرحياته، وهذا يعود إلى رؤيته التي تجد

أن هذا النمط من الكتابة الشعرية يتمازج فيه الشعر والمسرح في إطار درامي متناسق[٢١].

إلى جانب ذلك فقد شهد الأدب العربي أيضاً كتابة مسرحيات شعرية بالشعر الحر، كمسرحيات صلاح عبد الصبور و عبد الرحمن الشرقاوي[٢٢]، ويمكن عدّ تلك المسرحيات ((محاولات مسرحية جادة سعت لأن تنهض بالمسرح العربي))[٢٣] وإعادة الأمل إلى الدراما الشعرية.

و في المسرح الشعري العربي يرى (عبد الستار جواد) ان ((الشاعر العربي منذ مسرحيات شوقي وعزيز أباضة وحتى محاولات معين بسيسو و ميشال سليمان كان يحاول أن يمر بنفس الأدوار التي مرت بها المسرحية الأوربية))[٢٤] وهذا يعني أن الشاعر العربي يعيد التجربة الأوربية في مسرحه الشعري، وهنا قد يكون الشاعر العربي متأثراً بهذا الفن الأوربي لكن ليس إلى درجة إعادة استنساخ هذه التجربة بحذافيرها وإن استعار الشكل الغربي إلا إنه أبقى المضمون والصياغة في ضمن إطارها العربي، وهذا الأمر تؤكده فنون الفرجة التي عرفها العالم العربي وكان لها علاقة بالمسرح والمسرح الشعري بخاصة، ومن هذه الفنون نذكر : التعزية، والمحبظون، والقره قوز، وخيال الظل، و رواية السيرة الشعبية[٢٥].

و لعل (التعزية) التي تُعد من فنون الفرجة الأولى المعروفة عند العرب هي من أقرب الفنون إلى المسرح الشعري، ولا سيما المسرح الشعري الحسيني، فالتعزية ((تمثيلية تعبر عن طقس احتفالي ديني خاص بمقتل الحسين (عليه السلام) وتبدأ الاحتفالات في غرة محرم وتنتهي في العاشر منه وهي تمثل حياة الحسين وكل فعل أو حركة فيها تمثل حدثاً من أحداث مقتل الحسين (عليه السلام)))[٢٦].

و يذهب بعض الدارسين لفن التعزية إلى أن هذا الفن الذي يشبه المسرح عُرف عند العجم بعد الإسلام، ويجسد مقتل الحسين (عليه السلام) في تمثيلية تؤلف لهذا الغرض[٢٧]، وهذا الرأي هو ماذهب إليه (لاندو) في كتابه (تاريخ المسرح العربي) فقد ذكر أن معظم مسرحيات التعزية قد كتبت بالفارسية ومثلت فيها في إشارة منه إلى أن هذا الفن ذو أصول فارسية مع إنه لا ينكر أن التاريخ يحفظ لنا بعضاً من تلك التمثيليات التي كتبت بالعربية ومثلت فيها[٢٨]. و يظهر أن ارتباط التعزية بالحسين (عليه السلام) وتركيزها على القضية الجوهرية التي من أجلها ضحى بنفسه هو ما جعل (لاندو) وغيره من الدارسين يعيد هذا الفن إلى الطقوس الاحتفالية الفارسية، وفي هذا ظلم كبير لأنه يعطي انطباعاً أن العرب لم يكونوا على معرفة بهذه التمثيلية التي يطلق عليها التعزية، وهذا الأمر ليس صحيحاً لان عدم وجود نصوص عربية مدونة من التعزية لا يعني أن العرب لم يكونوا على دراية بها[٢٩].

لقد تأثر المسرح الشعري الحسيني بهذا الفن الذي كان يقدم في أماكن متعددة كالمسارح أو المساجد أو الهواء الطلق، وكان العرض التمثيلي يقوم على الديكور الذي يكون في جزء كبير منه واقعياً، إلى جانب المؤثرات الأخرى كالدم الحقيقي في كثير من الأحيان والأسلحة والحيوانات، فضلاً عن الموسيقى التي تصاحب هذا العرض التمثيلي[٣٠].

ومن أهم الأسس التي بُني عليها هذا الطقس الديني التمثيلي ((الذي يُعد من أقدم العروض المسرحية في العالم الإسلامي))[٣١] هو الشعر فهو يؤدى في معظمه شعراً غنائياً[٣٢] في رثاء الحسين (عليه السلام) وهذا ماجعله من أكثر فنون الفرجة قرباً من المسرح الشعري .

و مهما يكن من أمر فإن المسرح الشعري العربي أفاد من تجارب كثيرة ساعدت في انضاجه باتجاه هذه التجربة المهمة في الأدب العربي، أمّا إذا جعلنا دائرة حديثنا تنصب في المسرح الشعري الحسيني فإننا يمكن أن نقف عند نصوص مسرحية شعرية استثمرت قضية الطف وجعلت من هذه الواقعة محوراً بُنيت عليه هذه المسرحيات وشكل متنها الدرامي بالرغم من صعوبة الخوض في تجربة المسرح الحسيني بسبب الحساسية إزاء هذا الموضوع في كثير من البلدان العربية و محاربة السلطة

والرقابة السياسية ، ومن هذه المسرحيات مسرحية (الحسين) لمحمد الرضا شرف الدين ، و(مصرع الحسين) لعدنان مردم بك ، و(هكذا تكلم الحسين) للعفيفي مطر ، و(ثانية يجئ الحسين) لمحمد علي الخفاجي [٣٣] . وهناك تجارب مسرحية أخرى غير التي ذكرناها، وقد وقع اختيارنا على مسرحية (ثأر الله) من بين هذه التجارب المسرحية الشعرية لتكون مجالاً تطبيقياً يسلط الضوء فيها على المسرح الشعري الحسيني وعلى تقنية أسلوبية يُمكن توظيفها في هذا النوع من المسرح وتكون فاعلة فيه ومؤثرة بشكل كبير الا وهي المفارقة. ولعل هذا الاختيار لهذه المسرحية بالتحديد يعود إلى أن مؤلفها (الشرقاوي) هو واحد من رواد حركة التجديد في الشعر العربي الحديث، ومن الذين انتبهوا إلى تأثير توظيف الشعر الحر في المسرح الشعري إلى جانب ذلك فالشاعر (الشرقاوي) يؤمن بالقيم الإنسانية النبيلة التي ترفض الظلم وتؤمن بالعدالة ولهذا فقد وجد في رسالة الحسين (عليه السلام) كل هذه القيم وحاول أن يرفعها في مسرحيته (ثأر الله) في إطار شعار مسرحي شعري يختار شخوصه ممن ((يحملون هذه المعاني لأن مصيرهم قد رسم لهم أن يكونوا طرفاً في هذا الصراع الأزلي بين الخير والشر في المجتمع الإنساني))[٣٤] وهذا الصراع الأزلي بين هاتين القوتين (الخير والشر) يقودنا إلى مفارقات لا حصر لها داخل العمل المسرحي.

وتعتمد مسرحية الشرقاوي في بنائها على مجموعة من الشخصيات بعضها غير معروف تاريخياً ويجري صراع بين هذه الشخصيات يتولد عنه مجموعة من المفارقات، و تتبدى هذه المفارقات من التناقض الحاد بين أطراف المسرحية في مواقفهم وتصرفاتهم ، إذ نجد أن معسكر الحسين (عليه السلام) يمثل القيم والمبادئ السامية في مقابل الجانب المعاكس لهذه القيم والمثل الإنسانية الذي يمثله معسكر (يزيد بن معاوية) .

المفارقة في المسرح الشعري الحسيني

إن المفارقة التي نتحدث عنها تتصل أساساً بالمسرح لتوافره على ثلاثة عناصر : الراوي والممثلون والجمهور ، والمعرفة المتبادلة بين الراوي والجمهور تضع الممثلين في موقف المفارقة ، ويضع الكشف التدريجي لحقيقة الأحداث السابقة الممثلين والمشاهدين في المستوى نفسه من المفارقة لجهلهم بالأحداث الماضية[٣٥] .

إن الكاتب المسرحي الواعي هو من يستغل الإمكانات الدرامية في المسرحية ويجعل من الشخصية ((ضحية مفارقة))[٣٦] ويسمح للمشاهد أن يكون مراقباً متصفاً بالمفارقة وفي هذا متعة كبيرة تتأتى من ((مراقبة الناس الذين لا يشعرون بوجود من يراقبهم ، وثمة متعة أكبر يغلب أن تكون مؤلمة في مراقبة الناس الذين لايشعرون أيضاً أنهم في ورطة أو أنهم على وشك الوقوع فيها))[٣٧] وهنا تصبح المفارقة أشد وقعاً حينما يشتد التعارض بين كون الضحية حرة في التصرف و واثقة وبين رؤية المشاهد لها في صورة تعيسة مقيدة بعجلة الفعل التي لايمكن ردها أو إيقافها[٣٨].

وفي المسرح تظهر المفارقات بشكل واضح جداً، وهذه ((المفارقات التي نجدها في المسرحيات إنما توجد بسبب ميل في الدرامة أن (تُمسرح) نفسها، ... إن الكثير من الشكل ومحتوى الموضوع في الدرامة يمكن النظر إليه على أنه توسيعات وتحويلات للسياق المسرحي المباشر للمسرحيات، فالدرامي ونصه والممثلون بملابسهم وزينتهم وخشبة المسرح والمخرج والمناظر (بما في ذلك التمرينات والتمثيل) والقاعة والجمهور يميلون جميعاً أن يجدوا أنفسهم داخل مسرحيات بدرجات متفاوتة في التخفي))[٣٩] وهناك تداخل بين المسرح والمفارقة في جوانب عديدة ((فحتى أصغر ملاحظة مفارقة في تصويرها التحدي والاستجابة))[٤٠].

و يمكن القول إن ((المسرح نفسه نوع من تقليد يحمل مفارقة حيث يكون المشاهد من مقعد مريح في عالم الواقع قادر

على النظر إلى عالم من الوهم (فيرى العالم من عل)))[٤١].

إن المشاهد (جمهور المسرحية) ((يشبه المراقب ذا المفارقة، فهو يدخل خيالياً في الوهم الدرامي ولكنه كذلك يقف خارج المسرحية ويحكم بأنها تمثيل))[٤٢].

هناك معطيات مهمة في المسرح يمكن أن يؤدي الاهتمام بها إلى تحقيق مواقف مفارقة داخل العمل المسرحي، فإلى جانب ما ذكرناه من عناصر وهي : (الراوي والممثلون والجمهور) نجد أن طريقة العرض المسرحي لها تأثير كبير في خلق مواقف مفارقة مثيرة لتساؤلات لا حدود لها، ويدخل ضمن طريقة العرض ((تصميم الديكور، وفي كثير من الأحيان تصميم الزي المسرحي والإكسسوار والأقنعة والمؤثرات الخاصة من إضاءة ومؤثرات سمعية ... إلى جانب المخرج لكي يتحقق الانسجام في أسلوب العمل ككل))[٤٣].

لقد تطورت اليوم أساليب العرض المسرحي وأضحى يطلق على هذا الجانب من المسرح مصطلح السينوغرافيا[*] (Scenogrophy) التي تعد نشاطاً إبداعياً فنياً ((يفترض معرفة بالرسم والعمارة (الصور والالوان والأشكال والحجوم) وبالتقنيات المستخدمة في المسرح (الإضاءة وهندسة الصوت) إضافة إلى القدرة على تحليل العمل لتجسيده))[٤٤] وهي تهتم ((بتنظيم الفضاء المسرحي لكل النواحي بدءاً من تصميم مكان العرض بشكل عام انطلاقاً من الرؤية الدرامية والتأثير المفترض على المتفرج إلى تصميم وتنفيذ الديكور وما يتعلق به في عرض معين))[٤٥].

إنّ السينوغرافيا التي تقوم على ((استثمار الفضاء المسرحي كفراغ من أجل اعطاء المسرح بعداً شعرياً))[٤٦] يمكن أن تقدم علامات رمزية ينتجها فنان معتمداً في ذلك على مخيلته وخزينه المعرفي ، وقد تكون هذه العلامات الرمزية ذات صلة بالنص المسرحي أو تفتقر إلى وجود صلة[٤٧] وهي ((تؤدي دوراً رمزياً على خشبة المسرح تأخذ وهي في حالة استعمال مسرحي خصائص وصفات وطبائع لا تحملها في الحياة العادية فهي تخلق من جديد مغايرة لطبيعتها الأولى))[٤٨]. وتجدر الإشارة إلى أن توظيف السينوغرافيا في المسرح الشعري الحسيني يمثل تجديداً كبيراً لهذا المسرح وإضافة مهمة يمكن منها أن تتولد الكثير من المفارقات ، ولنا في مسرحية الشرقاوي (ثأر الله) مثال على ذلك ، إذ يمكن إظهار هذا الجانب في العرض المسرحي للمسرحية ، فالشرقاوي في نصه المسرحي يركز كثيراً في مناظر المسرحية على المسرح ومحتوياته من (ديكور وأزياء) وغيرها .

ففي المنظر الثاني يبدأ بقوله : ((قاعة فسيحة في قصر الوليد بن عتبة والي المدينة.. الأمير يجلس على مقعد وثير وغير بعيد منه يجلس مروان بن الحكم .. في صدر القاعة شرفة يظهر منها على البعد مسجد الرسول(صلى الله عليه وعلى آله) وقبره .. الهتافات التي سمعناها في آخر المنظر السابق نسمعها الآن من بعيد))[٤٩].

ويمكن هنا أن تدخل السينوغرافيا تدخلاً كبيراً لتبرز هذا التناقض باستغلال تقنيات الديكور والإضاءة والصوت ، ليظهر جلياً الاختلاف الكبير بين قاعة قصر الوليد وبين مسجد النبي (صلى الله عليه وعلى آله) الذي يظهر من الشرفة .

المبحث الأول

المفارقة في عناصر مسرحية (ثأر الله) للشرقاوي

يتكون أيّ نص مسرحي شعرياً كان أم نثرياً من مجموعة من العناصر التي تتضافر فيما بينها لتنتج لنا عملاً إبداعياً إذا ما أتقن المؤلف مفاتيح كل عنصر وأدرك أهميته في النص .

وإذا ما تعرضنا إلى أيّ عمل مسرحيّ بالدراسة فإننا لا يمكننا الاعتماد على عنصر ما دون غيره . أمّا عن تقسيم النص إلى

عناصر، فإنّ الهدف منه تسهيل عملية دراسة مكونات ذلك النص الذي يعدّ في الأساس كلّا متكاملاً .

ولعلّ المرونة التي تتمتّع بها المفارقة من حيث التعامل معها على مستويي اللغة والمعنى ، أو من ناحية تطبيقها على فنيّ الشعر والنثر ، هي التي جعلت منها ظاهرة أسلوبية تعمل مع ظواهر أخرى على رفع مستوى القيمة الجمالية للنص . ولعلّ تلمّس اثر المفارقة في فن مزدوج كالمسرح الشعري فيه من الصعوبة قدر ما فيه من المتعة . فالمسرح الشعري فن متشعب ومركب لانتمائه إلى الأدب من جهة النص الدرامي ، والى فنون العرض من جهة العرض المسرحي . لذا فإنّ التكوين المزدوج للمسرح الشعري (نص شعري + عرض مسرحي) قد ((يجعل منه فنّ المفارقات بامتياز ، فنّ ينسج خصوصيته ، ويمنح العناصر المكونة لبنيته من مفارقات هي مرجعياته المتباينة))[٥٠]

فالمفارقة ، إذن، تشكل انحرافا دلاليا يحيل البناء الهيكلي الشعري إلى رؤى درامية مؤثرة تعتمد عمق الفكرة ووضوحها في وقت واحد . فالمفارقة تؤدي وظيفة مهمة في نجاح العمل الأدبي بعامة والمسرح الشعري بخاصة. فقد اقرّ أرسطو قبل أكثر من ألفي عام على قيام مدرسة (النقد الجديد) بحتمية أن ينطوي الموقف على المفارقة [٥١].

وقد تلمسنا ذلك جليّا في توظيف الشرقاوي لأسلوب المفارقة في اغلب عناصر التشكيل المسرحي لمسرحيته (ثأر الله) بقسميها (الحسين ثائرا) و (الحسين شهيدا) ، وفيما يأتي عرض مفصل لذلك .

أولاً : المفارقة في الفكرة الرئيسة (الثيمة)

الفكرة هي اللبنة الأساسية في كتابة ايّ نصّ درامي ، وهي الحاضرة الأولى في ذهن القارئ يبدأ بعدها بتصوّر العناصر الأخرى التي تنمّي الفكرة وتطوّرها وتسير بها إلى مساراتها التي يريد لها الكاتب أن تصل . فلو لم تكن هناك فكرة لما كان هناك عمل أدبي شعرياً كان ام نثرياً .

والشرقاوي لم يجتهد كثيرا في اختيار الفكرة العامة للمسرحية كونها تعدّ عملا تاريخياً في الأساس . فمسرحية (ثأر الله) للشرقاوي بوصفها فكرة عمل ليست مقصورة على احد ولم يقتصر عليها احد كذلك . فقد سبق الشرقاوي إلى الخوض في واقعة كربلاء كثير من الكتاب في المسرح الشعري أو غيره ، نظرا لأهمية حادثة استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) وجللها عند المسلمين عامة والشيعة خاصة .

ولعلّ من ابرز ما ساعد الشرقاوي على المضي في هذا العمل والنجاح فيه المرجعية الثقافية والدينية الواسعة التي تمتّع بها . فعلى الرغم من بداياته الشعرية الخالصة إلا انّه انتهى به الأمر مفكرا إسلاميا شغوفا بتعقّب حركة التاريخ الإسلامي وسيرة الرسول الكريم (صلى الله عليه وعلى آله) ، حتى كاد ينسى موهبته الأدبية تماماً[٥٢]، هذا فضلا عن حبّه الكبير لآل بيت المصطفى (صلى الله عليه وعلى آله) بعامة والحسين (عليه السلام) بخاصة كما صرّح بذلك في بداية مسرحيته ، ذلك الحب الذي زرعته فيه أمه كما يقول :((إلى ذكرى أمي التي علمتني منذ طفولتي أن أحب الحسين ذلك الحب الحزين الذي يخالطه الإعجاب والإكبار والشجن ويثير في النفس أسىً ... وحنيناً خارقاً إلى العدل والحرية والإخاء ...))[٥٣].

ولعلّ هذه الأسباب كافية للشروع بفكرة كتابة المسرحية . أما عن المفارقة وعلاقتها بفكرة المسرحية ، فإنّها تبدأ منذ لحظة الاختيار تلك لما كان يشكله اختيار مثل هكذا موضوعات من حرج كبير و مخاطرة في الوقت نفسه، نظرا لما تتمتع به مثل هكذا موضوعات من حساسية عقائدية وفكرية عند بعض الفئات ، فضلا عن مضمون العمل نفسه وفكرته التي قد تدعو الشباب أو تلفت أذهانهم إلى قضايا التحرر الفكري والاجتماعي والسياسي في مجتمعنا العربي بالثورة على الظلم والاستبداد التي عكستها ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) . وبالفعل فإنّ مسرحية الشرقاوي قد منعت من العرض

بحجة عدم شرعية تجسيد شخصيات أهل البيت عليهم السلام .

أما عن عنوان المسرحية الذي يشكّل المدخل العام لفكرة المسرحية نفسها فإنّه لا يكاد يخلو من المفارقة أيضا . فـ (ثأر الله) عنوان ينفتح على كثير من الدلالات أبرزها إثبات القيمة الحقيقية للإمام الحسين (عليه السلام) ، ومن ثم جرأة من تجاوز على الله سبحانه وتعالى في قتله وسبي عياله وهم أهل بيت النبّوة ، لذلك فإنّ ثأره عند الله أولاً ومن ثم عند الناس. هذا من جهة ، أمّا من الجهة الثانية فإنّ الشرقاوي لم يكتف بوحدة العنوان والكتاب فقط بل عمد إلى تجزئة المسرحية إلى كتابين وليس جزأين هما : (الحسين ثائرا) ، و(الحسين شهيدا) ، ولعلّه أراد بذلك العمل أن يعكس المفارقة الإنسانية العميقة الأثر وهي : إن مصير (الثائر) إلى (الشهادة) ، وانّ الموت شهيدا ليس كأيّ موت آخر رغم أن المحصّلة النهائية واحدة وهي فقد الحياة .

لقد ركّز الشرقاوي كثيرا على هذه الفكرة ، بل لعلّه كان الدافع الأساس لفكرة العمل برمّته . وصرّح به على لسان الحسين (عليه السلام) ، في قوله :

فانا الشهيدُ هنا على طول الزّمان
أنا الشهيدُ
فلتنصبوا جسدَ الشهيد هناك في وسط العراء
ليكونَ رمزاً دامياً
للموت من اجل الحقيقة والعدالة والإباء(٥٤)

وكذلك قوله :
ليست العبرةُ في قتل الحسين
انّما العبرة فيمن قتلوه ... ولماذا قتلوه!
.....
انّما العبرة في ثأر الحسين
انا ثأر الله إن متّ شهيداً فاطلبوه
فاطلبوا الثأر من السّفاح أيّاً ما يكن(٥٥)

فالعبرة الحقيقية ، إذن ، ليست في قتل الحسين بقدر ما هي للثأر منه .... وكذلك في الثأر له .

إنّ الفكرة القائمة في الأساس تعتمد على مفارقة واضحة تكمن في ثنائية الحق والباطل ، والخير والشر ، ولكن في زمن لا يميزه من غيره سوى قربه من زمن الرسول (صلى الله عليه وعلى آله) بما حمل من تعاليم الدين الإسلامي الحنيف ، وعند شخوص يمثلون الحقّ المطلق (الحسين وأهله وأصحابه) ، في مواجهة شخوص يمثلون الشرّ المطلق (حكام بني أمية وأتباعهم) ، ولكن المفارقة التي بنيت عليها مسرحية (ثأر الله) لاتعتمد على ذلك فقط وإنّما في تقلّب نفوس الناس ، والجشع الذي أصبحوا عليه ، فضلا عن الخوف والاستكانة التي ملأت نفوسهم و أسكتتهم عن قول الحقّ بل بالأحرى جعلتهم يتراجعون عما قالوه من كلمة الحق باستقدامهم الحسين (عليه السلام) والاستنجاد به، و وعودهم الكاذبة بدعمه والوقوف

صفّا إلى صفّ معه ، ومن ثمّ خذلانه . فـ (ثأر الله) – مقتل الحسين ومن معه بتلك الطريقة الوحشية – كانت الصفعة التي أعادت التوازن الطبيعي إلى الحياة ، وما أحوجنا في زماننا هذا إلى مثل تلك الصفعات كي تستقيم حياتنا وتتوازن فلا يغلب الباطل مطلقا على الحق مطلقا . وهنا تكمن مفارقة الفكرة أو الثيمة التي قامت عليها المسرحية من أولها حتى آخرها في تجانس واضح للفكرة الرئيسة مع ما جاء أيضا من أفكار لا نقول عنها ثانوية بل متفرعة تكمل الحدث وتنمّي الصراع بين الشخصيات في المسرحية.

فقد تعرّض الشرقاوي في مسرحيته إلى بعض النقاط أو الثيمات التي حاول فيها أن يربط بين النص بأكمله ، كالإفادة مثلا من قصة مقتل حمزة بن عبد المطلب عم الرسول عليهما السلام على يد العبد (وحشي). ومحاولة توظيف تلك الحادثة بشكل واسع استمر حتى نهاية المسرحية الثانية (الحسين شهيدا) . ففي المنظر الأول من مسرحية (الحسين ثائرا) الذي يعرض فيه الشرقاوي الجدل الواسع الذي دار في مكة بعد وفاة معاوية بن أبي سفيان بين بعض أصحاب الحسين (عليه السلام) كسعيد بن سعيد وبشر وغيرهم ، وبين بعض مؤيدي معاوية وابنه يزيد كـ(أسد) الذي شاءت المفارقة أن يكون محاربا مع رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله) ، وليصبح – فيما بعد– من اشدّ المناصرين والمدافعين عن بني أمية ، بل المساهمين بقتل الحسين (عليه السلام) ، فهو في معرض دفاعه عن يزيد الذي يقول فيه :

فيزيد أيها الناس أمير المؤمنين[٥٦]

وكذلك قوله :

نحن بايعنا ... ومن ينكص عن البيعة آثم[٥٧]

يعود ليقول بعد ان عرّض به سعيد بن سعيد لاستلامه ضيعة مقابل إعطاء بيعته ليزيد :

سعيد : ليست الحكمة إهدار تعاليم النبيّ

أسد : انا أولى بنبيّ الله منكم أجمعين

إنني جاهدت في جيش الرسول المصطفى

قبل أن يأتي للدنيا أبوك[٥٨]

فأيّ مفارقة تلك .... فمن شهد قتال الكفر والكافرين مع رسول الله(صلى الله عليه وعلى آله) ها هو الآن يدافع عن ظلم آل أمية ويؤيد أخذ البيعة قسرا ليزيد الذي لا يقلّ ظلما واستهتارا بحرمات المسلمين عن أبيه .

ففي خضّم ذلك الجدل الواسع يمرّ (وحشي) وهو رجل عجوز متهالك أتعبه الندم والحسرة على قتل حمزة بعد أن أغرته (هند) اللعينة بذلك مقابل نيل حريته ، يقول :

وقتلت حمزة في احد

وظللت انبش بطنه حتى عثرت على الكبد

فنزعتها وعصرتها لتلوكها أسنان هند

قد كنت عبدا حينذاك ، وكان لي أحلام عبد[٥٩]

فمنذ الوهلة الأولى يبدو لنا بوضوح السرّ وراء توظيف تلك الحادثة ، وكأنّ الشرقاوي رأى انّه من الضروري أن يشعرنا بتلك المفارقة منذ البداية وان تلك الحادثة رغم ما تركته من الم عميق في نفس الرسول (صلى الله عليه وعلى آله) جعله عاجزا عن النظر في وجه وحشي حتى بعد أن أعلن إسلامه ، إلا إنّ المغزى يكاد يكون أعمق وذلك حينما صوّر الشرقاوي مدى القسوة والحقد الذي يحمله آل أمية متمثلة بهند وبنيها الذين استمر حقدهم طويلا وهم يطلبون الثأر من نبي الله وأهل بيته

عليهم السلام .... وهذا ما صرّح به يزيد شامتا بعد قتل الحسين عليه السلام وذلك في مجلسه أمام زينب عليها السلام . في قوله : ليت أشياخي ببدر شهدوا .....الخ

ولعل قصدية الشرقاوي وإلحاحه في التذكير بقصة وحشي تعود إلى تأكيد المفارقة من خلال الندم كي لا تعاد الأخطاء نفسها ... فوحشي هذا رغم حصوله على حريته مقابل قتل حمزة إلا انه لم يشعر بها مطلقا ، ولم يكن نصره إلا هزيمة نكراء أحاطت به طوال عمره .يقول وحشي :

يا سيّد الشهداء حمزة قد غدوت ضحيتك

انا ما جنيت على حياتك ما جناه علي موتك[٦٠]

إنها قمة المفارقة حينما يغدو النصر هزيمة ....وحينما يصبح الضحية بطلا والقاتل ضحية .... .

فصورة وحشي لم تنته إلى هذا الحد فقط ، بل انها استمرت باندفاع مقصود مع الأحداث حتى نهاية العمل المسرحي، فبعد انسحاب الحرّ الرياحي –وهو احد القادة في معسكر عمر بن سعد – بعد جدال وحوار طويلين مع عمر يقرّر الانسحاب والانخراط في معسكر الحسين (عليه السلام) بعد أن تنجلي الحقيقة أمام ناظريه ويسطع نور الحق :

الحر : انني تبت الى ربي مما تصنعون

انا ذا انجو الى التاريخ منك ....

(عمر يروح ويجئ بينما يرتفع من بعيد صوت وحشي)

وحشي : (من الخارج)وقتلت حمزة في احد!

(يدخل وحشيّ وهو يترنّح متهالكا من السكر وراءه بعض رجال عمر بن سعد)

وحشي : ودفعت جثته لهند وهي ترقص في النساء

ورأيتها في فرحة هوجاء تنتزع الكبد

(يدور في المكان)

ووقفت منتظرا لعلّي اقتضي ثمن الدماء

عمر : (صارخا) ياللشّقي !اغرب وغيّب وجهك

المنحوس عنّي

وحشي : (مستمرا) دفعت مكافأتي اليّ فما انتفعت

بما اخذت

وغدوت حرّا غير اني صرت عبدا للندم[٦١]

إنّ فكرة الشرقاوي في دفع الأحداث من خلال المفارقة (مفارقة الموقف) وان كانت تحمل المعنى نفسه وهو ندم وحشي على فعلته ، إلا انّ تغير الموقف والمكان والأشخاص كانت هي الأداة الطيعة التي تعامل بها الشرقاوي مع الموقف برمّته حينما جعل من موقف وحشي وسيلة للتذكير على امتداد النص المسرحي بل انّه ليشركه في تلك الأحداث حينما صرّح أخيراً بموقفه من كلّ ما يجري في ربط متخيّل واضح للماضي بالحاضر يقول وحشي :

فلتسحق الكبراء يا ربي بصاعقة الندم ؟

أو لا تراهم يعدلون عن الحسين

الى ابن آكلة الكبد...

أوّاه لو انّي أصول مع الحسين
لكنّني ناديته فأشاح عنّي مرتين
يا للحسين[٦٢]

بل إن الشرقاوي يختصر ذلك كله في موقف (أسد) الذي بات يشعر بالندم العظيم لما آلت إليه الأمور، وذلك في أحرج لحظات المسرحية وهي اللحظة التي يطلب فيها عمر بن سعد- لعنه الله- من أتباعه أن يحتزّوا رأس الحسين (عليه السلام) وهم يمتنعون خوفا ورهبة من ذلك الموقف العظيم ، حينها يقول أسد :

هكذا يصبح هذا الجيش والله كوحشي
ويغدو هو حمزة[٦٣]

ثانيا : المفارقة في الشخصية

لقد ركّزت مسرحية الشرقاوي بشقيّها (الحسين ثائرا) و(الحسين شهيدا) على شخصية الإمام الحسين(عليه السلام) بالدرجة الأساس وهي شخصية ممعنة بالبطولة والإباء والأصالة...إنّها ليست شخصية عادية بل هي شخصية

كتب لها الخلود على مدى الدهر كله ، فهي شخصية رمز تعدى محتواها ليشمل معاني كثيرة زاولها الأدباء والشعراء على مرّ الزمان ، ليستخلصوا منها صورا عدة للإنسان الحر الكريم الذي يأبى الضيم والظلم رافضا الدنيا بكلّ مغرياتها ، ليقدّم نفسه وأهله وخيرة صحبه قرابين على أعتاب الحرية . انه الشخصية التي مثّلت مطلق الخير في مواجهة مطلق الشرّ المتمثّل بالحاكم الطاغية المستبد بأرواح الناس وكرامتهم . ولعلّها أهم وابرز مفارقة ستصادفنا ليمتد تأثيرها على مدى واسع في المسرحية .

فخلود شخصية الحسين (عليه السلام) لا يتضمن شخصه بقدر ما يتضمّن خلود مواقفه وشجاعته في مواجهة جيوش بأكملها وهو يؤمّ مجموعة صغيرة من الأهل والأصحاب يقارب عددهم السبعين أو أكثر بقليل بقوة إيمانهم بالله سبحانه وتعالى وصبرهم على ما يعلمون وعلى ما لا يعلمون . فهو –عليه السلام – ((شخصية محورية من ذلك الطراز القوي العنيد الذي لا يقنع بأنصاف الحلول))[٦٤] .

ولعلّ تعرض الأدباء إلى شخصية بهذا القدر من التميّز في فن لا يخلو من الصعوبة وهو المسرح الشعري يكاد يكون أشبه بالمغامرة ، لكن النجاح في مثل هكذا عمل قد يفرض على الشاعر المسرحي أن يتعامل مع شخصية الحسين(عليه السلام) بإدراك مقوماتها الدرامية فضلا عن مقوماتها الواقعية ، لذا فإنّه قد نظر إليها على أنها الشخصية المحورية في عمله وبها تتعلق كل الشخصيات الأخرى ، رغم انه لم يهمل الشخصيات الأخرى من كلا المعسكرين كشخصيات أصحابه مثل (الحرّ الرياحي وحبيب بن مظاهر الأسدي وبشر وابن عوسجة وغيرهم) الذين ركّز عليهم أكثر من تركيزه على أهله باستثناء زينب وسكينة عليهما السلام وهو دور المرأة الذي أراد فيه أن يثبت أهميتها في المجتمع وتأثيرها وصلابتها في وقت الشدة حينما تكون عونا للرجل،فهي ((شخصيات ذات كيان مستقل قد تلقي الضوء على دور البطولة ولكنّها تمثّل في ذاتها نماذج إنسانية ومسرحية ناجحة))[٦٥]، بل انّه قد أعطى بعضها اهتماما ومكانا واسعا ومؤثرا في نصوصه لما خاضته من صراعات مع نفسها كـ(الحر) أو مع الآخرين، وسنأتي على ذكر ذلك لاحقا. فمسرحية الشرقاوي قد بنيت على أساس الشخصيات ((ولكنّها شخصيات لم يرسمها المؤلف على أساس علاقتها بالحياة بل على أساس علاقتها بعضها بالبعض الآخر أي العلاقة الدرامية))[٦٦]، لذا فإنّ أفعال تلك الشخصيات هي بناء حقيقي وتام لمفارقات واسعة اشتملت عليها المسرحية التي

عكست – في اغلبها– المفارقات الاجتماعية المعتمدة على التأسيس النفسي للشخصيات نفسها .

فالمسرحية تتحدّث عن ((مسؤولية القائد وعن دور المثقف في عصره ... كيف يجب أن يحوّل ما يعتقد إلى حركة ايجابية))[٦٧] وهذا هو فضل التعامل مع الأحداث التاريخية القيّمة بشكل أدبي رفيع يربط الماضي بالحاضر ، فـ ((المسرحية التاريخية ليست مقصودة لأحداثها أو لسرد شخصياتها المعروفة ولكن لبيان رموزها ، والقصد من كتابتها))[٦٨] والكتابة في التاريخ ليست ((تدوين الأحداث والوقائع، لتصبح فقط ذاكرة أو مرجعاً ينصرف إليه الإنسان عند الحاجة، لكنه يتحرك ويسير في كل الاتجاهات ما دام الإنسان شعلة ملتهبة تحرق وتحترق))[٦٩].

ولم يكتف الشرقاوي بالتركيز على الشخصية الفاعلة والمحبوبة التي تتمتع بقيم إنسانية عالية ، بل انّه وبحكم خبرته لم يعمل باتجاه واحد بل قد عرض إلى الجانب الآخر من الفعل الإنساني الشرير والمتسلط الذي تمثّل بشخصية (يزيد) وأتباعه كابن زياد وعمر بن سعد وغيرهم الذين ساهموا مساهمة فاعلة في تحريك الأحداث وإنماء الصراع الذي يتطلّب في الأصل وجود شخصيات تقف على الضدّ من بعضها ، ولعلّ ذلك يشكّل مفارقة مهمة ، فـ ((الشخصية قيمة كبرى ومكانة عظمى ، وما الحبكة إلا نتاج طبيعي لصراع الشخصيات))[٧٠] وهذا ما دفع الشرقاوي إلى تفعيل دور المفارقة وهو يتعرض للشخصيات في مسرحيته التي تعدّ مسرحية شخصيات بالدرجة الأساس ، إذ يرى بعضهم أن ((الأثر الكلي للعمل المسرحي كله ، هو المحصّلة الناتجة عن تجمّع عدد من المفارقات الدرامية))[٧١]، وتلك المفارقات يقودها بالتأكيد شخوص العمل المسرحي نفسه بجميع أبعادها المادية والاجتماعية والنفسية وهذا ما تعكسه الدراما الحديثة في المسرحيات التراجيديا إذ ((تتمثل في استبدال الصراع الميتافيزيقي في المسرحية التراجيدية بالصراع الفكري الي يكافح فيه البطل ضد منظومة القيم القديمة في مجتمعه ليدافع عن أفكار وقيم جديدة))[٧٢].

إنّ رؤية الحسين (عليه السلام) للإنسان بأنه كيان له احترامه وكرامته وحقوقه تجابهها على الضدّ تماما رؤية يزيد الذي يرى البشر أنهم ((نفعيون ، ناكرون للجميل ، سريعو التحوّل))[٧٣] وان الإنسان ليس سوى عبد يشترى ويباع بالمال . وقد أفاد الشرقاوي كثيرا من تلك المفارقة في إثبات أن نظرية يزيد وان بدت للوهلة الأولى انّها صحيحة وان كثيرا من الناس الذين بعثوا برسائلهم واستغاثاتهم إلى الحسين (عليه السلام) وهو في مكة قد تراجعوا عن نصرته ، إما طمعا بالمال أو خوفا وخشية على حياتهم من سطوة يزيد وبطشه ، إلا إن الحقيقة التي أثبتها الحسين (عليه السلام) بدمه ودم أحبته أنّ الإنسان لا يسوى شيئا بدون كرامته . وان الصمت عن الظلم رذيلة تدفع الظالم إلى التمادي في الظلم .

وخير دليل على لعنة التقلب تلك ما عرضه الشرقاوي من تناقضات شخصية (أسد) التي ركّز عليها الشرقاوي في مساحة واسعة من مسرحيته ، وأنّ المفارقة تبدو واضحة تمام الوضوح في التناقض الكبير الذي حصل في شخصية أسد ، فهو المقاتل الهمام الذي خاض حروبا مع الرسول (صلى الله عليه وعلى آله) في بداية حياته، وهو الآن يقف إلى جانب يزيد ويحاجج بشدة في أحقيته بالخلافة بدلا من الحسين (عليه السلام) ، بل انّه يستمر في الوقوف مع يزيد وأعوانه ودعمهم بأفكاره وخططه اللعينة حتى اللحظات الأخيرة من مقتل الحسين (عليه السلام) التي شعر فيها بالندم الكبير ، ويبدو تناقضه واضحا في قوله في معرض دفاعه عن يزيد :

وحسين قرّة عين رسول الله يعيش زمانا قد ولّى

ما عاد رجال كعليّ لحكومة دولتنا اهلا

وحسين يسلك مثل ابيه

وله مثل صلابته

.....

فليس نجاح وليّ الأمر في ان يحكم بضميره

أو يقضي عن نزعته أو تقديره (٧٤)

إنّ كلام(أسد) السابق يوحي بمفارقة عميقة بدأت تسيطر على عقول الناس وأذهانهم بعد مرحلة الخلفاء الراشدين وعلى وجه الخصوص مرحلة حكم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام) التي تميّزت بإشاعة العدل والمساواة بين الناس بمختلف طبقاتهم وإعطاء الفقراء حقوقهم وحفظ كرامتهم ، ولعلّ هذا ما أغاض الكثير من أصحاب المصالح الدنيوية والأطماع المادية ، فبدؤوا بالقول بإبعاد ذريته عن الحكم كي لا يحرموا من امتيازاتهم . فعلى الرغم من اعتراف أسد بمكانة الحسين ولو عند رسول الله إلا انه ما عادت شخصيته وطريقة تفكيره تتلاءم مع عصر أشاع فيه بنو أمية الفساد في كل مفاصل الدولة بل مفاصل الحياة أيضاً إلا ما رحم ربي .... فكيف ، إذن ، يصّح أن الأتقياء والصالحين الذين يتميزون بصلابة دينهم لم يعودوا يصلحون لحكم الدولة الإسلامية على الرغم من أن الفارق الزماني بين ما يجري وبين زمن الرسول(صلى الله عليه وعلى آله) ليس بالبعيد او الكبير. وليس هذا رأي أسد فقط بل الكثير من الناس منهم الصراف الذي شارك في النقاش حول أحقية الحسين أم يزيد بالخلافة مع بعض أنصار الحسين (عليه السلام) ، يقول مستبشرا بعدما سمع بموت معاوية :

الصرّاف : أسمعتم ما سمعنا ؟ ... أتولاّها يزيد ؟!

بشر : بل يولاّها الحسين بن علي

الصراف : لم يعد يصلح ابناء عليّ للخلافة

سعيد : ولماذا يا امير الغشّ في سوق الصرافة ؟

الصراف : انّهم اصحاب تقوى وورع (٧٥)

لقد تمكّن الشرقاوي من تحريك النص المسرحي بتفاعل الشخصيات ، فـ ((المسرحية القوية لا تقوى بالأفكار ، وإنّما بالشخصيات))(٧٦) التي تتنازع فيما بينها فتحدث الحركة والحيوية في أيّ نص كان ، فلا ((حياة فنية للمسرحية ما لم تتفاعل الشخصيات ، ومن هذا التفاعل في شتّى صوره تتولّد بنية المسرحية ، ومن خلاله تنمو الشخصيات مع الحدث في حساب فنيّ محكم يبدو من دقة أحكامه انّه تلقائي طبيعي))(٧٧)، ولعلّ هذا ماجعل البناء المسرحي من أصعب أنواع الفنون واعقدها فيما يتعلّق ببناء الشخصيات ، فـ ((الإحساس بعظمة الشخصية الدرامية وحيويتها يرجع في الغالب إلى استيفائها المقومات الأساسية التي تنهض عليها ستراتيجية بناء الشخصية الإنسانية)) (٧٨).

والذي يزيد المفارقة التي بنى عليها الشرقاوي مواقفه عمقاً إلحاحه على إظهار التناقض عند بعض الشخصيات في المسرحية حينما ضمّن عمله ((عدداً من البنيات الفكرية الملحة، منها مدى التوافق بين الواقع والقيمة))(٧٩) وكيف أن الإنسان قد يبيع ذاته وتاريخه ومواقفه المشرّفة في لحظة كما حصل مع (أسد) ، وكيف أنّ الإنسان – كذلك في لحظة – يحافظ على قيمه وتاريخه وبطولاته كما حصل مع الحرّ الرياحي فيما بعد . ويعكس تلك المفارقة الحوار المصيري الذي دار بين الحرّ وأسد حينما حاصر جيش عمر بن سعد الحسين ومن معه وحرمهم الماء حتى باتوا يستغيثون إمامهم لشدة عطشهم ..هذا ما دفع احدهم بحمل قربة ماء متجها إلى الحسين ليستوقفه الشمر ويضرب القربة ومن يحملها بالسيف مما أثار حفيظة الحر :

الحرّ : (متألما) مات الشهيد .... فله الجنّة

و سنحيا نحن في اللعنة

أسد : إنّا من شرفاء الدولة

لا ترهقنا ابداً ذلة !

ونحن اولو تقوى يا حرّ ويوم الرّوع ذوو صولة

الحرّ : يا للشرفاء الملعونين ![٨٠]

إنّ عبارة أسد (نحن أولو تقوى) تعكس التناقض الكبير بين الواقع ومحاولته خداع نفسه والتبجح بالتقوى والورع، والحقيقة عكس ذلك تماما ، امّا ردّ الحرّ عليه بعبارة (يا للشرفاء الملعونين) فإنّها تعكس المفارقة اللفظية التي بطانتها السخرية والتهكم التي جعلته ينتفض ويلتزم الحقيقة التي تجلت لناظريه حينما أدرك أن الحق واضح كالشمس وان عمى البصيرة هو الذي كاد يودي به إلى مزالق الجهل والانحطاط ليقرر بعدها الانخراط في ركب الحسين(عليه السلام) الذي يدرك تمام الإدراك أن مصيره الموت لا محالة .

ثالثا : المفارقة في الحبكة والصراع

لقد تحدثنا سابقاً عن تداخل عناصر المسرح الشعري فيما بينها ، وعن الشخصية ودورها في البناء المسرحي وفي إنماء الحدث وتصاعده لتخلق عقدة النصّ وحبكته من حيث انه نتاج طبيعي لصراع الشخصيات وتضارب مواقفها وأفكارها . فالحبكة إذن ، ((عملية يتمّ فيها نشاط شخصية أو عدّة شخصيات ، ومجال تجري فيه الأحداث ، وتتصارع فيه الأفكار ، فأحداث الموضوع هي أفكار الشخصيات))[٨١]. وهي تعدّ بمثابة الجزء الرئيس في المسرحية وقد وصفها أرسطو بأنها نواة التراجيديا التي تتنزل منها منزلة الروح [٨٢].

و تتضمن الحبكة – وهي عنصر من عناصر المسرح – مفارقة لأنها تعتمد أساساً على نوع من التناقض التضادي بين المظهر والواقع، بين نية الشخصية وما تقوم به أو بين توقعها وما يحدث في حقيقة الحال[٨٣] .

وترتيب الأحداث وتسارعها وتضاربها أحياناً هو الذي يخلق الحبكة من خلال نوعين من الحدث هما الحدث البسيط ، وهو الذي يأخذ مسارا واحدا واضحا ، والحدث المركّب الذي يتطلّب من المؤلف جهدا اكبر وقدرة فائقة على ربط خيوط قصة المسرحية أو فكرتها العامة في تسلسل فكري ومنطقي يبتعد عن التناقض أو الإسفاف حتى يتدرّج بالفكرة إلى النهاية[٨٤] .

أمّا الصراع فهو لا يكاد يخرج عن مضمار الحبكة والحدث ، فهو الذي يغذّيهما ويدعمهما بالاستمرار والديمومة للوصول إلى مبتغى الكاتب . فهو يشكّل ((العمود الفقري في البناء الدرامي ، فبدونه لا قيمة للحدث ، أو لا وجود للحدث))[٨٥] .

ومسرحية ثأر الله مليئة بالأحداث .. بل هي _ في حقيقة الأمر _ حدث كبير متنام متسارع يختصر الحياة بأكملها وفق منظومة من المفارقات العميقة والمؤثرة التي أثبتت حضورها الفاعل بما اشتملت عليه من رؤى الشخصيات ومواقفها الثابتة تارة والمتقلبة تارة أخرى مما أسهم في تنامي الصراع القائم أصلاً على التناقض والتقابل . فعنصر المفارقة((هو الذي يحتم ألا يبقى الموقف ساكنا وإنما يفرض عليه الحركة ، ذلك ان المفارقة الكامنة فيه تولد الصراع الذي يحرك الموقف إلى التأزم الذي سرعان ما يحلّ فيصل الحدث إلى نهايته ، ولولا المفارقة لما تحرك الموقف في الصراع))[٨٦] . فقصة الإمام الحسين (عليه السلام) تعدّ امتدادا لقصة أبيه وجده (عليهما السلام) وما لاقياه من صدّ عنيف من الظلمة وجاحدي الحق ، ومن رؤوس الفساد والنفاق والحقد على رسول الله وال بيته عليهم السلام التي لم تعرف الهداية يوما بل خبّأت رؤوسها لحين اقتناص الفرصة ، وحينما حصل ما يريدون بدؤوا التنكيل بأهل البيت ومنهم الحسين (عليه السلام) . الذي خيروه _ بعد وفاة معاوية _ بين اخذ البيعة ولو قسرا ، وبين القتل ، يقول حزينا بعد حديث له مع ابن عمه عبد الله بن جعفر الطيار الذي نصحه بإعطاء البيعة حقنا لدمه ودماء أهله :

آه ما أهون دنياكم على طفل الحقيقة !

هكذا قد أصبح الخير طريدا يتوارى في الخرق !
وغدا الحقّ شريدا
يدّريه البغي من افق لافق !
والدنايا تزدهي بالطيلسان
فاذا الباطل فوق العرش وحده
في يديه الصولجان
ملكه الزيف وأسراه الدموع
تنحني من دونه كل الفضائل
يتلمسّن لديه البركات ![٨٧]

لقد طفح النصّ السابق بالمفارقات التي مسّت جوهر الحياة الإنسانية وما شهدته وتشهده في كل زمان ومكان من غلبة أهل الباطل والزور على الحقّ وأهله ، و انجرارهم لمغريات الدنيا وموبقاتها وهو ما يمثّل الصراع الأبدي بين الحق والباطل، ولا يخفى على احد ان منشأ هذا الصراع في الموقف الدرامي نفسه وهو الموقف الذي يختلف عن المواقف العادية في الحياة في انه يبنى على المفارقة ....وهي مفارقة ليست في اختلاف شخص عن شخص آخر ، وقيمة عن قيمة أخرى ، ومبدأ عن مبدأ آخر ولكنّها في الاختلاف مع الاتفاق، في الجهل مع العلم[٨٨] . وهذا ما أثبته الحسين (عليه السلام) بدمه ودم أهله وأصحابه الذي اختار بقصدية تامة وواعية ان يقدمهم قرابين على أعتاب القضية الالهية المحمدية الحسينية لنصرة دين الله وترسيخه في نفوس الناس وأذهانهم ابد الدهور .. فلولا تلك الصفعة القوية التي راح ضحيتها ريحانة رسول الله وأهل بيته البررة لما اكتسب الدين الخلود والبقاء. ان الشرقاوي بعرضه هذا لتلك المفارقات والتناقضات والتحولات الخطيرة التي أصابت المجتمع الإسلامي وكادت تقضي عليه قد مهدّ للحدث الأكبر وهو قتل الحسين (عليه السلام) ، فهو يقول أيضاً على لسان الحسين واصفا الحياة وما آلت إليه :

عندما تقتحم الحدأة أسراب الحمام
عندما يغشى ركام الرمل أكناف الربيع
عندما تصبح دنياكم نفاقا ورياء ونعيما من جنون
عندما يصبح ذلّ الخوف سلطان القلوب [٨٩]

رابعا : المفارقة في الحوار

يشكل الحوار العنصر الأكثر أهمية وفاعلية في المسرح الشعري إذا ما قلنا بضرورة دراسة عناصر العمل المسرحي بمعزل عن بعضها لأجل اكتمال الفائدة لا أكثر ، فالحوار هو الخيط الرابط بين عناصر المسرحية الشعرية وهو الذي يحرك الشخصيات وينمي الحدث والصراع ويسير بهما إلى ما يمكن المؤلف من الإبداع والتفرد . فهو((شكل من أشكال التواصل يتّم فيه تبادل الكلام بين طرفين أو أكثر)) [٩٠] ، وعلى أساسه يقوم المسرح ويتميّز عن باقي الأجناس الأدبية الأخرى ، فهو ((كلام منسّق يلفت الانتباه ، يتم بين شخصيتين أو أكثر ، يساعد على دفع الحدث إلى الأمام ، ويعدّ نمطا مهيمنا في بنية النص ، يتم بواسطة أصوات تنجم عن جهد اجتماعي ، تخضع لقواعد النظام الرمزي الذي يقرر تركيبه))[٩١].

فالحوار لا بدّ ان يعمل دائما على تطوير الموقف وعلى الإشارة للتطورات اللاحقة فهو ((ليس مجرد محادثة ولكنه يرتبط

بحدث متطور له معنى ، والحوار يكشف عن الشخصيات في الحاضر ، وقد يعطينا جانبا من الماضي ولكنه يتجه أساسا إلى المستقبل))[٩٢] ولعل اللجوء إلى المسرح الشعري الذي يعتمد على الحدث التاريخي يتم برؤية مستقبلية هادفة الغرض منها إعادة الحدث التاريخي بشكل أكثر إثارة وتشويق مما يجعله أكثر قرباً إلى المتلقي . فـ ((الشاعر حين يختار شخصية تاريخية فهو يضع عين عقله على خصائص تلك الشخصية ، كما انّ خياله يلعب معها حتى يخضعها لمنطق الفكرة الأساسية ، وهنا ينتقل التأثير إلى تلك الشخصية لكي تقود حركة الفعل بما تقدّم من حوار)) [٩٣] ولعلّ هذا ما جعل من شخصية الإمام الحسين (عليه السلام) محور المسرحية الشعرية (ثأر الله) برمتها في حواراته مع الذات وهو ما يطلق عليه بـ (المونولوج الداخلي) ، أو في حواره مع الآخرين ، أو حتى في حوارات الآخرين بعضهم مع بعض ، كونه (عليه السلام) قضية بحدّ ذاتها ، وهذا ما رفع من قيمة الحوار وأهميته الذي اعتمد على أمرين : الأول : وجود الصراع الصاعد فهو الذي يكسبه القوة والحياة . والثاني : معرفة الكاتب بشخوصه معرفة عميقة شاملة لان الحوار ينبغي أن ينبع من هذه الشخصيات فيحمل خصائصها [٩٤] . لذلك لا تعدّ كتابة الحوار المسرحي من السهولة بمكان ((نظرا لما يتسّم به هذا الحوار من أبعاد فنية ، وتقنية وجمالية، ويتميز به من مقومات تصويرية وبلاغية / تداولية ، انه فنّ قاس وبالغ العسر))[٩٥] ولكنه في الوقت نفسه يعدّ العمود الفقري للعمل المسرحي بما يضمنّه من كلمات وجمل وتعبيرات قد تعكس مفارقات إنسانية وفكرية وعقائدية كثيرة لا يمكن عدها وسيلة تزيين للقول أو للعمل الأدبي الذي تولد فيه فقط. وهذا ما عكسه حوار المختار الثقفي ـــ وهو من أنصار الحسين ـــ مع مجموعة من الناس امتازت بالتنوع الفكري والإيماني بين مناصر للحدثّ المتمثل بالحسين كالمختار وامرأة ١ ،وبين من نقض بيعة الحسين خوفا أو طمعا أو رياء لابن زياد وأعوانه كالتاجر وشاب ١ محاولين تبرير ذلك بشتى الحجج:

المختار : ايه يا أشراف هذا البلد المنكود قد ضيعتم فيه الشرف

عظمت والله فيكم رشوة السفاح يا أهل الصلاح

التاجر : لا تقولوا عنه سفاح

فهذا الرجل المعطاء يعطي في سخاء

شاب ١ : انه قد ملأ الدور دقيقا وغلالا

امرأة ١ : انه قد ملأ الكوفة حانات ودورا للبغاء

التاجر : انه قد أكرم التجار .. أعطانا جميعاً ما نشاء

شاب ١ : هو يرشو في سخاء

التاجر : انه رزق من الله ومن جدّ وجد ! [٩٦]

فالاختلاف في وجهات النظر واضح بجلاء بين الفريقين اللذين يحاول كل منهما إثبات ما يؤمن به ، وهذا الاختلاف قائم في الأساس على التناقض الواضح الذي يعكس مفارقة عميقة ومؤلمة في الوقت نفسه بين رؤيتين متضادتين فالسفاح هو الرجل المعطاء ، وهو من ملأ الدور الخير(الدقيق والغلال) ـــ من وجهة نظر التاجر الذي انعكست لديه المقاييس وقلب الأحكام رأسا على عقب حينما صور الرشوة التي يعطيها ابن زياد له وللناس بأنها رزق من الله وأن ابن زياد في عطائه هذا مجدٌ وكلُّ مجد سيجد ـــ، وهو نفسه من ملأ الكوفة حانات للبغاء في إشارة رافضة من امرأة ١ . إن هذا الحوار المتصاعد قد اثبت فاعليته في إظهار التباين والتناقض في رؤى بعض فئات المجتمع الذين ركز الشرقاوي على حضورهم في المسرحية بشكل لافت .. ربما لأهمية إشراك المجتمع بأكمله في قضية الإصلاح التي نشدها الإمام الحسين (عليه السلام) في معركته ضد الباطل ، فهو قد أشرك الرجال والنساء شيبا وشبابا ، حتى وصل تعداد الشخصيات إلى(٦ رجال) و(٣ نساء) ، فضلا

عن تركيزه على بعض الفئات الفاعلة في المجتمع كالشيوخ والتجار والعرفاء وغيرهم وهذا كله قد فعّل الحوار ووسع من مساحته وتأثيره في العمل المسرحي كله .

المبحث الثاني

المفارقة في الموقف

تعتمد مفارقة الموقف على ((التناقض بين أفعال الشخصية وما هو مرسوم لها من الخارج في لحظة معينة))[٩٧] وهي تتجه نحو ((إثارة مسائل تاريخية وفكرية))[٩٨] وتركز بالدرجة الأساس على إبراز ((وجهة نظر المراقب المتصف بالمفارقة))[٩٩] وميلها لأن تكون ذات طابع كوميدي أو مأساوي أو فلسفي [١٠٠] مع كشف للحقيقة التي تكمن وراء المظهر [١٠١] .

ومما لا شك فيه أن المسرح في جوهره هو رسالة وموقف لهذا فإن هذا النوع من المفارقات ستكون بارزة فيه ، ومن مفارقات الموقف المهمة التي سنقف عندها في البحث :

أولاً : المفارقة في الدراما المسرحية

و يُمكن أن نعثر على معاني متعددة لكلمة دراما بحسب السياق الذي تأتي فيه ، لكن ما يهمنا هو (الدراما المسرحية) ، إذ إنّ هذه اللفظة كانت في ((أول الأمر مرادفة للمسرح نفسه وتعني كل ما يكتب لأجل المسرح))[١٠٢] ثم أضحت كلمة الدراما تدل على ((المسرحية الجادة التي لا يُمكن اعتبارها مأساة ولا ملهاة ، وفيها معالجة لمشكلة من مشاكل الحياة))[١٠٣] وهذا التصور للدراما برز ابتداءً من القرن الثامن عشر عندما استعمل ليدل على النصوص الرصينة التي تتميز من المأساة والملهاة ، واليوم فإن الدراما تعني مسرحية جدية، بيد أنها ليست مأساوية[١٠٤] فضلاً عن ارتباطها بـ ((مجموعة قواعد التأليف التي تهيمن على كتابة المسرحية))[١٠٥] .

وتظهر المفارقة في الدراما المسرحية واضحة وقوية ، وذلك لأن عدم الوعي لدى الممثلين يؤلف بحد ذاته موقفاً مفارقاً يُمكن أن يُطلق عليه (المفارقة الدرامية العامة)[١٠٦] .

إنّ المفارقة الدرامية تتأتى من ((الموقف الذي يتولد من سلوك إنسان ما سلوكاً معيناً وهو جاهل تماماً بكل ملابسات الموقف وحقيقته ، بخاصة عندما يكون هذا السلوك مخالفاً كل المخالفة للملابسات تماماً، فالمفارقة الدرامية تتمثل في الصراع بين الوهم الذي يعيش فيه الإنسان وحقيقة الأمور الذي يجهلها))[١٠٧] .

ولعل المفارقة في الدراما المسرحية تبدو جلية عندما تجهل الشخصية حقيقة الأمور أو أن تكون غير واعية تماماً لما يجري، ذلك أن ما يحدث هو على النقيض مما هو منتظر تماماً أو إنه خلاف الموقف الحقيقي، ولابد أن لهذا علاقة بالمسرح وطبيعته التي تشجع صوراً داخلية بعينها تؤثر كل واحدة منها في أن تصبح الشخصية ضحية مفارقة وفي جعل المشاهد مراقباً يتصف بالمفارقة ، الأمر الذي يولد مفارقة كامنة من خلال موقف المشاهد المهتم ، فهو حين يكون مشاهداً من هذا النوع يكون كذلك صاحب مفارقة[١٠٨] .

و يُمكن للمفارقة الدرامية أن تكون مؤثرة جداً ، وذلك عندما يشارك في معرفة الجمهور واحد أو اثنان من الشخصيات و لا سيما عندما لا تكون ضحية المفارقة الدرامية على علم بوجود شخصيات كهذه على المسرح، ويصبح هذا التأثير للمفارقة الدرامية أكثر وقعاً عندما تكون كلمات الضحية على غير علم منه مناسبة للموقف الحقيقي الذي لا يعين[١٠٩] . و مما سبق يُمكن أن نلخص الأسس التي تعتمد عليها المفارقة الدرامية في المسرح ، وهي :

١- الشخصية التي تتصف بالجهل بما يدور حولها أو بحقيقة الموقف، إذ إنّ عدم وعيها لطبيعة الموقف الحقيقي يجعله

يبدو لها مختلفاً عما هو عليه .

٢- تصرف الشخصية نتيجة لهذا الجهل الذي تتصف به ، الأمر الذي يتولد عنه تناقض في سلوكها يقوم على الخطأ ((في تبيّن الهوية عندما لا يعرف المرء من هو أو ما هو))[١١٠] .

٣- المراقب – الجمهور الذي يشاهد المسرحية – الذي يكون على علم بما سيحدث للشخصية أكثر مما تعلمه الشخصية نفسها ، فالجمهور يعلم مقدماً بما سيكون مصير الشخصية أو النتيجة التي ستنتهي إليها من المقدمة أو من الخلاصة أو من منهاج العرض ... وهو يرى الضحية تتصرف في غفلة مطمئنة تجاه حقائق الأمور[١١١] .

٤- مشاركة شخصية واحدة أو اثنتين الجمهور في معرفة المصير الذي ستلاقيه الشخصية نتيجة لجهلها بحقيقة الأشياء، مع عدم معرفة الشخصية على المسرح .

من هذا المنطلق فإنّ مسرحية (ثأر الله) لعبد الرحمن الشرقاوي لا تخلو من مفارقات درامية ، تبدو جلية ابتداءً من المنظر الأول لهذه المسرحية في جزئها الأول (الحسين ثائراً) ، ويتجلى في الحوار الشعري الآتي :

سعيد : زال الطاغية المتكبر

بشر : سقط الدجّال الأكبر

سعيد : هلك الفرعون المتجبر

مات معاوية يا قوم

فالحرية منذ اليوم

أبشر يا بشر إذن أبشر

أسد : أ تشتم رجلاً هو من صحب رسول الله وقد بشره بالجنة ؟[١١٢]

يعمد المقطع السابق من المسرحية إلى تصوير رحيل الظلم متمثلاً بـ (الطاغية المتكبر) و (الدجّال الأكبر) الذي كان قامعاً للحريات من وجهة نظر كل من شخصية (سعيد و بشر) فالحرية أضحت متاحة منذ لحظة رحيله ، ولعل هذا التشخيص للظلم الذي تجسد في شخصية (الفرعون المتجبّر) بيّن مقدار المعرفة التي وصلت إليها شخصيتا (سعيد ، و بشر) و درجة الوعي في فهم الدور السيء لهذا الطاغية والرغبة في الحرية التي هي طبيعة النفس البشرية في مقابل السلطة القمعية التي زالت بموت (معاوية) في مقابل ذلك فإنّ (أسد) وهو الشخصية الثالثة التي وردت في المقطع السابق لا تعي أهمية رحيل هذا الظلم ، إنما على العكس تماماً من الشخصيتين السابقتين لا تجد في السلطة الصورة القمعية و المتجبرة ، وهي ترفض أن يُنظر إليها هذه النظرة ، وتذهب إلى أبعد من ذلك في أن هذه السلطة بشخص (معاوية) هي سلطة لايجوز أن تشتم وكل من يفعل ذلك يكون مصيره النار .

وليس هذا فحسب إنّما يظل مصراً على موقفه ، و يأخذ هذا الإصرار تمادياً في موقف هذه الشخصية عندما ترى في شخص (يزيد بن معاوية) شخصية صالحة للحكم لان ذلك فيه صلاح لأمور المسلمين وحقن لدمائهم :

أنت لا تعرف ما وجه إصلاح الأمر عندي

حين أدعو ليزيد

إنني أدعو إلى حقن دماء المسلمين[١١٣]

وهذا الموقف يُظهر بشكل واضح جهل هذه الشخصية(أسد) للحقيقة ، إذ إنّ من رأت فيه صلاحاً لأمور المسلمين وحامياً لدمائهم هو نفسه سبب لسيل هذه الدماء و وقوع الفتنة بين المسلمين ، تلك الحقيقة التي لم تعيها هذه الشخصية و

وعتها شخصيتا (سعيد ، و بشر) في المسرحية، وهي الحقيقة التي سجلها التاريخ وأبرزها عبد الرحمن الشرقاوي في شخصية أسد التي ظنت أنها على علم بكل مايحصل في حين أنها لا تعرف أي شيء مما يحصل وهي تجهله تمام الجهل ، محققاً بذلك مفارقة درامية يمكن لقارىء المسرحية أو لمن يراها من الجمهور في حال عرضت المسرحية على خشبة المسرح أن يفهم مدى الجهل الذي تتمتع به هذه الشخصية لدرجة أضحت ضحية لمفارقة بين ما تراه وبين مايحدث فعلا .

و في مفارقة درامية أخرى نتلمس جهل شخصية (الوليد) والي المدينة عندما عقد العزم على التخلص من الحسين (عليه السلام) بأمر من يزيد بن معاوية في حالة عدم إقراره ببيعة يزيد ، وذلك باستدعائه لأخذ البيعة، ويظهر أن الوليد كان عازما على التخلص من الحسين (عليه السلام) في حالة رفض أن يعطي البيعة ، وهذا الأمر بينه الشرقاوي في هذا المنظر من المسرحية ، إذ يجري حواراً بين الوليد ومروان بن الحكم يكشف فيه ماأضمره كل منهما للحسين (عليه السلام) ، بيد أن كلتا الشخصيتين تقع ضحية عدم معرفتهما بالأمر الذي سيكون من الحسين (عليه السلام) :

ابن الحكم : ما أحكم ما طلب يزيد : إمّا البيعة أو رأسه

إن راغ الثعلب منك اليوم فما أصعب أن تلتمسه

ابن الحكم : لا تتركه يخرج حياً حتى يعطينا ما نطلب(١١٤)

إنّ سلوك شخصية الوليد يثبت عدم معرفتها بملابسات الموقف وحقيقته وهو يجري بشكل يخالف كل المخالفة هذه الملابسات ، الأمر الذي يكشف بما لا يقبل الشك الوهم الذي تعيش فيه هذه الشخصية في مقابل حقائق الأمور التي تجهلها، وهو ما أوضحته المحاورة التي جرت بين هذه الشخصية – أعني الوليد – وبين الحسين(عليه السلام) في هذا المنظر من المسرحية:

الوليد : قد علمتم أن في الأعناق منا ليزيد بيعتين

بيعة نعقدها الآن بإذن الله

و الأخرى عقدناها قديماً يا حسين

الحسين : أخذت في ظل إرهاب البوارق (١١٥)

ويمكن أن نقف عند النص الآتي من المسرحية ، وفيه يجسد الشاعر حيرة الحسين (عليه السلام) في حوار جاء مناجاةً على لسان شخصية الحسين (عليه السلام) حينما خاطب جدّه الرسول (ص) مبتغياً منه النصح والإرشاد لما هو فيه من موقف ، إذ يقول:

الحسين : أنا لا أعرف ما أصنع في أمري هذا فأعني

أنا إن بايعت للفاجر كي تسلم رأسي

أو لكي يسلم غيري ... لكفرت

ولخالفتك فيما جئت للناس به من عند ربك

وإذا لم أعطِهِ البيعةَ عن كرة قتلت

وإذا عشت هنا كي أحشد الناس عليه

خاض من حولك بحراً من دماء الابرياء

موقف ما امتُحن المؤمن من قبل به

أو سيق إنسان إليه

امتحان كامتحان الأنبياء

آه لو تتكشف الغمة عن عيني كي أبصر أبعاد الطريق (١١٦)

إن المناجاة الحوارية في النص جاءت معبرة عن حيرة الحسين(عليه السلام) في اتخاذ القرار مثلما تصورها الشاعر وأراد عرضها ، لذلك فقد جعل اللغة كاشفة لهذه الحيرة في شكل صراع داخلي يُصور حالة الحسين (عليه السلام) النفسية ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر فقد أسهب الشاعر في إظهار حيرة الحسين (عليه السلام) واصطراعه داخلياً من أجل الوصول إلى قرار هل يبايع ليزيد فينجو برأسه أو يرفض المبايعة فيدفع رأسه ثمناً لذلك .

وهنا تسجل مبالغة على الشاعر في إظهار حيرة الحسين (عليه السلام) بهذا الحجم ، وإذا كان ما يقصده الشاعر من وراء ذلك الارتقاء بالمستوى الفني للمسرحية وجعل المتلقي أكثر تعاطفاً مع حال الشخصية فيجب أن لا يكون ذلك على حساب الحقيقة التاريخية أو الموقف الحقيقي للشخصية المسرحية لأن ذلك ينتقص من قيمة المسرحية على مستوى الدقة في نقل الحقيقة التاريخية ولا سيما إذا كانت الشخصية مثل شخصية الحسين في الصلابة و رباطة الجأش والثبات على الموقف . ومعروف عن الحسين (عليه السلام) أنه لم يواجه حيرة أو تردداً في اتخاذه لقراره في مواجهة يزيد .

و قد يكون صوت الحيرة والتردد الذي أورده الشاعر بلسان الحسين (عليه السلام) هو صوت الإنسان المعاصر للشاعر الذي يجد فيه هذا التردد في اتخاذ قراراته المصيرية ، فالشرقاوي يدرك المعاني النبيلة لشخصية الحسين (عليه السلام) التي يصعب أن تستجيب لضرورات الموقف أو منطق الحرب ، وهذا من الحقائق الثابتة تاريخياً ، بيد أنه أراد من ذلك أن يرصد ألواناً أخرى من السلوك ويستعين به في تصوير نموذج بشري حي، على رأي (د. عبد القادر القط) في كتابه فن المسرحية، الأمر الذي يخلق مفارقة بين موقف شخصية الحسين (عليه السلام) الثابت تاريخياً ، وبين موقفه في المسرحية من خلال الحوار الذي جعله الشاعر على لسانه ، وهذا يخلق تساؤلاً عند المتلقي عن التناقض بين موقف الشخصيتين التاريخية والمسرحية والمقصد الحقيقي من جعل الشخصية تتخذ موقفا حائرا يخالف الشخصية التاريخية الحقيقية ، وبين هذين الموقفين المتناقضين نجد مفارقة تاريخية تحفز المتلقي على إعادة قراءة النص قراءة أخرى تثير عنده فضول معرفة مغزى هذا الاختلاف بين الواقع التاريخي الثابت وبين الواقع النصي ، وهو ما يسعى إليه الشاعر .

وفي الجزء الآخر من المسرحية ينقلنا الشاعر إلى الحوار الآتي بين شخصيتين مهمتين من شخصيات المسرحية هما زينب(عليها السلام) و يزيد ، بعد مصرع الحسين (عليه السلام) :

زينب : أنت لن تسمع طول العمر إلا صرخات ونذيرا

النساء : آه ... يا ويل الأرامل

آه يا وحدتنا من بعد ما اغتالوا الحسين

يزيد : اسكتوهن فقد أفسدن ليلي

زينب : فسيمسي الليل في أذنيك ويلاً وثبوراً

وستغدو نسمة الصبح هجيرا

أنت ذا في قلعة البطش أمير

فستغدو في عراء

فتحت أفواهها فيه قبور

ومشى الأموات نحوك

هي ذي رأس الحسين بن علي تصفعك

(يزيد يزحف إلى العرش) :

لا كفى فلتسكتوها

زينب : قطرات الدم يسّاقطن منها فوق وجهك

وعلى كفيك يا قاتل أشلاء الضحية

وعلى شدقيك دم

وعلى عرشك دم ...

كل شيء ها هنا يطفح منه الدم ... دم

قسماً بالله لن يُغسل هذا الدم حتى ننتقم منه [١١٧]

في النص السابق نجد ان الحوار يجعل اللغة تكشف عن شخصية زينب (عليها السلام) ، تلك الشخصية المتماسكة البليغة التي تمكنت ببلاغتها أن تنال من يزيد وتثير غضبه ، فتكشف بذلك عن شخصيته .

ويبدو في هذا النص الصراع واضحاً بين الشخصيتين من الحوار الذي يجري بينهما والذي يكشف التناقض الكبير بين موقفيهما الذي يشكل مفارقة كبيرة تجعل من الشخصية التي تعتقد انها منتصرة ضحية ، في حين تصبح الضحية هي الشخصية المنتصرة في (مفارقة درامية) تتصرف فيها الشخصية بطريقة تتصف بالجهل بحقيقة ما يدور حولها من أمور ، ولا سيما عندما تكون هذه الأمور بالصورة التي تراها الشخصية مناقضة تماماً لوضعها الحقيقي .

ثانياً مفارقة الكشف عن الذات

تظهر مفارقة الكشف عن الذات عندما يقوم صاحب المفارقة بخلق ((شخصيات تجلب على نفسها مفارقات دون وعي منها))[١١٨] وهو يفعل ذلك بطريقة تُبرز ادعاءات هذه الشخصيات ، وتكشف عن المواقف الحقيقية لها.

إنّ أهم ما تسعى إليه مفارقة الكشف عن الذات هو إظهار الحقيقة للمتلقي ، ولايخفى علينا أهمية ذلك ولاسيما في المسرح ، إذ يكون المتلقي (المشاهد) على اتصال مباشر مع شخصيات المسرحية ويتفاعل معها ويتأثر بها ، وهذا يجعل من صاحب المفارقة (مؤلف المسرحية) يكشف لنا الكثير من السلوكيات المتناقضة التي تقع فيها الشخصيات في المسرحية . وهنا يُمكن أن يقع المتلقي (المشاهد) ضحية المفارقة ، إذ إنه ((غير واعٍ أبداً أن حقيقة الأمور تختلف تماماً عما يحسها عليه)) [١١٩] فضلاً عن أن تصرفات بعض الشخصيات تجري ((على النقيض مما هو منتظر))[١٢٠] منها وهو ما يخلق مفارقة تكشف الكثير من الحقائق المخفية ، وهذا بالضبط مايريده المراقب المتصف بالمفارقة (المؤلف) .

وفي مسرحية الشرقاوي (ثأر الله) يُمكن تلمس الكثير من المفارقات التي تكشف التناقض في مواقف بعض من شخصيات المسرحية ، وليتبين منها الادعاء الكاذب والسلوك المراوغ الذي تتمتع به هذه الشخصيات، ويضع المتلقي في موضع الدهشة والمفاجأة إزاء هذا التغيير في تصرفات هذه الشخصيات التي تظهر على حقيقتها وتكون هذه الحقيقة صدمة تثير عدداً من التساؤلات عند الجمهور المتلقي عن السر وراء هذه التقلبات في المواقف والسلوكيات لتنجلي في نهاية المطاف الصورة الزائفة في مقابل بروز الصورة الحقيقية وانكشافها كما ذكرنا سابقا في أثناء حديثنا عن شخصية (اسد) ومواقفها المتناقضة التي تجدها في كل مجتمع وفي كل زمان ومكان ، وتقديمها بهذه الصورة يُعطي رسالة للمتلقي (المشاهد) بسلبية مثل هذه الشخصيات ، فهي عندما توضع في المجهر ويسلط الضوء عليها تنكشف حقيقتها وعندها يعي المتلقي بشكل لا لبس فيه الفرق بين الموقف الحقيقي ، والموقف الزائف و هذا الهدف الذي تريد أن تصل إليه المفارقة ، وهذا الأمر ركز عليه

الشرقاوي في شخصيات أخرى في المسرحية ليكشف عمق التناقض الذي وقعت فيه . ففي المنظر الثاني من (الحسين ثائراً) نجد أن الشرقاوي يضع شخصية الوليد في مفارقة تكشف في نهاية المطاف حقيقة (يزيد و بني أُمية) ، فالوليد الذي استدعى الحسين (عليه السلام) ليبايع (يزيد) في المدينة أراد أن يحصل على صوت الحسين (عليه السلام) وإن تم ذلك بالقوة ، وكان مصمماً على قتله إن رفض البيعة، وفي محاولة منه لاستدراجه في اتجاه البيعة يذكره بأن أبناء الصحابة جميعهم قد بايعوا في إشارة منه إلى أن من عرف بالإيمان والتمسك بالدين قد بايع ، ولم يبق سواه ولهذا يجب أن يبايع هو أيضاً مثلما فعل أبناء الصحابة ، لكن الحسين (عليه السلام) يُصر على موقفه و رفضه البيعة وإزاء هذا الموقف يُفصح (الوليد) عن سبب إصراره الشديد على أخذ البيعة من الحسين (عليه السلام) فهو يرى فيها أهمية تكمن في أن الحسين (عليه السلام) هو (سبط النبي) وهو يُمثل التقى والطهر ، ولعل هذا الموقف يخلق مفارقة تتجلى فيها حقيقة بني أمية وحقيقة ملكهم القائم على الظلم في مقابل الحق الذي تمثله شخصية الحسين (عليه السلام) ، وهذا ما كشفته شخصية الوليد وصاغها الشرقاوي في حوار بين الوليد والحسين (عليه السلام) يخلص منه إلى مفارقة تكشف عن ذات بني أُمية و صورتهم البشعة التي تسعى إلى ملك الدنيا و زينتها الزائفة وكرههم للحق والعدل وبغضهم لهما في أي صورة ظهرا أو برزا فيها :

الوليد : (منفجراً) لأن الحسين تقي نقي

و سبط النبي

وشهرته أنه لا يقول سوى الحق مهما يكن من عواقب !

علام يقوم إذن مُلكنا .. ؟

علام نشيد أركاننا .. ؟

أ نبنيه فوق ذيول الكلاب . ؟

أ نبنيه فوق ذليل الرقاب ؟

أ نبنيه فوق رؤوس الثعالب ؟

على بائعي رأسهم بالذي ينالون من ذهب أو مناصب .. ؟ ![١٢١]

و مرة أخرى يضع الشرقاوي شخصية (عمر بن سعد) في مواقف مفارقة تُبرز زيف ما تدعيه هذه الشخصية وتُفصح عن ذاتها المفارقة لكل قول يصدر منها ، ففي المنظر السادس من (الحسين ثائراً) نجد أن عمر بن سعد يحاور مسلم بن عقيل ويطلب منه الرفق بالأبرياء من النساء والأطفال بعد أن تمت محاصرة بيت الإمارة في الكوفة ، وهو ما صاغه الشرقاوي في حوار مطول جرى بين عمر بن سعد ومسلم بن عقيل نختار منه الآتي:

عمر : أطريق ابن عقيل لينال الحق أن يُهلك أطفالاً صغاراً .. ؟!

لا .. فما الباسل من يصنع هذا

بصغار أبرياء و نساء

ليس هذا بالطريق المستقيم

فاستشر قلبك فيما أنت صانع [١٢٢]

لقد وضع الشرقاوي عدداً من الشخصيات في مواقف تميزت بالتناقض والاختلاف و أسفرت عن مفارقة كشفت الوجه الحقيقي لهذه الشخصيات وأظهرت مقدار الخداع والتلاعب الذي ميز مواقفها ، ولعل في الموقف الذي اتخذه أهل الكوفة ومبايعتهم للحسين (عليه السلام) وتأكيدهم نصرته ثم نكثهم لعهدهم وتراجعهم عن الوعود التي وعدوا بها خير

دليل على المفارقة التي تتشكل من كشف الذات أراد الشرقاوي من خلال التركيز عليها تنبيه المتلقي (المشاهد) إلى ازدواجية مثل هذه الشخصيات التي وقعت ضحية للمطامع والخوف.

ثالثاً : مفارقة الحدث

قد تقترب مفارقة الحدث من المفارقة الدرامية ، فمفارقة الحدث ((التي تكون فاعلة في مجال الزمن تتسم ببناء درامي واضح))[١٢٣] لكنها – أي مفارقة الحدث – التي ((يعبر الضحية صراحة عن اعتماده على المستقبل بدرجة تزيد أو تنقص، لكن تطوراً غير منتظر في الأحداث يقلب ويربك خططه وتوقعاته وآماله ومخاوفه أو رغباته))[١٢٤] حينها يصبح الضحية على علم بحقيقة ما يجري بعد أن كان غافلاً عنه، وبخلاف المفارقة الدرامية التي يظل ضحيتها جاهلاً بما يجري .

إنّ مفارقة الحدث تعتمد على ((إغراق ضحية بمخاوف معينة أو آمال أو توقعات بحيث يتصرف على أساسها ويتخذ خطوات ليتجنب شرّاً متوقعاً أو يفيد من خير منتظر ، لكن أفعاله لا تؤدي إلا إلى حصره في سلسلة من الأسباب تؤدي به إلى سقوطه المحتوم))[١٢٥] .

وفي شخصية الحر الرياحي التي تظهر في الجزء الثاني من مسرحية (ثأر الله) أحداث كثيرة بُنيت على أساس المفارقة ، فالحر الذي يخرج من الكوفة مع فرسانه بأمر أميرها وتكون وجهته باتجاه الحسين (عليه السلام) لأخذ البيعة منه أو أسره و الإتيان به إلى الكوفة يسعى نحو هذه الغاية ولا يحيد عنها، وهو ما بينه الشرقاوي في الحوارات التي جرت بينه وبين الحسين (عليه السلام) في عدة مواضع أبرزها قوله :

الحر : أنا ذا الحر الرياحي أتيت

الحسين : أعلينا أم لنا .. ؟

الحر : بل عليك [١٢٦]

إنّ شخصية الحر الرياحي التي قدّمها الشرقاوي وخصص لها جانباً كبيراً في الجزء الثاني من المسرحية تظل على موقفها على الرغم من اللحظات التي تمر بها بين الفينة والأخرى لتراجع فيها تلك المواقف ولتعيش حالة أشبه بلوم النفس وتقريعها، وفي هذا مفارقة تقع فيها شخصية الحر فبين سلوكها وفعلها السلبي الذي قامت به في محاصرة الحسين (عليه السلام) وأهل بيته ، وبين صوت داخلي يرتفع باستمرار معاتباً ولائماً على اتخاذ هذا السلوك ، وهو ما ألح عليه الشرقاوي كثيراً وأبرزه في الحوارات التي جرت بين الحر وعمر بن سعد.

ويُظهر الشرقاوي سلوك الحر البعيد كل البعد عن الروح الإنسانية عندما يمنع الماء عن الحسين (عليه السلام) وأهل بيته، وتتجلى وحشية هذا السلوك في مقابل الفعل الذي صدر من جانب الحسين (عليه السلام) عندما سقى الحر الماء بعد أن كان عطشانا هو وجنوده في الصحراء ، وهنا تبدو المفارقة واضحة بين الطرفين فالحسين (عليه السلام) قدّم الماء للحر ولم يمنعه عنه في حين أن الحر بعد أن تمكن من الحسين (عليه السلام) قام بمنع ماء الفرات عنهم واتخذ الموقف الآتي :

الحر : ليس من ماء لكم عند الأمير ابن زياد

الحسين : أنا عطشان وأولادي عطاش ونسائي و رجالي

الحر : إنه أمر الأمير ابن زياد

أعطيني البيعة واشرب كيف شئت

واشربوا أنتم جميعاً ما أردتم

بشر : أو ليس الحر انا قد سقيناه وصحبه! [١٢٧]

لقد بقي هذا الموقف ملازماً للحر إلى آخر لحظة ، تلك اللحظة التي لم يتوقع أن يصل إليها ولم يكن منتظراً لها ، عندما يتخذ موقفاً مخالفاً لكل الأحداث التي قام بها ويسرع نحو الحسين (عليه السلام) لتكون تلك اللحظة هي لحظة مفارقة لكل ما قام به ، وقد صورها الشرقاوي بأنها لحظة تاريخية عرف فيها الحر انه اتخذ الموقف الصحيح الذي سيجعله ينجو من التاريخ ولعنته :

الحر : (ينصرف الحر مسرعاً وصوته في الخارج يتردد بالجملة الأخيرة)

إنني تبت إلى ربي مما تصنعون

أنا ذا أنجو إلى التاريخ (١٢٨)

الهوامش

(١) المعجم المسرحي، د.ماري الياس ود.حنان قصاب حسن/ مادة : المسرح

(٢) المصدر نفسه

(٣) المصدر نفسه

(٤) ينظر، معجم مصطلحات الأدب، د. مجدي وهبة/ مادة : المسرح Theatre

(٥) ينظر، المعجم المسرحي، د.ماري الياس ود.حنان قصاب حسن/ مادة : المسرح

(٦) ينظر، معجم مصطلحات الأدب، د. مجدي وهبة/ مادة : الحديث أو الحكاية

(٧) المعجم المسرحي، د.ماري الياس ود.حنان قصاب حسن/ مادة : المسرح

(٨) ينظر، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، و كامل المهندس/ مادة: المسرح الشعري

(٩) ينظر، المعجم المسرحي، د.ماري الياس ود.حنان قصاب حسن/ مادة : الدراما Drama

(١٠) ينظر، الأدب وفنونه، د.محمد مندور/ ٦٩-٧٠ ، وينظر أيضاً، المعجم المسرحي، د.ماري الياس ود.حنان قصاب حسن/ مادة : المسرح

(١١) ينظر، المعجم المسرحي/ المادة نفسها

(١٢) المصدر نفسه

(١٣) ينظر، لسان العرب / مادة: ركح

(١٤) المصدر نفسه/ مادة: سرح

(١٥) ينظر، المعجم المسرحي، د.ماري الياس ود.حنان قصاب حسن/ مادة : المسرح

(١٦) ينظر، المصدر نفسه

(١٧) ينظر، الأدب وفنونه، د.محمد مندور/ ٦٥-٦٧

(١٨) المسرحية الشعرية في الأدب العربي الحديث، د. أحمد شمس الدين الحجاجي/ ١١

(١٩) ينظر،تاريخ المسرح العربي، لاندو، ترجمة: يوسف نور عوض/ ٩٧

(٢٠) ينظر، في المسرح الشعري، عبد الستار جواد/ ٨٥

(٢١) ينظر، المصدر نفسه/ ٨٧-٨٨

(٢٢) ينظر، المعجم الأدبي، نواف نصار/ مادة: مسرحية

(٢٣) في المسرح الشعري، عبد الستار جواد/ ٩٢

(٢٤) المصدر نفسه/ ٩٠

(٢٥) ينظر، المسرحية الشعرية في الأدب العربي الحديث، د. أحمد شمس الدين الحجاجي/ ١٢-١٣

(٢٦) المصدر نفسه/ ١٤

(٢٧) ينظر،المسرحية في شعر شوقي، محمود حامد شوكت/ ١٤

(٢٨) ينظر،تاريخ المسرح العربي، لاندو، ترجمة: يوسف نور عوض/ ١٦

(٢٩) ينظر، المسرحية الشعرية في الأدب العربي الحديث، د. أحمد شمس الدين الحجاجي/ ١٤

(٣٠) ينظر،تاريخ المسرح العربي، لاندو، ترجمة: يوسف نور عوض/ ١٦

(٣١) واقعة الطف في المسرحية العربية بحث نت الانترنت http://www.alhikmeh.org/news/٢٨٥١٦/archives

(٣٢) ينظر، المسرحية الشعرية في الأدب العربي الحديث، د. أحمد شمس الدين الحجاجي/ ١٤

(٣٣) ينظر،واقعة الطف في المسرحية العربية بحث نت الانترنت http://www.alhikmeh.org/news/٢٨٥١٦/archives

(٣٤) أدبيات فن المسرحية، د.عبد القادر القط/ ٢٠٢

(٣٥) ينظر، المفارقة بنية الاختلاف الكبرى(بحث)، د.سناء هادي عباس/ ١٠٠، وينظر، المفارقة وصفاتها ، د.سي. ميويك، ترجمة: د. عبد الواحد لؤلؤة/ ٨٦-٩٢

(٣٦) المفارقة ، د.سي.ميوميك/ ٧١ . وينظر، المفارقة وصفاتها/ ٨٠

(٣٧) المصدر نفسه / الصفحة نفسها

(٣٨) المصدر نفسه/ ٧٢

(٣٩) المفارقة وصفاتها/ ٧٨

(٤٠) المصدر نفسه/ الصفحة نفسها

(٤١) المفارقة / ٦٧

(٤٢) المفارقة وصفاتها/ ٨٠

(٤٣) المعجم المسرحي، د.ماري الياس ود.حنان قصاب حسن/ مادة : السينوغرافيا

(*) السينوغرافيا Scenography كلمة تستخدم اليوم في كل اللغات بلفظها المستمد من الكلمة اليونانية Skenographi aالمنحونة من Skene= الخشبة و graphikos تمثيل الشيء بخطوط وعلامات. في اللغة الانكليزية يستعمل إضافة إلى كلمة سينوغرافيا تعبير Set Design أي تصميم الخشبة، ينظر المعجم المسرحي/ مادة: السينوغرافيا

(٤٤) المصدر نفسه

(٤٥) المصدر نفسه

(٤٦) المصدر نفسه

(٤٧) ينظر، غواية المتخيل السردي، عواد علي/ ٩٢

(٤٨) المصدر نفسه/ ٩٦

(٤٩) مسرحية الحسين ثائراً / ٢

(٥٠) الفضاء الدرامي وآلية بناء المعنى ، د. مصطفى فاروق عبد العليم/ ١

(٥١) فن كتابة المسرحية ، رشاد رشدي/ ١٠

(٥٢) ينظر ، فن المسرح ، حلمي بدير/ ٢١١

(٥٣) مسرحية الحسين ثائرا / الإهداء

(٥٤) مسرحية الحسين شهيدا / ٧٠

(٥٥) المصدر نفسه / ٩١

(٥٦) مسرحية الحسين ثائرا / ١٣

(٥٧) المصدر نفسه / ١٤

(٥٨) المصدر نفسه / ١٤-١٥

(٥٩) المصدر نفسه / ١٧

(٦٠) المصدر نفسه / ١٩

(٦١) المصدر نفسه / ٤٧

(٦٢) المصدر نفسه / ٤٨

(٦٣) المصدر نفسه

(٦٤) فن المسرحية من خلال تجاربي الشخصية ، علي احمد باكثير/ ٧٥

(٦٥) بناء الشخصية في مسرح احمد رضا حوحو ، نجية طهاري / ١٠٤

(٦٦) فن كتابة المسرحية/ ٢٦-٢٧ .

(٦٧) فن المسرح / ٢٢٢ .

(٦٨) اثر التراث العربي في المسرح المعاصر ، سيد علي إسماعيل / ٥٥

(٦٩) خطاب التأسيس في مسرح النقد والشهادة/ ٤٨-٤٩

(٧٠) بنية المسرح الشعري في الأدب المغاربي المعاصر/ ١٢٠

(٧١) البناء الدرامي، عبد العزيز حمودة/ ٤٨

(٧٢) مسرح محمد علي الخفاجي/ ٦٥

(٧٣) الشخصية الشريرة في الأدب المسرحي، د. عصام بهي / ٤٤

(٧٤) مسرحية الحسين ثائرا ، عبد الرحمن الشرقاوي ٢١

(٧٥) المصدر نفسه / ٢٠

(٧٦) بناء الشخصية في مسرح احمد رضا حوحو/ ١٠٠

(٧٧) النقد الادبي الحديث، محمد غنيمي هلال/ ٥٦٨

(٧٨) المعرفة والعقاب – قراءات في الخطاب المسرحي العربي، علي عواد/ ٥٧

(٧٩) فن المسرح / ٢٢١-٢٢٢

(٨٠) مسرحية الحسين شهيدا ، عبد الرحمن الشرقاوي / ٦٨

(٨١) بناء الشخصية في مسرح الفريد فرج ، عبد المطلب زيد / ٥٢-٥٣

(٨٢) ينظر ، عناصر التأليف المسرحي / ٧١

(٨٣) ينظر، المفارقة بنية الاختلاف الكبرى (بحث)،د. سناء هادي عباس/ ١٠٠

(٨٤) ينظر، البناء الدرامي / ٨٧

(٨٥) المصدر نفسه / ١٠٥

(٨٦) فن كتابة المسرحية / ١٠

(٨٧) مسرحية الحسين ثائرا / ٧٩-٨٠

(٨٨) ينظر، فن كتابة المسرحية / ٣٠

(٨٩) مسرحية الحسين ثائراً / ٩٠-٩١

(٩٠) المعجم المسرحي / ١٧٥

(٩١) الصراع في مسرحيات عبد الرحمن الشرقاوي ، احمد قتيبة يونس / ٣٦

(٩٢) فن كتابة المسرحية / ٥٠

(٩٣) الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر المسرحي ، د. مصري عبد الحميد حنورة/ ٨٤

(٩٤) ينظر، فن المسرحية من خلال تجاربي الشخصية ،علي احمد باكثير/ ٨١

(٩٥) بنية المسرح الشعري في الأدب المغاربي المعاصر ، عز الدين جلاوجي/ ١٧٤

(٩٦) مسرحية الحسين ثائراً / ١٢٧

(٩٧) المفارقة بنية الاختلاف الكبرى(بحث)، د.سناء هادي عباس/ ٩٧

(٩٨) المفارقة/ ٨١

(٩٩) المصدر نفسه/ الصفحة نفسها

(١٠٠) المصدر نفسه/ الصفحة نفسها

(١٠١) ينظر، المصدر نفسه/ ٧٩

(١٠٢) ينظر، المعجم المسرحي/ مادة: دراما

(١٠٣) معجم مصطلحات الأدب، د.مجدي وهبة/ مادة: الدرامة

(١٠٤) ينظر، معجم المصطلحات الأدبية، ترجمة: د. محمد حمود/ مادة: الدراما

(١٠٥) معجم النقد الأدبي، ترجمة وتحرير كامل عويد العامري/ مادة :الدراما

(١٠٦) ينظر ، المفارقة/ ٦٧

(١٠٧) المفارقة في القص العربي المعاصر (بحث)/ ١٥١

(١٠٨) ينظر، المفارقة/ ٦٨-٧١-٩٧

(١٠٩) ينظر، المصدر نفسه/ ٦٨-١٠٤

(١١٠) المصدر نفسه/ ٦٩

(١١١) ينظر، المفارقة وصفاتها/ ٨١

(١١٢) مسرحية الحسين ثائراً / ١١

(١١٣) المصدر نفسه / ١٥

(١١٤) المصدر نفسه / ٢٨

(١١٥) المصدر نفسه / ٢٩

(١١٦) المصدر نفسه / ٥٩

(١١٧) مسرحية الحسين شهيداً / ١١٠-١١١

(١١٨) المفارقة / ٩٣

(١١٩) المصدر نفسه / ٩٦-٩٧

(١٢٠) المصدر نفسه/ الصفحة نفسها

(١٢١) مسرحية الحسين ثائراً / ٣٩

(١٢٢) المصدر نفسه / ٨٧

(١٢٣) المفارقة وصفاتها / ٢٩

(١٢٤) المفارقة / ١٠٥

(١٢٥) المفارقة وصفاتها / ٧٩

(١٢٦) مسرحية الحسين شهيداً / ١٠

(١٢٧) المصدر نفسه / ٢١

(١٢٨) المصدر نفسه / ٤٧

مصادر البحث ومراجعه

١. اثر التراث العربي في المسرح الشعري المعاصر – سيد علي إسماعيل – دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٠٠.

٢. الأدب وفنونه، د.محمد مندور، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٥ ، ٢٠٠٦

٣. أدبيات فن المسرحية، د.عبد القادر القط ، مكتبة لبنان ناشرون، والشركة المصرية العالمية للنشر، ط١، ١٩٩٨

٤. الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر المسرحي – د مصري عبد الحميد حنودة – الهيأة المصرية العامة للكتاب – القاهرة ١٩٨٦ .

٥. البناء الدرامي ، د. عبد العزيز حمودة، الهيأة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٨

٦. بناء الشخصية في مسرح احمد رضا حوحو، نجية طهاري (رسالة ماجستير) جامعة الحاج لخضر باتنة ،الجزائر ٢٠١٠-٢٠١١.

٧. بناء الشخصية في مسرح الفريد فرج، عبد المطلب زيد، الهيأة العامة لقصور الثقافة، القاهرة (د . ت).

٨. بنية المسرح الشعري في الأدب المغاربي المعاصر،عز الدين جلاوجي (رسالة ماجستير) جامعة المسيلة ،المغرب ٢٠٠٨ -٢٠٠٩.

٩. تاريخ المسرح العربي، لاندو، ترجمة: يوسف نور عوض، دار القلم، بيروت، (د. ت)

١٠. خطاب التأسيس في مسرح النقد والشهادة، د.محمد جلال اعراب، مطبعة تريفة-بركان، ط١ ، ٢٠٠٩

١١. الشخصية الشريرة في الأدب المسرحي، د. عصام البهي، الهيأة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٦ .
١٢. غواية المتخيل السردي، مقاربات لشعرية النص والعرض والنقد، عواد علي، المركز الثقافي العربي،ط١٩٩٧،١ .
١٣. الفضاء الدرامي والية بناء المعنى، قراءة في مسرحيات توفيق الحكيم، د. مصطفى فاروق عبد العليم، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات ،جامعة الأزهر .
١٤. فن كتابة المسرحية، رشاد رشدي، الهيأة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة ١٩٨٥ .
١٥. فن المسرحية من خلال تجاربي الشخصية ،علي احمد باكثير، مكتبة مصر، القاهرة .
١٦. فن المسرح، حلمي بدير ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، ٢٠٠٣ .
١٧. في المسرح الشعري، عبد الستار جواد، الموسوعة الصغيرة، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ١٩٧٩.
١٨. المعرفة والعقاب، قراءات في الخطاب المسرحي العربي، علي عواد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ط١ ، ٢٠٠١ .
١٩. النقد الأدبي الحديث ، محمد غنيمي هلال، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع (د.ت) .
٢٠. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط١ ، ١٩٩٧ .
٢١. مسرح محمد علي الخفاجي الشعري دراسة تحليلية، عالية خليل إبراهيم، مطبعة الزوراء بغداد، ٢٠٠٨.
٢٢. مسرحية الحسين ثائراً، عبد الرحمن الشرقاوي، دار الشروق، ط٢، ٢٠١٣ .
٢٣. مسرحية الحسين شهيداً، عبد الرحمن الشرقاوي، مكتبة روز اليوسف، يونيو ١٩٨٤.
٢٤. المسرحية الشعرية في الأدب العربي الحديث، د. أحمد شمس الدين الحجاجي، دار الهلال، (د. ت).
٢٥. المسرحية في شعر شوقي، محمود حامد شوكت، مطبعة المقطم، مصر، ١٩٤٧ .
٢٦. المفارقة ، د.سي.ميوميك، ترجمة: د. عبد الواحد لؤلؤة، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، العراق، ١٩٨٢.
٢٧. المفارقة بنية الاختلاف الكبرى(بحث)، د.سناء هادي عباس، مجلة كلية التربية الأساسية، العدد٤٦
٢٨. لسنة ٢٠٠٦ .
٢٩. المفارقة في القص العربي المعاصر (بحث)، سيزا قاسم، مجلة فصول، مج٢، ع٢، ١٩٨٢.
٣٠. المفارقة وصفاتها ، د.سي.ميويك، ترجمة: د. عبد الواحد لؤلؤة، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، ط٢، ١٩٨٧
٣١. المعجم الأدبي، نواف نصار، دار ورد الاردنية للنشر والتوزيع، ط١ ، ٢٠٠٧.
٣٢. المعجم المسرحي، مفاهيم ومصطلحات المسرح وفنون العرض(عربي- انكليزي- فرنسي)، د.ماري الياس ود.حنان قصاب حسن، مكتبة لبنان ناشرون، ط٢ ، ٢٠٠٦ .
٣٣. معجم مصطلحات الأدب، د. مجدي وهبة، مكتبة لبنان، طبعة ٢٠١٠.
٣٤. معجم المصطلحات الأدبية، ترجمة: د. محمد حمود، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ٢٠١٢.
٣٥. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، و كامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٩ .
٣٦. معجم النقد الأدبي، ترجمة وتحرير كامل عويد العامري، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، ٢٠١٣.
٣٧. واقعة الطف في المسرحية العربية ، بحث من الانترنت http://www.alhikmeh.org/news/archives/28516 .

إشارية النص القرآني
في كلام الإمام الحسين (عليه السلام)

Implicature of the Quranic Text in the Speech of Imam Al-·Hussein (Peace be upon him)

أ.م.د. حيدر عبد الزهرة التميمي
كلية التربية (ابن رشد) / جامعة بغداد

Asst. Prof. Dr.Haider `Abidalzahra Al-Tameimi, College of Education/Ibin Rushd, University of Baghdad

ملخص البحث

إشاريات الخطاب من المباحث التي عُنيت بها الدراسات التداولية فالمعروف أنّ التداولية تشتغل بدراسة العلاقة بين العلامة ومؤوليها وقد قسمت بحسب طبيعة أدواتها التحليلة إلى أنواع ، ومنها تداوليات تدرس الرموز الإشارية ، ويعتمد هذا القسم من التداوليات على نوع خاص من السياق هو السياق الوجودي ويتضمن هذا السياق المرجعي بطبعه (عالم الأشياء ، حالاتها ، الأحداث) .

والإشاريات الخطابية في أبسط تعريفاتها : هي عبارات تذكر في النص مشيرة إلى موقف خاص بالمتكلم والفرق بينها وبين الإشاريات الأخرى أنها لا تحيل على مرجع موجود في ذات النص، بل تفتح نافذة إلى موضوع آخر ليصبح البحث بمثابة رصد ماتحمل النصوص القرانية التي ضمنها الامام الحسين عليه السلام في خطبه من اشاريات .

في هذا البحث أحاول رصد ما تحمل النصوص القرآنية التي ضمنها الإمام الحسين (عليه السلام) خطبه الشريفة من إشاريات تحيل إليها ، نستطيع الوقوف عليها وفهم ما تعبر عنه عن طريق دراسة سبب نزولها والمعنى الذي تعبر عنه ومن ثم فهم المغزى الذي من أجله وظف الإمام الحسين (عليه السلام) هذه النصوص القرآنية وما أراد البوح به عن طريق الفكرة التي تشير إليها تلك النصوص ، مع محاولة ، ربط الواقع الذي يعيش فيه بالتجربة التي تكتنزها تلك النصوص إذ إنها عبارة عن إشاريات تحيل إلى قصة معينه قد حدثت في موقف معين فهي تمثل نوعًا من أنواع الاشاريات الخطابية لكونها لا تحيل على ما هو موجود في النص وإنما تفتح نافذة على موضوع آخر هُناك رابط بين ذلك الموضوع وبين الواقع الذي يعيش فيه الإمام وربما يكون هُنالك تشابه في نتائج الواقع المعيش والنتائج التي عبرت عنها القصة فإنّ ذلك التوظيف حمل جملة كبيرة من المعاني التي اختصرت بالإشارة إليها عن طريق إشارية القصة المذكورة في الخطبة المُتناولة .

فكأنما أراد الإمام أن يقول أن هذا الواقع يشبه الواقع الذي كان في القصة التي يعبر عنها النص القرآني ، ولم يقل ذلك صريحاً إنما عبر عن ذلك بوساطة نص قرآني يدل على قصة معينة حدثت في موقف معين ، وهذه القصص تمثل خطابات غير مصرح بها، وإنما يُشار إليها إشارة رمزية .

ومن ذلك على سبيل المثال النص القرآني الذي جعله الإمام الحسين (عليه السلام) جوابا على أشعار يزيد التي أرسلها إلى عبد الله بن عباس وقيل إلى عمرو بن سعيد حاكم مكة ليقرأها في موسم الحج وحين اطلع أهل المدينة على الرسالة والأشعار جاؤوا بها إلى الإمام الحسين (عليه السلام) فلما قرأها عرف أنّها ليزيد وقد تضمنت الأشعار الآتية :

ياقومنا لا تشبوا الحرب إن سكنت وأمسكوا بحبال السلم واعتصموا
قد غرت الحرب من قد كان قبلكم من القرون وقد بادت بها الأمم
فأنصفوا قومكم لا تهلكوا بذخا فرب ذي بذخ زلت به القدم (١)

فاختار الإمام (عليه السلام) هذه الآية القرآنية لتكون جواباً على رسالة يزيد :

{ وإنْ كذّبُوكَ فقُلْ لي عَملي وَلَكُم عمَلُكُم أَنْتُم بريئون مما أَعْمل وأنا بريء مما تعملون } (٢) .

وما تحمل هذه الآية الشريفة من مضمون تجسدت فيه الفكرة التي أراد الإمام الحسين (عليه السلام) البوح بها وتتلخص في إعلان براءته من الكفار والمشركين والمنافقين وجميع أعداء الاسلام ، ولم يترك مجالا للمصالحة والمهادنة وهذا بيّن انفصال المنهج والسلوك والمبادئ بين معسكر الإمام (عليه السلام) ومعسكر يزيد . وهذا الأمر يستخلص من واقع الآية وسبب نزولها فهي تجمل ما ورد في سورة (الكافرون) التي نزلت على إثر اقتراح تقدم به ستة من المشركين للنبي (صلى الله عليه

وآله) إذ قالوا : ((تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة فإن كان الذي جئت به خيراً مما بأيدينا كنا قد شركناك فيه وأخذنا بحظنا منه وإن كان الذي بأيدينا خيراً مما في يدك كنت قد شركتنا في أمرك وأخذت بحظك منه))(٣)

وحين نعلم أنّ هذه الآية نزلت ردّا على الكفار والمشركين والمنافقين وكانت بمثابة رد يرفض كل أنواع المهادنة والتوافقية مع المعسكر المعادي . نستشعر ما أراد الإمام الحسين (عليه السلام) حين جعل النص القرآني، مع ما يحمل من دلالات تُكتشف عند معرفة معنى النص وحادثة نزوله وتتلخص بالآتي :

١ـ جعل نفسه في المعسكر الذي ينتمي إلى الخط الرسالي النبوي الشريف وجعل يزيد في الخط المناوئ الذي يمثل خط الكفر والنفاق .

٢ـ أعلن عبر هذا النص القرآني الشريف أنّه غير قابل للمهادنة والخنوع مع الطرف المعادي على حساب المبادئ الإسلامية السامية .

٣ـ عبر عن المآرب التي أرادها يزيد عن طريق رسالته مشبها إياها بمآرب الكفار والمشركين الذين حاولوا استمالة قلوب المسلمين واستدراجهم .

وغيرها من الأمور التي قد تنكشف عبر تحليل هذا النص لبيان ما يحمل من معاني أراد الإمام الحسين (عليه السلام) التعبير عنها .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين .

الهوامش

(١) تاريخ ابن عساكر : ٢٠٣ .

(٢) سورة يونس : ٤١ .

(٣) مجمع البيان ١٠ / ٢١٨ .

Abstract

Merely implicature takes so great a role in the angles of pragmatics wreathing it with austere analysis and heed ، as commonly agreed that pragmatics does deep and profound lenses in the nexus between the sign and the interpreter; it is of necessity to focus upon such signs in the Quran having diverse tales . The current study endeavours to ponder over the Quranic texts Imam Al-Hussein deploys in his speeches as there are many implied messages beyond the acts speeches and yokes such texts altogether with his circumstances .

تمهيد

إشاريات الخطاب من المباحث التي عُنيت بها الدراسات التداولية ، وخصصت لها حيزاً كبيراً من مساحتها في الدرس والتحليل ، فالمعروف أنّ التداولية تشتغل بدراسة العلاقة بين العلامة ومؤوليها ، وقد قُسمت بحسب طبيعة أدواتها التحليلية على أنواع ، إذ قسمتها فرونسوا زارمينكو على ثلاث درجات : ((تداولية الدرجة الأولى : وهي دراسة الرموز الإشارية ، ولها سياق خاص هو السياق الوجودي والإحالي . تداولية الدرجة الثانية : وهي دراسة تعبير القضايا في ارتباطها بالجملة المتلفظ بها في الحالات العامة ، ولها سياق هو السياق الذهني بل السياق المترجم إلى تحديد العوالم الممكنة . تداولية الدرجة الثالثة : وهي نظرية أفعال اللغة والسياق وهو الذي يحدد فيها التلفظ الجاد أو الدعاية))[١]

ومن أبرز أقسام التداوليات ما يدرس الرموز الإشارية ، إذ يعتمد هذا القسم على نوع خاص من السياق هو السياق الوجودي ويتضمن هذا السياق المرجعي بطبعه (عالم الأشياء ، وحالاتها ، والأحداث) ويركن المتلقي إلى السياق لفك شفرتها وبيان دلالتها ، وما توحي إليه من معنى ، ولا سبيل إلى تحقيق ذلك بغير هذه الوسيلة. لذا تعد الإشاريات الدرجة الأولى من درجات التحليل التداولي.

فـ((الإشارة Deixis في كل اللغات كلمات وتعبيرات تعتمد اعتماداً تاماً على السياق الذي تستخدم في ولا يستطاع إنتاجها أو تفسيرها بمعزل عن اللغة)) [٢]

والإشاريات الخطابية في أبسط تعريفاتها : هي عبارات تذكر في النص مشيرة إلى موقف خاص بالمتكلم والفرق بينها وبين الإشاريات الأخرى أنها لا تحيل على مرجع موجود في ذات النص، بل تفتح نافذة إلى موضوع آخر .

وظروف القول وملابساته تفضي على المنشئ أن يتبع أكثر من وسيلة لإيصال ما يُريد من أفكار يحاول طرحها للمتلقي ، ومن أبرز الوسائل المتبعة الاستعانة بألفاظ ونصوص تحمل دلالات مستقاة من مضمونها ، أو القصة التي تشير إليها وهذا يحقق اقتصاداً في القول من جانب ، وتوضيح المراد بأسلوب مغاير للأسلوب المألوف الذي يفصح فيه المتكلم عمّا يريد بألفاظ تحمل معنى حقيقياً .

إذ((إنّ المبدعين والشعراء يوظفون كلمات وتعابير وأسماء أعلام لها مقصدية مباشرة وغير مباشرة قد تدرك بطريقة ظاهرة أو تفهم بالتضمين والتلميح .))[٣]

فكثيرا ما يلجأ منشئ النص إلى ذكر ((علامات ورموز وإشارات وأيقونات تحمل في طياتها دلالات مقصدية ينبغي استكشافها من قبل المتلقي عبر آليات التفكيك والتشريح والتقويض والتأجيل والتأويل))[٤]

وتعميم كلمة (عبارات) تفتح الباب للمتكلم والكاتب لينتقي عبارات من وحي ثقافته ، ترتبط بعاداته وتقاليده ، وتأخذ رمزيتها من مدلولها وما تحمل من أفكار ترتبط بحادثة أو قصة أو غير ذلك .

ومن الضروري بمكان أن يبرز المشتغلون في حقل اللسانيات وتحديداً في التداولية خصوصية إشارية النص القرآني في المجتمع الإسلامي الذي حمل مضامين لقصص متنوعة فقد كان له سبب نزول خاص ، إذ ارتبط بحادثة معينة ، أُسردت قصتها فيه وبُينت نتائجها ، ولا يخفى على أحد ما للنص القرآني من منزلة في نفوس المسلمين الذين لا يختلفون في صحة ما جاء فيه ، ومصداقية أخباره وحاكمية قوانينه .

وفي هذا البحث أحاول رصد ما تحمل النصوص أو الرموز القرآنية التي ضمنها الإمام الحسين (عليه السلام) كلامه الشريف من إشاريات تحيل إليها ، نستطيع الوقوف عندها ، وفهم ما تعبر عنه بتفسير تلك النصوص وما تحمل من مضامين

تعبر عنها ومن ثَم فهم المغزى الذي من أجله وظف الإمام الحسين (عليه السلام) هذه النصوص القرآنية وما أراد البوح به من طريق الفكرة التي تشير إليها تلك النصوص مع محاولة ، ربط الواقع الذي يعيش فيه بالتجربة التي تكتنزها تلك النصوص إذ إنها عبارة عن إشاريات تحيل إلى قصة معينة قد حدثت في موقف معين فهي تمثل نوعًا من أنواع الاشاريات الخطابية لكونها لا تحيل على ما هو موجود في النص وإنما تفتح نافذة على موضوع آخر هُناك رابط بين ذلك الموضوع والواقع الذي يعيش فيه الإمام (عليه السلام) وربما يكون هُنالك تشابه في نتائج الواقع المعيش والنتائج التي عبرت عنها القصة فإنّ ذلك التوظيف حمل جملة كبيرة من المعاني التي اختصرت بالإشارة إليها من طريق إشارية النص القرآني المذكور في الكلام المُتناول .

فكأنما أراد الإمام (عليه السلام) أن يقول إن هذا الواقع يشبه الواقع الذي كان في القصة التي يعبر عنها النص القرآني، ولم يقل ذلك صريحاً إنما عبر عن ذلك بوساطة نص قرآني يدل على قصة معينة حدثت في موقف معين أو ذكر رمزاً من الرموز القرآنية يشير إلى ما أراد (عليه السلام) ، وهذه القصص والرموز تمثل خطابات غير مصرح بها، وإنما يُشار إليها إشارة رمزية.

وقد تنوعت الأمثلة التي سيسردها البحث على قسمين : قسم تناول ما ذكر الإمام (عليه السلام) من نصوص قرآنية. وقسم آخر اشتمل على ذكر الرموز القرآنية التي صرح بها الإمام (عليه السلام) . سأحاول بيان المعنى الذي تشير إليه بالاستعانة بما ذكره المفسرون في تلك النصوص والرموز ليتضح ما رام الإمام (عليه السلام) البوح به .

القسم الأول : النصوص القرآنية :

١ـ النص القرآني الذي جعله الإمام الحسين (عليه السلام) جوابا على أشعار يزيد التي أرسلها إلى عبد الله بن عباس وقيل إلى عمرو بن سعيد حاكم مكة ليقرأها في موسم الحج وحين اطلع أهل المدينة على الرسالة والأشعار جاؤوا بها إلى الإمام الحسين (عليه السلام) فلما قرأها عرف أنّها ليزيد وقد تضمنت الأشعار الآتية :[٥]

يا قومنا لا تشبوا الحرب إن سكنت وأمسكوا بحبال السلم واعتصموا
قد غرت الحرب من قد كان قبلكم من القرون وقد بادت بها الأمم
فأنصفوا قومكم لا تهلكوا بذخا فرب ذي بذخ زلت به القدم

فاختار الإمام (عليه السلام) هذه الآية القرآنية لتكون جواباً على رسالة يزيد وأشعاره : { وإنْ كذبوكَ فقُلْ لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريءٌ مما تعملون }[٦] .

وتحمل هذه الآية الشريفة إشارة تجسدت في الفكرة التي عبرت عنها والتي لا تتضح من ألفاظها الواردة من غير الرجوع إلى السياق الذي نزلت فيه والموقف الذي اكتنفها وما عبرت عنه . يتبين من تفسيرها ، وبيان المراد منها فهي تشير إلى أنّ الله (عزّ وجلّ) ((يقول تعالى لنبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) : وإن كذبك هؤلاء المشركون ، فتبرأ منهم ومن عملهم ، { فقُل لي عملي ولكم عملكم } كقوله تعالى : قل يأيها الكفرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عبدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عبدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين } [٧]وقال إبراهيم الخليل وأتباعه لقومهم المشركين : { إنّا بُرءاؤُ منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده } [٨])) [٩] .

فيبدو أنّ إعلان البراءة من الخط المناوئ للحق منهج رسالي اعتمده الأنبياء والرسل لما يحمل من فلسفة يعيها أصحاب المشاريع النبوية إذ ((إنّ لإعلان الترفع وعدم الاهتمام هذا، والمقترن بالاعتماد والإيمان القاطع بالمذهب، أثراً نفسياً خاصاً، وبالذات على المنكرين المعاندين، فهو يفهمهم بعدم وجود أي إجبار وإصرار على قبولهم الدعوة الإسلامية. بل إنّهم بعدم

تسليمهم أمام الحق سيحرمون أنفسهم ، ولا يضرون إلاّ أنفسهم.))[١٠]

فإنّ مضمون هذه الآية الشريفة يشير أيضاً إلى ضرورة غلق الباب أمام من يريد اللجوء إلى أجواء المهادنة ومحاولة الإبقاء على علاقات تبدو كأنّها علاقات انسجام على الرغم من عدم الانصياع إلى صوت الحق والرضوخ إليه فـ((بعض الناس يريدون الإبقاء على علاقتهم مع رسل الله ، بعد قطع علاقتهم مع رسالاتهم ، فيكذبون الرسول ولكنهم يريدون أن يكونوا هم والرسول من قوم واحد وهكذا الأمر بالنسبة إلى علاقة الناس بأصحاب المبادئ بيد أنّ الله يأمر رسوله بقطع العلاقة مع من يكذب بالرسالة ... فالكل يعمل حسب وجهته ويتحمل وحده مسؤولية عمله ، والمبدأ هو الذي يفصل هذه الجماعة عن تلك ، وليس أي شيء آخر ، وحين يفصل المبدأ بين قوم وآخرين لا ينفع وحدة الأرض واللغة ، أو حتى القرابة في ربط بعضهم ببعض))[١١]

وقد أراد الإمام الحسين (عليه السلام) البوح بهذه الفكرة من طريق ذكره لهذا النص القرآني الذي يشير إليها ، وتتلخص الفكرة التي يروم إيضاحها في إعلان براءته من الكفار والمشركين والمنافقين وجميع أعداء الاسلام ، ولم يترك مجالا للمصالحة والمهادنة وهذا يبيّن انفصال المنهج والسلوك والمبادئ بين معسكر الإمام الحسين (عليه السلام) ومعسكر يزيد . وقد تحقق ذلك بربط واقعه بالواقع الذي مرّ به الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) مع المشركين . وهذا الأمر يستخلص من واقع الآية وسبب نزولها فهي تجمل ما ورد في سورة (يونس) التي نزلت على إثر اقتراح تقدم به ستة من المشركين للنبي (صلى الله عليه وآله) إذ قالوا : ((تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة فإن كان الذي جئت به خيراً مما بأيدينا كنا قد شركناك فيه وأخذنا بحظنا منه وإن كان الذي بأيدينا خيراً مما في يدك كنت قد شركتنا في أمرك وأخذت بحظك منه))[١٢]

وحين نعلم أنّ هذه الآية نزلت ردّا على الكفار والمشركين والمنافقين وكانت رداً يرفض كل أنواع المهادنة والتوافقية مع المعسكر المعادي . نستشعر ما أراد الإمام الحسين (عليه السلام) حين جعل النص القرآني ، مع ما يحمل من دلالات تُكتشف عند معرفة معنى النص وحادثة نزوله وتتلخص بالآتي :

١ـ جعل نفسه في المعسكر الذي ينتمي إلى الخط الرسالي النبوي الشريف وجعل يزيد في الخط المناوئ الذي يمثل خط الكفر والنفاق .

٢ـ أعلن عبر هذا النص القرآني الشريف أنّه غير قابل للمهادنة والخنوع مع الطرف المعادي على حساب المبادئ الإسلامية السامية .

٣ـ عبر عن المآرب التي أرادها يزيد وذلك برسالته مشبها إياها بمآرب الكفار والمشركين الذين حاولوا استمالة قلوب المسلمين واستدراجهم .

٢ـ النص القرآني الذي تلاه الإمام الحسين (عليه السلام) وهو في طريقه من المدينة متوجها إلى مكة المكرمة حين تـــراءت له جبال مـــكة [١٣]فأخذ يقرأ قولـــه تعالـــى : { ولمّا توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل } [١٤]

فذكر الإمام الحسين (عليه السلام) هذا النص الشريف يحمل إشارة إلى أنّ ما حصل لموسى (عليه السلام) ينطبق في كثير من تفاصيله على واقع ما جرى على الإمام الحسين (عليه السلام) وقد عبر (عليه السلام) عن كل التفاصيل من دون ذكرها واكتفى بتلاوة النص القرآني الذي يحمل تلك التفاصيل . ولبيان ذلك وفهمه لابد من الرجوع إلى مضمون تلك القصة وما حصل لموسى (عليه السلام) .

فكُتب التفسير تشير إلى أن موسى (عليه السلام) حين ((أخبره ذلك الرجل بما تمالأ عليه فرعون ودولته في أمره ، خرج من مصر وحده ، ولم يألف ذلك قلبه ، بل كان في رفاهية ونعمة ورياسة { فخرج منها خائفا يترقب } [١٥]أي : يتلفت { قال

رب نجني من القوم الظالمين} [١٦]أي : من فرعون وملته فذكروا أن الله سبحانه وتعالى بعث له ملكاً على فرس فأرشده إلى الطريق ... { ولما توجه تلقاء مدين } أي : أخذ طريقا سالكاً مهيعا فرح بذلك { قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل } أي : إلى الطريق الأقوم . ففعل الله به ذلك ، وهداه إلى الطريق المستقيم في الدنيا والآخرة فجعله هادياً مهديا))[١٧]

ويبدو أنّ سلوك موسى (عليه السلام) نابع من منهج رسالي فهو يتطابق مع صنيع إبراهيمَ عليه السلام من قبل فإنّ ((قوله { عسى ربّي أن يهديني سواء السبيل } ... نظير قول جده إبراهيم عليه السلام { إني ذاهبٌ إلى ربي سيهدين} [١٨] وموسى (عليه السلام) قلما يذكر كلاماً في الاستدلال والجواب والدعاء والتضرع إلا ما ذكره إبراهيم عليه السلام وهكذا الخلف الصادق للسلف الصالح صلوات الله عليهم وعلى جميع الطيبين المطهرين))[١٩]

وليس صنيع الإمام الحسين ومن قبله موسى (عليهما السلام) إلا من أجل ((خدمة الرسالة والناس ، وهم يبحثون عن أي فرصة للعمل دون أن ينتظروا من الناس أن يسألوهم العون))[٢٠] .

فهما يتشابهان في المنهج والأهداف ، والمتطلع إلى مسيرة كل منهما يجد تشابهاً جليّاً بين ما حصل لكل منهما ((ومع ذلك ثمة فرق كبير بين طبيعة خروج النبي موسى (عليه السلام) ، وخروج الإمام الحسين (عليه السلام) فموسى وإن خرج من مصر خائفاً ولكنه عندما وصل إلى مدين شعر بالأمان وتزوج هناك من ابنة النبي شعيب (عليه السلام) وبعد مضي عشر سنوات عاد إلى وطنه معززاً مكرماً بينما ظل الإمام الحسين خائفاً يترقب وهو في مكة وقرب البيت الحرام الذي جعله الله للناس إماماً وكان يقول : (خفت أن يغتالني يزيد) والحسين (عليه السلام) لم يعد إلى وطنه ، وظل وعياله يجال بهم في الكوفة والشام يشمت بهم الشامتون))[٢١]

وقد أحالتنا هذه الآية التي تلاها الإمام الحسين (عليه السلام) إلى فكرة التلازم بين منهج الإمام الحسين (عليه السلام) ومسيرة الأنبياء (عليهم السلام) فقد ((جاءت قراءة الحسين عليه السلام لهذه الآية مصداقاً للتلازم بين العترة والقران وفي نفس الوقت فتح الحسين عليه السلام افاقا جديدة من العلوم القرآنية والتاريخية، فالقرآنية هي البحوث الخاصة بالمتشابه والتاريخية هي دراسة ظروف الانبياء عليهم السلام، بل حتى دفع الشبهات عن من يلفق بعض الاكاذيب التي تخدش عصمة الانبياء وما قراءة الحسين عليه السلام لآية { ربي نجني من القوم الظالمين } التي كان يرددها موسى عليه السلام وهو متوجه الى مدين ماهي الا دليل لبراءة موسى من المعصية حيث يفسر البعض خروج موسى هاربا خوفا من القصاص لأنه قتل نفسا ولكن قراءة الحسين للآية بظروف هي بعينها ظروف موسى فالأول ملاحق من قبل فرعون والثاني ملاحق من قبل يزيد، فلا اهل مدينة موسى نصروه وآوه ولا اهل المدينة نصروا الحسين وآوه))[٢٢] .

فإشارية النص القرآني الذي تلاه الحسين (عليه السلام) التي تستشف عبر تفسير ذلك النص والاطلاع على ملابساته تتلخص بالآتي :

١ــ الإمام الحسين خرج مُكرها من مدينة جده التي تمتلك خصوصية في نفسه ؛ لأنّها تحمل ذكريات عاشها مع النبي (صلى الله عليه وآله) والإمام علي ، والسيدة فاطمة والإمام الحسن (عليهم السلام) .

٢ــ خروج موسى (عليه السلام) وحده يعبر عن قلة الأعوان والأنصار وهذا ما حصل لإمامنا الحسين (عليه السلام) الذي لم يجد نصرة من مدينة جده المصطفى (صلى الله عليه وآله) .

٣ــ وقوع الظلم على الإمام الحسين (عليه السلام) من يزيد وأعوانه مثلما وقع الظلم على موسى (عليه السلام) من فرعون وأعوانه .

٤ــ كل من موسى والإمام الحسين (عليهما السلام) توكلا على الله (عزّ وجلّ) واسترشدا بهديه . فاستجاب الله لهم وهداهم إلى الطريق المستقيم في الدنيا والآخرة .

٥ــ الإمام الحسين (عليه السلام) يقتفي أثر الأنبياء والرسل (عليهم السلام) وهذا ما يوضح فكرة وراثة الإمام الحسين (عليه السلام) للأنبياء .

٣ـ وموضع آخر يتلو فيه الإمام الحسين نصّاً قرآنياً يشير به إلى جملة من الأفكار حين برز علي بن الحسين (عليه السلام) وعزم على القتال وأقبل مستأذنا من أبيه أظهر الإمام الحسين (عليه السلام) حزنه إلى الله تعالى مشهدا إياه على صنيع القوم به وبأهل بيته . ثم صاح بعمر بن سعد : ((مالك يا بن سعد ، قطع الله رحمك ولا بارك الله لك في أمرك ، وسلط عليك من يذبحك بعدي على فراشك ، كما قطعت رحمي ، ولم تحفظ قرابتي من رسول الله))[٢٣] ثم رفع صوته وتلا قوله تعالى : { إنّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم } [٢٤]

وقد أقرّ جملة من المفسرين أنّ هذه الآية أقرتْ فضل آل محمد (صلوات الله عليهم) على غيرهم واصطفاء الله إيّاهم إذ ذهب الشافعي إلى القول بأنّ ((آل محمد الذين أمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالصلاة عليهم معه، والذين اصطفاهم من خلقه، بعد نبيه – صلى الله عليه وسلم –، فإنه يقول: { إنّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين}. فأعلم: أنه اصطفى الأنبياء صلوات اللهّ عليهم، وآلِهم))[٢٥]

ولم يكن اصطفاء الباري (عزّ وجل) من أجل توفر عنصر القرابة وحسب . إنّما كانَ ذلك على وفق معايير خاصة الله تعالى أعلم بها ((والدليل على ذلك أن الله اختار آدم ، وآدم أب الناس جميعا . ثم اختار من آل إبراهيم ومن آل عمران ، أنبياء دون أن يميز واحدا على آخر على أساس عنصري فلم يكن عنصر آل عمران أفضل من سائر فصائل آل إبراهيم المنحدرين من غير عمران بل هؤلاء بعضهم من بعض دون تمييز ، فهم قمة السمو ولا يجوز التمسك ببعضهم دون البعض الآخر { ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم } [٢٦] {يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور} [٢٧]، فيختار من عباده من يرى فيه صلاحية الاختيار . ولا يختار رسله من عنصر معين أنى كانوا .))[٢٨]

وتتداخل ذراري الأنبياء والرسل إذ ينتمون إلى أرومة زكية واحدة وعامل اصطفائهم واحد وهذا ما أوجب طاعتهم جميعا وحرّم الإساءة إليهم فإنّ ((آل ابراهيم اسماعيل و اسحاق و اولادهما و دخل فيهم نبينا وأولاده الطاهرون عليهم السلام و آل عمران موسى و هارون و ينتهى نسبهما الى لاوى بن يعقوب أو عيسى و مريم بنت عمران و من أجدادهما داود و سليمان و ينتهى نسبهما الى يهودا بن يعقوب قيل كان بين العمرانين الف و ثمانمائة سنة { ذرية بعضها من بعض }))[٢٩]

ولأنّ الله هو المصطفي لهم ، وهو من كلّفهم بمهام الدعوة إليه اقترن رضاه برضاهم ، وطاعته بطاعتهم ، وسخطه بسخطهم ((لما اوجب اللهّ تعالى قبل هذا القول متصلا به طاعته و طاعة رسوله و بين أنها جالبة لمحبته تعالى إ ذ قال : { قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإنّ الله لا يحب الكافرين } [٣٠] أشار بهذا القول الشريف الى وجوب طاعة من اصطفاه و خصه بالكمالات الجسمانية و الملكات الروحانية و بين مواضعه دون ما اختاره الخلق))[٣١]

إلا أنّ النفس الأمارة بالسوء ، تسعى جاهدة وراء ما يغذي غرورها ، ويطفئ نار حسدها ، مقترفة بسبب ذلك الحسد أبشع الجرائم ، فتصل إلى حد التعدي على حرمات الأنبياء وآلهم فتحصد من ذلك الصنيع غضب الرحمن ، وتدخل نتيجة سوء التدبير في حيز الكفر . وهذا ما أراد أن يبوح به الإمام الحسين (عليه السلام) حين ذكر الآية الشريفة ــ موضع البحث ــ مع إشارات أخرى تتلخص في الآتي :

١ــ أراد أن يذكر بمنزلة أهل البيت من الرسول الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله) وكيف أنّ الله اصطفاهم على العالمين وإنّ الإساءة إليهم تعني الإساء إلى الرسول الأكرم وإلى الله (عزّ وجلّ)

٢ــ اختلاف أهل الكتاب في شخص رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان بسبب حسدهم إياه وهذا ما حصل مع ابنه الإمام الحسين (عليه السلام) إذ خالفه القوم حسداً منهم لشخصه .

٣ــ ارتباط المسيرة النبوية بسلسلة متتابعة بعضها من بعض ، يكمل اللاحق مسيرة السابق ومن تلك السلالة الطاهرة نبينا الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله) الذي تفرع من سلالته الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) للإكمال مسيرة الرسالة الإلهية .

٤ـ تعدي بني أميّة على شخص الإمام الحسين (عليه السلام) أدخلهم في خانة الكفر لأنّهم خالفوا بذلك أوامر الله الذي أمر بطاعة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) واتباعه ولطالما سمع القاصي والداني النبي الأكرم يحث على اتباع أهل بيته وعدم الإساءة إليهم .

٥ـ ولم يكن الأمر بطاعتهم من أجل عنصر القرابة وحسب إنّما كان ذلك نتيجة لاصطفاء من الله (عزّ وجلّ) الذي أودع فيهم أسراره ، وهيأهم لتبني مشروعه الرسالي .

٤ـ ونص قرآني آخر له إشارية خاصة تلاه الإمام الحسين (عليه السلام) حين سأله بشر بن غالب الذي التقاه في طريقه إلى كربلاء عن معنى قوله تعالى : { يوم ندعو كل أناس بإمامهم [٣٢] فكان جواب الإمام الحسين (عليه السلام): ((إمام دعا إلى هدى فأجابوه إليه ، وإمام دعا إلى ضلالة فأجابوه إليها، هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار وهو قوله عزّ وجلّ: {فريقٌ في الجنة وفريق في السعير} [٣٣])) [٣٤]

ولايمكن الوقوف على إشارية هذا النص ، وما يحمل من معاني مالم نقف على ملابساته وسياقه الذي ورد فيه ليتسنى لنا معرفة مدلوله ، وبيان آلية توظيف الإمام الحسين (عليه السلام) لذلك المدلول ليعبر عمّا يريد .

فكتب التفسير تشير إلى أنّ هذه الآية تبين أقسام الناس وما سيؤول إليه حالهم نتيجة لما تبنوا في حياتهم الدنيا . فمن يسلك طريق الحق يوصله إلى الجنة، ومن يسلك طريق الباطل يؤدي به إلى نار السعير. فـ ((قوله { فريقٌ في الجنة وفريق في السعير}يقول: منهم فريق في الجنة، وهم الذين آمنوا بالله واتبعوا ما جاءهم به رسوله(وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ) يقول: ومنهم فريق في الموقدة من نار الله المسعورة على أهلها، وهم الذين كفروا بالله، وخالفوا ما جاءهم به رسوله.))[٣٥]

فهذه الآية المباركة تحمل ((إشارة إلى الخلاف البشري الذي يقسمهم إلى خطين : خط الحق ، وخط الباطل)) [٣٦]

فضلاً عن أنّها توضح دور الأنبياء الذين تكفلوا بالدعوة إلى طريق الحق ، والنهي عن اتباع طريق السوء وبيان النتائج التي تكون من كل واحد من الطريقين إذ((إن الغرض من الوحى إنذار الناس وخاصة الانذار المتعلق بيوم الجمع الذى يتفرق فيه الناس فريقين فريق في الجنة وفريق في السعير إذ لولا الانذار بيوم الجمع الذى فيه الحساب والجزاء لم تنجح دعوة دينيه ولم ينفع تبليغ. ثم بين أن تفرقهم فريقين هو الذى شاءه الله سبحانه فعقبه بتشريع الدين وإنذار الناس يوم الجمع من طريق الوحى لأنه وليهم الذى يحييهم بعد موتهم الحاكم بينهم فيما اختلفوا فيه))[٣٧]

وإشارة أخرى يحملها هذا النص القرآني تتعلق بحرية الاختيار التي يمتلكها الانسان ليكون في أحد القسمين إذ إنّها تشير إلى ((التَّمْكِينِ وَالِاخْتِيَارِ الَّذِي عَنْهُ الِاخْتِلَافُ، خَلَقَهُمْ لِيُثِيبَ مُخْتَارَ الْحَقِّ بِحُسْنِ اخْتِيَارِهِ، وَيُعَاقِبَ مُخْتَارَ الْبَاطِلِ بِسُوءِ اخْتِيَارِهِ))[٣٨]

وخلاصة القول أنّ إشارية هذا النص الذي تلاه الإمام الحسين (عليه السلام) يروم به إيصال جملة من الأمور ، ومنها :

١ــ الإشارة إلى حقيقة انقسام البشرية إلى صنفين : أهل الحق وأهل الباطل وبين كلا الصنفين مواجهة على مرّ العصور .

٢ــ الانسان له حرية الاختيار في الانتماء إلى أحد هذين الصنفين وقد وضع الله أمامه الطريقين وخيّره بينهما يسلك ما يشاء منهما .

٣ــ وتكفل ببيان نهاية الطريقين والنتائج المترتبة على كل منهما إذ أشارت إلى أنّ طريق الحق يؤدي إلى الجنة وهو الطريق الذي نسلكه باتباع أهل البيت (عليهم السلام) . وطريق الباطل الذي يسلك عند طاعة أعدائهم ومؤداه إلى جهنم .

٤ــ وقد أشارت هذه الآية إلى الدور الذي يتبناه الأنبياء والرسل وكذلك الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) من الوعظ والإرشاد وحث الناس إلى الفضائل ونهيهم عن الرذائل .

٥ـ ومن النصوص التي حملت إشاريات معينة وظفها الإمام الحسين (عليه السلام) في حواراته النص القرآني الذي تلاه حين سأل قوماً التقى بهم في (عذيب الهجانات)[٣٩] عن رسوله قيس بن مسهر الصيداوي فقالوا له :[٤٠] أخذه الحُصين بن نُمير ، فبعث به إلى ابن زياد ، فأمره ابنُ زياد أن يلعنك ويلعن أباك فصلى عليك وعلى أبيك ولعن ابن زياد وأباه ، ودعا إلى نصرتك ، وأخبرهم بقدومك . فأمر به ابنُ زياد فأُلقي من طمار القصر فعند ذلك ترقرقت عينا الحسين (عليه السلام) ولم يملك دمعته ثم قال : { فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا }[٤١]

ولنتعرف ما يشير إليه هذا النص المبارك نقف عند ما ذكره المفسرون في تفسيره وتفسير ما قبله لبيان المقصود منه إذ((يقول تعالى ذكره : { من المؤمنين} بالله ورسوله { رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه } يقول : أوفوا بما عاهدوه عليه من الصبر على البأساء والضراء ، وحين البأس { فمنهم من قضى نحبه } يقول : فمنهم من فرغ من العمل الذي كان نذره الله وأوجبه له على نفسه ، فاستشهد بعض يوم بدر ، وبعض يوم أحد ، وبعض في غير ذلك من المواطن { ومنهم من ينتظر} قضاءه والفراغ منه ، كما قضى من مضى منهم على الوفاء لله بعهده))[٤٢]

فتعبر هذه الآية الكريمة عن أهمية الجهاد في الإسلام ، وتشير إلى أنّ تحقيق الأهداف السامية لا تكون من غير تضحيات وقد تصل هذه التضحيات إلى حد بذل النفس وقد سعى ثلة من المؤمنين الصالحين ممن صدقوا العهد مع الله إلى السير في هذا الطريق وظل آخرون ينتظرون دورهم وهم على استعداد مطلق للتضحية وبذل النفس وهذه سمة من أبرز سمات الإيمان فـ((لما ذكر عن المنافقين أنهم نقضوا العهد الذي كانوا عاهدوا الله عليه لا يولون الأدبار ، وصف المؤمنين بأنهم استمروا على العهد والميثاق { صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا}) أي : وما غيروا عهد الله ، ولا نقضوه ولا بدلوه .))[٤٣]

فقد عبّرت هذه الآية التي ضمنها الإمام الحسين (عليه السلام) كلامه إشارة إلى جملة أمور ، منها :

١ـ إنّ تحقيق الأهداف السامية يتطلب تضحيات جسام قد تصل إلى بذل النفس .

٢ـ ومن يبقى على عهده مع الله صادقا لا يتردد في بذل نفسه . وقد برهن على ذلك جملة من المؤمنين ممن استُشهد من أجل عقيدته ، وآخرون ينتظرون دورهم .

٣ـ وفي ذلك ذم للمنافقين الذين تخلفوا عن نصرة الحق ونقضوا عهدهم مع الله متمسكين بملذات الدنيا وزخرفها .

٤ـ أمّا المؤمنون الذين ينتمون إلى الخط الرسالي لا يأبهون بالموت وهم ينتظرون الشهادة لأنّهم على حق وصنيعهم فيه مرضاة الله (عزّ وجلّ) .

٩ـ كلام الإمام الحسين (عليه السلام) مع عبيد الله بن الحر الجعفي الذي اعتذر فيه من نصرة الإمام الحسين (عليه السلام) وأراد أن يقدم للإمام فرسه هدية ويتكفل بإرجاع عياله فقال الحسين (عليه السلام) : ((أمّا إذا رغبت بنفسك عنّا فلا حاجة لنا في فرسك ولا فيك { وما كنتُ متخذ المضلين عضدا } [٤٤]ولكن فرّ فلا لنا ولا علينا فو الله لا يسمع واعيتنا أحدٌ ثم لا ينصرنا إلا أكبه الله على وجهه في نار جهنم))[٤٥]

وقد قال المفسرون في تفسير قوله تعالى { وما كنتُ متخذ المضلين عضدا }: إنّ المقصود بالمضلين ((الشياطين الذين يضلون الناس أعوانا يعضدونني عليه، وكثيرا ما يستعمل العضد بمعنى العون، وإنما وحده هنا لوفاق الفواصل. وقيل: إن معنى الآية أنكم اتبعتم الشيطان كما يتبع من يكون عنده عليم لا ينال إلا من جهته .))[٤٦]

وقد جاء في تعاليم ديننا الحنيف أشد النهي عن اتباع الباطل ، والانصياع إلى الدعوات الضالة والمضلة إذ إنّ ((البعثة بالنبوة إنما بنيت على أساس الهداية إلى الحق وبيانه والانتصار له فعليهم أن يتجهزوا بالحق في دعوتهم ، وينخلعوا عن الباطل ويتقوا شبكات الضلال أيا ما كانت سواء وافق ذلك رضى الناس أو سخطهم واستعقب طوعهم أو كرههم ولقد ورد منه تعالى أشد النهي في ذلك لأنبيائه وأبلغ التحذير حتى عن اتباع الباطل قولا وفعلا بغرض نصرة الحق فإن الباطل باطل سواء وقع في طريق الحق أو لم يقع ، والدعوة إلى الحق لا يجامع تجويز الباطل ولو في طريق الحق والحق الذي يهدي إليه الباطل وينتجه ليس بحق من جميع جهاته.)) [٤٧]

وقد حمل النص القرآني الذي ضمنه الإمام الحسين (عليه السلام) إشارة إلى مسألة مهمة استغرق كثيرون في الحديث عنها وإبداء الرؤى بما يتعلق بها فقد((استشهد الامام (عليه السلام) خلال كلامه مع عبيد الله بالآية الشريفة { وما كنتُ متخذ المضلين عضدا } وهي تتعرض لبيان مسألة مهمة من مسائل عصرنا الحاضر وهي إمكانية سلوك الطرق غير الحقّة كوسائط لتحقيق الهدف الصحيح ، وهل يمكن اللجوء إلى الكذب والافتراء والخداع لأجل بلوغ مثل هذه المآرب ؟ فوفقا لمبادئ أهل الدنيا يعتبر كل شيء مباحاً وحلالاً إذا كان يصب في الهدف الذي يريدونه ، ولكن المنطق الإسلامي المعتقد بالمبدأ والمعاد يرفض هذا النهج من التفكير وفي ضوء ذلك لا يمكنه أن يعتبر كل الوسائل مباحة لمجرد أنها توصل إلى الهدف حتى لوكان ذلك الهدف حقاً))[٤٨] .

وفي ذكر هذه الآية ضمن حديث الإمام الحسين (عليه السلام) مع الحر الرياحي ((إشارة إلى أنك ضال ومضل ولا تستحق أن تكون نصيرا. وعلى أية حال، فإن البقاء دون نصير ومعين أفضل من طلب معونة الأشخاص الملوثين والضالين واتخاذهم عضدا.))[٤٩]

وخلاصة ما أشارت إليه هذه الآية التي وردت في كلام الإمام الحسين (عليه السلام) هو:

١ـ إنّ الغاية لا تبرر الوسيلة ، والهدف السامي يتحقق بأدوات نبيلة ، ولا يجوز السعي إلى تحقيقه بأدوات منحرفة .

٢ـ لذلك ليس من الصحيح الاستعانة والاستنصار بالأشخاص الذين تلوث تأريخهم وانحرف سلوكهم .

٣ـ ومن يستعفف عن الاستنجاد بالضالين والمضلين يكون الله عضده وعونه ، ويأخذ بيده إلى الطريق القويم .

القسم الثاني : الرموز القرآنية .

ولم يتبع الإمام الحسين (عليه السلام) منهج ذكر النص القرآني في حديثه وحسب بل إنّه سعى في بعض الأحيان إلى الاكتفاء بذكر رمز قرآني يحيل إلى حادثة أو قصة قرآنية مختزلاً بذلك كل ما تحمله تلك الحادثة من معاني ، محققا بذلك اقتصاداً في القول وبث كمٍّ أكبر من الرؤى والأفكار . ومن ذلك على سبيل المثال :

١ـ إشارة الإمام (عليه السلام) إلى حادثة السبت التي ضمنها قوله الذي كان جوابا لرسالة عبد الله بن جعفر الذي أراد فيها إقناع الإمام بعدم التوجه إلى كربلاء فكان مما ردّ به الإمام الحسين (عليه السلام) على هذه الرسالة قوله : ((لو كنت في حجر هامة من هوام الأرض لاستخرجوني حتى يقتلوني ، والله ليعتدن عليّ كما اعتدت اليهود في يوم السبت))[٥٠] .

فقد أشار الإمام الحسين (عليه السلام) إلى حادثة (اعتداء اليهود في يوم السبت) مشبها ذلك الاعتداء باعتداء بني أمية عليه وعلى أهل بيته (عليهم السلام) ولكي ينكشف المعنى المراد من هذا التوظيف وما يحمل من إشارة لا بدّ من بيان حقيقة هذه الحادثة . التي ذكر المفسرون أنّها حدثت ((في زمن داود عليه السلام. وعن ابن عباس قال :أمروا باليوم الذي أمرتم به يوم الجمعة ، فتركوه ، واختاروا يوم السبت، فابتلوا به ، وحرم عليهم فيه الصيد، وأمروا بتعظيمه، فكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت شرعا بيضا سمانا ، حتى لا يرى الماء من كثرتها، فمكثوا كذلك ما شاء الله لا يصيدون، ثم أتاهم الشيطان، وقال : إنما نهيتم عن أخذها يوم السبت، فاتخذوا الحياض والشبكات. فكانوا يسوقون الحيتان إليها يوم السبت، ثم يأخذونها يوم الأحد.))[٥١]

وفحوى هذه القصة أنّها ((ترتبط بجماعة من بني إسرائيل كانوا يعيشون عند ساحل أحد البحار (والظاهر أنه ساحل البحر الأحمر المجاور لفلسطين) في ميناء يسمى بميناء " أيلة " (والذي يسمى الآن بميناء إيلات) وقد أمرهم الله تعالى على سبيل الاختبار والامتحان أن يعطلوا صيد الأسماك في يوم السبت، ولكنهم خالفوا هذا التعليم، فأصيبوا بعقوبة موجعة مؤلمة نقرأ شرحها في هذه الآياتفي البداية تقول الآية: واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر. أي اسأل يهود عصرك عن قضية القرية التي كانت تعيش على ساحل البحر. ثم تقول: وذكرهم كيف أنهم تجاوزوا – في يوم السبت – القانون الإلهي إذ يعدون في السبت لأن يوم السبت كان يوم عطلتهم، وكان عليهم أن يكفوا فيه عن الكسب، وعن صيد السمك و يشتغلوا بالعبادة ، ولكنهم تجاهلوا هذا الأمر.))[٥٢]

والإشارة التي عبّر عنها هذا التوظيف لهذا الرمز القرآني وتشبيه صنيع بني إسرائيل الذين اعتدوا في يوم السبت بصنيع بني أمية يعبر عن :

١ـ إنّ بني أمية خالفوا قانوناً إلهياً حين اعتدوا على حرمة الإمام الحسين (عليه السلام) مثلما صنع بنو إسرائيل الذين خالفوا أوامر الله الذي أمرهم باتباعها .

٢ـ كلّ من بني إسرائيل ، وبني أمية دفعهم حب الدنيا ومغرياتها الذي كان اختباراً لهم إلى مخالفة أوامر الإله وتعاليم السماء .

٣ـ تشابه النتيجة لكلا الطرفين وما سيجنيه كل منهم لما اقترف من ظلم وتجاوز القوانين التي شرعها الله . فمثلما مسخ الله بني إسرائيل الذين اعتدوا في يوم السبت سيمسخ بني أمية ويخزيهم في الدنيا قبل الآخرة .

٢ـ ومن الرموز القرآنية التي وردت في كلام الإمام الحسين (عليه السلام) ما جاء في حديثه مع أبي هرة . إذ جاء في كتاب الفتوح : ((قال: فلما أصبح الحسين وإذا برجل من الكوفة يكنى أبا هرة الأزدي أتاه فسلم عليه ثم قال: يا بن بنت رسول الله! ما الذي أخرجك عن حرم الله وحرم جدك محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال الحسين: يا أبا هرة إن بني أمية أخذوا مالي فصبرت ، وشتموا عرضي فصبرت ، وطلبوا دمي فهربت، وأيم الله يا أبا هرة لتقتلني الفئة الباغية وليلبسهم الله ذلا شاملا وسيفا قاطعا، وليسلطن الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل من قوم سبأ إذ ملكتهم امرأة منهم فحكمت في أموالهم وفي دمائهم)) [٥٣]

وفي كلام الإمام إشارة إلى الظلم الذي لحقه من بني أمية ، وبيان ما سيؤول إليه حالهم نتيجة ما اقترفوه من جرم بحق بيت النبوة مشبهاً حالهم بحال قوم (سبأ) الذين ((كانوا يعيشون على أرض ملؤها الثمار والخيرات في أمن وسلام، حتى أصابهم الغرور والطغيان والاستكبار وكفران النعم الإلهية ، فأهلكهم الله وشتت جمعهم وجعلهم عبرة للآخرين.))[٥٤]

وحقيقة الأمر في القصة المتعلقة بهؤلاء القوم ((هو أنّ قوم سبأ استطاعوا ـ ببناء سدٍّ عظيم بين الجبال الرئيسية في منطقتهم ـ حصر مياه السيول المدمّرة أو الضائعة هدراً على الأقل، والإفادة منها .. وبإحداث منافذ في ذلك السدّ سيطروا تماماً على ذلك الخزّان المائي الهائل، وبالتحكّم فيه تمكّنوا من زراعة مساحات شاسعة من الأرض.))[٥٥]

إلاّ أنّ هؤلاء القوم لم يشكروا نعم الله وهم بسبب((استسلامهم لهوى النفس ووسوسة الشيطان، أصبحوا معرضا لكل تلك الخيبة وسوء التوفيق.))[٥٦]

وحين امتحنهم الله عزّ وجلّ بما منحهم ((لم يقدّروا تلك النعمة حّق قدرها. ولم يخرجوا من بوتقة الامتحان بسلام ، إذ سلكوا طريق الإعراض والكفران ، فقرّعهم الله أيّما تقريع ، قال تعالى : { فأعرضوا }استهانوا بنعمة الله ، توهّموا بأنّ العمران والمدنية والأمن أشياء عادية ، نسوا الله، وأسكرتهم النعمة، وتفاخر الأغنياء على الفقراء، وظنّوا أنّهم يزاحمونهم في أرزاقهم ـ كما سيرد في الآيات اللاحقة وهنا مسّهم سوط الجزاء، يقول تعالى { فأرسلنا عليهم سيل العرم } فدمّر بيوتهم ومزارعهم وحوّلها إلى خرائب)) [٥٧]

وأوجه الشبه بين قوم سبأ وبني أميّة أنّ ((الجهاز الحاكم الأموي يبغي من وراء قتل الإمام الحسين (عليه السلام) السيطرة على مقاليد الأمور، وترسيخ دعائم الحكم الأموي ، غافلين عن أن الانسان لا يمكن أن يبلغ مآربه عن طريق عصيان الله والتمرد عليه)) [٥٨] .

لذلك استشرف الإمام الحسين (عليه السلام) بالحال الذي سيؤول إليه بنو أمية والواقع الذي ينتظرهم مشبها واقعهم بواقع قوم سبأ الذين لم يشكروا نعم الله فأزال الله النعم التي وهبهم إياها . ويشير توظيف رمزية (قوم سبأ) في كلام الإمام الحسين (عليه السلام) . إلى :

١ـ إنّ الله وضع بني أمية في اختبار مثلما وضع قوم سبأ الذين لم يفلحوا في ذلك الامتحان فسلب الله ما وهبهم من نعم .

٢ـ إنّ الطمع وحب السلطة والغرور بملذات الدنيا هو المحفز الأساسي لاتباع هوى النفس ، ومخالفة أوامر الله التي تؤدي إلى الهلاك والمصير غير المحمود .

٣ـ العاقبة الوخيمة تنتظر كل من لا يشكر الله ويتبع أوامره وينتهي عن نواهيه وهذا ما ينتظر بني أمية الذين خالفوا القوانين السماوية بما اقترفوا من جرم بحق الإمام الحسين وأهل بيته .

الخاتمة

وفي ختام هذا العرض لطائفة من النصوص والرموز القرآنية ، يتبين أنّ الإمام الحسين (عليه السلام) كانت له قصدية خاصة في توظيف تلك النصوص والرموز التي حمّلها كمّا من الأفكار والرؤى مستيعيناً بما تمتلك تلك النصوص والرموز من إشاريات لحمل المعنى المراد . الذي لا ينكشف عن طريق قراءة تلك النصوص والرموز أو الاستماع إليها إنّما يحتاج من المتلقي الاستعانة بفهم ملابساتها والسياق الذي وردت فيه والاطلاع على أسبابها ونتائجها وما يحيط بها لبيان حقيقة المراد منها ، والوعي بما أراده الإمام (عليه السلام) حين توظيفها وتضمين نصوصها إياها .

وقد أوضح هذا التوظيف براعة الإمام الحسين (عليه السلام) في عرض الأفكار التي احتاج أن يطلقها في أوقات قليلة إذ حقق له هذا الأسلوب إطلاق حشد من الرؤى في عبارات قليلة وهذا أسلوب فن الاقتصاد في القول مع إيضاح ناصع للمعاني المرادة . مستعينا بما يحمل النص القرآني من إشاريات وظّفت في نصوص الإمام الحسين (عليه السلام) الذي أفصح عن مقدار التلازم الكبير بين شخصه (عليه السلام) والقرآن الكريم .

وعليه أجد أنّ من الضروري توظيف مناهج الدرس اللساني الحديث لدراسة المتون المعرفية الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام) لأنّ ذلك يمكّن من كشف المعاني التي عبرت عنها تلك النصوص ، فضلاً عن بيان مدى براعتهم وفصاحتهم وإبداعهم اللغوي .

وآخر دعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين .

الهوامش

١. المقاربة التداولية : ٥ .
٢. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : محمود أحمد نحلة ، ١٥ ــ ١٦ .
٣. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ١٦ .
٤. التداوليات وتحليل الخطاب : الدكتور جميل حمداوي ، ٢٧ .
٥. ينظر : تاريخ مدينة دمشق : ابن عساكر ، ٢٠٣ .
٦. سورة يونس : ٤١ .
٧. سورة الكافرون : ١ ــ ٦ .
٨. سورة الممتحنة : ٤ .
٩. تفسير القرآن العظيم : ابن كثير ٤ / ٢٧٠ .
١٠. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، ٦ / ٣٦٦
١١. من هدى القرآن : السيد محمد تقي المدرسي ، ٣ / ٣٩٣ .
١٢. مجمع البيان في تفسير القرآن : الطبرسي ، ١٠ / ٢١٨ .
١٣. الملهوف في قتلى الطفوف : ابن طاووس ١٣ .
١٤. سورة القصص : ٢٢ .
١٥. سورة القصص : ٢١ .
١٦. سورة القصص : ٢١
١٧. تفسير القرآن العظيم : ٦ / ٢٢٦ .
١٨. سورة الصافات : ٩٩ .
١٩. تفسير الفخر الرازي : فخر الدين محمد الرازي ، ٢٤ / ٢٣٩ .
٢٠. من هدى القرآن : ٦ / ٣٣٢ .
٢١. مكاتبات ومحاورات الإمام الحسين (عليه السلام) : نظري منفرد ، ١٨٢ .
٢٢. بين الإمام الحسين والنبي موسى (عليهما السلام) درس قرآني ، (مقالة) بقلم : سامي جواد كاظم ، موقع وكالة نون الخبرية net.www.non١٤ ، تاريخ الزيارة ٢٣ / ٦ / ٢٠١٦ .
٢٣. تظلم الزهراء من اهراق دماء آل العباء (عليهم السلام) : رضي القزويني : ١١٦
٢٤. آل عمران : ٣٣ ــ ٣٤ .
٢٥. تفسير الإمام الشافعي : الشافعي ، ١ / ٤٦٩ .
٢٦. سورة آل عمران : ٣٤ .
٢٧. سورة غافر : ١٩ .
٢٨. من هدى القرآن : ١ : ٤٠٢ .
٢٩. شرح الكافي (الأصول والروضة) : صالح المازندراني ، ١٢ / ٥٢٥ .
٣٠. سورة آل عمران : ٣٢ .

٣١. شرح الكافي (الأصول والروضة)، ١٢ / ٥٢٥

٣٢. الإسراء : ٧١ .

٣٣. الشورى : ٧ .

٣٤. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار : محمد باقر المجلسي ٤٤ / ٣١٣ .

٣٥. جامع البيان عن تأويل آي القرآن : الطبري ، ٢١ / ٥٠٣ .

٣٦. من هدى القرآن : ٨ / ٣٥١ .

٣٧. الميزان في تفسير القرآن : الطباطبائي ، ١٨ / ١٧ ــ ١٨ .

٣٨. البحر المحيط في التفسير : ٦ / ٢٢٨ .

٣٩. عذيب الهجانات موضع يقع بين القادسية والمغيثة، وكانت تعتبر هذه المنطقة نهاية حدود أرض العراق، ووجه التسمية مأخوذ من العذيب وهو مصغر العذب – أي الماء العذب –والهجانات أي الكرائم من الأبل، وكانالنعمان ملك الحيرة يرعى في هذه المنطقة هجائنه؛ فسميت بعذيب الهجانات . (ينظر : معجم البلدان : الحموي ، ٤ / ٩٢ .

٤٠. ينظر : مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي : ١ / ٣٣٣ .

٤١. الأحزاب : ٢٢ .

٤٢. جامع البيان عن تأويل آي القرآن : الطبري ، ٢٠ / ٢٣٧ .

٤٣. تفسير القرآن العظيم : ٦ / ٣٩٣ .

٤٤. الكهف : ٢٤ .

٤٥. ابصار العين في أنصار الحسين : الشيخ محمد السماوي ، ٨٩ .

٤٦. مجمع البيان : الطبرسي ، ٦ / ٣٥٥ .

٤٧. الميزان في تفسير القرآن : ٦ / ٢٩٩ .

٤٨. مكاتبات ومحاورات الإمام الحسين (عليه السلام) : ٢٨٤ .

٤٩. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ٩ / ٣٠٢ .

٥٠. مقتل الحسين (عليه السلام) : الخوارزمي ، ١ / ٢١٧

٥١. مجمع البيان : ٤ / ٣٨٤ .

٥٢. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ٥ / ٢٦٤ .

٥٣. كتاب الفتوح : أحمد بن أكثم الكوفي ، ٥ / ٧١ .

٥٤. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ٨ / ٣٥١ .

٥٥. المصدر نفسه : ١٣ / ٤٢٢ .

٥٦. المصدر نفسه : ١٣ / ٤٢٥ .

٥٧. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ١٣ / ٤٢٣ .

٥٨. مكاتبات ومحاورات الإمام الحسين (عليه السلام) : ٢٤٠ .

روافد البحث

القرآن الكريم

١. **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر** : محمود أحمد نحلة ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، ٢٠٠٢

٢. **إبصار العين في أنصار الحسين** : الشيخ محمد بن طاهر السماوي ، تحقيق : الشيخ محمد جعفر الطبسي ، الطبعة الأولى، مركز الدراسات الإسلامية لحرس الثورة الإسلامية ، ١٤١٩هـ .

٣. **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم** : أبو السعود العمادي (ت٩٨٢هـ) دار إحياء التراث ، بيروت .

٤. **الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل** : الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، الطبعة الأولى ، دار إحياء التراث العربي ، ٢٠٠٢م .

٥. **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار** : محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ) ، منشورات مؤسسة إحياء الكتب الإسلامية ، قم ـ إيران .

٦. **البحر المحيط في التفسير** : أبو حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ) ، تحقيق : صدقي محمد جميل دار الفكر ، بيروت ـــ لبنان، ١٤٢٠هـ

٧. **بين الإمام الحسين والنبي موسى (عليهما السلام) درس قرآني** ، (مقالة) بقلم : سامي جواد كاظم ، موقع وكالة نون الخبرية net.non١٤.www

٨. **تاريخ مدينة دمشق** : أبو القاسم علي بن الحسين بن عساكر الدمشقي (ت ٥٧١هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر ، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م ،

٩. **التداوليات وتحليل الخطاب** : الدكتور جميل حمداوي ، شبكة الألوكة ، WWW. Alukah.net.10

١١. **تظلم الزهراء من اهراق دماء آل العباء** : رضي القزويني ، تحقيق : السيد مهدي الرجائي ، الطبعة الأولى ، منشورات الشريف الرضي ، قم ـ إيران ، ١٩٩٦م .

١٢. **تفسير الإمام الشافعي** : الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس (ت ٢٠٤هـ) جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفرَّان (رسالة دكتوراه) ، الطبعة الأولى دار التدمرية – المملكة العربية السعودية ، ١٤٢٧- ٢٠٠٦ م

١٣. **تفسير الفخر الرازي** : فخر الدين محمد الرازي (ت ٦٠٤هـ) ، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م ، دار الفكر للطباعة والنشر

١٤. **تفسير القرآن العظيم** : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ) ، تحقيق : سامي بن محمد السلامة ، دار طيبة ، ١٤٢٢ـ ٢٠٠٢م

١٥. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، دار المعارف ، مصر

١٦. **شرح الكافي (الأصول والروضة)** : صالح المازندراني (ت ١٠٨١هـ) ، الطبعة الأولى ، المكتبة الإسلامية ، طهران ـ إيران ، ١٤٢٤هـ

١٧. **كتاب الفتوح** : أحمد بن أعثم الكوفي (ت ٣١٤هـ) ، تحقيق : علي شيري ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ .

١٨. **مجمع البيان في تفسير القرآن** : أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨ه) ، الطبعة الأولى ، دار العلوم ، بيروت

ـ لبنان . ٢٠٠٥ .

١٩. **معجم البلدان** : شهاب الدين أبو عبد الله الحموي (ت٦٢٦هـ) ، الطبعة الثانية دار صادر ، بيروت ـ لبنان ، ١٩٩٥ .

٢٠. **المقاربة التداولية** : فرونسوازارمينكو ، ترجمة سعيد علوش ، مركز الإنماء القومي المغرب .

٢١. **مقتل الحسين (عليه السلام)** : أبو المؤيد الموفق الخوارزمي (ت ٥٦٨ه) ، تحقيق : الشيخ محمد السماوي ، منشورات مكتبة المفيد ، قم ـ إيران .

٢٢. **مكاتبات ومحاورات الإمام الحسين (عليه السلام)** : نظري منفرد ، ترجمة حيدر محمد جواد ، الطبعة الأولى ، مكتبة فخراوي ، ٢٠٠١م

٢٣. **الملهوف في قتلى الطفوف** : السيد علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس (ت ٦٦٤هـ) ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ـ لبنان .

٢٤. **من هدى القرآن** : السيد محمد تقي المدرسي ، الطبعة الثانية ، دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨ م

٢٥. **الميزان** في تفسير القرآن : محمد حسين الطباطبائي ، تصحيح : الشيخ حسين الأعلمي ، الطبعة الأولى ، منشورات مؤسسة الأعلمي ، ١٩٩٧ م .

خطبة الإمام الحسين عليه السلام في ترخيص أهل بيته وأصحابه ليلة عاشوراء
– قراءة فكرية دلالية في اختلافها اللساني وأكملة الذات

Imam Al-Hussein Sermon in Understating His Progeny and Companions at the Eve of `Ashura
(Semantic and Intellectual Reading on Diverse Diction and Perfect Being)

أ.م.د. محمد جعفر العارضي

العراق – جامعة القادسية – كلية الآداب

Asst. Prof. Dr. Mohammed Ja`afir Al-`Aradhi, College of Arts,University of Al-Qadesiya, Iraq

ملخص البحث

تأتي خطبة الإمام الحسين عليه السلام في أهل بيته عليهم السلام، و أصحابه رضوان الله تعالى عليهم ليرخِّص لهم تركه ليلة العاشر من المحرَّم سنة ٦١ هجرية في سياق تتضافر فيه الجوانب العقدية ، و القيمية . و من هنا تأتي أهمية هذه الخطبة على إيجازها ، و وحدة موضوعها المهيمن ؛ ما جعل هذه الخطبة تتنوَّع متونها ، و تختلف ألفاظها . و لعلَّ لهذا التنوُّع و الاختلاف سببًا يرتبط بأجواء هذه الخطبة ، و سياق موقفها من جهة ، و ما يحرص عليه الراوي أو صاحب المتن من سياق ثقافي يطبع الخطبة ببعض المظاهر إن اقتضابًا أو اطنابًا من جهة أخرى . غير أنَّ لهذا التنوُّع سببًا قد يتمثَّل في توظيف الخطبة لإنتاج موقف فكري يتخلَّلها ، يتجلَّى في القضية المركزية الضاغطة المتمثِّلة في الصراع الجدلي بين الشرعية ، و الأفضلية و ضرورة نصرتها من جهة ، و الباطل ، و التدني وضرورة مقاومته من جهة ثانية .

يرصد البحث مجموعة من التنوُّعات النصية التي تظهر في الجسد اللساني لهذه الخطبة التي لا يخفى مضمرها الفكري في الدلالة على كمالات أهل بيته و أصحابه ، فضلًا عن رغبة القائد العسكري الإمام الحسين عليه السلام في امتحان معسكره ، و تنقيته من المرجفين ، و دعاة الحياة الدنيا ... و هذه التنوُّعات تتمحور حول العناصر المضمونية الرئيسة للخطبة ، متمثِّلة في : التنوعات اللسانية في وصف مقام أهل بيته عليه السلام ، و أصحابه الكرام ؛فلقد تنوَّعت التعابير اللسانية الروائية الواصفة لمقام أهل بيته عليه السلام ، فهم : أبرُّ ، و أوصلُ ، و أزكى ، و أطهرُ ، و أفضلُ . و كذلك تنوَّعت التعابير اللسانية الواصفة لأصحابه الكرام رضوان الله تعالى عليهم ، فهم : أصحُّ ، و أعدلُ ، و أوفى ، و أولى ، و خيرٌ . و هذه الأوصاف لم تجتمع في متن روائي بعينه بل توزَّعت على مجموعة من المتون .و معنى هذا أنَّ الخطبة المباركة جاءت لتترجم للحقائق الذاتية لهؤلاء الآل عليهم السلام، و الأصحاب رضوان الله تعالى عليهم ، و تضع في مضمر مراميها هؤلاء في حقِّ مقامهم المعلوم. و من ثَمَّ فإنَّ الخطبةتثبِّتهم في مواضعهم الجليلة ، و لا تدفع بهم إلى أن يخلُّوا بين إمامهم عليه السلام، و عدوِّه . و يعمل الإمام الحسين عليه السلام على رسم هذه الصورة الكمالية لأهل بيته ، و أصحابه لتأتي صورة صادقة ذات كشف واقعي ، و متأمِّل لحقائقهم يضعهم أمام خيار نصرته ، و ضرورة اقتناص فرصة هذا الخيار ليكون مصداقًا لما هم عليه من مقامات وصفها الإمام عليه السلام . فكيف بمن هذه خلاله و مقاماته أن يخلِّي بين إمامه و الأعداء و لا ينصره ؟! فالإمام الحسين عليه السلام يخاطبهم بخطاب التثبيت ، و النصر على الدنيا و لذائذها ، فيشير إلى أنَّه حقيق بمن هذه صفاته أن ينصر إمام عصره فيرفعه الله تعالى إلى الدرجات العُلى . فظاهر الخطبة في ترخيص أهل بيته و أصحابه ، و مضمرها في وفائهم ، و إعلاء شأنهم ، و اللفت إلى عظيم مقاماتهم .

و على الرغم من أنَّ هذا الخطاب الحسيني جاء في ساحة الحرب قبالة عسكر الأعداء فإنَّه لم يشر إلَّا إلى العناصر الكمالية ذات الأفق الروحي و النفسي التي يتمتَّع بها أهل بيته عليهم السلام و أصحابه الكرام رضوان الله تعالى عليهم ، مبتعدًا في خطابه عن مظاهر القوَّة ، و الشجاعة ، و فنون الحرب و القتال ؛ ذلكبأنَّه في مقام اعتقاد و ولاية ، و هو أعلى من أن ينقصه ذكر صفات العسكر و الحرب و الشجاعة و فنون القتال . و لعلَّه في هذا السياق أراد أيضًا أن يؤكِّد أنَّ المعركة التي هو فيها معركة روحية ؛ فعدَّد في الاستعداد لها خِلالًا معنوية كبرى ؛ فمعركته هذه تستلزم في جنوده عناصر البناء الذاتي ، و فرادة الأرواح ، و خلوصها إلى بارئها و إمامها ، و الفناء فيهما عشقًا يكون الموت أدنى إماراته . فتتخطَّى الخطبة في مغزويتها الساحة الحربية إلى الساحة العقدية ؛ فتكون خطبة في التربية الروحية، و بناء الذات ، و شحذ عقيدتها ، لتعطي درسًا في الولاء و الاجتباء، وتضع الأمَّة أمام وهنها الذي صارت إليه بسبب من ركونها إلى حاكم جائر ، و تخليها عن قائدها الحق ، و مكمن قوتها ، و عظمتها . بمعنى أنَّ الخطبة تتمثَّل الجوانب القيمية و الإصلاحية الغائبة التي ينشدها الإمام الحسين عليه السلام من نهضته الكبرى ، فيأتي خطابه مضمرًا بنقد اجتماعي يؤشِّر غياب الجماعة عن منظومة القيم النبيلة التي أثبتها لأهل بيته عليهم السلام و أصحابه رضوان الله تعالى عليهم .

وجاءت الدوال على أنَّه عليه السلام مقتول مستوعبة التصورات الإنسانية في هذا السياق : فالقوم يريدونني، ويطلبونني، و لا يطلبون غيري ، و لو أصابوني ، و ظفروا بي ، و قدروا على قتلي ، و قتلوني . إذ يتدرَّج المتن اللساني ليضع هذه الدوال في تراتبية لا تقود إلَّا إلى القتل ، و المقتول هو إمام عصره و زمانه !! و من ثمَّ فهو يستنصرهم ، و يسوقهم إلى تركه في آن. لكنَّهم بما اختاره لهم من مقام واصف لا شكَّ في أنَّهم ناصروه ؛ ليروا جزاء ما فعلوا جنَّة و غرفًا .إنَّ هذا التنوع اللساني الواصف لقتله عليه السلام يجلِّي من جهة الدلالة المضمرة أنَّ أهل بيته عليهم السلام و أصحابه رضوان الله تعالى عليهم قد بلغت ذواتهم أكملتها .

أمَّا دعوته إلى حلِّ بيعتهم، و تفرُّقهم ليلًا فدلَّت عليها الدوال : ذروني ، و تفرَّقوا في سوادكم ، و مدائنكم ، و قوموا وانطلقوا في سواد هذا الليل ، و اتخذوه جملًا ،فأنتم في سعة ، و حِلٍّ من بيعتي ، و ليست لي في أعناقكم بيعة ، و ذِمَّة ، و ليس عليكم منِّي ذِمام ، النَّجاء النَّجاء . نكون هنا أمام إمام يبالغ في طلب الحلِّ لهؤلاء ليعطي الدلالة على أنَّهم مانعتهم مقاماتهم التي يتمتَّعون بها من تركه و نقض بيعته ؛ فتأتي الدلالة المضمرة أيضًا على أنَّهم بلغوا من درجات الكمال أعلاها . و يظهر التنازع في هذه الخطبة بينتسريح الآل و الأصحاب ، وتكريس مظاهر كمالاتهم الذاتية ، فتبرز ثنائية الهامش و المركز في مضمون هذه الخطبة ليكون الهامش مركزًا ، و المركز هامشًا على نحو من القصد كبير .

و مما ينبغي التنبيه عليه في هذا السياق أنَّ الخطبة تتكامل في متونها المتنوعة ؛ و تكاملها هو الضامنلعدم التفريط بمقام من مقامات الآل و الأصحاب ، و تأكيد عدم تركهم بيعته؛ وصولًا إلى مضمر الدلالة على أنَّهم مقتولون دونه. بمعنى أنَّ الخطبة تشتغل على المعنى المتلبِّس بهدف هذه الثلَّة في تتويج مقاماتهم بالقتل دون قائدهم و مكتشف مقاماتهم الكبرى .

الكلمات المفتاحية :الإمام الحسين ، خطبة الترخيص ، مقامات الكمال ،الدلالة المضمرة ، الدلالة المتضافرة ، الوفاء ، الولاية ، النقد الاجتماعي ،الفداء ، عدم الترك .

Abstract

Imam Al-Hussein sermon on his progeny at the eve of `Ashura to understate the life of his bevy ، self-abnegation، surges into view as doctrinal and meritorious ، whose unity and cohesion grant the sermon credence and diversity. However the current study focuses on the textual diversity in the sermon delineating the morality and quixoticism of the adherents to the imam ، it is a way to fathom the patience and the persistence of such people abnegating all the human and mundane desires and holding their leadership higher ; the sermon ramifies into certain narrative descriptive features of the adherents : the bravest ، most loyal ، most fragrant، most immaculate and the best ، averts tackling the war strategies and skills to instigate the warriors to fight to the last and manipulates the angles of faith and religion ; he is far and farthest to deploy machinations in stimulating his bevy ، adherents.

The sermon takes hold of perfect in the content as the adherents desire to fall martyr for the sake of their leader; the parameter of their great niches.

Keywords

Imam Al-Hussein ، understating sermon، perfection signs، implied signs، propagating signs، guardianship، social criticism، sacrifice، persistence.

مقدَّمة تمهيدية

تظلُّ كلمات الإمام الحسين عليه السلام و خطبه تزخر بالمضامين التي يتنوَّع أثرها ؛ ذلك بأنَّ فيها أثرًا من علم الله تعالى[1]، و لا ريب و هو الربَّاني الثائر ذو الأخلاقيات المخصوصة[2]. و تأتي خطبته في ترخيص أهل بيته عليهم السلام و أصحابه رضوان الله تعالى عليهم ليلة العاشر من المحرَّم سنة ٦١ هجرية لتكون مصداقًا لهذه الأخلاقيات و منهجها ، و واحدة من الخطب المنفتحة على مجموعةمضامين ؛ لذلك يتحرَّك البحث في آفاقها ليقف على مطلبين رئيسين ، المطلب الأول: روايات هذه الخطبة . و فيه فقرات تتكلَّم على توثيق متنها ، و بيان الاختلافو التنوُّع في روايتها بين العلماء ؛ وصولًا إلى متن تكاملي تجتمع عليه مجموعة المتون . و من المفيد أن أشير إلى أنَّني لم أهدف من متابعة رواياتها المتعدِّدة التي هي اثنتا عشرة رواية إلى تكريس اختلافها أو تناقضها ، بل أهدف إلى توضيح أنَّ هذه الروايات تتكامل في إنتاج الخطبة الحسينية الترخيصية. أمَّا المطلب الثاني فينصرف إلى الحفر في مضمونها الكمالي . و فيه فقرات تتكفَّل ببيان صورة الآل و الأصحاب كما يراها الإمام الحسين عليه السلام ، من خلال تركيزه على مجموعة كمالات عبَّر عنها من خلال مجموعة من الدوال المباشرة ، و غير المباشرة. مع لحاظ أنَّ هذه الدوال لم تكن لتأتي في الروايات كلِّها ، بل جاءت في روايات مخصوصة لذلك سينصرف البحث إلى هذه الروايات و يوليها اهتمامًا ملحوظًا .

الأول -الخطبة الحسينية في الترخيص - عرض و توثيق[3]

خطبة الإمام الحسين عليه السلام في ترخيص أهل بيته عليهم السلام، و أصحابه رضوان الله تعالى عليهم من أهم وقائع ليلة عاشوراء سنة ٦١ هجرية. و لعلَّ هذه الخطبة يليق بها أن تكون مسماة خطبةالوفاء[4] الذي يتحلَّى به أهل الضمائر الحرَّة[5] ؛ إذ تمثِّل المحطَّة الأخيرة التي مارس فيها الإمام الحسين عليه السلام استصفاء أصحابه رضوان الله تعالى عليهم، واختبارهم[6]. و لعلَّها محطَّة اختار أن يعلن فيها عن مكنون كمالاتهم و مقاماتهم العليا ، و يشهد لهم بالصدق ، و الإقدام ، والوفاء من دون أن يكون قد أراد الاختبار وحده .

و لمَّا كانت هذه الخطبة قد جاءت في ظرف عسكري تكشَّفت فيه نوايا الأعداء ضمَّنها الإمام عليه السلام بيان ذلك ، و أكبر من ذلك أنَّه عليه السلام ضمَّنها ما يدلُّ على حقيقة مقامات أهل بيته عليهم السلام، و أصحابه رضوان الله تعالى عليهم، و ما عليه موقفهم، و أظهر فيها ((مسؤولية القائد و حكمته و نظرته الإنسانية في أصعب الظروف))[7] ؛ ذلك بأنَّه لم يُخف ما يؤول إليه حالهم عندما تقع المعركة ، فقد كان واضحًا ، و دقيقًا في بيان المصير الذي يصيرون إليه صبيحة اليوم التالي .

و من الأهمية بمكان أن أذكر أنَّ هذه الخطبة تأتي وسط أجواء صدق ، و فداء يعيشه المعسكر الحسيني ، ما يجعلها في ضمن القرائن و الأدلَّة المهمَّة التي تُردُّ بها شبهة مفاوضة الإمام الحسين عليه السلام لقائد عسكر الشام ليلًا و ما قيل من خصال ثلاث إنَّها نتجت عنها[8]. إذ أحسب أنَّ مضامين الخطبة الحسينية هذه بمجملها لا تنسجم بطبيعة الحال مع مؤدَّى المفاوضة و ما يتطلَّع إليه المفاوض من مهادنة ، أو استسلام ، أو انسحاب .

جاءت خطبة الإمام الحسين عليه السلام التي يرخِّص فيها لأهل بيته ، و أصحابه في مجموعة من المصادر التاريخية والروائية . و الذي يظهر أنَّ هذه المصادر لم تتفق على نص لساني واحد ؛ ذلك بأنَّ هذه المصادر تذكر متونًا متنوِّعة لهذه الخطبة. و من المصادر ما يتعاطى معها على أنَّها مجموعة من الخطب ، فيعمد إلى تقطيعها ، و تقسيمها على خطب متعدِّدة[9].

واللافت أنَّ هذا التعدُّد اللساني لم يكن لينتج اختلافًا في مغازيها ، بل هو تعدُّد يصنع التكامل بين المتون ، و يحرص

على تبيان فكرتها، و تأكيدها ؛ ليصنع نظرًا دلاليًّا قائمًا على أساس من تكثيف بنية الوصف لبؤر الخطبة ، و التوسُّع في حشد عناصرها الكمالية ، و لا سيما في سياق وصف الآل عليهم السلام ، و وصف الأصحاب رضوان الله تعالى عليهم و بيان مقاماتهم .

سألجأ إلى فصل متون هذه الخطبة ؛ بغية الوقوف على اللسانية المخصوصة لكلِّ متن روائي ، و من ثَمَّ سأركن إلى دمج هذه المتون ؛ وصولًا إلى متن موحَّد تجتمع فيه عناصر الوصف الكمالي للآل عليهم السلام و الأصحاب رضوان الله تعالى عليهم، فضلًا عن المتممات السياقية التي تتطلَّبها هذه الخطبة الحسينية الأثيرة .

الخطبة برواية ابن سعد ت ٢٣٠ هـ :

جمعَ الحسينُ عليه السلامُ أصحابَه في ليلةِ عاشوراءَ ليلةِ الجمعةِ ، فحمدَ اللهَ و أثنى عليه ، و ذكرَ النبيَّ صلَّى الله عليه و آله و ما أكرمَه اللهُ به من النبوَّةِ ، و ما أنعمَ به على أمَّته ، و قالَ :

إنِّي لا أحسبُ القومَ إلَّا مقاتلوكم غدًا ، و قد أذِنتُ لكم جميعًا ، فأنتم في حلٍّ منِّي ، و هذا الليلُ قد غشيكم ، فمن كانت له منكم قوَّة فليضمَّ رجلًا من أهلِ بيتي و تفرَّقوا في سوادِكم ، حتَّى يأتي اللهُ بالفتحِ أو أمرٍ من عندِه ، فيصبحوا على ما أسرُّوا في أنفسِهم نادمين ، فإنَّ القومَ إنَّما يطلبونني ، فإذا رأوني لهوا عن طلبِكم .

فقالَ أهلُ بيته : لا أبقانا الله بعدكَ ، و لا نفارقكَ حتَّى يُصيبنا ما أصابكَ ، و قالَ ذلك أصحابُه جميعًا ، فقال : أثابكم اللهُ على ما تنوون الجنَّةَ .

الخطبة برواية الإمام الحسن العسكري عليه السلام تـــ ٢٦٠ هـ:

لَمَّا امتحِنَ الحسينُ عليه السلام و من معه بالعسكرِ الذين قتلوه و حملوا رأسَه قالَ لعسكرِه : أنتم في حلٍّ من بيعتي فالحقوا بعشائرِكم و مواليكم . و قالَ لأهلِ بيته : قد جعلتكم في حلٍّ من مفارقتي ، فإنَّكم لا تطيقونهم لتضاعفِ أعدادِهم و قواهم، وما المقصودُ غيري فدعوني و القومَ ، فإنَّ اللهَ عزَّ و جلَّ يعينني و لا يخليني من حسنِ نظرِه كعادته في أسلافنا الطيبينَ .

فأمَّا عسكرُه ففارقوه ، و أمَّا أهلُه و الأدنونَمن أقربائه فأبوا و قالوا : لا نفارقُكَ و يحزننا ما يحزنكَ ، و يصيبنا ما يصيبكَ، و إنَّا أقربُ ما نكونُ إلى الله إذا كنَّا معكَ .

فقالَ لهم : فإن كنتم قدَ وطَّنتم أنفسَكم على ما وطَّنت نفسي عليه فاعلموا أنَّ اللهَ إنَّما يهبُ المنازلَ الشريفةَ لعبادِه باحتمالِ المكارِه ، و أنَّ اللهَ و إن كان خصَّني – مع من مضى من أهلي الذين أنا آخرهم بقاءً في الدنيا – من الكراماتِ بما يسهل عليَّ معها احتمالُ الكريهاتِ ، فإنَّ لكم شطرَ ذلك من كراماتِ الله تعالى ، و اعلموا أنَّ الدنيا حلوها و مرُّها حلمٌ ، و الانتباه في الآخرةِ ، و الفائزُ من فاز فيها ، و الشقيُّ من شقي فيها ، أو لا أحدِّثكم بأولِ أمرنا و أمرِكم معاشرَ أوليائنا و محبينا والمعتصمين المعتصبين لنا ليسهل عليكم احتمالُ ما أنتم له مقرُّون .

قالوا بلى ، يا ابنَ رسولِ الله .

قالَ : إنَّ اللهَ تعالى لَمَّا خلقَ آدمَ و سوَّاه و علَّمه أسماءَ كلِّ شيءٍ و عرضهم على الملائكةِ جعلَ محمدًا و عليًّا و فاطمة والحسنَ و الحسينَ عليهم السلامُ أشباحًا خمسة في ظهرِ آدمَ ، و كانت أنوارُهم تضيءُ في الآفاقِ من السماواتِ و الحُجبِ والجنانِ و الكرسي و العرشِ ، فأمرَ اللهُ الملائكةَ بالسجودِ لآدمَ تعظيمًا له ، إنَّه قد فضَّله بأن جعلَه وعاءً لتلكَ الأشباحِ التي قد عمَّ أنوارُها الآفاقَ ، فسجدوا إلَّا إبليسَ أبى أن يتواضعَ لجلالِ عظمةِ اللهِ ، و أن يتواضعَ لأنوارِنا أهلَ البيتِ و قد تواضعت

لها الملائكةُ كلُّها و استكبرَ و ترفَّعَ و كانَ بإبائه و تكبُّرِه من الكافرينَ .

الخطبة برواية أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري تـــ ٢٧٩ هـ :

إنَّ الحسينَ عليه السلامُ عرضَ على أهلِه و مَن معه أن يتفرَّقوا عنه و يجعلوا الليلَ جملًا ، و قالَ : إنَّما القومُ يطلبونني و قد و جدوني ، و ما كانت كتبُ مَن كتب إليَّ – فيما أظنُّ – إلَّا مكيدةً لي و تقرُّبًا إلى ابنِ معاويةَ بي ، فقالوا : قبَّحَ اللهُ العيشَ بعدكَ .

الخطبة برواية محمد بن جرير الطبري تـــ ٣١٠ هـ :

عن أبي مخنفٍ ، عن عبد الله بن شريك العامري ، عن علي بن الحسينِ زينِ العابدينَ عليه السلامُ . قالَ : جمعَ الحسينُ عليه السلامُ أصحابَه ، و سمعته يقولُ: أثني على الله تباركَ و تعالى أحسنَ الثناءِ ، و أحمدُه على السرَّاءِ و الضرَّاءِ ، اللهمَّ إنِّي أحمدُكَ على أن أكرمتنا بالنبوَّة ، و علمتنا القرآنَ ، و فقهتنا في الدينِ ، و جعلت لنا أسماعًا و أبصارًا و أفئدةً ، و لم تجعلنا من المشركينَ. أمَّا بعدُ ، فإنِّي لا أعلمُ أصحابًا أولى ، و لا خيرًا من أصحابي ، و لا أهلَ بيتٍ أبرَّ ، و لا أوصلَ من أهلِ بيتي ، فجزاكم اللهُ عنِّي جميعًا خيرًا ، ألا و إنِّي أظنُّ يومنا من هؤلاءِ الأعداءِ غدًا ، ألا و إنِّي أذِنتُ لكم ، فانطلقوا جميعًا في حلٍّ ، ليس عليكم منِّي ذِمامٌ ، هذا ليلٌ قد غشيكم فاتخذوه جملًا . ثُمَّ ليأخذ كلُّ رجلٍ منكم بيدِ رجلٍ من أهلِ بيتي ، تفرَّقوا في سوادِكم و مدائنِكم حتَّى يفرِّجَ اللهُ ، فإنَّ القومَ يطلبوني و لو قد أصابوني لهوا عن طلبِ غيري .

الخطبة برواية ابن أعثم الكوفي تـــ ٣١٤ هـ :

جمعَ الحسينُ عليه السلامُ أصحابَه بينَ يديه، و حمدَ اللهَ و أثنى عليه ، و قالَ : اللهمَّ لك الحمدُ على ما به فضَّلتنا ، و علَّمتنا من القرآنِ ، و فهَّمتنا في الدينِ ، و أكرمتنا به من كرامةِ رسولِ الله صلَّى الله عليه و آله و سلَّم و جعلت لنا أسماعًا و أبصارًا وأفئدةً ، و جعلتنا من الشاكرينَ . ثُمَّ أقبلَ عليهم ، و قالَ :إنِّي لا أعلمُأصحابًا أصحُّ منكم و لا أعدلَ ، و لا أفضلَ أهلِ بيتٍ، فجزاكم اللهُ عنِّيخيرًا ،فهذا الليلُ قد أقبلَ فقوموا و اتخذوه جملًا ، و ليأخذ كلُّ رجلٍ منكم بيدِ صاحبِه أو رجلٍ من إخوتي وتفرَّقوا في سوادِ هذا الليلِ و ذروني و هؤلاءِ القومِ ، فإنَّهم لا يطلبون غيري ، و لو أصابوني و قدروا على قتلي لما طلبوكم.

الخطبة برواية الشيخ الصدوق تـــ ٣٨١ هـ :

قامَ الحسينُ عليه السلامُ في أصحابِه خطيبًا فقالَ : اللهمَّ إنِّي لا أعرفُ أهلَ بيتٍ أبرَّ و لا أزكى و لا أطهرَ من أهلِ بيتي، ولا أصحابًا هم خيرٌ من أصحابي ، و قد نزلَ بي ما قد ترونَ و أنتم في حلٍّ من بيعتي ، ليست لي في أعناقكم بيعةٌ ، و لا لي عليكم ذِمَّةٌ ، و هذا الليلُ قد غشيكم فاتخذوه جملًا و تفرَّقوا في سوادِه فإنَّ القومَ إنَّما يطلبوني ، و لو ظفروا بي لذهلوا عن طلبِ غيري .

الخطبة برواية الشيخ المفيد تـــ ٤١٣ هـ :[١٠]

عن أبي مخنفٍ ، عن عبد الله بن شريك العامري ، عن علي بن الحسينِ زينِ العابدينَ عليه السلامُ . قالَ : جمعَ الحسينُ عليه السلامُ أصحابَه ، و سمعته يقولُ : أثني على الله تباركَ و تعالى أحسنَ الثناءِ ، و أحمدُه على السرَّاءِ و الضرَّاءِ ، اللهمَّ إنِّي أحمدُكَ على أن أكرمتنا بالنبوَّة ، و علمتنا القرآنَ ، و فقهتنا في الدينِ ، و جعلت لنا أسماعًا و أبصارًا و أفئدةً فاجعلنا من الشاكرينَ.

أمَّا بعدُ ، فإنِّي لا أعلمُ أصحابًا أوفى، و لا خيرًا من أصحابي ، و لا أهلَ بيتٍ أبرَّ ، و لا أوصلَ من أهلِ بيتي، فجزاكم اللهُ عنِّي جميعًا خيرًا ، ألا و إنِّي لأظنُّ أنَّه آخرُ يومٍ لنا من هؤلاءِ ، ألا و إنِّي قدأذِنتُ لكم ، فانطلقوا جميعًا في حلٍّ ، ليس عليكم منِّي ذِمامٌ، هذا الليلُ قد غشيكم فاتخذوه جملًا .

الخطبة برواية ابن عساكر تـــ ٥٧١ هـ :[11]

جمعَ الحسينُ عليه السلامُ أصحابَه في ليلةِ عاشوراءَ ليلةِ الجمعةِ ، فحمدَ اللهَ و أثنى عليه ، و ذكرَ النبيَّ صلَّى الله عليه و آله و ما أكرمه اللهُ به من النبوَّةِ ، و ما أنعمَ به على أمَّته ، و قالَ :

إنِّي لا أحسبُ القومَ إلَّا مقاتلوكم غدًا ، و قد أذِنتُ لكم جميعًا ، فأنتم في حِلٍّ منِّي ، و هذا الليلُ قد غشيكم ، فمن كانت له منكم قوَّةٌ فليضم رجلًا من أهلِ بيتي و تفرَّقوا في سوادِكم ، حتَّى يأتي اللهُ بالفتحِ أو أمرٌ من عنده ، فيصبحوا على ما أسرُّوا في أنفسِهم نادمينَ ، فإنَّ القومَ إنَّما يطلبونني ، فإذا رأوني لهوا عن طلبِكم .

فقالَ أهلُ بيتِه : لا أبقانا اللهُ بعدكَ ، و لا نفارقكَ حتَّى يصيبنا ما أصابكَ ، و قالَ ذلكَ أصحابُه جميعًا ، فقالَ : أثابكم اللهُ على ما تنوون الجنَّةَ .

الخطبة برواية قطب الدين الراوندي تـــ ٧٥٣ هـ :

عن أبي حمزةَالثمالي ، عن علي بن الحسينِ زينِ العابدينَ عليه السلامُ ، قالَ : كنتُ مع أبي الليلةَ التي قُتلَ صبيحتها ، فقالَ لأصحابِه : هذا الليلُ فاتخذوه جملًا ، فإنَّ القومَ إنَّما يريدونني ، و لو قتلوني لم يلتفتوا إليكم ، و أنتم في حِلٍّ و سعةٍ . فقالوا: لا، و الله لا يكون هذا أبدًا . قال : إنَّكم تقتلون غدًا كذلك ، لا يفلت منكم رجلٌ . قالوا : الحمدُ لله الذي شرَّفنا بالقتلِ معكَ. ثم دعا ، و قالَ لهم : ارفعوا رؤوسَكم و انظروا . فجعلوا ينظرونَ إلى مواضعِهم و منازلِهم من الجَنَّةِ .

و في رواية ثانية له أيضًا :

روي عن زينِ العابدينَ عليه السلامُ أنَّه قالَ : لَمَّا كانت الليلةُ التي قُتلَالحسينُ عليه السلامُ في صبيحتِها قامَ في أصحابِه ، فقالَ عليه السلامُ : إنَّ هؤلاءِ يريدونني دونكم ، و لو قتلوني لم يقبلوا إليكم ، فالنَّجاءَ النَّجاءَ و أنتم في حِلٍّفإنَّكم إن أصبحتم معي قُتلتم كلُّكم .فقالوا : لا نخذلُك ، و لا نختارُ العيشَ بعدك . فقالَ عليه السلامُ : إنَّكم تُقتلون كلُّكم حتَّى لا يفلت منكم واحدٌ .

الخطبة برواية السيد هاشم البحراني تـــ ١١٠٧ هـ :

عن أبي حمزةَالثمالي قالَ سمعت علي بن الحسينِ زينَ العابدينَ عليهما السلامُ يقولُ : لَمَّا كان اليوم الذي استشهد فيه أبي، جمعَ أهلَه و أصحابَه في ليلةِ ذلك اليومِ فقالَ لهم : يا أهلي و شيعتي اتخذوا هذا الليلَ جملًا لكم فانهجوا بأنفسِكم ، فليس المطلوبُ غيري ، و لو قتلوني ما فكَّروا فيكم ، فانجوا رحمكم اللهُ فأنتم في حِلٍّ و سعةٍ من بيعتي و عهدي الذي عاهدتموني .

فقالَ إخوتُه و أهلُه و أنصارُه بلسانٍ واحدٍ : و الله يا سيِّدنا يا أبا عبدِ الله ، لا خذلناكَ أبدًا و الله ، لا قالَ الناس : تركوا إمامَهم و سيِّدهم وحدَه حتَّى قُتلَ . و نبلوا بيننا و بين الله عذرًا ، و لا نخليكَ أو نقتلُ دونكَ .

فقالَ عليه السلامُ لهم : يا قومُ ، إنِّي في غدٍ أُقتلُ و تُقتلونَ كلُّكم معي و لا يبقى منكم واحدٌ . فقالوا : الحمدُ لله الذي

أكرمنا بنصرِكَ و شرَّفنا بالقتلِ معكَ ، أو لا نرضى أن نكونَ معكَ في درجتِك يا ابنَ رسولِ اللهِ . فقالَ عليه السلامُ : جزاكم اللهُ خيرًا .

الخطبة برواية المولى محمد باقر البهبهاني تـــ ١٢٥٨ هـ :

عن السيدةِ سكينةِ بنتِ الإمامِ الحسينِ عليهما السلامُ ، قالت : إذا بأبي الحسينِ عليه السلامُ جالسٌ و حولَه أصحابُه و هو يبكي و سمعته يقول لهم : اعلموا ، أنَّكم خرجتم معي لعلمِكم أنِّي أقدمُ على قومٍ بايعوني بألسنتِهم و قلوبِهم ، و قد انعكسَ الأمرُ لأنَّهم استحوذَ عليهم الشيطانُ فأنساهم ذكرَ الله ، و الآن ليس لهم مقصدٌ إلَّا قتلي و قتلَ مَن يجاهدُ بين يديَّ ، و سبي حريمي بعد سلبِهم ، و أخشى أن تكونوا ما تعلمون و تستحيون . و الخدعُ عندنا أهلَ البيتِ محرَّمٌ ، فمَن كرِه منكم ذلك فلينصرف ، فالليلُ ستيرٌ ، و السبيلُ غيرُ خطيرٍ ، و الوقتُ ليسَ بهجيرٍ ، و مَن واسانا بنفسِه كان معنا غدًا في الجنانِ نجيًّا من غضبِ الرحمنِ، و قد قالَ جدِّي محمد صلَّى الله عليه و آله : ولدي الحسينُ يُقتلُ بأرضِ كربلاءَ غريبًا وحيدًا عطشانًا فريدًا ، فمن نصرَه فقد نصرني و نصرَ ولدَه القائمَ ، و لو نصرنا بلسانِه فهو في حزبِنا يومَ القيامةِ .

الملاحظ على هذه الروايات بمجملها أنَّها تشتغل على التسامح في اللفظ ، و الالتفات إلى المضمون بألفاظ متنوِّعة. ويظهر في بعضها تركيز على مواقف أهل بيته عليهم السلام و أصحابه الكرام رضوان الله تعالى عليهم ، و تركيز على مقالاتهم للحسين عليه السلام إثر سماعهم مقالته .

و الظاهر أنَّ هذه الروايات تنقسم على قسمين : روايات تهتمُّ بالترخيص ، و ما تلاه من مواقف الآل عليهم السلام والأصحاب رضوان الله تعالى عليهم ، و روايات تهتمُّ بمقالة الإمام الحسين عليه السلام في أهل بيته عليه السلام و أصحابه رضوان الله تعالى عليهم، و ما ذكره فيهم من صفات و كمالات . و تجدر الإشارة إلى أنَّ تباينًا قد وقع في الروايات التي تذكر الآل عليهم السلام و الأصحاب رضوان الله تعالى عليهم ، فمنها ما يقدِّم الأصحاب رضوان الله تعالى عليهم ، و منها ما يؤخِّرهم و يقدِّم الآل عليهم السلام . و من الباحثين الناظرين في رواية واحدة قد تقدَّم فيها ذكر الأصحاب رضوان الله تعالى عليهم على الآل عليهم السلام من يذهب إلى أنَّ الإمام الحسين عليه السلام قدَّم ذكرهم ((اهتمامًا و إكبارًا بموقفهم العظيم)) [١٢] . و ليس هذا ببعيد ، غير أنَّ ذكره الكمالات التي فيهم يحفظ لهم غاية الإكبار و إن تأخَّر ذكرهم .

أمَّا روايتها عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام فكانت في سياق بيان معنى تعليم الله تعالى آدم الأسماء ، و أمر السجود ؛ لذلك فقد كان البيان مشتملًا على ذكر الامتحان ، و الترخيص ، و كرامات الله تعالى لأهل البيت عليهم السلام. بمعنى أنَّ رواية هذه الخطبة لم يكن الهدف منها الخطبة نفسها بل الوصول إلى مضمون السجود و خلق أنوار أهل البيت عليهم السلام ، و تعلُّق السجود بتعظيم آدم عليه السلام ، و تعظيم هؤلاء الأنوار عليهم السلام أيضًا .و يبدو أنَّ مجموعة هذه الروايات تتكامل في هذا السياق ، إذ يمكن أن ننظر في الخطبة الشريفة على النحو الآتي :

جمعَ الحسينُ عليه السلامُ أصحابَه بين يديه . و قالَ : أُثني على الله تباركَ و تعالى أحسنَ الثناءِ ، و أحمدُه على السرَّاءِ والضرَّاءِ ، اللهمَّ إنِّي أحمدُكَ على ما به فضَّلتنا ، و أكرمتنا بالنبوَّةِ ، و علَّمتنا القرآنَ ، و فقَّهتنا في الدينِ ، و جعلت لنا أسماعًا و أبصارًا و أفئدةً ، و جعلتنا من الشاكرينَ ، و لم تجعلنا من المشركينَ . أمَّا بعدُ ، فإنِّي لا أعرفُ أهلَ بيتٍ أبرَّ و لا أوصلَ ، و لا أزكى ، و لا أطهرَ ، و لا أفضلَ من أهلِ بيتي ، و لا أعلمُ أصحابًا أوفى و لا أوليو لا أصحَّ و لا أعدلَ ، و لا خيرًا من أصحابي ، فجزاكم الله عنِّي جميعًا خيرًا ، اعلموا ، أنَّكم خرجتم معي لعلمكم أنِّي أقدِم على قومٍ بايعوني بألسنتِهم و قلوبِهم، و قد انعكسَ الأمرُ لأنَّهم استحوذَ عليهم الشيطانُ فأنساهم ذكرَ اللهِ. و قد نزلَ بي ما قد ترونَ ، ألا و إنِّي أظنُّ يومنا من

هؤلاء الأعداء غدًا ،ألا و إنِّي قدأذِنت لكم ، فانطلقوا جميعًا فأنتمفي حِلٍّ من بيعتي و عهدي الذي عاهدتموني ، ليست لي في أعناقكم بيعةٌ ، و ليس عليكم منِّي ذِمامٌ ، و هذا الليلُ قد أقبلَ،و قد غشيكم فقوموا و اتخذوه جملًا ، فالليلُ ستيرٌ ، و السبيلُ غيرُ خطيرٍ ، و الوقتُ ليسَ بهجيرٍ ، و من واسانا بنفسِه كانَ معنا غدًا في الجنانِ نجيًّا من غضبِ الرحمنِ، و قد قالَ جدِّي محمد صلَّى الله عليه و آله : ولدي الحسينُ يُقتلُ بأرضِ كربلاءَ غريبًا وحيدًا عطشانًا فريدًا ، فمَن نصرَه فقد نصرني و نصرَ ولدَه القائمَ ، و لو نصرنا بلسانِه فهو في حزبِنا يومَ القيامةِ . و ليأخذْ كلُّ رجلٍ منكم بيدِ صاحبِه أو رجلٍ من أهلِ بيتي، و تفرَّقوا في سوادِكم ، و مدائنِكم حتَّى يأتي اللهُ بالفتحِ أو أمرٌ من عنده ، فيصبحوا على ما أسرُّوا في أنفسِهم نادمين ، و ذروني و هؤلاءِ القومِفإنَّ اللهَ عزَّ و جلَّ يعينني و لا يخليني من حسنِ نظرِه كعادتِه في أسلافِنا الطيبينَ، فإنَّهم ليسَ لهم مقصدٌ إلَّا قتلي ، و قتلَ من يجاهدُ بين يدي ، و سبي حريمي بعد سلبِهم ، و إنَّما يريدونني ، و يطلبونني دونكم، و قد وجدوني ، و لو ظفروا بي ، وأصابوني ، و قدروا على قتلي لذهلوا، و لهوا عن طلبِ غيري ، و لم يُقبِلوا ، و يلتفتوا إليكم . و أخشى أن تكونوا ما تعلمونَ، و تستيحونَ . و الخدعُ عندنا أهلَ البيتِ محرَّمٌ ، فالنَّجاءَ النَّجاءَ .

فقالوا : لا ، و الله لا يكونُ هذا أبدًا . قالَ : إنَّكم إن أصبحتم معي قُتلتم كلُّكم ، حتَّى لا يفلت منكم رجلٌ . فقالوا : لا نخذلك ، و قبَّحَ اللهُ العيشَ بعدك ، الحمدُ لله الذي أكرمنا بنصرِك ، و شرَّفنا بالقتلِ معك ، أو لا نرضى أن نكونَ معك في درجتك يا ابنَ رسولِ الله .

فقالَ عليه السلامُ : جزاكم اللهُ خيرًا . ثم دعا لهم بخيرٍ ، فقالَ : أثابكم اللهُ على ما تنوون الجنَّةَ . و قالَ لهم : ارفعوا رؤوسَكم ، و انظروا . فجعلوا ينظرونَ إلى مواضعِهم ، و منازلِهم من الجنَّةِ .

تجدر الإشارة إلى أنَّ الزيادات التي جاءت على هذه الخطبة قد كانت في مواضع بعينها ، و لعلَّ هذه الزيادات أو التنوُّعات اللسانية مردُّها إلى مظاهر الثراء اللغوي ، و تقارب دلالة غير واحد من الألفاظ ، فضلًا عن رصد صاحب المتن الروائي مكمنًا من مكامن الخطبة و ظنِّه أنَّه مما يمكن التسامح فيه على سبيل اللفظ .

و لعلَّ في هذا من جهة أخرى ما يمثِّل عناية من صاحب المتن الروائي بعنصر من عناصر الخطبة الحسينية في ضوء أهدافه و مقاصده التي يسوق الخطبة فيها .

و من الأهمية بمكان أن نحدِّد المواضع التي أصابها التنوُّع أو التبديل ؛ بغية إيجاد تفسير آخر لهذه الزيادات اللسانية أو التنويعات . و هذه المواضع سأبينها عند الكلام على الفقرات المتعلِّقة بمضامين الخطبة .

الثاني – دوال الكمال الذاتي و القيمي في الخطبة

أ- دوال الكمال الذاتي لأهل بيته عليهم السلام

تتضمَّن الخطبة مجموعة من الدوال التي تمثِّل مظاهر الكمال الذاتي الذي يتمتَّع به أهل بيت الحسين عليهم السلام ممن حضر معه كربلاء . و هذه الدوال تتجلَّى في محاور البِرِّ ، و الطُّهر ، و التزكية ، و الفضل .

١ – ما يدلُّ على كمال البِرِّ و الوصل . و استعمل لهما :

أبرَّ :

يدلُّ البِرُّ على الأعمال الحسنة [١٣] ، الصِّلة [١٤] ، و الخير [١٥] ، والتوسُّع في فعله[١٦] . و يستعمل هذا المفهوم مع الله جلَّ و علا ، و مع العبد ؛ للدلالة على أنَّ الله سبحانه يتوسَّع في الثواب عندما يتوسَّع العبد في طاعته ، بمعنى أنَّه ((من الله تعالى الثواب، و من العبد الطاعة)) [١٧] .

و البِرُّ : الدين ، و الطاعة [١٨] ، و الصدق[١٩] ، و التُّقى [٢٠] ، و التوسُّع في الإحسان إلى الوالدين ، و المُحسن إليهما بارٌّ وبَرٌّ[٢١] . ومنه قوله تعالى : { وَ بَرًّا بِوَالِدَتِي } [٢٢] . و السياق في الخطبة الحسينية يحشد لهذا الاستعمال هذه الدلالات .

أوصلَ :

الوصلُ : القرابة ، و المصاهرة [٢٣] ، و اللأم ، و الاتصال ، و البلوغ [٢٤] .

و يدلُّ في كلام الإمام الحسين عليه السلام على التعلُّق به ، و عدم مفارقته .

و آل الحسين عليهم السلام في كربلاء كانوا بررة برحمهم به ، و أصدق بمواقفهم ، و اعتقادهم بولايته . بمعنى أنَّ هذين الاستعمالين ينفتحان على الدلالة ذات الأفق الاجتماعي ، و الأسري من جهة ، و ذات الأفق العقائدي من جهة ثانية. والآل عليهم السلام في كربلاء قد تعاطوا مع الحسين عليه السلام بلحاظ الانتماء الأسري ، و الانتماء العقدي فجمعوا بذلك ولاءهم له إمامًا ، و حبَّهم له أخًا ، و أبًا ، و عمًّا ، و خالًا ...

و استعمال هذين الدالَّين يضعان الإمام الحسين عليه السلام في مقام الأب لمن حضر معه كربلاء من أهل بيته عليهم السلام ؛ و من ثَمَّ تأتي الدلالة على لزوم أن يُبرَّ ، و يُوصل . و من جهة أخرى يؤسِّس هذان الاستعمالان بدلالتهما هذه لوضع الأمَّة أمام خيارها في ضرورة نصرته ، و ولايته ؛ ذلك بأنَّ مقامه الأبوي الروحي لا يقتصر على آله هو ، بل يتعدَّاه ليشمل أمَّة الإسلام . و هذه الدلالة هي ما يضمره الخطاب الحسيني في هذا السياق ، إذ لعلَّه لم يشأ أن يقتصر في إظهار البِرِّ ، و الوصل مقتصرين على أسرته عليه السلام ؛ فهو ينعى الأمَّة التي تركت برَّه ، و وصله عليه السلام و هو الأحقُّ بذلك .

٢- ما يدل على كمال الطُّهر والتزكية . و استعمل لها :

أزكى :

تأتي مادة هذا الدليل اللفظي للدلالة على الطهارة [٢٥] ، و الصلاح [٢٦] ، و النمو ، و البركة ، و مجافاة الحرام ، إذ يتحرَّى الإنسان ما يُطهِّره[٢٧]، و يرقى به . و هذه الدلالات مطلوبة في سياق الآل عليهم السلام ، و لا سيما أنَّهم قد توجَّهوا إلى الله سبحانه و تعالى ، و اختاروا نصرة الحسين عليه السلام و فداءه ، و محاربة المارقين رغبة في الدين ، و زهدًا في الدنيا .

و هذا المقام تتجلَّى صيرورته الإنسانية [٢٨]تارة بفعل الله الخالق العظيم . يقول تعالى : { بَلِ اللهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ } [٢٩]، وتارة بفعل النبي صلَّى الله عليه و آله و سلَّم . يقول تعالى : { يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَ يُزَكِّيكُمْ } [٣٠] ، و تارة بفعل العبد نفسه . يقول تعالى : { قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا } [٣١] .

تجدر الإشارة إلى أنَّ هذه التزكية تكون آلتها العبادة ، و اجتباء الله تعالى ، كما في قوله تعالى : { لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا}[٣٢]. و يكون ذلك من خلال ((أن يجعل بعض عباده عالمًا و طاهر الخُلُق لا بالتعليم و الممارسة بل بتوفيق إلهي ، كما يكون لجلِّ الأنبياء و الرسل))[٣٣] . و الزكي في هذا السياق هو الطاهر المبارك [٣٤] .

و هؤلاء الآل عليهم السلام قد تضافرت عليهم هذه العوامل فأنتجت زكاتهم ؛ فهم قد فعلوا ذلك ، و عملوا عليه في حياتهم ، فاختاروا تهذيب أنفسهم ، و الانحياز بها إلى الفضيلة ، و محمود المقام .

أطهرَ :

الطُّهر و الطهارة : نقيض النجاسة [٣٥]. و ((الطهارة ضربان : طهارة جسم ، و طهارة نفس)) [٣٦]. و هو في قوله تعالى : { ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَ أَطْهَرُ }[٧٣] يدلُّ على التنزيه عن فعل المشركين [٨٣] .

و لا شكَّ في أنَّه في الخطاب الحسيني جاء للدلالة على الطهارة النفسية ، و إحراز طريق الهدى و الولاية ، و ترك الذنب، والعمل للصلاح والإصلاح ، والتوجُّه إلى الخير ، و نزع حبِّ الدنيا ؛ وصولًا إلى الرغبة في الشهادة بين يدي إمام حقٍّ عدل .

و من الثابت أنَّ ((بزكاء النفس و طهارتها يصير الإنسان بحيث يستحق في الدنيا الأوصاف المحمودة ، و في الآخرة الأجر و المثوبة)) [٣٩] .

٣- ما يدلُّ على كمال الفضل. و استعمل له :

أفضلَ :

الفضل : الزيادة[٤٠]، و الإحسان ، و الرحمة [٤١]، و المزيَّة . و الفضيلة : أعلى درجات الفضل و أرفعها [٤٢] .

بعد أن جمع الإمام الحسين عليه السلام لأهل بيته عليهم السلام الكرام البررة أعلى الخلال من البِرِّ ، و الوصل، والتزكية، والطهارة لم يبق إلَّا أن يكونوا أفضل آل ؛ فجاء ما يدلُّ على ذلك لتكتمل صورتهم الكمالية التي تجلَّت فيها من مظاهر الكمال، و بناء الذات أعلاها . فهم بررة واصلون زاكون طاهرون مطهَّرون.

و هذه الدوال اللسانية التي جاءت على أفعل التفضيل مما جرى فيه التنوُّع ، إذ إنَّ « أزكى « ، و « أطهرَ « ورد ذكرهما في رواية الشيخ الصدوق .و اشترك الطبري و الصدوق و المفيد في أن ذكروا « أبرَّ «. و ذكر الطبري و الشيخ المفيد « أوصلَ « ، في حين ذكر ابن أعثم الكوفي « أفضلَ » . و يظهر أنَّ الشيخ الصدوق قد أظهر عناية كبرى بمظاهر الكمال الذاتي هنا ؛ فجمع « أبرَّ » ، و « أزكى » ، و « أطهرَ » ، بينما ركَّز الطبري و المفيدعلى مظاهر أسرية فذكرا « أبرَّ » ، و « أوصلَ » . أمَّا ابن أعثم الكوفي فمال إلى الاقتضاب ، و اختزل المظاهر الكمالية فاختار لها « أفضلَ » .

و هذه الاستعمالات مما يطلبه السياق و إرادة إنتاج المعنى المستوعب لمظاهر كمال الآل عليهم السلام في كلامه عليه السلام . بمعنى أنَّنا أمام تكامل لمنظومة الكمال ، و عناصرها النوعية التي تتجلَّى عند هؤلاء الصفوة .

من هنا فإنَّ الإمام الحسين عليه السلام يكون قد أراد هذه الصفات كلَّها ليصف بها أهل بيته عليهم السلام ممن حضر معه كربلاء . و تظهر عناية الإمام الحسين عليه السلام بالصفات المعنوية و الكمالات الذاتية ؛ إذ استعمل « أزكى » ، و «أطهرَ»، و «أفضلَ» . مع لحاظ أنَّه لم يجاف صفات العلاقات الأسرية و ما يتصل بالرحم و الوصال ؛ فيكون بهذا الاستعمال قد أحاط بما ينبغي أن يكون عليه أهل بيته عليهم السلام ، ليضعهم للناس أسوة .

ب- دوال الكمال القيمي لأصحابه عليه السلام

تأتي في الخطبة مجموعة من الدوال التي تمثِّل مظاهركمال أصحاب الإمام الحسين عليه السلام ممن حضر معه كربلاء رضوان الله تعالى عليهم . و هذه الدوال تتجلَّى في محاور الفكر ، و العدل ، و الوفاء ، و المنزلة المقدَّمة ، و الخير .

١ - ما يدلُّ على كمال الرأي و رجاحته . و استعمل له :

أصحَّ :

تستعمل مادة هذا اللفظ للدلالة على ((البراءة من كلِّ عيب)) [٤٣] . و هو في كلام الإمام في سياق وصف الأصحاب رضوان الله تعالى عليهم يدلُّ على سلامة الرأي ، و حسن صنيعهم ، و موالاتهم الحق . بمعنى أنَّه يعطي الدلالة على سلامة مواقفهم ، و صحَّة عقيدتهم .

٢ - ما يدلُّ على كمال العدل . و استعمل له :

أعدلَ :

العدل : الاستقامة [٤٤]، و الإنصاف [٤٥]. و يجعل الإمام الحسين عليه السلام أصحابه رضوان الله تعالى عليهم في مقام العدل ؛ ليؤكِّد سلامة قلوبهم ، و صدق إيمانهم ، و ليشير إليأنَّهم قد توخَّوا العدل علمًا و عملًا ، و ختموا ذلك بأن كانوا معه

يقدِمون على الفداء و البذل .

و هذه الدلالات كلُّها يحفظها السياق لهذا الاستعمال في خطبته عليه السلام . و هو إذ يصفهم بهذا الوصف الكمالي الكبير يضع يده على أهم المظاهر التي ينبغي أن يتحلَّى بها أهل النهضة و الإصلاح و التغيير .

٣- ما يدلُّ على كمال الوفاء . و استعمل له :

أوفى :

الوفاء: خلاف الغدر. و في مادته دلالة على بذل المجهود[٤٦]، و وعي العمل. و في (أوفى) دلالات على التمام، و الكثرة، و الإشراف [٤٧].و يجعل الإمام الحسين عليه السلام أصحابه رضوان الله تعالى عليهم في المقام الأكمل وفاءً و ولاءً، و وضوح أهداف ، و كبير استعداد؛ ليبيِّن أنَّهم قد مارسوا الوفاء، و الإخلاص بلا فتور، فقادهم وفاؤهم إلى مذبح التضحية، والفداء.

و تجدر الإشارة إلى أنَّ هذا الاستعمال في الخطاب الحسيني يضع الصحبة في سياقها العقدي المتضمِّن الإشارة إلى الإيمان، و الولاء ، و العشق في الله تعالى ؛ وصولًا إلى نيل ثوابه ، و رضوانه .

٤- ما يدلُّ على كمال المكانة و الأحقية . و استعمل له :

أولى :

تستعمل (أولى) للدلالة على الوصية ،و الرعاية[٤٨] . و قولهم أولى بالشيء معناه أحْرَى ، و أجدر[٤٩]، و أحقُّ ، و أقرب [٥٠].

و معناه في قول الإمام الحسين عليه السلام في أصحابه رضوان الله تعالى عليهم أنَّهم المختارون المفضَّلون المحبوبون عنده ، و عند الله تعالى . و أنَّهم الأحقُّ بنصره ، و التضحية من أجل الدين و قيمه .

٥- ما يدلُّ على كمال الخير. و استعمل له :

خيرًا :

خار الرجلَ على غيره فضَّله . و يقولون في التفضيل : هو أخير منك ، و خيرك منك [٥١] . و غير خاف أنَّ الإمام الحسين عليه السلام يرى أصحابه رضوان الله تعالى عليهم في هذه المكانة بين الناس ، و لا سيما أنَّهم قد حازوا من الخِلال ما لم يحزه غيرهم ، و لا سيما مسارعتهم إلى نصرته ، و البراءة من أعدائه ، فهو عليه السلام قد ((وقف على نيَّات أصحابه الشهداء فأعطاهم شهادة استحقاق في الفداء المشروع ، و الكفاح المحمود ، و الجهاد المشكور))[٥٢] ، و هذا ما قد كان صدح به: ((والله لقد بلوتهم فما وجدت فيهم إلَّا الأشوس الأقعس ، يستأنسون بالمنية دوني استئناس الطفل بمحالب أمِّه))[٥٣] .

والملاحظ أنَّ هذه الاستعمالات اللسانية التي جاءت على أفعل التفضيل أيضًا لم ينتظم ذكرها في روايات الخطبة ، فقد تنوَّع استعمالها ، إذ ذكر ابن أعثم الكوفي « أصحَّ » ، و « أعدلَ » . أمَّا» أوفى » فانفرد بروايتها الشيخ المفيد ، و انفرد أيضًا الطبري بذكر « أولى » ، في حين اشترك الطبري و الصدوق في استعمال « خير » .

و من الملاحظ الروائية هنا أنَّ ابن جرير الطبري و الشيخ الصدوق قد اشتركا مرَّتين في ذكر بعض الاستعمالات ، مرَّة في سياق وصف مقام الآل عليهم السلام ، و مرَّة في سياق وصف مقام الأصحاب رضوان الله تعالى عليهم . و مثلما انفرد الطبري و ابن أعثم في ذكر بعض الصفات الكمالية في سياق وصف الآل عليهم السلام انفردا أيضًا في ذكر بعض صفات الأصحاب رضوان الله تعالى عليهم .

و يظهر هنا أنَّ ابن أعثم الكوفي قد توسَّع في سياق وصف الأصحاب رضوان الله تعالى عليهم ، على العكس من سياق وصف الآل عليهم السلام الذي اقتضب فيه . أمَّا الطبري الذي ذكر « أولى » فلعلَّه يلحظ فيها جانبًا عسكريًّا قتاليًّا . و لمَّا ذكر« خيرًا » التي اشترك معه فيها الشيخ الصدوق كان أراد الإلمام بمظهر روحي . و معنى هذا أنَّ الطبري أراد أن يستوعب

اللحاظين العسكري و القيمي . و كان الشيخ الصدوق هو من مال إلى الاقتضاب في سياق وصف الأصحاب رضوان الله تعالى عليهم ، فاختزل المظاهر الكمالية في « خير » .

و غير خاف أنَّ جلالة المرتقى لا تنالها إلَّا الثُّلة القليلة [٥٤] ممن ((التصقوا بالحسين عليه السلام حتَّى أصبحوا منه مكان أعضاء الجسد ، و دخلوا في نفسه حتَّى انسابوا في مجاري النفس ، لم يتلكَّأوا و لم يتوانوا و لم يتخاذلوا ... و هذا كلُّه يشير إلى عظمة القائد و سمو المقصد و نبل المجاهدين)) [٥٥]الذين ((عرف الحسين عليه السلام منهم صدق النية و الإخلاص))[٥٦]، وحازوا من الطاقات أرفعها [٥٧] ، و من الإباء ، و الإخلاص حظًّا كبيرًا ، و كانوا يعيشون فرحة اللقاء بالنعيم [٥٨]؛ فيأتي استعمال هذه الموارد تتويجًالما بلغه هؤلاء الأصحاب من مراتب الكمال المعنوي ، إذ ((كانوا يمثِّلون الطليعة الواعية في عصرهم التي تعيش آلام المجتمع و آماله ، و تقف على كلِّ ما يهدِّد المسلمين المؤمنين في سلوكهم و عقيدتهم و حياتهم المادية والمعنوية ، لذلك انضمُّوا إلى الثورة بمجرَّد أن سمعوا بها و عرفوا قيادتها النبيلة التي تمثَّلت بسيد شباب أهل الجنَّة)) [٥٩]. بمعنى أنَّنا أمام تكامل، و تصاعد لمنظومة الكمال ، و عناصرها النوعية التي تتجلَّى عند هؤلاء الصفوة الذين بذلوا مهجهم دون الحسين عليه السلام .

واللافت أنَّ هذه العناصر الكمالية التي نطق بها الإمام الحسين عليه السلام ، و وسم بها أهل بيته عليهم السلام وأصحابه الكرام رضوان الله تعالى عليهم جاءت كلُّها في صميم العناصر الكمالية المعنوية ، و الروحية ، و النفسية، بعيدًا عن أي مظهر من مظاهر القوَّة ، و الشجاعة ، و فنون الحرب ، و القتال ؛ ذلك بأنَّ الإمام عليه السلام أراد أن يلفت إلى أنَّ المقام مقام اعتقاد ، و ولاية ، و هو أعلى من أن ينقصه ذكر صفات العسكر ، و الحرب ، و الشجاعة، و فنون القتال . و أراد أيضًا أن يؤكِّد أنَّ المعركة التي هو في صدد خوضها معركة إيمان ، و روح ؛ فعدَّد في سياق الاستعداد لها خِلالًا معنوية كبرى . بمعنى أنَّ المعركة تستلزم عناصر البناء الذاتي ، و فرادة الأرواح ، و خلوصها إلى بارئها العظيم، و إمامها الهادي ، و الفناء فيهما عشقًا يكون الموت أدنى أماراته .

لقد عاش أهل بيت الحسين عليهم السلام و أصحابه رضوان الله تعالى عليهم حالة من المحبَّة ، و الحميمية كبرى، فاندفعوا يعبِّرون عنها بالتضحية ، و الفداء بعد أن امتلكوا رؤية واضحة عن حركتهم النضالية الشريفة[٦٠] ؛ فكانوا بحق ((لا نظير لهم في تاريخ الصحبة))[٦١]، و النصرة ، و الوفاء العقدي .

أمَّا القرآنية التي تطبع هذه الدوال فهي واضحة ، إذ إنَّ الإمام الحسين عليه السلام في اختياراته الكمالية التي أرادها وصفًا في هذا السياق لم يفارق الخطاب القرآني ، فجاءت العناصر التي فضَّل بها أهل بيته عليهم السلام و أصحابه رضوان الله تعالى عليهم ذات انتماء قرآني ؛ ليؤكِّد من خلال هذا الانتماء أنَّ هؤلاء يسيرون على نسق القرآن الكريم و وقعه في بناء الذات ، و إنتاج المواقف العقدية الحاسمة من جهة ، و أراد أن يؤكِّد انتماءه إلى القرآن العظيم من جهة أخرى ، في إشارة إلى أنَّه ينظر إلى هذه الصفات من منظور قرآني . بمعنى أنَّ الخطاب القرآني هو دليله الأول و ضابطه في تلمُّس هذه الخلال ، وتمحيص الآل و الأصحاب في ضوئها ، فأعطى على نحو رمزي أنَّنا ينبغي أن ننظر في بناء الذات في ضوء النظرية القرآنية ، و نشتغل عليها وصولًا إلى الكمالات .

ج – دوال حلِّ البيعة بين الدلالة الظاهرة و تأكيد الكمال

جاءت في سياق الدلالة على حلِّ البيعة ، و الدعوة إلى التفرُّق ليلًا ألفاظ متعدِّدة ، هي : ذروني ، تفرَّقوا في سوادكم، ومدائنكم ، و قوموا و انطلقوا في سواد هذا الليل ، و اتخذوه جملًا ، فأنتم في سعة ، و حِلٍّ من بيعتي ، و ليست لي في أعناقكم

بيعة ، و ذِمَّة ، و ليس عليكم منِّي ذِمام ، النَّجاء النَّجاء .

أمَّا الذِّمَّة فهي العهد[٦٢] ، و الكفالة . و أمَّا الذِّمام فهو الحقُّ و الحُرمة [٦٣] . و هكذا يكون الإمام الحسين عليه السلام قد أراد أنَّه قد أذن لهم في تركه ، و حلَّ بيعتهم و عهدهم له ؛ لينطلقوا طلبًا في النجاة .

و معنى اتخاذ الليل جَمَلًا أن يسير المرء الليل كلَّه [٦٤]. و تعطي النَّجاء الدلالة على ((السرعة في السير)) [٦٥] . و استعمل الإمام الحسين عليه السلام هذه المفاهيم في خطاب أهل بيته عليهم السلام و أصحابه رضوان الله تعالى عليهم طلبًا للتخفي و سرعة النجاة .

و نكون هنا أمام إمام يبالغ في طلب الحلِّ لهؤلاء ليعطي الدلالة على أنَّهم مانعتهم مقاماتهم التي يتمتَّعون بها من تركه ، و نقض بيعته ؛ فتأتي الدلالة المضمرة أيضًا على أنَّ هؤلاء المخاطبين هم مَن بلغوا من درجات الكمال أعلاها .

و لَمَّا كان الإمام الحسين سيد الشهداء عليه السلام الإنسان الأكمل في عصره الذي يتحمَّل وحده القيام بهذه النهضة الإصلاحية التي تستلزم التضحية الفريدة كان من مظاهر الدلالة على المقامات العليا لأصحابه رضوان الله تعالى عليهم أنَّهم قد صاروا من خصائصه التي لم يشاركه فيها غيره [٦٦] ، و من خصائص نهضته الإصلاحية الكبرى ؛ ذلك بأنَّهم حازوا لأنفسهم الكمالات .

د – دوال القتل بين الإغراء بالترك و الإغراء بالفداء

تذكر الخطبة للدلالة على أنَّ القوم يقتلون الحسين عليه السلام في صبيحته مجموعة من الدوالِّ واضحة المعنى ، و مباشرة الدلالة ، و هي تستوعب التصورات الإنسانية في هذا السياق : فالقوم يريدونني ، و يطلبونني ، و لا يطلبون غيري ، و لو أصابوني ، و ظفروا بي ، و قدروا على قتلي ، و قتلوني .

و هنا يتدرَّج المتن اللساني لهذه الخطبة الحسينية ليضع هذه الدوالَّ في تراتبية لا تقود إلَّا إلى القتل ، و المقتول هو إمام عصره و زمانه !! و الظاهر أنّه بهذه الاستعمالات المباشرة يسوقهم إلى تركه ، و لكنَّه يستنصرهم بها أيضًا ، و يضعهم أمام خيارهم العقدي الحقيق بهم، إذ إنَّهم بما اختاره لهم من مقام واصف لا شكَّ في أنَّهم ناصروه ؛ ليروا جزاء ما فعلوا جنَّة وغرفًا .

و من ثمَّ فإنَّ هذا التنوع اللساني الواصف لقتله عليه السلام يجلِّي من جهة الدلالة المضمرة و غير المباشرة أنَّ أهل بيته عليهم السلام و أصحابه رضوان الله تعالى عليهم قد بلغت ذواتهم و قيمهم أعلى كمالاتها .

هوامش البحث و مصادره :

١. ينظر . لمعة من بلاغة الحسين عليه السلام تحتوي على خطبه و رسائله و قصار كلماته ، السيد مصطفى اعتماد الموسوي ، تحقيق : محمد حسين اعتماد الموسوي ، ط ٧ ، دار الأسوة للطباعة و النشر ، إيران ١٤٢٧ هـ ، ق ، ص ٣ .

٢. ينظر . مع الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة – الإمام الحسين عليه السلام في المدينة المنوَّرة و رحلته منها إلى مكَّة المكرَّمة ، علي الشاوي ، ط ٢ ، مركز الدراسات الإسلامية لممثلية الولي الفقيه في حرس الثورة الإسلامية ، دراسات عاشوراء، قم ١٤٢٥ هـ ، ص ١ / ٣٠ .

٣. ينظر . موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام ، معهد تحقيقات باقر العلوم ، منظمة الإعلام الإسلامي ، ط ٣ ، دار المعروف للطباعة و النشر ، ايران ١٩٩٥ ، ص ٤٧٨ – ٤٨٧ ، مع الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة – الإمام الحسين في كربلاء ، عزَّت الله المولائي ، محمد جعفر الطبسي ، ط ٣ ، مركز الدراسات الإسلامية لممثلية الولي الفقيه في حرس الثورة الإسلامية ، دراسات عاشوراء ، قم ١٤٢٨ هـ ، ص ٤ / ١٣٢ – ١٣٨ . و قد اعتمدت هذين الكتابين في توثيق الخطبة و ذكر رواياتها المتعددة ؛ ذلك بأنَّهما استوعبا مصادرها ، و رواياتها المتنوِّعة . على أنَّني سأشير إلى بعض المصادر في مواضعها عندما أذكر رواية لم يذكرها هذان المصدران .

٤. ينظر . لمعة من بلاغة الحسين عليه السلام تحتوي على خطبه و رسائله و قصار كلماته ، ص ٨٦ .

٥. ينظر . مقتل الحسين عليه السلام ، عبد الرزاق المقرَّم ، منشورات مؤسسة الخرسان للمطبوعات ، بيروت ، ص ٢٢٠ .

٦. ينظر . رد الشبهات عن تاريخ الإمام الحسين عليه السلام و الثورة الحسينية ، د. هادي التميمي ، ط ١ ، مركز الدراسات التخصصية في النهضة الحسينية ، العتبة الحسينية المقدَّسة ٢٠١٤ ، ص ١٢٥ .

٧. الخطاب الحسيني في معركة الطف – دراسة لغوية و تحليل ، د. عبد الكاظم محسن الياسري ، ط ١ ، قسم الشؤون الفكرية و الثقافية ، العتبة الحسينية المقدَّسة ، كربلاء ٢٠٠٩ ، ص ٩٤ .

٨. تفصيل هذه الشبهة و ردودها في: ردُّ الشبهات عن تاريخ الإمام الحسين عليه السلام و الثورة الحسينية ، ص ١١٥ – ١٢٥ . و تجدر الإشارة هنا إلى أنَّ الباحث في هذا الكتاب يسوق الخطبة كواقعة من الوقائع التي حدثت في الليلة نفسها التي يذكر المؤرِّخون حدوث شبهة المفاوضة فيها . و على الرغم من أنَّه يذكرها في هذا السياق غير أنَّه لم يأت بها من بين ردود الشبهة . و لعلَّه يُفهم من وحي كلامه أنَّها تمثِّل ردًّا تاريخيًّا بلحاظ وقتها .

٩. ينظر . لمعة من بلاغة الحسين عليه السلام تحتوي على خطبه و رسائله و قصار كلماته ، ص ٨٣ – ٨٩ .

١٠. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد ، الشيخ المفيد أبو عبد الله محمد النعمان ، تحقيق : مؤسسة آل البيت عليهم السلام ، ط ٢ ، بيروت ٢٠٠٨ ، ص ٢ / ٩١ . و ينظر . لمعة من بلاغة الحسين عليه السلام تحتوي على خطبه ورسائله و قصار كلماته ، ص ٨٦ .

١١. ترجمة الإمام الحسين عليه السلام في تاريخ مدينة دمشق ، الحافظ ابن عساكر ، تحقيق : الشيخ محمد باقر المحمودي، ط٢، مجمَّع إحياء الثقافة الإسلامية ، مطبعة فروردين ، إيران ١٤١٤ هـ ، ق ، ص ٣٣٠ .

١٢. الخطاب الحسيني في معركة الطف – دراسة لغوية و تحليل ، ص ٩٥ .

١٣. ينظر . معجم مفاهيم القرآن و ألفاظه ، د. محمد بيستوني ، ط ١ ، المركز الأكاديمي للأبحاث ، بيروت ٢٠١٥ ، (برر)، ص ٦٤ .

١٤. ينظر . القاموس المحيط ، الفيروز آبادي ، إعداد و تقديم : محمد عبد الرحمن المرعشلي ، ط ٢ ، دار إحياء التراث العربي،

بيروت ٢٠٠٣ ، (برر) ، ص ٣٢٧ .

١٥. ينظر . تهذيب اللغة ، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري ، تحقيق : عبد السلام هارون ، (بر) ، ص ١٥ / ١٨٥ .

١٦. ينظر . مفردات ألفاظ القرآن ، الراغب الأصفهاني ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، ط ٢ ، منشورات طليعة النور، إيران ، (برَّ) ، ص ١١٤ .

١٧. مفردات ألفاظ القرآن (برَّ) ، ص ١١٤ .

١٨. ينظر . تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب ، أبو حيان الأندلسي ، تحقيق : د. أحمد مطلوب ، د. خديجة الحديثي،ط ١، مطبعة العاني ، بغداد ١٩٧٧، (برر) ، ص ٤٦ .

١٩. ينظر . القاموس المحيط ، (برر) ، ص ٣٢٧ .

٢٠. ينظر . تهذيب اللغة (بر) ، ص ١٥ / ١٨٥ .

٢١. ينظر . مفردات ألفاظ القرآن (برَّ) ، ص ١١٤ .

٢٢. مريم : ٣٢ .

٢٣. ينظر . مفردات ألفاظ القرآن ، (وصل) ، ص ٨٧٣ .

٢٤. ينظر . القاموس المحيط ، (وصل) ، ص ٩٨٦ .

٢٥. ينظر . تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب ، (زكو) ، ص ١٢٦ .

٢٦. ينظر . معجم مفاهيم القرآن و ألفاظه ، (زكا) ، ص ٢٠٧ .

٢٧. ينظر . مفردات ألفاظ القرآن ، (زكا) ، ص ٣٨٠ -٣٨١ .

٢٨. ينظر . مفردات ألفاظ القرآن ، (زكا) ، ص ٣٨١ .

٢٩. النساء : ٤٩ .

٣٠. البقرة : ١٥١ .

٣١. الشمس : ٩ .

٣٢. مريم : ١٩ .

٣٣. مفردات ألفاظ القرآن ، (زكا) ، ص ٣٨١ .

٣٤. ينظر . القاموس المقارن لألفاظ القرآن الكريم ، د. خالد إسماعيل علي ، مكتب سناريا ، بغداد ٢٠٠٤ ، (زكا) ، ص ٢٢٢ .

٣٥. ينظر . القاموس المحيط ، (طهر) ، ص ٤٠٣ .

٣٦. مفردات ألفاظ القرآن ، (طهر) ، ص ٥٢٥ .

٣٧. البقرة : ٢٣٢ .

٣٨. ينظر . مفردات ألفاظ القرآن ، (طهر) ، ص ٥٢٥ .

٣٩. مفردات ألفاظ القرآن ، (زكا) ، ص ٣٨١ .

٤٠. ينظر . مفردات ألفاظ القرآن ، (فضل) ، ص ٦٣٩ .

٤١. ينظر . معجم مفاهيم القرآن و ألفاظه ، (فضل) ، ص ٣٧٠ .

٤٢. ينظر . القاموس المحيط ، (فضل) ، ص ٩٦١ .

٤٣. القاموس المحيط ، (صحح) ، ص ٢٢١ .
٤٤. ينظر . القاموس المحيط ، (عدل) ، ص ٩٤٨ .
٤٥. ينظر . معجم مفاهيم القرآن و ألفاظه ، (عدل) ، ص ٣١١ .
٤٦. ينظر . مفردات ألفاظ القرآن ، (وفى) ، ص ٨٧٨ .
٤٧. ينظر . القاموس المحيط ، (وفى) ، ص ١٢٣٣ .
٤٨. ينظر القاموس المحيط (ولي) ، ص ١٢٣٣ .
٤٩. ينظر . تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى الزبيدي ، تحقيق : د. ضاحي عبد الباقي ، مراجعة : د. عبد اللطيف الخطيب ، ط ١ ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، الكويت ٢٠٠١ ، (ولي) ، ص ٢٥١ .
٥٠. ينظر . لسان العرب ، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور ، ط ٦ ، دار صادر ، بيروت ١٩٩٧ ، (ولي) ، ص ١٥ / ٤٠٧ – ٤٠٨ .
٥١. ينظر . القاموس المحيط (خير) ، ص ٣٦٣ .
٥٢. الرسالية في الثورة الحسينية ، د. حسين الحاج حسن ، ط ١ ، دار الكرام للطباعة و النشر و التحقيق ، بيروت ١٩٩٣ ، ص ٨٢ – ٨٣ .
٥٣. موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام ، ص ٤٩٣ .
٥٤. ينظر. أبو الشهداء الحسين بن علي ، عباس محمود العقَّاد ، تحقيق : محمد جاسم الساعدي ، طهران ٢٠٠٤ ، ص ٨٨.
٥٥. الرسالية في الثورة الحسينية ، ص ٨٠ .
٥٦. مقتل الحسين عليه السلام ، ص ٢٢٢ .
٥٧. ينظر. رد الشبهات عن تاريخ الإمام الحسين عليه السلام و الثورة الحسينية ، ص ١٢٥ .
٥٨. ينظر . مقتل الحسين عليه السلام ، ص ٢٢٣ .
٥٩. الرسالية في الثورة الحسينية ، ص ٨٠ .
٦٠. ينظر . الرسالية في الثورة الحسينية ، ص ٨٠ ، ٩٨ .
٦١. الرسالية في الثورة الحسينية ، ص ٩٧ .
٦٢. ينظر . معجم مفاهيم القرآن و ألفاظه ، (ذمم) ، ص ١٧٥ .
٦٣. ينظر . القاموس المحيط (ذمم) ، ص ١٠٢٣ .
٦٤. ينظر . القاموس المحيط (جمل) ، ص ٩٠١ .
٦٥. لسان العرب ، (نجا) ، ص ١٥ / ٣٠٥ .
٦٦. ينظر . الرسالية في الثورة الحسينية ، ص ٦١ ، ص ٩٧ .

المضامين التربوية في قرابين الأنبياء
(الإمام الحسين عليه السلام أنموذجا)

Imam Al-Hussein Sermon in Understating His Progeny and Companions at the Eve of `Ashura
(Semantic and Intellectual Reading on Diverse Diction and Perfect Being)

د . عبد الزهرة جاسم الخفاجي
الكلية الاسلامية الجامعة / النجف الأشرف

Dr.`Abidalzahra Jassim Al-Khafaji
University Islamic College, Holy Al-Najaf

ملخص البحث

القُرْبَانُ، ما يُتَقَرَّبُ به إلى الله تعالَى شَأْنُهُ ، وقد بدأ به معبرا عن الايمان منذ الخليقة الاولى فقد ميز بين ابني ادم قابيل وهابيل فقال تعالى:{ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ } ومن هناك صار القربان اداة للامتحان فقد امتحن فيه ايمان ابراهيم(عليه السلام) ، و نجح ابراهيم (عليه السلام) مؤمنا حيث فعل ما امر به ونجح مربياً حين استجاب إليه اسماعيل صابراً، وكانت طاعة اسماعيل شهادة نجاحه. وبالاضافة للايمان صار القربان اداة لامتحان القيم يوم نجح عبد المطلب وإن لم يكن نبيا لكنه تصرف تصرف الانبياء فكانت رؤياه في حفر زمزم صادقة فقادته الى نذر يقدم فيه ابنه قربانا ، وفعل فاجتاز الامتحان، و نجح عبد المطلب في الحفاظ على القيم حين وفى بالنذر ونجح مربياً فكان عبدالله طائعا وعندما اختتم الله تعالى النبوة برسول الله (صلى الله عليه واله) جعل لها الامامة امتدادا واراد ان يمتحن الامامة فكان الحسين (عليه السلام) قربان الامامة الذي ميز الله فيه بين امامين امامة هدى فاز الامام الحسين (عليه السلام) بها فكان القربان الذي حاز اعلى درجات الايمان وافضل القيم وكان في مقابل ذلك كان الجزار يزيد الذي خلا قلبه من الايمان وتجرد من القيم فكان إمام ضلالة.

وما يعاني منه المجتمع الآن هو في الواقع صراع قيمي بين مخرجات مدرسة إمامة الهدى وبين مخرجات إمامة الضلال ، فمنذ أن استُلَّ سيف الجزار فإن الدم مازال ينبت قيماً .

Abstract

Sacrifice designates the acts of offering something to Allah and faith from the fall of man as He differentiates between the sons of Adam ; Abel and Cain :

And recite to them the tiding
of the two sons of Adam with
the truth as they offered a
sacrifice، it was graciously accepted of one of them and
not graciously accepted of the other. One of them said، indeed، I will definitely kill
you. The other said، Surely
Allah graciously accepts only of the pious. Al-Maeda،27.

Henceforth ، the sacrifice comes to the fore as an ordeal ، He test Ibrahim and he passes the test as a believer in obeying and as a father in having great response from his patient son; the way Isaac obeys manifests the success of the father .Besides، `Abid Almutalib succeeds in bringing his vision of well digging into effect though he is not a prophet leading him to sacrifice his son to pass the test .What the society suffer s from is a doctrinal conflict between the Islamic guidance school and vice one : the sword of the butcher plunges، blood sprouts with doctrines .

المقدمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا ، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله الأطهار .

ظاهرة الأضاحي او القرابين ظاهرة تاريخية عرفتها البشرية عبر تأريخها الموغل في القدم ، واذا كان القصد في تقديم القربان هو التقرب الى الله تعالى، فان التقرب بالدم بدأ مع بدايات الخلق الاول منذ ان وجد الانسان على وجه الارض، وهذا ما ذكره القران الكريم في قصة قرباني ابني آدم ، فكان قبول القربان علامة رضا الله تعالى عن المُقَرِّبْ.

واذا كان قربان ابراهيم (عليه السلام) يوم أُمِرَ بذبح ابنه امتحانا لايمانه. وقربان عبد المطلب اختبارا لقيمه ، واذا كان الاول افتداه الله بذبح عظيم والثاني انقذه بمائة ناقة ، فأن الإمام الحسين (عليه السلام) قربان آل محمد(صلى الله عليه وآله) كان هو الذبح العظيم الذي ادخره الله تعالى ليكون الابن الاعز الذي اراد ان يضحي به ابراهيم (عليه السلام) في سبيل رضا الله تعالى ، وكما كافأ الله تعالى إسماعيل بأن جعل الإمامة في ذريته ، وكافأ عبد الله بأن أخرج خاتم الأنبياء(صلى الله عليه وآله) من صلبه ، فقد كافأ الامام الحسين(عليه السلام) فجعل الأئمة من عقبه.

ومسيرة القرابين قد تضمنت الكثير من الدروس والعبر التي يمكن ان تكون منهاج عمل تعتمده الاجيال، فدم الأمام الحسين (عليه السلام) سيبقى يتدفق في شرايين الاحرار والأُباة من المؤمنين الذين يحملون راية الاسلام ؛ لذا جاء هذا البحث ليُبرز بعض المضامين التربوية في هذه القرابين ، التي تمثل ركائز مهمة في التربية الاسلامية ، وما احوج المجتمع اليها في ظل الهجمة الشرسة على الاسلام والمسلمين. وقد جاء البحث في :-

المقدمة : تتضمن تقريراً عن البحث .

التمهيد : التعريف بالمفاهيم التي تضمنها البحث

المبحث الاول : قرابين الآباء وقد تناول قربان ابراهيم وقربان عبد المطلب بوصفهما الذبيحين اللذين اشار اليهما الرسول (صلى الله عليه واله).

المبحث الثاني : قربان آل محمد الذي تمثل بالإمام الحسين (عليه السلام) بوصفه الذبيح الثالث فهو امتداد طبيعي للذبيحين.

الخاتمة : وفيها خلاصة ما توصل اليه الباحث

وقد افاد الباحث من مصادر تأتي في مقدمتها كتب التفسير، ومصادر التاريخ الاسلامي ولاسيما تلك التي اهتمت بواقعة الطف بوصفها ثورة لتصحيح الانحراف الفكري والعقائدي الذي ابعد الاسلام عن مساره الصحيح.

تمهيد

القربان في اللغة :

القربان : «ما يُتقرب به إلى الله تعالى من ذبيحة وغيرها»[١] ، و القُرْبانُ : «ما قَرَّبْتَ إِلى الله تعالَى تبتغي بذلك قُرْبَةً ووَسِيلةً»[٢]. ويقال : « قَرَبْتُ للهّ قُرْباناً وتَقَرَّبَ إِلى اللهّ بشيءٍ أَي طَلَبَ به القُرْبة عنده تعالى»[٣] .

القربان في الاصطلاح :

قال الأنصاري: « ما تُقُرّب به من ذبح أو غيره»[٤]. والقربان: «ما يتقرب به إلى اللهَّ ، ثمَّ صار عرفاً: أسما للنسيكة التي هي الذبيحة ويستعمل للواحد والجمع «[٥] ، أو هو « كل بر يتقرب به العبد إلى الله «[٦] .

وبهذا المعنى وردت مفردة (قربان) في القرآن الكريم في موضعين في قوله تعالى:»{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا ...}«[٧] ، وفي قوله تعالى :» {الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ الله عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىَ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}«[٨].

فالقربان طقس ديني ضارب بجذوره في أعماق التأريخ الإنساني ، اذ يمتد تاريخه إلى أبي البشر آدم (عليه السلام) كما أخبرنا الله تعالى بقوله: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ}[٩] . ومافعله ابنا آدم يدل على وجود تلك العبادة في شريعته (عليه السلام) ، وكان قربانهما من شأنه التعريف « بمكروه عاقبة الظلم والمكر، وسوء مغبَّة الخَتْر ونقض العهد، وما جزاء الناكثِ وثوابُ الوافي ... وما آل إليه أمر المطيع منهما ربَّه الوافي بعهده، وما إليه صار أمر العاصي منهما ربَّه الخاتِر الناقضِ عهده» [١٠].

وفي سورة آل عمران فإن القربان صار وسيلة يثبت فيها الرسل صدق نبوتهم إذا ما أكلته النار على حد زعم البعض من اليهود امثال :» كعب بن الأشرف ، ومالك بن الصيف، ووهب بن يهوذا وفنحاص بن عازوراء «[١١] ، فقد جاؤوا الى رسول الله (صلى الله عليه وآله) يطلبون منه ذلك :» لأن أكل النار ما قربه أحدهم لله في ذلك الزمان، كان دليلا على قبول الله منه ما قرّب له، ودلالة على صدق المقرِّب فيما ادعى أنه محق فيما نازع أو قال»[١٢]، فإذا أكلته النار يكون صادقاً فيما جاء به ، وإلاّ فهو غير صادق . ويكاد لايفترق القربان عن النار في المرويات التوراتية فقد جاء في العهد القديم : «فَأَخَذَ إِبْرَاهِيمُ حَطَبَ الْمُحْرَقَةِ وَوَضَعَهُ عَلَى إِسْحَاقَ ابْنِهِ، وَأَخَذَ بِيَدِهِ النَّارَ وَالسِّكِّينَ. فَذَهَبَا كِلاَهُمَا مَعًا»[١٣].

وقد تناولت الكتب القديمة (القربان) عندما تحدثت عن ابني آدم قابيل(قايين) الذي كان فلاحاً، وهابيل الذي كان راعياً ، فقدم كل منهما قرباناً مما ينتج في عمله وجاء في الرواية :»أَنَّ قَايِينَ قَدَّمَ مِنْ أَثْمَارِ الأَرْضِ قُرْبَانًا لِلرَّبِّ، وَقَدَّمَ هَابِيلُ أَيْضًا مِنْ أَبْكَارِ غَنَمِهِ وَمِنْ سِمَانِهَا. فَنَظَرَ الرَّبُّ إِلَى هَابِيلَ وَقُرْبَانِهِ، وَلكِنْ إِلَى قَايِينَ وَقُرْبَانِهِ لَمْ يَنْظُرْ»[١٤] أي ان الرب تقبل قربان هابيل وهو من الغنم ، في حين لم يتقبل قربان قابيل الذي كان من الزرع ، الأمر الذي أغضب قابيل فقتل اخاه هابيل .

إنّ حادثة فداء إسماعيل (عليه السلام) تمثل امتداداً لتاريخ القربان من لدن آدم الى ابراهيم (عليهم السلام) فقد نقل عن ابن عباس ان الذِّبح الذي افتدي به اسماعيل « هو الكبش الذي تُقُبِّلَ من هابيل حين قربة »[١٥] .

تعريف المضامين :

المضامين لغة : «ضَمَّنَ الشَّيءَ: إذا أَوْدَعَه إيَّاه كما تُودِعُ الوِعاءَ المتاعَ»[١٦] ، وَيُقَالُ: «ضَمِنَ الشيءَ بِمَعْنَى تَضَمَّنَه؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: مَضْمُونُ الْكِتَابِ كَذَا وَكَذَا»[١٧] .

تعريف التربية :

التربية لغة : «الرب في الأصل التربية، وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام»[١٨].

اصطلاحاً : «بأنها تنشئة الإنسان شيئاً فشيئاً في جميع جوانبه ابتغاء سعادة الدارين ، وفق المنهج الإسلامي»[١٩] .

المبحث الأول

قرابين الأجداد

قال نبينا محمد (صلى الله عليه وآله) : « انا ابن الذبيحين »[٢٠]، والذبيحان يقصد بهما: إسماعيل بن ابراهيم (عليهما السلام) جده (صلى الله عليه وآله) الذي ذكرت قصة فدائه في القرآن الكريم ، وعبد الله بن عبد المطلب والده (صلى الله عليه وآله)، الذي نجا من الذبح بعد أن نذر أبوه عبد المطلب نحره عند الكعبة.

الذبيح الاول:

ترتبط قصة الذبيح الاول ، بالنبي ابراهيم (عليه السلام) ، وهو من الأنبياء أولي العزم ، وقد احتل ابراهيم (عليه السلام) مساحة كبيرة من القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، ومما شرفه الله تعالى به أن جعل خاتم الانبياء محمد(صلى الله عليه وآله) والأئمة الأطهار (عليهم السلام) من نسله ، كما ان إبراهيم (عليه السلام) من أكثر الأنبياء حضوراً بما اختصه الله تعالى من خلال فريضة الحج فقال تعالى : {وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ }[٢١] ، ولذلك فإن حياته فيها الكثير مما يمكن استلهامه كيف لا وهو الذي قال الله تعالى يصفه :» {إِنَّ إبراهيمَ كان أُمَّةً قَانِتاً لله حنيفاً ولم يكُ من المشركين * شاكراً لأَنْعُمِهِ اجتباهُ وهداهُ إلى صراطٍ مُستقيم * وآتيناهُ في الدُّنيا حسنةً وإنَّه في الآخرةِ لَمِن الصَّالحين}»[٢٢]. وقد بلغ ابراهيم (عليه السلام) أسمى الدرجات حتى صار خليل الله ، وكشف له عن ملكوت السموات والارض فقال تعالى :» {..وكذلك نُري إبراهيمَ مَلكوتَ السَّمواتِ والأَرضِ وَلِيكون من المُوقِنين}»[٢٣]. ليعطيه القدرة التي تقوى بها دلالته على توحيد الله تعالى ، وقد قال الإمام الباقر (عليه السلام) :» كشط الله له عن الارضين حتى رآهن وماتحتهن، وعن السماوات حتى رآهن ، وما فيهن من الملائكة ، وحملة العرش ليزداد يقينه بأن الله تعالى هو الخالق ذلك والمالك له»[٢٤].

وقد كان ابراهيم(عليه السلام) يعزز ايمانه بأستمرار، وكان يسعى الى الاطمئنان وزيادة اليقين من خلال التجربة الحسية، لذلك سأل ربه تعالى عن كيفية(الإحياء) وهو الامر الذي يجهله كل بني البشر. ولم يحدث ان شوهِد الامر تجريبيا، ولم يكن إبراهيم (عليه السلام) « شاكا في إحياء الله الموتى قط وإنما طلب المعاينة ، وذلك أن النفوس مستشرفة إلى رؤية ما أخبرت به، ولهذا قال عليه السلام: « ليس الخبر كالمعاينة»[٢٥]. وقد تناولت اسباب سؤاله هذا العديد من النصوص التفسيرية[٢٦] ، فأراد ان يرى ذلك على وجه العيان فسأل ربه : «{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ الله عزِيزٌ حَكِيمٌ }»[٢٧] . وفي سؤال إبراهيم (عليه السلام) تجسدت عمليا محاجته مع النمروذ :«{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ الله الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ... }»[٢٨] فكان درسا نتيجته اليقين بتفرد الله تعالى المطلق في احياء الموتى.

ومما تقدم يتبين ان ابراهيم (عليه السلام) كان يسعى لترسيخ ايمانه بالله ويزداد يقينا. ليصبح المثل الذي اراده الله تعالى ان يكون قدوة للانبياء بشكل خاص وللناس بشكل عام فقد قال تعالى : {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءؤا مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فإنهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ }[٢٩] . أي جعل هذه الموالاة لله والبراءة من كل معبود سواه كلمة باقية في عقبه يتوارثها الأنبياء وأتباعهم بعضهم عن بعض، وهي كلمة لا إله إلا الله ، وهي التي ورَّثها

إمام الحنفاء لأتباعه إلى يوم القيامة [٣٠].

و بعد أن ترسخ الايمان في قلب ابراهيم (عليه السلام) ، وصار على يقين تام من قدرة الله تعالى، جاءت مرحلة الاختبار وامتحان هذا الإيمان ، فكان امر الله تعالى بالرؤيا و» رؤيا الأنبياء وحي «[٣١].

وبعد أن بلغ من العمر»ستاً وثمانين سنة»[٣٢] وجد إبرهيم (عليه السلام) نفسه وحيداً ليس عنده ولد فاتجه الى ربه يسأله:» {رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ }[٣٣]. فاستجاب له فقال تعالى : « {فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ }[٣٤] . فكان إسماعيل (عليه السلام) ، الحلم الذي انتظره ابراهيم (عليه السلام) طويلاً ، وقد ورد في العهد القديم «كَانَ أَبْرَامُ ابْنَ سِتٍّ وَثَمَانِينَ سَنَةً لَمَّا وَلَدَتْ هَاجَرُ إِسْمَاعِيلَ لأَبْرَامَ»[٣٥]. ومأأن شب إسماعيل ، وصار يُرجى خيره ، ويبدو نفعه « {فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ ... }[٣٦] ، وما كاد يأنس به إبراهيم (عليه السلام) ويشعر بحاجته حتى وجد ابراهيم نفسه يقول له:»{... يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء الله مِنَ الصَّابِرِينَ }[٣٧] . يتضمن النص الكريم دروساً في التربية تصلح أن تكون دليلا ارشاديا لمن ينشد التميز التربوي و يمكن تناوله على النحو الآتي :

ما يتعلق بإبراهيم (عليه السلام) :

١ – إن ابراهيم(عليه السلام) كان قد رأى والرؤيا بالنسبة لابراهيم وحي ، فهذا يعني انه (عليه السلام) قد تسلم الأمر بذبح ابنه ، وبدأ اجراءات التنفيذ دون تردد أو حتى مراجعة ، وهذه الطاعة انما مرجعها الى ايمان ابراهيم(عليه السلام) . هنا يتحقق قول الله تعالى : {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى الله وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا}[٣٨]. ومع صعوبة ما طُلب من ابراهيم(عليه السلام) على النفس البشرية ؛ يجب أن تكون طاعة الله تعالى مقدمة عند المسلم على كل اعتبار ووتُعَد من أبرز صور الإيمان عند المؤمن .

٢ – ان ابراهيم (عليه السلام) توجّهَ لابنه اسماعيل توجُه الواثق من نفسه ، المطمئن لتربيته ، لم يأخذه على غرة ، فاخبره بالرؤيا وترك له الخيار في اتخاذ قراره ، دونما إكراه كي يستمتع بحلاوة الإيمان ، ولذة التطوع ، وهذا اسلوب في التربية متقدم يقوم على الحوار، ولأهمية الحوار فقد أولاه القرآن الكريم أهمية بالغة في مواقف الدعوة والتربية [٣٩]. وإذا كان الأمر اختباراً لإبراهيم(عليه السلام) ، فهو اختبار ابراهيم لنفسه في منهجه في التربية القائم على الحوار البناء بعيداً عن الإكراه ، ولذلك كانت علاقته مع ابنه علاقة تجاذب لا علاقة تنافر.

وفيما يتعلق باسماعيل(عليه السلام) :

١ – على الرغم من صغر سنه (١٣ سنة) فقد ادرك اسماعيل(عليه السلام) أن ما طلبه منه أبوه لم يكن من عنده وانما من عندالله تعالى وهذا يدل على مستوى ايمان اسماعيل(عليه السلام)، وفهمه لشخص أبيه ، فقد أعطى اسماعيل في رده هذا أفضل صورة من صور بِرّ الوالدين ، وهذه صفةٌ قد اقترنت بأخلاق الأنبياء[٤٠] ، ولأهمية هذا الخُلق فقد قرنه الله تعالى بعبادته [٤١].

٢ – الصبر على ما سيحدث ، فلم يُبدِ تذمراً أو خوفاً وإنَّما طَمأن أباه بأنه سيكون صابرا على الامر (ستجدني إن شاء الله من الصابرين) ، و بعد أن حثَّ اباه على القيام بِما أُمِرَ به ، وعده بالامتثال له وبأنه لا يجزع ولا يهلع بل يكون صابرا ، وقد

أراد اسماعيل بذلك أن يخفف ما عسى أن يصيب أباه من الحزن لكونه يُريد ذبحه ، فكما امتثل لأمر الله في طاعة أبيه ، فقد امتثل الى أمر الله القائل : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ الله مَعَ الصَّابِرِينَ }[٤٢] وهذا درسٌ يبين للانسان أهمية الصبر في حياة الانسان.

ثُمَّ هيأ إبراهيم (عليه السلام) متطلبات الذبح واستعد لذلك « {فَلَمَّا أَسْلَمَا ...}»[٤٣]، فأضجعه وأخذ السكين ليذبحه «{... وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ }»[٤٤]. أي « وضع وجهه للأرض »[٤٥] ، وقد توقف المفسرون عند هذه الآية لبيان السبب في اختيار وضع الذبيح ، فهناك من يرى أن ابراهيم (عليه السلام) هو الذي اختار أن يضع « جبينه على الارض لئلا يرى وجهه فتلحقه رقة الآباء»[٤٦] لكي لا ينظر إلى ولده وهو يتألم ، والرأي الآخر يرى أن اسماعيل (عليه السلام) هو من قال لأبيه :» اذبحني وأنا ساجد لاتنظر إلى وجهي فعسى أن ترحمني فلا تذبحني «[٤٧]. فكل منهما يخشى أن تمنعه العاطفة من تنفيذ أمر الله . وهنا يتجلى الأدب العالي من إبراهيم (عليه السلام) الذي تأدب مع الله تعالى ، وإسماعيل (عليه السلام) الذي تأدب مع أبيه.

ولم يشأ الله تعالى أن يفجع ابراهيم في إسماعيل إذ :» ليس المراد من الابتلاء أن نعذب ، ولكنا نبتلي لنهذب «[٤٨] ، فقد تجاوز ابراهيم خط الرجعة ، ولم يُبدي ترددا فيما أُمِرَ به ، لذلك جاء النداء من السماء :» {... أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ* قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا... } أي فعلت ماطُلِب منك ، وأنقذ الله تعالى اسماعيل (عليه السلام) «{وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ }[٤٩]. «والمشهور أنه كبش أعين أبيض أقرن»[٥٠]. فكانت مكافأة لإبراهيم ولولده إسماعيل (عليهم السلام) ، الذي شكر الله له صبره ، ووعيه ، وإيمانه وطاعته ، وفناءه في الله تعالى ، وفداه الله بذبح عظيم ، و كانت سُنَّة النحر في (يوم النحر) مناسبة يستذكر بها المسلمون طاعة ابراهيم (عليه السلام) ، وأدب اسماعيل (عليه السلام) « فكلّ ما يذبح بمنى فهو فدية لاسماعيل إلى يوم القيامة «[٥١].

فالإبتلاء قد تَم ، ووقع الامتحان ، وتحققت غاياته ، فكان الجزاء من الله تعالى في قوله تعالى : « {إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ}[٥٢]. اجتاز نبي الله أبراهيم (عليه السلام) كل الابتلاءات التي ذكرها الله تعالى في قوله : «{وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ }»[٥٣]. وأتمهن وخرج من الامتحان بنجاح كامل ، فقد استحق ان ينال المقام الذي يعلو المقامات التي نالها والتي بَيَّنَها الإمام الصادق (عليه السلام) حيث قال :» إنّ الله اتّخذ إبراهيم عبداً قبل أن يتّخذه نبيّاً، وإنّ الله اتّخذه نبيّاً قبل أن يتّخذه رسولاً، وإنّ الله اتّخذه رسولاً قبل أن يتّخذه خليلاً، وإنّ الله اتّخذه خليلاً قبل أن يتّخذه إماماً «[٥٤]. فكانت الامامة هي المكافأة له على تحمله لهذا البلاء العظيم . وأراد ابراهيم ان لاتنتهي الامامة به فسأل ربه (ومن ذريتي ؟) فاستجاب له الله تعالى على أن لاينال الإمامة ظالمٌ.

وتتفق مرويات الكتب القديمة مع ما جاء في القرآن الكريم ، في أنَّ ماجرى لإبراهيم (عليه السلام) في موضوع رؤياه ، هو امتحان ، فقد جاء في سفر التكوين :» بعد حرمان طويل من الأبناء تحقق الوعد وصار لإبراهيم ابن ، وإذا بالرب يطلب منه أن يقدم ابنه وحيده كذبيحة ليمتحن إيمانه ، وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن إبراهيم»[٥٥]. وتستمر الرواية بإصدار الرب أمره : «فقال خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحق واذهب إلى أرض المريّا وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك «[٥٦]. وما أن اجتاز إبراهيم الإمتحان حتى حاز على رضا الرب فكانت المكافأة على لسان الرب:» بذاتي أقسمت يقول الرب. إني من أجل أنك فعلت هذا الأمر ولم تمسك ابنك وحيدك أباركك مباركة وأكثر نسلك تكثيرًا كنجوم السماء وكالرمل الذي على شاطئ البحر. ويرث نسلك باب أعدائه ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض. من أجل أنك سمعت لقولي»[٥٧].

ومما يجب قولُه أنَّ الكتب القديمة عندما تتحدث عن ابراهيم وابنه (عليهما السلام) تذكر أن الذبيح إسحاق (عليه السلام) كما يزعم اليهود – وأخطأ من تبعهم أيضاً من المفسرين– والصحيح أن الذبيح هو إسماعيل (عليه والسلام).[٥٨]

الذبيح الثاني :

يرتبط موضوع الذبيح الثاني بنذر عبد المطلب ومحاولة ذبحه لابنه عبد الله والد النبي محمد (صلى الله عليه وآله) ، وعبد المطلب : «اسمه شيبة واشتقاق شيبة من الشيب من قوله شاب شيبة حسنة ، والشيب اختلاط البياض بالسواد اسمته امه شيبة بشعرة بيضاء كانت في ذوائبه حين ولد» [٥٩]..

نسب عبد المطلب :

«عبد المطلب اسمه شيبة الحمد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي ابن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان»[٦٠]. وهو من ذرية ابراهيم (عليه السلام) لقول رسول الله (صلى الله عليه وآله) : «إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»[٦١].

طهارة النسب :

عبد المطلب هو الجد الأقرب الى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ؛ ولذلك يصح على نسبه من حيث الطهارة ما يصح على رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وقد ورد في المصادر روايات مختلفة تؤكد طهارة النسب الشريف . «واتفقت الامامية على أن آباء رسول الله (ص) من لدن آدم إلى عبد الله بن عبد المطلب مؤمنون بالله – عز وجل – موحدون له ، واحتجوا في ذلك بالقرآن والأخبار ، قال الله – عز وجل : «الذي يراك حين تقوم * وتقلبك في الساجدين»[٦٢] ، قال رسول الله (ص): لم يزل ينقلني من أصلاب الطاهرين ، إلى أرحام المطهرات حتى أخرجني في عالمكم هذا»[٦٣].

وروي عن ابن سعد قال أنبأ هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة أم فما وجدت فيهن سفاحاً ولا شيئاً مما كان من أمر الجاهلية[٦٤]. وقال النبي (صلى الله عليه وآله) » خرجت من نكاح غير سفاح»[٦٥].

وعن مكانة البيت النبوي قال النبي (صلى الله عليه وآله) : « إِنَّ الله خَلَقَ الْخَلْقَ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِهِمْ ، مِنْ خَيْرِ قَرْنِهِمْ ، ثُمَّ تَخَيَّرَ الْقَبَائِلَ ، فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ قَبِيلَةٍ ، ثُمَّ تَخَيَّرَ الْبُيُوتَ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ بُيُوتِهِمْ ، فَأَنَا خَيْرُهُمْ نَفْسًا ، وَخَيْرُهُمْ بَيْتًا »[٦٦]. من ذلك يتبين أن اسرة النبي محمد (صلى الله عليه وآله) مصطفاة من الله تعالى :» { إِنَّ الله اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ* ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَالله سَمِيعٌ عَلِيمٌ }»[٦٧]. والى ذلك اشار رسول الله (صلى الله عليه وآله) قائلاً : «يا علي ان عبد المطلب كان لا يقسم بالازلام ، ولا يعبد الأصنام ، ولا يأكل ما ذبح على النصب ويقول : أنا على دين أبي ابراهيم» [٦٨] .

ومن بين مايستدل به على مكانة عبد المطلب ، أنَّه كان أحد أمرين افتخر بهما رسول الله(صلى الله عليه وآله) يوم حنين حين

قال :» أنا النبي لا كذب .... أنا ابن عبد المطلب»[٦٩]. وما يؤكد اعتزاز النبي (صلى الله عليه وآله) بهذه الاسرة قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) :» فما ظنكم يابني عبد المطلب إذا أخذت بحلقة باب الجنة أتروني مؤثرا عليكم غيركم؟!»[٧٠]

زمزم من ابراهيم (عليه السلام) الى عبد المطلب

{رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ }[٧١]. بهذا الدعاء ودَّع ابراهيم زوجه هاجر وابنه اسماعيل تاركا «عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ وَسِقَاءً فِيهِ مَاءٌ»[٧٢] ، وَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تُرْضِعُ إِسْمَاعِيلَ وَتَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ المَاءِ، حَتَّى إِذَا نَفِدَ مَا فِي السِّقَاءِ عَطِشَتْ وَعَطِشَ ابْنُهَا، وَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَلَوَّى، فقصدت جبلاً قريب عليها يعرف (المروى) فلم تجد ماءاً ثم قصدت آخر يعرف (الصفا) وراحت تسعى بينهما فَفَعَلَتْ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ ، قَالَ عنها النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآله): «فَذَلِكَ سَعْيُ النَّاسِ بَيْنَهُمَا»[٧٣] ، ولما رجعت الى اسماعيل ، فَإِذَا هِيَ بِالْمَلَكِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ، فَبَحَثَ بِعَقِبِهِ، أَوْ قَالَ بِجَنَاحِهِ، حَتَّى ظَهَرَ المَاءُ فَشَرِبَتْ وَأَرْضَعَتْ وَلَدَهَا. ونقل عن مجاهد أنه قال : «مازلنا نسمع ان زمزم همزة جبريل بعقبه لاسماعيل حين ظميء» [٧٤]. فاستجاب الله دعاء إبراهيم وحفظ اسماعيل وامه ، ولم تزل زمزم معيناً لاينضب ، الى أن تغور ماءها لما أحدثته قبيلة جرهم في الحرم ، ولمّا أُخرِجت جرهم من مكة «عمد الحارث بن مضاض الأصغر إلى ما كان عنده من مال الكعبة، وفيه غزلان من ذهب وأسياف، فدفن ذلك في زمزم ، وعفَّى عليها، ولم تزل عافياً أثرها حتى زمن عبد المطلب جد النبي محمد (صلى الله عليه وآله)»[٧٥].

رؤيا عبد المطلب :

كان عبد المطلب على درجة عالية من التسليم واليقين ، ومن رؤياه الظاهرة ما أُمِر به من حفر زمزم بعدما اندرس موضعها وعفى ، وقد وردت رؤياه في أكثر من رواية[٧٦] ، لاتختلف كثيراً عن بعضها وفي الرواية المنقولة عن الإمام علي (عليه السلام) قال: « قال عبد المطلب: إني لنائم في الحِجْر إذ أتاني آتٍ فقال: احفرْ طيبة. قال: قلت: وما طيبة؟ قال: ثم ذهب عني. فلما كان الغد رجعتُ إلى مضجعي فنمت فيه، فجاءني فقال: احفرْ بَرّة. قال: وما برّة؟ قال: ثم ذهب عني، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه، فجاءني فقال: احفر المضنونة . قال: فقلت: وما المضنونة؟ قال: ثم ذهب عني. فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه، فجاءني فقال: احفر زمزم. قال: قلت: وما زمزم؟ قال: لا تنزف أبداً ولا تُذَم تسقي الحجيج الأعظم، وهي بين الفرث والدم، عند نقرة الغراب الأعصم ، عند قرية النمل.“[٧٧] . فبدأ عبد المطلب الحفر ولما أدرك الماء نازعته قريش فقالوا :» أشركنا فيه ، فقال : «ما أنا بفاعل ، هذا أمرٌ خُصصت به دونكم ...»[٧٨].

نذر عبد المطلب :

شعر عبد المطلب بالحاجة الى الولد يوم حفر زمزم إذ لم يكن عنده سوى الحارث ابنه الوحيد ، وهو في موقفه هذا يشبه موقف أبيه ابراهيم (عليه السلام) حين أُمِر ببناء البيت ولم يكن عنده غير اسماعيل {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ }[٧٩]. فقد قيل : «كان ابراهيم يبني واسماعيل يناوله الحجر »[٨٠]. فلما رأى عبد المطلب قلة أعوانه في حفر زمزم ، فقد كان يحفر وحده وابنه الحارث هو بِكره ، كما كان وحيدا في مواجهة قريش، وكان يشعر بضعفه بسبب هذه الوحدة ولذلك «نذَر لئن أكمل اللهُ له عشرة ذكور حتى يراهم أن يذبح أحدهم »[٨١] ، وإذا نذر الإنسان وجب

عليه الوفاء بنذره والإلتزام بما نذر فلما تكاملوا « جمعهم ثم اخبرهم بنذره ودعاهم الى الوفاء لله به ، فما اختلف عليه منهم احد وقالوا : أوف بنذرك وافعل ماشئت «[٨٢] . كأن عبد المطلب في موقفه هذا يعيد مشهد ابراهيم (عليه السلام) مع ابنه اسماعيل ، ومع ان عبد المطلب لم يُؤمَر بالذبح وانما نذر فالتزم اخلاقياً بالوفاء وكانت صفة عرف بها ، كما بان حسن تربيته لابنائه ، فهو لم يُكرِههم وإنما خيرهم فكان جوابهم له : « أوفِ بنذرك وافعل ماشئت »[٨٣] كما لو أنهم سمعوا رد ابيهم اسماعيل من قبل . وانتهى الأمر الى القرعة « فأقرع بينهم فصارت القرعة على عبد الله وكان احب ولده اليه »[٨٤]، «فأخذ بيده يقوده الى المذبح ومعه المدية »[٨٥]، فاعترضت بنات عبد المطلب شفقة على اخيهن واعترضت قريش خوفا ان تصير سنة بين الناس ولكن عبد المطلب رفض ان يسمع لهم قائلاً:» اني عاهدت ربي واني موف له بما عاهدته »[٨٦]. وتشاء عناية الله تعالى ان يحفظ عبدالله ، فيسمع عبد المطلب راي احدى بناته :« أعْذِر فيه بأن تضرب في إبلك السوائم التي في الحرم »[٨٧]. وكانت الدية آنذاك عشرة ابل فكان يقرع بين عبد الله والابل حتى بلغ عدد الابل مئة ، فخرج القداح على الابل ، فأُنقذ عبد الله « وقدم عبد المطلب الإبل فنحرها بين الصفا والمروة »[٨٨]. وبذلك يكون عبد المطلب اول من سنَّ دية النفس مائة من الإبل وأقرها رسول الله (صلى الله عليه وآله).

دروس من قصة الذبيح الثاني :

١ – الوفاء بالنذر : والنذر:« حقيقته ما أوجبه المكلف على نفسه من شيء يفعله»[٨٩]. ومع صعوبة ماألزم به عبد المطلب نفسه وفى بما التزم به ، فكان حقاً له ان يكون من الأبرار الذين قال الله تعالى فيهم : {يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً }[٩٠]، أي الذين يؤدون حق الله ويوفون بالنذر [٩١].

٢ – الالتزام بالعهد : اصرار عبد المطلب على المضي بما عاهد عليه ربه ، درس بليغ في الوفاء بالعهد والذي هو موضع اهتمام القرآن الكريم في عدد من الآيات [٩٢]. وقد عدَّها الله تعالى من الصفاة الحميدة وقد اخبر تعالى « عمن اتصف بهذه الصفات الحميدة، بأن لهم { عُقْبَى الدَّارِ } وهي العاقبة والنصرة في الدنيا والآخرة»[٩٣].

وقد تحصل ذلك لعبد المطلب ، فكان في الدنيا: « شريفاً في قومه مطاعاً سيداً ، وكانت قريش تسميه الفيض لسماحته »[٩٤]. وفي الآخرة كما وصفه رسول الله (صلى الله عليه وآله) :« إن الله يبعث جدّي عبدَالمطّلب أمّةً وحده، في هيئة الأنبياء وزيّ الملوك »[٩٥].

٣ – تربية الأبناء : وكما نجح في وفائه والتزامه فقد نجح في تربية ابنائه فقد كان يأمرهم بترك الظلم والبغي، ويحثّهم على مكارم الأخلاق، وينهاهم عن دنيّات الأمور وقد تبين ذلك في طاعتهم له قائلين (أوفِ بنذرك وافعل ماشئت).

ومما تقدم يتبين أنَّ مجريات حادثة الذبيح الاول كانت امتحاناً لإيمان إبراهيم ، في حين كان ماجرى في حادثة الذبيح الثاني امتحان لقيم لعبد المطلب ، وقد نجح إبراهيم في إيمانه فأثمر قيَماً ومكارم أخلاق في عبد المطلب ، وبانقاذ اسماعيل (الذبيح الأول) وعبد الله (الذبيح الثاني) ، حفِظ الله تعالى شجرة النبوة المباركة والأئمة الميامين فكان منهم الذبيح الثالث .

المبحث الثاني
قربان آل محمد صلى الله عليه وآله

الذبيح الثالث :

قال تعالى في محكم كتابه الكريم : {وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهاً لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً }[٩٦]. هكذا فهم الامام الحسين (عليه السلام) علاقته بالله تعالى فعبر عنها قولاً :« اللهمَّ إِنِّي أَرْغَبُ إِلَيْكَ وَأَشْهَدُ بِالرُّبُوبِيَّةِ لَكَ، مُقِرّاً بِأَنَّكَ رَبِّي ، وَأَنَّ إِلَيْكَ مَرَدِّي»، وجَسَّدَها في كربلاء فعلاً فكان كما وصف نفسه عليه السلام:«وَ لَوِ اطَّلَعُوا يَا مَوْلَايَ عَلَى مَا اطَّلَعْتَ عَلَيْهِ مِنِّي إِذًا مَا أَنْظَرُونِي وَ لَرَفَضُونِي وَ قَطَعُونِي» فكان القربان الذي قدمه آل محمد (صلى الله عليه وآله) ، وكان في ذلك كله انما يبتغي رضى الله تعالى قائلاً : «لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى » [٩٧] . وقد «ولد الحسين بن علي عليه السلام في سنة ثلاث «[٩٨] ، من الهجرة النبوية الشريفة في « يوم الخميس لثلاث خلون من شعبان »[٩٩]. وكان جبرائيل (عليه السلام) قد أخبر النبي محمد (صلى الله عليه وآله) قبل مولده قائلاً: « إن فاطمة ستلد غلاماً تقتله أمتك من بعدك »[١٠٠]، وشاء الله تعالى ان لايُحزِن رسول الله فعاد جبريل ليقول له :« يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويبشرك بأنه جاعل في ذريته الإمامة والولاية والوصية ، فقال : قد رضيت»[١٠١] . وكما كافأ اللهُ تعالى ابراهيم (عليه السلام) على طاعته ان جعله اماما ، ومن ذريته ، فقد كافأ الحسين (عليه السلام) على تضحيته ان جعل الإمامة في ابنائه من بعده . احبَّهُ رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال : « اللهمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ ، وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُ »[١٠٢] . واعتبره (صلى الله عليه وآله) ذريته فقال :« إن الله تعالى جعل ذرية كل نبي في صلبه ؟؟ وإن الله تعالى جعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب»[١٠٣] ، وقد تعامل الحسن والحسين (عليهما السلام) مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) على أنه ابوهما فقد نُقِل عن الامام علي (عليه السلام) قوله:» ما سَمّاني الحسن والحسين يا أبة حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وآله . كانا يقولان لرسول الله صلى الله عليه وآله يا أبه، وكان الحسن يقول لي يا أبا الحسين وكان الحسين يقول لي يا أبا الحسن «[١٠٤]. وقد بلغ حب رسول الله (صلى الله عليه واله) ان قال فيه :» حسين مني وأنا من حسين ، أحب الله من أحب حسيناً، الحسين سبط من الأسباط»[١٠٥]، ومهما بلغ حب رسول (صلى الله عليه وآله) للحسين عليه السلام فإنه لايصل الى ماقاله (صلى الله عليه وآله) : « الله أشدُّ حباً مني له »[١٠٦].

الثورة :

انزاحت بموت معاوية في سنة (٦٠ هـ) جميع الأسباب التي كانت تحول بين الإمام الحسين (عليه السلام) وبين الثورة في عهد معاوية، وبدا الطريق إلى الثورة على الحكم الأموي ممهداً أمامه ، فقد تَسَنَّمَ يزيد بن معاوية سدة الحكم [١٠٧]، فأرسل الى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان عامله على المدينة كتاباً يأمره بأخذ البيعة له ، جاء فيه :» إذا أتاك كتابي هذا، فأحضر الحسين بن عليّ وعبدالله بن الزبير، فخذهما بالبيعة لي، فإن امتنعا فاضرب أعناقهما وابعث إليَّ برؤوسهما، وخذ الناس بالبيعة، فمن امتنع فأنفذ فيه الحكم وفي الحسين بن عليّ وعبدالله بن الزبير; والسلام»[١٠٨]. فوُضِعَ الإمام الحسين (عليه السلام) أمام خيارين ، مبايعة يزيد أو القتل .

وفيما يتعلق بالخيار الأول فإن الإمام الحسين كان واضحاً في موقفه من يزيد قائلاً :«مثلي لا يبايع مثله» [١٠٩] ، مبيناً سبب رفضه قائلاً :« إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة ، وبنا فتح الله وبنا ختم الله »[١١٠] فكيف لمن هذه صفته أن يبايع من صفته:« فاسق شارب الخمر قاتل النفس المحرمة »[١١١] ، ولم يكن الإمام الحسين (عليه السلام) يرفض البيعة

ليزيد لاعتبارات شخصية وانما كان ينطلق من منطلق ماتمليه عليه إمامته ذلك: «إنّ الإمامة زمام الدين، ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا، وعزّ المؤمنين»[١١٢] . كما أنه (عليه السلام) لم يشأ أن يخالف رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيما سمعه منه «لقد سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : الخلافة محرمة على آل أبي سفيان» [١١٣]. ولم يغب عنه قول ابيه الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) لمعاوية : «واعلم يا معاوية أنّك من الطلقاء الذين لا تحلّ لهم الخلافة، ولا تعرض فيهم الشورى»[١١٤]. وفي هذه الحالة يستحيل على الحسين مبايعة يزيد فعليه أن يواجه القتل ، ولأن الحسين مؤمن أنَّ قدره القتل لأنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد اخبِرَ بكل ما سيجري على الحسين من أحداث من قبل ولادته ، وبين تأريخ مقتله فقال :« يقتل حسين على رأس ستين من مهاجري »[١١٥] ، والمكان الذي يُقتل فيه :« أن جبرئيل أتى النبي صلّى الله عليه وسلّم بتراب من تربة القرية التي قتل فيها الحسين، وقيل: اسمها كربلا، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: كربٌ وبلاء»[١١٦] ، وصرح باسم قاتله عندما سُئلَ عن ذلك : من يقتله يا رسول الله؟ فقال:«رجل يقال له يزيد لا بارك الله في نفسه، وكأني أنظر إلى منصرفه ومدفنه بها وقد أهدي رأسه»[١١٧]. وقد توجع رسول الله (صلى الله عليه وآله) من يزيد قائلاً:» يزيد لا بارك الله في يزيد نعي إلي الحسين ، وأوتيت تربته وأخبرت بقاتله ، والذي نفسي بيده لا يقتل بين ظهراني قوم لا يمنعونه إلا خالف أالله بين صدورهم وقلوبهم ، وسلط عليهم شرارهم وألبسهم شيّعا، واها لفراخ آل محمد من خليفة مستخلف مترف يقتل خلفي وخلف الخلف»[١١٨]. كان الحسين (عليه السلام) مؤمنا بقدرالله تعالى ، عارفا بمصيره ، وقد بين ذلك لابن عباس (ت٦٨هـ) عندما حاول منعه من الذهاب الى العراق فقال له:«يا ابن عباس أما علمت ان منيتي من هناك، وأن مصارع أصحابي هناك. فقلت له: فأنى لك ذلك؟ قال: بسرٍّ سُرَّ لي، وعلم أُعطيته»[١١٩] . ويبدو أنَّ اهل بيته كانوا يعرفون ذلك ؛ فقد نقل عن عبد الله ابن عباس قوله : «ما كنا نشك أهل البيت، وهم متوافرون: إن الحسين بن علي يقتل بالطف»[١٢٠].

ومع ذلك أراد أن يطمئن قلبه ، كما فعل إبراهيم (عليه السلام) من قبل ، فقصد ضريح جده محمد (صلى الله عليه وآله) متوسلاً به الى الله تعالى يستخيره فيما يعمل :» اللهم هذا قبر نبيك محمد، وأنا ابن بنت نبيك، وقد حضرني من الأمر ما قد علمت ، اللهم إني احب المعروف، وانكر المنكر، وأنا أسألك يا ذا الجلال والاكرام بحق هذا القبر ومن فيه إلا اخترت لي ما هو لك رضى «[١٢١]. وبكى، ثمّ وضع رأسه على القبر فغفا، فرأى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، لاشك انها رؤيا صادقة لانها رؤيا إمام كما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) :« الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»[١٢٢] ، و قال(صلى الله عليه وآله) :« وَمَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِي»[١٢٣].

فكما امتحنت الرؤيا ابراهيم في إيمانه، وقادت عبد المطلب الى زمزم فكانت سبباً لاختبار قِيَمه، فها هي تمتحن إيمان الإمام الحسين وتختبر ثباته على قيم ربّاه عليها رسول الله (صلى الله عليه وآله) وها هو يخاطبه: «حبيبي يا حسين كأنّي أراك عن قريب مرملاً بدمائك، مذبوحاً بأرض كربلاء، بين عصابة من أمّتي، وأنت مع ذلك عطشان لا تُسقى وظمآن لا تروى «[١٢٤]. وقد ذُكِرَ أنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد بشَّر بهذا الموقف من قبل فقد روي عنه قوله (صلى الله عليه وآله):«واما الحسين فهو مني وهو ابني وولدي ... واني لما رايته تذكرت ما يُصنع به كأني به قد استجار بحرمي وقبري فلا يجار فاضمه في منامي إلى صدري وآمره بالرحلة عن دار هجرتي وأبشره بالشهادة فيرتحل عنها إلى أرض مقتله وموضع مصرعه أرض كرب وبلاء وقيل وفناء ينصره عصابة من المسلمين أولئك من سادات شهداء أمتي يوم القيامة كأني انظر إليه وقد رمى بسهم فخر صريعا ثم يذبح كما يذبح الكبش مظلوما ثم بكى رسول الله (ص) وبكى من حوله وارتفعت أصواتهم بالضجيج «[١٢٥] . هذه هي صورة المشهد الأخير بكل تفاصيلها زماناً ، ومكاناً ، وشخوصاً . ومن هنا بدأ الأمتحان بما يحمله

من مضامين هي افضل ماتكون قواعد للإيمان ، والطاعة ، ومكارم الاخلاق .

انطلق الحسين (عليه السلام) في مسيرته منفذاً أمر جده ، ذلك الأمر الذي عجز أن يثني الحسين (عليه السلام) عن تنفيذه كل الذين حاولوا منعه من الخروج الى العراق ، فقد اصطدمت محاولاتهم بالتزامه قائلاً لهم : « إني رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) في المنام وأمرني بما أنا ماض له، فقالوا له : ما تلك الرؤيا ؟ فقال : ما حدّثت أحداً بها، ولا أنا محدِّثٌ بها أحداً حتى ألقى ربي عزَّ وجلَّ»[١٢٦]، «وفي رواية حتى الاقي عملي»[١٢٧] .

صارت مفردة (الموت) تتردد في كلام الإمام الحسين (عليه السلام) ، ومع أنَّ الموت هو النهاية الحتمية للنفس ومنها النفس البشرية « {كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ ... }[١٢٨]. لكن الموت عند الإمام الحسين (عليه السلام) هو ذاك الذي عناه الله تعالى في احتجاجه لنبيه (صلى الله عليه وآله) على اليهود[١٢٩] في قوله تعالى :»{قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللهِّ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ }»[١٣٠]. فكان خروجه (عليه السلام) تلبية لمشيئة الله تعالى جاءت على لسان نبيه الأمين محمد (صلى الله عليه وآله) فيما روي عن الإمام الحسين قوله لعبد الله بن عباس :» أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ما فارقتك فقال يا حسين اخرج فأن الله قد شاء ان يراك قتيلا قال ما معنى حملك هذه النسوة معك قال ان الله قد شاء ان يراهن سبايا «[١٣١]. رضي الإمام الحسين (عليه السلام) بما أمرَه جده رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ولم يخاف الموت الذي بُشِّر بِهِ بل عبَّرَ عن سعادته به مقارنة بالحياة في كنف الظالمين وما زالت مقولته :» ليرغب المؤمن في لقاء الله، فإنّي لا أرى الموت إلاّ سعادة والحياة مع الظالمين إلاّ برماً»[١٣٢] ناقوساً يدق في أذهان المستضعفين تحثهم على الثورة لنيل حريتهم، ورفض الحياة تحت نير الظالمين حتى وإن كان ثمنها الموت.

و لم يكن الإمام الحسين (عليه السلام) إلاّ قرباناً من سلسلة قرابين حباهم الله تعالى ليقدموا انفسهم مصابيح تنير الطريق للسالكين الى دين الله تعالى ، وقد بين ذلك الإمام محمد الباقر (عليه السلام) قائلاً : « وإنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ كَانَ قَدَّرَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَقَضَاهُ وَأَمْضَاهُ وَحَتَمَهُ عَلَى سَبِيلِ الاخْتِيَارِ ثُمَّ أَجْرَاهُ فَبِتَقَدُّمِ عِلْمٍ إِلَيْهِمْ مِنْ رَسُولِ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه) قَامَ عَلِيٌّ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ (عَلَيْهِ السَّلام) وَبِعِلْمٍ صَمَتَ مَنْ صَمَتَ مِنَّا وَلَوْ أَنَّهُمْ يَا حُمْرَانُ حَيْثُ نَزَلَ بِهِمْ مَا نَزَلَ مِنْ أَمْرِ الله عَزَّ وَجَلَّ وَإِظْهَارِ الطَّوَاغِيتِ عَلَيْهِمْ سَأَلُوا الله عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَدْفَعَ عَنْهُمْ ذَلِكَ وَأَلَحُّوا عَلَيْهِ فِي طَلَبِ إِزَالَةِ مُلْكِ الطَّوَاغِيتِ وَذَهَابِ مُلْكِهِمْ إِذاً لاجَابَهُمْ وَدَفَعَ ذَلِكَ عَنْهُمْ ثُمَّ كَانَ انْقِضَاءُ مُدَّةِ الطَّوَاغِيتِ وَذَهَابُ مُلْكِهِمْ أَسْرَعَ مِنْ سِلْكٍ مَنْظُومٍ انْقَطَعَ فَتَبَدَّدَ وَمَا كَانَ ذَلِكَ الَّذِي أَصَابَهُمْ يَا حُمْرَانُ لِذَنْبٍ اقْتَرَفُوهُ وَلا لِعُقُوبَةِ مَعْصِيَةٍ خَالَفُوا الله فِيهَا وَلَكِنْ لِمَنَازِلَ وَكَرَامَةٍ مِنَ الله أَرَادَ أَنْ يَبْلُغُوهَا فَلا تَذْهَبَنَّ بِكَ الْمَذَاهِبُ فِيهِمْ»[١٣٣].

دروس من الثورة :

ان قراءة متأينة لمقطع من حياة الامام الحسين (عليه السلام) منذ أن رفض بيعة يزيد وإلى أن تقبله الله تعالى قرباناً في كربلاء ، هذه المرحلة على قصرها هي المرحلة الاهم في حياته (عليه السلام) لأنها مرحلة الثورة المقدسة التي مثلت انعطافة تاريخية في حياة الاسلام والمسلمين افرزت قيماً اخلاقية ، وتضمنت جوانب تربوية واجتماعية ، مجتمعنا بأمس الحاجة اليها الآن لأنَّ الاسلام اليوم يتعرض الى هجمة شرسة عمادها الفكر الاموي . ومما تضمنته ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) :

أولاً – بعث الوعي الديني :

بَيَّنَ الإمام الحسين (عليه السلام) الهدف من إعلانه الثورة على حكم يزيد في ما ذكره في وصيته:» إني لم أخرج أشراً، ولا بطراً ولا مفسداً، ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدي ، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد عليَّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق، وهو خير الحاكمين»[١٣٤] ، مما يعني انه شَخَّصَ انحرافاً خطيراً ، صار واضحاً في سياسة الامويين يوم قال معاوية لاهل العراق:» مَا قَاتَلْتُكُمْ لِتُصَلُّوا ، وَلَا لِتَصُومُوا ، وَلَا لِتَحُجُّوا ، وَلَا لِتُزَكُّوا، وَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّكُمْ تَفْعَلُونَ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ إِنَّمَا قَاتَلْتُكُمْ لِأَتَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ ، وَقَدْ أَعْطَانِي الله ذَلِكَ وَأَنْتُمْ لَهُ كَارِهُونَ «[١٣٥] . حيث كرَّس مبدأ قدسية الحكام ، ورُبَّ سائل يسأل لماذا لم يتحرك الحسين في عهد معاوية؟ والجواب انه كان ملتزما بصلح الإمام الحسن (عليه السلام) ؛ ولذلك واعد اهل العراق موت معاوية ، و حذرهم بطش السلطة الاموية قائلاً : « فالصقوا بالأرض واخفوا الشخص واكتموا الهوى واحترسوا من الاظناء ما دام ابن هند حيا، فإن يحدث به حدث وأنا حي يأتكم رأيي إن شاء الله «[١٣٦]، فكانت ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) هي إعادة تشكيل للقيم على أُسس الاسلام التي وضعها رسول الله (صلى الله عليه واله) بعيدا عن العصبية القبلية والقومية التي صارت شعاراً للحكم في عهد معاوية.

وقد اعلن الإمام الحسين(عليه السلام) أهداف ثورته منذ اليوم الاول الذي دعي فيه لمبايعة يزيد فقد جاء في رده على مروان يوم طلب منه أن يبايع يزيد :» إنا لله وإنا إليه راجعون وعلى الإسلام السلام إذا ابتليت الأمة براع مثل يزيد ولقد سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: الخلافة محرمة على آل أبي سفيان «[١٣٧]، وقد صرح (عليه السلام) بفسق يزيد قائلا :»... يزيد شارب الخمور وراكب الفجور «[١٣٨]. ومن الجدير بالذكر ان الامام الحسين عليه السلام لم يكن متجنياً على يزيد فقد حفلت المصادر بوصف يزيد ومن اقرب الناس اليه فقد وصفه زياد قائلاً لمعاوية عندما أراد بيعته لولاية عهده : «فما يقول الناس إذا دعوناهم إلى بيعة يزيد وهو يلعب بالكلاب والقرود ! ويلبس المصبغ ! ويدمن الشراب ! ويمشي على الدفوف»[١٣٩] وقال فيه عبد الله بن عمر :«نبايع من يلعب بالقرود ، والكلاب ، ويشرب الخمر ، ويظهر الفسوق ، ماحجتنا عند الله »[١٤٠]. و وصفه يزيد بن مسعود في قوله : « يزيد شارب الخمور ورأس الفجور يدعي الخلافة على المسلمين ويتأمر عليهم بغير رضا منهم مع قصر حلم وقلة علم ، لايعرف من الحق موطيء قدميه ، فأقسم بالله قسماً مبروراً، لجهاده على الدين أفضل من جهاد المشركين »[١٤١] . وبذلك بيَّن الإمام الحسين (عليه السلام) إنَّ من يحمل هذه الصفات لا يصلح لادارة الامة واذا ما فرض عليها فهو إمام ظلالة ، على الأُمَّة ازالته التزاما بقول رسول الله (صلى الله عليه واله):» من رأى سلطانا جائرا، مستحلا لحرم الله، ناكثا لعهد الله، مخالفا لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول، كان حقا على الله أن يدخله مدخله»[١٤٢] . وان تختار الامة من يكون إمام هُدى كما قال الحسين (عليه السلام):» فلعمري ما الإمام إلا الحاكم بالكتاب، القائم بالقسط، الدائن بدين الحق الحابس نفسه على ذلك لله «[١٤٣].

ثانياً – التربية الثورية :

لقد استطاع الامام الحسين (عليه السلام) بصفته قائدا لثورة تهدف الى تحرير الانسان من الوضع الفاسد الذي كان على رأسه يزيد آنذاك ان يربي اصحابه على الإنقياد التام للقيادة والاستعداد للتضحية ، وذلك ما يجب ان يقوم به من يريد التغير ، عليه ان يصنع طليعة مؤمنة بأهداف التغيير ولديها الاستعداد للتضحية من اجل هدفها وهذا ما استطاع الامام الحسين

(عليه السلام) القيام به بنجاح باهر، وكان على يقين من نهايته ونهاية اصحابه فقد قال للواقدي ، وزرارة قبل خروجه إلى العراق بثلاثة أيام :» ... أعلم يقينا أن هناك مصرعي ، ومصرع أصحابي ، ولا ينجو منهم إلا ولدي علي »[١٤٤]. ولعل أقصى معاني التضحية هو الموت في سبيل الهدف لذلك نجد ان الامام (عليه السلام) كان يتحدث عن الموت لا باعتباره الفناء وانما باعتباره البوابة لحياة الخلود وهو نهاية حتمية للإنسان يحيط به وسيصله يقيناً فقال (عليه السلام) : «خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة »[١٤٥] ، وهو عندما يتحدث عن الموت بانه : نهاية حتمية للإنسان يحيط به وسيصله يقيناً ؛ فإنه يصفه بأنه زينة وجمال يتحلى به الانسان المضحي في سبيل الله كجمال القلاده التي تتزين بها المرأة تظهر فيها جمالها. ومع ذلك فهو لم يُكره أحداً عليه قائلاً :«من كان باذلاً فينا مُهجتهُ ومُوَطناً على لقاء الله نفسُه فليرحل معنا فإنني راحل مصبحاً إن شاء الله»[١٤٦]، وكان يصارح من معه بأن النهاية الحتمية لمسيرته هي الموت، وقد تكرر ذلك على مدى رحلته من مكة وحتى نهايته في كربلاء ، حتى انه كتب الى بني هاشم : «انه من لحق بي منكم استشهد ومن تخلف عني لم يبلغ الفتح «[١٤٧]، وقد خير أصحابه عندما وصل (زبالة[١٤٨]•) وكان قد بلغه مقتل اخيه في الرضاعة عبدالله بن يقطر ، فأخرج للناس كتابا ونادى : "بسم أللهِ الرحمن الرحيم ، أمّا بعد : فقد أتانا خبر فظيع ، قتل مسلم بن عقيل ، وهاني بن عروة ، وعبدالله بن يقطر ، وقد خذلتنا شيعتنا، فمن أحب منكم ألانصراف ، فلينصرف ليس عليه منا ذمام"[١٤٩] ، وفي رواية :«أيها الناس فمن كان منكم يصبر على حد السيف ، وطعن ألأسنة فليقم معنا ، وإلا فلينصرف عنا»[١٥٠] فتفرق الناس عنه ولم يبق معه إلا الذين جاءوا من المدينة. وهذا موقف يستحق التوقف عنده هو أنَّ أهل بيت النبوة لا يخدعون الناس ، ولا يطلبون النصر بغيرالوسائل الشرعية ، لذالك أحاط الإمام (عليه السلام) الجموع التي التحقت به علماً بأنهم مقبلون على القتال ؛ فلما عرفت تلك الجموع بان كفة العدو هي الارجح في كسب المعركة، وأنه لا أمل لها بالمغانم ، تفرقت من حول الإمام ولم يبق معه إلاّ أولئك الذين يريدون مواساته والموت معه ، فالقائد الناجح هو الذي يميز بين مَنْ هم « عبيد الدنيا ، والدين لعق على ألسنتهم ، يحوطونه ما درت معائشهم ، فإذا محّصوا بالبلاء قلّ الديانون »[١٥١]، وبين مؤمن يرغب في لقاء ربه حقاً ولايرى الموت « إلا سعادة ، والحياة مع الظالمين إلا برما» [١٥٢] . وعندما تيقن الامام الحسين (عليه السلام) أن الحرب واقعة لا مفر منها ، وأن مصيره ومصير من يبقى معه سيكون القتل لا محالة ، أراد أن يرفع الحرج عن نفسه ، وأن يراجع اصحابه انفسهم ، وفي الليلة التي سبقت عاشوراء جمعهم وخطب فيهم قائلاً بعد ان حمد الله وأثنى عليه :« فإني لا أعلم أصحابا أوفى ولا خيرا من أصحابي ، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي ، فجزاكم أللهُ عني خيرا ، ألا وإني لأظن يوما لنا من هؤلاء ، ألا وإني قد أذنت لكم فانطلقوا جميعا في حل ، ليس عليكم حرج مني ولا ذمام ، هذا الليل غشيكم فاتخذوه جملا»[١٥٣]. فكان ردهم عليه معبراً عن صدق نيتهم وعمق ايمانهم :« لِمَ نفعل ذلك ؟ أَلِنبقى بعدك ؟ لا ارانا أللهُ ذلك أبدا»[١٥٤]، وفي رواية :»لاأبقانا الله بعدك ، لاوالله ، لانفارقك حتى يصيبنا ما أصابك »[١٥٥]. لقد كان في ردهم عليه في تلك الليلة ولم يفصلهم عن نهايتهم سوى ساعات، ما يدل على سمو التربية وعمق الايمان الذي استطاع الامام الحسين (عليه السلام) ان يعزز رسوخه في قلوبهم، فكان عملا أكثرمما هو قولٌ . لقد استوعبوا الدروس وسمعوا النصح وعرفوا أنَّ ما قاله (عليه السلام) : (فإنّي لا أرى الموت إلاّ سعادة والحياة مع الظالمين إلاّ برماً..) هو منهاج عمل للساعين الى الحرية ، والرافضين لجور الحاكمين ، ولهذا كان رَدُّ برير بن حضير على شمر بن ذي الجوشن :» يا عدو الله ! أبا لموت تخوفني ، والله ! إن الموت أحب إلينا من الحياة معكم»[١٥٦] .

ثالثاً : الإباء ورفض الذل :

من بين أهم الصفات التي اتصف بها الإمام الحسين (عليه السلام) صفة الإباء عن الضيم ، حتى لُقّب (عليه السلام) بـ (أَبيّ الضيم) .فكان إباؤه للضيم ووقوفه بوجه الظلم واستهانته بالموت في سبيل الحق انموذجاً يقتدي به كل ذي نفس أبية وطريقً يسلكه أهل الإباء في كل مكان وزمان ؛ ولذلك كان من بين اهم الدروس التي تميزت بها ثورته(عليه السلام) العزة والاباء . وما أحوج مجتمعنا لبعث روح العزة فيه وحثه على خلع ثوب الذل الذي حاول الفكر الأموي أن يسبغه عليه، فالحسين (عليه السلام) عَلَّمَ الأمة كيف تقف في وجه البغي عندما قال لمروان :» على الإسلام السلام إذ قد بليت الأمة براع مثل يزيد»[١٥٧]. ولذلك رفض ان يمد يده له وإن كلفه حياته فقال لاخيه محمد بن الحنفية :» والله لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت يزيد بن معاوية» [١٥٨]. كان الحسين عليه السلام يدرك أن صلاح الأمة وفسادها رهن صلاح الخلافة وفسادها ، كما جاء في قول رسول الله (صلى الله عليه وآله): « صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي إِذَا صَلُحَا صَلُحَ النَّاسُ : الأُمَرَاءُ وَالْفُقَهَاءُ»[١٥٩]، ولهذا علمنا الحسين (عليه السلام) ، أنَّ قيادة مثل يزيد لا تزيد الأمر إلا عيثا وفسادا .

لقد اعتبر الإمام الحسين (عليه السلام) ، أنَّ مبايعة يزيد تحت تهديده بالقتل هي صورة من صور الذل ، فكان شعاره الذي رفعه «موت في عز خير من حياة في ذل «[١٦٠] قاعدة تربوية تسمو بالانسان الى الحياة الكريمة ، وكان (عليه السلام) قمة في الاباء يوم تخلى عنه القوم وعرض عليه الاستسلام والبيعة فرد عليهم قائلا: « لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أفر فرار العبيد»[١٦١] . وقد شهد بذلك عمر بن سعد في ساحة المعركة قائلاً للشمر : ان للحسين « نفساً ابية لبين جنبيه»[١٦٢]. لقد ضرب للناس مثلاً أعلى ودرساً بليغاً ليس له مثيل في التضحية يبعث في الأمم حيوية النهوض والدفاع عن الحق والعدالة. وفي صبيحة عاشوراء كان الموت قاب قوسين أو ادنى منه منح فرصة التراجع عن القتال ، مقابل النزول على حكم عبيد الله ، وقد عبر عن هذا الموقف قائلاً : «أ لا وإن الدعي بن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة يأبى الله لنا ذلك ، ورسوله والمؤمنون ، وحجور طابت وطهرت ، وأنوف حمية، ونفوس أبية من أن نؤثر طاعة اللئام، على مصارع الكرام، الا واني زاحف بهذه الأسرة على قلة العدد وخذلان الناصر »[١٦٣] فاختار (عليه السلام) المنية على الدنية و ميتة العز على عيش الذل ، و وصفه مصعب ابن الزبير قائلاً :« واختار الميتة الكريمة على الحياة الذميمة»[١٦٤] مقدما نفسه و أهل بيته وأصحابه للقتل قربانا وفاء لدين جده (صلى الله عليه وآله) عن طيبة نفس و عدم تردد، وقدم درسا عمليا في العزة ورفض الذل يستلهم منه الأحرار روح المقاومة والحرية .

الخاتمة

يتضح لنا مما تقدم أنَّ قربان آل محمد (صلى الله عليه وآله) ليس كقرابين الانبياء (عليهم السلام) ، ففي الوقت الذي افتدى الله تعالى اسماعيل (عليه السلام) بِذِبْحٍ عظيم، وأنقذ عبد الله بن عبد المطلب بمائة ناقة ، فإنَّ قربان رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله) كان مجموعة قرابين في قربان واحد، إدَّخَرَهُ الله تعالى يوم حفظ اسماعيل ومن ثم أنقذ عبد الله ليكون الحسين (عليه السلام) الذبيح الذي لا فدية له حتى يبقى دمه دافقاً في شرايين ثورة الانسان ضد الظلم اينما كان ، لا يهدأ حتى يلفظ آخر الطغاة انفاسه ، وكان جُلّ ما يبتغيه الحسين (عليه السلام)(رضا الله) فكان توجهه الى الله تعالى بقوله : ان كان هذا يرضيك فخذ حتى ترضى.

وإذا كان الإمام الحسين(عليه السلام) قد ضحى بأصحابه واهل بيته وبنفسه من أجل التغيير والإصلاح، فالسؤال الذي يمكن اثارته لماذا ، وبماذا تضحي المجتمعات المعاصرة ؟

ان الاجابة عن هذا السؤال تكمن في فهم ثورة الامام الحسين (عليه السلام) وانّه لم يزل ينادي : (الا هل من ناصر ينصرنا)؟ . لقد وجد الباحث ان في ما قام به الإمام الحسين (عليه السلام)من الدروس ما لا يحيط بها مثل هذا البحث ، وكما تطرق اليه البحث فإن نصرة الحسين عليه السلام يمكن ان تكون كما يأتي :-

١) اعتماد الحوار أسلوباً في التربية لما له من اثر كبير في خلق ابناء يفهمون معنى الابوة كما فهمها اسماعيل (عليه السلام) وكما يفهمها ابناء عبد المطلب. و هذا النهج تمثل بالحسين (عليه السلام) وطاعته لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ونجاحه في تربية ابنائه ، التي بدت واضحة في موقف علي الاكبر (عليه السلام).

٢) تأكيد الأسلوب عن طريق المنبر الحسيني الذي اتبعه الامام الحسين (عليه السلام) في خلق طليعة ثائرة تساما بها الايمان حد الشهادة .

٣) اختيار رجال المنبر الحسيني من الذين يتمتعون بالقدرة على ايصال العِبْرَة بمستوى القدر نفسها على صنع العَبْرَة، حتى يتحقق شعار لبيك يا حسين بأبهى صورة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رَبِّ العالمين

الهوامش

١. أحمد مختار عمر ، معجم اللغة العربية المعاصرة ، ١/ ٢٠٨٠ .

٢. الزَّبيدي ، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني (المتوفى: ١٢٠٥هـ) تاج العروس من جواهر القاموس ، بيروت – دار الفكر ، ط١-١٤١٤هـ ، ٢/ ٣٠٩ .

٣. ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي (المتوفى: ٧١١هـ) لسان العرب ، بيروت – دار صادر ، ط٣-١٤١٤هـ، ١/ ١٦٤

٤. الأنصاري، زكريا بن محمد (ت٩٢٦هـ) الحدود الانيقة والتعريفات الدقيقة ، تحقيق : مازن المبارك ، بيروت – دار الفكر، ط١- ١٩٩١م ، ص٧٧ .

٥. الراغب ، ابي القاسم الحسين الاصفهاني (ت٥٠٢هـ) ، المفردات في غريب القران ،تحقيق : محمد سيد كيلاني ، بيروت، دار المعرفة ، د. ت ص٣٩٩ ؛ المناوي ، محمد عبد الرؤوف (ت١٠٣١هـ) التوقيف على مهمات التعاريف ، دمشق – دار الفكر، ط١-١٤١٠هـ ، ص٥٧٨ .

٦.الطبرسي، ابو علي الفضل بن الحسن (ق٧ هـ) مجمع البيان في تفسير القرآن ، بيروت – دار المرتضى ، ط١- ٢٠٠٦م ، ٢/ ٣٦٨ .

٧. المائدة : ٢٧

٨. آل عمران :١٨٣

٩. المائدة : ٢٧

١٠. الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ) : جامع البيان في تأويل القرآن ، تحقيق : أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة : الأولى ، ٢٠٠٠م ، ١٠/ ٢٠١.

١١. القرطبي، ابو عبد الله محمد بن احمد (ت ٦٧١هـ)، الجامع لاحكام القران ، تحقيق : هشام سمير النجاري ، الرياض ، دار عالم الكتب ، ٤/ ٢٩٥ ؛ مجمع البيان ٢/ ٣٦٩.

١٢. تفسير الطبري ٧/ ٤٤٨

١٣. الكتاب المقدس ، كتاب كل العصور ، الاصدار ٢، ٢ ، التكوين ٢٢: ٦ .

١٤. الكتاب المقدس ، اصدار: دار الكتاب المقدس في الشرق الاوسط ، سفر التكوين ٤ ص٥.

١٥. مجمع البيان ٨/ ٢٤٧ .

١٦. تاج العروس ١٨ / ٣٤٧ .

١٧. لسان العرب ١٣/ ٢٥٨ .

١٨. مفردات الراغب ص١٨٤

١٩. الحازمي ، خالد بن حامد ، اصول التربية الاسلامية ، المدينة المنورة – دار عالم الكتب ، ط١-٢٠٠٠م ، ص١٩ .

٢٠. الكراكجي ، ابو الفتح الشيخ محمد بن علي (ت٤٤٩هـ) كنز الفوائد ، تحقيق : عبد الله نعمة ، بيروت – دار الاضواء ، ١٤٠٥ هـ ، ص٢٣٢ ؛ الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠ هـ) اعلام النبوة ، تحقيق : محمد المعتصم بالله البغدادي ، بيروت – دار الكتاب العربي ، ط١ – ١٩٨٧م ، ص٢١٥ .

٢١. الحج : ٢٧

٢٢. النحل : ١٢٠-١٢٢ .

٢٣. الانعام : ٧٥

٢٤. مجمع البيان ٤/ ٦٩ .

٢٥. تفسير القرطبي ٣/ ٢٩٧ .

٢٦. يُنظر : تفسير الطبري ٥/ ٤٨٥ ؛ مجمع البيان ٢/ ١٤٥ ؛ ابن كثير ، ابي الفداء اسماعيل (ت ٧٧٤هـ) تفسير القرآن ، العظيم تحقيق : سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط٢-١٩٩٩م ،١/ ٦٩٨ ؛ السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت ٩١١هـ) ، الدر المنثور ، بيروت- دار الفكر ، ٢/ ٣٣

٢٧. البقرة : ٢٦٠

٢٨. البقرة : ٢٥٨

٢٩. الزخرف: ٢٦-٢٨

٣٠. يُنظر : ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر (ت٧٥١هـ) ، الجواب الكافي ، تحقيق : عمرو عبد المنعم سليم ، جدة-مكتبة العلم ، ط١-١٩٩٦م، ص٣٨٠ ؛ تفسير ابن كثير ٧/ ٢١٢.

٣١. الحاكم ٢/ ٤٦٨

٣٢. التكوين ١٦: ١٦ ؛ إبن كثير ، ابي الفداء اسماعيل (ت ٧٧٤هـ) ، تحفة النبلاء من قصص الانبياء ، جدة- مكتبة الصحابة، ط١-١٩٩٨م ص٢١٢.

٣٣. الصافات : ١٠٠

٣٤. الصافات : ١٠١

٣٥. التكوين ١٦ : ١٦

٣٦. الصافات : ١٠٢

٣٧. الصافات : ١٠٢

٣٨. الأحزاب: ٣٦

٣٩. المجادلة : ١ ؛ الكهف : ٣٤ ، ٣٧ .

٤٠. مريم : ١٥،٣٣ .

٤١. الاسراء : ٢٣ ؛ لقمان :١٤ .

٤٢. البقرة : ١٥٣

٤٣. الصافات : ١٠٣

٤٤. الصافات : ١٠٣

٤٥. تفسير الطبري ٢١/ ٧٦ .

٤٦. الجزائري ، نعمة الله (ت ١١١٢ هـ) قصص الانبياء ، بيروت – مؤسسة الاعلمي ، ط٢-٢٠٠٢م ،ص١٣٢.

٧٤. مجمع البيان ٨/ ٢٤٥.

٤٨. ابن الجوزي، ابو الفرج جمال بن علي (ت٥٩٧ هـ) المدهش ، ضبطه وعلق عليه : مروان قباني ، بيروت – دار الكتب العلمية ، ط٢- ٢٠٠٥، ص٨٦ ؛ العفاني ، سيد حسين ، الرياض النضرة في فضائل الحج والعمرة ، ط٢ – ١٤١٨ ، ١/ ٢٠٣ .

٤٩. الصافات : ١٠٧

٠٥. قصص الانبياء ص٢١٦

٥١. الصدوق ، ابو جعفر محمد بن علي (ت٣٨١هـ) ,كتاب الخصال ، صححه : علي اكبر الغفاري ، قم – الحوزة العلمية ١/ ٥٦.

٥٢. الصافات : ١٣١

٥٣. البقرة : ١٢٤

٥٤. الكليني ، محمد بن يعقوب ت(٣٢٩هـ) اصول الكافي ، بيروت –منشورات الفجر ، ط١-٢٠٠٧م ١/ ١٠١؛ الطباطبائي، محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن ، صححه : حسين الأعلمي ، بيروت – مؤسسة الاعلمي ، ط١-١٩٩٧م، ١/ ٢٧٢.

٥٥. تكوين ٢٢: ١

٥٦. تكوين ٢٢ : ٢

٥٧. تكوين ٢٢: ١٦ – ١٨

٥٨. يُنظر : ابن قيم الجوزية ، محمد بن ابي بكر (ت٧٥١هـ) زاد المعاد ، بيروت – مؤسسة الرسالة ، ط١-٢٠٠٩م ، ص٢٣.

٥٩. ابن دريد ، أبي بكر محمد بن الحسن الأزدي (ت٣٢١ هـ) الاشتقاق ، تحقيق : عبد السلام هارون ، بغداد – مكتبة المثنى، ١٩٥٨م، ١/ ١٢ ؛ تاريخ الطبري ٢/ ٢٤٦.

٦٠. الكلبي ،محمد بن السائب (ت ٢٠٤ هـ) جمهرة النسب ، تحقيق: محمد فردوس العظم ، دار اليقظة العربية – سوريا، ط٢، ١/ ١-١٤؛ ابي عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤ هـ) كتاب النسب ، تحقيق : مريم محمد خير الدرع ، دار الفكر – بيروت، ط١- ١٩٨٩م ، ص١٩٢ – ١٩٦.

٦١. ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع البصري (ت ٢٣٠ هـ) ،الطبقات الكبرى ، بيروت ، دار صادر ١٩٥٧م ، ١/ ٢٠؛

البيهقي ، ابو بكر احمد بن الحسين (ت٤٥٨هـ) دلائل النبوة ١/ ١٦٦ .

٦٢. ٦٢ الشعراء : ٢١٨- ٢١٩ .

٦٣. المفيد ، محمد بن محمد بن النعمان البغدادي (ت٤١٣ه) ، أوائل المقالات ، تحقيق: الشيخ ابراهيم الانصاري ، مطبعة مهر ، ط١-١٤١٣هـ ص ٤٥-٤٦ .

٦٤. ابن سيد الناس ، ابو الفتح محمد بن محمد (ت٧٣٤ هـ) عيون الاثر ، تحقيق : محمد العيد الخطراوي ، ومحيي الدين مستو، بيروت- دار ابن كثير ، ١/ ٧٦

٦٥. طبقات ابن سعد ١/ ٦١ ؛ عيون الاثر ، ١/ ٧٦ .

٦٦. الحصيبي ، عياض بن موسى (٥٤٤هـ) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، عمّان – دار الفيحاء ، ط٢-١٤٠٧ ه، ١/ ١٨١ .

٦٧. آل عمران : ٣٣-٣٤ .

٦٨. الصدوق ، ابو جعفر محمد بن علي القمي (ت٣٨١هـ) من لايحضره الفقيه ، بيروت – مؤسسة الاعلمي ، ط١-١٩٨٦م، ٤/ ٢٦٩؛ الخصال ص٣١٣ .

٦٩. الواقدي ، محمد بن عمر بن واقد (ت٢٠٧هـ) كتاب المغازي ، تحقيق: مارسدن جونس ، بيروت – عالم الكتب ،ط٣ – ١٩٨٤م ، ٣/ ٩٠٢

٧٠. الكليني ، محمد بن يعقوب (ت٣٢٩ هـ) فروع الكافي ، بيروت – منشورات الفجر ، ط١-٢٠٠٧م، ٤/ ٣٨

٧١. إبراهيم : ٣٧

٧٢. البخاري ، محمد بن اسماعيل (ت٢٥٦هـ) صحيح البخاري ، تحقيق : محمد زهير بن ناصر ، دار طوق النجاة ، ط١-١٤٢٢هـ ، ح : ٣٣٦٤ ، ٤/ ١٤٢. صحيح البخاري ، كتاب احاديث الانبياء ،

٧٣. م . ن .

٧٤. ابن اسحاق ، محمد بن اسحاق بن يسار (ت١٥١هـ) السيرة النبوية ، تحقيق : احمد فريد المزيدي ، بيروت – دار الكتب العلمية ، ط١ – ٢٠٠٤م ، ١/ ٨٠ . ١/ ٨٠ .

٧٥. يُنظر تفسير ابن كثير ٤/ ١٧١

٧٦. يُنظر : سيرة ابن اسحاق ١/ ٧٧ ؛ طبقات ابن سعد ا/ ٨٣ ؛ البغدادي ، محمد بن حبيب (ت٢٤٥ هـ) المنمق في اخبار قريش ، صححه : خورشيد احمد فارق ، بيروت – عالم الكتب ، ط١-١٩٨٥م، ص٣٣٣ ؛ اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب(ت٢٩٢هـ) ، تاريخ اليعقوبي ،تحقيق :عبد الامير مهنا ، بيروت،الاعلمي للمطبوعات ،ط١-٢٠١٠م ١/ ٢٩٨.

٧٧. سيرة ابن اسحق ١/ ٧٨ .

٧٨. طبقات بن سعد ١/ ٨٥ .

٧٩. البقرة : ١٢٧

٨٠. مجمع البيان ١/ ٢٧٨ .

٨١. طبقات ابن سعد ١/ ٨٨ .

٨٢. طبقات ابن سعد ١/ ٨٨ .

٨٣. طبقات ابن سعد ١/ ٨٨

٨٤. تاريخ اليعقوبي ١/ ٣٠٣

٨٥. طبقات ابن سعد ١/ ٨٩ .

٨٦. تاريخ اليعقوبي ١/ ٣٠٣ .

٨٧. طبقات ابن سعد١/ ٨٩ .

٨٨. طبقات ابن سعد١/ ٨٩ .

٨٩. تفسير القرطبي ١٩/ ١٢٧

٩٠. الإنسان : ٧

٩١. يُنظر : تفسير الطبري ٢٤/ ٩٥ ؛ تفسير القرطبي ١٩/ ١٢٥ ،

٩٢. يُنظر الآيات : البقرة : ١٧٧ ؛ آل عمران :٧٦ ؛ الإسراء ٣٤ ؛ الرعد : ٢٢.

٩٣. تفسير ابن كثير ٤/ ٤٥٠

٩٤. طبقات ابن سعد ١/ ٨١ .

٩٥. السيرة النبويّة، لابن هشام ١:١٦٩. تاريخ اليعقوبي ٢:٧ـ ١٠. عيون الأثر، لابن سيد الناس ١:٤٠. بلاغات النساء، لأحمد بن أبي طاهر البغدادي.

٩٦. الكهف : ١٤

٩٧. ابن طاووس، رضي الدين علي بن موسى (ت٦٦٤هـ) الاقبال بالاعمال الحسنة، تحقيق : جواد القيومي ، قم – مكتب الاعلام الاسلامي ، ط٢– ١٤١٩هـ، ٢/ ٧٤ .

٩٨. الكليني، محمد بن يعقوب (ت٣٢٩ هـ) أصول الكافي ، بيروت – منشورات الفجر ، ط١–٢٠٠٧م ١/ ٢٩٥

٩٩. الطوسي، ابو جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠ هـ) مصباح المتهجد، بيروت– مؤسسة الاعلمي، ط١–١٩٩٨م ص٥٧٢.

١٠٠. أصول الكافي ١/ ٢٩٥ .

١٠١. م. ن

١٠٢. ابن شهراشوب ، ابو جعفر محمد بن علي (ت ٥٨٨ هـ) ، مناقب آل ابي طالب ، تحقيق : يوسف البقاعي ، بيروت – دار الاضواء ، ط٢– ١٩٩١م ١/ ١٤٨ .

١٠٣. الطبراني ،ابو القاسم سليمان بن احمد (ت٣٦٠هـ) ، المعجم الكبير، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي ، القاهرة – مكتبة ابن تيمية ، ح ٢٦٣٠ ٣/ ٢٤ ؛ ابن المغازلي ، ابو الحسن علي بن محمد (ت٤٨٣هـ) مناقب علي بن بن ابي طالب، تحقيق تركي بن عبد الله الوادعي ، صنعاء – دار الآثار ، ط١–٢٠٠٣م ص١٠١؛ الخوارزمي ، الموفق بن احمد المكي (ت٥٦٨ه) المناقب ، تحقيق مالك المحمودي ، قم – مؤسسة النشر الاسلامي ، ط٢– ١٤١١ه ، ص٣٢٨ ح٣٣٩ ؛ الاربلي ، ابو الحسن علي بن عيسى (ت٦٩٣هـ) كشف الغمة في معرفة الائمة ، بيروت – دار الاضواء ، ط٢– ١٩٥٨م ،١/ ٥٤ ؛ الهندي ، علاء الدين علي المتقي (ت٩٧٥ هـ) كنز العمال ، صححه : صفوة السقا ، بيروت – مؤسسة الرسالة ، ط٥– ١٩٨٥م ، ١١/ ٦٠٠ ح٣٢٨٩٢.

١٠٤. المجلسي ، محمد باقر (ت ١١١٠هـ) بحار الانوار ، قم – احياء الكتب الاسلامية ، ك٩ ق١ / ٣١ .

١٠٥. ابن حنبل ، ابو عبد الله احمد بن محمد (ت٢٤١هـ) مسند احمد ، تحقيق: شعيب الارنؤوط وآخرون ، بيروت – مؤسسة الرسالة ، ط١ – ٢٠٠١م ح ١٧٥٧٢ ٦/ ١٧٨ ؛ ابن ماجة ، ابو عبد الله محمد بن يزيد (ت٢٧٣ه) سنن ابن ماجة ، تحقيق

محمد فؤاد عبد الباقي ، مصر –دار ح ١٤٤ ١/ ٥١ ؛ الترمذي ، محمد بن عيسى (ت٢٧٩هـ) سنن الترمذي ، تحقيق : احمد محمد شاكر وآخرون ، مصر – مصطفى البابي الحلبي ، ط٢–١٩٧٥م ، ح٣٧٧٥ ٥/ ٦٥٨ ؛ ابن عساكر ، ابو القاسم علي بن الحسن (ت٥٧١هـ) تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق: محب الدين ابي سعيد – بيروت ، دار الفكر، ١٩٩٥م ، ح ٣٤٦١ ١٤٩/١٤ .

١٠٦. ابو حنيفة ، النعمان بن محمد (ت٣٦٣ هـ) شرح الاخبارفي فضائل الائمة الاطهار ، تحقيق : محمد الحسيني ، قم–مؤسسة النشر الاسلامي ح ١٠٣٧ ، ٣/ ١٠٤ .

١٠٧. ابن خياط ، خليفة (ت٢٤٠هـ)تاريخ خليفة ، تحقيق : اكرم ضياء العمري ، بيروت–دار القلم ، ط٢–١٩٧٧م ، ١/ ٢٢٩.

١٠٨. اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب(ت٢٩٢هـ) ، تاريخ اليعقوبي ،تحقيق :عبد الامير مهنا ، بيروت،الاعلمي للمطبوعات، ط١–٢٠١٠م ٢ / ١٥٤.

١٠٩. ابن طاووس ، ابو القاسم علي بن موسى (ت٦٦٤هـ)الملهوف على قتلى الطفوف ، تحقيق : فارس تبريزيان ، دار الاسرة للطباعة والنشر ص٩٨.

١١٠. ابن اعثم ، ابو محمد احمد الكوفي (ت٣١٤ هـ) كتاب الفتوح ، تحقيق : علي شيري ، بيروت – دار الاضواء ، ط١–١٩٩١م ، ٥/ ١٤

١١١. الملهوف ص٩٨.

١١٢. أصول الكافي١/ ١١٨ .

١١٣. ابن نما الحلي(ت٦٤٥ هـ) مثير الاحزان ص٢٥ .

١١٤. المنقري ، نصر بن مزاحم (ت٢١٢هـ) وقعة صفين ، تحقيق: عبد السلام هارون ، بيروت – دار لجيل ، ١٩٩٠م ص٢٩ .

١١٥. الخوارزمي ، ابو المؤيد الموفق بن احمد (ت٥٦٨ هـ) مقتل الحسين : تحقيق : محمد السماوي ، قم – انوار الهدى ، ط١– ١٤١٨هـ ، ١/ ٢٣٥؛ كنز العمال ١٢/ ١٢٨.

١١٦. ابن عساكر ، ابو القاسم علي بن الحسن (ت٥٧١هـ) تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق : محب الدين العمري ، بيروت – دار الفكر ، ١٩٩٥م ، ١٤/ ١٩٧ .

١١٧. مقتل الحسين للخوارزمي ١/ ٢٣٩ .

١١٨. كنز العمال ١٢/ ١٢٨ ح٣٤٣٢٤ ؛ الهيثمي ، نور الدين علي بن ابي بكر (ت٨٠٧هـ) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، بيروت – دار الكتاب العربي ٩/ ١٩٠.

١١٩. الطبري ، محمد بن جرير بن رستم (ق٤ هـ) دلائل الإمامة ، بيروت – مؤسسة الأعلمي ، ط٢– ١٩٨٨م ، ص٧٤.؛ ابن نما ، جعفر بن محمد (ق٧هـ) ذوب النضار، ص٣٠.

١٢٠. العسكري ، مرتضى ، معالم المدرستين ، المجمع العلمي الاسلامي ، ط٥ – ١٩٩٣م ٣/ ٤٣.

١٢١. الفتوح ٥/ ١٩ ؛ مقتل الخوارزمي ١/ ١٨٦ .

١٢٢. الخراز القمي (ت٤٠٠هـ) كفاية الاثر ، تحقيق : عبد اللطيف الحسيني ، قم – انتشارات بيدار ، ١٤٠١ هـ ، ص١١٧ ،

١٢٣. صحيح البخاري ، كتاب العلم ، ح ١١٠ ، ١/ ٣٣؛ صحيح مسلم ، كتاب الرؤيا ، ح٢٢٦٦، ٤/ ١٧٧٥ .

١٢٤. ابن اعثم ٥/ ١٩ ؛ الخوارزمي ١/ ٢٧٠ ؛ معالم المدرستين ٣/ ٤٧ .

١٢٥. الطبري ، عماد الدين ابو جعفر محمد بن ابي القاسم (ق٦ هـ) بشارة المصطفى ، تحقيق : جواد القيومي ، قم – مؤسسة النشر الاسلامي ، ط٢ – ١٤٢٢ه ، ص٣٠٨ .

١٢٦. الارشاد للمفيد ٢/ ٦٩

١٢٧. ابن ، عساكر ابو القاسم علي بن الحسن (ت٥٧١ هـ) تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق: محب الدين ابي سعيد ، بيروت – دار الفكر ، ١٩٩٥م ، ١٤/ ٢١٠ .

١٢٨. آل عمران : ١٨٥ ؛ الأنبياء : ٣٥ ؛ العنكبوت : ٥٧ .

١٢٩. يُنظر التفاسير : الطبري ٢/ ٣٦١؛ القرطبي ٢/ ٣٢ ؛ ابن كثير ١/ ٣٣١ ؛ الميزان ١/ ٢٢٥ .

١٣٠. البقرة : ٩٤

١٣١. الملهوف ص١٢٨؛ الحلي ، عز الدين ابو محمد الحسن بن سليمان (ق٨ هـ) المحتضر ، تحقيق : سيد علي اشرف ، قم – المكتبة الحيدرية ، ط١ – ١٤٢٤ هـ ، ص٨٣

١٣٢. مناقب آل ابي طالب ٤/ ٧٦ .

١٣٣. اصول الكافي ١/ ١٥٦ .

١٣٤. الفتوح ٥/ ٢١

١٣٥. الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد (ت٧٤٨ هـ) سير اعلام النبلاء ، تحقيق : شعيب الارناؤوط واخرون ، بيروت – مؤسسة الرسالة ، ط١١ – ١٩٩٦م ، ٣/ ١٤٧ ؛ دشي ، شيخ عبد الله ، النفيس في بيان رزية الخميس ، الكويت ، ط١ – ٢٠٠٥ م ٢/ ٣٣٦ .

١٣٦. البلاذري ، احمد بن يحيى (ت٢٧٩ هـ) انساب الاشراف ، ت سهيل زكار ورياض زركلي ، بيروت – دار الفكر ، ط١ – ١٩٩٦م، ٣/ ٣٦٦.

١٣٧. مقتل الخوارزمي ١/ ٢٦٨ ، مثير الاحزان ص٢٥ .

١٣٨. مقتل ابي مخنف ص٢٤

١٣٩. معالم المدرستين ٣/ ٢٠

١٤٠. تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٣٨

١٤١. المقرم ، عبد الرزاق ، مقتل الحسين ، قم – المكتبة الحيدرية ، ط١–١٤٢٥هـ ، ص١٦١ ؛ القزويني ، عبد الكريم الحسيني ، الوثائق الرسمية لثورة الحسين ع ، كربلاء – الشؤون الفكرية ، ٢٠١١م ، ص٦٧ .

١٤٢. مقتل الخوارزمي ٣/ ٣٣٥ ؛ ابن الاثير ، محمد بن محمد (ت٦٣٠هـ) الكامل في التاريخ و تحقيق : ابو الفداء عبد الله القاضي ، بيروت – دار الكتب العلمية ، ط١–١٩٨٧م ، ٣/ ٤٠٨ .

١٤٣. الفتوح ٥/ ٣١ ؛ الشيخ المفيد ، ابو عبد الله محمد بن محمد (ت٤١٣هـ) الارشاد في معرفة حجج الله على العباد ، بيروت مؤسسة آل البيت ، ط١– ١٩٩٥م ، ٢/ ٤٠ .

١٤٤. دلائل الإمامة ص٧٤ .

١٤٥. الملهوف ص١٢٦ .

١٤٦. الامين ، محسن (ت١٢٨٤هـ) أعيان الشيعة ، تحقيق حسن الامين ، بيروت – دار التعارف ، ١٩٨٣م ، ١ / ٥٩٣ .

١٤٧. الملهوف ص١٢٩ بصائر الدرجات ص٤٨١ حديث ٥ ؛ ذوب النضار في شرح الثار ص٢٩ .

١٤٨. * زبالة : منزل معروف بطريق مكة من الكوفة . معجم البلدان ٣/ ١٢٩

١٤٩. تاريخ الطبري ٥/ ٣٩٨

١٥٠. القندوزي ، سليمان بن شيخ ابراهيم (ت١٢٩٤ هـ) ، ينابيع المودة ، صححه : علاء الدين الاعلمي ، بيروت – مؤسسة الاعلمي ، ط١– ١٩٩٧م ص٤٠٦ .

١٥١. حرز الدين ، عبد الرزاق محمد حسين ، مقتل الحسين من امالي السيدين ، قم – دليل ما ، ط١ – ١٤٣١ه ، ص٦٨ .

١٥٢. تاريخ الطبري ٥/ ٤٠٤

١٥٣. مثير الاحزان ص٥٢ ؛ الملهوف ص١٥١.

١٥٤. تاريخ الطبري ٥/ ٤١٩

١٥٥. الذهبي شمس الدين محمد ابن احمد (ت ٧٤٨هـ)سير اعلام النبلاء ، السيرة النبوية ، تحقيق : بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ٣/ ٣٠١؛ سبط بن الجوزي ، يوسف بن فرغلي (ت ٦٥٤هـ) تذكرة الخواص طهران – مكتبة نينوى الحديثة ص٢٤٩

١٥٦. الفتوح ٥/ ٩٩ ؛ مقتل الخوارزمي ١/ ٢٥١ .

١٥٧. الخوارزمي ، مقتل الحسين ١ / ٢٦٨ .

١٥٨. الفتوح ٥/ ٢١ .

١٥٩. ابن عبد البر، ابو عمر يوسف (ت٤٦٣ هـ) جامع بيان العلم وفضله : تحقيق ابو الاشبال الزهيري ، السعودية – دار ابن الجوزي ، ط١– ١٤١٤هـ ، ح١١٠٨، ١/ ٦٤١ ؛ الخصال ، باب الاثنين ص٣٧.

١٦٠. مناقب ال ابي طالب ٤/ ٢٢٤

١٦١. تاريخ الطبري ٥/ ٤٢٥ ؛ مناقب ال ابي طالب ٤/ ٧٥ .

١٦٢. تاريخ الطبري ٥/ ٤١٥ .

١٦٣. مثير الاحزان ص٥٥ ؛ الملهوف ص ١٥٦ .

١٦٤. تاريخ الطبري٥/ ٤٧٠ ؛ صفوت ، احمد زكي ، جمهرة خطب العرب ، بيروت–المكتبة العلمية ٢/ ١٦٨

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولاً– المصادر :

١. ابن الاثير ، محمد بن محمد (ت٦٣٠هـ) الكامل في التاريخ و تحقيق : ابو الفداء عبد الله القاضي ، بيروت – دار الكتب العلمية ، ط١–١٩٨٧م .

٢. الاربلي ، ابو الحسن علي بن عيسى (ت٦٩٣هـ) كشف الغمة في معرفة الائمة ، بيروت – دار الاضواء ، ط٢– ١٩٥٨م.

٣. أبن اسحاق ، محمد بن اسحاق بن يسار (ت١٥١هـ) السيرة النبوية ، تحقيق : احمد فريد المزيدي ، بيروت – دار الكتب العلمية ، ط١ – ٢٠٠٤م .

٤. أبن اعثم ، ابو محمد احمد الكوفي (ت٣١٤ هـ) كتاب الفتوح ، تحقيق : علي شيري، بيروت– دار الاضواء ، ط١–١٩٩١م.

٥. الامين ، محسن (ت١٢٨٤هـ) أعيان الشيعة ، تحقيق حسن الامين ، بيروت – دار التعارف ، ١٩٨٣م .

٦. الأنصاري، زكريا بن محمد (ت٩٢٦هـ) الحدود الانيقة والتعريفات الدقيقة ، تحقيق : مازن المبارك ، بيروت – دار الفكر، ط١- ١٩٩١م .
٧. البخاري ، محمد بن اسماعيل (ت٢٥٦هـ) صحيح البخاري ، تحقيق : محمد زهير بن ناصر ، دار طوق النجاة ، ط١- ١٤٢٢ه .
٨. البغدادي ، محمد بن حبيب (ت٢٤٥ هـ) المنمق في اخبار قريش ، صححه : خورشيد احمد فارق ، بيروت – عالم الكتب، ط١-١٩٨٥م .
٩. البلاذري ، احمد بن يحيى (ت٢٧٩ هـ) انساب الاشراف ، ت سهيل زكار ورياض زركلي ، بيروت – دار الفكر ، ط١ – ١٩٩٦م .١٠
١٠. البيهقي ، ابو بكر احمد بن الحسين (ت٤٥٨هـ) دلائل النُّبوُّة ،توثيق : عبد المعطي قلعجي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط١-١٩٨٨م .
١١. الترمذي ، محمد بن عيسى (ت٢٧٩هـ) سنن الترمذي ، تحقيق : احمد محمد شاكر وآخرون ، مصر – مصطفى البابي الحلبي ، ط٢-١٩٧٥م .
١٢. الجزائري ، نعمة الله (ت ١١١٢ هـ) قصص الانبياء ، بيروت – مؤسسة الاعلمي ، ط٢-٢٠٠٢م .
١٣. أبن الجوزي، ابو الفرج جمال بن علي (ت٥٩٧ هـ) المدهش ، ضبطه وعلق عليه : مروان قباني ، بيروت – دار الكتب العلمية ، ط٢- ٢٠٠٥ .
١٤. حرز الدين ، عبد الرزاق محمد حسين ، مقتل الحسين من امالي السيدين ، قم – دليل ما ، ط١ – ١٤٣١ه .
١٥. الحصيبي ، عياض بن موسى (٥٤٤هـ) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، عمّان – دار الفيحاء ، ط٢-١٤٠٧ ه .
١٦. الحلي ، عز الدين ابو محمد الحسن بن سليمان (ق٨ هـ) المحتضر ، تحقيق : سيد علي اشرف ، قم – المكتبة الحيدرية ، ط١- ١٤٢٤ هـ .
١٧. ابن حنبل ، ابو عبد الله احمد بن محمد (ت٢٤١هـ) مسند احمد ، تحقيق: شعيب الارنؤوط وآخرون ، بيروت – مؤسسة الرسالة ، ط١ – ٢٠٠١م .
١٨. أبو حنيفة ، النعمان بن محمد (ت٣٦٣ هـ) شرح الاخبارفي فضائل الائمة الاطهار ، تحقيق : محمد الحسيني ، قم- مؤسسة النشر الاسلامي .
١٩. الخراز القمي (ت٤٠٠هـ) كفاية الاثر ، تحقيق : عبد اللطيف الحسيني ، قم – انتشارات بيدار ، ١٤٠١ هـ .
الخوارزمي ، ابو المؤيد الموفق بن احمد (ت٥٦٨ هـ) :
٢٠. مقتل الحسين : تحقيق : محمد السماوي ، قم – انوار الهدى ، ط١- ١٤١٨هـ .
٢١. المناقب ، تحقيق مالك المحمودي ، قم – مؤسسة النشر الاسلامي ، ط٢- ١٤١١هـ
٢٢. أبن خياط ، خليفة (ت٢٤٠هـ)تاريخ خليفة ، تحقيق : اكرم ضياء العمري ، بيروت–دار القلم ، ط٢-١٩٧٧م.
٢٣. أبن دريد ، أبي بكر محمد بن الحسن الأزدي (ت٣٢١ هـ) الاشتقاق ، تحقيق : عبد السلام هارون ، بغداد – مكتبة المثنى.
٢٤. دشي ، شيخ عبد الله ، النفيس في بيان رزية الخميس ، الكويت ، ط١ – ٢٠٠٥ م
٢٥. الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد (ت٧٤٨ هـ) سير اعلام النبلاء ، تحقيق : شعيب الارناؤوط واخرون ، بيروت – مؤسسة الرسالة ، ط١١ – ١٩٩٦م .

٢٦. الراغب ، ابي القاسم الحسين الاصفهاني (ت٥٠٢هـ) ، المفردات في غريب القران ،تحقيق : محمد سيد كيلاني ، بيروت، دار المعرفة ، د. ت .
٢٧. الزَّبيدي ، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني (المتوفى: ١٢٠٥هـ) تاج العروس من جواهر القاموس ، بيروت – دار الفكر ، ط١-١٤١٤هـ.
٢٨. سبط بن الجوزي ، يوسف بن فرغلي (ت ٦٥٤هـ) تذكرة الخواص طهران – مكتبة نينوى الحديثة .
٢٩. إبن سعد، محمد بن سعد بن منيع البصري (ت ٢٣٠ هـ) ،الطبقات الكبرى ، بيروت ، دار صادر ١٩٥٧م .
٣٠. ابن سيد الناس ، ابو الفتح محمد بن محمد (ت٧٣٤ هـ) عيون الاثر ، تحقيق : محمد العيد الخطراوي ، ومحيي الدين مستو، بيروت– دار ابن كثير .
٣١. السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت ٩١١هـ) ، الدر المنثور ، بيروت– دار الفكر .
٣٢. شهراشوب ، ابو جعفر محمد بن علي (ت ٥٨٨ هـ) ، مناقب آل ابي طالب ، تحقيق : يوسف البقاعي ، بيروت – دار الاضواء ، ط٢– ١٩٩١م .
٣٣.٣٣– الشيخ المفيد ، ابو عبد الله محمد بن محمد (ت٤١٣هـ) الارشاد في معرفة حجج الله على العباد ، بيروت مؤسسة آل البيت ، ط١– ١٩٩٥م .
٣٤. صحيح البخاري ، كتاب العلم ، ح ١١٠ ، ١/ ٣٣؛ صحيح مسلم .

الصدوق ، ابو جعفر محمد بن علي (ت٣٨١هـ) :

٣٥. ,كتاب الخصال ، صححه : علي اكبر الغفاري ، قم – الحوزة العلمية .
٣٦. من لايحضره الفقيه ، بيروت – مؤسسة الاعلمي ، ط١-١٩٨٦م ، ٤/ ٢٦٩ .
٣٧. أبن طاووس ، ابو القاسم علي بن موسى (ت٦٦٤هـ)الملهوف على قتلى الطفوف ، تحقيق : فارس تبريزيان ، دار الاسرة للطباعة والنشر .
٣٨. الطباطبائي ، محمد حسين (ت١٩٨١م) الميزان في تفسير القران ، بيروت– مؤسسة الاعلمي ، ط١-١٩٩٧م .
٣٩. الطبراني ،ابو القاسم سليمان بن احمد (ت٣٦٠هـ) ، المعجم الكبير، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي ، القاهرة – مكتبة ابن تيمية .
٤٠. الطبرسي، ابو علي الفضل بن الحسن (ق٧ هـ) مجمع البيان في تفسير القرآن ، بيروت – دار المرتضى ، ط١– ٢٠٠٦م .

الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ) :

٤١. جامع البيان في تأويل القرآن ، تحقيق : أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة : الأولى ، ٢٠٠٠م .
٤٢. تاريخ الرسل و الملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٢ .
٤٣. الطبري ، عماد الدين ابو جعفر محمد بن ابي القاسم (ق٦ هـ) بشارة المصطفى ، تحقيق : جواد القيومي ، قم – مؤسسة النشر الاسلامي ، ط٢ – ١٤٢٢هـ .
٤٤. الطبري ، محمد بن جرير بن رستم (ق٤ هـ) دلائل الإمامة ، بيروت – مؤسسة الأعلمي ، ط٢– ١٩٨٨م .
٤٥. الطوسي ، ابو جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠ هـ) مصباح المتهجد ، بيروت– مؤسسة الاعلمي ، ط١-١٩٩٨م .
٤٦. أبن عبد البر، ابو عمر يوسف (ت٤٦٣ هـ) جامع بيان العلم وفضله : تحقيق ابو الاشبال الزهيري ، السعودية – دار ابن الجوزي ، ط١– ١٤١٤هـ .

٤٧. أبو عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤ هـ) كتاب النسب ، تحقيق : مريم محمد خير الدرع ، دار الفكر - بيروت ، ط١- ١٩٨٩م .
٤٨. أبن عساكر ، ابو القاسم علي بن الحسن (ت٥٧١هـ) تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق : محب الدين العمري ، بيروت – دار الفكر ، ١٩٩٥م .
٤٩. العسكري ، مرتضى ، معالم المدرستين ، المجمع العلمي الاسلامي ، ط٥ – ١٩٩٣م .
٥٠. العفاني ، سيد حسين ، الرياض النضرة في فضائل الحج والعمرة ، ط٢ – ١٤١٨ هـ .
٥١. القرطبي ،ابو عبد الله محمد بن احمد (ت ٦٧١هـ)، الجامع لاحكام القران ، تحقيق : هشام سمير النجاري ، الرياض ، دار عالم الكتب .
٥٢. القزويني ، عبد الكريم الحسيني ، الوثائق الرسمية لثورة الحسين ع ، كربلاء – الشؤون الفكرية ، ٢٠١١م .
٥٣. القندوزي ، سليمان بن شيخ ابراهيم (ت١٢٩٤ هـ) ، ينابيع المودة ، صححه : علاء الدين الاعلمي ، بيروت – مؤسسة الاعلمي ، ط١- ١٩٩٧م .
٥٤. أبن قيم الجوزية ، محمد بن ابي بكر (ت٧٥١هـ) :
٥٥. الجواب الكافي ، تحقيق : عمرو عبد المنعم سليم ، جدة- مكتبة العلم ، ط١-١٩٩٦م
٥٦. زاد المعاد ، بيروت – مؤسسة الرسالة ، ط١-٢٠٠٩م .
٥٧. الكتاب المقدس ، اصدار: دار الكتاب المقدس في الشرق الاوسط ، سفر التكوين ٤ص٥.
٥٨. أبن كثير ، ابي الفداء اسماعيل (ت ٧٧٤هـ) :
٥٩. تفسير القرآن العظيم ، تحقيق : سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط٢-١٩٩٩م .
٦٠. تحفة النبلاء من قصص الانبياء ، جدة- مكتبة الصحابة ،ط١-١٩٩٨م.
٦١. الكراكجي ، ابو الفتح الشيخ محمد بن علي (ت٤٤٩هـ) كنز الفوائد ، تحقيق : عبد الله نعمه ، بيروت – دار الاضواء ، ١٤٠٥ هـ .
٦٢. ابن بالكلبي ،محمد بن السائب (ت ٢٠٤ هـ) جمهرة النسب ، تحقيق: محمد فردوس العظم ، دار اليقظة العربية – سوريا، ط٢ .
٦٣. الكليني ، محمد بن يعقوب (ت٣٢٩ هـ) :
٦٤. اصول الكافي ، بيروت – منشورات الفجر ، ط١-٢٠٠٧م .
٥٦. فروع الكافي ، بيروت – منشورات الفجر ، ط١-٢٠٠٧م .
٦٦. ابن ماجة ، ابو عبد الله محمد بن يزيد (ت٢٧٣هـ) سنن ابن ماجة ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، مصر – داراحياء الكتب العربية .
٧٦. الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠ هـ) اعلام النبوة ، تحقيق : محمد المعتصم بالله البغدادي ، بيروت – دار الكتاب العربي ، ط١ – ١٩٨٧م.
٦٨. المجلسي ، محمد باقر (ت١١١٠هـ) بحار الانوار، قم- احياء الكتب الاسلامية .
٦٩. ابن المغازلي ، ابو الحسن علي بن محمد (ت٤٨٣هـ) مناقب علي بن بن ابي طالب ، ٦٧- تحقيق تركي بن عبد الله الوادعي، صنعاء – دار الآثار ، ط١-٢٠٠٣م .

٧٠. المفيد ، محمد بن محمد بن النعمان البغدادي (ت٤١٣هـ) ، أوائل المقالات ، تحقيق: الشيخ ابراهيم الانصاري ، مطبعة مهر ، ط١-١٤١٣ه .
٧١. المقرم ، عبد الرزاق ، مقتل الحسين ، قم – المكتبة الحيدرية ، ط١-١٤٢٥هـ .
٧٢. المناوي ، محمد عبد الرؤوف (ت١٠٣١هـ) التوقيف على مهمات التعاريف ، دمشق – دار الفكر ، ط١-١٤١٠هـ .
٧٣. ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم بن على (المتوفى: ٧١١هـ) لسان العرب ، بيروت – دار صادر ، ط٣-١٤١٤هـ.
٧٤. المنقري ، نصر بن مزاحم (ت٢١٢هـ) وقعة صفين ، تحقيق: عبد السلام هارون ، بيروت – دار لجيل ، ١٩٩٠م .
٧٥. ابن نما ، جعفر بن محمد (ت ٦٤٥ هـ)
٧٦. ذوب النضار .
٧٧. مثير الاحزان .
٧٨. هشام ،ابو محمد عبد الملك (ت ١٨٣هـ)، سيرة النبي ، تحقيق : مجدي فتحي السيد ، مصر – دار الصحابة ، ط١ -١٩٩٥م .
٧٩. الهندي ، علاء الدين علي المتقي (ت٩٧٥ هـ) كنز العمال صححه : صفوة السقا ، بيروت – مؤسسة الرسالة ، ط٥-١٩٨٥م .
٨٠. الهيثمي ، نور الدين علي بن ابي بكر (ت٨٠٧هـ) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، بيروت – دار الكتاب العربي .
٧٨.٨١- الواقدي ، محمد بن عمر بن واقد (ت٢٠٧هـ) كتاب المغازي ، تحقيق: مارسدن جونس ، بيروت – عالم الكتب،ط٣ – ١٩٨٤م .
٨٢. اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب(ت٢٩٢هـ)، تاريخ اليعقوبي ،تحقيق:عبد الامير مهنا، بيروت،الاعلمي للمطبوعات،ط١-٢٠١٠م .

ثانياً – المراجع :

١- أحمد زكي ، جمهرة خطب العرب ، بيروت-المكتبة العلمية .
٢- أحمد مختار عمر ، معجم اللغة العربية المعاصرة ، ١/ ٢٠٨٠ .
٣- ألحازمي ، خالد بن حامد ، اصول التربية الاسلامية ، المدينة المنورة – دار عالم الكتب ، ط١-٢٠٠٠م ، ص١٩ .صفوت،

الاستدلال القرآني والنسق الديني عند الإمام الحسين عليه السلام

دراسة في البنية الحجاجية

Quranic Inference and Religious Conformity of the Imam Al-Hussein (Peace be upon him)

(Study on the Argumentative Structure)

ا.م. د. محمد قاسم لعيبي

كلية التربية/ابن رشد/جامعة بغداد

Asst. Prof. Dr. Mohammed Qassim La`aibi

College of Education/Bin Rushd, University of Baghdad

ملخص البحث

لما كان الإمام الحسين (ع) يحمل مقاصد حجاجية يغذيها النسق الديني تستقي من القران الكريم روافدها الفاعلة، حاولنا دراسة الاستدلال وهيمنة النسق الديني عند الإمام عليه السلام على وفق المحاور الآتية :

مقدمة وتمهيد : وقفنا فيه على ابرز آراء العلماء في قضية الاستدلال القرآني

وحددنا اتجاهات الاستدلال عند الإمام الحسين (ع) على النحو الآتي :

أولا : الاستدلال الذاتي (الخطابي) الذي توزع على : الاستدلال بالماهية والموضوع ، والاستدلال بالقياس والقدوة ، الاستدلال بين اللازم والملزوم

ثانيا : الاستدلال الجدلي

ثالثا : محور البلاغة والإقناع

وختمنا البحث بخاتمة ثبتنا فيها ان الإمام الحسين (ع) كان مدركا تماما الدور الذي تؤديه قضية الاستدلال لإقناع المتلقي بما مطروح ، وعليه نجد الإمام عليه السلام قد نوع من أساليب استدلاله ، الأمر الذي اثبت كفاءته الحجاجية المعتمدة على المعنى الحركي والنسق المهيمن الفاعل

Abstract

As there are certain argumentative targets emanating from the religious conformity and the Quranic tributaries، the current study focuses on ; an introduction tackles the opinions of the scholars about the Quranic inference and delimits the inference acts as: first the self-inference takes shape of entity and topic inference ، paragon and evaluating inference and the urged and urging، second the argumentative inference، third eloquence and persuasion، then the study concludes with the fact that Imam Al-Hussein is quite cognizant of the role the inference does in persuading the interlocutors، that is why he ramifies his devices into diverse argumentative devices: onomatopoeic acts and preponderant influential conformity.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ،والصلاة والسلام على نبيه ورسوله وخيرته في خلقه وأمينه على وحيه الذي انعم به على العالمين، وعلى اله الطيبين الطاهرين وأصحابه الأخيار.

أما بعــد :

تكشف نصوص الإمام الحسين (ع) عن عناية كبرى بالمتلقي سواء أكان عبر السعي اليه ومن ثمَّ تلقي النص كما ينبغي، أم بالتواصل معه بغية التأثير فيه تأثيراً مباشراً .

لقد اقترنت أغلب نصوص الإمام الحسين (ع) بطبيعة المواقف التواصلية، اذ يبدو واضحا مقصدية إرسالها، فهي إما تتوخى إثبات حقائق بالغة الأهمية أو تسعى لتفنيد ادعاءات الخصوم،وغيرها من المهام الاستدلالية مستثمرة الفضاء الحجاجي والنسق الديني المهيمن على طبيعة الأحداث والشخصيات الفاعلة فيه.

ولما كان تراث الإمام الحسين عليه السلام ممثلا بالخطب والوصايا قد اعتمد في طرح أدلته الحجاجية على الأدلة العقلية، وعلى وفق المناهج العقلية في استهدافها للمتلقين على اختلاف مستوياتهم واتجاهاتهم، للتأثير فيهم واقناعهم ،فإنها كانت ميدانا لدراستنا الموسومة بـ (الاستدلال القرآني والنسق الديني عند الإمام الحسين عليه السلام).

وبما أن هذه النصوص قد تشكلت في فضاء من الخطابات المتقاطعة، فان دراستنا استهدفت تحليل مظاهر الاستدلال وهيمنة النسق الديني التي تجلت في بعدها الحجاجي والوقوف على المقاصد الفاعلة التي تواخاها الإمام الحسين عليه السلام.

هذه المرتكزات شكلت أساس دراستنا، وقد ارتأينا أن يكون التمهيد تأطيرا معرفيا لمفهوم الاستدلال عبر استقراء مواقف العلماء العرب والغربيين منه وفهمهم لطبيعته ،فيما انصرف الجزء الآخر الى رصد اتجاهات الاستدلال عند الإمام الحسين (ع) وتحليلها، وقد جاءت على النحو الاتي :

الاستدلال الذاتي الذي انقسم على: (الاستدلال بالماهية والموضوع، الاستدلال بالقياس والقدوة، وبين اللازم والملزوم) والاستدلال الجدلي ،فضلا عن محور البلاغة والإقناع، لغرض الإجابة على السؤال الآتي: ما الوسائل والأساليب الاستدلالية التي استعان بها الإمام الحسين (ع) لإنتاج نصوصه، أو كيف وظف الإمام الحسين (ع) الاستدلال للتعبير عن أفكاره ومعتقداته؟ وعلى وفق ما قدمه القرآن الكريم من اتجاهات استدلالية، بما تحمل من مقدمات ونتائج، تمثل عاملا فاعلا لا يقبل سوى الصدق والقبول.

وختمنا البحث بخاتمة سجلنا فيها أهم النتائج

وختاما أقول: إني لا ادعي لعملي هذا التمام ولا أنزهه من الهنات، وهو جهد متواضع في صرح دراسات تراث أهل بيت النبوة عليهم السلام، وحسبي أني حاولت ومن الله التوفيق.

التمهيد: تأطير مفهوم الاستدلال

لقد جاء القرآن الكريم بشرائع الهدى لإصلاح الخلق ، وإقامتهم على طريق الحق والصلاح اذ اعتمد المقاصد التي تعتمد العقل ، ذلك أنها شريعة الله تعالى التي تنطلق في تكاليفها من رحمته بعباده سبحانه وتعالى ومراعاة جميع طوائفهم ، وصلاحه لجميع أزمنتهم وعصورهم ليكون ضالة الجميع .

وعليه فأدلة القرآن الكريم ((مثل الغذاء ينفع كل إنسان ، وأدلة المتكلمين مثل الدواء ينفع به آحاد الناس، ويستضر به الآخرون، بل أدلة القرآن كالماء الذي ينفع به الصبي، والرضيع والرجل القوي، وسائر الأدلة كالأطعمة التي ينتفع بها الأقوياء مرة ويمرضون بها أخرى ، ولا ينتفع بها الصبيان أصلا))[١]

لقد أثارت قضية الاستدلال القرآني واعتماده على أحوال المتلقين، اختلافا بين الفلاسفة المتأثرين بالفلسفة اليونانية والاصولين، فقد ذهب ابن رشد إلى أن الناس في الشريعة على ثلاثة أصناف: ((صنف ليس هو من أهل التأويل أصلا، وهم الخطابيون الذين هم الجمهور الغالب، وذلك انه لايوجد احد سليم العقل يعرى من هذا النوع من التصديق، وصنف هو من أهل التأويل الجدلي وهؤلاء هم الجدليون بالطبع فقط أو بالطبع والعادة، وصنف هو من أهل التأويل اليقيني وهؤلاء هم البرهانيون بالطبع والصناعة اعني صناعة الحكمة))[٢]

ويبدو من كلام ابن رشد انه ذهب إلى المقصود بالشرع الأول و العناية بالجمهور الأعظم، ولما كان هذا الجمهور الأعظم من العامة، فهو لايخاطبهم بتعقيد المنطق، ولا تفكير الفلاسفة وعليه فان أكثر الحجاج القرآني من الاستدلال الخطابي[٣].

وعليه فالاستدلال القرآني ((له طريق قائم بذاته وإذا نظرت فيه وجدت فيه ما امتازت به الادلة البرهانية من يقين لا مرية فيه وما امتازت به الأدلة الخطابية من إثارة الإقناع، وما امتازت به خواص البيان العالي، مع انه لا يسامى، وهو معجز لكل الناس عربهم وعجمهم))[٤].

فالقران الكريم كان يسلك بعض مناهج الخطابة في الاستدلال مع علوه عليها وذلك:

أولا في أسلوبه، لأنه معجز ولا يشبه كلام البشر

ثانيا: لأن كل مقدماته ونتائجه يقينية ، والأدلة الخطابية تقوم على إثبات الحق بأدلة ظنية أو يقينية [٥].

ويبدو واضحا اعتماد الإمام الحسين (ع) في حجاجه على بعض مناهج الاستدلال الخطابي على وفق ماسلك فيه القرآن، من صدق كل ما اشتملت عليه من مقدمات ونتائج، لأن البنية الحجاجية عند الإمام الحسين (ع) تستند إلى الخطاب الفاعل الذي لا يتقبل سوى الصدق.

وعليه فنحن مطالبون باستقراء الينابيع التي استقى منها الإمام الحسين (ع) أدلته فضلا عن استقراء أساليب الاستدلال التي عرف بها القرآن الكريم .

لقد تمثل الإمام الحسين (ع) القرآن الكريم وأتقن اسلوبه ،وطرق تعبيره،وحفظ نصه ،وكان معلمه الأول جده رسول الله (ص) ، وأباه الإمام علي (ع)، فضلا عن إحاطته بكلام جده وأحاديثه وتمثل ما ورد فيها من أحكام وأوامر ونواه ،وتمثل كلام أبيه في خطبه ورسائله، وأتقن ما ورد فيها من طرق التعبير وفنونه ، وكان عالماً بكلام العرب وأيامها وأنسابها وطرق تعبيرها في نثرها وشعرها [٦]

الاستدلال بين العلماء العرب والغربيين

لقد بدا واضحا اثر كتاب الخطابة لأرسطو الذي استثمره الفلاسفة عند تصنيفهم لأساليب الاستدلال الخطابي ، إذ

قسم أرسطو أنواع البراهين والحجج الخطابية على قسمين[٧]:

أول: الحجج الجاهزة (غير المصطنعة) وهي القوانين والاعترافات وأقوال الحكماء

الثاني: الحجج المصطنعة التي تحتاج حيلة من طرف الخطيب، وهي الأخرى تنقسم على النحو الأتي: (ذاتية نفسية تتعلق بأخلاق الخطيب وشخصيته، وأحوال السامعين المختلفة، ومنطقية موضوعية) ممثلة بالقياس الخطابي والمثال.

لقد وظف الفلاسفة العرب تحليلات أرسطو الخاصة بالخطابة في خطبهم، غير أنهم حافظوا على خصوصيات النص العربي الثقافية العربية، فإذا كانت الحجج الجاهزة عند أرسطو هي الشهود والاعترافات وأقوال الحكماء، فإنها في الخطابة العربية الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، والأبيات الشعرية فهي التي أكسبت البنية الحجاجية عند الإمام الحسين (ع) قوة استدلالية قطعية، وذلك باختياره الموضوعات المطروحة ، وتوجيهها إلى الغرض الذي قصد الاستدلال عليه .

لقد تنبه العلماء العرب على أهمية المثل في إحداث الإقناع، واستعماله الواضح في القران الكريم، فاهتموا بمقتضى الحال، إذ يشتمل على القضايا التي تربط الخطيب بالمستمع ،منها ما ينبغي للخطيب أن يكون عليه ، وما يراعيه من أحوال المستمعين

اتجاهات الاستدلال عند الإمام الحسين (عليه السلام)

يصنف ابن رشد الاستدلال القرآني في عمومه في ضمن الاستدلال الخطابي، ليأتي في المقام الثاني الاستدلال الجدلي (المناظري) فالاستدلال الخطابي يقوم على إثبات الحق بأدلة قطعية أو ظنية وهي ما كانت لإثبات الحقائق في ذاتها من غير محاججة مع مجادل ولا مجادلة مع جاحد، وهي متجهة إلى الإقناع وطرائقه، من مشاركة وجدانية ومن إثارة للمشاعر.

أما الاستدلال الجدلي (المناظري) فهو اقل عموما من الاستدلال الخطابي ويكون الاستدلال فيه مأخوذا مما يسوقه الخطيب من حجج، وتعتمد قوة الاستدلال على الخصم إذ يتقيد في إثبات الحقائق بحجة الخصم.[٨]

وعليه يمكن قراءة خطب الإمام الحسين (ع) على وفق هذا المبدأ، إذ يمكن تصنيف قسم من هذه الخطب تحت الاستدلال (الذاتي) إذ يتجه الإمام الحسين (ع) فيها إلى إثبات الحقائق من غير محاججة مع مجادل، فقد اهتم عليه السلام بنفسية القارئ، ووضعها موضع الاعتبار لأهمية الموضوعات المطروحة، وهذا ما نلمسه في الأسلوب اللغوي المعتمد حيث اختيار الألفاظ المثيرة للمشاعر، وانتقاء أساليب الاستدلال.

وبعضه الآخر تحت صنف الاستدلال الجدلي، بحيث التزم الإمام الحسين (ع) في استدلاله بما جاء على لسان معارضيه من حجج.

وعليه سنحاول قراءة خطب الإمام الحسين (ع) على وفق هذين الاتجاهين، فضلا عن بلاغة الإقناع التي تمثل بمجموعها أساليب الاستدلال ، وبما توافر بخطب الإمام الحسين(ع)، وعلى النحو الآتي :

أولا: الاستدلال الذاتي

بعد استقراء خطب الإمام الحسين (ع) بدا واضحا انه عليه السلام سلك محاور عدة في استدلاله الذاتي، التي يمكن تصنيفها على النحو الآتي :

١- الاستدلال بالماهية والموضوع

و يسمى الاستدلال بالتعريف ويقصد به أن يؤخذ من ماهيته موضوع القول دليل على الدعوى والاستدلال عليه

ببيان صفاته[٩]، ومن أمثلته في القران الكريم، التعريف ببعض المحرمات لبيان حكمة تحريمها، من مثل تحريم الخمر، فذكر تعريفها أنها من صنف الخمر والميسر كما في قوله تعالى ((يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان)) فذكر ما يترتب عن شربها من إضرار بقوله تعالى ((إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء من الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله والصلاة))[١٠] ومثل هذا التوجه نلحظه خطبة الإمام الحسين (ع) عند نزوله كربلاء، بقوله :

((أيها الناس، اسمعوا قولي ولا تعجلوني حتى أعظكم بما لحق لكم علي، وحتى اعتذر إليكم من مقدمي عليكم، فان قبلتم عذري وصدقتم قولي وأعطيتموني النصف، كنتم بذلك اسعد ولم يكن لكم علي سبيل)) [١١]

فللاستدلال مكانته الخاصة عند الإمام الحسين (ع) في دعوته إلى إحقاق الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يذكر عليه السلام بإيجاز: أيها المخاطبون، المسلمون عامة و أهل كربلاء خاصة أن عليكم الاستماع إلى كلامي لأبين لكم الحق من الباطل، وبناء على طاعتي وتصديقي وإنصافي تترتب جملة من المنافع التي يمكن إجمالها على النحو الآتي:

أ- تصبحون سعداء وتنالون الرضا في الدنيا والآخرة

ب- لم يكن لكم علي سبيل ولا حجة وأكون أبرأت ذمتي أمام الله وأمامكم

وهنا يبدو حرص الإمام الحسين (ع) على المتلقي الحاضر في ساعة الخطاب من خلال تناوب الضمائر مشيرة إلى المتكلم تارة والى المخاطب تارة أخرى، إذ تعكس العلاقة بين العبارات من جهة وبين الأشياء والمواقف في العالم الخارجي التي تشير إليها من جهة أخرى [١٢] فتعطي كل طرف حظه من الأجر والثواب، الذي حتما يقود إلى السعادة الأبدية في الدنيا و الآخرة .

إن الإمام الحسين (ع) اعتمد الأدلة التي يفهمها المسلمون كافة ، ومن ثم توجيه الخطاب إلى الخاصة منهم (الحضور) الذين منهم الموالي المحب لآل بيت النبوة ونهج الرسالة المحمدية الخالدة الحقة ، فيؤكد أنها مفتاح السعادة الكبرى.

وإذا كان القران الكريم في استدلالاته يتجه إلى الإرشاد والتعليم ، فان الإمام الحسين (ع) لا يحيد عن هذا التوجه ، فيقوي به استدلالاته ليزيد من قوة بلوغ غاياته الخطابية كما في قوله عليه السلام:

((ألا ترون إلى الحق لا يعمل به وإلى الباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء ربه محقاً فإني لا أرى الموت إلا سعادة...))[١٣]

لقد وجه الإمام الحسين (ع) الناس وأرشدهم إلى أهمية أن يوضع الحق في موضعه وان يعمل به وان يناضل الإنسان من أجل تحقيق هذا المسعى حتى ولو كلفه ذلك حياته فيلاقي الإنسان ربه حرا كريما، وعند إذن لايكون الموت إلا سعادة طالما قدم الإنسان اعز مايملك في مواجهة الظالم لتصحيح المسارات الخاطئة، مقابل حياة كريمة ترفل بالحرية والاحترام، ومثل هذا الإرشاد الذي قدمه الإمام الحسين (ع) أسلوبا من أساليب الاستدلال حتما يفيد منه العامة والخاصة على حد سواء.

٢- الاستدلال بالمثل والقدوة

لقد كان الإمام الحسين (ع) عارفا تمام المعرفة في مخاطبة المعنيين بالأمر، مما يدل على كفاءته التخاطبية في مراعاة السياق الذي يساعده على بلوغ غاياته التبليغية وتحقيق الفائدة المرجوة منها وهو ما يعرف بـ (مطابقة الكلام لمقتضى الحال)

وعليه فقد كان الإمام الحسين (ع) يمهد لغاياته الاقناعية بمراعاة المخاطب فيما يختلج بداخله،وبما يملك من حقائق هي في الأصل مبادئ كان قد تربى عليها، فيقدم له المثل الاعلى ،فيقول:

((أما بعد فإن الله اصطفى محمد (ص) على خلقه، وأكرمه بنبوته واختاره لرسالته ثم قبضه إليه، وقد نصح لعباده وبلغ ما أرسل به، وكنا أهله وأولياءه وأوصياءه وورثته وأحق الناس بمقامه في الناس، فاستأثر علينا قومنا بذلك فرضينا بذلك

وكرهنا الفرقة وأحببنا العافية، ونحن نعلم أنا أحق بذلك الحق ممن تولاه، وقد أحسنوا وأصلحوا وتحروا فرحمهم الله، وغفر لنا ولهم وقد بعثت رسولي إليكم بهذا الكتاب وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه فإن السنة قد أميتت وإن البدعة قد أحييت، إن تسمعوا قولي وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته))[١٤]

إن الإمام عليه السلام يقدم للمخاطب بموجب هذا الكلام مقدمات موضوعية واضحة ومن ثم يوظف نتائج هذا القول مستندا بذلك إلى أدلة قطعية بدعوته إياهم إلى كتاب الله وسنته ، ليكون سبيل الرشاد والسلام والمغفرة بقوله عليه السلام:

((فاستأثر علينا قومنا بذلك فرضينا بذلك وكرهنا الفرقة وأحببنا العافية، ونحن نعلم أنا أحق بذلك الحق ممن تولاه، وقد أحسنوا وأصلحوا وتحروا فرحمهم الله))[١٥]

لقد بدا واضحا وعي الإمام عليه السلام بأهمية الموضوع المطروح، فانه ينوع من مصادره الاستدلالية ومواضعها ، وهو تنويع يأتي مستندا إلى الأساليب الاقناعية الرامية إلى طرح الحقائق أمام الناس وحملهم على الاقتناع بحقيقة الانحراف وتصحيح المسار والوصول إلى سبل الرشاد والنجاة وهو ما عبر عنه عليه السلام بقوله :

((وقد بعثت رسولي إليكم بهذا الكتاب وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه فإن السنة قد أميتت وإن البدعة قد أحييت، إنَّ تسمعوا قولي وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته)) [١٦].

ومنه أيضا أن يقدم المثل والقدوة بأسئلة تقود إلى حديث نبوي شريف، لتكون سبيلا إلى الإقناع والتأثير، وهو الأمر الذي يجعل الحجج لديه أكثر قوة وفاعلية، ولا سيما انه جاء على لسان سبط النبي محمد (ص) وهو شخص معروف للقاصي والداني وله مكانته في نفوس المسلمين، فيكون ذلك ((أكثر اجتذابا للإفهام وأقوى في التأثير في قلوبهم، فيعطي الدليل قوة فوق قوته الذاتية، إذ تكون الحجة قد أقيمت عليهم من جهته، ومن جهة الدليل في ذاته ومن جهة أن الذي قاله رجل محترم في نظرهم))[١٧] ومن هذه الحجج التي تستند إلى الحديث النبوي الشريف عند الإمام الحسين (ع) قوله :

((هل يحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي، ألست ابن بنت نبيكم وابن وصيه، أو ليس حمزة سيد الشهداء عم أبي، أو ليس جعفر الطيار عمي، أو لم يبلغكم قول رسول الله لي ولأخي هذان سيدا شباب أهل الجنة))[١٨]

وعليه يكون مضمون الحجاج الاستدلالي على النحو الآتي:

- انه عليه السلام ابن بنت النبي محمد (ص)
- حمزة سيد الشهداء عم أبيه
- جعفر الطيار عمه
- وأخيرا الحجة الدامغة شهادة الرسول الكريم (هذان سيدا شباب أهل الجنة)

لقد تضمن هذا الطرح قياسا من نوع قياس الخلف وهو ((إثبات الأمر ببطلان نقيضه وذلك لأن النقيضين لا يجتمعان))[١٩]، وعليه فان إثبات بطلان معاداة ومحاربة الإمام الحسين (ع) ومحاولة قتله وانتهاك حرمه ثبت نقيضه وهو انه ابن بنت النبي (ص) سليل النبوة المحمدية وحمزة سيد الشهداء عم أبيه و جعفر الطيار عمه، فضلا عن تأكيد النبي محمد (ص) بقوله الفصل له ولأخيه الإمام الحسن (ع) إنهما سيدا شباب أهل الجنة ((الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة))[٢٠] ، إن توظيف أحاديث الرسول الكريم (ص) بمتنها أو معناها وإدخالها في بنية الخطاب الحسيني يفيد الالتزام بما ورد فيها وهو واجب شرعي على كل مسلم ، لأنها تمثل ((وسيلة من وسائل الاحتجاج عند من يريد بيان رأي او دفاع عن

فكرة او عقيدة))[٢١]

وعليه نجد الإمام الحسين (ع) اعتمد في استدلاله إلى أمور أو حقائق دامغة لا يختلف فيها اثنان، في أدلة وحجج بينة، ليختم قوله بتأكيد النتيجة التي يكون المخاطب نفسه قد عرفها وفهمها وأصبح على يقين من أحقيتها واقر بها، وهي انه لا يحق لأعدائه عليه السلام قتله وانتهاك حرمه، بعد أن وظف استدلالاته واستطاع الوصول إلى نوازع نفس المخاطب ليمتلك قناعاته بقوة.

يبدو مما تقدم أن الإمام الحسين (ع) اعتمد الأساليب الحجاجية القائمة على الترتيب الوظيفي لأجزاء القول بحسب الذي أشار إليه أرسطو[٢٢] عبر هذا الأسلوب التخاطبي الذي يعد استراتيجية حجاجية يسعى فيها الإمام عليه السلام إلى تحقيق أهداف معينة ، هي :

الأول: توجيه الخطاب الى العامة ليحقق الأثر المنشود واستقطاب اكبر قدر ممكن من المتفهمين والمؤيدين وتحقيق الإقناع بهذه الحجج .

والآخر : إشراك أكبر قدر ممكن من المتلقين المتعاطفين، وعليه يكون عليه السلام قد حقق غاياته التي تستهدف عامة الناس وخاصتهم على حد سواء ، بعد أن تأكد لديه تحقيق القناعة بمشروعية قضيته ولاسيما عدم أحقية القوم بقتاله وانتهاك حرمه .

٣- بين اللازم والملزوم

ويسمى ميزان الكلام بمعنى إن أحد الأصليين يشمل على جزأين آخرين أحدهما لازم والأخر ملزوم [٢٣].

إن الترتيب العادي للوقائع في الخطاب يمثل مظهرا من مظاهر الانسجام النصي بحسب (فان ديك)، لكن من دون أن يعني ذلك أن الخطاب لا ينسجم إذا خالف معرفتنا العادية للعالم فـ ((إذا كانت الجمل تدل على الأحداث في عالم ممكن، فان انتظام سلاسل من الجمل ينبغي أن يدل على مجموع منظم من الأحداث، ويسمى هذا الترتيب للخطاب ترتيبا عاديا، إلا انه في معظم الحالات تكون العلاقة الموجودة بين الكلام والعالم اقل استقامة وصراحة))[٢٤] وهكذا تتفاعل خطب الإمام الحسين عليه السلام وتنسجم كما لو كانت نصا واحدا، ويظهر ذلك من حيث ترتيب الوقائع فيها، إذ تنسجم خطب الإمام الحسين عليه السلام انطلاقا من مبدأ التشابه، وهو من مبادئ الانسجام التي أكدها كل من (براون ،وديول)[٢٥]، إذ يقدم الإمام الحسين عليه السلام الوقائع المستمدة من منبع لايدخله الشك في حقيقته ، فيذكر الشهادة والتوحيد في قوله :

((هذا ما أوصى به الحسين بن علي إلى أخيه محمد بن الحنفية، إنَّ الحسين يشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله (ص) جاء بالحق من عنده، وأن الجنة حق والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور، وأني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي وأبي علي بن أبي طالب فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد عليَّ أصبر حتى يقضي بيني وبين القوم الظالمين وهو خير الحاكمين))[٢٦]

إذ نلحظ في هذه الوصية التفاعل التام مع الإطار العام المستند إلى اليقين الذي تخلقه البداية ، ومن ثم يعتمد في تقديم البنية الحجاجية على المستوى التخاطبي الآخر بقوله عليه السلام :

((وأني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي وأبي علي بن أبي طالب فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد عليَّ أصبر حتى يقضي بيني وبين القوم الظالمين وهو خير الحاكمين)) [٢٧]

وعليه يمكن إدراك الطريقة التي اتخذها الإمام الحسين عليه السلام لصناعة أفعال دينية بالكلمات تمثل نسقا دينيا إسلاميا ، وتعبر بمجموعها عن رسالة غاية في الأهمية تنم عن مقصدية مشتركة، تتمثل في توجيه المتلقي والأخذ بيده

للوصول إلى الحقيقة المطروحة، إذ يمكن ملاحظة أن ((حذف الربط بين مستوى تخاطبي اعلى وآخر أدنى))[٢٨] وهذه الحقيقة المطروحة تجسد موقف الإمام الحسين عليه السلام تجاه الثوابت الإسلامية التي أرسى قواعدها الرسول الكريم (ص) ومن بعده الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام بوصفها بنيات مهمة لعملية الإصلاح، ورفض انتهاك هذه الثوابت.

لقد توصل الإمام الحسين عليه السلام إلى بناء هذا الموقف من التلازم الحاصل بين المقولات التي تتولد عن العلاقة الأولية المتمثلة في مشروعه الإصلاحي وتبيان تلازمها، وتستلزم وجود أسباب، ومعرفة هذه الأسباب تستلزم سبيلا وحيدا للخلاص لا يحتمل غيره وهو (فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق)

ثانيا : الاستدلال الجدلي

يندرج تحت هذا الاتجاه النصوص التي تقدم بناء تخاطبيا يعتمد إفصاحه اللساني على العلاقة التخاطبية التي تجمع المؤلف بالقارىء، فتفيد الجمع بين المتكلم مع كلامه، وهو((تجاور مادي بالدرجة الأولى، تفرضه إلية التواصل والتخاطب وهو ملازم من حيث المبدأ لكل عملية قول أو كلام))[٢٩] وهذا الفهم يتفق مع ماقدمه باختين من تصورات لبعدي الزمان والمكان في العمل الأدبي ((فهو يضع دائما المؤلف والقارئ في زمان واحد، على المسافات الزمنية التي قد تفصل بينهما، وهذا الزمان هو خارج كل الزمكانات المصورة فيه، وما يحتويها كلها))[٣٠] وعموما فان الإمام الحسين (ع) يتجاوز حواشي النص قاصدا متنه بتوظيفه العلامات اللغوية التي تحيل اليه مباشرة، يقول الإمام الحسين عليه السلام.

((وأني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي وأبي علي بن أبي طالب فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد عليَّ أصبر حتى يقضي بيني وبين القوم الظالمين وهو خير الحاكمين)) [٣١]

بل يتعدى هذا التصريح إلى متن النص، باستعماله علامات لغوية تحيل إليه، وهي ضمير المتكلم المفرد (أني، خرجت) وضمير المتكلم الذي يجمع بينه وبين المتلقي (من قبلني، من رد علي) ، هذه العلامات تحيل إلى المتكلم، وهي علامات يسميها (بنفست) علامات فارغة[٣٢] وهي فكرة انتقدها (اوركيوني) بقولها ((يمكن للضمير الا يكون له موضوع، ولكن يستحيل الايكون له مفهوم، فلولاه تعذرت الترجمة من لغة أخرى))[٣٣] وهذا القول يتفق مع ما ذهب إليه السيوطي فيما يخص الألفاظ ((يوضع اللفظ بإزاء معنى عام، ويدل الواقع على أن مسمى اللفظ محصور في شخص معين ، فيدل اللفظ عليه لانحصار مسماه فيه لا للوضع بإزائه، ومن ذلك المضمرات ... وبهذا يحصل الجواب على القاعدة العقلية ، أن اللفظ الموضوع لمعنى اعم، لا يدل على ما هو اخص منه ، فان الدلالة لم تأت من اللفظ ، وإنما أتت من جهة حصر الواقع المسمى في ذلك الأخص .. فثبت بهذا كله أن الضمير واسم الإشارة وضعا للمعنى العام، وعدم إطلاقها عليه، إنما هو لما عرض في الاستعمال، لا لأمر في أصل الوضع، وهذا تحقق القول بأنه كلي وضعا، جزئي استعمالا))[٣٤]

إن بناء الترتيب الموضوعي في الطرح لهذه الوصية للإمام الحسين عليه السلام له دلالته في النص ، فهو مرتبط بالأسلوب الاستدلالي المعتمد فيها، القائم على الجدل وإلقاء الحجة فقد صرح الإمام الحسين عليه السلام بقوله:((**فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد عليَّ أصبر حتى يقضي بيني وبين القوم الظالمين وهو خير الحاكمين**))[٣٥]

إن ترابط هذه الافكار والوحدات مع إفصاح الإمام الحسين عليه السلام عن العلاقة التخاطبية التي تجمع بينه وبين المتلقي، قد أكد حقيقة أن التوجه في الحديث لم يكن يقصد به أخاه (محمد بن الحنفية) وإنما كان يقصد به المتلقي العام (عموم المسلمين)، ولهذا التوجه دوره الواضح في تأويل النص وفهمه فهما مناسبا.

لقد بدا واضحا مقصدية الإمام الحسين (ع) ليس للدفاع عن شخصه، إنما هو الدفاع عن الإسلام المحمدي الأصيل،

والعمل على تصحيح مسارات الأمة الخاطئة ، وكل هذا منبعه الشعور بالمسؤولية تجاه الأمة .

البلاغة والإقناع

إذا كان الإمام الحسين (ع) قد وظف أساليب الاستدلال المختلفة فان المتون التي اعتمدناها في هذه الدراسة قائمة في الأعم الأغلب على اتخاذ البلاغة سبيلا للإقناع ، وهذا هو الأسلوب المعتمد في الخطابة عند أرسطو إذ ((تعود أهمية الأسلوب في نظر أرسطو إلى أن عامة الناس يتأثرون بمشاعرهم، أكثر مما يتأثرون بعقولهم ، فهم بحاجة إلى وسائل الأسلوب أكثر من حاجتهم إلى الحجة ، فلا يكفي إذن أن يعرف المرء ما ينبغي أن يقال ، بل يجب أن يقوله كما ينبغي))[٣٦] فغاية الإمام الحسين عليه السلام هو إقناع المتلقي والتحرر من قيد النص البرهاني ، وبذلك بإثارة عواطف المتلقي وتحقيق الإقناع عن طريق استخدام الوسائل البلاغية ، لأن البلاغة ((فلسفة تفكير وثقافة للمجتمع وأسلوبية حوار ،وهذا سر اكتسابها تلك الطبيعة المزدوجة التي تجمع بين الآليتين الحجاجية والتفكيرية التأويلية على مستويي الملفوظ والمكتوب ،اذ لم تعد وظيفتها تحليل النصوص فحسب بل انتاجها ايضا))[٣٧]

لقد تجاوزت البلاغة الجديدة مسألة المعيارية وانتقلت الى الوصفية ، تاركة وراءها أسس البلاغة التقليدية التي تعتمد المعيارية المطلقة ، وهو تحول يتفق مع النظرة العلمية للدراسات الإنسانية، إذ اتكأت على مفهوم البنية وهو مفهوم ذو طابع تجريدي له قابلية تتميز الظواهر اللغوية على مستويات عدة من الأبنية الصغرى إلى الأبنية الكبرى [٣٨] وانتقل هذا المفهوم إلى النص ، بوصفه بنية كلية تندرج تحته بنى صغيرة، عدت أحيانا مغلقة وأحيانا مفتوحة على غيرها من الأبنية في نظم أخرى[٣٩]

إن للأشكال البلاغية وظيفة في موقف اتصالي محدد، قابلة لتغير السياقات التي تظهر فيها، إذ يمكن ملاحظة بعض الأشكال اللغوية التي يمكن في سياق محدد إدراجها ضمن نطاق الأشكال البلاغية[٤٠]

وعليه يمكن النظر إلى الأشكال البلاغية بحسب المستويات اللغوية المعروفة في الدراسات الحديثة، (أصوات، وكلمات، وجمل) ما يحمل إمكانية إدراج جميع الأبنية الموافقة في المستويات النصية في ضمن أشكال بلاغية [٤١]، وعليه اعتمدنا هذا التقسيم في التحليل البلاغي لنصوص الإمام الحسين عليه السلام، إذ وظفت في هذه النصوص الحسينية الشريفة أشكال بلاغية عدة ، سنقف عند بعضها على سبيل المثال لا الحصر ، ولا سيما ماكان مهيمنا فيها، إذ أن القياس الكمي ضروري لتحديد طبيعتها ووظيفتها[٤٢] وعلى وفق المستويات اللغوية المعروفة في الدراسات اللغوية المعروفة في الدراسات الحديثة، وعلى النحو الأتي :

١ - الصيغ اللغوية (التفضيل)

لا يمكن تجاوز أفعال التفضيل في النصوص الحسينية ، إذ تمثل مرتكزات مهمة وواضحة إن أفعال التفضيل تدل على شيئين اشتركا في صفة وزاد احدهما على الآخر فيها [٤٣] ومثال ذلك الوصف الذي جاء به الإمام الحسين عليه السلام لأهل بيته وأصحابه ، فهو يبين خصائص أهل بيته وأصحابه بقوله :

((فاني لا أعلم أصحابا أولى ولا خيرا من أصحابي ، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي))[٤٤]

فأهل بيت الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه قد سموا على سائر الموجودين بهذه الصفات، فالمعنى المهيمن على دلالة هذه الأفعال هو إثبات الفضل كل الفضل للموجودين ، ذلك أنها أفعال تفضيل دلت على صفات وصفوا بها وازدادوا على غيرهم بها، فضلا عن دلالتها على ثبوت الوصف في الموصوفين على نحو الاستمرار والدوام، إذ لاتوجد قرينة تصرف

ذلك، إذ إن أفعال التفضيل ((تخص الثلاثيات المجردة الخالية من الألوان والعيوب ، المبنية للفاعل نظير فعلي التعجب، وله معنيان : احدهما إثبات زيادة الفضل للموصوف على غيره، والثاني إثبات كل الفضل له))[٤٥] وعليه يبدو تخصيص هذه الدلالة لصيغ التفضيل في هذا النص الحسيني يعود إلى اعتبارات تخاطبية ،وقرائن سياقية ، ولذا فان فكرة الاشتراك في أفعال التفضيل ((لاتخضع للتقديرات اللغوية ، بل لاعتبارات التخاطب))[٤٦]

٢- إنتاج الدلالة (الإطناب والاستعارة)

تعد مجالاً مهماً للتصنيفات البلاغية ،وأهمها المجاز بأنواعه [٤٧] ويدخل في نطاق هذه الأشكال البلاغية الطباق والترادف والإطناب ، فالإطناب ((يؤدي وظيفة تنميقية ووظيفة اقناعية ، فمن جهة يعرض المعنى في صورتين مختلفتين ومن جهة ثانية يجعل المعنى يتمكن في النفس فضل تمكن))[٤٨]، إذ يشتغل الإطناب عند الإمام الحسين عليه السلام عند بلوغ الاستدلال مستوى معيناً من الكفاية لإقناع المتلقي ، وهو ماجاء في قوله عليه السلام :

((أنشدكم الله هل تعرفونني؟ قالوا: نعم، أنت ابن رسول الله (ص) وسبطه، قال: أنشدكم الله هل تعلمون إن جدي رسول الله، قالوا: اللهم نعم، قال: أنشدكم الله هل تعلمون إنَّ أبي علي بن أبي طالب؟ قالوا: اللهم نعم قال: أنشدكم الله هل تعلمون إنَّ أُمي فاطمة الزهراء بنت محمد المصطفى (ص)؟ قالوا: اللهم نعم، قال: أنشدكم الله هل تعلمون إنَّ جدتي خديجة بنت خويلد أول نساء الأمة إسلاماً؟ قالو: اللهم نعم، ....)) [٤٩]

لقد بدا واضحا أن الإمام الحسين عليه السلام كان يشعر بحاجة المتلقي إليه ، فقد عمد إلى تنويع أساليب الاستدلال وتنوع النماذج، وان كان بعضها كافيا ، وعموما نلمسه بوضوح إذ تعمد عليه السلام إلى ذكر العديد من الأسماء والأعلام، فضلا عن الكنايات ليقنع بها الخاطب ، لأنه عليه السلام سعى الى ((تمرير بعض الأفكار والتصورات على حساب ماهو قائم في ذهن المتلقي، والغاية هي إبعاده عما كان يعمر في ذهنه وإحلال الصدمة أو الإقناع))[٥٠]

وإذا كانت بعض الأشكال البلاغية تعمل في الخطاب عناصر مساعدة للوظيفة الاقناعية ، فان بعضها أشكال في حد ذاتها تقوم بهذه الوظيفة، وبحسب السياق الذي توضع فيه، فهو يلعب دورا جوهريا في تحديد وظيفتها ومعناها ، وهذا ما نجده في أهم الأشكال البيانية المتمثلة بالاستعارة والتشبيه، وطبقا لمفهوم البلاغة الجديدة تتجاوز بنية الاستعارة الوحدة اللغوية المفردة ، فإنتاج الدلالة الاستعارية وشرح وظيفتها وطبيعتها الفعلية في تصور البلاغة الجديدة ، لا يمكن أن يظهر إلا في القول الذي يحمل معنى تاما مكملا ، ولا يعتمد على الكلمة فحسب، بل على الخطاب كله ، ثم يرتبط بالمتلقي، إذ يصبح شكلا بلاغيا برهانيا[٥١] ومن الاستعارة ما جاء في خطاب الإمام لأصحابه في مكة قائلاً:

((كأني بأوصالي تقطعها عُسلان الفلوات، بين النواويس وكربلا فيملأن مني أكرَاشاً جُوفاً وأجربه سُغباً....))[٥٢]

لقد استعار الإمام الحسين عليه السلام ألفاظا معينة ليبين دلالة مدى وحشية وشراسة جيش الأعداء الذي جاء لقتله عليه السلام، وإذا تأملنا هذه الاستعارات المحددة بهذا الشكل ، وجدناها تقوم على الألفاظ المستخدمة ، ووصف جيش الأعداء ومدى حقده، بحيث حدد السياق دلالة هذه المصطلحات لتخرج عن معناها القريب، إذ إن السياق ((يمارس عمله على الكلمة البؤرة كي يثير دلالة جديدة غير قابلة للانحصار في المعنى الحرفي))[٥٣]

وعليه يبدو تعالق الأشكال البلاغية واضحا ، بحيث تفاعلت مع بعضها في النصوص الحسينية لتبليغ دلالات معينة، هي الدلالات المطلوبة، من دون أن ينحصر هذا في الاستعارة وحدها، بل يتعداها الى انسجام النصوص كاملة ولا يتموضع في أبنيتها النصية فحسب بل يجعلها منطلقا نحو أشكالها البلاغية المختلفة

الخاتمة

لقد أفضت بنا هذه الدراسة التي أردنا منها الكشف عن اتجاهات الاستدلال وهيمنة النص الديني في نصوص الإمام الحسين عليه السلام ببنيته الحجاجية ، والوصول إلى المقاصد الفعلية لكل من المؤلف والمخاطب ، إلى الوقوف على أهم النتائج التي جاءت على النحو الأتي :

١. اعتمد الإمام الحسين (ع) في حجاجه بعض أساليب الاستدلال القرآني ، فيما اشتملت عليه المقدمات والنتائج، لأنه استند إلى الخطاب الفاعل الذي لا يقبل سوى الصدق ، وهو الأمر الذي ساعد في الكشف عن المقاصد التي تقع داخل النص وخارجه ، وهي بالنتيجة مقاصد تتوافق مع شخصية الإمام الحسين (ع) والمصادر التي استقى منها أساليب استدلاله.

٢. لقد توزعت اتجاهات الاستدلال عند الإمام الحسين عليه السلام على النحو الأتي: الاستلال الذاتي (الاستدلال بالماهية والموضوع ،والاستدلال بالمثل والقدوة، و بين اللازم والملزوم) و الاستدلال الجدلي، فضلا عن البلاغة والإقناع. اذ يلحظ التنوع في توظيف الأساليب الاستدلالية وهو ما يؤشر إدراك الإمام الحسين (ع) لحاجة المتلقي إليه ومن ثم تحقيق الأهداف الكبرى المتوخاة من وراء الاستدلال

٣. كان الإمام الحسين عليه السلام مدركا تماما طبيعة الدور الذي يضطلع فيه الاستدلال ولا سيما فيما يخص المتلقي ، وهو الأمر الذي يؤكد كفاءته الحجاجية التي تعتمد على المعنى الحركي المؤثر والنسق الديني المهيمن .

٤. اعتمد الإمام الحسين (ع) الترتيب الوظيفي لأجزاء الكلام ، وهو من الأساليب الحجاجية التي تعتمد النسق الديني التي يسعى من ورائها إلى تحقيق الإقناع ، التي تمثل بمجموعها رسالته الكبرى حاملة مقاصد مختلفة ، لتحقيق الإصلاح المنشود .

٥. مثلت الأشكال البلاغية في نصوص الإمام الحسين عليه السلام سبيلا ناجعا لتحقيق الإقناع اذ استطاعت أن تجمع بين مهمة المساعدة للوظيفة الاقناعية والقيام بالوظيفة الاقناعية بنفسها، وبحسب السياق الذي توضع فيه الذي يلعب دورا مهما في تحديد وظيفتها ومعناها.

٦. تفاعلت الأشكال البلاغية ، مع بعضها في نصوص الإمام الحسين عليه السلام،بشكل مميز لتؤدي أغراضا مقصودة ممثلة بتبليغ دلالات ومعان بعينها، فكانت من أهم سمات الاستدلال ، فضلا عن وظائفها الأخرى التي توزعت بين الإقناع والإسهام في انسجام النصوص .

الإحالات

١. الجام العوام في علم الكلام ،أبو حامد الغزالي ، تح محمد المعتصم بالله،دار الكتاب العربي بيروت ،١٩٨٥: ٨١

٢. فصل المقال بين الحكمة والشريعة من الاتصال ، ابن رشد ،ت محمد عمارة ، طبعة دار المعارف دت ، ٥٦

٣. ينظر في بلاغة الخطاب الاقناعي (مدخل نظري تطبيقي لدراسة الخطابة العربية القرن الأول أنموذجا ،محمد العمري، دار الثقافة، الدار البيضاء،١٩٨٦ :٣١-٣٢

٤. المعجزة الكبرى للقران ،أبو زهرة ، دار الفكر العربي القاهرة ،دت ، ٣٦٨

٥. انسجام الخطاب في مقامات جلال الدين السيوطي دراسة تداولية ،فتحية بوسنة مختبر تحليل الخطاب ، ٢٠١٢ : ٨٨

٦. الخطاب الحسيني في معركة الطف دراسة لغوية وتحليل ،عبد الكاظم حسن الياسري ، العتبة الحسينية المقدسة، ٢٠٠٩،٢٧

٧. نقلا عن بلاغة الخطاب وعلم النص ، صلاح فضل ،مؤسسة مختار للنشر وتوزيع الكتاب ،١٩٨٦ : ٢٤

٨. ينظر المعجزة الكبرى ، أبو زهرة : ٣٤٦-٣٥٦

٩. ينظر المصدر السابق : ٣٤٧

١٠. سورة المؤمنون :١٢-١٣

١١. تاريخ الأمم والملوك تاريخ الطبري أبو جعفر محمد الطبري،اعتنى به أبو صهيب الكريمي ، بيت الأفكار الدولية، دت ، ٥/ ١٠٠٢

١٢. ينظر الإحالة في نحو النص ، احمد عفيفي كلية العلوم ، جامعة القاهرة دت، ١١

١٣. تاريخ الطبري / ٦ / ٢٤٢

١٤. تاريخ الطبري / ٣ / ٢٨

١٥. المصدر نفسه والصفحة

١٦. المصدر نفسه والصفحة

١٧. تاريخ الجدل ، أبو، زهرة ، دار الفكر العربي القاهرة ، ١٩٨٠ :٦٠-٦١

١٨. تاريخ الطبري / ٦/ ٢٤٢

١٩. المعجزة الكبرى / أبو زهرة : ٣٧٢

٢٠. وسائل الشيعة في تحصيل الشريعة ، محمد بن الحسن الحر العاملي ، تح عبد الرحمن الشيرازي ، باب استحباب زيارة الحسين (ع) على الحج والعمرة ، ٣/ ٣٥٢ برقم ١٥/ وينظر سنن الترمذي ، محمد بن عيسى الترمذي ، دار إحياء التراث ، تح احمد محمد شاكر ، كتاب المناقب ، باب مناقب الحسن والحسين (ع) / ٥/ ٦٥٦/ الرقم ٧٣٦٨

٢١. الخطاب الحسيني في معركة الطف دراسة لغوية وتحليل ،٣٣

٢٢. ينظر الخطابة ، أرسطو طاليس ، ت عبد الرحمن بدوي ، دار العلم بيروت ، دت ، ٢٢٨-٢٢٩

٢٣. تاريخ الجدل ،ابو زهرة ،٧٥

٢٤. النص والسياق استقصاء الخطاب الدلالي والتداولي فان ديك، ت عبد القادر فيس، أفريقيا الشرق ، ٢٠٠٠ ، ، ١٥١

٢٥. نقلا عن لسانيات النص ، محمد خطابي ، ٥٨

٢٦. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، باقرالمجلسي ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٨٣ : ٣٢٩

٢٧. المصدر نفسه والصفحة

٢٨. في بناء النص ودلالاته نظم النص التخاطبي الاحالي، مريم فرنسيس ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، ٢٠٠١، ١٥٦
٢٩. المصدر نفسه : ٦٨
٣٠. أشكال الزمان والمكان في الرواية ، ميخائيل باختين ، ت يوسف حلاق ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٧٥ ،٥
٣١. مفتاح العلوم ، السكاكي ، ضبطه نعيم زرزور،دار الكتب العلمية ، بيروت ،١٩٨٧: ٨٣
٣٢. انسجام النص في مقامات جلال الدين السيوطي ، فتحية بوسنة :١٠٧
٣٣. المصدر نفسه والصفحة
٣٤. الحاوي للفتاوى ،جلال الدين السيوطي ، دار الفكر بيروت ، ١٩٩٤: ٤٠٠
٣٥. بحار الأنوار ، المجلسي : ٣٢
٣٦. بلاغة الخطاب الاقناعي ، ٨٨
٣٧. الحجاج في البلاغة المعاصرة ، محمد سالم محمد ،دار الكتاب الجديد ،٢٠٠٨ ،٩
٣٨. بلاغة الخطاب الاقناعي :١٣٣
٣٩. المصدر نفسه والصفحة
٤٠. ينظر المصدر نفسه ، ١٤١
٤١. المصدر نفسه ، ٨
٤٢. في بناء النص ودلالاته ، مريم فرنسيس ، ٨١
٤٣. ينظر شرح الرضي على الكافية ،رضي الدين محمد بن الحسن الرضي الاستراباذي ،ت يوسف حسن عمر ،ط٢ ، منشورات جامعة قار يونس بنغازي ،دت ، ٣/ ١٤٧
٤٤. تاريخ الطبري / ٣/ ٤٤٧
٤٥. مفتاح العلوم ، السكاكي ، ، ٥١
٤٦. وصف اللغة العربية دلاليا في ضوء مفهوم الدلالة المركزية ، محمد يونس علي ،منشورات دار الفاتح ،١٩٩٣ ، ١٣٩
٤٧. ينظر بلاغة الخطاب وعلم النص ، صلاح فضل : ٢١٥
٤٨. الأدب والغرابة ، عبد الفتاح كيليطو ، دار الطليعة بيروت ،١٩٨٣ ،٨٢
٤٩. مقتل الحسين (ع) المسمّى باللهوف في قتلى الطفوف، علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس الحسيني (ت ٦٦٤هـ)، منشورات مؤسسة الأعلم للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٣، ص٥٣
٥٠. تجليات الخطاب البلاغي ،حمادي حمود ،در قرطاج ، تونس ١٣٤،١٩٩٩
٥١. ينظر بلاغة الخطاب وعلم النص ، ٧٦
٥٢. اللهوف، ص١٢٦.
٥٣. بلاغة الخطاب وعلم النص ، ١٥٥

المراجع والمصادر

القرآن الكريم

١. انسجام الخطاب في مقامات جلال الدين السيوطي دراسة تداولية ،فتحية بوسنة مختبر تحليل الخطاب ، ٢٠١٢

٢. أشكال الزمان والمكان في الرواية ، ميخائيل باختين ، ت يوسف حلاق ، وزارة الثقافة ، دمشق ،١٩٧٥

٣. الأدب والغرابة ، عبد الفتاح كيليطو ، دار الطليعة بيروت ،١٩٨٣

٤. الإحالة في نحو النص ، احمد عفيفي كلية العلوم ، جامعة القاهرة دت

٥. تجليات الخطاب البلاغي ،حمادي حمود،تونس ، دار قرطاج ،١٩٩٩ .

٦. بلاغة الخطاب وعلم النص ، صلاح فضل ،مؤسسة مختار للنشر وتوزيع الكتاب ،١٩٨٦

٧. تاريخ الأمم والملوك تاريخ الطبري أبو جعفر محمد الطبري،اعتنى به أبو صهيب الكريمي ، بيت الأفكار الدولية، دت

٨. تاريخ الجدل ، أبو، زهرة ، دار الفكر العربي القاهرة ،١٩٨٠

٩. الحجاج في البلاغة المعاصرة ، محمد سالم محمد ،دار الكتاب الجديد ،٢٠٠٨ .

١٠. الجام العوام في علم الكلام ،أبو حامد الغزالي ، تح محمد المعتصم بالله،دار الكتاب العربي بيروت ،١٩٨٥

١١. الجامع الصحيح سنن الترمذي ، محمد بن عيسى الترمذي ، تح احمد محمد شاكر دار أحياء التراث ، دت

١٢. الحاوي للفتاوى ،جلال الدين السيوطي ، دار الفكر بيروت ، ١٩٩٤

١٣. الخطابة ، أرسطو طاليس ، ت عبد الرحمن بدوي ، دار العلم بيروت ، دت

١٤. الخطاب الحسيني في معركة الطف دراسة لغوية وتحليل، عبد الكاظم محسن الياسري ، العتبة الحسينية المقدسة،٢٠٠٩

١٥. فصل المقال بين الحكمة والشريعة من الاتصال ، ابن رشد ،ت محمد عمارة ،طبعة دار المعارف دت .

١٦. في بلاغة الخطاب الاقناعي (مدخل نظري تطبيقي لدراسة الخطابة العربية القرن الأول أنموذجا ،محمد العمري ،دار الثقافة، الدار البيضاء،١٩٨٦

١٧. في بناء النص ودلالاته نظم النص التخاطبي الاحالي، مريم فرنسيس ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ،٢٠٠١

١٨. لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، محمد خطابي ،المركز الثقافي العربي ،١٩٩١

١٩. اللهوف في قتلى الطفوف، علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس الحسيني (ت ٦٦٤هـ)، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٣

٢٠. المعجزة الكبرى للقران ،أبو زهرة ، دار الفكر العربي القاهرة ،دت

٢١. مفتاح العلوم ، السكاكي ، ضبطه نعيم زرزور،دار الكتب العلمية ، بيروت ،١٩٨٧

٢٢. النص والسياق استقصاء الخطاب الدلالي والتداولي فان ديك، ت عبد القادر فيس، افريقيا الشرق ، ٢٠٠٠

٢٣. وصف اللغة العربية دلاليا في ضوء مفهوم الدلالة المركزية ، محمد يونس علي ،منشورات دار الفاتح ،١٩٩٣

٢٤. وسائل الشيعة في تحصيل الشريعة ، محمد بن الحسن الحر العاملي ، تح عبد الرحمن الشيرازي ، مؤسسة آل البيت لاحياء التراث ،قم ،١٤١٤ هـ

منهج الثورة الحسينية في التربية الروحية

HUSSEINIST PATHWAY IN THE SPIRITUAL EDUCATION

أ.م.د. حسن حميد فياض
جامعة الكوفة – كلية التربية الأساسية

Asst. Prof. Dr. Hassan Hameed Fayadh, College
of Basic Education, University of Kufa

ملخص البحث

كانت ثورة الحسين (ع) تهدف إلى حفظ الدين من انحرافات الحكام الجائرين ومن سار في ركابهم وتبعهم إلى يومنا هذا، فكان لابد لها من إعداد على مستوى عال لتهيئة أبطال هذه الثورة، فبدأ الرسول محمد (ص)، بوضع أسس الإعداد الأولى بما ذكره عن مقتل ولده الحسين (ع) وأهل بيته وأصحابه، وبما بثه في أمته من مكانة الحسين عند الله سبحانه، ثم جاء من بعده الإمام أمير المؤمنين (ع) ليؤكد ما بدأه رسول الله (ص)، وليهيئ جمعا من أصحابه المخلصين لنصرة ولده الحسين، واستمر الإعداد مع الإمام الحسن السبط (ع)، لينتهي عند الإمام الحسين (ع)، بنهضته التي عصفت بمخططات المنحرفين، وأعادت الإسلام إلى مكانه الذي أراده الله له.

قام البحث على تمهيد ومبحثين وخاتمة، تناول التمهيد غاية الثورة الحسينية ووسائل تحقيقها، وجاء المبحث الأول ليناقش منهج التربية الروحية في الثورة الحسينية، فوجد ان هذا المنهج يقوم على مرتكزات عدة، في مقدمتها أمران: المعرفة وذكر الموت.

أما المبحث الثاني فوقف عند مطالعة مواقف لأبطال الطف ممن نصروا الحسين (ع)، وبذلوا فيه مهجهم، ليكشف عن أثر التربية الروحية الخاصة لهؤلاء الأبطال الذين وجدوا في الموت حياة خالدة.

وجاءت الخاتمة لتجني الثمار التي ينعت في البحث.

والله من وراء القصد وصلى الله على محمد وآله الأطهار.

Abstract

The Husseinist revolution exerts itself to keep religion intact from the violations of the tyrannical rulers and their entourage، that is why there should be a state of knights preparation to such a revolution : the messenger inaugurates laying the foundation bricks as he mentioned several times the way his son ، imam Al-Hussein ، with his progeny and companions suffers in his martyrdom to erect a niche to him . The current paper consists of an introduction، two sections and a conclusion to delineate the targets of such a revolution، the first tackles the pathways of the Husseinist revolution as there are certain pillars the revolution exploits، the second focuses upon the stances the knights take in the Al-Taff battle ; the companions and adherents do their best to be in line with the imam Al-Hussein to manifest the spiritual stamina such people grow ، the conclusion gleans all the results . None fathoms the intent but Him، peace be upon Mohammed and his progeny.

التمهيد

غاية الثورة ووسائل تحقيقها

نهض الحسين بن علي (ع) بثورة كانت غايتها الإصلاح، وقد أعلن ذلك في غير مرة بخطبه وكتبه، ناعيا على حكام الجور ما يقومون به من إماتة للدين، وإحياء للبدعة، وخروج عن الحق، وسعي في الباطل، وتقتيل العلماء والصلحاء، وتقريب الفجار والضلاّل، حتى عاد الحق متروكا لا يؤمر به، والباطل قائما لا ينهى عنه، وقد وضح منهجه في الخروج بوصيته لأخيه محمد بن الحنفية (رض) التي يقول فيها: ((إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت أطلب الإصلاح في أمة جدي محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي محمد، وسيرة أبي علي بن أبي طالب ... فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن ردّ علي هذا صبرت حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق ويحكم بيني وبينهم وهو خير الحاكمين))[1].

وتعلن هذه الوصية أن منهجه (ع) قائم على الإقناع دون الإكراه، والدعوة إلى قبول الحق تسليما لله للنهوض بالأمر، أو الصبر والرضا بما يحكم الله – سبحانه–.

والدعوة إلى الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا تتوقف على تولي الحكم ومسك زمام الأمور، وإن كان ذلك من أقوم سبلها، لما للحاكم من سلطة تسيير الأمور ونشر الأحكام وإقامة الحدود، بل تتنوع أساليبها وتتعدد مستوياتها، وهي على أي نحو كانت لا بد أن تترك أثرا صغيرا كان أو كبيرا يقتبس منه من يشاء ويغفله من أغفل الله قلبه عن ذكره، قال الله تعالى: ((وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا))[2].

ولا ريب في أن إصلاحا ينشده الحسين (ع) لأمة جده المصطفى (ص) ينبغي أن يكون بأسلوب خاص ومستوى فريد، أسلوب يوقظ الأمة من سبات عميق جرها إليه حكام الجور ودعاة السوء، ومستوى فريد عزيز على التكرار ليبقى وحده مثالا تتخذه الأحرار شعارا لها، ومنهجا في سلوكها وقيامها.

لقد اختار الحسين (ع) التضحية أسلوبا له في ثورته الإصلاحية الكبرى، وهي وإن كانت أسلوبا معهودا في كثير من الثورات للوصول إلى المبتغى؛ إذ لا تستقيم للثورة مطالبها ما لم تؤطرها بالتضحية، إلا أن تضحية الإمام الحسين (ع) كانت من طراز فريد لم يعهد من قبل في التاريخ، ولم تجرِ عليه عادة الثورات؛ ذاك أن قادة الثورات يضعون في حساباتهم مستوى ما من التضحية لتتهيأ لهم الأسباب، ولتستقيم لهم الأمور. أما أن يقدِّم الثائر كل مادة ثورته في سبيلها فذاك ما لم يعرف في التاريخ.

لقد قدم الإمام الحسين (ع) لله كل ما عنده من صحبه وأهل بيته ونفسه وعياله، وليس من صورة تلح على الذاكرة في حضورها مثل صورة الطفل الرضيع الذي رفرف بيديه مستقبلا سقيا الموت التي أرسلها عديمو الضمائر إليه، وليصدح بعدها الحسين (ع) بقوله: ((هون ما نزل بي أنه بعين الله تعالى))[3].

إن هذا الأسلوب من التضحية في سبيل الثورة لم يكن ليتحقق أولا ولا لتتحقق به غاياتها ثانيا لولا إيمان المضحين بأنه هو الخيار الوحيد الذي لا بد من سلوكه للوصول إلى المبتغى، وما كان هذا الإيمان بالتضحية محض صدفة، ولا موقفاً ألجأهم إليه القدر، وإنما كان إعداداً رسالياً، ومنهجاً تربوياً بدأه رسول الله (ص) منذ ولادة الحسين (ع)، ثم عمقه الأمام أمير المؤمنين (ع) في الصفوة من أصحابه، وحاطه الإمام الحسن (ع) بعنايته، لتستكمل حلقاته على يدي أبي الشهداء الإمام الحسين (ع).

المبحث الأول

منهج التربية الروحية

ولد الحسين بن علي (ع) في الثالث من شعبان من العام الثالث أو الرابع من الهجرة المباركة[٤]، وقد كانت هذه الولادة إيذانا للإعلان عن مقتله وبيان ما ترتكبه الأمة بحقه بعد رسول الله (ص)، فقد أخبر الله نبيه بقتل ولده على يد أمته قبل ولادته[٥]، وقد شرع النبي منذ ذلك الوقت في الإعداد لنصرة ولده وتهيئة النفوس المستعدة للتضحية في سبيل نهضته، فأخبر أصحابه بما يجري على ولده الحسين وما يرتكب في حقه، وأودع عند أم سلمة (رض) تربة من الأرض التي يقتل فيها[٦]، حتى بات معروفا عند كثير من الصحابة أن الحسين (ع) ستقتله أمة جده من بعده[٧]، وقام بعضهم يذكر ذلك ويهيئ الناس لنصرة الحسين على نحو ما جرى في بلنجر حين فرح المسلمون بما غنموا من عدوهم، فوجههم الصحابي سلمان الفارسي (رض) إلى أن يكونوا أشد فرحا بالقتال مع الحسين بن علي (ع) إذا أدركوه، وقد أثمر ذلك بذل زهير بن القين (رض) نفسه في سبيل الله بين يدي أبي عبد الله الحسين (ع)[٨].

لقد أخذ هذا الإعلان مأخذه في نفوس عدد ممن شرى نفسه ابتغاء مرضاة الله ونصرة دينه وإعلاء كلمته، فقدموا أغلى ما يملكون يوم الطف ليبقى دين الله خالدا بتضحياتهم، وليبقوا مخلدين في سجل الأحرار أبد الدهر.

لقد رسمت الثورة الحسينية منهجها الخاص في الإعداد ليوم الطف لما يمثل من منعطف خطير في تاريخ الإسلام؛إذ لولاه لما بقي للإسلام ذكر ولا رسم، وقد عبر عن ذلك بوضوح الإمام الحسين (ع) في رده على مروان بن الحكم حين دعاه إلى مبايعة يزيد بن معاوية، فقال عليه السلام مقولته الخالدة التي ذهبت بعده مثلا: ((على الإسلام السلام، إذ قد بليت الأمة براع مثل يزيد))[٩].

وعلى الرغم من أن منهج الثورة الحسينية يتفق في أبعاد كثيرة مع غيره من مناهج التربية الروحية، إلا أنه يفترق عنها بكونه منهجا أعد أتباعه للنصر بالتضحية والفداء؛ إذ لم يعرف في التاريخ عن ثورة كان النصر فيها قائما على التضحية بمقاتليها جميعا، وبعبارة أخرى أن الحسين (ع) خطط للنصر يوم الطف باستشهاده وأنصاره جميعا، وهذا التخطيط لا بد فيه من إعداد دقيق على وفق منهج تربوي خاص يعمق في النفس التسليم التام لأمر الله – سبحانه – والرضا بقضائه.

وقد قام هذا المنهج على مرتكزات عدة، كان أهمها المعرفة وذكر الموت، وسأعرض في هذا المبحث لهاتين الركيزتين بما يكشف عن الإعداد المتصل من رسول الله (ص) إلى ولده الذبيح الحسين (ع).

المعرفة:

بين الله – جلّ شأنه – في محكم كتابه أهمية المعرفة في آيات كثيرة؛ لما لها من إثر في بناء الإنسان بناء نفسيا صالحا يهيئه للوصول إلى ساحة الحق – سبحانه – لينعم برضوانه، يقول تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا الله ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمْ الْمَلاَئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ))[١٠]، فالإيمان بالله سبحانه والاستقامة على ما أمر جوهر المعرفة، وقد مدح الله سبحانه ثلة من عباده لبحثهم عنه وتفكرهم في آثاره وصولا إلى الإيمان به إيمانا لا يشوبه شك، قال تعالى: ((الَّذِينَ يَذْكُرُونَ الله قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ *رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلْ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ *رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ *رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ * فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ

بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللهِ وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ))[11].

ولأهمية هذه الآيات في الدعوة إلى التدبر والتفكر الموصلين إلى المعرفة الواضحة الجلية توعد النبي الكريم (ص) من قرأها ولم يتدبر فيها بقوله: ((ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتأملها))[12].

وورد عن أئمة أهل البيت (ع) أن المعرفة أول الدين، وهي أفضل ما يتوسل به من العبادات إلى الله، فروي عن أمير المؤمنين (ع) قوله: ((أول الدين معرفته))[13]، وعن الإمام الصادق (ع) في جوابه لمعاوية بن وهب حين سأله عن أفضل ما يتقرب به العباد إلى ربهم قال: ((ما أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصلاة))[14].

وفي غياب المعرفة أو ترددها في متاهات الشك تصبح أعمال الإنسان لا قيمة لها، فقد سمع أمير المؤمنين (ع) رجلا من الخوارج يتهجد ويقرأ فقال: ((نوم على يقين خير من صلاة في شك))[15]، فإذا كانت الصلاة التي هي عمود الدين لا نفع فيها عند الشك فما بالك ببقية الأعمال، ويقين أن الشك الذي قصده الإمام في قوله ليس هو الشك في وجود الله – سبحانه –؛إذ لا معنى للصلاة مع الشك بوجود الخالق، وإنما هو الشك بما أمر به الله من معرفة أوليائه واتباعهم؛ وهو ما عبر عنه الإمام الرضا (ع) بأنه من شروط الإيمان بالله[16].

لقد بدأ النبي الأكرم (ص) منهج الإعداد الروحي لثورة الحسين حين ركز في أذهان الأمة مكانة الحسين فيها، وأنه إمام مفترض الطاعة في أحاديث كثيرة لا تدع مجالا للتردد أو الشك في معرفة منزلته من الله – سبحانه –،نذكر منها ما يأتي:

- حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسينا، حسين سبط من الأسباط[17].
- أنا سيد النبيين، وعلي بن أبي طالب سيد الوصيين، والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، والأئمة بعدهما سادات المتقين، ولينا ولي الله، وعدونا عدو الله، وطاعتنا طاعة الله، ومعصيتنا معصية الله[18].
- الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا[19].
- من أحبني فليحب هذين (يعني الحسن والحسين)[20].
- أنا أفضل النبيين، وعلي أفضل الوصيين، والحسن والحسين أفضل الأسباط[21].
- إن ربي أمرني أن احبهما وأحب من حبهما[22].
- أيها الناس هذا الحسين بن علي ألا فاعرفوه، وفضلوه كما فضله الله عزّ وجلّ[23].
- إن الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة[24].

وغيرها كثير وهي بمجملها تدل على منزلة خصيصة للحسين من الله سبحانه ومن جده رسول الله (ص)، وتدعو إلى اتباعه والسير على هداه، وتندب إلى بل توجب محبته، ولا تصح المحبة من غير اتباع، والله سبحانه يقول: ((قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمْ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ))[25]، بل إن الحب هو الدين كما يقول الإمام الصادق (ع)[26].

وعلى نحو هذا سار الإمام أمير المؤمنين (ع) في بيان فضل الحسين ومكانته في الدين، والمحافظة عليه وحياطته مع أخيه الحسن من الاشتراك في عمليات الحروب فقال (ع): ((املكوا عني هذين الفتيين أخاف أن ينقطع بهما نسل رسول الله))[27]، فركز في الأذهان أنهما امتداد لرسول الله (ص). وقد أكد هذه الحقيقة في المحافظة عليهما محمد بن الحنفية حينما حاول بعضهم إيغال صدره على أخويه الحسنين بتقديم أبيه إياه للحرب دونهما، فقال: ((أنا ولده وهما ولدا رسول الله (ص)))[28]، ليعطي مثالا حيا بمعرفة منزلتهما، والإيمان بمكانتهما من الله ورسوله.

وعلى هذا النحو من تثبيت المعرفة وبيان الحق سار الإمام الحسن (ع) في خطبه وكلامه وحجاجه مع معاوية وغيره،

لينتهي الأمر إلى الإمام الحسين (ع) فيعلن وقد خرج يوما على أصحابه فقال: ((أيها الناس ان الله جل ذكره ما خلق العباد إلا ليعرفوه فإذا عرفوه عبدوه فإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة من سواه ، فقال له رجل : يا بن رسول الله بأبي أنت وأمي فما معرفة الله ؟ قال معرفة أهل كل زمان إمامهم الذي يجب عليهم طاعته))[٢٩]، فلا تتم معرفة الله ألا بمعرفة الإمام المنصوب منه- سبحانه-، بل لا سبيل إلى المعرفة الحقّة إلا بمعرفة الإمام، وهو مصداق قول رسول الله (ص) الذي رواه الفريقان ((من مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية))[٣٠].

وقد بيّن الإمام الحسين (ع) الإمام الحق الذي يجب التمسك به في خطابه لما عزم على الخروج إلى العراق قائلا: ((رضا الله رضانا أهل البيت نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين))[٣١]، فلا مجال بعد للشك في أحقيته (ع) في دعوته، ونصرته في ثورته.

إن هذ الإعداد المعرفي للصفوة ممن نصر الحسين (ع) هو الذي أهلهم لبذل كل ما يقدرون عليه في نصرة الحسين التي هي نصرة لله سبحانه، كما أن عمق هذه المعرفة في نفوسهم واطمئنانهم بها هو الذي قادهم إلى الثبات في يوم الطف والإقدام على الموت ببصيرة نافذة أذهلت أعداءهم حتى نادى مناديهم ((أتدرون من تقاتلون؟ إنما تقاتلون فرسان المصر، وأهل البصائر))[٣٢].

ذكر الموت:

إن ذكر الموت معناه الإيمان باليوم الآخر إيمانا عميقا يستحيل فيه الغيب إلى شهادة، والمستقبل إلى حاضر، ولا يقتصر ذلك على معرفة أن كل إنسان يموت، لأنه أمر لا يحتاج إلى دليل، وكل من تسأله يجيبك دون تروٍ أنه سيموت في آخر المطاف، لأن هذ النوع من الذكر لا يثمر تربية روحية تزكي النفس، ولا يدفع نحو الكمال، وإنما ينتهي عند لقلقة اللسان.

إن ذكر الموت إيمان بما بعد الموت، واستعداد له، وقد مدح الله الذين يستعدون لما بعد الموت وللقاء الله في كتابه المجيد في مواضع كثيرة، منها قوله تعالى: ((رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ الله وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ *لِيَجْزِيَهُمْ الله أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالله يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ))[٣٣]، وذم آخرين لم يأخذوا أهبتهم للموت بقوله تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ *أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ))[٣٤].

وقد حث النبي الأكرم (ص) على تذكر الموت والاستعداد لما بعده في أحاديث كثيرة، منها قوله (ص) وقد سئل:((هل يحشر مع الشهداء أحد؟ قال: نعم، من يذكر الموت بين اليوم والليلة عشرين مرة))، وجوابه (ص) عن سؤال آخر: ((أي المؤمنين أكيس؟ قال: أكثرهم للموت ذكرا، وأشدهم له استعدادا))، وفي موضع آخر قال (ص): ((من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه))[٣٥].

وقد كان أمير المؤمنين (ع) ينتظر أشقى الأمة ليخضب لحيته من دم رأسه، وكان يكرر كثيرا ((متى يبعث أشقاها))[٣٦].

وقد أخبر جمعا من خلص أصحابه بما سيؤول إليه أمرهم من التعذيب والقتل على أيدي عتاة الأمة، فكان جوابهم يظهر إيمانا راسخا على نحو ما قال ميثم حين أخبره أمير المؤمنين بأن ابن زياد سيدعوه إلى البراءة منه: ((أنا والله لا أبرأ منك، قال إذن والله يقتلك ويصلبك، قلت: أصبر فذاك في الله قليل))[٣٧].

إن مثل هذا النوع من التضحية والفداء التي قبلها ميثم برحابة صدر لا تصدر إلا ممن أُعد إعدادا خاصا لمثل هذه المواقف.

لقد رسخ الحسين (ع) في أذهان أصحابه ذكر الموت والاستعداد له، وكرر عليهم ذلك ليصل إلى مستوى الاطمئنان على نحو ما كان عند ميثم التمار (رض)، فقد خطبهم قبل خروجه إلى العراق قائلا: ((خط الموت على ولد أدم مخط القلادة على جيد الفتاة وما أولهني إلى إسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف وخيِّر لي مصرع أنا لاقيه كأني بأوصالي يتقطعها عسلان الفلوات

بين النواويس وكربلاء فيملأن مني أكراشا جوفا وأجربة سغبا لامحيص عن يوم خط بالقلم))[٣٨].

فإذا كان لا محيص عن الموت فليختر الإنسان الميتة التي تليق به، وهل ميتة أكرم من ميتة يكون ثمارها حفظ الإسلام وشريعة سيد المرسلين.

لقد ربى الحسين (ع) أصحابه على لقيا الموت والاستعداد له، فكتب إلى بني هاشم حين عزم الخروج من الحجاز: ((أما بعد، من لحق بي استشهد ومن تخلف لم يبلغ الفتح، والسلام))[٣٩]، وأي حث على اختيار الموت أبلغ من هذه العبارة على وجازتها، فقد قطعت أمل من له أمل بهذه الحياة، وسخّت نفسه للحاق بركب الحسين (ع) والاستشهاد معه.

وكان مما قال لأصحابه في موضع آخر: ((من كان باذلا فينا مهجته، وموطنا على لقاء الله نفسه فليرحل، فإني راحل مصبحا إن شاء الله))[٤٠]. إن منهج الثورة يرسم لأتباعه نهايتهم التي لا بد منها ليكونوا على بصيرة تامة بما هم مقدمون عليه، ولتسمح نفوسهم بمفارقة الدنيا والبحث عن الخلد في الدارين.

إن مثل هذا النوع من التربية الروحية لا يثمر إلا أناسا قادرين على تحمل المسؤولية بأصعب حالاتها، وأدق مواقفها، وأحرج ساعاتها، وهو ما رمى إليه الرسول الأكرم (ص)، وتبعه من بعده أمير المؤمنين والحسن والحسين (ع) لحفظ الرسالة وحياطتها من مخططات الانحراف، فكان ثمار هذه التربية الروحية الفذة أنصار الحسين (ع).

المبحث الثاني

أمثلة من أنصار الحسين (ع)

مثّل أصحاب الحسين (رضوان الله عليهم) الصفوة من الصحابة والتابعين، وقد شهدت لهم مواقفهم في يوم عاشوراء وما قبله على نفاذ بصائرهم، وعمق إيمانهم وذوبانهم في حب الحسين كما أمر رسول الله (ص)، وأكد ذلك الإمام الحسين (ع) في مقولته المعروفة ((اما بعد فإني لا أعلم أصحابا أولى ولا خيرا من أصحابي، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عني جميعا خيرا))[٤١]، وكانوا مصداقا لقوله تعالى: ((مِنْ الْمُؤْمِنِيَن رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا الله عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً))[٤٢].

لقد ميز هؤلاء الصحابة المعرفة التي غرسها في نفوسهم رسول الله (ص) وأمير المؤمنين (ع)، وحافظ عليها الإمام الحسن (ع)، وأججها الإمام الحسين (ع)، تلك المعرفة التي تمثلوها في حياتهم سلوكا حيا، حتى باتوا يفدونها بكل غال ونفيس، وقد شهد لهم الإمام الحسين (ع) بقوة هذه المعرفة وعمقها في نفوسهم بقوله وهو يحاور اخته العقيلة زينب بنت علي (ع): ((أما والله لقد بلوتهم فما رأيت فيهم إلا الأشوس الأقعس، يستأنسون بالمنية دوني استئناس الطفل بلبن أمه))[٤٣].

يالها من كلمة عظيمة تكشف عن طبيعة المنهج الذي اتبعه الحسين (ع) في تربية أصحابه وتوجيههم نحو الكمال المنشود، فقد اختبرهم الإمام في مواضع عدة ليرى منهم عمق ما أفادوه من منهجه التربوي، فوجدهم قد وصلوا إلى ذروة الاستجابة لما هيأهم له حتى صار واحدهم يستأنس بالموت في سبيل نصرة الحسين والذب عنه استئناس الطفل بلبن أمه، وهي صورة في غاية الجمال ودقة الدلالة، فجمالها متأت من التشبيه البليغ الذي رسمه الإمام الحسين (ع)، وهو تشبيه يكون بحذف أداة التشبيه (الكاف) ليكشف عن شدّة تمثيل المشبه به (يستأنسون بالمنية) للمشبه (استئناس الطفل بلبن أمه). أما دقته في الدلالة فتتضح من كونهم يجدون في الموت دون الحسين (ع) راحة ولذة مثلما يجدها الطفل في حضن أمه وهو يرتشف لبنها.

و إذا تصفحنا سجل أصحاب الحسين (ع) وجدنا فيهم العلماء، والصلحاء، والقراء، والمؤمنين، والمحبين الصادقين الذين أثر الحسين في وجدانهم أثرا عميقا، ولنطالع صفحات من حياة بعضهم.

العباس بن علي

كان العباس بن أمير المؤمنين من أبطال بني هاشم جسيما وسيما ((يركب الفرس المطهم ورجلاه تخطان في الأرض، وكان يقال له: قمر بني هاشم))[٤٤]، وكان من علماء بني هاشم، وأفضل من تخرج من مدرسة الحسين (ع) في التربية الروحية، فقد وصفه الإمام الصادق (ع) بقوله: ((كان عمنا العباس نافذ البصيرة، صلب الإيمان، جاهد مع أبي عبد الله وأبلى بلاء حسنا، ومضى شهيدا))[٤٥].

قدم الإمام الصادق (ع) في وصفه للعباس بن علي (ع) صفتين تكشفان عن عمق معرفته بالله وأوليائه وهما (نافذ البصيرة صلب الإيمان)، وأردفهما بالنتيجة الحتمية لمثل هذه المعرفة والتربية الروحية العالية وهي جهاده مع أخيه الحسين وبلاؤه الحسن.

وقد ظهر هذا البلاء الحسن في مواقف كثيرة منها موقفه حين كشف الشاميين عن الشريعة، ودنوه من الماء واغترافه منه ليشرب، وهو شديد العطش، غير أن بصيرته النافذة وإيمانه الصلب حالا دون أن يشرب وسيده الحسين عطشان، فرمى الماء من يده وأنشأ يقول:[٤٦]

يانفس من بعد الحسين هوني وبعده لا كنت ان تكوني
هـــذا حســـين وارد المـــنـون وتـشـربـيـن بـارد المعـين

فمثل هذه التضحية لاتصدر إلا من أبطال الطف الذين أعدوا إعدادا خاصا لمثل هذه المواقف.

علي بن الحسين

كان أول من قتل بالطف من بني هاشم، وكان أشبه الناس خلقا وخُلقا ومنطقا برسول الله[٤٧]، وكانت له مواقف كثيرة نذكر منها قوله لأبيه لما ارتحلوا من قصر بني مقاتل، وقد رأى الحسين (ع) في إغفاءته أن أنفسهم نعيت إليهم ((ألسنا على الحق، قال: بلى والذي إليه مرجع العباد، قال: يا أبت إذن لانبالي نموت محقين))[٤٨].

بمثل هذا المنطق يرسم لنا شهداء الطف مواقف الفخر التي تعزّ على غيرهم، فالموت على الحق هو الغاية التي ينشدها المؤمن ذو البصيرة النافذة، ولكنه يصدر عن أبطال الطف بطريقة تستهين بكل شيء في سبيل الغاية المنشودة.

حبيب بن مظاهر

كان حبيب من أصحاب أمير المؤمنين، وممن أخذ منه العلم، وحديثه مع ميثم ورشيد الهجري يكشف عن أنه كان من العارفين الذين تخرجوا من مدرسة أمير المؤمنين[٤٩]، وله مواقف كثيرة في نصرة الحسين (ع)، بدءًا من دخول مسلم الكوفة إلى يوم عاشوراء، تدل على عمق إيمانه وفنائه في حب الحسين (ع) الذي أمر رسول الله (ص) به أمته عن الله –سبحانه–.

وكان لشدة يقينه يمازح أصحابه يوم الطف وهم مقدمون على الموت، حتى قال له يزيد بن حصين الهمداني: ((يا أخي ليس هذه بساعة ضحك، قال: فأي موضع أحق من هذا بالسرور، والله ما هو إلا أن تميل علينا هذه الطغام بسيوفهم، فنعانق الحور العين))[٥٠].

برير بن خضير الهمداني

كان شيخا تابعيا ناسكا، قارئا للقرآن، ومن شيوخ القراء في جامع الكوفة، وله في الهمدانيين شرف وقدر، وقد ذكرت له مواقف وخطب في يوم الطف، وأذكر له موقفا شبيها بموقف حبيب بن مظاهر يكشف عن عمق إيمانه وتوله بحب

الحسين، فقد روي أنه مازح عبد الرحمن بن عبد ربه الأنصاري، فقال له عبد الرحمن: ((يا برير أتضحك؟ ما هذه ساعة باطل، فقال برير: لقد علمت قومي أنني ما أحببت الباطل كهلا ولا شابا، وإنما أفعل ذلك استبشارا بما نصير إليه، فوالله ما هو إلا أن نلقى هؤلاء القوم بأسيافنا نعالجهم ساعة ثم نعانق الحور العين))[٥١].

وفي هذه الرواية أكثر من دلالة تكشف على المستوى العالي الذي وصله برير في تربيته الروحية؛إذ قد بدأ ذلك من شبابه ليصل في يوم الطف إلى مستوى الاطمئنان الكامل، والاستبشار بالمستقبل الدال على قوة يقينه، وتدل أيضا على أن كبار أصحاب الحسين لم يتركوا منهج التربية الروحية مع غيرهم من الاصحاب حتى في يوم الطف، فكلامه يستبطن توجيها لمخاطبه إلى التحلي بالاستبشار والتفاؤل بلقاء الله – جلّ شأنه– بعد أن حسموا أمرهم في الثبات في نصرة الحسين (ع).

لقد كان أنصار الحسين عصارة منهج تربوي امتد ستين عاما مثلت حياة الحسين (ع) من ولادته إلى استشهاده.

الخاتمة

نجني مما تقدم الثمار الآتية:

- إن الإعداد ليوم الطف بدأ منذ ولادة الحسين (ع) على يد جده رسول الله (ص).
- كان هذا الإعداد خاصا لكونه إعدادا لنصرة الإسلام والحفاظ عليه.
- كان التخطيط لحفظ الإسلام في الثورة الحسينية قائما على التضحية الكاملة للوصول إلى النصر الدائم.
- ارتكز منهج التربية الروحية في ثورة الحسين (ع) على ركائز عدة، كان من أهمها أمران: المعرفة وكثرة ذكر الموت.

الهوامش

١. حياة الإمام الحسين، باقر شريف القرشي ٢/ ٢٥٧.
٢. فصلت ٣٠.
٣. آل عمران ١٩١-١٩٥.
٤. الكشاف، الزمخشري ١/ ٤٨٧، مجمع البيان، الطبرسي ٢/ ٤٧١.
٥. نهج البلاغة – تحقيق هاشم الميلاني ٦٠.
٦. الكافي ٣/ ٢٦٤، دعائم الإسلام، القاضي النعمان المغربي ١/ ١٣٣.
٧. نهج البلاغة ٧٣٢.
٨. عوالي اللآلي، ابن أبي جمهور الإحسائي ٤/ ٩٤.
٩. شرح الأخبار ٣/ ١١٢، الإرشاد، الشيخ المفيد ٢/ ١٢٧.
١٠. الأمالي، الصدوق ٦٥٢.
١١. روضة الواعظين، الفتال النيسابوري ١٥٦.
١٢. الإرشاد ٢/ ٢٨.
١٣. شرح الأخبار ٣/ ١٠٠.
١٤. كامل الزيارات ١١٣.

١٥. مدينة المعاجز، السيد هاشم البحراني ٤/ ٥٢.
١٦. م.ن. ٤/ ٥٢.
١٧. آل عمران ٣١.
١٨. الخصال – الصدوق ٢١.
١٩. بحار الأنوار ٤٢/ ٩٩.
٢٠. كشف الغمة في معرفة الأئمة، الإربلي ٢/ ٢٣٥.
٢١. علل الشرايع، الشيخ الصدوق ١/ ٩.
٢٢. الكافي ، الكليني ١/ ٣٧٧، السنة، ابن أبي عاصم ٤٨٩.
٢٣. مثير الأحزان، ابن نما الحلي ٢٩، أهل البيت في الكتاب والسنة ٢٩.
٢٤. أنصار الحسين – شمس الدين ١٨٦.
٢٥. النور ٣٧-٣٨.
٢٦. يونس ٧-٨.
٢٧. مستدرك الوسائل، الميرزا النوري ٢/ ١٠٤-١٠٦.
٢٨. مناقب الإمام أمير المؤمنين (ع)- محمد بن سليمان الكوفي ٢/ ٦٣.
٢٩. بحار الأنوار ٤٢/ ١٣٠.
٣٠. مثير الأحزان – ابن نما الحلي ٢٩.
٣١. م.ن. ٢٧.
٣٢. م.ن. ٣٠.
٣٣. مقتل الحسين – ابو مخنف ١٠٩.
٣٤. الأحزاب ٢٣.
٣٥. المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة، السيد عبد الحسين شرف الدين ٢٣١.
٣٦. مقاتل الطالبيين ٥٦.
٣٧. ابصار العين في انصار الحسين – محمد طاهر السماوي ٢٦.
٣٨. م.ن. ٣٠.
٣٩. م.ن. ٢٢.
٤٠. م.ن. ٢٢.
٤١. ظ:م.ن. ٥٧.
٤٢. بحار الأنوار ٤٥/ ٩٣.
٤٣. م.ن ١/ ٤٥.

ثبت المصادر

القرآن الكريم

١. ابصار العين في انصار الحسين، الشيخ محمد طاهر السماوي (ت – ١٣٧٠هـ)، تحقيق الشيخ محمد جعفر الطبسي، الطبعة الأولى، مطبعة حرس الثورة الإسلامية ١٤١٩ه.

٢. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، الشيخ المفيد ابو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري (ت – ٤١٣هـ)، تحقيق مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث، الطبعة الثانية ، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٤١٤هـ -١٩٩٣م.

٣. الأمالي، الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي (ت – ٣٨١هـ)، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية – مؤسسة البعثة، الطبعة الأولى، مركز الطبع في مؤسسة البعثة، قم ١٤١٧ هـ.

٤. أنصار الحسين، محمد مهدي شمس الدين، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.

٥. أهل البيت في الكتاب والسنة، محمد الريشهري، تحقيق، مؤسسة دار الحديث الثقافية، الطبعة الثانية، مطبعة دار الحديث، ١٣٧٥هـ ش.

٦. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، الشيخ محمد باقر المجلسي (ت – ١١١١هـ)، الطبعة الثانية، الناشر مؤسسة الوفاء، بيروت – لبنان، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

٧. حياة الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام)، الشيخ باقر شريف القرشي، الطبعة الأولى، مطبعة الآداب، النجف ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م.

٨. الخصال، الشيخ الصدوق، صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم ١٤٠٣هـ.

٩. دعائم الإسلام، القاضي المغربي ابو حنيفة النعمان بن منصور التميمي (ت – ٣٦٣هـ)، تحقيق آصف بن علي أصغر فيضي، دار المعارف، القاهرة ١٣٨٣ه – ١٩٦٣م.

١٠. ذخائر العقبى، الحافظ محب الدين الطبري احمد بن عبد الله (ت – ٦٩٤هـ) ، القاهرة ١٣٥٦هـ.

١١. روضة الواعظين، محمد بن الفتال النيسابوري (ت – ٥٠٨هـ)، منشورات الشريف الرضي – قم.

١٢. السنة، ابن أبي عاصم (ت – ٢٨٧هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة، المكتب الإسلامي بيروت – لبنان، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.

١٣. شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، القاضي النعمان المغربي، تحقيق السيد محمد الحسيني الجلالي، الطبعة الثانية، مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي، قم ١٤١٤هـ.

١٤. عوالي اللآلي العزيزية في الأحاديث الدينية، ابن أبي جمهور الإحسائي محمد بن علي بن إبراهيم (ت – ٨٨٠هـ)، تحقيق الحاج اقا مجتبى العراقي، الطبعة الأولى، مطبعة سيد الشهداء، قم ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

١٥. الكافي – الأصول، االشيخ الكليني ابو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق (ت –٣٢٩هـ)، صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري، الطبعة الخامسة، المطبعة حيدري، طهران ١٣٦٣هـ ش.

١٦. كامل الزيارات، ابن قولويه جعفر بن محمد القمي (ت– ٣٦٨هـ)، تحقيق الشيخ جواد القيومي، الطبعة الأولى، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ١٤١٧هـ.

١٧. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري جار الله محمود بن عمر الخوارزمي

(ت- ٥٨٣هـ)، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م.
١٨. كشف الغمة في معرفة الأئمة، علي بن أبي الفتح الإربلي (ت- ٦٩٣هـ)، دار الأضواء، بيروت - لبنان، دت.
١٩. كفاية الأثر في النص على الائمة الاثني عشر، الخزاز القمي ابو القاسم علي بن محمد بن علي الرازي (ت- ٤٠٠هـ)، تحقيق السيد عبد اللطيف الحسيني الكوهكمري، مطبعة الخيام، قم ١٤٠١هـ.
٢٠. لواعج الأشجان في مقتل الحسين، السيد محسن الأمين العاملي (ت- ١٣٧١هـ)، مطبعة العرفان، صيدا ١٣٣١.
٢١. مثير الأحزان، ابن نما محمد بن جعفر الحلي (ت- ٦٤٥هـ)، المطبعة الحيدرية، النجف ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م.
٢٢. المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة، السيد عبد الحسين شرف المويوي (ت- ١٣٧٧هـ)، تحقيق محمود البدري، الطبعة الأولى، المطبعة عترت، قم ١٤٢١هـ.
٢٣. مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي ابو علي الفضل بن الحسن (ت- ٥٤٨هـ)، تحقيق لجنة من العلماء، الطبعة الأولى، مؤسسة العلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.
٢٤. مدينة معاجز الأئمة الإثني عشر ودلائل الحجج على البشر، السيد هاشم بن سليمان البحراني (ت- ١١٠٧ه)، الطبعة الأولى، المطبعة بهمن، قم ١٤١٣هـ.
٢٥. مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، الميرزا حسين النوري الطبرسي، تحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، الطبعة الأولى، بيروت - لبنان، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
٢٦. مقاتل الطالبيين، ابو الفرج الأصفهاني (ت- ٣٥٦هـ)، الطبعة الثانية، الناشر مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر - قم، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها - النجف الأشرف، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.
٢٧. مقتل الحسين للخطيب الخوارزمي، مطبعة الغري.
٢٨. مقتل الحسين عليه السلام، ابو مخنف لوط بن يحيى الأزدي ٠ت- ١٥٧هـ)، تعليق حسن الغفاري، المطبعة العلمية - قم.
٢٩. من أخلاق الإمام الحسين (عليه السلام)، عبد العظيم المهتدي البحراني، الطبعة الولى، المطبعة العلمية - قم، ١٤٢١ه - ٢٠٠٠م.
٣٠. مناقب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، محمد بن سليمان الكوفي، من اعلام القرن الثالث الهجري، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي، الطبعة الأولى، مطبعة النهضة، قم ١٤١٢هـ.
٣١. نهج البلاغة، الشريف الرضي ابو الحسن محمد بن الحسين بن موسى، تحقيق السيد هاشم الميلاني، الطبعة الثانية، نشر العتبة العلوية المقدسة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م مقتل الحسين للخوارزمي 188 طبعة الغري.
٣٢. الكهف ٢٨.
٣٣. من أخلاق الإمام الحسين (ع)، عبد العظيم المهتدي البحراني ٢٤٤.
٣٤. مثير الأحزان، ابن نما الحلي ٧.
٣٥. الكافي، الشيخ الكليني ١/ ٤٦٤.
٣٦. ذخائر العقبى، احمد بن عبد الله الطبري ١٤٨.
٣٧. ظ:شرح الأخبار، القاضي النعمان المغربي ٣/ ١٣٥ - ١٣٧، كفاية الأثر، الخزاز القمي ١٨٧.
٣٨. ظ: لواعج الأشجان، محسن الأمين ٨٢.

الأناقة النفسية في سيرة الإمام الحسين عليه السلام

(دراسة تحليلية)

Psychological Elegancy in the Chronicle of Imam Al-Hussein (Analytic Study)

م.د . حليم صخيل العنكوشي

مديرية تربية القادسية / وزارة التربية العراقية

Dr. Haleem Sakheil Al-`Ankushi, Education
Directorate of Al-Diwaniya, Iraqi Ministry of Education

ملخص البحث

تناول هذا البحث مفهوم الأناقة النفسية الذي يُعد مفهوما نفسياً يحوي الكثير من السلوكيات والمواقف والافكار والقدرات التي إن توافرت في شخصية ما دلّ ذلك على مدى تكامل هذه الشخصية وتوافقها وقدراتها العالية على التأثير والتغيير، وامكانيات عالية في التعامل مع الأزمات وابتكار الحلول، وإنها تمنحه السعادة النفسية والقدرة على النفوذ الى قلوب الآخرين، مما يستدعي الوقوف على جوانب هذه الشخصية بشيء من التحليل بهدف الإفادة منها وتعميم أدوارها، لكي تكون قدوة حسنة يُحتذى بها. وشخصية الإمام الحسين عليه السلام من أبرز الشخصيات الإسلامية التي امتازت بنفاذ الذهن، وضخامة الفكر والقدرة على إدارة الأحداث وتكامل الشخصية. فكان علينا المساهمة في إحياء هذا التراث العظيم، ونشره وفاءً لأئمتنا، واعترافا بفضلهم، وهذا هو دافعي في عرض هذا البحث.

ونظرا لأهمية المفهوم وحداثته على حد علم الباحث، شرع بتتبعه والوقوف عند مكوناته ومعرفة الآراء النفسية التي تفسره. فضلاً عن معرفة الاحاديث والمواقف والخطب التاريخية التي نستشف منها مدى تطابق هذه المكونات للمفهوم والكشف عن الأناقة النفسية في سيرة الإمام الحسين سلام الله عليه.

إن سلامة المنهج تقتضى منا قبل الحديث عن أية شخصية أو أي فكر أن تتحدث عن البيئة أو الظروف التي أنتجت لنا تلك الشخصية أو ذلك الفكر. وانسجاماً ومنهج البحث التحليلي فقد قسمت بحثي هذا على المقدمة وأربعة مباحث وخاتمة.

شمل المبحث الأول تعريفاً مقتضباً بشخصية الإمام الحسين(ع)، فيما جاء المبحث الثاني ليقف عند مفهوم الأناقة النفسية ومكوناته، أما المبحث الثالث فهو لدراسة الأناقة النفسية في الأحاديث والخطب والمواقف الواردة عن الإمام الحسين(ع) وخصص المبحث الرابع لمناقشة مدى الإفادة من المقومات الفكرية والشخصية التي يمتلكها الإمام الحسين(ع) في تربية الجيل الجديد للسير على خطى الائمة الأطهار.

وخلص البحث الى أن الأساليب التي اتبعها (سلام الله عليه) كانت تمثل بحق نمطاً راقياً من أنماط الأناقة النفسية على وفق ما جاء عنه سلام الله عليه من قدرات عالية في التحكم البيئي وضبط الظروف وامكانية معالجة الازمات النفسية والحلول المبتكرة وهذا يعني وجود تكاملية في استعمال السلوكيات والامكانات الذاتية، التي جعلت منه يتعدى حدود هذا المفهوم ليرتقي الى قمة الكمال النفسي والفكري والعقائدي وعلينا أن نتخذ من شخصه وحياته أنموذجاً يحتذى به للوصول الى درجة عالية من الرقي النفسي.

وخلص البحث الى مجموعة من التوصيات والمقترحات.

Abstract

The current study takes hold of the psychological elegancy as it is of importance in having many isles ، behaviors، thoughts and traits ، Imam Al-Hussein ، as a great martyr، acquires the competence to be in the mind of the interlocutors and rationalizes his stances in light of Quran and Ahlalbayt traditions . For the importance of such a locus the researcher takes the initiative in collecting the information about the psychological interferences in his speeches .However the study ramifies into four sections ، the first surveys the life of the imam، the second dissects the concept of the psychological elegance ، the third does the application of the Psychological Elegance in the speeches of Imam Al-Hussein and the fourth does the importance of the Husseinist principles in teaching the new generation.

مشكلة البحث:

يمكن لعلم النفس الديني أن يُسهم في تفسير كيف يكتسب الأفراد سلوكهم الديني. وهذه المعلومات يمكن أن تستخدم في نشر الدين، ويمكن لعلم النفس أن يوضح التأثير الذي يملكه الدين على الجوانب الأخرى من السلوك، مثل السلوك الأخلاقي الذي قد يساعد في تخفيف مشاكل اجتماعية معروفة.

إن اهتمامات عالم النفس تقترب من اهتمامات رجل الدين، فرجل الدين يهتم بالمعتقدات الخاصة بدينه ودين الآخرين لمعرفة اعتقاده مقابل اعتقادات الآخرين، كذلك الحال بالنسبة إلى عالم النفس الذي ينبغي له أن يهتم بالمضامين الإنسانية للدين وتأثيرها في الإنسان وطبيعة هذا التأثير إن كان يُنمي قوى الإنسان أم لا، وهو لا يهتم بتحليل الجذور النفسية للأديان فحسب، بل بقيمتها أيضاً.

ولما كان مفهوم الأناقة النفسية من المفاهيم الحديثة ـ على حد علم الباحث ـ التي لم تخضع للدراسة ، ولأنها تمثل خليطاً متجانساً من السلوكيات التي تجعل حاملها يبدو في أروع صوره النفسية والاجتماعية وترتقي كي تكون من المثل العليا التي يستوجب الاقتداء بها، ولأن الباحث رأى في شخصية الإمام الحسين(عليه السلام) أعظم شخصية ينطبق عليها هذا المفهوم ؛لذا شرع في تقصيه في الأحاديث الواردة عنه سلام الله عليه كي تكون نبراساً لمحبيه ومريديه، ومن ثم يمكن لها أن تعمم وتطبق كي نكون بمستوى لائق من السلوك الديني والاجتماعي الذي امتازوا به ائمتنا الأبرار سلام الله عليهم.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث الحالي في الموضوع الذي يتصدى له في ظل الأحداث التي يمر بها مجتمعنا بكل فئاته، لذلك تقدم هذه الدراسة معلومات عن الأناقة النفسية ودورها في تصدي الفرد للعوائق التي تعترضه وتوجه أنظار أولياء الأمور وأصحاب القرار والباحثين إلى موضوع غاية في الأهمية بالكشف عن مكونات هذا المفهوم النفسي الذي يُعد من المحددات المهمة للسلوك الإنساني بأشكاله المختلفة .

ويمكن تحديد أهمية البحث الحالي بما يأتي:

أولاً : أهمية الشخصية التي يروم الباحث دراسة جانب من جوانبها. فهو يُعد واحداً من أبرز الشخصيات الاسلامية التي أحدثت تغيراً فكرياً واجتماعياً لدى المسلمين.

ثانياً : حداثة البحوث التي تناولت مفهوم الأناقة النفسية وندرتها.

ثالثاً : الحدود الزمنية التي أجري فيها البحث تتطلب منا ابراز جوانب مهمة في شخصية الإمام الحسين عليه السلام.

حدود البحث:

اقتصرت حدود البحث على بعض الأحاديث والمواقف والخطب الواردة عن الإمام الحسين سلام الله عليه المتفق عليها، واتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي في تحليل النصوص الواردة واستنتاج تمثيلها لمكونات مفهوم الأناقة النفسية.

أهداف البحث : يستهدف البحث الحالي إلى:

١. تعرف مفهوم الأناقة النفسية .

٢. تعرف مكونات الأناقة النفسية.

٣.الكشف عن الأناقة النفسية في مواقف الإمام الحسين سلام الله عليه وخطبه وأحاديثه.

إطار نظري

أولاً. تعريف مقتضب بشخصية الإمام الحسين عليه السلام :

إن الحديث عن أية شخصية أو أي فكر يقتضي أن نتحدث عن البيئة أو الظروف التي أنتجت لنا تلك الشخصية أو ذلك الفكر. ولابد من معرفة التنظيم الديناميكي للفرد، ولذلك لابد من دراسة الشخصية كلها، فالشخصية ليست مجرد مجموعة من السمات أو القدرات، ولكن وراء هذه السمات وحدة تكامل، وتناسق وتفاعل، فنحن لا نستطيع فهم سمة من السمات إلا بعد معرفة علاقتها بغيرها من السمات والعوامل المؤثرة فيها (الوراثة والبيئة)، فالصفات التي يمتلكها الفرد تحدد طريقة تعامله في الحياة، فهناك صفات وخصائص قوية ومتكررة، وأخرى ضعيفة وغير متكررة، وبالتأكيد فان المهم هو التركيز على الصفات المهمة والقوية والثابتة نسبياً في شخصية الفرد .إن لكل شخصية مجموعة من السمات تميزها من غيرها، ومن أهمها الذكاء، والقيادة، والسيطرة، والثقة بالنفس وغيرها من السمات الشخصية، فهناك الشخصية السلبية وهي الشخصية التي تتجنب الاتصال مع الآخرين وتميل الى العزلة والانسحاب، وهناك الشخصية الايجابية وهي الشخصية التي يتسم أصحابها بالتعامل مع الآخرين والتفاعل معهم، وهناك الشخصية التي تسعى الى تحقيق مصالحها الشخصية، والشخصية المسيطرة التي تميل للسيطرة على الآخرين وعكسها الشخصية الخاضعة، وهناك الشخصية المقبلة على الآخرين والشخصية الرافضة للآخرين، وهكذا تختلف الشخصية باختلاف سماتها.

إن الإمام الحسين(ع) من أبرز من خلدتهم الإنسانية في جميع مراحل تاريخها ومن أروع من ظهر على صفحات التاريخ من العظماء والمصلحين الذين أسهموا في بناء الفكر الإنساني وتكوين الحضارة الاجتماعية وبلورة القضايا المصيرية لجميع شعوب الأرض (القرشي، ١٩٩٢: ١٠). ولاشك أن شخصية كالإمام الحسين(ع) غنية عن التعريف فهو عليه السلام الحسين بن علي بن ابي طالب وأمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم، وقضى الحسين (ع) هذه المدة من حياته، وهي من تاريخ ولادته وحتى استشهاده (ع) في كربلاء، حياةً أسرية طبيعية تلقى فيها صنوف التربية الروحية من جده الرسول الأكرم ووالده (ع). لكنه عاش فترة مضطربة سياسياً، على المستوى الاجتماعي. فقد عاصر (ع) استشهاد جده المصطفى وأبيه أمير المؤمنين (ع) في الكوفة واستشهاد أخيه الإمام الحسن (ع) في المدينة المنورة.

وليس هنالك من شك بأن البيت الذي نشأ فيه الإمام (ع) كان بيت نبوة وإمامة، بيت من بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه [يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار](سورة النور آية،٣٦،٣٧). فلازم العبادة والتهجد وذكر الله عز وجل منذ صغره، وهو يرى أباه (ع) يقوم الليل ويصوم النهار ويساعد الفقير ويعين المحروم. فكان لا يسمع في بيته إلا القرآن، ولا يرى من أهله الا ساجد وراكع، ولا يأكل إلا مع من يشد الحجر على بطنه، أو يصوم الأيام الطويلة. وهكذا كانت حياته (ع) حياة علم وتقوى وجهاد وعبادة.

وشخصية الإمام الحسين (ع) المعروف بسيد الشهداء لها أهمية تأريخيه وعقائدية لامتلاكه اللياقة التامة الكاملة لمنصب الإمامة الكبرى. وهو منصب إلهي مجعول من الله تعالى، كما أشار القرآن الكريم: [وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً] (سورة البقرة آية ١٢٣). وتلك اللياقة تعني حيازة الفضائل الإنسانية والكمالات الروحية

والعلمية والجسدية والنفسية. واللياقة لا تكتمل إلا بعلمٍ رباني وفيضٍ إلهي يحيط بجميع شؤون ولاية الإمام عليه السلام، وبمَلَكَة روحية تصونه عن الخطأ والنسيان، والجهل والعصيان، كما أنها تمنحه وجاهة نفسية لدى الناظرين.

إن مرتبة الفضيلة الإلهية المحضة التي لا يطلب فيها حظاً من الحظوظ الإنسانية ولا ما تدعو إليه الضرورة، فتكون أفعال الإنسان كلها أفعالاً إلهية أو هذه الأفعال هي خير محض، وأن يكون فعله لا يطلب به حظاً ولا مجازاة ولا عوضاً، ويكون فعله عين غرضه، أي: ليس يفعل ما يفعله من أجل شيء غير ذات الفعل، للفضيلة نفسها والخير نفسه، لا لاجتلاب منفعة ولا لدفع مضرة ولا للتباهي وطلب الرياسة ومحبة الكرامة، فهذا غرض الفلسفة ومنتهى السعادة، إلا أن الإنسان لا يصل إلى هذه الحالة حتى تفنى إرادته كلها، وتفنى العوارض النفسانية، وتموت الخواطر التي تكون عن العوارض، ويمتلئ سعاراً إلهياً وهمة إلهية، معرفة إلهية، ويوقن بالأمور الإلهية) (ابن مسكويه، ٢٠١١ :٩٠).

وقد اشتهر النقل عنه أنه (عليه السلام) كان يُكرم الضيف، ويمنح الطالب، ويصل الرحم، ويسعف السائل، ويكسو العاري، ويُشبع الجائع، ويُعطي الغارم، ويشد من الضعيف، ويُشفق على اليتيم، ويغني ذا الحاجة، وقَلَّ أن وَصَلَه مَال إلا فَرَّقَه، وهذه سَجيَّة الجواد، وشِنشِنَة الكريم، وسِمَة ذي السماحة، وصفة من قد حوى مكارم الأخلاق، فأفعاله المَتلُوَّة شاهدة له بِصُنعِه الكرم، ناطقةً بأنه متصف بمَحاسِن الشيَم.

لقد قامت تلك الشخصية العظيمة التي نفذت من عصارة الوحي الالهي وتربت في أحضان سيد الرسل محمد المصطفى (ص) وسيد الاوصياء علي بن أبي طالب (ع) ونشأت وترعرعت في أحضان الصديقة الطاهرة (ع)، وحتى بعد مقتله عليه السلام أصبحت ثورته من الوسائل التنظيمية المنتشرة في أرجاء العالم، كما أنها وسيلة سهلة وغير مكلفة للتجمع البشري والثقافي تحت لواء واحد وفكر واحد، ولا يمكن لأي شيء آخر أن يحقق ذلك بالقدر الذي تفعله سيرة الإمام الحسين عليه السلام. إن دوافع تضحية الإمام الحسين ليست انفعالية مزاجية، أو لمجرد الاباء والشمم أو نتيجة التنفر من الفساد والانحراف (الحكيم،٢٠٠٨ : ٢٧٥). بل هي ثورة لإعادة الأمور الى نصابها الطبيعي وما يجب أن تكون عليه بعد أن هيأ لها جده المصطفى صلى الله عليه واله وسلم كل السبل.

وحياة الإمام الحسين عليه السلام من أروع سير الأئمة الطاهرين، فقد تخطت حدود الزمان والمكان، وتمثلت فيها العبقرية الإنسانية التي تثير في نفس كل انسان اسمى صور الإكبار والتقدير، فقد تجسد في سيرته ومقتله أروع موضوع في تاريخ الإسلام كله، فلم يعرف المسلمون ولا غيرهم من القيم الإنسانية مثل ما ظهر من الإمام على صعيد كربلاء، فقد ظهر منه الصمود والإيمان بالله والرضا بقضائه والتسليم لأمره ما لم يشاهده الناس في جميع مراحل حياتهم.(القرشي، ١٩٩٢: ١٧)

ثانياً. مفهوم الأناقة النفسية (Psychological Elegance):

لاشك أن أغلب الأشخاص يستطيعون تجميل صورتهم الشخصية والظهور بمظهر لائق امام الآخرين وذلك من خلال اضافة بعض اللمسات على مظهرهم الخارجي لكي يكونوا بمستوى ما يتمنون الظهور به لدى الآخرين، وبطبيعة الحال لا تحتاج هكذا امور الى قدرات ذاتية بل تحتاج الى امكانات مادية خارجية، أما فيما يتعلق الامر بالأناقة النفسية فليس بمقدور كل شخص أن يكون أنيقاً نفسياً لأنها تتطلب قدرات وامكانات نفسية عالية المستوى لا يمتلكها كل الأفراد الّا من تكاملت شخصياتهم نتيجة تكامل موروثهم النفسي وبيئتهم الاجتماعية.

وتمثل الأناقة النفسية خبرة ايجابية سارة، تدل على التوافق الاجتماعي لدى الفرد يصاحبها النجاح في الإندماج مع الآخرين. وأن هذه الخبرة السارّة يرافقها صلابة نفسية في إمكانات الفرد النفسية والإجتماعية تجعله قادر على التمكن من

البيئة المحيطة به وتتفاقم كفايته الاجتماعية. ويمتاز الأفراد ذوو الأناقة النفسية بالنمو الشخصي المتكامل ويميل تفكيرهم إلى الايجابية، كل ذلك يجعلهم قادرين على الوفاء الكامل بمطالب الحياة أو تحقيقهم لقدر مناسب من اشباع الحاجات المختلفة.

ويعرف الباحث الأناقة النفسية: بأنها استعمال الفرد طاقته النفسية وقدراته المعرفية وامكاناته الشخصية بأقصى درجاتها للوصول الى الكمال النفسي في التحكم البيئي وإدارة الازمات النفسية والاجتماعية وضبط النفس والمرونة الفكرية واجادة تامة في القدرة على حل المشكلات للوصول الى الرضا التام والسعادة النفسية.

ونستشف من هذا بأنها مجموعة من المهارات والسلوكيات والخصائص المعرفية والتكامل الشخصي تجعل الفرد قادراً على بناء نظام نفسي واجتماعي يحقق له وللآخرين السعادة النفسية، فتكون لدى الفرد هالة تجعله مميزاً نفسياً وفكرياً واجتماعياً. ويظهر لدى الأفراد من ذوي الأناقة النفسية نمطان من مفهوم الذات هما:

الأول- تكون فكرة الفرد عن نفسه منتظمة إذ يكون لدى الفرد احساس بثبات الذات وتكاملها فهو يعرف مواطن الضعف والقوة لديه، والأمر هنا يشير إلى التوافق النفسي.

الثاني- يتصف بالمرونة والتغيير، وهذا يشير إلى امتلاكه التفكير المرن وسرعة البديهية والقدرة على ادارة الأحداث.

ثالثاً. التفسير الوجودي للأناقة النفسية:

تبنى الباحث النظرية الوجودية في تفسيره لمفهوم الأناقة النفسية فهي من وجهة نظر الباحث قادرة على احتواء كل المؤشرات السلوكية التي يصدق عليها القول بأنها إحدى مؤشرات ذوي الأناقة النفسية.

إن الإنسان من وجهة النظر الوجودية، هو المخلوق الوحيد الذي يمتلك الإمكانية لأن يختار سلوكه، ومن ثم تشكيل جوهره، وأن الشخصية الراشدة السليمة تتحمل المسؤولية فيما يتعلق بأفعالها وقراراتها، والسعي لتجاوز المحددات والمعوقات التي تقف في طريق نموها. ويضع الوجوديون توكيداً كبيراً على الإمكانية البشرية، أي قدرة الإنسان على أن يصبح ما يريد أن يكون عليه في تحقيق قابلياته، وأن يعيش الحياة التي تليق به(صالح، ٢٠٠٠ : ٨٠).

ويرى علم النفس الوجودي أن قوة وعي الإنسان وحريته والنشاطات المرتبطة بصنع القرار ووضع الأهداف، هي التي تسمح بالمعالجة المسؤولة والإبداعية للقيود والمحددات التي تواجه الإنسان (Kobasas & Maddi ، ١٩٧٦: p ٢٤٣ .)، فهم يصنفون الاشخاص الى نمطين، اذ يشير جمس بارك (Park ، ٢٠٠١) إلى نوعين من أساليب الحياة لدى الوجوديين هما:

الوجود الأصيل (Original Existence): هو نتيجة نهائية لتسهيل النمو المبكر، وعلى النمو ذاتياً فيما بعد. ويعني به الاستقلال الذاتي (Autonomy) عندما نستطيع أن ننمو نحو أصالة أعظم.

الوجود غير الأصيل (Inauthentic Existence): ويعني به الانصياع عندما تبدأ مرحلة الرشد بوصفها نتاجاً لحضارتنا. ويمثل النتيجة التي تترتب على كف وتدمير النمو المبكر وعجز نسبي في النمو الموجه ذاتياً ويكون أقل وعياً من الشخص الأصيل وغير عارف أنه قادر على ممارسة السيطرة على مشاكل حياته باتخاذ القرار ما يؤكد ضعف قدرته على التحكم بالبيئة المحيطة. ولا يجهد نفسه في ممارسة الرمزية و الخيال وإصدار الحكم ذلك لأنه لم يكن قد أُستثير في نموه المبكر في هذا الاتجاه (صالح، ٢٠٠٠ :٧٩).

وعلى ضوء ذلك فإن الشخص المتمتع بالوجود الأصيل يبتعد عن العجز النفسي وهو شخص متكامل بشكل جيد ويبدي الأصالة والتغيير ، وهو بقبوله لحاضره وماضيه فإن توجهه الأساس يكون باتجاه المستقبل. إذ أشار سارتر (Sartre،١٩٤٥)

إلى أن سلوك الإنسان محكوم بأهدافه الذاتية وخططه المستقبلية التي تحدد مشروعه الأساس (Fundamental Project)، أو هدفه في الحياة. ومن خلال ذلك فإن الإنسان يخلق المعنى لما هو عليه أولاً، وبهذا يتغير الإنسان وينمو باستمرار، ودائماً سيكتشف شيئاً جديداً في ذاته وبيئته. فالشخص الذي يتمتع بالأناقة النفسية هو القادر على خلق حالة من الاتزان بين الأشكال الثلاثة للوجود: (**الوجود المحيط بالفرد والوجود الخاص بالفرد والوجود المشارك في العالم**). وتأسيساً على ذلك يؤكد الوجوديون أنه لكي يدرك الشخص معنى وجوده الأصيل فيقترب من السلوكيات التي تشير إلى الأناقة النفسية، فإنه يجب أن يتصف بالمواصفات الآتية تبعاً للتفسير الوجودي:

١. أن يعيش الإنسان وجوده، أي أن يدرك معنى الوجود.
٢. أن يكون حراً في تحقيق ما يريد وبالأسلوب الذي يختاره.
٣. أن يكون مدركاً نواحي ضعفه.
٤. أن يدرك طبيعة هذه الحياة بما فيها من متناقضات.
٥. أن يدرك إمكاناته وقدراته (الزبيدي والهزاع،١٩٧٧ : ١٨٠).

رابعاً. صفات الأفراد ذوي الأناقة النفسية:

وعلى وفق ما جاءت به النظرية الوجودية في تفسيرها لمفهوم الأناقة النفسية فقد استخلص الباحث مجموعة من الصفات للأفراد من ذوي الأناقة النفسية يمكن اجمالها بما يأتي:

١. شخصية فعّالة ومتكاملة وتبدي الأصالة والتغيير بشكل واضح، وقادرة على استثمار قيمها في محاولات نشطة وجادة تستهدف إقناع الآخرين بآرائها.
٢. يطور قيمه وتفضيلاته وأهدافه ووجهات نظره مما يجعله مميزاً ويعتقد بما يمتلكه من خبرات.
٣. لديه قابلية على التمكن البيئي ويمتلك سيطرة شخصية وحرية تأثيراته في الأحداث.
٤. أكثر وعياً بذاته ويتميز بحدة الذهن ويمتاز بذات مسؤولة.
٥. يمتلك كفاية اجتماعية ويتسم بالألفة والمودة في تفاعله الاجتماعي ويقيم علاقات اجتماعية عميقة.
٦. يمارس بنشاط وفاعلية الحاجات النفسية، أي ممارسة المنطق الرمزي، والخيال، وإصدار الحكم أو الرأي وهذه ستؤثر في خبراته الاجتماعية والبيولوجية.
٧. يتميز بتنظيم أفعاله المدروسة وأنه ذو أفكار وأحاسيس منتظمة ويضع الأولويات لأفعاله .
٨. يعتمد على نفسه ويمتاز بالتفردية والخلق الذاتي والتخطيط لحياته بأكملها.
٩. يبدي تغييرا مستمراً وتوجهاً نحو المستقبل. ويجمع بين الماضي والحاضر والمستقبل للحصول على نتائج متكاملة.
١٠. يشعر بالقلق نتيجة لوعيه الحاد ويحاول أن يخفضه باختياره المستقبل بشكل دائم مما ينتج عنه زيادة في الفرص.

خامساً. مكونات الأناقة النفسية:

استعمل الباحث المنهج التحليلي في اجراءات بحثه، وعلى وفق المنطلقات النظرية والتعريف النظري قام بتحديد مكونات الأناقة النفسية، إذ يرى أنها تشمل (٦) مكونات هي:

التمكن البيئي (Environmental Mastery)، والصلابة النفسية(Hardiness Psychological)، وضبط

الذات (Self- control)،**والسعادة النفسية**(Psychological Well- Being)، **والسلوك الايثاري** (Altruism Behaviors)، **والاتزان الانفعالي**(Emotional Stability)

ولغرض معرفة مدى مطابقة التعريف للمفهوم واتساقه مع المنطلقات النظرية اعتمد الباحث على مبدأ تحليل المفهوم إلى أصغر مكوناته التي تمثل نطاق السلوك المراد قياسه، وتحديد الأهمية النسبية لكل مكون. اذ عرضت تلك المكونات على المُحكّمين المتخصصين في مجال التربية وعلم النفس(ملحق ١)، لتحديد مدى صلاحية المكونات الأساسية ومدى تغطيتها للمفهوم والأهمية النسبية لكل مكوّن، اذ قام الباحث بتوزيع استبانة يُعطي فيها المحكم رأيه بالمفهوم أولاً وبالمكونات التي اشتقها الباحث ثانياً ومدى أهمية كل مكون بالنسبة لهذا المفهوم، فضلاً عن اعطاء حرية للمحكم بإضافة مكون يراه مناسباً وفق النظرية المتبناة، وطلب منهم تحديد مدى صلاحية المكونات السلوكية ومدى تغطيتها للمفهوم، مع تحديد الأهمية النسبية على وفق مقياس متدرج يتكون من (٥) درجات، تمثل الدرجة (٥) الأكثر أهمية للمكوّن، والدرجة (١) الأقل أهمية للمكوّن في قياس الأناقة النفسية (ملحق ٢)، وقد اتفق جميع المُحكّمين بنسبة ١٠٠٪ على أن هذه المكونات تمثل الى حد كبير هذا المفهوم، واتفقوا أنها متقاربة في أهميتها النسبية، وفيما يأتي عرض هذه المكونات بشيء من التفصيل بعد عرضها على السادة المُحكّمين:

١. **الصلابة النفسية** (Hardiness Psychological): نمط من التعاقد النفسي يلتزم به الفرد تجاه نفسه وأهدافه وقيمه والآخرين من حوله، واعتقاد الفرد بأن بإمكانه أن يكون له تحكم فيما يلقاه من أحداث، ويتحمل مسؤولية ما يتعرض له من أحداث، وأن ما يطرأ على جوانب حياته من تغيير هو أمر مثير وضروري للنمو أكثر من كونه تهديدا وإعاقة له (مخيمر، ١٩٩٦: ٢٨٤).

ويمكن القول بأنها «مصدر من المصادر الشخصية الذاتية لمقاومة الآثار السلبية لضغوط الحياة، والتحقق من آثارها على الصحة النفسية والجسمية، اذ تُسهم الصلابة النفسية في وجود ذلك النوع من الادراك والتقويم والمواجهة، الذي يقود الى الحل الناجح للموقف الذي خلقته الظروف الضاغطة «(حمادة وعبداللطيف، ٢٠٠٢ : ٢٣٣)

وقد اشارت (Kobasa) إلى أن تعرضنا للضغوط أمر حتمي لا مفر منه، فواقع الحياة محفوف بالعقبات والصعوبات واشكال الفشل والنكسات والظروف غير المواتية، ونحن لا نستطيع تجنب الفشل أو الاحباط أو الشعور بالاغتراب، ولا يمكننا الهروب من متطلبات التغير في النمو الشخصي في أي مرحلة من مراحل حياتنا، أي لا حياة من دون ضغوط وحيث توجد الحياة توجد الضغوط. (Kobasa،١٩٨٢:p.٧٠٧)

تُعد الصلابة من الخصائص النفسية المهمة للفرد كي يواجه ضغوط الحياة المتعددة والمتتالية بنجاح وكانت كوبازا (kopasa) من أوائل من وضع الأساس لمصطلح الصلابة النفسية اذ لاحظت أن بعض الناس يستطيعون تحقيق ذواتهم وإمكاناتهم الكامنة على الرغم من تعرضهم للكثير من الإحباطات والضغوط وقد اشتقت (كوبازا) مصطلح الصلابة النفسية متأثرة بالفكر الفلسفي الوجودي الذي يرى أن الإنسان في حالة صيرورة مستمرة، والذي يركز في تفسيره لسلوك الإنسان على المستقبل لا على الماضي ويرى أن دافعية الفرد تنبع أساسًا من البحث المستمر النامي عن المعنى والهدف من الحياة(Madi ، ٢٠٠٤: P.٤٧)

وقد أدركت (كوبازا)نقاط التقاطع بين أساليب مواجهة الضغوط مع التوجه نحو المستقبل واقترحت أن الشخصية الصلبة تتمتع بثلاث خصائص هي:

أ- القدرة على الانخراط والالتزام تجاه حياته أو تجاه المجتمع.

ب- القدرة على التحكم والتأثير في مجريات أمور حياته.

ج- الاعتقاد بأن التغير مثير للتحدي . (Lambert، et al، ٢٠٠٣)

٢. **ضبط الذات** (Self- control): عملية السيطرة على الاستجابات العقلية والسلوكية والانفعالية باستخدام الاساليب المعرفية في مواقف مختلفة ومتباينة ينجم عنها تعزيز الذات (Bandura، ١٩٧٦: p.٢٠٢).

وعملية ضبط الذات تضمن القدرة على البقاء في مواقف عصيبة تعتمد بالدرجة الأساس على الاحساس بالضبط الداخلي للذات، وتتجلى أهمية ضبط الذات في الإرادة من أجل العيش والبقاء وفي القوة من أجل عدم الاستسلام. وهي تبين مدى تحمل الأفراد للألم ومدى سيطرة الاشخاص على ذواتهم عند تعرضهم للألم المنتج تجريبياً.

ويُعرف ضبط الذات على أنه ضبط محفز(impulse control) أو تنظيم الذات (self- regulations) ويفضل عدد من علماء النفس مصطلح ضبط محفز (Impulse Control) كونه من الممكن أن يكون أكثر دقة، ويستعمل مصطلح تنظيم الذات للإشارة إلى العمليات الكثيرة التي يستعملها الأفراد لتدبير الدوافع والعواصف وتنظيمها، لذلك فإن تنظيم الذات يعود الى مفهوم قوة الإرادة (Will power)، فالفرد الذي يمتلك ذاتاً غير منفتحة ومتطابقة مع النظام الثقافي أو الهوية الثقافية التي يعيش فيها ذلك الفرد فأنه يعاني سوء تكيف، لأن الذات آلية تمكنه من التوافق مع البيئة الاجتماعية، وأن البنى الزمنية للفرد يجب أن تنسجم أو تتناسب مع النظام الثقافي الذي يتفاعل فيه الفرد وإلا سيشعر بعدم الارتياح والانعزال لعدم استطاعة الفرد من أن يطور عملياته السلوكية والدافعية والانفعالية ولعدم انفتاحه وتفاعله مع الاخرين في الثقافة والسياق الاجتماعي (Markus & Kitayama، ١٩٩٨، p.٨٤).

وتكمن أهمية ضبط الذات في قدرة الفرد على توجيه ذاته وتنظيمها وتعديل جوانب سلوكه وأفكاره وانفعالاته واتجاهاته، وقد يمتد تأثيره إلى مختلف أبعاد الشخصية إذ يمكن السيطرة على كثير من الأفعال غير المناسبة (حبيب، ١٩٩٧: ٥٠).

فضبط الذات يظهر في وعي الفرد بسلوكه الخاص فالأفراد الواعون بدرجة عالية لسلوكهم يكونون أكثر اتساقا في كيفية تصرفهم في مواقف مختلفة فالأفراد الذين لديهم وعي ذاتي (Self-Aware) يكونون أكثر إدراكاً وشعوراً وذلك ما جعل سلوكهم أكثر ملاءمةً (الخيري، ١٩٩٣: ٤).

والشخص الضابط لذاته يستطيع اتخاذ قراره بنفسه وذلك بصياغة أهدافه التي يرغب في الوصول اليها والتغلب على الصعوبات والمعوقات التي تعوق تحقيق هذا الهدف كذلك يكون أكثر إصراراً على اتخاذ قرار في المواقف التي تكون له نتائج افضل على المدى البعيد (الشناوي، ١٩٩٦: ٤٠٢).

فالتكيف الذاتي أساس تكامل الشخصية واستقرارها، وأن العجز يجعل الفرد في صراعات نفسية مستمرة تعطل جزءاً كبيراً من طاقته النفسية في مواجهة الصراعات. ومن المعروف أن الفرد المتمتع بالصحة النفسية أن يكون قادراً على التكيف مع الأزمات والشدائد ومواجهة مسببات الإحباط من دون أن يختل توازنه ومن من دون أن يلجأ إلى أساليب غير ملائمة كالعدوان والاستسلام (فهمي، ١٩٧٦: ٤٥).

العوامل المؤثرة في ضبط الذات: هناك أربعة عوامل يمكن أن تؤثر في ضبط الذات وهي:

أولاً: العوامل البيئية والثقافية: احتمال أن يقوم الشخص بسلوك محرم اجتماعياً في غياب أي من المقيدات الاجتماعية معتمداً على الظروف المحيطة به، ولكن الفرد يمكن أن يضبط ويسيطر على سلوكه، فكل المجتمعات بصرف النظر عن مستوى تعقيدها وتطورها، تعد بعض أنواع السلوك محضورة أو ممنوعة (حسان، ١٩٨٩ :٢٧٢-٢٧٣).

ثانياً: عوامل تتعلق بالتقويم الذاتي وما يرتبط به من تعزيز ذاتي أو عقاب: فقد أظهرت الدراسات أن الثواب والعقاب

الذي يمارسه الوالدان مع الطفل له أثر في عملية ضبط الذات، إذ يبدأ الطفل أولا بقول أو فعل ما يستحسنه أبواه وتجنب قول أو فعل مالا يرتضيانه، وتدل الدراسات على أن حجب المحبة عن الطفل وسيلة أكثر فاعلية في نشوء السيطرة على التصرف من العقوبة البدنية.

ثالثاً: النظام البيولوجي للفرد وما يرتبط من حاجة واشباع: أي مدى الحاجة البيولوجية للفرد، مع أن الفرد يتأثر بتفاعل جميع فئات العوامل المذكورة الا أن عامل الفئة الثانية هي التي تحدد مدى قدرة الفرد على ضبط ذاته، أي امتناع الفرد عن ممارسة سلوك محرم برغم توافر الظروف المناسبة ووجود الحاجة البيولوجية هي التي تحدد مدى ممارسة الفرد ضبطه ذاته، كما أن قناعة الفرد الذاتية بأن لديه الكفاءة المطلوبة لكي يغير سلوكه، تعد عاملاً مهماً في ضبط الذات (حمدي، ١٩٩٢: ٤٢).

رابعاً: فاعلية الذات المدركة (Perceived self- Efficacy): يؤكد (باندورا) على فاعلية الذات المدركة وتعني قدرة الفرد على التخطيط وممارسة السلوك الفاعل الذي يحقق النتائج المرغوبة في موقف ما والتحكم في الاحداث والمواقف المؤثرة في صيانة وفاعلية الذات فتحدد السلوك المتوقع الذي يقوم به الفرد في مواجهة المشكلات وهي بذلك لا تحدد نمط السلوك فحسب ولكنها تحدد أيضاً أنماط السلوك الأكثر فاعلية (عبد الرحمن، ١٩٩٨: ٦٣٧). فالأفراد الذين لديهم احساس قوي بالفاعلية الذاتية يركزون انتباههم على تحليل المشكلة والتوصل إلى حلول مناسبة (حمدي، ١٩٩٢: ٥١).

٣. السعادة النفسية(Psychological Well- Being): مجموعة من المؤشرات السلوكية تدل على ارتفاع مستويات رضا الفرد عن حياته بشكل عام، ولديه استعداد لحل مشكلاته بطرائق أفضل، وهو أكثر استعداداً لتقديم المساندة الاجتماعية للآخرين (عثمان ،٢٠٠١ : ١٥١)

ويتفق غالبية الباحثين على أن الشعور بالسعادة هدف أساسي يسعى لتحقيقه الفرد والمجتمعات على حد سواء، إلا أنهم يختلفون فيما بينهم حول مفهوم السعادة، فيرى الكثير من المسلمين أن السعادة تتحقق بتقوى الله، والسير وفق منهجه، والقيام الأعمال الصالحة، وأن تحقيق السعادة أمر لا يحصل عليه الإنسان في هذه الحياة، وإنما في الحياة الأخرى، لكي تتكامل الرؤية حول السعادة النفسية للفرد يجب التركيز على نوعية الأهداف في الحياة ، ومكانة الفرد بين أقرانه، ومراحل النمو المختلفة له.

وللسعادة آثار إيجابية قوية على سلوك الفرد، منها التفكير الإيجابي إذ يفكر الناس بطرائق مختلفة، وأكثر إيجابية عندما يكونون سعداء مقارنة بحالتهم عند الحزن والكآبة، كذلك يكون السعداء أكثر ثقة بالنفس وأكثر تقديراً لذواتهم وأكثر في الكفاءة الاجتماعية، ولديهم استعداد لحل مشكلاتهم بطرائق أفضل، وهم أكثر استعداداً لتقديم المساندة الاجتماعية للآخرين (عثمان ،٢٠٠١ : ١٥١)

٤. التمكن البيئي (Environmental Mastery): القدرة على التمكن من تنظيم ظروفه والتحكم في كثير من عناصر البيئة المحيطة والاستفادة منها بطريقة فعالة، وتوفير البيئة المناسبة والمرونة النفسية والشخصية لتحقيق ذلك.

إن الأفراد الذين لديهم تمكن بيئي يمتلكون الإحساس بالتمكن والكفاءة في ادارة البيئة وكذلك الضبط والتحكم في الأنشطة الخارجية والعمل بفعالية على استعمال الاحتياطات المناسبة في حال وجود أزمة نفسية أو اجتماعية ولديهم القدرة على اختيار بيئة مناسبة للحاجات والقيم الشخصية، في حين يجد الأفراد الذين لا يمتلكون التمكن البيئي صعوبة في إدارة شؤون حياتهم اليومية ولديهم شعور بعدم القدرة على تغيير أو تحسين البيئة المحيطة بهم، كما أنهم لا يمتلكون الوعي بالفرص المناسبة وقليلو السيطرة على البيئة المحيطة.(ابو هاشم،٢٠١٠ : ٢٣٨)، إن أصحاب التمكن البيئي يشيع لديهم الانضباط الذاتي(Self – Discipline) الذي يمثل القدرة على البدء في عمل ما أو مهمة، ومن ثم الاستمرار حتى

إنجازها من دون الإصابة بالكلل أو الملل. قادرين على إنجاز الأعمال من دون الحاجة إلى تشجيع الآخرين. نعني بهذه العبارة القدرة على البدء بمهمات وانجازها إلى حين اكتمالها على الرغم من السأم والأمور الأخرى التي تشتت تفكير الفرد. ومن السهل الخلط ما بين الانضباط الذاتي (ضبط النفس) Discipline-self المنخفض والاندفاعية(إذ إن كليهما دليل على الضعف في ضبط الذات Self-control) ولكنهما تجريبياً متمايزان. أما الأفراد ذوو المستوى المرتفع في الاندفاعية فلا يستطيعون مقاومة القيام بعمل. فالأول يتطلب استقرارا انفعالياً، والأخير يتطلب درجة من الدافعية التي لا يمتلكوها.

٥. السلوك الايثاري (Altruism Behaviors): نمط من السلوك الطوعي ينجز من دون توقع المكافأة ويعبر عن حب الآخرين والسعي من أجل إسعادهم)) (Blemen ، ١٩٨٩ ، p.٣١٦)

ونستخلص من هذا التعريف أن السلوك الايثاري :

أ- سلوك طوعي يأمل القائم بـه مساعدة الآخرين وإسعادهم.

ب- يتضمن التضحية بالمصالح الشخصية (المادية أو المعنوية).

ج- لا يرجو القائـم بـه مكافأة عليه .

أما في الفكر العربي الإسلامي فإن الايثار يعني لغوياً: التقديم والتفضيل فقد جاء في لسان العرب: وأثره عليه أي فضله وقدمه، وفي التنزيل [لقد آثَرَكَ الله علينا] (سورة يوسف آية٩١) أي فضلك علينا، وأثرت فلاناً على نفسي أي فضلته وقدمته على نفسي (ابن منظور ،٢٠٠٣ : ٧٦).

وقد ميز (ابن مسكويه) في كتابه (تهذيب الأخلاق) بين الإيثار والكرم والمواساة إذ عدّ الإيثار فضيلة للنفس يكف بها الإنسان عن بعض حاجاته الخاصة للآخرين ، أما الكرم فاعتبره إنفاق المال الكثير عن طيب الخاطر في الأمور الجليلة ، أما المواساة هي معاونة المحتاجين(ابن مسكوية ،٢٠١١ : ٢٢).

يعدّ الإسلام السلوك الايثاري سلوكاً اجتماعياً رفيعاً وعظيماً يجب أن تتسم به شخصية الإنسان المسلم. إذ يقول الباري عز وجل في أهميته [ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون] (سورة الحشر آية ٩)

- وجهة نظر الإنسانية في السلوك الايثاري :

أ- كارل روجرز (Rogers Carle):

يرى روجرز أن الإنسان طيب أساساً إذ لديه ميول ايجابية قوية ولكن أية محاولة للتحكم به يجعل تصرفاته سيئة، ويؤكد أن الإنسان ينزع دائماً إلى تحقيق ذاته والتمايز والاستقلال وبذلك يصون ذاته ويثبت وجودها ويضيف روجرز أنه مع نشأة الذات تأتي الحاجة إلى الاعتبار الايجابي وهذه الحاجة يعدّها عامة بين الناس ويقصد به أن ينال الفرد الدفء والحب والعطف والقبول والاحترام من الناس، ومنها تنمو حاجة أخرى هي (الحاجة إلى اعتبار الذات) التي تعني أن يرى الفرد نفسه ايجابياً، وأن تكون مشاعر الآخرين نحوه طيبة (المليجي، ٢٠٠١ : ١٦٩) ويرى الباحث أن هذه الحاجة تدفعه لأن يكون سلوكه ايجابياً ومفيداً للآخرين وقد يصل أحياناً إلى تضحيته بمصالحه الشخصية في سبيل مساعدتهم وإسعادهم.

ب- أبراهام ماسلو (A. Maslow):

يرى ماسلو أن الحاجة الإنسانية العليا (تحقيق الذات) هي التي تدفع الفرد لأن يسلك سلوكاً مرغوباً به ومفيداً للناس كالسلوك الايثاري (إبراهيم ،١٩٨٧: ٦٢) إذ به يشعر الفرد بالإنجاز والتعبير عن ذاته من خلال مساعدة الآخرين، ويحقق إمكاناته ويترجمها إلى حقيقة واقعة تتمثل بقدرته على العطاء والمبادرة الحرة في التضحية بمصالحه الشخصية من أجل مساعدة الآخرين وإسعادهم (الازيرجاوي :١٩٩١ ٥٤،٥٧). ويرى (ماسلو) بأن الطبيعة الجوهرية للبشر هي طيبة أو في

أقل الأحوال محايدة، ولهذا يقترح تطويرها بأساليب التنشئة الاجتماعية السليمة التي توفر للطفل إشباع حاجاته بصورة صحيحة ليكون عنصراً ايجابياً في مجتمعه(صالح ،١٩٣: ١٩٨٨).

٦. الاتزان الانفعالي(Emotional Stability):

هو الإشارة إلى ذلك الأساس أو المحور الذي تنتظم حوله جميع جوانب النشاط النفسي التي اعتدنا أن نسميها بالانفعالات أو التقلبات الوجدانية من حيث تحقيقها لشعور الشخص بالاستقرار النفسي أو باختلال هذا الاستقرار، وبالرضا عن نفسه أو باختلال هذا الرضا، وبقدرته على التحكم في مشاعره أو بانفلات زمام السيطرة من يديه (سويف ، ١٩٦٦: ٩٨).

ويمكن وصف الاتزان الانفعالي بأنه حالة التروي والمرونة الوجدانية حيال المواقف الانفعالية المختلفة التي تجعل الأفراد الذين يميلون لهذه الحالة أكثر سعادة ، وهدوءاً وتفاؤلاً، وثباتاً للمزاج، وثقة في النفس. أما الأفراد الذين يعزفون عن هذه الحالة فلديهم مشاعر دونية، وتسهل إثارتهم، ويشعرون بالانقباض والكآبة، والتشاؤم، ومزاجهم متقلب.

فقد أكد الدين الإسلامي في أكثر من موقف على أهمية الاتزان الانفعالي باعتباره سمة محمودة لا يحملها إلا المؤمن الصالح فقد جاء قوله تعالى: [والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين] (سورة آل عمران آية ١٣٤).

وأكد (كارل روجرز) أهمية سمة الاتزان الانفعالي ، إذ يوجد جهازان لتنظيم السلوك (الذات – الكائن الحي) وإن هذين الجهازين يعملان بتعاون وانسجام. والاتزان الانفعالي يحدث نتيجة لهذا التعاون بين الجهازين.

أما (ماسلو) الذي يُعد زعيم حركة علم النفس الإنساني فقد أكد أهمية الاتزان الانفعالي بآرائه التي يذهب فيها إلى أن للإنسان طبيعة جوهرية. وهي أما أن تكون طبيعة خيرة أو محايدة ولكنها ليست شريرة. وأن النمو الصحيح يقوم على تحقيق هذه الطبيعة باتجاه النضج كما أنه يحتاج إلى ظروف بيئية سليمة. فالبيئة غير السليمة أو التي تعيق الفرد ولا تسمح له بتحقيق رغباته وتطلعاته واختياراته قد تجعله عرضة لانهيار الصحة النفسية.

أما النظرية الوجودية فتعتقد أن دراسة الانفعال هو الطريق الوحيد الذي يمكِّن من الوصول إلى حقيقة الإنسان. وترى أن الشخص الأصيل (الشخص المتزن) متكامل بشكل جيد وهو قادر على اختيار سلوكه في أي وقت وقادر على تحمل مسؤولية أفعاله والقرارات التي يتخذها. وقادر على إيجاد معنى للحياة. وأن توجهه الأساسي نحو المستقبل وبكل ما يرتبط به من مجهول أو عدم يقين وهذا المجهول يقوده إلى فكرة القلق لكنه يتقبل هذا القلق لأنه ضرورة لاستمرار الحياة وهذا القبول يأتي من الشجاعة التي يبديها الفرد في مواجهة مستقبله إن الشخص الأصيل (المتزن) يبدي قدرة على إقامة علاقات حميمية وصادقة قائمة على الحب المتبادل والتعبير الأصيل عنها.

إن الاتزان الانفعالي هو أحد سمات الموجود البشري الأصيل (الشخص المتزن) والسلوك الأصيل: هو السلوك الذي يُعد هدفاً مثالياً، يمارس فيه الفرد قدراته وإمكاناته ومسؤوليته في اختياراته المقبولة اجتماعيا التي يسعى بها إلى تحقيق ذاته والتوحد معها، الذي يتصف بالشجاعة في مواجهة المستقبل وعزمه على اتخاذ القرارات المهمة، وقدرته على السيطرة والضبط في تعبيره الأصيل عن انفعالاته وامتلاكه وجوداً أصيلاً مع الآخرين قائماً على الحب والتفاعل الذي لا يلغي خصوصيته وتفرده معهم (سيدني ، ١٩٨٨ : ٣٦).

٦. مظاهر الأناقة النفسية:

١. الكفاءة (Competence): التي تشير إلى معنى أن الفرد مقتدر ومدرك وحكيم وفعال وتكون مرتبطة أكثر من غيرها باحترام الذات ومركز السيطرة الداخلي (Internal Locus of Control) والأفراد الأكفاء يشعرون بأنهم

مستعدون جيداً للتعامل مع الحياة. وأما غير الأكفاء فيكون لديهم اعتقاد أدنى بقدراتهم، وهم يسلمون بأنهم في أحوال كثيرة غير مستعدين وغير كفوئين.

٢. التنظيم (Organization): ويشير إلى الدقة والترتيب وحسن الاحتفاظ بالأشياء في أماكنها المناسبة وبشكل معتدل إذ إن التنظيم إذا أصبح متطرفا وشديداً فإنه يمكن أن يسهم في اضطراب الشخصية. والأفراد الذين يحرزون درجات مرتفعة على هذا المقياس يكونون دقيقين ومرتبين وحسني التنظيم وهم يحتفظون بالأشياء في أماكنها المناسبة. أما الأفراد الذين يحرزون درجات منخفضة، فهم عاجزون عن أن يصبحوا منظمين ويصفون أنفسهم بأنهم غير منهجيين(غير نظاميين).

٣. الإحساس بالواجب(Dutifulness): ملتزم لما يمليه ضميره ويتقيد بالقيم الأخلاقية بصرامة. وإن هذا الجانب يقوم به لأنه يتحسس بالواجب. والأفراد من هذا النوع يلتزمون على نحو صارم بمبادئهم الأخلاقية، وينجزون بدقة التزاماتهم وتعهداتهم الأخلاقية. أما الآخرون فيكونون غير مبالين أكثر بمثل هذه الأمور ويمكن أن يكونوا إلى حد ما لا يعتمد عليهم أو غير موثوق بهم.

٤. الكفاح من أجل الإنجاز (Achievement Striving): مكافح، وطموح، ومثابر، ،مجتهد، وذو أهداف محددة في الحياة، ومخطط، وجاد. فهؤلاء الأفراد تكون لديهم مستويات طموح عالية، ويعملون باجتهاد بالغ لتحقيق أهدافهم. ويكونون كدودين ومجتهدين وذوي عزم، ويكون لديهم إدراك لاتجاههم في الحياة، أما الأفراد الذين يقعون على النقيض من ذلك نراهم أفراداً تعوزهم الحيوية (واهنين) وربما كسالى تماماً. وليس هناك ما يدفعهم للنجاح، وينقصهم الطموح وربما يبدون كأنهم بلا هدف، ولكنهم كثيراً ما يكونون راضين تماماً بما لديهم من مستويات منخفضة من الانجاز.

٥. التأني أو التروي (Deliberation): لديه النزعة إلى التفكير قبل القيام بأي فعل ولذلك يتسم بالحذر والحرص واليقظة والتروي قبل اتخاذ القرار أو القيام بأي فعل ،والميل إلى التفكير بدقة وبحذر قبل القيام بالعمل.

في ضوء العرض السابق للإطار النظري تبين للباحث مدى أهمية إلقاء الضوء على متغير الأناقة النفسية وماهية العوامل المكونة لها، وكذلك المؤشرات الدالة عليها فضلا عن أن الأناقة النفسية يمكن أن تكون إطاراً مرجعياً ومفاهيمياً للشخصية، وكذلك الإشارة إلى محددات الأناقة النفسية المتمثلة في الاستبصار والإبداع وروح الدعابة، والمبادأة والعلاقات والقيم الروحية الموجهة (الأخلاق).

وبناء على ما تقدم عرضه فقد أصبح واضحاً لدى الباحث ماهية أبعاد الأناقة النفسية في الشخصية، وعليه فإن البحث يحاول الكشف عن الأناقة النفسية في مواقف الإمام الحسين عليه السلام وأحاديثه وخطبه لتكون طريقاً يستنير به موالوه وعشق ثورته العظيمة.

دراسة الأناقة النفسية في الاحاديث والخطب والمواقف الواردة عن الإمام الحسين عليه السلام

لقد أعلن سيد الشهداء عليه السلام أن هدفه من قيامه هو إقامة العدل، لذا فهو يريد من قيامه العودة الى السلوك السوي الذي يتوافق مع المعايير الاسلامية. فيحق لنا القول بأنه سلام الله عليه يدعو الى نسق قيمي متسق مع المنظومة الالهية التي بدأ الناس بالابتعاد عنها. ولمجرد النظر في دعوته هذه نجد الهدف الواضح والمبدأ الذي تطمح اليه فطرة النفس البشرية ومن ثم فهو يمثل في هذه الدعوة السلامة النفسية من كل شوائب الحياة ويرتقي بنفسه الى سلم الملكوت الأعلى، وقطعاً هذا يمثل الرقي بالهدف كونه ليس من الأهداف الشخصية بل هي عامة تخص كل المسلمين بل حتى غير المسلمين وكيف لا تكون هكذا دعوة مصداقاً للأناقة النفسية في كل مكوناتها.

ولست أدعي أني وقفت على كل ما ورد من أحاديث ومواقف وخطب عن الإمام سلام الله عليه، لكني حاولت وحسبي المحاولة في الوصول الى بعض خفايا الأمور، فقد ورد أنه قال سلام الله عليه في منطقة (ذي حسم): (**ألا ترون الى الحق لا يعمل به والى الباطل لا يُتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله، فاني لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برما**) (المجلسي، ١٩٨٣).

والمتتبع لهذه الخطبة يرى أنها تصدر من شخصية مدركة للحياة وواضحة الاهداف ولديها بصيرة ثاقبة فيما سيحدث. وعليه فإنه لا يسلك من دون تخطيط، فضلاً عن التخلي عن الملذات ونبذ كل ما يصدر عن الدنيا مما يحقق الرغبة الجسمية، بل ارتقى الى تحقيق الذات من خلال فهم الواقع وادراك المعنى وبعد التصور فهو بصير بما يفعل، ولاشك أن هذه قمة الأناقة النفسية والفكرية قد تجلت في شخصه الكريم الذي يتمتع بمنتهى السعادة النفسية حينما يحقق هدفه حتى إن كان ضريبة ذلك الهدف حياته الطاهرة، فهو بهذه العبارات يُجسد قمة السلوك الإيثاري فالجود بالنفس غاية الجود وأعظمها وأرقاها، فانتفى بذلك المردود المادي والنفسي والاجتماعي من هذا السلوك.

وقد ورد عنه سلام الله عليه أنه قال:(**أحين استصرختمونا والهين فاصرخناكم موجفين سللتم علينا سيفاً لنا في إيمانكم وحششتم علينا نارا اقتدحناها على عمن دونا وعدوكم**) (المقرم، ٢٠٠٥: ٢٣٦)، إن الناظر في كلام الإمام يوم عاشوراء يجد فيه القوة والثبات والاتزان النفسي والانفعالي، فمن البديهي إذا شعر الإنسان بالتوتر أو القلق أو الخوف لابد أن يؤثر ذلك على قدراته الفكرية لكننا نجد الثبات المعرفي والاتزان العقلي، وقوة الكلمات دليل على ما يمتلكه من أناقة فكرية عالية، فها هو يعاتبهم بعتاب القوي المقتدر الواثق من سلامة موقفه والعارف بمصيره والمستبسل من أجل إعلاء كلمة لا اله إلا الله.

إن الصلابة النفسية والثبات الانفعالي تجلت في خطبته لأنه أدرك بذهنه الثاقب، ودرايته بالأمور أن يزيد بن معاوية كان عازماً على محو الإسلام وقلع جذوره، فقد أعلن الكفر حال تربعه على كرسي الخلافة الإسلامية حين قال :

لعبِتْ هاشمُ بالملكِ فلا خبرٌ جـــاءَ ولا وحـــيٌ نـــزلْ(النيسابوري، ٥٠٨هـ: ٩٢)

فها هو يصف طاغية عصره بكلام قل نظيره إذ قال: (**ألا إن الدعي بن الدعي قد ركز بين اثنتين، بين السلة والذلة، وهيهات منا الذلة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت وانوف حمية ونفوس أبيه من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام**) (المقرم، ٢٠٠٥: ٢٣٦)

ولكي لا يكون هنالك لبس وتأويل في غايته من الخروج على طاغية زمانه فقد كشف عن هدفه الذي يجسد روعة الوجود البشري وغاية كل شخص كريم ألا وهو اصلاح ما فسد وإعادة الأمور الى نصابها الطبيعي، ومن ثم عبر عن غايته بأسلوب فكري رصين لا يقبل التأويل فهذه هي الأصالة الفكرية والنفسية التي كان يتمتع بها امامنا سلام الله عليه فقد قال (ع):(**لم اخرج اشراً ولا بطراً ولا مفسداً، ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي (صلى الله عليه واله وسلم) أريد أن أمر بالمعروف وانهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وابي علي بن ابي طالب**) (الربيعي،٢٠٠٢: ٧١-٧٩)، فهو بهذه العبارات قد جسد كل مضامين النظرية وغطى كل مكونات الأناقة النفسية، ويرى علم النفس الوجودي أن قوة وعي الإنسان وحريته والنشاطات المرتبطة بصنع القرار ووضع الأهداف، هي التي تسمح بالمعالجة المسؤولة والإبداعية للقيود والمحددات التي تواجه الإنسان (Kobasas & Maddi ، ١٩٧٦: p . ٢٤٣)، وقوله إنه يسير بسيرة جده وأبيه دليل الأصالة، فإن الشخص المتمتع بالوجود الأصيل يبتعد عن العجز النفسي وهو شخص متكامل بشكل جيد ويبدي الأصالة والتغيير بشكل واضح، وهو بقبوله لحاضره وماضيه فإن توجهه الأساس يكون باتجاه المستقبل، فقد سعى لرسم مستقبل

أمة كاملة وليس مستقبله وحده. وكذلك بهذه المقولة العظيمة توضح ما له من شخصية فعّالة ومتكاملة وتبدي الأصالة والتغيير بشكل واضح، وقادرة على استثمار قيمها في محاولات نشطة وجادة تستهدف إقناع الآخرين بآرائها.

وترى النظرية الوجودية أن الشخص الأصيل (الشخص المتزن) متكامل بشكل جيد وهو قادر على اختيار سلوكه في أي وقت وقادر على تحمل مسؤولية أفعاله والقرارات التي يتخذها. وقادر أيضاً على إيجاد معنى للحياة. وأن توجهه الأساسي نحو المستقبل وبكل ما يرتبط به من مجهول.

ورغم علمه المسبق أن نتيجة المعركة معروفة، ألا وهي القتل له ولأهل بيته، وقد أشار (ع) الى ذلك بقوله: (**خط الموت على ولد ادم مخط القلادة على جيد الفتاة وما أولهني الى أسلافي اشتياق يعقوب الى يوسف، وخُيّر لي مصرع أنا لاقيه كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء، فيملأن مني اكراشاً جوفا، واجربة سغبا لا محيص عن يوم خط بالقلم رضى الله رضانا أهل البيت نصبر على بلائه، ويوفينا أجور الصابرين**)(الحلي، ٦٤٥هـ، ٢٩). فهو مع علمه بهذا المصير المحتوم، لكن ذلك لم يمنعه من الخروج وإظهار عدم الرضا والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. الأمر الذي يؤكد صلابة موقفه وادراكه العالي لما ستؤول اليه الامور. وهذا يتفق مع المنظور النفسي الوجودي في أن يكون حراً في تحقيق ما يريد وبالأسلوب الذي يختاره وأن يدرك طبيعة هذه الحياة بما فيها من متناقضات.

ولأن ثورته عليه السلام كانت اجتماعية منبثقة من المجتمع الاسلامي نفسه، فهي ثورة اشتركت فيها طبقات المجتمع كافة ، فنرى فيها الرجال والأطفال كما نرى الأبيض والأسود والحر والعبد والعربي والأعجمي. وهذا مؤشر آخر على أنه يمتلك كفاية اجتماعية ويتسم بالألفة والمودة في تفاعله الاجتماعي ويقيم علاقات اجتماعية عميقة، ولديه قابلية على التمكن البيئي ويمتلك سيطرة شخصية وحرية في تأثيره في الأحداث.

وفي قوله سلام الله عليه (**لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفر فرار العبيد**). نلحظ بأن لديه قلقاً من الأحداث وما يدور حوله ومعرفة ودراية بما يهدف له الأعداء، وشعوره بالقلق نتيجة لوعيه الحاد ويحاول أن يخفضه باختياره المستقبل بشكل دائم مما ينتج عنه زيادة في الفرص، وقوة في التأثير وضمان النتيجة التي رسمها لنفسه ومن معه. و يمتلك القدرة على ضبط الذات لو نتمعن جيداً في كلماته فضبط الذات يظهر من وعي الفرد بسلوكه الخاص فالأفراد الواعون بدرجة عالية لسلوكهم يكونون أكثر اتساقا في كيفية تصرفهم في مواقف مختلفة فالأفراد الذين لديهم وعي ذاتي (Self-Aware) يكونون أكثر ادراكاً وشعوراً وذلك ما جعل سلوكهم أكثر ملاءمةً. وهذه الكلمات جاءت في وقت يحتاج به الإمام الى تبيان صلابة موقفه وصلابة عزيمته، فهذا تجسيد عال لمفهوم الصلابة النفسية والقدرة على التحكم بالمحيط.

رغم الخطر المُحدق به إلا أنه يحاور حتى أعداءه ويذكرهم بما قد تناسوا لعل الله يهدي به بشراً فهذا دأب آل بيت الرسول فهم بيت رحمة، فنراه سلام الله عليه يقول: (**فإن كنتم في شك من هذا أفتشكون أني ابن بنت نبيكم**). وترى كوبازا (kopasa) أن بعض الناس يستطيعون تحقيق ذواتهم وإمكاناتهم الكامنة برغم تعرضهم للكثير من الإحباطات والضغوط، فقد تجلت ذاته وتكاملت بالرغم من كل الإحباطات التي تعرض لها من قوم كاتبوه أن أقدم علينا وخذلوه. وفي هذا الكلام يؤكد الإمام الحسين (ع) اعتزازه بنفسه وقدراته، مع مقدار الألم والحسرة التي تكاد تذهب بنفسه الزكية وهو يشاهد أمة جده رسول الله (ص) ترتد عن دينها، وتنحرف عن مسارها.

إن قمة الأناقة النفسية للإمام(ع) تجلت في اللحظات الأخيرة من يوم عاشوراء فقد ذكر الإمام السجاد سلام الله عليه أنه ((**ولما اشتد الامر بالحسين بن علي نظر اليه من كان معه فاذا هو بخلافهم لأنهم كلما اشتد الامر تغيرت الوانهم وارتعدت فرائصهم ووجلت قلوبهم، وكان الحسين (ع) وبعض من معه من خصائصه تشرق الوانهم وتهدئ جوارحهم وتسكن**

نفوسهم))(المجلسي، ١٩٨٣: ٢٩٧)

وعلى الرغم من هول الموقف وكثرة الضحايا من أهل بيته وأنصاره لم تتعرض شخصيته للانهيار ولم يتشتت تفكيره ولم يتغير مقصده وهذه أكبر من أن تسمى بالأناقة النفسية. بل تعجز كل النظريات والمفاهيم النفسية عن بلورة صورة حقيقة لما حدث في فاجعة كربلاء.

إن القدرة على ضبط النفس والسيطرة التامة على الذات وادارة الازمة النفسية والبيئية تجلت حينما طلب من اصحابه أن يمهله الاعداء كي يصلي، إذ قال سلام الله عليه: **((سلوهم أن يكفوا عنا حتى نصلي))**.(الطبري، ب ت:٣٣٤)، فأي قدرة عقلية ونفسية وجسدية تتحمل ما جرى نهار عاشوراء، ومع كل الجراح النفسية والجسمية نجده سلام الله عليه يخرج من حالة الضيق النفسي ليرتقي الى الكمال وليحقق أروع المواقف ثباتاً واتزاناً في التاريخ.

الإفادة من المقومات الفكرية والشخصية التي يمتلكها الإمام الحسين في تربية الجيل الجديد للسير على خطى الائمة الأطهار عليهم السلام

إن الجهات والمؤسسات المسؤولة عن تربية هذا الجيل عليها أن تأخذ بنظر الاعتبار هذه الكلمات المضيئة والمواقف المشرّفة من سيد الشهداء التي أسهمت في إنشاء مدرسة تربوية رفيعة وإعطاء المجتمع شخصيته ودوره، ولذلك توجب علينا آباء أولاً، وتربويين ثانياً أن نحافظ على هذا التراث العظيم وأن نكون بأناقة مجتمعية في أقل تقدير لنرد هذا الدَين الذي في أعناقنا لهذه الشخصية الضخمة التي ضحت بكل شيء من أجل أن نكتسب منها هذا الدور الريادي، وأن نقوم على تربية جيل يتمتع بمزايا وسمات كان يطمح أن يراهم بها إمامهم الحسين عليه السلام. وعلينا أن نستثمر الشعائر الحسينية وأهدافها النبيلة للتعريف بالقدرات والامكانات العالية التي يمتلكها أئمتنا سلام الله عليهم ونستطيع بشيء من الصبر والمثابرة والالتزام أن نصل الى بعض تلك السمات فالصلابة النفسية والسلوك الايثاري وقدرات التحكم بالمحيط وضبط النفس ليست مستحيلة التحقيق ولكنها تحتاج الى تمرين للنفس وعزيمة وإصرار.

فمن خلال تبصير الجيل بمسيرة الحسين(ع) وشموخ الحسين (ع) ودفعهم لتقمص هذه الأدوار نستطيع أن نعرّفهم أنفسهم، فإن معرفة الإنسان نفسه تهيئ له سلوك طريق الفضيلة، وإن سلوك الإنسان طريق الفضيلة يحقق له السعادة في الدنيا، فالغاية المرجوة من هذه المعرفة إذن تتوقف على الحد الاخلاقي العملي وهذا يتحقق حينما نقترب من المثل الأعلى ألا وهو مرشدنا الى طريق النجاة الإمام الحسين عليه السلام.

إن تضحية الإمام(ع) بكل ما يملك جاءت لتصحيح الاعتقاد المنحرف وتوجيهه في الطريق الصحيح. وهذا الاعتقاد له آثار على معتنقيه، وأهم هذه الآثار إصلاح ظاهر الإنسان وباطنه، كي يقترب من الأناقة النفسية التي يطمح أن يصل اليها كل انسان بغض النظر عن ديانته أو معتقده، فمن منا لا يرغب أن يكون أنيقاً بشخصيته، فكيف إذا اكتملت صورته واصبح اسمى وارقى، وقطعاً ظاهر الإنسان يمكن التحقق من صلاحه بمراقبة أعمال ذلك الإنسان من حيث القرب أو البعد عن الدين. أما الباطن فلا يمكن الاطلاع عليه، فمن كان له ظاهر يخالف باطنه فهو منافق، وغير جدير بأن يدعي أنه حسيني الطباع، أما الذي يستوي باطنه مع ظاهره وهم درجات، أعلاهم المحسن الذي يعبد ربه وكأنه يراه، وهؤلاء من يصدق عليهم تطابق أو اقتراب سماتهم الشخصية والنفسية مع ما دعا اليها الأئمة المعصومون عليهم السلام. فقد صرح الإمام الحسين(ع) مراراً وتكراراً بأنه سيقاتل من أطاعوا شياطين أنفسهم وابتعدوا عن الخط الإلهي فقد قال سلام الله عليه: **(ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن واظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء واحلوا حرام**

الله وحرموا حلاله...)، فنرجو الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا في زمرة محمد وال محمد وأن يهدينا الى السراط المستقيم، والحمد لله رب العالمين.

التوصيات

١. تسليط خطباء المنبر الحسيني وأساتذة التربية الإسلامية الضوء على القدرات العقلية والإمكانات النفسية للإمام الحسين عليه السلام وعدم الاقتصار على الجانب العاطفي.

٢. تفعيل دور وسائل الإعلام المرئي والمسموع بعقد ورش العمل واللقاءات الإعلامية لبيان دور الائمة الأطهار سلام الله عليهم في بناء سلوك قويم مبني على أساس الاحترام وقبول الآخر.

٣. توجيه المؤسسات المجتمعية سواء الأسرة أو المدرسة أو العمل أو دور العبادة فضلاً على وسائل الإعلام وغيرها من المؤسسات نحو إشاعة ثقافة الالتزام الديني والالتزام بالقيم الاخلاقية والدينية والتمسك بالموروث الذي تركه لنا أئمتنا الأطهار عليهم السلام.

٤. إجراء تغيير نوعي في المناهج الدراسية وتضمينها القيم الخلقية والمبادئ التربوية الحسينية التي تسهم في بناء الجوانب الخلقية والنفسية جنباً إلى جنب مع الجوانب المعرفية، وضرورة الانتباه إلى أهمية غرس القيم الفاضلة والخصائص الإيجابية منذ الصغر داخل الأسرة والمدرسة والجامعة كي تصبح سمات مميزة لشخصية الأبناء.

٥. اعتماد آليات التقويم التتبعي البنائي لكل مكونات الشخصية بما يسهم في تشخيص مواطن الخلل كي يتم تفاديها قبل تجاوز المراحل النهائية التي تعد حرجة في بناء الشخصية.

المقترحات

١. اجراء دراسات مماثلة للأناقة النفسية لدى بقية الأئمة عليهم السلام.

٢. إعداد برنامج إرشادي لتنمية الأناقة النفسية لدى طلبة الجامعة.

٣. دراسة أثر التنشئة الاجتماعية ودور الأسرة في بلورة الأناقة النفسية لدى الأطفال.

٤. دراسة دور المدرسة في تقمص التلاميذ للنهج الحسيني.

أولاً- المصادر العربية

القرآن الكريم

١. إبراهيم، عبد الستار (١٩٨٧). **أُسس علم النفس**، دار المريخ للنشر، الرياض.

٢. ابن مسكوية ، أبو علي احمد بن محمد (٢٠١١)، **تهذيب الاخلاق** ، دراسة وتحقيق: عماد الهلالي، منشورات الجمل بيروت لبنان

٣. ابن منظور، الفضل جمال الدين (٢٠٠٣): **لسان العرب** ، المجلد الاول ، الجزء الاول ، القاهرة: دار الحديث للطباعة والنشر.

٤. أبو هاشم، السيد محمد (٢٠١٠). النموذج البنائي للعلاقات بين السعادة النفسية والعوامل الخمسة الكبرى للشخصية ، (**مجلة كلية التربية**)، العدد (٨١) العدد (٢٠) يناير جامعة بنها، مصر.

٥. الازيرجاوي ، فاضل محسن (١٩٩١) . **أسس علم النفس التربوي**، دار الكتب للطباعة والنشر، وزارة التعليم العالي

والبحث العلمي ،جامعة موصل، العراق.
٦. حبيب، مجدي عبد الكريم (١٩٩٧): التحكم الذاتي والسمات الابتكارية المصاحبة للتفكير المتعدد الابعاد لدى طلبة المرحلة الجامعية، (**مجلة علم النفس**)، ع٤١، ٥٠-٧٨.
٧. حسان، شفيق فلاح (١٩٨٩). **اساسيات علم النفس التطوري**، ط١، مكتبة الرائد العلمية.
٨. الحكيم، محمد سعيد الطباطبائي (٢٠٠٨). **فاجعة الطف (ابعادها، ثمراتها، توقيتها)**، مؤسسة الحكمة للثقافة الاسلامية.
٩. الحلي ، ابن نما(ت: ٦٤٥هـ). **مثير الأحزان**، ، المطبعة الحيدرية / النجف ١٣٦٩هـ-١٩٥٠م ص٢٩.
١٠. حمادة، لولوه، وعبد اللطيف حسن (٢٠٠٢). الصلابة النفسية والرغبة في التحكم لدى طلاب الجامعة، (**مجلة الدراسات النفسية**)، المجلد (١٢)، العدد(٢) ص:٢٢٩-٢٧٢.
١١. حمدي، نزية، (١٩٩٢). **فاعلية الضبط الذاتي في خفض سلوك التدخين**، الجامعة الاردنية، دراسات، م٢٩، (أ) ن ع٢، ٣٤-٧٠.
١٢. الخيري، أروى محمد ربيع نوري (١٩٩٣). **التحكم الموجه للذات بين قصد المساعدة وسلوك المساعدة**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد.
١٣. الربيعي، عبد الرحمن (٢٠٠٢). **كربلاء ثورة لا تنتهي**، دار المحجة البيضاء، ط١، لبنان٧١-٧٩.
١٤. الزبيدي، كامل علوان، والهزاع، سناء مجول (١٩٩٧). "بناء مقياس للصحة النفسية لطلبة الجامعة"، (**مجلة العلوم التربوية و النفسية**)، العدد (٢٢) نيسان، الجمعية العراقية للعلوم التربوية والنفسية، العراق٠
١٥. سويف، مصطفى (١٩٦٦). الاتزان الوجداني محور من محاور الشخصية (**مجلة العربي**) – العدد ٩.
١٦. سيدني .م. جواردر ، لنرزمن ، (١٩٨٨). **الشخصية السليمة** ، ترجمة حمد الكربولي، موفق الحمداني، مطبعة التعليم العالي، جامعة بغداد.
١٧. الشناوي، محمد محروس (١٩٩٦). **العملية الارشادية والعلاجية**، دار الغريب، القاهرة، مصر.
١٨. صالح، قاسم حسين (١٩٨٨).**الشخصية بين التنظير والقياس**، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد .
١٩. صالح، قاسم حسين (٢٠٠٠). "**التفكير الاضطهادي وعلاقته بأبعاد الشخصية** " (أطروحة دكتوراه غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة بغداد، العراق.
٢٠. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. **تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك**، دار المعارف، القاهرة، ط ٤-د. ت
٢١. عبد الرحمن، محمد السيد (١٩٩٨): **دراسات في الصحة النفسية**، ج٢، دار قباء، القاهرة، مصر.
٢٢. عثمان، احمد عبد الرحمن (٢٠٠١). المساندة الاجتماعية من الأزواج وعلاقتها بالسعادة النفسية والتوافق مع الحياة الجامعية لدى طالبات الجامعة المتزوجات ، (**مجلة التربية**) ، العدد (٣٧) يناير، جامعة الزقازيق، ص ١٤٣-١٩٥
٢٣. فهمي، مصطفى (١٩٧٦). **الصحة النفسية، دراسات في سيكولوجية التكيف**، مكتبة الخانجي، القاهرة.
٢٤. القرشي، باقر شريف(**١٩٩٢**). **حياة الإمام الحسين(عليه السلام)**، ط٤، مؤسسة العلمية الايرواني مطبعة باقري، ايران.
٥٢. المجلسي، محمد باقر(ت:١١١هـ). **بحار الأنوار لدرر أخبار الأئمة الأطهار ٤٤/ ٣٢٩** ، التراث العربي ، بيروت ، لبنان، ط٣ ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
٢٦. مخيمر ، عماد (١٩٩٦) . إدراك القبول / الرفض الوالدي وعلاقته بالصلابة النفسية لطلاب الجامعة .(**مجلة دراسات نفسية**)، مجلد ٦، (٢)،٢٧٥-٢٩٩.

٢٧. المقرم، العلامة السيد عبد الرزاق (٢٠٠٥). **مقتل الحسين (ع)**، مؤسسة الخرسان للمطبوعات – بيروت ، لبنان
٢٨. المليجي، حلمي (٢٠٠١). **علم النفس الشخصية**، ط١، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.
٢٩. النيسابوري، محمد بن الفتّال(ت:٥٠٨هـ). **روضة الواعظين** ،منشورات الشريف الرضي، قم، ايران ص٩٢.

ثانياً- المصادر الاجنبية

• Bandura Albert and Walters، Richard، H. (1976). **Modeling theory learning system، models and theories** (2nd ed)، Chicago: rand mehally.

• Bleman، M.R(1989):" **A life history study of social psychology and_structural determinations of extra ordinary altruistic behavior ".** D.A.I، VOI، 49.No،10.

• Kobasa، S. C. (1982). **"Commitment and coping in stress resistance among lawyers**"، Journal of Personality and Social Psychology، vol. 42، **No.** 4، pp.707-717.

• Kobasas، S & Maddi، R. (1979)." **Existential Personality Theory. In Corsini"**، R .Current Personality theories، Peacock Publishers، Inc.

• Lambert، V،A، Lambert، C،E & Yamse، H، (2003). **Psychological hardiness، workplace and related stress reduction strategies**، Journal of Nursing and Heath Sciences، No 5،181-184.

• Maddi. S.R. (2004). Hardiness**: An operationalization of Existential Courage**، Journal of Humanistic Psychology 44(3) 279-298.

• Markus، H.R. & Kitayama، S (1998). **The cultural psychology of personality، journal of cross cultural psychology**، 29، 63-87.

ملحق (١)

مفهوم الأناقة النفسية

استبانة آراء السادة **المُحكَّمين** بشأن مفهوم الأناقة النفسية وصلاحية المكونات

الأستاذ الفاضل .....المحترم

تحية طيبة...

يروم الباحث دراسة مفهوم (**الأناقة النفسية**) وذلك ضمن إجراءات بحثه الموسوم (**الأناقة النفسية في سيرة الإمام الحسين عليه السلام**)، وبعد الاطلاع على الادبيات ذات العلاقة، وضع الباحث التعريف النظري الآتي **للأناقة النفسية** (Psychological Elegance): بأنها استعمال الفرد طاقته النفسية وقدراته المعرفية وامكاناته الشخصية بأقصى درجاتها للوصول الى الكمال النفسي في التحكم البيئي وادارة الازمات النفسية والاجتماعية وضبط النفس والمرونة الفكرية واجادة تامة في القدرة على حل المشكلات للوصول الى الرضا التام والسعادة النفسية.. علماً أن الباحث تبنى المنظور الوجودي في

تناوله لمفهوم الأناقة النفسية. وعلى ضوء التعريف النظري للمفهوم، فقد حدد الباحث المكونات الآتية:

التمكن البيئي (Environmental Mastery): قدرة الفرد على التمكن من تنظيم ظروفه والتحكم في كثير من عناصر البيئة المحيطة والاستفادة منها بطريقة فعالة وتوفير البيئة المناسبة والمرونة النفسية والشخصية لتحقيق ذلك.

الصلابة النفسية(Hardiness Psychological): نمط من التعاقد النفسي يلتزم به الفرد تجاه نفسه وأهدافه وقيمه والآخرين من حوله، واعتقاد الفرد بأن بإمكانه أن يكون له تحكم فيما يلقاه من أحداث، ويتحمل مسؤولية ما يتعرض له من أحداث، وأن ما يطرأ عل جوانب حياته من تغيير هو أمر مثير وضروري للنمو أكثر من كونه تهديدا وإعاقة له (مخيمر، ١٩٩٦: ٢٨٤).

ضبط الذات (Self- control): عملية السيطرة على الاستجابات العقلية والسلوكية والانفعالية باستخدام الاساليب المعرفية في مواقف مختلفة ومتباينة ينجم عنها تعزيز الذات (Bandura، ١٩٧٦، p.٢٠٢).

السعادة النفسية(Psychological Well- Being): مجموعة من المؤشرات السلوكية تدل على ارتفاع مستويات رضا الفرد عن حياته بشكل عام ، ولديه استعداد لحل مشكلاته بطرائق أفضل، وهو أكثر استعداداً لتقديم المساندة الاجتماعية للآخرين (عثمان، ٢٠٠١: ١٥١)

السلوك الايثاري (Altruism Behaviors): نمط من السلوك الطوعي يتم إنجازه من دون توقع المكافأة ويعبر عن حب الآخرين والسعي من اجل إسعادهم (Blemen ، ١٩٨٩ ، p.٣١٦)

الاتزان الانفعالي(Emotional Stability): هو الإشارة إلى ذلك الأساس أو المحور الذي تنتظم حوله جميع جوانب النشاط النفسي التي اعتدنا أن نسميها بالانفعالات أو التقلبات الوجدانية من حيث تحقيقها لشعور الشخص بالاستقرار النفسي أو باختلال هذا الاستقرار ، وبالرضا عن نفسه أو باختلال هذا الرضا، وبقدرته على التحكم في مشاعره أو بانفلات زمام السيطرة من يديه.(سويف، ١٩٦٦: ٨٩)

**** ********** ****

ولما تمتلكون من خبرة وما تتمتعون به من سمعة علمية، يتقدم الباحث بهذه الاستبانة راجياً فيها تفضلكم في قراءة التعريف النظري والمكونات وابداء رأيكم في تقدير أهمية كل مكون من مكونات الأناقة النفسية وذلك بوضع علامة (√) تحت وزن كل مكون والتي تمتد أهميتها من (١) إلى (٥) إذ تمثل الدرجة (٥) أعلى قوة للمكون وتقل هذه القوة حتى تصل إلى الدرجة (١) اذا تمثل أقل قوة للمكون، والباحث على ثقة تامة بآرائكم العلمية في هذا المجال .فنرجو ابداء رأيكم بشأن:

١- **صلاحية التعريف النظري للمفهوم.**
٢- **صلاحية المكونات وتعريفاتها وتغطيتها للمفهوم مع تحديد الأهمية**
٣- **الإضافة أو التعديل وفقا لما ترونه مناسباً.**
٤- **أي ملاحظات أخرى.**

مـع أصـدق الاحتـــرام

البـاحـــــــث

ت	المكونات	صلاحية المكون			الأهمية النسبية				
		صالح	غير صالح	التعديل	١	٢	٣	٤	٥
١	التمكن البيئي Environmental Mastery								
٢	الصلابة النفسية Hardiness Psychological								
٣	ضبط الذات Self- control								
٤	السعادة النفسية Psychological Well- Being								
٥	السلوك الايثاري Altruism Behaviors								
٦	الاتزان الانفعالي Emotional Stability								

إضافة أي مكونات أو ملاحظات ترونها مناسبة:

١- .....

٢- .....

٣- .....

٤- .....

****

❖ بيانات تخص السيد المُحكّم

اللقب العلمي :..... الاسم الكامل:.....

التخصص الدقيق:..... الجامعة والكلية:.....

ملحق (٢)

أسماء السـادة المُحكَّمين في مفهوم الأناقة النفسية والأهمية النسبية لمكوناته

ت	اللقب العلمي	الاسم الكامل	الجامعة والكلية التي يعمل فيها
١	استاذ	د. حسين ربيع حمادي	جامعة بابل- كلية التربية للعلوم الإنسانية
٢	استاذ	د. عبد العزيز حيدر	جامعة القادسية- كلية التربية
٣	استاذ	د. علي محمود الجبوري	جامعة بابل- كلية التربية للعلوم الإنسانية
٤	استاذ مساعد	د. علي صكر الخزاعي	جامعة القادسية- كلية التربية
٥	استاذ مساعد	د. صادق هادي	جامعة بابل -كلية التربية الاساسية
٦	استاذ مساعد	د. علي حسين مظلوم	جامعة بابل - كلية التربية الإنسانية
٧	استاذ مساعد	د. عماد حسين المرشدي	جامعة بابل -كلية التربية الاساسية
٨	استاذ مساعد	د. مدين نوري الشمري	جامعة بابل -كلية التربية الاساسية

(Psychological elegance in the biography of Imam Hussein (Analytic Study
(.Lecturer: Haleem Skheil Al- Anckwshi (Ph.D

ثورة الامام الحسين عليه السلام
وأثرها في استنهاض الشعوب للتحرر من الظلم

Al-Hussein Revolution and its Impact on Stimulating People into Liberating from Injustice

أ.م.د. أحمد عبد الأمير الأنباري

مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية / جامعة بغداد

Asst.Dr.Ahammed `Abidalameer Al-Anbari

Center of the International and Strategic Studiers

University of Baghdad

ملخص البحث

مثلت ثورة الإمام الحسين عليه السلام مناراً للإنسانية تستضيئ به دروب العزة والكرامة، بما تضمنته من دروس وعِبر نهلت منها، ولازالت، المجتمعات الحرة التي لا ترتضي لنفسها أن تبقى أسيرة الظلم والجور الذي يمارسه الحكام الطغاة المستبدون.

ولهذا مثلت الثورة الحسينية عطاءً انسانياً نهل منه المسلمون وغير المسلمين، وما يشير الى ذلك كثرة من كتب عن ثورة الإمام الحسين عليه السلام وتضحياته.

وتمثل ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) محطة تحول ليس في حياة الأمة الإسلامية فحسب بل في حياة البشرية. فالبعد الانساني واضح فهو أحد أبعاد الثورة الحسينية، التي استهدفت رفع الظلم عن الانسان وتحريره من الخوف والقهر الذي مارسه حكام بني أمية. وأهداف الثورة الحسينية ومبادئها كانت ولازالت وستبقى مناراً للثائرين ضد الظلم والقهر والفساد، طالما ان انموذج الحكم لحكام بني أمية القائم على الجور والظلم والقهر والفساد يتكرر الى يومنا هذا.

بهذا المعنى تحدث الكاتب المسيحي أنطوان بارا عن الإمام الحسين (عليه السلام) بقوله " ما أجدر بالبشرية اليوم لأن تتوجه نحو منارة الحسين كي لا تضل ". وقوله " الحسين ضمير الأديان إلى الأبد ... الحسين مدرسة أخلاق وجامعة إيمان هو عميدها، ولنا الشرف كل الشرف أن نقتبس ونأخذ منه "[1].

ومثلت شخصية الإمام الحسين (عليه السلام) السبب الرئيس، الى جانب أسباب أخرى في مقدمتها الرعاية الإلهية، في خلود الثورة الحسينية[2]، وبقائها مصدراً لإلهام الثائرين وتحفيزهم للثورة ضد ظلم الحكام الظالمين لشعوبهم.

قُسم البحث الى ثلاثة محاور رئيسة، تناول الأول منها مسؤولية الإمام الحسين (عليه السلام) في الخروج لطلب الإصلاح، وتناول المحور الثاني الأسباب الرئيسة لثورة الإمام الحسين (عليه السلام)، أما المحور الثالث فقد تناول أثر الثورة الحسينية في استنهاض الشعوب للتحرر من الظلم.

Abstract

The Al-Hussein revolution surges into being as a lighthouse people، Muslims or non Muslims، imbibe stamina and determination from to liberate themselves from the acts of despotism . Such a revolution is an abrupt shift in the life of all nations ، whose humanitarian scope could lay the freedom foundations to all، man could be free as much as he is in line with the evergreen martyr ، the Husseinist cause depends upon the imam himself the providence All grant to such a figure ; there are three axes ، the first tackles the responsibility of the imam Al-Hussein، the second does the main rationale of the revolution and the third does the impact of the revolution on the people worldwide.

أولاً – مسؤولية وواجب الإمام الحسين (عليه السلام) في الخروج لطلب الإصلاح:

يعد العمل من أجل الاصلاح بما فيها الثورة ضد الحاكم الجائر واجباً على المسلم، باعتبار أن الله تبارك وتعالى استخلف الانسان في الأرض التي هي أرض الله، لذا فان المسلم خليفة الله، وبهذا الوصف بذلك يكون المسلم مسؤولاً ومطالب بالعمل والتضحية في سبيل الله والمستضعفين. فالأصل أن يقاوم المسلم الظلم الموجود ويحارب كل ما من شأنه أن يسبب الألم للناس. وان محاربة الظلم والفساد هو حق لكل مسلم، وليس للحاكم الحق في ان يصادر هذا الحق أو ينتقص منه، و ليس من حق المسلم التنازل عنه أو تعطيله، فمصدر هذا الحق هو الشريعة المقدسة، ليتمكن المسلم من تأدية واجبه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[٣]. وبهذا فان الاصلاح هو حق وواجب في الوقت نفسه.

بهذا المعنى، رأى الإمام الحسين (عليه السلام) « أن يقوم بواجبه الديني الذي فرضه الله سبحانه وتعالى على الإنسان المؤمن بالجهاد في سبيله، وبما فرضه النبي (صلى الله عليه وآله) على المسلمين بالجهاد في سبيل الله، وبما تلقنه هو من مبادئ وأهداف سامية من جده (صلى الله عليه وآله) وأبيه (عليه السلام) حتى يحفظ للإسلام نقاوته وصفاء مبادئه الجليلة، ويبعد الانحراف عنه خوفاً من تمكنه، كي يسلك المسلم الطريق المستقيم الذي أوضحه الله للخلق ليسير فيه توجهاً إليه سبحانه «[٤].

أشار الإمام الحسين (عليه السلام) بوضوح الى واجب التصدي للحاكم الجائر. ففي خطبته بمنطقة البيضة لأصحابه وأصحاب الحر، الذين منعوه من دخول الكوفة، قال عليه السلام بعد أن حمد الله وأثنى عليه « أيها الناس، إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال (من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عبادة الله بالإثم والعدوان، فلم يغّير عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يدخله مُدخله) ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلوا حرام الله، وحرموا حلاله، وأنا أحق من غير، قد أتتني كتبكم، وقدمت عليّ رُسلكم ببيعتكم؛ أنكم لا تُسلموني ولا تخذلوني، فإن تممتم على بيعتكم تصيبوا رشدكم، فأنا الحسين بن علي، وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، نفسي مع أنفسكم، وأهلي مع أهليكم، فلكم فيَّ أُسوة ... «[٥].

وهنا أراد الإمام الحسين (عليه السلام) بيان قضيتن رئيستين هما مسؤولية الحاكم تجاه الأمة ومسؤولية الأمة تجاه الحاكم. بيان حقيقة الحاكم الجائر الذي كان يتظاهر بالإسلام، ويحكم باسم خلافة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وقد أشار بشكل واضح الى حكم بني أمية الجائر بقوله « إلا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأحلوا حرام الله، وحرموا حلاله ... «. فرسول الله (صلى الله عليه وآله) يربد أن تتصدى الأمة للحاكم الجائر من منطلق الشعور بالمسؤولية، وليس من منطلق اللامبالاة. وقد أشار الإمام الحسين (عليه السلام) الى صفات الحاكم الجائر، بما رواه عن جده (صلى الله عليه وآله)، والذي يجب على الأمة أن تثور عليه، وهذه الصفات هي[٦]:

١. يستحل حرام الله: ولا يتورع في انتهاك حدود الله في حلاله وحرامه من أجل مصالحه الشخصية.

٢. ناكثاً عهده: يعاهد الله والأمة بأن يعمل بكتاب الله وسنة رسوله، ثم لا يلتزم بذلك.

٣. مخالفاً لسنة رسوله: وسنة الله هي شريعة الله في حدوده وحلاله وحرامه.

٤. يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان: ولا يقوم للحق والعدل والانصاف وزناً.

ويشترط الإسلام على الحاكم الذي تقع عليه مسؤولية قيادة الأمة أن يلتزم بـ[٧]:

١. يلتزم بسيادة القانون.

٢. يتجرد عن حب التسلط واستغلال المنصب.

٣. ان لا يكون المنصب طريقاً للإثراء والمتع واللذات والاستئثار.

فالأمر الذي أراده الإمام الحسين (عليه السلام) يرتبط بتأكيد موضوع " شرعية الثورة على ولاة الجور "[٨]، وهذا الموضوع على جانب كبير من الأهمية. إذ أراد البعض والى يومنا هذا الترويج لفكرة عدم شرعية الثورة ضد الحاكم المسلم الظالم الجائر، متكئين على حجج واهية لا أساس لها، ولا يمكن للعقل السليم أن يقبلها.

والغرض الذي أراده دعاة عدم شرعية الثورة ضد الحاكم المسلم ولو كان جائراً فاسقاً، إنما أرادوا به شل حركة الأمة من خلال التأثير في الفكر الإسلامي. فكل حركة للأمة مهما كانت بسيطة تحتاج لمبرر شرعي لها، فكيف الحال بالحركات الكبيرة والمصيرية، التي تحتاج للتضحية بالنفس والمال كالثورة المسلحة[٩].

وهذا ما استدعى الحاجة لبيان الموقف الإسلامي من الحاكم الجائر، ولهذا أراد الإمام الحسين (عليه السلام) تغيير الصورة التي أرادها الحكام الظالمون وأعوانهم، ووضع الأمة أمام مسؤوليتها تجاه الحاكم الجائر، ببيانه لهم الحكم الشرعي الصحيح، والموقف الإسلامي من الحاكم الجائر. ولهذا بدأً خطبته عليه السلام بالحديث النبوي الشريف، الذي استهدف به تصحيح المفاهيم الخاطئة التي علقت بأذهان الناس، ويعطيهم المبررات الشرعية للثورة[١٠].

وبهذا أوضح الإمام الحسين (عليه السلام) أن من صميم واجبه ومسؤوليته أن يخرج لطلب الإصلاح في أمة جده رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ويتصدى للحاكم الجائر ونظامه الفاسد. فهو عليه السلام يتحمل مسؤولية الإسلام والمسلمين في التصدي للانحراف الذي يسعى حكام بني أمية لإشاعته. وقد أشار الإمام الحسين (عليه السلام) الى موقعه الخاص كونه ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وابن وصيه أمير المؤمنين (عليه السلام) وابن بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله)، بقوله « ... فأنا الحسين بن علي وابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله »[١١]. ويشير قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) « حسين مني وأنا من حسين « الى مسؤولية وواجب الإمام الحسين (عليه السلام) في الحفاظ على الدين[١٢]، ذلك ان « الإسلام محمدي الوجود، حسيني البقاء، فالعلة المُحدثة هي شخص خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم، ولكن دماء سيد الشهداء عليه السلام هي العلة المبقية »[١٣].

وهذه المسؤولية التي نهض بها الإمام الحسين (عليه السلام)، مسؤولية الحفاظ على الدين بالتصدي للحاكم الجائر، مسؤولية مقدسة وعلى جانب كبير من الأهمية، لاسيما إذ أخذنا بظر الاعتبار ما كانت تعانيه الأمة من[١٤]:

١. الإنحراف السياسي الذي تمثل بتسلط حكم الطغيان القبلي بدل نهج الشورى.

٢. الإنحراف الإجتماعي الذي تمثل بالابتعاد عن مبدأ المساواة لصالح التمييز القبلي بين قريش وغيرها من العرب، والتمييز العنصري بين العرب وغيرهم من المسلمين.

٣. الانحراف الاقتصادي الذي تمثل بحصر الثروة العامة وأموال الدولة العامة بأهل الحكم وبطانتهم، وحرمان الأمة من أموالها.

٤. الانحراف الثقافي الذي تمثل باستهدف جيل الشبان المسلمين بوجه خاص بنشر مظاهر الإنحراف الخلقي، وبث الأفكار المنحرفة المستعارة من الحضارة البيزنطية في حالة انحلالها وانحدارها. وخطورة هذا الإنحلال وهذه الأفكار انها كانا سيؤديان لتحويل الإسلام إلى دين طقسي جامد تتغطى به سلطة طاغية تحمل عقلية الإمبراطورية والاستكبار، أو ما نسميه الآن " عقلية الدولة العظمى ".

بهذا المعنى، فإن الثورة في فكر الإمام الحسين (عليه السلام) تعني[١٥]:

١. يمثل الإسلام ثورة انسانية شاملة في جانبه الروحي، استهدفت التصدي للظلم الاجتماعي، واستبداد القوي بالضعيف. وبهذا فإن الاسلام يمثل رؤية جديدة للعالم في مختلف الجوانب.

٢. ان الأساس الذي قامت عليها الانتصارات التي حققها الاسلام تعود الى الايمان بالمبادئ التي جاء بها الاسلام، وتأثيرها أكثر بكثير من تأثير قوة السلاح وعدد المقاتلين. فرغبة المسلم بالشهادة في سبيل الاسلام وتفضيلها على الحياة كان عاملاً حاسماً في تحقيق الانتصارات.

٣. الاسلام ثورة شاملة، لا تمييز لديه في الأفضلية بين الجوانب الاجتماعية، والفكرية، والروحية.

٤. إن الدعوة الى تطبيق العدالة الاجتماعية تعتمد على ما يستوعبه عقل الانسان من الفكر والعقيدة والمبدئية.

٥. عندما يسود الصراع في الأمة على المناصب، وتستخدم القوة والعنف والظلم والاضطهاد أدوات لذلك الصراع، ويتزامن معه الانحراف عن الشريعة الاسلامية، تحتاج الأمة الى هزة عنيفة تعيد للاذان أصل الاسلام ومبادئه الذي جاء به رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله). وهذه الهزة تتمثل بالثورة الاصلاحية في الأمة لتصحح ما ساد فيها من وضع جديد قوانين جديدة بعيدة كل البعد عن اسلام محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم. وهذه الثورة الاصلاحية في الأمة تحتاج الى التضحية بسبب انعدام التكافؤ في الصراع، وهو ما استدعى ايجاد وسائل جديدة للثورة الاصلاحية.

٦. الثورة الحقيقية في النظام الاسلامي هي تلك التي تستمد شرعيتها بتبنيها لشعار العودة الى المبادئ الاسلامية الصحيحة، كإحقاق الحق، والمساواة في الحقوق والواجبات، والعدالة. وهي المبادئ التي تؤكد نبل مبادئ الاسلام ومعتقداته.

٧.المشاريع الاصلاحية لا تؤتي ثمارها الا بالتضحية والفداء. على ان المشروع الاصلاحي يحتاج الى رجل من العظماء لديه رؤية واضحة لمشروعه، ولديه العزم الأكيد على المضي به للنهاية دون أدنى تردد. فالقادة والثوار العظماء لا يرد ضمن تفكيرهم التردد والتراجع، وحتى عندما تتوفر لهم فرصة التراجع فانهم لا يفكرون بها، وجل ما يشغل تفكيرهم هو الاندفاع نحو مهمته الاصلاحية بغض النظر عن العواقب.

٨. الثورة تمثل مرحلة ضمن مراحل التطور الاخلاقي للبشر، وبهذا فإنها ليست مجرد تغيير تستهدفه مجموعة مقهورة لتدفع عنها القهر وتحصل على حقوقها.

ثانياً – الأسباب الرئيسة لثورة الإمام الحسين (عليه السلام):

عند خروج الحاكم عن شريعة الله تبارك وتعالى تصبح معارضته أمراً واجباً على المسلم، لأن الحاكم يصبح عندها فاقداً للشرعية، إذ تتوقف شرعية السلطة في الاسلام على أمرين[١٦]:

١. يتوقف الأمر الأول على " إقامتها لشريعة الله، فإن عدلت عنها أو عدلت بها، عدلنا بالسلطة أو عدلنا عنها، إذ أن طاعة الله ورسوله واجبة ومتقدمة على طاعة أولي الأمر. ولا خلاف في جهاد من منع بعض شريعة الله، وأولى به من منع كل شريعة الله ".

٢. يتوقف الأمر الثاني على " رضى الناس عنها، فأولى الأمر لا يكونون منها بغير رضى، والإمامة عقد عند الفقهاء: عقد بين الإمام والرعية، وأساس العقود الرضى. وتكون ولاية المتغلب ليست أصلاً فلا تجوز لأنها خروج على قاعدة التراضي، لذا حبذ الفقهاء التخلص منها كلما كان ذلك ممكناً ... ".

وبذلك فان الثورة واجبة على حكم بني أمية. ومن الأسباب الرئيسة للثورة الحسينية هي[١٧]:

١. الواجب الشرعي: الذي يتمثل بأحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) وروايته وآيات القرآن الكريم، والتي تُعد

ملزمة لشخص مثل الإمام الحسين (عليه السلام) بالتصدي لتطبيقها. وبسب عدم توفر الشرعية بالحاكم لقيادة الأمة، وعدم وصوله الى الحكم بواسطة الطريق الشرعي، مما يعني بطلان حكمه كونه بني على باطل، وافتقاره للعدالة. كما انه ملزم بحكم دعوة الآلاف من الناس الذين دعوه ليخلصهم من الحكم الجائر الذي تسلط عليهم.

٢. الواجب الاجتماعي: يتمثل بالمكانة الاجتماعية للإمام الحسين (عليه السلام) التي وجد معها الإمام الحسين (عليه السلام) نفسه في موقع المتصدي الأول للدفاع عن الأمة، وتخليصها من ظلم حكم بني أمية.

٣. الخطر الذي تعرض له الاسلام، حتى وصل الى تصريح يزيد الذي عرف عنه شرب الخمر واللهو والفساد، وإنكاره للوحي والجنة والنار والحساب بانكار النبوة وهذا اتضح جلياً عندما قال:

لعبت هاشم بالملك فلا خبرٌ جاء ولا وحي نزل

وكذلك قوله:

دع المساجد للعباد تسكنها واجلس على دكة الخمار واسقينا

ما قال ربك ويلٌ للذي شربوا بل قال ويلٌ للمصلينا

٤. حاجة الأمة الى من يعيد لها انسانيتها وحريتها في التعبير عن ما في داخلها، بعد أن انتهكت حقوقها وسلبت منها ارادتها، وتعرضوا للظلم والقهر والبطش تحت حكم الأمويين.

٥. تخليص الأمة من الحكام الذين حكموا بالظلم والقسوة والقهر.

٦. الحاجة الى وضع الأمور في مواضعها، والحفاظ على أموال الأمة، وانفاق الأموال في مواردها الصحيحة. فدولة بني أمية عملت على شراء الضمائر وكسب الولاءات بالأموال، في الوقت الذي يعيش فيه غالبية الناس بفقر مدقع.

٧. تحقيق المساواة والعدالة في المجتمع الاسلامي، إذ ان سياسة الدولة الأموية قامت على التمييز وعدم المساواة.

٨. رفع الظلم عن اتباع أمير المؤمنين وولديه عليهم السلام.

٩. العمل بمبدأي " الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر "، وهما من مقومات الدين. والإمام الحسين (عليه السلام) كان مدركاً لواجبه الشرعي بهذا الخصوص. وهذا واضح من قوله لأخيه محمد ابن الحنفية " إني لم أخرج اشراً ولا بطراً ولا ظالماً، ولا مفسداً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، اريد أن آمر بالمعروف وانهى عن المنكر ".

وأوضح الإمام الحسين عليه السلام صراخة الأسباب التي دفعته الى رفضه مبايعة يزيد بن معاوية، والتي يمكن تلخيصها بمايأتي [١٨]:

١- السبب الأول يتعلق بشخصية يزيد بن معاوية، وهي شخصية تفتقر لابسط المقومات الإيمانية والعقلانية والحكمة، إذ اتصف يزيد بالفجور والنزق والاستهتار والمجون، والإمام الحسين عليه السلام لا تخفى عليه شخصية يزيد.

٢- السبب الثاني يتعلق بالطريقة التي وصل بها يزيد الى السلطة، إذ أن يزيد بن معاوية قد سلط على الخلافة على غير رضا من الأمة، ومن دون اختيار لها، وإنما جاء إلى ولاية العهد ثم الخلافة بالقوة والاغراء أو بالخداع والمكر، فسلطته غير شرعية، فهو وال من ولاة الجور وحاكم من الحكام الظلمة.

٣- السبب الثالث بأهمية بيان عدم شرعية حكم يزيد، إذ ان الإمام الحسين عليه السلام وبحكم موقعه كإمام معصوم فإن ما يقوله أو يفعله أو يقرره يعد تشريعاً . وإنطلاقاً من هذا المبدأ فلو بايع يزيد أو سكت عن بيعته ولم يرفضها، لغدت شرعية خلافة يزيد ومن يأتي من بعده شرعية ثابتة ولأصبح يزيد ومن يأتي من بعده من خلفاء بني أمية يمثلون مرجعية شرعية في فهم القرآن والسنة ومقاصد الله في الشريعة الإسلامية. وأصبح قولهم وفعلهم وتقريرهم سنة متبعة كسنة رسول الله صلى الله

عليه وآله وسلم لأنها اكتسبت شرعيتها من بيعة الإمام الحسين عليه السلام ولهذا رفض الإمام الحسين عليه السلام البيعة.

٤- السبب الرابع يتعلق بالطريقة التي تعامل بها معاوية مع الأمة، فقد عمل معاوية بن أبي سفيان وبكل ما يمتلك من وسائل السلطة، وبسلاحي الترغيب والترهيب على ترويض الأمة الإسلامية وقهر إرادتها والسيطرة عليها وإخضاعها وإذلالها، فأصبحت بذلك أمة تهرب من التحدي ولا تواجهه وتستسلم للأمر الواقع ولا يهمها من جاء إلى الخلافة سواء كان يزيد أو رملة أو هند.

ولهذا واجه الإمام الحسين عليه السلام تحديات عديدة مما يصعب على الانسان تحملها، غير ان الإمام الحسين ازداد اشعاعاً وانتشاراً وعطاءاً. ويسجل التاريخ " ان بعض الأجيال عاصروا أياماً كانت كلمة ((الحسين)) تكفي لتعليق قائلها على أعواد المشانق ". كما يسجل التاريخ " ان بعض الأجيال عاصروا أياماً كانت كلمة ((الحسين)) مغامرة عنيفة، تقّطع الأيدي وتطّير الرؤوس. ولكن الحسين ازداد اشعاعاً وانتشاراً وعطاءً. ومع مرور الزمن اصبح الحسين ((قضية)) كل المظلومين، والمقهورين والمؤمنين "[١٩].

وتجربة الثورة الحسينية، وهي تجربة رائدة فريدة من نوعها، كشفت عن الأهداف التي يجب أن يتم تبني الثورات من أجلها، ذلك ان أي ثورة لا تتبنى تلك الأهداف تفقد هدفها التقويمي، ويكون لها الكثير من الأثار المأساوية. « هكذا .. فجّر الحسين ثورة في الثورة. كانت الثورة تصنع من أجل السيطرة، فصنعها الحسين من أجل اسقاط .. السيطرة. وكانت الثورة تصنع من أجل تحميل الضمير الإنساني ركاماً من الغباوة والجهل والألحاد. فصنعها الحسين من أجل إعطاء الضمير الإنساني مزيداً من الوعي والتعقل والإيمان ... فالثورة، هي ثورة ((العدل والحرية)) على الظلم والاستعباد «[٢٠].

وفقاً لما تقدم فإن « كل موقف وقفه الحسين، في ساحة كربلاء تحوّل إلى خطة كاملة، لانتفاضة كاملة. كل ضربة سيف في يوم عاشوراء تحولت إلى اعصار من سيوف التمعت هنا وهناك في وجه السلطات. كل نقطة دم، تحولت إلى فتيل في نهضة. كل كلمة لفضها الحسين تحوّلت إلى ((كلمة السر)) في أكثر من انتفاضة، وأكثر من ثورة «[٢١].

استهدف الإمام الحسين عليه السلام بثورته الإنسان بما هو انسان أينما كان وفي أي زمان، ولهذا فان المهمة التي قام بها هي مهمة تمتد الى أعماق التأريخ، ذلك أنها تضمنت في داخلها كل توجهات الأنبياء والأحرار في التأريخ السابق للحسين، فضلاً عن كونها تشغل المسافة الممتدة الى آخر يوم من أيام التأريخ، فهي لم تكن تستهدف هدفاً قصير الأمد أو محدداً مقتصراً على زمانه، بل انها ثورة استهدفت الإنسان بشكل عام دون الاهتمام بالزمان والمكان، وهو ذا هو ما وفر للثورة الحسينية معناها الكبير ومساحتها الواسعة في الواقع. فالإمام الحسين عليه السلام قاتل باسم جميع المظلومين والمحرومين في التاريخ. وما حقق أهدافه انه خطط لذلك بشكل بارع، ومساندة كبيرة وفريدة من نوعها من أهل بيته وأصحابه، فضلاً عن العناية الإلهية للثورة الحسينية[٢٢].

وبذلك تكون الثورة الحسينية[٢٣]:

١- قد مثلت رأس الحربة في التطور الذي حصل في المجتمع الإسلامي، لأن نهضة الإمام الحسين عليه السلام قد حفظت للجماهير إيمانها بنفسها، وبحقها في العيش بكرامة، وأن يكون الانسان حراً وسيداً. وما ذلك التغيير إلا النصر الكبير والعظيم عندما ينفض الإنسان عن كاهله الذل والخنوع والخوف.

٢- أسهمت ثورة الإمام الحسين عليه السلام بشكل رئيس في استنهاض روح النضال لدى الشعب، والشئ المهم أن روح النضال هذه كانت لها ديمومتها واستمراريتها، وهو ما يعني أنها أوقدت في الضمائر الحية وعلى مدى الدهور بأن تبقى النفوس حية غير خامدة لتسهم في مجرى الإنسانية.

٣- بقاء إشعاع الثورة الحسينية إلى يومنا هذا متقدة ينهل منها الثوار وطلاب الحرية، وبقاء الإمام الحسين مناراً ينير دروب المظلومين والمحرومين لكي يقفوا بوجه الباطل ويقولوا كلمتهم وأن لا تسلب إنسانيتهم وكرامتهم.

ثالثاً - أثر الثورة الحسينية في استنهاض الشعوب للتحرر من الظلم:

جاء في زيارة الأربعين المروية عن الإمام الصادق عليه السلام « ... وبذل مهجته فيك ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة ... «، وتشير جملة « وبذل مهجته فيك « الى عظمة تضحية الإمام الحسين عليه السلام في سبيل الله تبارك وتعالى، فهدف التضحية لأجل الله تبارك وتعالى وتحقيق مرضاته. ولهذا، عُدت ثورة الإمام الحسين عليه السلام ونهضته الأفضل بين وسائل انقاذ الأمم والشعوب من الانحرافات[٢٤].

ومما يشير الى أن ثورة الإمام الحسين عليه السلام لها الأثر الكبير في استنهاض الشعوب وتمكينهم من التحرر من ظلم الحكام والاحتلال وتحكمهم بمصيرهم، هو انها كانت ولازالت مصدراً لإلهام الأحرار من المسلمين وغيرهم من الديانات الأخرى للتحرر من الظلم والعيش بكرامة.

بهذا المعنى، نشير الى مقولة المهاتما غاندي « تعلمت من الحسين كيف أكون مظلوما فانتصر «[٢٥].

والجدير ذكره، أن الإمام الحسين عليه السلام يعد في الهند تراثاً انسانياً ينهل منه المسلمون وغيرهم من الديانات الأخرى[٢٦].

أما المستشرق الألماني يوليوس فلهاوزن فقد قال في الإمام الحسين « بالرغم من القضاء على ثورة الحسين عسكرياً، فإن لاستشهاده معنى كبيراً في مثاليته، وأثراً فعالاً في استدرار عطف كثير من المسلمين على آل البيت (عليهم السلام) «[٢٧].

أما المستشرق ل. م. بويد فقد قال « من طبيعة الإنسان أنه يحب الجرأة والشجاعة والإقدام وعلو الروح والهمّة والشهامة، وهذا ما يدفع الحرية والعدالة الاستسلام أمام قوى الظلم والفساد، وهنا تكمن مروءة وعظمة الإمام الحسين، وأنه لمن دواعي سروري أن أكون ممن يثني من كل أعماقه على هذه التضحية الكبرى على الرغم من مرور ١٣٠٠ سنة على وقوعها «[٢٨].

المستشرق الألماني ماربين قال في الإمام الحسين عليه السلام « قدّم الحسين للعالم درساً في التضحية والفداء من خلال التضحية بأعز الناس لديه ، ومن خلال إثبات مظلوميته وأحقيّته، وأدخل الإسلام والمسلمين إلى سجل التاريخ ورفع صيتهما... لقد أثبت هذا الجندي الباسل في العالم الإسلامي لجميع البشر أن الظلم والجور لا دوام له وأنّ صرح الظلم مهما بدا راسخاً وهائلاً في الظاهر إلاّ أنّه لا يعدو أن يكون أمام الحقّ والحقيقة إلاّ كريشة في مهب الريح «[٢٩].

ويشير المستشرق الإيطالي بارتو لومو الى أن تضحية الإمام الحسين عليه السلام قد انقذت الإسلام من الظلم والجور، إذ قال « لقد شاهد الحسين أن حكومة الظلم والفساد ستقضي على الإسلام عاجلاً، لذا قرر أن يثور من أجل إنقاذ الإسلام من الظلم والجور «[٣٠]. ومما لا شك فيه ان هذه التضحية هي رسالة لكل العالم لرفض الظلم والجور الذي يمارسه الحكام بحق شعوبهم.

ويدعو موريس دوكابري وهو مسيحي الى اتخاذ الإمام الحسين وتضحيته في كربلاء قدوة للتخلص من الاستعمار، إذ قال « يقال في مجالس العزاء أن الحسين ضحى بنفسه ؛ لصيانة شرف وأعراض الناس، ولحفظ حرمة الإسلام، ولم يرضخ لتسلط ونزوات يزيد... إذن تعالوا نتخذه لنا قدوة ؛ لنتخلص من نير الاستعمار، وأن نفضل الموت الكريم على الحياة الذليلة «[٣١].

ويشير لياقت علي خان رئيس وزراء باكستان الأسبق الى أهمية التعلم من درس الثورة الحسينية في الثبات على طريق الحق

والعدالة وعدم الانحراف عنهما، إذ قال « لهذا اليوم(عاشوراء) معنى كبير في نفوس المسلمين في أرجاء العالم، في مثل هذا اليوم وقعت أكبر وقائع للإسلام حزناً و تراجيدية. كانت شهادة الإمام الحسين بكل ما فيها من الحزن رمزاً للنصر النهائي للروح الحقيقية الإسلامية ، إذ اعتبرت نموذجاً للتسليم الكامل للإرادة الإلهية .إن شهادة أحد أعظم أتباع الإسلام مثال لامع و صامد لنا جميعاً. هذا الدرس يعلمنا أن لا ننحرف عن طريق الحق و العدالة مهما كانت الأخطار و الصعاب»[٣٢].

الخاتمة

بعد وفاة رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم تعرض الاسلام الى بعض الأفكار والممارسات التي عملت على تحريفه والابتعاد به عن مبادئه التي جاء بها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم. وقد تصدى أهل البيت عليهم السلام لتلك الأفكار والممارسات، ومنهم الإمام الحسين عليه السلام، الذي حفظ الاسلام بثورته الاصلاحية ضد حكم بني أمية. وبالرغم من مرور نحو الف وأربعمائة عام على ما قدمه الإمام الحسين عليه السلام من تضحيات كبيرة في واقعة كربلاء، الا ان ثورته الاصلاحية لازالت خالدة، ويهتدي بها جميع الأحرار في العالم وعلى مر الزمان. وكان لشخصية الامام الحسين عليه السلام تأثيراً كبيراً في بقاء الثورة الحسينية مناراً تنير دروب طالبي الحرية والعيش بكرامة، ومصدراً للثورة ضد الظلم.

وما يمكن أن يقال فيما حققته الثورة الحسينية، انها عززت ثقة الشعوب بقدراتهم، وحفظت لهم كرامتهم الانسانية، وحقهم بالعيش الكريم، إذ أن ثورة الامام الحسين (عليه السلام) شجعت الانسان على أن ينتفض على الظلم والذل والخوف، باستنهاضها روح مقاومة الظلم لدى الشعوب.

الهوامش

١. أنطوان بارا، الحسين في الفكر المسيحي، ط ٥، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٩، ص ٣٤٧.

٢. للتفصيل ينظر: محمد الهنداوي، عوامل خلود الثورة الحسينية، دار الطالب، بيروت، ١٩٩٨، ص ١٣ – ٨٩.

٣. يوسف جعفر سعادة، الجهاد بين النظرية والتطبيق من خلال ثورة الحسين بن علي (عليه السلام)، ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٨٧، ص ٦٩ – ٧١.

٤. المصدر نفسه، ص ١٤٣.

٥. عدنان آل قاسم، نهضة كربلاء والعزة الحسينية دراسة تحليلية موضوعية في نهضة الإمام الحسين عليه السلام ودورها في عزة الأمة الإسلامية وكرامتها، دار السلام، بيروت، ٢٠١٢، ص ٣٩٧.

٦. المصدر نفسه، ص ٣٩٨ – ٤٠٠.

٧. طالب الخرسان، ثورة الطف، أنوار الهدى، قم، ١٩٩٣، ص ٣٩.

٨. محمد الشوكي، نفحات عاشوراء، سلسلة نفحات عاشوراء ٢، دار الجواد عليه السلام للتحقيق والنشر، ٢٠٠٥، ص ٤٤.

٩. المصدر نفسه، ص ٥١.

١٠. المصدر نفسه.

١١. عدنان آل قاسم، المصدر السابق، ص ص ٤٠٠ – ٤٠١.
١٢. علي الحسيني، مصائب رأس سيد شباب أهل الجنة الحسين بن علي بن أبي طالب ع، ط ٢، دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠١، ص ١٧.
١٣. محمد رضا الحسيني الشيرازي، الإمام الحسين عليه السلام عظمة إلهية وعطاء بلا حدود، مؤسسة أنصار الحجة النبوية و مؤسسة الفقيه، كربلاء، ص ٢٨.
١٤. محمد مهدي شمس الدين، عاشوراء، الجزء الأول، ط ٣، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٨، ص ٤٣٢.
١٥. عبد الصاحب ناصر آل نصر الله، التضحية والرمز دراسة نقدية بالرواية التاريخية عن ثورة الحسين (عليه السلام)، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٩، ص ص ٤٧٢ – ٤٧٧.
١٦. يوسف جعفر سعادة، المصدر السابق، ص ص ٦٧ – ٦٨.
١٧. عبد الصاحب ناصر آل نصر الله، المصدر السابق، ص ص ٤٨٧ – ٤٩٦.
١٨. عدنان آل قاسم، المصدر السابق، ص ص ١٥١ – ١٥٣.
١٩. هادي المدرسي، الامام الحسين ثورة لا تنتهي، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٩٨٣، ص ٩ – ١٠.
٢٠. المصدر نفسه، ص ١٢ – ١٤.
٢١. هادي المدرسي، المصدر السابق، ص ٢٠.
٢٢. باسم الماضي الحسناوي، الإمام الحسين عليه السلام تاريخياً بين القراءة الفلسفية والسرد الاعتباطي عند ابن الأثير، شبكة الفكر، ٢٠١٢، ص ٣٨. www.alfeker.net
٢٣. عبد الصاحب ناصر آل نصر الله، المصدر السابق، ص ٦٠٥ – ٦٠٦.
٢٤. محمد رضا الحسيني الشيرازي، الإمام الحسين عظمة إلهية وعطاء بلا حدود، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٠، ص ٩٣ – ٩٩.
٢٥. المهاتما غاندي، تعلمت من الحسين كيف أكون مظلوما فانتصر، http: / /forums.alkafeel.net /index.php
٢٦. المصدر نفسه.
٢٧. العتبة الحسينية المقدسة، ٢٣/ ٤/ ٢٠١٦، imamhussain.org /Saying/
٢٨. العتبة الحسينية المقدسة، ٢٩/ ٣/ ٢٠١٥، imamhussain.org /Saying/
٢٩. العتبة الحسينية المقدسة، ١٩/ ٣/ ٢٠١٥، imamhussain.org /Saying/
٣٠. العتبة الحسينية المقدسة،١٠/ ١٢/ ٢٠١٤، imamhussain.org /Saying/
٣١. العتبة الحسينية المقدسة، ١٤/ ٢/ ٢٠١٥، imamhussain.org /Saying/
٣٢. العتبة الحسينية المقدسة، ١٢/ ١٢/ ٢٠١٤، imamhussain.org /Saying/

المصادر

أولاً – الكتب:

١. أنطوان بارا، الحسين في الفكر المسيحي، ط ٥، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٩.
٢. باسم الماضي الحسناوي، الإمام الحسين عليه السلام تاريخياً بين القراءة الفلسفية والسرد الاعتباطي عند ابن الأثير، شبكة الفكر، ٢٠١٢. www.alfeker.net
٣. طالب الخرسان، ثورة الطف، أنوار الهدى، قم، ١٩٩٣.
٤. عبد الصاحب ناصر آل نصر الله، التضحية والرمز دراسة نقدية بالرواية التاريخية عن ثورة الحسين (عليه السلام)، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٩.
٥. عدنان آل قاسم، نهضة كربلاء والعزة الحسينية دراسة تحليلية موضوعية في نهضة الإمام الحسين عليه السلام ودورها في عزة الأمة الإسلامية وكرامتها، دار السلام، بيروت، ٢٠١٢.
٦. علي الحسيني، مصائب رأس سيد شباب أهل الجنة الحسين بن علي بن أبي طالب ع، ط ٢، دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠١.
٧. محمد الشوكي، نفحات عاشوراء، سلسلة نفحات عاشوراء ٢، دار الجواد عليه السلام للتحقيق والنشر، ٢٠٠٥.
٨. محمد الهنداوي، عوامل خلود الثورة الحسينية، دار الطالب، بيروت، ١٩٩٨.
٩. محمد رضا الحسيني الشيرازي، الإمام الحسين عظمة إلهية وعطاء بلا حدود، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٠.
١٠. محمد رضا الحسيني الشيرازي، الإمام الحسين عليه السلام عظمة إلهية وعطاء بلا حدود، مؤسسة أنصار الحجة النبوية و مؤسسة الفقيه، كربلاء.
١١. محمد مهدي شمس الدين، عاشوراء، الجزء الأول، ط ٣، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٨.
١٢. هادي المدرسي، الامام الحسين ثورة لا تنتهي، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٩٨٣.
١٣. يوسف جعفر سعادة، الجهاد بين النظرية والتطبيق من خلال ثورة الحسين بن علي (عليه السلام)، ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٨٧.

ثانياً – المواقع الالكترونية:

١. الموقع الالكتروني للعتبة الحسينية المقدسة.
٢. المهاتما غاندي، تعلمت من الحسين كيف أكون مظلوما فانتصر، http: / /forums.alkafeel.net /index.php

شعرية المفارقة الأسلوبية في كلام الإمام الحسين (عليه السلام)

Stylistic Poetic Contrast in the Imam Al-Hussein Speech

أ.م.د. كريمة نوماس محمد المدني

جامعة كربلاء/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

Asst.Prof.Dr. Kareema Numass Mohammed Al-Madani, College of Education for Humanist Sciences, University of Karbala

ملخص البحث

مثلت المفارقة ظاهرة أسلوبية مائزة في نصوص الامام الحسين (عليه السلام)بعدها مهارة ايديلوجية وثقافية تصدر عن منتج النص ، ومغايرة تعتمد التضاد بين الأنساق الظاهرة والمضمرة أي بين المعنى الظاهري المنطوق والمعنى المقصود المخفي، فكان كلامه (عليه السلام) رسالة لغوية ذات شفرات دلالية اتخذها وسيلة لمعالجة الواقع السياسي والديني والاجتماعي والدعوة الى الاصلاح والابتعاد عن الانحراف الفكري والديني ،وتأشير سلبيات الواقع المعاش بكل ما يحمله من أسى واضطهاد .

وقد انتظمت الدراسة في مدخل للتعريف بمصطلح المفارقة وصفاتها ،وأنواعها ومحورين رئيسيين ،أولهما بعنوان (المفارقة اللغوية والبلاغية)وتتضمن :

١. المفارقة اللغوية وتشمل (مفارقة الخبر ،مفارقة الجملة الشرطية ،مفارقة الاستفهام)
٢. المفارقة البلاغية وتتضمن (الاستعارة ،الكناية ،التغاير الاسلوبي ،التوازي).

أما المبحث الثاني فكان بعنوان (مفارقة الأسلوب الدرامي- الموقف) وتضمن:

١. الموقف من (الأنا / الآخر).
٢. مفارقة الأسلوب القصصي (الحكائي).

وجات الخاتمة لبيان اهم النتائج التي توصل لها البحث.

Abstract

The contrast looms larger in the speeches of the imam Al-Hussein as a preponderant stylistic phenomenon and depends upon the difference between the explicit and the implicit، whose speeches were of semantic codes to reform the political، religious and social circumstances. However the study plunges into paper to define the term of the contrast and its colours; section one cosmists of:

1- Linguistic contrast ; conditional and question contrast.
2- Eloquent contrast ; personification، style shifts and parallelism

Yet the second sections reviews as entitled: (dramatic –situational contrast :

1- Stance of ego
2- Narrative contrast

Then the conclusion comes to the fore as having the important issues.

المدخل:

يُعدُّ مصطلح المفارقة من المصطلحات والمفاهيم النقدية التي برزت في ساحة النقد العربي المعاصر، وقد لامستْ البحث البلاغي العربي القديم تحت مسميّات كثيرة.(١)

وهي واحدة من الإمكانات الأسلوبية التي يقدمها الخطاب اللغوي، والذي يكتسبُ بفضلها سمة الأدبية بأبعادها الجمالية؛ لأنها اتخذت من اللسانيات إساساً في إدراك شعرية النصّ سواء أكان شعراً أم نثراً.

وبهذا يكون النصّ ممارسة دلالية ذات نظام خاص يُعيدُ للكلام طاقته الفاعلة في ضمن حيّز الفضاء الذي يتصل فيه مبدع النصّ ومتلقّيه، فالمفارقة لا تخرج عن كونها أسلوباً أو نمطا بلاغيا يوظفها المبدع ليقول قولاً، او يتصرف تصرّفاً يحمل معنيين، أحدهما ظاهري، والآخر باطني، بمعنى آخر تظهر بمصاحبة البنية السطحية، البنية العميقة.(٢) وهي في ذلك تعني انزياحا داخليا تتأسس قاعدته المعيارية على هيأة نسق مميّز يتلاشى النسق ليظهر نسق آخر يفارقه في خصائصِهِ الصوتية والتركيبية والدلالية.(٣)

وقد عُرّفت المفارقة بتعريفات كثيرة متشابكة، مع بعضها، ولعلّ من أبرزها ما ذهب إليه أحد الباحثين من أنها: ((عبارة عن لُعبة لغوية ماهرة وذكية بين الطرفين صانع المفارقة وقارئها، على نحو يُقدّم فيه صانع المفارقة النصّ بطريقة تستثير القارئ وتدعوه الى رفض معناه الحرفي، وذلك لصالح المعنى الخفي، الذي غالباً ما يكون المعنى الضدّ، وهو بذلك يجعل اللغة يرتطمُ بعضها ببعض)).(٤)

ولعلّ هذا التعريف مأخوذ من تحديد ومفوم (دي سي- ميويك) للمفارقة حين عّرفها بأنها: ((طريقة في الكتابة تريد أنْ تترك سؤالاً قائماً عن المعنى الحرفي المقصود، فثمة تأجيل أبدي للمغزى)).(٥)

وتبرز المفارقة في أكثر مناطق الإبداع الأدبي فاعليةً في إذكاء روح الشعرية والجمال في رحاب النصّ، تلك التي تحفل فيها اللغة بالالتقاء بين الأضداد والالتئام بين النقائض، ولذا تجعل اللغة الأدبية أمام بناء متكامل لظاهرة متّوجهة للحركة الدلالية في الخطاب الإبداعي، ومفجرة للجمال الانزياحي في آن واحد، وهو ما نُطلق عليه (أنباء المفارقة)، لتكون المفارقة نفسها خطاباً بلاغياً ورؤية للعالم في الوقت نفسه.(٦) ومن طبيعة لغتنا الحية تنبع صور المفارقة التي هي أيضاً نتاج رؤيتين (رؤية الدهشة والرؤية الكلية) هذه الرؤية المزدوجة هي التي تتناول الأشياء المألوفة العادية، بطريقة من شأنها أن تجعلها تظهر الدهشة وكسر التوقع لدى المتلقي.

فعلى المتلقي أو القارئ أن يفكَّ شفرة المفارقة ويعيد إنتاج دلالتها الخفية، أي يقوم بإعادة اللغة الى لحظة ما قبل الانزياح، فهذا الانقلاب من الضدّ الى الضدّ هو ما يوّلد فكرة المفارقة، فعلية ان يتصرَّف في هذه البنية اللغوية المراوغة، على اعتبارات وقرائن مُرافقة ليتمكن من الوصول الى المسكوت عنه، أو المعنى الخفي الذي غالباً ما يكون المعنى الضدّ.(٧)

فالمفارقة إذاً هي أداة أسلوبية فعّالة وضرورة أدبية لخلق الدهشة عند القارئ ونقله من المعنى السطحي الظاهري الى المعنى العميق الخفي، كي تنقطع كل خيوط الوصل المنتظم بين التراكيب المتجاورة، وبهذا تتشكل مفارقة ذات أثر فعّال في وعي المتلقي أو القارئ.(٨)

ولا تقتصر وظيفة المفارقة عند هذا الأمر فحسب، بل هي تُعد أيضاً وظيفة إصلاحية تشبه أداة التوازن التي تبقى الحياة متوازنة أو سائرة بخط مستقيم؛ لأنه يتخلل عباراتها الفاظ وتوجيهات إصلاحية ذات أهداف اجتماعية وسياسية وتربوية.

ويرى الدكتور محمد لطفي اليوسفي؛ أن المفارقة هي جوهر الحداثة والانفتاح؛ لأنها وحدها قادرة على إقامة عالم جديد مُحيَّل على أنقاض عالم الواقع المعيش، وهذا الانهدام لعالم الواقع، والبناء في عالم الخيال هو خطوة ضرورية في طرائق التغيير.(٩)

فالمفارقة: هي لغة ذات إيحائية تستدعي إعمال الخيال والإبحار فيه، لأن هذا الأمر يفتح المجال للقارئ، ويضعه أمام قراءات وتأويلات عدة، الأمر الذي يمنحه متعة القراءة ولذة اكتشاف خبايا الأفكار الجديدة التي تخبئها هذه المفارقات.

وترتكز شعرية المفارقة الأسلوبية على عناصر عدة من أهمها.[١٠]

أولاً: وجود مستويين للمعنى في التعبير الواحد، المستوى السطحي للكلام، والمستوى المخفي الذي لم يُعبِّر عنه والذي يلح القارئ على اكتشافِهِ.

ثانياً: لا يتم الوصول الى إدراك المفارقة إلاّمن خلال إدراك التعارض أو التناقض بين الحقائق على المستوى الشكلي للنّص.

ثالثاً: غالباً ما ترتبط المفارقة بموضوع إصلاحي ذي غايات إنسانية اجتماعية وسياسية وأخلاقية.

رابعاً: لابدّ من وجود ضحية في المفارقة، وقد تكون الكاتب أو شخصاً آخر.

المحبث الأوّل

المفارقة اللفظية

أوّلاً: المفارقة اللفظية:

المفارقة: هي رسالة ترميزية يقوم المبدع بإرسالها بعد أن أحكم بناءها وتشكيلها، الى القارئ، الذي ينتظر منه ردود فعل متوقعة وغير متوقعة في قراءة هذه المفارقة، من حيث فك الرسالة وإعادة بنائها- قراءة وتأويلاً- على وفق عمليات الوعي والإدراك والاستيعاب.[١١]

وتُعدُّ المفارقة اللفظية من أوضح أشكال المفارقة وأبرزها ابتداء بمفارقة اللفظة الواحدة، وانتهاء بالنص كاملاً وهي شكل من أشكال القول، يُساق فيه معنى ما في حين يقصد منه معنى آخر يخالف المعنى السطحي الظاهر وقد ذهب ميويك إلى ان هذا النوع من المفارقة هو من أشهرها وأغلبها، وأسلوبها الأساس، أما السير مع هدف المفارقة، وإبرازها، أوالنيل من الذات وهو أسلوب الإغراق، أو النقش الغائر.[١٢]

فالمفارقة اللفظية هي نوع من الكلام المنزاح عن لغته المعروفة الذي يُعد مؤثراً نصّياً على أدبية النصّ وشعريته وذلك بالخروج عن النسيج اللغوي المألوف.

وتنقسمُ المفارقة اللفظية على محورين رئيسين هما:

أوّلاً: المفارقة النحوية:

ويمثل هذا النوع من المفارقة على أساس تراكم أو تكرار بعض الأساليب والمفردات النحوية والبلاغية في كلام الإمام(عليه السلام) ذلك التراكم الذي يكتنزُ طاقات تعبيرية شعرية ذات غايات وثراء دلالي.

ومن المفارقات النحوية ما ورَدَ في الأخبار التي وردتْ عن الإمام الحسين(عليه السلام)

١. الخبر(الجملة الخبرية):

لقد وظّف الإمام الحسين(عليه السلام) هذا النوع من المفارقات لغرض الإصلاح وإرشادات إنسانية كثيرة، فهو من أهل

البيت النبوة (صلوات الله عليهم أجمعين)، وداعية الإصلاح في العالم وصاحب الرسالة الحقة في الدفاع، عن الحق والإنسانية ومقاومة الظلم والفساد. فمن أمثلة الأخبار التي وردت عن الإمام(عليه السلام)

((السلام سبعون حسنة، تسعة وستون للمبتدئ وواحدة للراد)).(١٣)

في النصَّ المتقدم نجد أن الإمام(عليه السلام) يعرضُ لنا حديثاً يُبين فيه الآثار والحسنات المترتبة في إلقاء التحية، وهنا يبرزُ عنصر المفارقة في مسألة الثواب للشخص الذي يقوم بإلقاء التحية، ومتلقيها، فجعل من المفارقة عنصراً لفظياً ضرورياً لصناعة النص، وبذلك تكمن المفارقة في مقدرة الكاتب في صياغة بنائه للغة ليتمكن من تحقيق الدهشة للمتلقي.

ومن الإخبار التي وردتْ عن الإمام الحسين(عليه السلام) قوله في الإمام المنتظر(عجل الله فرجه): ((قائمُ هذه الأمة هو من ولدي وهو صاحبُ الغَيبْة هو الذي يُقسم ميراثه وهو حيّ)).(١٤)

لقد تشكلت إستراتيجة الخطاب في النصَّ المتقدم حول الدوال اللفظية ((صاحبُ الغيبة/ / يُقسم ميراثه وهو حيٌّ)) فهي تحملُ في طياتها حمولات دلالية تأتت من الانزياح الذي تجسد في خروج الألفاظ على المألوف من الشكل الظاهري للمعنى، ولذا عُدت المفارقة ((لغة ذات إيحائية تستدعي إعمال الخيال، والإبحار فيه...)).(١٥)؛لأن هذا النمط من الكلام يفتحُ المجال الى القارئ، ويضعه أمام قراءات وتأويلات عدة الأمر الذي يمنحه متعة القراءة، ولذة اكتشاف خبايا المضمون الذي تخبئه المفارقات. لانها تقوم على التضاد والازدواجية بين المنطوق اللفظي والدلالة المحولة التي يرشحها السياق)).

ومن المفارقات التي شكلت عنصراً أسلوبياً فاعلاً في أخبار الإمام الحسين(عليه السلام)،قوله في ((إنّا أهل البيت نسأل الله فيعطينا فإذا أراد الله ما نكره فيما نحب رضينا)).(١٦)

المفارقة تظهرُ في كيفية تصوير الإمام(عليه السلام) الحياة الاجتماعية المتسمة بالأفضلية، والأختيار الأصوب من الله (سبحانه وتعالى)، فمن تلك الأسس التوازي بين الخالق والمخلوق منتظماً، بموجب هذا الانتظام الكوني يعرف الانسان حدوده، فتبرز المفارقة هنا بوصفها نمطا من السلوك اللغوي ذات وسيلة معالجة تأمل مصير العالم الأفضل بمعناه الواسع، ولذا تكون إيحائية المفارقة لغة تزيد من إحساسِنا بالأمر وتعميق فهمنا للأشياء.

٢. الجملة الشرطية:

يمثِّل أسلوب الشرط في الخطاب نمطاً تركيبياً يُكسبُ النص قوة تعبيرية في المعنى، نظراً لما ينماز به هذا الأسلوب من إمكانيات تواصلية، وما يتوفر عليه من طاقات إيحائية والشرط هو عقد علاقة سببية بين الشرط (الفعل) وجوابه بإحدى أدوات الشرط، بل إن هناك دلالة أسلوبية تكمن فيها الشرط تتجاوز السببية هي السيطرة والمفارقة أي سيطرة الشرط على الجواب؛ لأن الجواب هو السبب في الشرط، إذ يكون أحداهما مقدمة والآخر نتيجة، وربما يكون عنصر الدهشة والتكثيف الدلالي في مقدمة الشرط أو جوابه.

ومن أمثلة الجمل الشرطية التي وردت في كلام الإمام الحسين(عليه السلام) قوله في الجماعة الذين يحبون الدنيا: ((إنّ الناس عبيد الأموال والدين لعقٌ على السنتهم يحوطونه ما درَّتْ به معايشهم فإذا محصّوا بالابتلاء قلَّ الديانون)).(١٧)

استطاع الإمام(عليه السلام)أن يماسك النصَّ في معناه الظاهري والعميق بوساطة الشدّ التركيبي الذي أحدثه أسلوب الشرط، الذي أسهم في هيمنة المفارقة صياغة وبناءً، مما أنتج وظيفة أدبية لها دلالاتها ورموزها في الدوال ((إذا محصّوا بالابتلاء/ / قلَّ الديانون)) فهو(عليه السلام) يتحدث من حالة هؤلاء الذين يتفانون في جمع المال، حتى يصبح الدين عندهم دون الاعتبار الروحي يوجهونه حسب أذواقهم ورغباتهم حيثما وجدت المنفعة(١٨)، فتأتي المفارقة بوصفها عنصراً أسلوبياً أحدث فجوة

في الكلام بقوله: (قلَّ الديانون)) فهؤلاء الجماعة إذا ما تعرضوا لنكبات الدهر ترى فشلهم في الحياة وسقوطهم في الهاوية، وبذلك خسروا الدين والآخرة وهنا تكمن القيمة الفنية للمفارقة وإثرائها للنصّ فيما يثيره للقارئ من حيث الوصول الى دلالة الألفاظ وحمولاتها الدلالية.(١٩)

ومن أمثلة الشرط أيضاً كلامه(عليه السلام) في بيان فلسفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قوله: ((...**ثم أنتم أيُّها العصابة، عصابة بالعلم مشهورة، وبالخير مذكورة، وبالنصيحة معروفة، وبالله في أنفس الناس مهابة، تشفعون في الحوائج إذا امتنعتْ من طُلابها**))(٢٠).

إن وجود الجملة الاعتراضية في النصّ المتقدم، شكلت رابطاً دلالياً مهماً ساعدَ على خلق أجواء مفارقة شعورية للمتلقي بمنزلة هؤلاء ((العصابة المشهورة بالعلم، المذكورة بالخير،... ولذا يظهر عنصر المفارقة في هذا ((الظهور المفاجئ للعناصر اللغوية من غير أن يكون في السياق الذي قبلها أي إشارة الى احتمال استعمالها أووقوعها)).(٢١) سعياً إلي بيان صفات هؤلاء العصابة.

ومن ذلك أيضاً قول سيد شباب أهل الجنة(عليه السلام) ((إذا كان يوم القيامة نادى مناد، أيُّها الناس: مَنْ كان له على الله أجر فليقم؛ فلا يقوم إلاّ أهل المعروف)).(٢٢)

وقد وظّف الإمام(عليه السلام)أسلوب الشرط لتقوية المسلك الأسلوبي والفكري للنصّ، فنراه يعمل عبر ذلك الأسلوب الشرطي الى خدمة القضية المطروحة التي يُريد التأثير بواسطتها على المتلقي في الاشارة الى منزلة ((أهل المعروف))، فالمفارقة تُعّد ((أداة أسلوبية فعّالة في تنمية قوى التماسك الدلالي للنصّ، وذلك بإعتبار بينة المفارقة جزءاً لا يتجزأ من بنية نصيّة أكبر، ولذا عُدتْ أداة لاعلاء دور السياق ذاته، الذي يكون المخاطب جزءاً ضرورياً منه)).(٢٣)فالإمام الحسين(عليه السلام)المصلح الاجتماعي، أراد لمجتمعه أن تسوده المحبة والتفاني من أجل حياة أفضل، فانبرى لتسليط الضوء على غريزة مكنونة في بواطن الإنسان، فأثار ظهورها بكلمة((أهل المعروف)) وهي كلمة ذات معانٍ عميقة، بل هي مراتب عديدة.(٢٤)

ثانياً: المفارقة البلاغية

١- التشبيه:

والتشبيه وسيلة أسلوبية وواحدة من عناصر المفارقة، التي يوظفها الأديب لتوجيه المعنى وتعميق الدلالة، وهي علاقة قائمة على عقد مقارنة أو ممثلة بين الطرفين لاتحادهما أو اشتراكهما في صفة أو مجموعة صفات.(٢٥)

وللصور التشبيهية دلالات إيحائية، تختلف باختلاف تصوّر المتلقي وإدراكه، وبيان ما تستثيره من مفارقات في ذهنِه، ومن هنا يقوم القارئ أو المتلقي بتأويل تلك الصور، وأبرعها التي تستطيع أن توحي بأكبر قدر ممكن من الدلالات والإثارات التخييلية.

ولا يتضح مفهوم التشابه مالم نبين الأساس التأويلي الباني له وتفطن الباث والمتقبل الى مكامن التوازي بين طرفي المشابهة أصلاً مكوناً الصورة، وتمثل المفارقة هي الأداة المساعدة على شرح الكيفيات التي تفضي بالمتُقبل الى فهم الصورة، إذ يراها حاملة لمعنى معين.(٢٦)

ومن أمثلة الصورة التشبيهية ذات المفارقات الدلالية، ماورَد في كلام الإمام الحسين(عليه السلام): حين سأله شخص عن إسداء المعروف في غير أهله، فأجابه(عليه السلام) بقوله: ((ليس كذلك، ولكن تكون الصنيعة مثل وابل المطر تُصيب البّر والفاجر)).(٢٧)

فالتشبيه هنا بلفظة الدوال مثل وابل المطر، عمّق الدلالة الإيحائية للنصّ ومنحها طاقات تعبيرية يُدهش لها ذهن المتلقي، فالإمام الحسين(عليه السلام) وجّه أنظار المسلمين الى مبدأ رئيس من شأنه أن يدعم بناء المجتمع بأكمله، ويسهم في توطيد وحدة المجتمع، فتكمن المفارقة في قولِهِ الصنيعة مثل وابل المطر تصيب البّر والفاجر) وهذا المبدأ هو فعل الخير بشرط أن يكون مع من يستحقه وإن مورس مع من لا يستحقه، أعطى نتائج معكوسة، فشّبه الإمام الحسين(عليه السلام)الحالة بالمطر الشديد إذ هطل من السماء أفاد منه أهل الإيمان وغيرهم، وفي هذا السياق يتجلى عمق العلاقة القائمة بين الصورة التشبيهية والممارسة التأويلية للمفارقة.

ومن صور التشبيه التي اتكأت على عنصر المفارقة أيضاً في حديث الإمام(عليه السلام)عن الغيبْة، قوله: ((يا هذا كفَّ عن الغيبة فإنها أدام كلاب النار)).(٢٨)

يتركزُ نسق المشابهة الدلالي في النص المتقدم على عنصر المفارقة الذي يُبني على طرفين (المغتاب= جزاءه= حالته) (أدام كلاب النار)، فالإمام(عليه السلام)لجأ الى تشبيه حالة الشخص الذي يغتاب الآخرين بصورة تأويلية تثير عنصر الاشمئزاز لدى المتلقي حتى ينتهي عن تلك الصفة الممقوتة التي تثير الحقد والعداوة والبغضاء بين الناس، وبذلك تكون قصدية المفارقة وهدفها هو ((مفاجأة المتلقي من خلال سلسلة من البنيات والتراكيب غير المتوقعة يثير الانفعال الذهني والعاطفي لتدفعه لإيجاد المعنى الباطني فيه)).(٢٩)

ومن صور المفارقة أيضاً، قول الإمام الحسين(عليه السلام) في تصوير المعروف والقبيح؛ ((**اعلموا انّ المعروف يكسبُ حمداً ويعقبُ أجراً فلو رأيتم المعروف رجلاً جميلاً يسرُّ الناظرين، ولو رأيتم اللؤم رجلاً لريتموه قبيح المنظر تنفر منه القلوب وتغضّ دونه الأبصار**)).(٣٠)

رسمَ الإمام الحسين(عليه السلام)لوحة رائعة ميز فيها عبر نسقين من المشابهة بين صورة العمل الجميل والمعروف صورة اللؤم والعمل القبيح، وهنا تبرز فكرة المفارقة في بلورة ناتج البنى المتشابهة دلالياً بما يخدم الصورة والمغزى الذي أراده وقصده الإمام(عليه السلام)، فالمفارقة هي((تعبير ناتج عن لغة بلاغية يحتاج الى مهارة وذكاء كما تحتاج الى قارئ يحمل الصفات ذاتها)).(٣١)فالمعروف ليس العمل الجميل فحسب؛ بل تنطوي في بنيته العميقة على معانٍ عدة، من أهمها: (توحيد الله وطاعته، ومحبة الخلق، ومحبة الرسول وأهل بيته(عليهم السلام)، ومراعاة حقوق العامة وغيرها).

٢- الإستعارة:

يقوم الخطاب الاستعاري على خرق التطابق في العلاقات اللغوية وحصرها في كيانٍ واحد عبر استثمار التنافر بين الدال والمدلول، اعتماداً على الوظيفة المجازية التي تُعدُّ أساس الصورة الاستعارية ، وعليه يمكن القول إن ((الخطاب الاستعاري يتشكل من ممارسة استبدالية وتركيبية على مستوى محوريّ الاختيار والتأليف)).(٣٢)

فالاستعارة انزياح استبدالي وهي ((تقوم على كلمة واحدة وتستعمل بمعنى مشابه لمعناها الأصلي ومختلف عنه)).(٣٣)

وتكمن فضيلة المفارقة أسلوبياً في هذا الواقع الجديد الذي تخلقه، وفي هذا الإيحاء المتولّد عن تردد القارئ بين دلالتين؛ دلالة حرفية غير مقصودة، ولكنها مدعاة تمنعها القرائن، ولا يمكن أن تتحقق إلا في الخيال، ودلالة أخرى متحجبة يُطلب من القارئ استنباطها بناءً على تلك القرائن.(٣٤) فتعمل المفارقة على استثارة المتلقي وتنشيط مخيلته ليتجاوز البنية السطحية الى البنية العميقة التي يمكن الوصول إليها عبر عدد من القراءات المنتجة لإبعادها الدلالية.

وتحتل الصورة الاستعارية في أقوال الإمام الحسين(عليه السلام) موقعاً مهماً، ولعلَّ من أبرزها ما سيثير من المفارقات في ذهن

المتلقي، قوله(عليه السلام)في الرفق واللين: ((من أحجم عن الرأي، وأعيتْ له الحيل كان الرفقُ مفتاحَه)).(٣٥) فنجد النصّ ينزاح بلغته عن المألوف الى دلالة أعمق أثراً وإيحاءً بالتوظيف الاستعاري في لفظة الدوال (الرفق مفتاحه)، فكان الانزياح الاستعاري مركزاً للمفارقة في بنيته العميقة، إذ كشفت عن إيحاء الصورة الاستعارية في اثارة المتلقي وإشراكه فالإمام الحسين(عليه السلام) أراد أن يضع قاعدة متينة يستندُ إليها الإنسان العاجز عن إبداء الرأي، فلا بدَّ له أن يستند إلى تلك القاعدة التي هي طريق النجاح ألا وهي مرافقة له في جميع مفاصل حياته الاجتماعية ويبقى للرفق وجوه كثيرة تُفصح عنها البنية العميقة للنصَّ فنرى الأثر الذي تتركه الصورة الاستعارية المتمثلة بـ(الرفق مفتاحه) لتقوم المفارقة على تصوّر الاقتران بين (الرفق مفتاحه) ولذا قيل إن المفارقة ((لا تخلو من قصدية أدبية غنية بالتحفيز الى المتلقي الجمالي مما تفتح لذة القارئ فيكون نصاً موازياً، يُحدثُ بداخلنا إذ شباعاً استطيقاً)).(٣٦)

ومن أمثلة الصورة الاستعارية التي برزتَ فيها المفارقة قول الإمام(عليه السلام): ((لُعاب البّر بُلعاب النحل بخالص السمن ما عابَ هذا مسلم)).(٣٧)

إنَّ فضاء الاستعارة في النصّ المتقدم، يتجلى عبرَ هذا الخرق اللغوي الذي أحدثه الانزياح الاستعاري في (لعاب البّر/ لعاب النحل) إذ تمثلت هذه الدوال مركز استقطاب دلالي يُضيء البنية الاستعارية للنصّ إذ إنها: (تولّد انعكاسات إيجابية تجعل المتلقي في موقع المفاجأة، الأمر الذي يزيد من فاعلية التداخل الدلالي، وقدرته على إبراز المعنى)) فالاستعارة هنا تفصحُ عن قيمة عالية للمفارقة، وذلك من خلال اقتران اللعاب بالبّر، ولعاب العسل المتولدة عن علاقات مجازية مفارقة للربط بين هذه الأشياء.

٣- الثنائيات الضدية (التضاد)

يُعدُّ التضاد بنية أسلوبية فاعلة وعنصر من عناصر المفارقة غاية الأهمية، إذ هو المسؤول عن ((الادهاش والمفاجأة في النصَّ الأدبي إيحاءً ودلالة، إذ له عميق الأثر في تعضيد المعنى وثرائه)).(٣٨)

وتتحدد البنية الأسلوبية للتضاد بعلاقات التقابل فيما بينها من خلال الربط بين الألفاظ المتناقضة والمتنافرة باعتماد الإدراك الحسي الذي يعملُ على تجميع العناصر غير المرتبطة في صورة واحدة لانتاج قدر معين من التضاد في سياق خاص يتيحُ الفرصة لتوقع الآثار الأسلوبية ،وعليه يمكن القول إن التضاد يستمد فاعليته أسلوبياً من تكوين ((ثنائيات متضادة في المعنى لتأدية دورها البلاغي والدلالي، ترمي بظلالها الإيحائية على شكل شبكة دلالية للنصَّ)).(٣٩) ويرى د.محمد العبد أن المفارقة تكمن في التضاد ((إذ هي نوع من التضاد بين المعنى المباشر المنطوق والمعنى غير المباشر)).(٤٠)

فأسلوب التضاد يصنع مفارقة عجيبة فعّالة في الاتجاه الوظيفي فهو سلطة مؤثرة ومهيمنة على السياق تحملُ المتلقي على استنطاق الخطاب بقراءات متعددة وصولاً لاسترداد المقاصد.

ومن أمثلة التضاد ماورَدَ في أقوال الإمام(عليه السلام) في حُبِّه للشهادة وزهده بالحياة: ((موتٌ في عز خيرٌ من حياة في ذل)).(٤١) فحالة التضاد الأسلوبية التي طغت على النصّ تختزل التعبير عن أوجه الصراع بين الحياة في الذل، والموت في العزّ، لعلّ حالة المفارقة تكمن في صورة التناقض بين تلك الحياتين (حياة الذل/ / وحياة العزّ)، فالمفارقة هي تلك ((الصورة التي تنطوي على عنصرين متعارضيين، يتداخل تعارضهما مشكلاً دلالة تنطوي على المفارقة)).(٤٢) مما جعل صورة التضاد تتركُ أثراً في القارئ ليدلل على الواقع الذي يعيشه الإنسان في ذُل وهوان.

ومن أمثلة التضاد أيضاً ما ورَدَ عن الإمام الحسين(عليه السلام) في إسباغ النعم الآلهية على العبد المُذنب، قوله(عليه السلام):

((**الاستدراج من الله لعبدِهِ أن يسبغَ عليه النعم، ويُسلبه الشكر**)).[٤٣] تنطلقُ صورة التضاد في النصَّ أعلاه من عنصر المفارقة بين الدوال(إسباغ النعمه سلب الشكر)، فالله (تعالى) يُبذل النعم على العبد المذنب عقوبة على معصيته ويزيده منها وهو يزدادُ ويتمادى في جهلِهِ وغروره وعدم شكره لتلك النعم الآلهية، ويجدد العبد الذنوب كلما تزداد تلك النعم الى أن يرد على الله (سبحانه- وتعالى) وقد أحاطت به خطاياه فماله من ناصر ولاخلاق في الآخرة، فالمفارقة بين العناصر المتنافرة التي وردت في النصّ صنعتْ بؤرة دلالية أساسية هي ((البنية والشكر لنعم الله الدائمة))، فالبنية المفارقية للنصّ تريد أن تفصح أن تلك النعم الآلهية هي كالمنبه الحاذر على وجوب الشُكر لله وحده. فتنشأ حالة المفارقة نتيجة هذه التضادية بين الألفاظ في المعنى.

ومن مواعظ الإمام الحسين(عليه السلام) الخطابية التي برز فيها عنصر المفارقة، قوله(عليه السلام): ((**أوصيكم بتقوى الله، وأحذركم أماليه، وأرفع إليكم أعلامه،...، فبادروا بصحة الأجسام في مدة الأعمار، وكأنكم ببغتات طوارقه فتنقلكم من ظهر الأرض الى بطنها، ومن علَّوها الى أسفلها، ومن أنسها الى وحشتها، ومن روَحَهِا وضوائها الى ظلمتها ومن سعتِها الى ضيقها حيث لإيزار حميم، ولا يُعاد سقيم ولايُجاب صريخ، أعاننا الله وإياكم على أهوال ذلك اليوم ونجينا وإياكم من عقابِ، وأوجب لنا ولكم الجزيل من ثوابِهِ.**)).[٤٤] إن آلية المفارقة الأسلوبية تُعدُّ من الصيغ الأسلوبية التي تفعّلُ في فضاء النصّ عموماً، والشعرية منها على وجه الخصوص فمما تفرزه لغة النصّ بسلطة التضاد والمفارقة، تجعل القارئ أو المتلقي يستحضُر الصورة الحاضرة بشعائرها معلنة حالة الإنسان في الدنيا، وانقلاب على حالة متناقضة في الآخره. فالتوظيف المكثف للمتضادات ورَدَ في سياقات التقابل بين اللفظ ونقيضه فتمركز في الدوال(ظهر الأرض/ باطنها) (عّلوها/ أسفلها)، (أنسها/ وحشتها)(روحها وضوئها/ ظلمتها) (سعتها/ ضيقها) المفارقة تقوم حول بؤرة دلالية أساسية هي التهيؤ والاستعداد للآخرة، فالثنائيات الضدية يرتبط طرفاها ارتباطاً تلازمياً بحيث إذا ذُكر الطرف الأوّل ذُكر الطرف الثاني مما يجعل الدلالة أكثر عمقا ((فالمفارقة نصا لايتحقق الا بحركة قرائية واعية تتفاعل مع لغة النص تفاعلا كليا فهي المفتاح السري الذي يمكنه من تفكيكها انطلاقا من ادراك تام لمغزى النص))([٤٥]) .

ومن كلام الإمام الحسين(عليه السلام) في وصفِهِ للقرآن الكريم ((القرآن ظاهرهُ أنيق وباطنه عميق))

تتمحور حركة الاستعارة دلالياً في كلام الإمام المتقدم عبر هذه الصفات التي جعلها الإمام(عليه السلام) ووصفها للقرآن إذ أجادَ في توظيف هذه الصفات الاستعارية التي حققت انزياحاً عالياً للتعبير عن عظمة كتاب الله المقدس، فأسهمت هذه الصفات في شحذ فكر المتلقي بالمكانة العالية المقدسة التي تحوي هذا الكتاب المقدس ظاهراً وباطناً بما منح النصّ سمة مفارقة عجيبة ؛ لأن الانزياح الأسلوبي يولد دهشة تؤثر في نفس المتلقي تسهم في كسر التوقع وتحدث متعتها بالمفاجأة الأسلوبية.

٤- التوازي:

يؤدي التوازي دوراً كبيراً في آفاق الدراسات الأسلوبية فهو عنصر يكشفُ عن البنية المسؤولة عن توزيع العناصر اللغوية والفنية والدلالية داخل العمل الفني سواء أكان شعراً أم نثراً.

والتوازي هو ((عباة عن تماثل قائم بين الطرفين من السلسلة اللغوية نفسها، وأن هذين الطرفين هما عبارة عن جملتين لها نفس البنية، بحيث يكون بينهما علاقة متينة إما على أساس المشابهة، أو على أساس التضاد)).[٤٦]

ويمكن القول إن التوازي مكون أسلوبي وعنصر فاعل في المفارقة يعمل على تنسيق العلاقات الداخلية للنصّ الأدبي

بدءاً من العلاقات التركيبية ووصولاً الى الإيقاع، وبهذا يشدّ انتباه القارئ أو المتلقي في ضمن أنماط معينة من التماثلات الصوتية والتركيبية والدلالية المكونة لنسيج النصّ.

فمن أمثلة صور التوازي في أقوال الإمام الحسين(عليه السلام) ما شكلت فيه المفارقة عنصرا مائزا في النص قوله في صفات العاقل: ((**العاقلُ لا يحدّثُ مَنْ يخاف تكذيبه، ولا يسألُ من يخاف منعه، ولا يثق بمَنْ يخاف غدره، ولا يرجو من لا يوثق برجائِهِ**)).(٤٧)

وقد شكَّل هذا النمط من التوازي ملمحاً أسلوبياً فاعلاً في المفارقة حتى صارَ جزءاً من الثيمات الأسلوبية المهنية استطاعت إبراز مجموعة من الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها المؤمن بل سلسلة من التفسيرات المغيرة)).(٤٨)

ويمكن توضيح ذلك عبر الترسيمة الآتية:

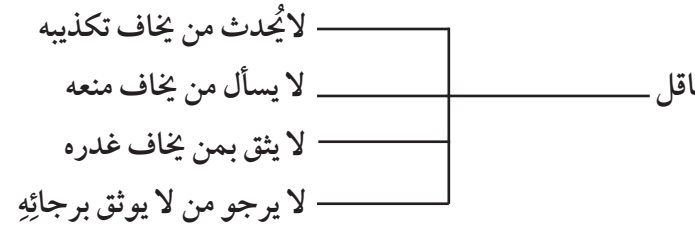

ومن تقنيات التوازي في كلام الإمام(عليه السلام) قوله في أصناف الناس في عبادة الله(عز وجل): ((أن قوما عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجّار، وأن قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، وأن قوماً عبدوا الله شكراً، فتلك عبادة الأحرار وهي أفضل العبادة)).(٤٩)

إن تقنية التوازي عِبرِ المفارقة المصنوعة في النصَّ الآنف الذكر أسهمتْ بإثارة توازٍ دلالي لتحقيق التأثير في المتلقي وجذب اهتمامه حول تعدد العبادات حسب ميول الأشخاص ومصالحهم وتكمن المفارقة في العبادة ((عبادة الأحرار)) لأنها عبادة الخشوع والخضوع لله (سبحانه- وتعالى)، إن علاقات التقابل في هذا النمط من كلام علاقات اختيارية، بمعنى أنها تجد نزوعاً لدى المنشئ في اختيار الفاظ متضادة بحكم الوضع اللغوي.(٥٠) ويأتي التوازي أحياناً مرافقاً للتضاد فمن أمثلة ذلك

كلام الإمام(عليه السلام) في قوله لنافع ابن الأزرق لما قال له صِفْ لي آلهك الذي تعبده، فأجابه(عليه السلام): ((**قال يا ابن الأزرق، أصفُ الهي بما وصفَ به نفسه، لا يُدرك الحواس، ولا يقُاس بالناس، قريبٌ غير ملتصق، وبعيد غير مستقص، يوحد ولا يبعض، معروف بالآيات موصوف بالعلامات**)).(٥١) وإذا ما أعدنا النظر في سياقات النصّ المتقدم نجدها اتخذت مسارات متوازية ومتضمنة دلالات متضادة تعمل على إذكاء روح المفارقة في ذهن المتلقي، فالفرق بين المعاني يبدأ من (الادراك بالحواس، ولا يُقاس بالناس)، (قريب غير ملتصق، بعيد غير مستقصي)، فهذه الثنائيات الضدية المتوازية شكلت أحد أوجه الاستقطابيةِ الأبرز.(٥٢) التي ساهمت في إنتاج صيغ تعبيرية تحمل طاقة إيحائية تحرك نصّ الإمام(عليه السلام) وتدفع المتلقي باتجاه تأمل بنياتها الدلالية، فتصبح الكلمات المتضادة والموازية على الرغم من اختلافها صوتياً؛ إلا أنها أكثر إثارة وثراء في الإيحاء والدلالة في صنع المفارقة في الذهن، فالإمام(عليه السلام) عبرَ جوابهِ لابن الأزرق بيَّن أن التشريع الإسلامي اعتمد على الألوهية في بناء مقوماته لانها النواة الرئيسة في استمرار الحياة.

المبحث الثاني

مفارقة الموقف

تمثلُ مفارقة الموقف ((**موقفاً متكاملاً يجسدُ علاقة الذات المتكلمة أو الموضوع المتكلم عنه بالبيئة المحيطة به، أو بالآخرين الحافين به في زمان ومكان محددين**)).[٥٣] وتتجلى هذه المفارقة عبر نقد الواقع السياسي باستحضار شخوص وأحداث تاريخية إذا أرادَ أن يلمح وضع الأمة. ويقوم هذا النمط من المفارقة على مزايا وسمات تتجه به نحو مغايرة النمط المتقدم المفارقة اللفظية فهذا النوع من المفارقة لا يقوم إلا على تصوير حالة أوحدث أو تبني موقف ما من خلال إدراك أبعاد كل منها أن يرى فيها وجه المفارقة على أن مَنْ يقوم بالبنية الى هذا النمط من المفارقة والوعي بأبعاده هو المتلقي.

وتستندُ كذلك هذه المفارقة إلى مرجعيات تاريخية وفكرية ونفسية.[٥٤] فتندرج فكرة المفارقة في هذا النمط على صراع القائم بين الخير والشرّ، والحق والباطل، والموت والحياة... مجسدة إياه لتمثيل الواقع الذي يعيشه المبدع والمتلقي.

انَّ مبدع النصّ عبر هذا النمط من المفارقة، يسعى الى تأسيس موقف معين من الوجود، أو يسعى الى المشاركة في التعبير عن أوجه الحياة والمجتمع بحسب رؤاه الخاصة وثقافته.[٥٥]

وتنقسم هذه المفارقة في أقوال الإمام الحسين(عليه السلام) على قسمين:

أولاً: الموقف من (الأنا/ الآخر) الحضور

وتمثَّل هذا النمط من المفارقة في لقاء الإمام الحسين(عليه السلام) بمروان بن الحكم، في تلك الليلة التي أعلن فيها الإمام(عليه السلام) رفضه الرسمي لبيعة يزيد بن معاوية، فدارتْ محاورة بينهما حين التقى مروان بن الحكم الإمام الحسين(عليه السلام)[٥٦] فقال له: ((إني ناصح، فأطعني، تُرشد وتُسدد))

فأجابه الحسين(عليه السلام):

((على الإسلام السلام، إذ بُليت الأمة براعٍ مثل يزيد، ويحك يا مروان، أتأمرني ببيعة يزيد، هو رجلٌ فاسق لقد قلت شططاً من القول، لا ألزمك على قولك؛ لأنكَ اللعين الذي لعنك رسول الله(صلى الله عليه وآله) وأنتَ في صلب أبيك الحكم بن العاص إليك عني ياعدوّ الله، فإنا أهل بيت رسول الله(صلى الله عليه وآله) والحقّ فينا، وبالحق تنطق ألسنتناوقد سمعتُ رسول الله(صلى الله عليه وآله) يقول: الخلافة محرمة على آل أبي سفيان وعلى الطلقاء وأبناء الطلقاء)).

فقال مروان: والله لا تفارقني أو تبايع ليزيد صاغراً فإنكم آل أبي تراب، قد أشربتم بغض آل أبي سفيان، عليكم أن تبغضوهم...

أجابه الإمام الحسين(عليه السلام):

إليك عني فإنك رجس وأنا من أهل بيت الطهارة الذي أنزل الله فيهم على نبيه(صلى الله عليه وآله) ((إنما يريدُ الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)) الأحزاب/ ٣٣.

وتابع قوله(صلى الله عليه وآله) ((أبشر يا أبن الزرقاء بكل ما تكره من الرسول(صلى الله عليه وآله) يوم تقدم على ربك فيسألك جدي عن حقي وحق يزيد)) يقيم الإمام(عليه السلام)خطاباً مع الآخر/ هو، ويتراءى لنا في هذا الحوار كشف كثير من الحقائق والخبايا التي أظهرها الإمام(عليه السلام)في حواره مع مروان ابن الحكم، فهو الأخر يخاطب الإمام(عليه السلام) ويفرض عليه مبايعة يزيد، لكن الإمام(عليه السلام) أجابه بكلام أثبت فيه أن يزيد لا يستحق أن يكون والياً لهذه الأمة الإسلامية وبقيت خبايا الأمور الكثيرة والصفات السيئة التي يحملها هذا الشخص _مبايعة يزيد_ لم يصرّح بها الإمام(عليه السلام) لذا عُدّ كلام الإمام(عليه السلام) فيه مفارقة عجيبة تدهش القارئ حين ردّ على أسئلة مروان بن الحكم، ومن هنا عُدّت المفارقة هي ((البداية الحقيقية للوجود

الإنساني الأصيل، فهي تأخذ على عاتقها تحرير الأنسان من سيطرة الآراء السائدة، والإفكار المتعارف عليها، لتنتشل الذات من ضياعها، وفقدانها لنفسها وسط الفلسفات السائدة والأحداث المتضاربة)).[٥٧]

وتكمن المفارقة أيضا في ذلك القول للرسول الكريم(صلى الله عليه وآله) الذي استشهد به الإمام الحسين(عليه السلام)في عدم أحقية آل أبي سفيان بالخلافة فهو(عليه السلام)استلّه من نسيج التاريخ، فقطع كل ما جاء به ابن الحكم.

-موقف من (الأنا/ هو) الحضور/ الغياب

ومن أوضح الأمثلة على هذا النمط قول الإمام الحسين(عليه السلام)لابن مروان بن الحكم، عندما رفض(عليه السلام)مبايعته يزيد، فقال له الحسين(عليه السلام): ((**يا أبن الزرقاء: أأنت تقتلني أم هو؟ كذبت ولؤمتَ ثم قال الإمام الحسين**(عليه السلام) **للوليد((أيها الأمير إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة، بنا فتح الله وبنا يختم الله، ويزيد رجل شارب الخمر وقاتل النفس المحرمة، مُعلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون، أيّنا أحقّ بالخلافة والبيعة))**.[٥٨] **في أروقة الحكم الأموي**، أعلن الإمام الحسين(عليه السلام)رسمياً، رفضه بيعة يزيد ودعا أصحابه وإخوته وغيرهم الى رفضها وحذّرهم من نتائجها الهدامة، وهنا تبرز المفارقة بين شخص الإمام الحسين(عليه السلام)والصفات القدسية التي يتحلى بها فهو سبط رسول الأمة وهاديها. وبين شخصيته يزيد ذلك الرجل الفاسق الماجن الذي عاث خراباً بالأمة الإسلامية.

وبذلك تتشكل شعرية المفارقة بشكل عام في النصّ عبر الحوار بين حضور الإمام(عليه السلام)وشخصية يزيد الغائب (هو) من خلال قدرة المبدع على التركيز والدقة والمفاجأة وتغيير مسار الواقع بما ينسجم وأهداف الرسالة السماوية والحقة. وبذلك تعد المفارقة نمطاً من السلوك ينطوي على استعمال اللغة، وتعد أيضاً وسيلة لمعالجة الخصم في جدال حتى وصلت الى تأمل العالم بمعناه الواسع.[٥٩]

الخاتمة

١. تُعد المفارقة تقنية أسلوبية ذات إستراتيجية خطابية، لماتؤديه من سياقات الاتصال بين الشكل والوظيفة وبين المقال والمقام.

٢. تكمن مزية المفارقة في الواقع الجديد والمفاجأة والدهشة التي تخلقها، وفي الإيحاء المتولد عن تردد القارئ بين دلالتين المعنى الظاهري، والمعنى الخفي العميق.

٣. ترتكز المفارقة الأسلوبية على مبدأ التكثيف الدلالي، و شعرية الصور البلاغية، وغيرذلك لما هو غير مألوف، مما ينتج عنها وظيفة أدبية لها دلالاتها ورموزها.

٤. تنعقد بنية المفارقة على علاقة التضاد لتحقيق جوّ من التناقضات والثنائيات الضدية التي ترتبط بالموقف الفكري والوجداني الذي يرمي إليه الأديب ويقصده.

٥. لقد مثّلتْ المفارقة النحوية والبلاغية النمط الأهم والأبرز بين أنماط المفارقة في كلام الحسين(عليه السلام)، وقد أدى ذلك الى ثراء النصّ وتعضيد دلالاته المعنوية.

٦. برزت مفارقة الموقف بوصفها أحد أنماط المفارقة في أقوال الإمام الحسين(عليه السلام)، في مفارقة (الأنا، الأهو/ الحضور) الغياب ومفارقة (الأنا، أنت) الحضور فغدت هذه البنية مهيمنة في فضاء النصّ، تستبطن رموزاً وأبعاداً ودلالات مقصودة.

٧. للمفارقة وظيفة إصلاحية وتربوية واجتماعية ودينية لتوجيه المجتمع وتصحيح الأفكار والمعتقدات السائدة المنحرفة.

الهوامش

١. نستنتج أن ملمح المفارقة قد عرفته البلاغة العربية القديمة تحت مسميات كثيرة منها، التهكم، المجاز المرسل، المجاز الاستعاري، المثل، الكناية، التعريض، التلويح، التورية، التوجيه، الرمزية، الإيحاء، التضاد، السخرية، الاستهزاء، المبالغة، المدح بما يشبه الذم، الذم بمايشبه المدح، الهجاء. ينظر مصطلح المفارقة والتراث البلاغي العربي القديم:٧٨- ٧٩.

٢. ينظر: مصطلح المفارقة والتراث البلاغي العربي القديم: ٧٨.

٣. ينظر: م.ن: ٧٧.

٤. المفارقة وصفاتها:٤٧.

٥. م.ن: ١٨

٦. المفارقة في النثر العباسي: ٢٥٠.

٧. ينظر: المفارقة وصفاتها:١٨.

٨. ينظر: المفارقة في شعر مظفر النواب:٢٥

٩. ينظر: المفارقة في الشعر الجاهلي: ١٢.

١٠. فن القص في النظرية والتطبيق: نبيلة ابراهيم: ١٩٦- ١٩٧.

١١. شعرية المفارقة بين الابداع والتلقي:٦.

١٢. المفارقة وصفاتها:٦٧.

١٣. تحف العقول،الحراني:١٧٩.

١٤. لمعة من بلاغة الحسين(عليه السلام):١٤٧.

١٥. ينظر : حياد السارد والرؤية المفارقة:٨

١٦. مقتل الحسين –الخوارزمي-:١/ ١٤٧.

١٧. كشف الغُمة: ٢/ ٢٤١.

١٨. ينظر: بلاغة الإمام الحسين بن علي(عليه السلام) (دراسة وتحليل): :١٥٨-١٥٩.

١٩. ينظر: حياد السارد والرؤية المفارقة قراءة في روايةattentat،Iلياسمية خطرة:٤.

٢٠. تحف العقول:١٧١.

٢١. الأسلوبية اللسانية، مجلة نوافذ- السعودية، العدد،١٣، سنة١٣١،٢٠٠٠

٢٢. حياة الإمام الحسين(عليه السلام): ح١/ ١٨٣.

٢٣. ينظر: المفارقة القرآنية: ١٥٤-١٥٤.

٢٤. ينظر: بلاغة الإمام الحسين(عليه السلام):٥٨.

٢٥. ينظر: التخليص في علوم البلاغة: ٦٢.

٢٦. ينظر: تأويلية الصورة المبنية على المشابهة:١٧.

٢٧. تحف العقول:١٧٦.

٢٨. م.ن: ١٧٦.

٢٩. المفارقة في شعر أحمد مطر :١٨

٣٠. الحسن والحسين: ١٣٣.
٣١. المفارقة: د.نبيلة إبراهيم: ١٣١.
٣٢. الاستعارة عند جاكوبسون:٥٤
٣٣. بنية اللغة الشعرية :١١٠
٣٤. ينظر: عناصر الوظيفة الجمالية في البلاغة العربية: ١١٠.
٣٥. روح الدين الإسلامي: ١٦٢.
٣٦. المفارقة في الادب المسرحي العراقي :٢٨.
٣٧. مكارم الأخلاق: ١٧١.
٣٨. الرسائل المشرقية الفنية في القرن الثامن للهجرة (دراسة أسلوبية): ٣٠٣.
٩٣. في الشعرية: ١٢٨-١٢٩.
٤٠. المفارقة القرآنية: ١٤.
٤١. حياة الحسين(عليه السلام) : ١/ ١٨٣.
٤٢. المفارقة في القرآن الكريم: ١١.
٤٣. تحف العقول: ١٧٧.
٤٤. م.ن: ١٧٣.
٤٥. شعرية المفارقة بين الإبداع والتلقي :٧
٤٦. شعرية القصيدة العربية المعاصرة (دراسة أسلوبية): ١٤٤.
٤٧. الشعرية المفارقة بين الإبداع والمتلقي: ٧.
٤٨. المفارقة وصفاتها: ٤٣.
٤٩. تحف العقول: ١٧٧.
٥٠. أنماط المفارقة في شعر أحمد مطر:٢٥٦.
٥١. بلاغة الامام الحسين بن علي عليه السلام دراسة وتحليل:١/ ٩٥.
٥٢. في الشعرية: كمال أبو ديب: ٩٤.
٥٣. بناء المفارقة (أدب ابن زيدون إنموذجاً): ١٣٣-١٣٤.
٥٤. ينظر المفارقة وصفاتها: ٧٨-٧٩.
٥٥. م.ن:٨١.
٥٦. حياة الحسين(عليه السلام): القريشي.٢/ ٢٥٧.
٥٧. المفارقة في النص الروائي (نجيب محفوظ) نموذجاً: حسن حماد:٨.
٥٨. بلاغة الإمام الحسين(عليه السلام): ٥٣.
٥٩. المفارقةفي الادب المسرحي العراقي المعاصر: ٣٩.

المصادروالمراجع

١. الاستعارة عند جاكسون- محورالانتقاء والتأليف سعيد الغانمي، مجلةالأقلام، مجلد٢٣، العدد٣، ١٩٨٨م.

٢. أنماط المفارقة في شعر أحمد مطر: د. حسن غانم فضالة، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، العدد١٠، كانون الثاني٢٠١٣م.

٣. بلاغة الإمام الحسين بن علي(عليه السلام)، (دراسة وتحليل)، السيدحسين ابوسعيدة الموسوي، ط١، مؤسسة عاشوراء ٢٠٠٤م.

٤. تأويلة الصورة المبنية على المشابهة (صورة الطلل/ الكتاب) إنموذجاً د. هشام القلفاط، ط ١، عالم الكتب الحديث، الاردن، ٢٠١٤م.

٥. تحف العقول عن آل الرسول صلّى الله عليهم. المؤلّف: أبومحمّد الحسن بن عليّ بن الحسين بن شُعبة الحَرّانيّ، ط٥، مؤسّسة الأعلميّ، بيروت ١٣٩٤ هـ -١٩٧٤ م.

٦. الحسن والحسين (ابنا علي بن أبي طالب) ،محمد رضا، ط/ القاهرة.

٧. حياة الإمام الحسين بن علي، القريشي: باقرشريف القرشي، ط، النجف.

٨. حياد السارد والرؤية المفارقة (قراءة في رواية Iattentat لياسمينة خضرة: أبن صالح نوال، مجلةكلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد٧، ٢٠١٠م.

٩. شعرية القصيدة العربية المعاصرة (دراسةأسلوبية) د. محمد العياشي كنوني، ط، عالم الكتب الحديث، أربد الأردن، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

١٠. شعرية المفارقة بين الابداع والتلقي، نعيمة سعدية، لمجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية/ جامعة محمد خضير- بسكرة (الجزائر)، ٢٠٠٧م.

١١. فن القص في النظريةوالتطبيق: د. نبيلة إبراهيم، مجلة فصول، القاهر، المجلدالسابع، العدد ٣-٤/ ١٩٨٧م.

١٢. في الشعرية، كما ل أبوديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ١٩٧٨م.

١٣. كشف الغمة في معرفة أحوال الأمة/ الأربلي، أبو الحسن بن علي بن عيس أبن أبي الفتح الأربلي المتوفي/ ٦٩٣/ ط/ النجف.

١٤. مصطلح المفارقة والتراث البلاغي العربي والقديم د. محمد سالم قريميدة، قسم اللغة العربية- كلية التربية أبي عيس/ جامعة الزاوية، المجلة الجامعة/ العدد السادس عشر، المجلد الأول، فبراير-٢٠١٤م.

١٥. المفارقة القرآنية: محمد العبد، دارالفكرالعربي، القاهرة، ١٩٩٤م.

١٦. المفارقة في الأدب المسرحي العراقي المعاصر: أثير محسن غافل الهاشمي، رسالة ماجستير، كلية التربية / جامعة القادسية،٢٠١٢ م.

١٧. المفارقة في الشعر الجاهلي، ملاذ ناطق‌علوان، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات/ جامعة بغداد، ٢٠٠٤م.

١٨. المفارقة في القرآن الكريم: أسعد مكي، رسالة ماجستير، كليةالتربية/ صفي الدين الحلي/ جامعة بابل، ٢٠١٠م.

١٩. المفارقة في النثر العباسي: د. صالح بن عبد الله الخضري، مجلة جامعة أم القرى العلوم اللغات وآدابها، العدد٩ نوفمبر٢٠١٢م، محرم ١٣٣٤هـ.

٢٠. المفارقة في النص الروائي (نجيب محفوظ إنموذجاً) حسن حماد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط ٢٠٠٥م.

٢١. المفارقة في النص العربي: سيزا قاسم، مجلة فصول القاهرة، المجلد٢، العدد٢، ١٩٨٢م.

٢٢. المفارقة في شعر مظفر النواب، صلاح نجيب. رسالة ماجستير، كليةالتربية، جامعة السليمانية،٢٠١٠م.

٢٣. المفارقة والأدب (دراسات في النظرية والتطبيق)،خالد سليمان، دار الشرق للنشر، عمان الأردن، ١٩٩٩م.
٢٤. المفارقة وصفاتها: ديسي-ميويك، تر: د. عبد الواحد لؤلؤة موسوعة المصطلح النقدي، المؤسسة للدراسات والنشر، ١٩٩٣م.
٢٥. مقتل الحسين: المقرم السيد عبد الرزاق المقرم، ط/ بيروت.

الانتفاضة الحسينية وتحرير الناس من الاستبداد والاستعباد

ثورة الحسين (عليه السلام) درعٌ حصينٌ صان المسلمين من جور بني أمية وعبوديتهم

HUSSEINIST INSURRECTION AND LIBERATION PEOPLE FROM DESPOTISM AND SLAVERY

أ.م. جواد ورعي

باحث ومدرس في الحوزة العلمية بقم المقدسة ومعهد دراسات الحوزة والجامعة

Asst.Prof. Jawad War`ai`' Scientific Hawza ' Qum and the Institute of University and Hawza Studies .

ملخص البحث

إنّ ثورة سيّد الشهداء الإمام الحسين بن عليّ (عليه السلام) هي ردّة فعلٍ تجاه السياسة الأموية التي كانت واقعاً مريراً في التأريخ الإسلامي، فالأمويون جعلوا السلطة والمنافع الشخصية هدفين أساسيين لهم ولم يتوانوا عن ارتكاب أيّ فعلٍ يضمن لهم ذلك.

الأصول التي ارتكزت عليها حكومة الأمويين والتي بادر معاوية بن أبي سفيان إلى تطبيقها بشكلٍ عمليٍّ طوال عشرين عاماً من سلطته الجائرة، اضطرّت سليل العترة النبوية لأن يتصدّى لها وينتفض ضدّها بغية إنقاذ دين الله والأمّة الإسلامية حتّى وإن كلّفه ذلك تجرّع كأس الشهادة وسبي آل بيته.

لقد ثار الإمام الحسين (عليه السلام) ضدّ حكومة بني أمية في فترةٍ حسّاسةٍ بعد أن أدرك أنّهم يرومون تحويل الخلافة الإسلامية إلى حكومةٍ وراثيةٍ ومسخ الدين الإسلامي الفتي وإحياء الفكر الجاهلي من جديدٍ، وعلى أساس أهدافه السامية التي طمح إلى تحقيقها تمكّن من إنقاذ الإسلام والأمّة الإسلامية وعلّم البشرية بأسرها مبادئ الحرّية والصدق والتديّن والأمانة. ومن هذا المنطلق فقد قام الباحث في هذه المقالة بتسليط الضوء على واقع السياسة الأموية والأهداف الحسينية بشكلٍ مبسوطٍ معتمداً في ذلك على الشواهد التأريخية.

Abstract

The Husseinist revolution takes response to the dire circumstances the Umayyads impose on people ، they pant only after scepter and mundanity and take all means and atrocities to maintain such targets. The policies Mu`aweia reverts into are of cruelty and injustice for twenty years ، the immaculate bevy ، Ahlalbayt، finds no way but to confront such abomination to save Islam and religion at all costs ; martyrdom is the price the infallibles pay throughout ages. However the Imam Al-Hussein revolts against the Umayyads and their intention to mar both Islam and religion in a way to take seizure of authority forever.، hence the research endeavours to shed light on such facts and depends on history to buttress his opinion .

أصول سياسة بني أمية

وصف النبي الأكرم (صلّى الله عليه وآله) أوضاع المسلمين عند تولّي بنى أمية زمام الأمور بعبارةٍ قصيرةٍ نافذة المعنى، حيث قال: «**اذا بلغ بنو ابى‌العاص ثلاثين رجلاً اتخذوا دين الله دخلاً وعباد الله خولاً ومال الله دولاً**»[1]

وبالفعل، فقد أثبت الأمويون انحرافهم هذا قولاً وفعلاً، إذ بذل معاوية وعمّاله كلّ ما بوسعهم لإخضاع الناس لرغباتهم ولم يتوانوا عن فعل شيءٍ يضمن لهم تحقيق هذا الهدف، فسياسة معاوية، زملائه و عمّاله قد ارتكزت بشكلٍ أساسيٍّ على تلك المحاور الثلاثة التي ذكرت في الحديث الشريف والذي يمكن اعتباره إخباراً بالغيب، لذلك لم يجد الإمام الحسين (عليه السلام) بدّاً إلا الانتفاض على هذه الأوضاع المزرية وإصلاح واقع المجتمع الإسلامي.

١. الاستبداد الديني وخداع الرأي العام

إحدى الخصوصيات الأساسية التي اتّصف بها حكم الأمويين تمثّلت في التعدّي على الحرمات الدينية، فقد أثاروا البدع واستحلّوا الحرام وحرّموا الحلال واشتروا ضمائر مرتزقة البلاط لوضع الحديث خدمةً لمآربهم الخاصّة وتقريعاً للعلويين، كما بادروا إلى سبّ الإمام عليّ (عليه السلام) ولعنه على المنابر وفي جميع المناسبات العامّة. ويمكن تلخيص إجراءاتهم الشيطانية بالعبارة التالية: لقد جعلوا الدين مجرّد وسيلةٍ للاستحواذ على السلطة والتشبّث بها.

التأريخ الإسلامي يزخر بأفعالٍ كثيرةٍ من هذا القبيل وهي جليةٌ بشكلٍ يجعلنا في غنىً عن ذكر نماذج كشواهد عليها، ولكن نقول على سبيل المثال إنّ الوضّاع أبو هريرة قد نقل أحاديث يفوق عددها جميع تلك الأحاديث المروية عن الخلفاء الراشدين والسيّدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) والإمامين الحسن والحسين (عليهما السلام) وجميع نساء النبيّ (صلّى الله عليه وآله)![2] ومن جملة الصحابة الذين أقدموا على وضع الحديث في تلك الآونة، عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة؛ وعروة بن الزبير هو أحد التابعين الذين لم يتورّعوا عن ذلك.[3]

قال شارح نهج البلاغة ابن أبي الحديد المعتزلي في هذا الصدد:

«فقرئت كتبه(معاويه) على الناس، فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة، لا حقيقة لها، وجد الناس في رواية ما يجري هذا المجرى، حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر، وألقي إلى معلمي الكتاتيب، فعلموا صبيانهم و غلمانهم من ذلك الكثير الواسع، حتى رووه و تعلموه كما يتعلمون القرآن، و حتى علموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم، فلبثوا بذلك ما شاء الله.»[4]

* نماذج على مكر بني أمية:

ـ روي انّ عمرو بن العاص قال لعائشة: لوددت انّك قتلت يوم الجمل، فقالت: و لم لا أباً لك؟ قال: كنت تموتين بأجلك و تدخلين الجنة و نجعلك أكبر التشنيع على عليّ.[5]

– كتب معاوية نسخة واحدة إلى عمّاله بعد عام الجماعة: «أن برئت الذمة ممّن روى شيئا من فضل أبي تراب و أهل بيته»؛ فقامت الخطباء في كل كورة و على كل منبر يلعنون عليا ويبرئون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته وكان أشد الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي (عليه السلام).[6]

ـ كتب ايضاً إِلَى عُمَّالِه نُسْخةً وَاحدةً إِلى جمِيع الْبُلْدَانِ: «انْظُرُوا مَنْ قَامَتْ عَلَيْهِ الْبَيِّنَةُ أَنَّهُ يُحِبُّ عَلِيّاً وَأَهْلَ بَيْتِهِ فَامْحُوهُ مِنَ الدِّيوَانِ وَلَاتُجِيزُوا لَهُ شَهَادَةً ثمَّ كَتَبَ كِتَاباً آخَرَ مَنِ اتَّهَمْتُمُوهُ وَلَمْ تَقُمْ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ [أَنَّهُ مِنْهُمْ]»[7]

ـ احتجاج الامام الحسين (ع) على معاوية توبيخاً له على قتل من قتله من شيعة أمير المؤمنين وَقَالَ فِي جَوَابِ كِتَابٍ كَتَبَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةُ:

«أَ لَسْتَ قَاتِلَ حُجْرِ بْنِ عَدِيٍّ أَخِي كِنْدَةَ وَأَصْحَابِهِ الصَّالِحِينَ...؟! أَ وَلَسْتَ قَاتِلَ عَمْرِو بْنِ الْحَمِقِ صَاحِبِ رَسُولِ اللهِ الْعَبْدِ الصَّالِحِ؟! أَ وَلَسْتَ الْمُدَّعِيَ زِيَادَ بْنَ سُمَيَّةَ،... ثُمَّ سَلَّطْتَهُ عَلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ فَقَطَعَ أَيْدِيَ الْمُسْلِمِينَ وَأَرْجُلَهُمْ وَسَمَلَ أَعْيُنَهُمْ وَصَلَبَهُمْ عَلَى جُذُوعِ النَّخْلِ، كَأَنَّكَ لَسْتَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَ لَيْسُوا مِنْكَ؟! أَ وَلَسْتَ صَاحِبَ الْحَضْرَمِيِّينَ الَّذِينَ كَتَبَ إِلَيْكَ فِيهِمُ ابْنُ سُمَيَّةَ أَنَّهُمْ عَلَى دِينِ عَلِيٍّ وَرَأْيِهِ فَكَتَبْتَ إِلَيْهِ اقْتُلْ كُلَّ مَنْ كَانَ عَلَى دِينِ عَلِيٍّ (عليه السلام) وَرَأْيِهِ فَقَتَلَهُمْ؟!»[٨]

ثمّ ذكّره بأنّه وأجداده ليس لديهم أيّ شرفٍ سوى الإسلام، حيث قال:

«وَلَوْلَا ذَلِكَ لَكَانَ أَفْضَلَ شَرَفِكَ وَشَرَفِ أَبِيكَ تَجَشُّمُ الرِّحْلَتَيْنِ اللَّتَيْنِ بِنَا مَنَّ اللهُ عَلَيْكُمْ فَوَضَعَهُمَا عَنْكُم»[٩]

– عن علي بن الحسين (عليه السلام) قال: قال لي مروان: ما كان في القوم أدفع عن صاحبنا من صاحبكم، قلت: فما بالكم تسبونه على المنابر؟ قال: إنه لا يستقيم لنا الأمر إلا بذلك.[١٠]

وأمّا عمر بن عبد العزيز فقد أشار إلى التعدّي على حرمة الإمام عليّ (عليه السلام) في عهد خلافة أبيه، ووصف ذلك بالقول:

كنت أحضر تحت منبر المدينة وأبي يخطب يوم الجمعة وهو حينئذ أمير المدينة فكنت أسمع أبي يمرّ في خطبه تهدر شقاشقه حتى يأتي إلى لعن علي(عليه السلام) فيجمجم ويعرض له من الفهاهة والحصر ما الله عالم به، فكنت أعجب من ذلك، فقلت له يوما: يا أبت! أنت أفصح الناس وأخطبهم فما بالي أراك أفصح خطيب يوم حفلك حتى إذا مررتَ بلعن هذا الرجل، صرت ألكن علياً؟ فقال: يا بنيّ! إن من ترى تحت منبرنا من أهل الشام وغيرهم لو علموا من فضل هذا الرجل، ما يعلمه أبوك لم يتّبعنا منهم أحد.[١١]

ومن هنا قرّر عمر بن عبد العزيز اجتثاث هذه السنّة الخبيثة فور تولّيه زمام الأمور.

وقال عمر بن عبد العزيز: «فأعطيت الله عهداً لئن كان لي في هذا الأمر نصيبٌ، لأغيّرنّه فلمّا منّ الله عليّ بالخلافة أسقطت ذلك»[١٢]إلا أنّ الناس اعتقدوا بأنّه ارتكب معصيةً كبرى باتّخاذه هذا القرار.[١٣]

٢ . استعباد الناس

الميزة الأخرى التي اتّصف بها حكم الأمويين هي أنّهم اعتبروا الناس عبيداً لهم، حيث اتّخذوا (**عباد الله خولاً**) كما قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله).

الإمام الحسين (عليه السلام) هو الآخر وصف عهد حكمهم الجائر بكلامٍ يشابه ما قاله جدّه النبيّ الأكرم (صلّى الله عليه وآله) للخواصّ من صحبه، حيث أنّب الحاضرين في اجتماعٍ عقد بمنى إبّان السنوات الأخيرة من حياة معاوية بن أبي سفيان، وخاطبهم بالقول:

«... فاسلمتم الضعفاء فى ايديهم فمن بين مستعبد مقهور وبين مستضعف على معيشة مغلوب ... والناس لهم خَوَلٌ لايدفعون يد لامسٍ، فمن جبّار عنيد وذى سطوة على الضعفة شديد، ومطاع لايعرف المبدىء والمعيد»[١٤] **و** [١٥]

يكون «خَوَل» بمعنا «العبيد والاماء»،[١٦] بل «النَّعَم».[١٧]إنّ كلمة (خول) تدلّ على شدّة المصيبة التي ألـمّت بالمجتمع الإسلامي في العهد الأموي، فقد ذكرت من قبل النبيّ (صلّى الله عليه وآله) وسبطه الحسين (عليه السلام) للدلالة على أنّ بني أمية جعلوا الناس عبيداً لهم وخدماً كالبهائم التي تسخّر للخدمة فحسب. وهناك شعرٌ منسوبٌ للإمام الحسين (عليه السلام) يشير إلى هذا الأمر أيضاً، وهو:

«وقعنا فى الخطايا والبلايا وفى زمن انتقاض واشتباه
تفانى الخير والصلحاء ذلّوا وعزّ بذلّهم اهل السّفاه

وباء الآمرون بكلّ عرفٍ فما من منكر فى الناس فاه
و صار الحرّ للمملوك عبداً فما للحرّ من مَدرٍ وجاه
فهذا شغله طمعٌ وجمعٌ وهذا غافلٌ سكران لاه»[١٨]

ومن الجدير بالذكر هنا أنّ نقد بني أمية والاعتراض على تصرّفاتهم الهوجاء لم يقتصر على العلماء المسلمين فحسب، بل إنّ بعض المستشرقين الذي اطّلعوا على التأريخ الإسلامي انتقدوهم وقالوا إنّهم صنّفوا المجتمع إلى ثلاث طبقاتٍ، هي:

الطبقة الأولى: الحكّام الذين ينحدرون من أصول عربية.

الطبقة الثانية: الموالي والعتقاء.

الطبقة الثالثة: أهل الذمّة (أهل الكتاب).

وقد اعتبر معاوية أهل الذمّة والقبطيين في مصر بأنّهم حيواناتٍ،[١٩] والسياسة العنصرية التي اتّبعها هذا الرجل تتعارض بالكامل مع التعاليم الإسلامية السمحاء التي تؤكّد على وجوب إقامة العدل والمساواة بين الناس من قبل الحكّام، ومن جملة الشواهد التأريخية التي تثبت انحرافه عن هذه التعاليم السمحاء كتابه إلى زياد بن أبيه الذي كان عاملاً له على الكوفة آنذاك، حيث جاء فيه:

«انظر الى الموالى ومن أسلم من الأعاجم فخذهم بسنّة ابن الخطّاب، فانّ في ذلك خزيهم وذلّهم أن ينكح العرب فيهم ولا ينكحونهم وأن يرثوهم العرب ولا يرثوهم العرب، وأن يقصر بهم في عطائهم وأرزاقهم وأن يقدموا في المغازي يصلحون الطريق ويقطعون الشجر، ولا يؤمّ أحد منهم العرب ولا يتقدّم أحد منهم في الصف الأول اذا أحضرت العرب الّا أن يتمّ الصف، ولا تولّ أحدا منهم ثغرا من ثغور المسلمين ولا مصراً من أمصارهم، ولا يلي أحد منهم قضاء المسلمين ولا أحكامهم فانّ هذه سنّة عمر فيهم وسيرته ...، الى قوله: فاذا جاءك كتابي هذا فأذلّ العجم وأهنهم واقصهم ولا تستعن بأحد منهم ولا تقض لهم حاجة»[٢٠]

روى أبو الحسن علي بن محمد بن أبي سيف المدائني في كتاب الأحداث: انه كتب إلى عمّاله في جميع الآفاق: «ألا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة وكتب إليهم أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبّيه وأهل ولايته والذين يروون فضائله ومناقبه فادنوا مجالسهم وقربوهم وأكرموهم واكتبوا لي بكل ما يروي كلّ رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته»[٢١]

السلوك الذي اتّبعه معاوية وحاشيته وعمّاله في تعاملهم مع الناس يثبت بضرسٍ قاطعٍ أنّهم لم يعيروا أدنى أهمّيةٍ لهم، وأنّ شغلهم الشاغل هو الاستحواذ على السلطة وجني الأموال الطائلة وعيش حياة البذخ والرفاهية، كما أنّهم لم يدفعوا شيئاً من بيت المال لشخصٍ أو لفئةٍ معيّنةٍ إلا لتكميم الأفواه وتطميع الناس، أو أنّهم كانوا يدفعون بعض أموال المسلمينبمقدارٍ يسكت الناس ويجعلهم في غنى عن التفكير في قضايا الحكم والسياسة.

الأوضاع التي أشاعها بنو أمية في المجتمع الإسلامي كانت تنصبّ لخدمة مآربهم الخاصّة بحيث إنّ الشخص الذي لا ينخدع بأكاذيبهم ولا يلتزم جانب الصمت خوفاً من تهديدهم أو طمعاً في عطاياهم، فهو لا يجرؤ على الإدلاء برأيه ولا يمكنه أداء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باستثناء أولئك التحرّرين الذين كانوا مستعدّين للتضحية بأرواحهم من أمثال أبي ذر الغفاري وحجر بن عدي والمقداد ومالك الأشتر، كما أنّ بعض الشخصيات التي كانت تلهث وراء حطام الدنيا والحصول على المال والسلطة فيها اعترضت على حكم بني أمية، مثل سعد بن أبي وقّاص ومن حذا حذوه، وقد كانت نتيجة هذه الاعتراضات هي النفي أو السجن أو القتل، لأنّ الحكّام الأمويين كانوا يخشون غاية الخشية من صحوة الشعب وانتفاضه ضدّهم.

لقد أضحى الناس في تلك الحقبة المظلمة عبيداً للأمويين، وكان القتل مصير كلّ من ينتقدهم أو يعارضهم، فحكمهم كان مصداقاً لسيادة الشرّ حيث بادروا إلى نهب الأموال العامّة الأمر الذي كان يثير اعتراض أبرز صحابة النبيّ(صلّى الله عليه وآله).

• اغتيال المنتقدين والمعترضين

الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري كان يتمنّى الموت إثر ما لاحظه من انحرافٍ عظيمٍ في حكم الأمويين الجائر، حيث أثاروا البدع ونهبوا بيت المال وخالفوا السنّة النبوية واتّهموا أهل الحقّ وهمّشوا النخبة الاجتماعية، لذلك اعترض عليهم وعانى من ضغوطاتٍ جمّةٍ حيث استدعي إلى المدينة وتمّ نفيه إلى صحراء الربذة بأمرٍ من الخليفة الثالث، وبقي هناك حتّى التحق بالرفيق الأعلا.[٢٢] كان هذا الرجل العظيم يحذّر الناس من البدع التي يروّج لها أهل الضلال وطلب منهم أن يتصدّوا لها حتّى وإن تعرّضوا للتعذيب والحرمان والنفي.[٢٣]

الصحابي الجليل حجر بن عدي وأصحابه تجرّعوا كأس الشهادة بتهمة معارضة بدع بني أمية وتطبيق السنّة النبوية ولا سيّما على صعيد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومن هذا المنطلق بعث الإمام الحسين (عليه السلام) كتاباً إلى معاوية خاطبه فيه قائلاً:

«الست قاتل حجر واصحابه العابدين المخبتين الذين كانوا يستفظعون البدع ويأمرونبالمعروف وينهون عن المنكر؟ فقتلتهم ظلماً وعدواناً من بعد ما اعطيتهم المواثيق الغليظة والعهود المؤكدة جرأة على الله واستخفافاً بعهده»[٢٤]

*** البيعة لعبودية يزيد**

نذكر في ختام هذا المبحث نموذجاً تأريخياً حول ما فعله الأمويون في عهد سلطة يزيد بن معاوية كي يتّضح للقارئ الكريم مدى سخف معتقداتهم وواقع تعاملهم السيّئ مع الناس، وذلك بالتحديد بعد قيام أهل المدينة ضدّه بعد واقعة عاشوراء سنة ٦٣هـ: فلما قدم جيش الحرة إلى المدينة وعلى الجيش مسلم بن عقبة المري أباح المدينة ثلاثا واستعرض أهلها بالسيف جزرا كما يجزر القصاب الغنم حتى ساخت الأقدام في الدم وقتل أبناء المهاجرين والأنصار وذرية أهل بدر وأخذ البيعة ليزيد بن معاوية على كل من استبقاه من الصحابة والتابعين على أنه عبد قنّ لأمير المؤمنين يزيد بن معاوية، هكذا كانت صورة المبايعة يوم الحرة.[٢٥]

وقد أكّد المؤرّخون على أنّ مصير كلّ من امتنع عن هذه البيعة القتل بقطع الرأس لا محالة،[٢٦] وعلى هذا الأساس فإنّ حكومة يزيد لم تأخذ البيعة من الناس كميثاقٍ للمواطنة واتّباع القوانين الحكومية، بل كانت البيعة تؤخذ منهم بصفتهم عبيداً لهذا الطاغية.

*** حكومة الشرّ ونهب بيت المال**

ثالث خصوصيةٍ اتّصفت بها حكومة بني أمية هي سعيها لتهميش النخبة الاجتماعية وإيكال الأمور إلى الأشرار والقتلة الذين تمكّنوا من التسلّط على أرواح الناس وأموالهم وأعراضهم، وبطبيعة الحال فإنّ هؤلاء المنحرفين لا يتورّعون بتاتاً عن نهب ممتلكات بيت مال المسلمين لإنفاقها على فسقهم ومجونهم ولاتّخاذها وسيلةً في ترسيخ أُسس حكمهم الجائر.

من جملة مساعي معاوية الماكرة، هو أنّه في عهد خلافة الإمام عليّ (عليه السلام) بذل قصارى جهوده لإشاعة الفوضى في المجتمع وتجريده من الأمن والطمأنينة، لذلك اشترى أصحاب بعض الضمائر الضعيفة واستأجرهم لنهب أموال الناس وإثارة الفتن والاضطرابات في مختلف المدن الإسلامية، كما أنّه حينما اغتصب الخلافة قمع معارضيه أشدّ قمعٍ وخاض هو وزمرته وعمّاله في شتّى أنواع الفسق والفجور بعد أن نهبوا بيت المال.

تمكّن الأمويون من إخضاع الكثير من قادة العسكر وأصحاب المناصب عن طريق الذهب والفضّة، كما أنّهم أغروا

بعض الشخصيات عبر تطميعها بالمناصب الحكومية، واشتروا الكثير من الضمائر بأموال المسلمين التي أنفقوها دون قيد ولا ضابطة؛ لذلك طالما وبّخهم الإمام الحسين (عليه السلام) على هذه التصرّفات الهوجاء، فقد جاء في أحد كتبه إلى معاوية ما يلي:

«أَ وَلَسْتَ الْمُدَّعِيَ زِيَادَ بْنَ سُمَيَّةَ، الْمَوْلُودَ عَلَى فِرَاشِ عُبَيْدِ عَبْدِ ثَقِيفٍ فَزَعَمْتَ أَنَّهُ ابْنُ أَبِيكَ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ الله الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ، فَتَرَكْتَ سُنَّةَ رَسُولِ الله وَاتَّبَعْتَ هَوَاكَ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ الله، ثُمَّ سَلَّطْتَهُ عَلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ فَقَطَعَ أَيْدِيَ الْمُسْلِمِينَ وَأَرْجُلَهُمْ وَسَمَلَ أَعْيُنَهُمْ وَصَلَبَهُمْ عَلَى جُذُوعِ النَّخْلِ كَأَنَّكَ لَسْتَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَلَيْسُوا مِنْك»[٢٧]

* الإمام يتصدّى للاستبداد الأموي

بعد أن استعرضنا واقع الظروف التي سادت في المجتمع الإسلامي إبّان العهد الأموي، اتّضحت لنا إلى حدٍّ ما تلك الظروف القاسية التي واجهها الإمام الحسين (عليه السلام)، وفي خضمّ هذه الأوضاع المزرية فلا أحد كان قادراً على التصدّي لهذا الحكم الجائر إلا من كان حرّاً وشغله الشاغل هو رفع كلمة الله وإنقاذ المظلومين والمضطهدين؛ لذلك أعلن سبط الرسول اعتراضه قولاً وكتابةً، ثمّ انتظر الفرصة المؤاتية للثورة ضدّ الجور والطغيان.

لا ريب في أنّ سيّد الأحرار لم يطمع يوماً بالاستحواذ على السلطة ولم يجعل هدفه تولّي مقام الرئاسة والتسلّط على الناس، بل إنّ نفسه الطاهرة السامية تترفّع عن التفكير في هذه الأمور الزائلة، والأدلّة على هذه الحقيقة كثيرةٌ لا مجال لتفصيلها هنا، ولكن نذكر أحدها كمثالٍ فحسب. في حرب صفّين سعى الأمويون إلى التنصّل من عدالة عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) والإفلات من حزمه في إحقاق الحقّ وإقامة شريعة الله تعالى، فبادروا إلى تطميع الإمام الحسين (عليه السلام) بأن يعيّنوه خليفةً للمسلمين ويأخذوا البيعة له بعد إزاحة والده عنها. هذا الاقتراح بكلّ تأكيدٍ كان ليغري المغرّرين بالسياسة والمتعطّشين للسلطة، لكنّ سيّد الأحرار رفضه رفضاً قاطعاً الأمر الذي ينمّ عن زهده وورعه فضلاً عن دلالته على عصمته وحنكته ووعيه في التعامل مع الأعداء.

كان الإمام الحسين (عليه السلام) يتألّم ممّا فعله بنو أمية من أعمال قبيحة تمثّلت في تشويش أفكار الناس وتدنيس فطرتهم السليمة وتسخيرهم لمآربهم الخاصّة، ومن جملة ما قاله ما يلي:

«اللهمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَا كَانَ مِنَّا تَنَافُساً فِي سُلْطَانٍ وَلَا الْتِمَاساً مِنْ فُضُولِ الْحُطَامِ ولكِنْ لِنُرِيَ الْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ وَنُظْهِرَ الْإِصْلَاحَ فِي بِلَادِك وَيَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ وَيُعْمَلَ بِفَرَائِضِكَ وسُنَنِكَ وأَحْكَامِكَ، فَإِنْ لَمْ تَنْصُرُونَا وتُنْصِفُونَا قَوِيَ الظَّلَمَةُ عَلَيْكُمْ وعَمِلُوا فِي إِطْفَاءِ نُورِ نَبِيِّكُمْ وحَسْبُنَا الله وعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا وإِلَيْهِ أَنَبْنَا وإِلَيْهِ الْمَصِير»[٢٨]

رغم الحزن البالغ الذي انتاب الإمام الحسين (عليه السلام) بعد اضطرار أخيه الإمام الحسن (عليه السلام) للموافقة على الصلح مع معاوية الذي استحوذ على مقاليد الحكم، لكنّه أيّد هذا الصلح من منطلق طاعته لإمام زمانه الذي تعامل مع الأمور بواقعيةٍ واضطرّ لقبول الهدنة مع هذا الطاغية والالتزام بما تمّ الاتفاق عليه؛ لذلك أوصى كلّ من اعترض على الصلح بالصبر ومسايرة الأوضاع ما دام معاوية حياً.[٢٩] كما أنّ أهل الكوفة حينما قدّموا له تعازيهم بعد شهادة الإمام الحسن (عليه السلام) وأعلنوا عن استعدادهم للثورة ضدّ معاوية، منعهم من ذلك وطلب منهم عدم اتّخاذ أيّ إجراءٍ علنيٍّ وترك كلّ فعلٍ متسرّعٍ ما دام ابن هندٍ على قيد الحياة، وقال لهم إن أبقاه الله تعالى حياً بعد هلاك هذا الطاغية،حينها سيخبرهم برأيه في هذا الصدد.[٣٠]

لقد كان سبط الرسول قلقاً من أن تجاهل الناس حقّ أهل البيت (عليهم السلام) في الخلافة قد ينتج عنه إضفاء الشرعية

لحكومات الجور الغاصبة، ومن ناحيةٍ أخرى كان يشعر بالاستياء من تلاعب بني أمية بالتعاليم والأحكام الإسلامية سعياً منهم للقضاء عليها لأنّ الإسلام بالنسبة إليهم لم يكن سوى وسيلةٍ للاستحواذ على السلطة والاحتفاظ بها وتحويلها إلى حقٍّ وراثيٍّ بين ذراريهم، حيث لم يتوانوا عن فعل شيءٍ من شأنه إضلال الناس وخداعهم وإضفاء الشرعية على حكومتهم الباطلة التي اغتصبوها ظلماً وعدواناً، وبالطبع فالسبيل الوحيد لهذه المشروعية المبتدعة هو أخذ البيعة من أهل البيت (عليهم السلام) والصحابة الخلّص. ومن هذا المنطلق بذل معاوية بن أبي سفيان جهوداً حثيثةً طوال عشر سنواتٍ بعد شهادة الإمام الحسن (عليه السلام) بغية أخذ البيعةمن أبرز الشخصيات في المدينة المنوّرة لابنه يزيد، حتّى إنّه ضغط على عبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن الزبير بن العوّام، والأهمّ من ذلك أنّه سعى إلى أخذها من الإمام الحسين (عليه السلام) الذي كان الصاحب الشرعي لها.

من المؤكّد أنّ عدم بيعة هذه الشخصيات البارزة كانت تعني تجريد الحكم الأموي من مشروعيته، لذلك عندما عجز معاوية عن كسب تأييدها لجأ إلى المكر والسيف، ومن ثمّ بادر إلى استدعاء من يريد أخذ البيعة منهم في مسجده تحت إشراف رجالٍ مدجّجين بالسلاح ليعلن كذباً عن موافقتهم على بيعة ابنه يزيد؛[٣١] وعلى هذا الأساس أضفى الشرعية المزعومة على حكومة ابنه العاجز الفاسق بالمكر والتهديد.

وعلى الرغم من أنّ الإمام الحسين (عليه السلام) اعتبر حكومة معاوية بأنّها أعظم الفتن والمفاسد التي شهدها العالم الإسلامي بحيث وصفها في أحد مكاتيبه إلى هذا الطاغية بالقول: «**وانّى لا اعلم فتنة اعظم على هذه الامة من ولايتك عليها**»، ومع أنّه اعتبر الجهاد ضدّها أفضل الجهاد بقوله: «**ولا اعلم نظراً لنفسى ولدينى ولامة محمد(صلّى الله عليه وآله) علينا افضل من ان اجاهدك، فان فعلت فانهقربة الى الله**»، لكنّه كان يدرك غاية الإدراك أن لا فائدة من الثورة ضدّ هذا الطاغوت الماكر ومحاربة نظامه الجائر في تلك الآونة؛ لكنّ الإمام (عليه السلام) لم يطق رؤية دين الله وهو على وشك الانهيار في ظلّ الانحراف الذي طال أمر الخلافة، لذلك قال: «**وعلى الاسلام السلام اذ قد بليت الامّة براعٍ مثل يزيد**»

يمكن تلخيص أهمّ النتائج السلبية التي تمخّضت على تولّي يزيد لزمام الأمور في الموردين التاليين:

أوّلاً: تزعّم المسلمين حاكمٌ فاسدٌ غير كفوءٍ. «**يزيد رجل فاسق شارب خمر، قاتل النفس المحرّمة، معلن بالفسق**»[٣٢]

ثانياً: تحوّلت الخلافة الإسلامية إلى حكومةٍ ملكيةٍ موروثةٍ، وهو أمرٌ أكثر خطورة من المورد الأوّل؛ لذلك اعترض الكثير من المسلمين على ذلك وبمن فيهم عبد الرحمن بن أبي بكر الذي أحسّ بهذا الخطر المحدق بالإسلام والأمّة الإسلامية فاعترض على معاوية وأعوانه وأنّبهم لكونهم يكذبون في زعم أنّهم يشفقون على أمّة النبيّ محمّد (صلّى الله عليه وآله)، وقال لهم إنّكم تريدون العمل بسنّة الروم الذين يولّون هرقلاً آخر بعد هلاك هرقلهم، حيث تريدون تحويل الخلافة إلى حكمٍ ملكيٍّ موروثٍ، فقال: «**كذبتَ والله يا مروان وكذب معاوية، ما الخيار اردتما لامّة محمد ولكنكّم تريدون ان تجعلوهاهرقلية كلّما مات هرقل قام هرقل**»[٣٣]

أبرز رموز المسلمين وعلى رأسهم الإمام الحسين (عليه السلام) عارضوا هذا الطلب اللامشروع من قبل معاوية وانتفضوا ضدّه بصفته بدعةً خطيرةً تهدّد كيان المجتمع الإسلامي، لكنّهم لم يتّخذوا هذا القرار على أساس دافعٍ موحّدٍ.

مبادئ الثورة الحسينية وأهدافها

ان الامام(ع) بسبب فهمه السياسة الاموية والشعور بالخطر من استمرار سياستهم في "قلب الخلافة الإسلامية بالملكية الموروثة الاستبدادية" قام لاصلاح المجتمع وحفظ الامة الإسلامية واحياء القيم الدينية والأخلاقية، والمعارضة مع

السياسة الأموية في «قلب الاسلام»، و"تحول المجتمع الاسلامي"، ومعقتله واصحابة علّم للأمة الإسلامية وغيرها من امم دروس"الحرية"، "الصدق والإخلاص" و"الصدق والنزاهة". من الأحداث التي وقعت خلال الانتفاضة، وتصريحاته، يمكن أن يكون "مبادئ الثورة الحسينية و اهدافها" من النحو الآتي:

١. تحرير الناس من العبودية والاستعباد

الإمام الحسين (عليه السلام) كان يراوده هاجسٌ حول تحرير البشرية من قيود عبودية الحكّام الطغاة وأصحاب الثروات، وقد كان على علمٍ بواقع السياسة الأموية المنحرفة لذلك حينما وجد الفرصة مؤاتيةً لانتشال الناس من حبائل هذا الحكم الجائر، رفع راية الجهاد والدفاع عن الحقّ والمظلوم، فهو نشأ وترعرع في مدرسة أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) الذي قال لابنه: «**يا بنيّ! لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرّا**»[٣٤]

الكاتب الشهير عباس محمود العقّاد بعد أن نقل كلام الإمام الحسين (عليه السلام) وهو في سنّ الثالثة والثلاثين عندما ودّع أبا ذر الغفاري لـمّا صدر قرار نفيه إلى الربذة، قال:

"وكان يومئذٍ في نحو الثلاثين من عمره، فكأنّما أودع هذه الكلمات شعار حياته كاملةً منذ أدرك الدنيا إلى أن فارقها في مصرع كربلاء".[٣٥]وكلام الإمام الحسين (عليه السلام) هو:

«**يا عمّاه، ان الله تعالى قادرٌ ان يغيّر ما قدترى واللهّ كلّ يوم فى شأن وقد منعك القوم دنياهم ومنعتهم دينك فما اغناك عمّا منعوك واحوجهم الى ما منعتهم! فاسئل الله الصبر والنصر واستعذ به من الجشع و الجزع، فان الصبر من الدين والكرم وان الجشع لا يقدّم رزقاً والجزع لايؤخّر اجلاً**»[٣٦]

هذه المفاهيم السامية أشار إليها الإمام الكاظم (عليه السلام) أيضاً في وصيته لهشام، حيث نقلها عن جدّه الحسين (عليه السلام)، إذ أكّد على أنّ أولياء الله تعالى وأهل العلم والمعرفة يؤمنون بأنّ الله تبارك وتعالى يشمل بظلّه كلّ ما تشرق عليه الشمس وتغرب، وقال:

«**الاحرّ يدع هذه اللماظة لاهلها، ليس لانفسكم ثمنٌ الّا الجنّة فلا تبيعوها بغيرها، فانّه من رضى من الله بالدنيا فقد رضى بالخسيس**»[٣٧]

إنّ الإمام الحسين (عليه السلام) قد ثار على حكومة الظلم والاستبداد الأموية من منطلق هذه الرؤية للشخصية الإنسانية، وهو لم يكتف بتحرير نفسه وتنزيهها من كلّ أشكالالضلال والانحراف، بل حاول تنبيه الناس على واقعهم المرير وتخليصهم من قيود عبودية هذا الحكم الجائر وانتشالهم من مهاوي الحياة الدنيا؛ فحكومة بنو أمية استعبدت الناس وقيدتهم وجعلت هذا الأمر هدفاً لها. الناس في تلك الآونة كانوا بحاجةٍ إلى الخلاص من قيود الدنيا وتعلّقاتها المادّية فضلاً عن حاجتهم الماسّة للنجاة من القيود الشاقّة التي فرضها عليهم بنو أمية، ومن المؤكّد أنّ هذا الهدف لم يكن ليتحقّق إلا في رحاب التقوى والإعراض عن الأهواء النفسانية والتعلّقات الدنيوية؛ لذلك سعى الإمام الحسين (عليه السلام) لإعلامهم بقيمة الحياة والموت كي يتمكّنوا من تحرير أنفسهم والخلاص من قيود الاستبداد الأموي والتعرّف على قيمة الحياة الواقعية والقيم الإنسانية العليا.

قيس بن الأشعث – شقيق محمّد بن الأشعث الذي مكر بمسلم بن عقيل في الكوفة وسلّمه لعبيد الله بن زياد بعد أن منحه الأمان – طلب من الإمام الحسين (عليه السلام) أن يبايع بني أمية، لكنّه ردّ عليه قائلاً:

«لا والله لا اعطيهم بيدى اعطاء الذليل ولا اقرّ اقرار العبيد»[٣٨]

العلامة محمّد حسين النائيني ألّف كتاباً قيّماً تحت عنوان (تنبيه الأمّة وتنزيه الملّة) وذلك حينما تصدّى للحكومة القاجارية المستبدّة لأجل تنبيه الناس على رفض الإسلام للأنظمة الجائرة والمستبدّة وإعلامهم بأنّ نظام الحكم المشروع مشروطٌ بمراعاة أحكام الشريعة وحقوق الشعب وأنّ المسؤولين مكلّفون بهذا الأمر؛ وعلى هذا الأساس استشهد بعدّة آياتٍ قرآنيةٍ وبما فيها تلك الآيات التي تحدّثت عن قصّة فرعون وبني إسرائيل، كما ذكر أحاديث النبيّ (صلّى الله عليه وآله) والإمام عليّ (عليه السلام) وسلّط الضوء على سيرة الإمام الحسين (عليه السلام). ومن جملة ما دوّنه ما يلي: "سيّد المظلومين (عليه السلام) اعتبر تمكين بني أمية من تولّي زمام الأمور ذلاً وعبوديةً، وردّ على أرجاس وأراذل الكوفة الذين قالوا له (إنزل على حكم ابن عمّك) قائلاً: «**لا اعطيكم بيدى اعطاء الذليل ولاأقرّ اقرار العبيد**»، وقال أيضاً: «**هيهات منّاالذلّة ابى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون وجدود طابت**...»إنّه يرى طاعة الفجرة والإذعان لحكم اللئام عبوديةً لهم ... نفسه المباركة تأبى ذلك، لذا ضحّى بحياته وكلّ ما لديه لأجل حرّيته وفكره التوحيدي، وجعل هذه السنّة الكريمة أساساً لأحرار أمّته ونزّهها من جميع شوائب العصبية الذميمة وعلى هذا الأساس أُطلق عليهم (أُباة الضيم) ووُصفوا بأنّهم (أحرار) في مصادر التاريخ الإسلامي لكونهم أصحاب نفوسٍ أبيةٍ اقتدوا بهذه السنّة المباركة وضحّوا في سبيل هذا الهدف السامي، فكلّهم بذورٌ من تلك السنبلة الطيبة وقطرةٌ من ذلك البحر العظيم للإباء والحرّية ... لقد مدح الإمام الحسين (عليه السلام) الحرّ بن يزيد الرياحي لأنّه خلع طوق عبودية آل أبي سفيان وأدرك شرف الحرّية وعرف قيمة الفوز بالشهادة، فقال في رفعة شأنه وعلوّ مقامه: «**انت الحرّ كما سمّتك امّك، انت الحرّ فى الدنيا وانت الحرّ فى الآخرة**».[٣٩]

٢. وعي الإنسان وتحرّره من قيود الجهل والخرافة

الإمام الحسين (عليه السلام) كان بحاجةٍ إلى صحوة الناس كي ينتشلهم من ظلم بني أمية، إلا أنّ الظروف الاجتماعية والسياسية لم تكن وفق المرام ممّا زاد من صعوبة تحقيق هذا الهدف، لذلك استغلّ كلّ فرصةٍ كانت تسنح له بغية إرشادهم وإيقاظهم من غفلتهم لكنّ صعوبةالارتباط آنذاك والاضطراب الذي كان يكتنف المجتمع إلى جانب النشاطات الإعلامية الماكرة لبني أمية، كلّها أمورٌ ساهمت في عرقلة المساعي الرامية إلى توعية الناس.

حينما كان الإمام الحسين (عليه السلام) في منى التي اجتمع فيها حجّاج بيت الله الحرام، دعا أكابر القوم وألقى عليهم خطبةً توجيهيةً ذكّر فيها المتصدّين للشأن الديني والسياسي بمسؤوليّتهم الثقيلة، ونبّههم بالعاقبة الوخيمة لعلماء اليهود والنصارى الذين التزموا جانب الصمت حيال الظلم والجور وتركوا فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إمّا طمعاً بحطام الدنيا ومناصبها أو خشيةً من سطوة الحكّام، ومن ثمّ أخبرهم كيف أنّ الله عزّ وجلّ حرمهم من ذلك المقام الرفيع الذي وعد به العلماء إثر تجاهلهم مسؤوليتهم الحسّاسة وعدم اكتراثهم بمكانتهم الاجتماعية الهامّة.

كما انتقدهم الإمام لكونهم أعرضوا عن الناس وخضعوا لحكم الأمويين، حيث قال:

«فَأَسْلَمْتُمُ الضُّعَفَاءَ فِي أَيْدِيهِمْ فَمِنْ بَيْنِ مُسْتَعْبَدٍ مَقْهُورٍ وبَيْنِ مُسْتَضْعَفٍ على مَعِيشَتِهِ مَغْلُوبٍ يَتَقَلَّبُونَ فِي الْمُلْكِ بِآرَائِهِمْ ويَستَشعِرُون الْخِزْيَ بِأَهْوَائِهِم اقْتِدَاءً بالأشرار وجُرْأَةً على الْجَبَّارفي كُلِّ بَلَدٍ مِنْهُمْ عَلَى مِنْبَرِهِ خَطِيبٌ يَصْقَعُ فَالْأَرْضُ لَهُمْ شَاغِرَةٌ وأيدِيهم فِيهَا مَبْسُوطَةٌ والنَّاسُ لَهُمْ خَوَلٌ لَا يَدْفَعُونَ يَدَ لَامِسٍ فَمِنْ بَيْنِ جَبَّارٍ عَنِيدٍ وذي سَطْوَةٍ عَلَى الضَّعَفَةِ شَدِيدٍ مُطَاعٍ لَا يَعْرِفُ الْمُبْدِئَ الْمُعِيد.»[٤٠]

الإمام الحسين (عليه السلام) طوال مسيرته الثورية لم يتوان لحظة عن السعي لتوعية الناس وإيقاظهم من غفلتهم

وانتشالهم من ظلمات الجهل الذي أغرقهم فيه بنو أمية، وعندما عزم على التوجّه من المدينة إلى مكّة اقترح عليه مسلم بن عقيل بأن لا يبايع يزيد كما فعل عبد الله بن الزبير وأن يتّجه نحو مكّة متخفّياً بعيداً عن أعين أتباع حكومة بني أمية؛ إلا أنّ الإمام رفض ذلك وسلك الطريق الأصلي وأينما كان يشاهد شخصاً أو مجموعة أشخاصٍ كان يخبرهم بهدفه من ترك مدينة جدّه بشكلٍ صريحٍ لكون ثورته لم تكن نظيرةً لأعمال الشغب كي تتمّ مطاردته من قبل ذيول النظام الحاكم، بل كان يحمل رسالة تحرير أمّةٍ من الجهل والضلال والنجاة من طغيان بني أمية، وبطبيعة الحال فإنّ هذا الهدف السامي لا يمكن أن يتحقّق في ظلّ حركةٍ سرّيةٍ.

كما انّ الإمام الصادق (عليه السلام) وصف جدّه سيّد الأحرار في زيارته المعروفة قائلاً:

«بَذَلَ مُهْجَتَهُ فِيكَ لِيَسْتَنْقِذَ عِبَادَكَ مِنَ الضَّلَالَةِ والْجَهَالَةِ والْعَمَى والشَّكِّ والِارْتِيَابِ إِلَى بَابِ الْهُدَى مِنَ الرَّدَى»[41]

٣. إحياء أجلّ القيم الأخلاقية

إحدى المشاكل التي عانى منها المجتمع إبّان حكومة بني أمية، شيوع الرذائل الأخلاقية وابتعاد الناس عن الفضائل والمُثُل السامية، ومن المؤكّد أنّ المجتمع الذي يتزعّمه الأشرار والأراذل لا يُرتقب منه أكثر من ذلك. لقد ثار الإمام الحسين (عليه السلام) ضدّ النظام الأموي الجائر المستبدّ، وتجدر الإشارة إلى أنّ العامل الأساسي الذي جعل المجتمع الإسلامي يُبتلى بهذا الاستبداد الديني والسياسي هو تنصّل المسؤولين والمواطنين من القيم الأخلاقية والإنسانية والدينية.

الأمويون من منطلق سياسة الكذب والخداع لم يتوانوا عن جهدٍ لتهميش أهل البيت (عليهم السلام) والنخبة الاجتماعية وذلك لكي يتسنّى لهم تولّي زمام الأمور بسهولةٍ، والإمام الحسين (عليه السلام) في باكورة ثورته بعث كتاباً إلى أخيه ذكر له فيها أهدافه لكي لا يتّهمه عبيد الدنيا بأنّه أثار الفتنة وأشاع الفساد والاختلاف وسعى إلى تحقيق مصالح دنيوية، حيث قال:

«أَنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشِراً وَ لَا بَطِراً وَ لَا مُفْسِداً وَ لَا ظَالِماً وَ إِنَّما خَرَجْتُ لِطلبِ الْإِصْلَاحِ فِي أُمَّةِ جَدِّي(صلّى الله عليه وآله) أُرِيدُ أَنْ آمُرَ بِالْمَعْرُوف وَ أَنْهَى عَنِ الْمُنْكَر وَ أَسِيرَ بِسِيرَةِ جَدِّي وَ أَبِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِب (عليه السلام)»[42]

لقد عمل الإمام الحسين (عليه السلام) على ترويج القيم الأخلاقية السامية بأقواله وأفعاله طوال ثورته المباركة، فدعا إلى التحرّر والصدق والأمانة والشجاعة والإيثار وعدم الخشية من الموت، فهذه المبادئ الأصيلة قد تألّقت في جميع مراحل النهضة الحسينية المباركة؛ والأمثلة على ذلك كثيرةٌ وقد تجسّدت في مواقف عديدة منها عدم الخضوع للئام أو مدّ يد البيعة لهم، وإعلان الهدف من الثورة منذ أوّل يومٍ انطلقت فيه، وتنبيه بني هاشم والأصحاب بعواقب شدّ الرحال إلى أرض كربلاء كي يكونوا على بصيرةٍ تامّةٍ وهم في ركاب قافلة أهل البيت (عليهم السلام)، وإعفاء الأصحاب من بيعتهم والسماح لهم بالعودة إلى ديارهم ليلة عاشوراء، وإيثار الإمام وكلّ من التحق بركبه، واستقبالهم الموت بعزّةٍ وكرامةٍ دون الركون إلى حياة الذلّ والهوان؛ فكلّ هذه القيم العظيمة قد أوشكت آنذاك على الأُفول في ظلّ حكومة الأمويين المنحرفة. إنّ مواقف الإمام الحسين (عليه السلام) طوال ثورته المباركة قد عكست هذه الحقيقة الثابتة.

- الصدق مع الأهل والأصحاب

ـ اذا ارْتَحَل وسار الامام وانْتَهَى إِلَى زُبَالَةَ (منزل بطريق مكّة من الكوفة)،[43] فَأَتَاهُ خبرُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَقْطُرَ فَأَخْرَجَ إِلَى النَّاسِ كِتَاباً فَقَرَأَهُ عَلَيهم: «**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ. أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّهُ قَدْ أَتَانَا خَبَرٌ فَظِيعٌ قَتْلُ مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ وهَانِئِ بْنِ عُرْوَةَ وعَبْدِ اللهِ بْنِ يَقْطُرَ وقد خَذَلَنَا شِيعَتُنَا فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمُ الِانْصِرَافَ فَلْيَنْصَرِفْ غَيْرَ حَرِجٍ لَيْسَ عَلَيْهِ ذِمَامٌ.**» فَتَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْهُ وأَخَذُوا يَمِيناً وشِمَالًا حَتَّى بَقِيَ فِي أَصْحَابِهِ الَّذِينَ جَاءُوا مَعَهُ مِنَ الْمَدِينَةِ ونَفَرٍ يَسِيرٍ مِمَّنِ انْضَوَوْا إِلَيْهِ.[44]

رجال السياسة في هكذا ظروف عادةً ما يبادرون إلى التعتيم على الأخبار الحقيقية وحجبها عن الناس كي لا يتفرّقوا وحتّى يتمكّن المعنيون وأتباعهم من توجيه الرأي العام نحو أهدافهم الخاصّة، إلا أنّ الإمام الحسين (عليه السلام) أعلن جميع الحقائق للناس من أجل أن يتّخذوا قراراتهم ببصيرةٍ ووعي وكي لا يسيروا في ركبه على أساس تقليدٍ أعمى وحتّى لا يظنّوا أنّه يريد منهم مرافقته تحت أيّة ظروفٍ كانت بغية إنقاذ نفسه تحت ذريعة الجهاد في سبيل الله.

قال المفيد (رحمه الله): إِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ (عليه السلام) عَلِمَ أَنَّ الْأَعْرَابَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ إِنَّمَا اتَّبَعُوهُ وَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُ يَأْتِي بَلَداً قَدِ اسْتَقَامَتْ لَهُ طَاعَةُ أَهْلِهِ، فَكَرِهَ أَنْ يَسِيرُوا مَعَهُ إِلَّا وهُم يَعْلَمُونَ عَلَى مَايُقْدِمُونَ.[٤٥]

يا ترى ما معنى أخذ البيعة من الناس في الظروف الجهادية الصعبة التي يحاول كلّ قائدٍ فيها الحفاظ على قوّاته وعدم التفريط بهم؟ إنّها من المؤكّد تعني أصالة القيم الأخلاقية وعدم تجاهلها تحت أيّة ظروفٍ كانت، وبطبيعة الحال لا يبادر إلى ذلك سوى الإنسان الحرّ؛ وهذا ما حدث في ليلة عاشوراء حينما جمع الإمام صحبه وأهل بيته وخاطبهم بالقول:

«فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَصْحَاباً أَوْفَى ولَا خَيْراً مِنْ أَصْحَابِي ولَا أَهْلَ بَيْتٍ أَبَرَّ ولَا أَوْصَلَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي فَجَزَاكُمُ الله عَنِّي خَيْراً، أَلَا وإِنِّي لَأَظُنُّ أَنَّهُ آخِرُ يَوْمٍ لَنَا مِنْ هَؤُلَاءِ، أَلَا وإِنِّي قَدْ أَذِنْتُ لَكُمْ فَانْطَلِقُوا جَمِيعاً فِي حِلٍّ لَيْسَ عَلَيْكُمْ مِنِّي ذِمَامٌ هَذَا اللَّيْلُ قَدْ غَشِيَكُمْ فَاتَّخِذُوهُ جَمَلًا»[٤٦]

وقد نقل بعض الرواة والمؤرّخين كلاماً له يبيّن الحكمة من طلبه ذلك منهم، وهو قوله:

«انكم خرجتم معى لعلمكم انّى اقدم على قوم بايعونى بالسنتهم وقلوبهم، وقد انعكس الامر، لانّهم واستحوذ عليهم الشيطان فانسيهم ذكرالله والان ليس يكن لهم مقصد الاّ قتلى وقتلَ مَن يجاهد بين يدىّ وسبىَ حريمى بعد سلبهم، واخشى انّكم ما تعلمون او تعلمون وتستحيون والخدع عندنا اهل البيت محرّم، فمن كره منكم ذلك فلينصرف»[٤٧]

• إعلان نهاية الانتفاضة

لم يكتم الإمام الحسين (عليه السلام) على أهله وصحبه مخاطر شدّ الرحال إلى كربلاء وأعلمهم في مواطن عديدة بأنّ مصيرهم القتل لا محالة وذلك لكي يسيروا معه بإرادتهم واختيارهم وهم يعلمون بما سيحلّ بهم دون أن يخشوا من شيءٍ بتاتاً، فهو لم يكن يروم هزيمة بني أمية بأيّ ثمنٍ كان، لأنّ الحكومة لم تكن هي الأساس في فكر الأئمّة المعصومين (عليهم السلام) حيث كانوا يحملون رسالةً سامية يتمكّنون أحياناً من تحقيق مبادئها بعد تشكيل حكومةٍ، لذلك لجؤوا تارةً إلى نشرها عن طريق التقية، وتارةً أخرى بواسطة الجهاد والشهادة؛ وبالتالي يجب على كلّ من يتّبعهم أن يكون على علمٍ بأهدافهم مهما كانت الظروف، وهناك الكثير من الشواهد على هذا الأمر انعكست في كلامه القيّم طوال مسيرته إلى أرض الطفّ.

– عندما التقى الإمام بالفرزدق طلب منه الترحّم على الشهيد مسلم بن عقيل، فبادر هذا الشاعر إلى إنشاد أبياتٍ ذكّر بواسطتها القافلة بأنّ الشهادة بانتظارهم:

«فان تكن الدنيا تعدّ نفيسة فانّ ثواب الله اعلى وانبل

فان تكن الابدان للموت انشأت فقتل امرئ بالسيف فى الله افضل»[٤٨]

– عندما اعترض الحرّ بن يزيد الرياحي طريق الإمام الحسين (عليه السلام) وأخبره بأنّ الموت بانتظار قافلته، أجابه الإمام: "أَبالموتتُخوّفني؟! وهلْيعدوبكمالخَطْبُأنتقتلوني؟! وماأدريماأقوللكولكنّيأقوللكماقالالأخوالأوْس:[٤٩]

«سامضى وما بالموت عار على الفتى اذا ما نوى خيراً وجاهد مسلماً

وواسى الرجال الصالحين بنفسه وفارق مذموماً وخالف مجرما

فان عشت لم الم وان متُّ لمْ أذم كفى بك ذلّاً ان تعيش مرغما»[٥٠]

٤. إحياء التعاليم والقيم الدينية

انّ من اهداف نهضه الامام(ع)، احياءُ التعاليم والقيم الدينيه مثل:"الشعور بالمسؤولية عن مصير المجتمع"، "الجهاد ومحاربة الانحرافات" و "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر". يمكن كشف هدفه من النحو التالى فى حياته الشريفه:

الإمام الحسين (عليه السلام) ضمن خطبته التي ألقاها على صحبه وجيش الحرّ بن يزيد الرياحي، تطرّق إلى بيان هدفه الأساسي الذي دعاه للثورة ضدّ النظام الأموي مؤكّداً على أنّه يروم إحياء أحكام الشريعة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتّى وإن كلّفه ذلك حياته، فقال:

«الا ترون ان الحق لا يعمل به وانّ الباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن فى لقاء الله محقّا، فانيلا ارى الموت الّا سعادة ولا الحياة مع الظالمين الّا برما»[٥١]

«ان الناس عبيد الدنيا والدين لعق على السنتهم يحوطونه ما درّت معايشهم، فاذا محّصوابالبلاء قلّ الديّانون»[٥٢]

وعندما وقف أمام جيوش عمر بن سعد في يوم عاشوراءخاطب أهل الكوفة لإتمام الحجّة عليهم، واعتبرهم جزءاً من الأسباب التي أسفرت عن معاناة المجتمع الإسلامي من كلّ تلك الأوضاع المزرية وتسلّط الطواغيت على رقاب الناس وقال إنّهم تآزروا مع أبناء الزنا والشرذمة التي تبقّت من المشركين ومخالفي القرآن والسنّة النبوية والذين مزّقوا القرآن وتمرّدوا على إمام زمانهم؛ ثمّ وبّخهم وعاتبهم على دعوتهم له وعدم وفائهم بعهدهم الذي قطعوه في التصدّي لحكومة بني أمية الجائرة، وقال:

«الا ان الدّعيّ ابن الدّعيّ قد ركز بين اثنتين بين السّلة والذلّة وهيهات منّا الذلّة...»[٥٣]

ولـمّا تحدّث عن الشهادة بعزّةٍ وكرامةٍ وبشّر أصحابه بالجنة التي وعد بها المتّقون، كان الشوق بادٍ على محيّاه ومحيّا من معه لحلول لحظة الشهادة المرتقبة، لذلك قال:

«صبراً بنى الكرام، فما الموت الّا قنطرة تعبر بكم عن البئوس والضراء الى الجنان الواسعة والنعيم الدائمة، فايّكم يكره ان ينتقل من سجن الى قصر...»[٥٤]

والتأريخ يشهد على أنّ الشعارات التي رفعها الإمام الحسين (عليه السلام) وصحبه الكرام في يوم عاشوراء، تدلّ جميعها على التحرّر من قيود الدنيا والولع بالشهادة، ومن ذلك ما يلي:

- **موت فى عزّ خيرٌ من حياة فى ذلّ**[٥٥]
- **الموت اولى من ركوب العار والعار اولى من دخول النّار والله ما هذا وهذا جارى**[٥٦]

لا ريب في أنّ التحرّر من عبودية بني أمية يعدّ نعمةً عظيمةً حرم منها المسلمون آنذاك، لذلك فإنّهم إن كانوا يرومون تحقيق هذا الهدف فلا مناص لهم من دفع ثمنه، لكنّ بعضهم كانوا يخشون من بطش هذه الشرذمة الطاغية وبعضهم الآخر غرّر بهم وخدعوا بحفنةٍ من المال الأمر الذي جعلهم يصمتون إزاء الظلم ويتنصّلون عن دفع ثمن الحرّية، وقد وصفهم الإمام قائلاً:

«والله لايدعونّى حتى يستخرجوا هذه العلقه من جوفى واذا فعلوا ذلك سلط الله عليهم مَنيُذلّهم حتى يكونوا اذلّ فرق الامم»[٥٧]

وبالفعل، فقد تحقّق هذا الكلام على أرض الواقع وسلّط الله تعالى عليهم من هو أعتى من الطاغية معاوية.

إنّ سيّد الشهداء حتّى آخر لحظات حياته لم يتهاون في إبلاغ رسالته الثورية المحمّدية إلى البشرية جمعاء، وحينما لاحظ آل

أبي سفيان انقضّوا على خيام النساء والأطفال، خاطبهم بالقول:

«يا شيعة آل ابى‌سفيان! ان لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا احراراً فى دنياكم هذه فارجعوا الى احسابكم ان‌كنتم عرباً كما تزعمون»[٥٨]

٥. إحياء السنّة النبوية والسيرة العلوية

أحد الأهداف الأخرى التي رام الإمام الحسين (عليه السلام) تحقيقها في نهضته الكبرى هو إحياء سيرة جدّه الرسول الأكرم (صلّى الله عليه وآله) ووالده سيّد الموحّدين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) بعد أن أصبحت في طي النسيان لمدّة خمسين عاماً من سلطة الأمويين، حيث ترعرع جيلٌ لم يكن على معرفةٍ بتلك السيرة الإسلامية الأصيلة، لأنّ هؤلاء الطغاة غسلوا أدمغة الناس وحقنوها بما يشاؤون من أفكارٍ منحرفةٍ لكي يخضعوا لهم بذلٍّ وعبوديةٍ، وهذا الهدف الشيطاني لا يتحقّق بكلّ تأكيدٍ إلا عبر محاربة السنّة النبوية والسيرة العلوية، كما أنّ تحويل الخلافة الإسلامية إلى مملكةٍ وراثيةٍ لم يكن مقدوراً إلا بهذا الأسلوب الذي يصبح الناس فيه غارقينفي غياهب الضلال وجاهلين بالتعاليم الإسلامية الأصيلة والسيرة النبوية الشريفة. لذا، سعى بنو أمية جاهدين لإحياء الطباع والتقاليد الجاهلية التي رفضها الإسلام وبادروا إلى طرحها بثوبٍ إسلاميٍّ، لأنّ الناس إن اطّلعوا على الفكر الإسلامي الأصيل وطرأت تغييرات على جميع جوانب حياتهم الفردية والجماعية بفضل التعاليم الإسلامية السمحاء، لما كانوا يخدعون بسهولةٍ ولما انضوت عليهم كلّ تلك الأكاذيب التي نسبت إلى الدين.

ومن الجدير بالذكر أنّ خاتم الأنبياء (صلّى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليه السلام) أكّدا غاية التأكيد على ضرورة إحقاق حقوق الناس وعدم جواز تدنيسها من قبل الحكّام، فالسلطات الحاكمة برأيهمامكلّفةٌ بالعمل على ضمان حقوق الشعب وتلبيتها، مثل حقّ التعليم والتربية وحرّية التعبير والاستفسار والاعتراض واستنطاق المسؤولين والإشراف على سلوكهم، وما إلى ذلك من حقوقٍ أخرى؛ كما أكّدا على أنّ حقّ المسؤولين في طاعة الرعية لهم منوطٌ بمراعاتهم لحقوق الناس وأداء واجباتهم بأفضل وجهٍ.

وفيما يلي نذكر بعض الأمثلة كشواهد على هذه الحقيقة الثابتة:

حينما بعث النبيّ (صلّى الله عليه وآله) علاء بن الحضرمي إلى البحرين لتولّي زمام الأمور فيها، حمّله كتاباً إليهم جاء فيه:

«فإني قد بعثت إليكم العلاء بن الحضرمي، وأمرته أن يتقي الله وحده لا شريك له وأن يلين فيكم الجناح ويحسن فيكم السيرة و يحكم بينكم وبين من لقاه من الناس بما أمر الله في كتابه من العدل و أمرتكم بطاعته إذا فعل ذلك، فإن حكم فعدل وقسم فأقسط واسترحم فرحم فاسمعوا له وأطيعوا وأحسنوا مؤازرته ومعونته»[٥٩]

وبعد أن نصّب الإمام عليّ (عليه السلام) مالك الأشتر لولاية مصر، بعث كتاباً إلى أهلها عرّفهم فيها بشخصيته وكرامته وأمرهم بطاعته، فقال:

«فاسمعوا له و اطيعموا امره فيما طابق الحق»[٦٠]

كما بعث كتاباً إلى قادة جيشه نبّههم فيه إلى الواجبات الملقاة على كاهل المسؤولين وأشار إلى بعضها قائلاً:

«فاذا فعلت ذلک وجبت لله عليكم النعمه ولى عليكم الطاعه ولاتنكصوا عن دعوة ولاتفرطوا فى صلاح»[٦١]

وبعد أن نسي المسلمون التعاليم الأصيلة لدين الله وسنّة خاتم الأنبياء وسيرة سيّد الأولياء، انتفض الإمام الحسين (عليه السلام) لإحياء أرواحهم من جديدٍ وتذكيرهم بالإسلام الأصيل، لذلك بعث إلى الطاغية معاوية كتاباً ذكّره فيه بعدم لياقة ابنه الفاسق يزيد لخلافة المسلمين، فخاطبه قائلاً:

«ثمّ ولّيتَ ابنك وهو غلامٌ يشرب الشراب و يلهو بالكِلاب، فخُنتَ امانتك واخربتَ رعيّتَك ولم تؤدّ نصيحه ربّك،

فكيف تولّي علي امّه محمد من يشرب الخمر؟ وشارب الخمر من الفاسقين وشارب الخمر من الاشرار، وليس شارب الخمر بامينٍ علي درهمٍ، فكيف علي الامّه؟»[٦٢]

وقد أعلن الإمام أنّه لا يحيد عن الحقّ لكونهيسير على سنّة جدّه وسيرة أبيه، فقال:

«اسير بسيرة جدّى وابي، علي بن ابي طالب»

بعد أن تلقّى رسائل أهل الكوفة ألقى خطبةً ذكّرهم فيها بالتكاليف الملقاة على عاتقهم تجاه حكومة الجور والطغيان، حيث جاء في جانبٍ منها:

«فَقَد عَلِمتُم أنَّ رَسولَ الله (صلى الله عليه و آله) قَد قالَ في حَياتِهِ: مَن رَأى سُلطاناً جائِراً مُسْتَحِلًّا لِحُرَمِ أو تارِكاً]ناكثا[لِعَهدِ الله، ومُخالِفاً لِسُنَّةِ رَسولِ الله (صلى الله عليه و آله)، فَعَمِلَ في عِبادِ الله بالإثْمِ والعُدوانِ، ثُمَّ لَم يُغَيِّر عَلَيهِ بِقَولٍ وَلا فِعلٍ، كانَ حَقّاً عَلى الله أن يُدخِلَهُ مُدخَلَهُ؛ وَقَد عَلِمتُم أنَّ هؤلاءِ لَزِموا طاعَةَ الشَّيطانِ، وَتَوَلَّوا عن طاعَةِ الرَّحمنِ، وأظهَروا الفَسادَ، وَعَطَّلُوا الحُدودَ، واسْتأثَروا بالْفَيءِ، وَأحَلُّوا حَرَامَ الله، وَحَرَّموا حَلالَهُ. وأنا أحَقُّ مِن غيري بِهذا الأمرِ لِقَرابَتي مِن رَسولِ الله (صلى الله عليه و آله)»[٦٣]

*** نتيجة البحث**

سيرة الإمام الحسين (عليه السلام) إبّان إمامته كانت ردّة فعلٍ على سلوك بني أمية تجاه الدين وأحكام الشريعة، حيث سعى إلى إحياء سنّة جدّه خاتم الأنبياء (صلّى الله عليه وآله)وتذكير المسلمين بمكانة أهل البيت (عليهم السلام) والتأكيد على حقوق الرعية سياسياً واجتماعياً.

لقد اتّخذ الأمويون دين الله هزواً بهدف التسلّط على رقاب المسلمين والاستحواذ على مقدّراتهم، ولأجل تحقيق أهدافهم الدنيئة هذه بادروا إلى تحريف المعارف الدينية ووضعوا الأحاديث التي نسبوها إلى النبيّ الأكرم (صلّى الله عليه وآله) زوراً وبهتاناً، كما بذلوا ما بوسعهم لتهميش أهل البيت (عليهم السلام) وخداع الرأي العامّ، فضلاً عن أنّهم عيّنوا أراذل الناس على رقاب المسلمين وتعاملوا معهم بظلمٍ واستبدادٍ، وجعلوا بيت المال ملكاً عائلياً ولم يتورّعوا لحظةً عن سفك دماء المسلمين ونهب أموالهم تحت أيّة ذريعةٍ كانت.

الإمام الحسين (عليه السلام) بصفته إمام المسلمين وقائدهم، كان يعتبر نفسه مكلّفاً بمواجهة هذا المدّ الباطل والحيلولة دون تحوّل المجتمع الإسلامي إلى مجتمعٍ جاهليٍّ والعمل على صيانة خلافة المسلمين من أن تتحوّل إلى ملكيةٍ وراثيةٍ؛ لذلك ثار لإنقاذ الأمّة الإسلامية وانتشالها من غياهب الجهل وتحريرها من الظلم والاضطهاد، فضحّى بنفسه وعرّف العالم بالباطن القبيح لنبي أمية، فكانت ثورته المباركة ضماناً للإسلام والمسلمين من الانحراف والضياع.

لقد مكر الأمويون وخدعوا الناس بزعم أنّهم رمزٌ للتديّن والصدق والحقّ، لكنّهم سرعان ما فضحوا إثر الجريمة الشنيعة التي ارتكبوها في أرض كربلاء فأصبحوا مقيتين لدى كلّ مسلمٍ وسحقت كرامتهم ليقبعوا في مزبلة التأريخ حتّى قيام الساعة.

قد يكون الإمام الحسين (عليه السلام) خسر المعركة من الناحية العسكرية، إلا أنّه انتصر انتصاراً باهراً ونجح في إحياء القيم الدينية والأخلاقية، وصان الدين والشريعة من أكاذيب بني أميةوأباطيلهم، وبالتالي أثبت للعالم بأسره أنّ الإسلام دينٌ منزّهٌ لا يمنح الأصالة للمال والسلطة.

الهوامش

١. هلالی، سلیم بن قیس، کتاب سلیم بن قیس هلالی، ج٢، ص ٧٧٣. مجلسی، بحارالانوار، ج٢٢، ص٣٩٨.
٢. شرف الدين، محمّد حسين، أبو هريرة، ص ٤٨.
٣. ابن أبي الحديد، عبدالحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة، ، ج ٤، ص ٦٣.
٤. ابن ابی الحدید، شرح نهج البلاغه، ج١١، ص ٤٥.
٥. طبرسی، احمد بن علی، الإحتجاج علی أهل اللجاج، ج١، ص١٦٥.
٦. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغه، ج١١، ص٤٣ـ ٤٥.
٧. هلالی، سلیم بن قیس، کتاب سلیم بن قیس الهلالي، ج٢، ص٧٨٦.
٨. الطبرسی، الإحتجاج علی أهل اللجاج، ج٢، ص٢٩٧.
٩. المصدر السابق.
١٠. المصدر السابق، ج١٣، ص٢٢٠.
١١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ، ج٤، ص٥٩.
١٢. نفس المصدر.
١٣. للاطلاع أكثر، راجع: ماجدة فيصل زكريا، عمر بن عبد العزيز وسياسة ردّ المظالم؛ العلامة الأميني، عبدالحسين، الغدير، ج ١٠، ص ٢٦٦.
١٤. ابن شعبه حرّانی، حسن بن علی، تحف العقول، ص ٢٣٨.
١٥. ان الامام علی بن ابی طالب(علیه السلام) وصف بنی امیه: «... فیتخذوا مال الله دولاً وعبادهخولا والصالحین حربا والفاسقین حزباً» (نهج البلاغه، کتاب رقم ٦٢)؛ کما قال الامام الحسن(علیه السلام) لمعاویه:«وَيْلَكَ يَا مُعَاوِيَةُ إِنَّمَا الْخَلِيفَةُ مَنْ سَارَ بِسِيرَةِ رَسُولِ الله وَعَمِلَ بِطَاعَةِ الله وَلَعَمْرِي إِنَّا لَأَعْلَامُ الْهُدَى وَمَنَارُ التُّقَى وَلَكِنَّكَ يَا مُعَاوِيَةُ مِمَّنْ أَبَادَ السُّنَنَ وَأَحْيَا الْبِدَعَ وَاتَّخَذَ عِبَادَ الله خَوَلًا وَدِينَ الله لَعِبا» (ر.ك:مجلسی، محمد باقر، بحارالانوار، ج٤٤، ص٤٢)
١٦. طریحی، مجمع البحرین، ج٥، ص٣٦٧.
١٧. فیروزآبادی، القاموس المحیط، ج ٣، ص ٥٠٩.
١٨. موسوعه کلمات الامام الحسین(علیه السلام)، ص٨٤٤، نقلا عن محمد بن عبدالرحیم، دیوان الامام الحسین(ع).
١٩. مطهّري، مرتضى، حماسه حسيني (باللغة الفارسية)، ج ٣، ص ٧٨. نقلاً عن: جرجي زيدان، تمدن اسلام (باللغة الفارسية)، ج ٤، ص ١٣١.
٢٠. للاطّلاع أكثر على تعامل الأمويين مع الموالي وأهل الكتاب، راجع: جرج جرداق، صوت العداله الانسانيه، فصل الاستبداد، الآقة القومية، دار الاندلس.
٢١. الهلالی، سلیم بن قیس، کتاب سلیم بن قیس هلالی، ج٢، ص ٧٤٠.
٢٢. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١١، ص٤٣ـ ٤٥.
٢٣. الشيخ المفيد، محمد بن محمد بن نعمان، الأمالي، ص ١٦٤.
٢٤. المصدر السابق، ص ١٦٢.
٢٥. ابن قتيبه، عبدالله بن مسلم، الامامه و السياسه، ج١، ص ٢٠٢.
٢٦. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٣، ص٢٥٩.
٢٧. للاطّلاع أكثر، راجع: بلاذری، انساب الاشراف، ج٩، ص ٤٥٨. «يزيد بن عبدالله بن زمعة بن الأسود، و أمه زينب بنت أبي سلمة بن عبدالأسد المخزومي، و جدته أم سلمة زوج رسول الله صلى الله عليه و سلّم، شهد يوم الحرة فأخذ و أتي به مسلم بن عقبة، فدعاه إلى أن يبايع ليزيد على أنه عبد قن فأبى و قال: أبايعه على كتاب الله و سنة نبيّه، و على أني ابن عمه، فقدمه فضرب عنقه»؛ اخبار الدوله العباسیه، ص ١٣٢؛ راجع ایضاً الطریحي، مجمع البحرین؛ یاقوت الحموي، معجم البلدان، مادّة (حرّة).
٢٨. الطبرسی، الاحتجاج، ج٢، ص٢٩٧؛ بلاذری، انساب الاشراف، ج٥، ص١٢١.
٢٩. حرّانی، تحف العقول، ص٢٣٩
٣٠. دینوری، ابوحنیفه احمد بن داود، الاخبار الطوال، ص٢٢١؛ بلاذری، انساب الاشراف، ج٣، ص٣٦١؛ المفید، الارشاد في معرفة حجج الله على العباد، ج٢، ص٣٢.
٣١. المفید، المصدر السابق.
٣٢. ابن اعثم، الفتوح، ج٤، ص٣٤٨.
٣٣. خوارزمی، موفق بن احمد، مقتل الحسین (ع)، ص١٨٤؛ ابن طاووس، علی بن موسی، اللهوف علی قتلی الطفوف، ص ٢٣.
٣٤. ابن اثیر، الکامل فی التاریخ، ج٣، ص ٥٠٦.

٣٥. نهج البلاغه، كتاب ٣١.
٣٦. عقاد، عباس محمود، أبو الشهداء، ص ٥٢.
٣٧. ابن ابى الحديد، شرح نهج البلاغه، ج٨، ص ٢٥٣.
٣٨. خوانسارى، محمد بن حسين، غرر الحكم و درر الكلم، ج٢، ص٢٣١؛ قمى، شيخ عباس، انوارالبهيه، ص٤٥.
٣٩. ابو مخنف، وقعة الطف، ص٢٠٩.
٤٠. العلامه النائينى، محمد حسين، تنبيه الامه و تنزيه المله، ص٥٥ ـ ٥٦.
٤١. حرانى، تحف العقول، ص٢٣٧ـ ٢٣٩.
٤٢. ابن قولويه، كامل الزيارات، ص٢٢٨
٤٣. مجلسى، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٣٠؛ ابن اعثم، الفتوح، ج٥، ص٢١ مع تفاوت يسير.
٤٤. ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج٣، ص١٢٩.
٤٥. المفيد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، ج٢، ص٧٥.
٤٦. المصدر السابق.
٤٧. المصدر السابق، ص٩١؛ ابن اثير، الكامل فى التاريخ، ج٤، ص ٥٧.
٤٨. موسوعه كلمات الامام الحسين، ص٣٩٩، نقلا عن البهبهانى، ملا محمد باقر، الدمعه الساكبه، ص٢٧١، و سپهر، محمد تقى، ناسخ التواريخ، ج٢، ص١٥٨.
٤٩. ابن اعثم، الفتوح، ج٥، ص ٧٢؛ ابن طاووس، اللهوف على قتلى الطفوف، ص٧٤.
٥٠. حينما أراد أخو الأوس نُصرة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) خوّفه ابن عمّه وقال له: «أين تذهب فإنّك مقتولٌ»، لذلك تلا هذه الأشعار ردّاً عليه.
٥١. ابن قولويه، كامل الزيارات، ص٩٦؛ ابن اعثم، الفتوح، ج ٥، ص٧٩.
٥٢. حرّانى، تحف العقول، ص٢٤٥؛ طبرى، تاريخ الطبرى، ج٥، ص٤٠٥.
٥٣. حرّانى، تحف العقول، ص ٢٤٥.
٥٤. مسعودى، اثبات الوصيه، ص ١٦٦.
٥٥. ابن بابويه، معاني الأخبار، ص٢٨٩؛ حرّانى، تحف العقول، ص٥٣.
٥٦. ابن شهر آشوب، مناقب آل ابى طالب (ع)، ج٤، ص ٦٨.
٥٧. المصدر السابق.
٥٨. المفيد، الارشاد، ج٢، ص٧٦؛ طبرى، تاريخ الطبرى، ج٥، ص ٣٩٤.
٥٩. ابن اعثم، الفتوح، ج٥، ص ١١٧(مع تفاوت يسير)؛ابن طاووس، اللهوف على قتلى الطفوف، ص١٢٠.
٦٠. احمدي ميانجي، علي، مكاتيب الرسول، ج٢، ص ٦١٩؛ عن الطبراني في المعجم الكبير ١٦٥/ ٨٩: ١٨.
٦١. الامام على (ع)، نهج البلاغه، كتاب رقم ٣٨؛ ثقفى، الغارات، ج١، ص ٢٦١.
٦٢. الامام على (ع)، نهج البلاغه، كتاب رقم ٥٠.
٦٣. ابن حيّون، دعائم الاسلام، ج٢، ص١٣٣.
٦٤. ابو مخنف، وقعه الطفّ، ص١٧٢؛ الفتوح، ج٥، ص ٨١؛ ابن اثير، الكامل فى التاريخ، ج٤، ص٤٨.

فهرست منابع

٦٥. ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، تصحيح محمد ابو الفضل ابراهيم،ايران، قم، مكتبه آيت الله العظمى مرعشى نجفى، ١٤٠٤ق.
٦٦. ابن اثير، عزالدين أبوالحسن على بن ابى الكرم، الكامل فى التاريخ، لبنان، بيروت، دارصادر ـ داربيروت، ١٣٨٥ق/ ١٩٦٥م.
٦٧. ابن بابويه، محمد بن على، معاني الأخبار،تصحيح على اكبر غفارى، ايران، قم، دفتر انتشارات اسلامى، ١٤٠٣ ق.
٦٨. ابن شعبه حرانى، حسن بن على، تحف العقول، تصحيح على اكبر غفارى، ط الثانى،ايران، قم، دفتر انتشارات اسلامى، ١٤٠٤ق/ ١٣٦٣ش.

٦٩. ابن شهر آشوب مازندرانی، محمد بن علی، مناقب آل أبي طالب علیهم السلام،ایران، قم، نشر علامه، ١٣٧٩ ق.
٧٠. ابن طاووس، علی بن موسی‌اللهوف علی قتلی الطفوف ایران، تهران، نشر جهان.
٧١. ابن قولویه، جعفر بن محمد، کامل الزیارات،العراق، النجف الاشرف، دارالموتضویه، ١٣٥٦ش.
٧٢. ابن کثیر الدمشقی، أبوالفداء اسماعیل بن عمر، البدایة و النهایة، لبنان، بیروت، دارالفکر، ١٤٠٧ق/ ١٩٨٦م.
٧٣. احمدي ميانجي، علي، مكاتيب الرسول، ايران، قم، مؤسسه دارالحديث، ١۴١٩ق.
٧٤. البلاذری، أحمدبنیحییبنجابر،انساب الاشراف، تحقیق:سهیلزکاروریاضزرکلی،لبنان، بیروت،دارالفکر،طالأولی، ١٤١٧ق/ ١٩٩٦م.
٧٥. ثقفی، ابراهیم بن محمد بن سعید بن هلال، الغارات، تحقیق و تصحیح: جلال الدین محدث، ایران، تهران، انجمن آثار ملی، ١٣٩٥ق.
٧٦. جرج جرداق، امام علی صوت العداله الانسانیه، لبنان، دارالاندلس.
٧٧. خوارزمي، موفق‌بن احمد،مقتل‌الحسین (ع)، تحقیق: محمد السماوی، انوار الهدی، ١٤١٨ق.
٧٨. خوانساری، آقا جمال محمد بن حسین‌شرح آقا جمال خوانساری بر غرر الحکم و درر الکلم، تحقیق و تصحیح: محدث ارموی، جلال الدین‌حسینی، ایران، تهران، جامعه تهران، ١٣٦٦ش.
٧٩. الدینوری، أبو حنیفة أحمد بن داود، الأخبار الطوال، تحقیق: عبد المنعم عامر، المصر، قاهره، دارإحیاء الکتب العربي، الطبعةالأولی، ١٩٦٠م.
٨٠. شریف رضی، محمد حسین، نهج البلاغه، تصحیح صبحی صالح، ایران، قم، نشر هجرت، ١۴١۴ق.
٨١. طبرسی، احمد بن علی، الإحتجاج علی أهل اللجاج، تصحیح محمد باقر خرسان، نشر مرتضی، ایران، مشهد، ١٤٠٣ ق.
٨٢. الطبري، أبوجعفر محمد بن جریر، تاریخ الأمم و الملوك، تحقیق: محمد أبوالفضل ابراهیم، لبنان، بیروت، دارالتراث، ط الثانیة، ١٣٨٧ق/ ١٩٦٧م.
٨٣. طریحی، فخر الدین بن محمد، مجمع البحرین، تصحیح احمد حسینی اشکوری، ط الثالث، ایران،تهران، نشر مرتضوی، ١٣٧٥ش.
٨٤. عقاد، عباس محمود، ابوالشهداء (واقعه کربلا)، ترجمه مسعود انصاری، ایران، تهران، نشر پردیس.
٨٥. فیروز آبادی، محمد بن یعقوب، القاموس المحیط،لبنان، بیروت، ط الاولی.
٨٦. قمی، شیخ عباس، الانوار البهیه فی تواریخ الحجج الالهیة، چاپ سنگی.
٨٧. الکوفی،أبومحمدأحمد بن اعثم، کتاب الفتوح، تحقیق: علی شیری، لبنان، بیروت، دارالأضواء، ط الأولی، ١٤١١ق/ ١٩٩١م.
٨٨. الکوفی، ابو مخنف لوط بن یحیی، وقعة الطفّ، تصحیح محمد هادی یوسفی غروی، ط الثالث، ایران،قم، دفتر انتشارات اسلامی، ١٤١٧ ق.
٨٩. مجلسی، محمد باقر بن محمد تقی، بحار الأنوار، چاپ دوم،بیروت، داراحیاء التراث العربی، ١٤٠٣ ق.
٩٠. مجهول(ق ٣)، أخبار الدولة العباسیة، تحقیق: عبدالعزیز الدوری و عبدالجبار المطلبی، لبنان، بیروت، دارالطلیعة، ١٣٩١ق.
٩١. مسعودی، علی بن حسین، اثبات الوصیة، ط الثالث، ایران، قم، انصاریان، ١٣٨٤ش/ ١٤٢٦ق.
٩٢. مفید، محمد بن محمد، الإرشاد في معرفة حجج الله علی العباد،ایران، قم، مؤسسه آل البیت، ١٤١٣ ق.
٩٣. نائینی، محمد حسین، تنبیه الامة و تنزیه الملة، تصحیح و تحقیق: سید جواد ورعی، ایران، قم، مرکزانتشارات اسلامی، ١٣٨۶.
٩٤. هلالی، سلیم بن قیس، کتاب سلیم بن قیس الهلالي، تحقیق و تصحیح: محمد انصاری زنجانی خوئینی، ایران، قم، الهادی، ١٤٠٥ق.

شمس الحقيقة الابدية

خورشيد بيزوال حقيقت

Sun of Eviternity Truth

د . احمد احمدی

مؤسسة سمت الايرانية

Dr. Ahmmed Ahamadi

Samt Iranian Foundation

ملخص البحث

في مجتمع أميّ، يدين بالوثنية، ويشيع فيه العنف، والتعطش للدماء، و وأد البنات، والعصبية القبلية الجاهلية، ومئات الرذائل الاخلاقية والانسانية، في مثل هذا المجتمع بعث الله رسولاً يحمل كتاباً لامثيل له ليصدهم عن عبادة الاصنام، ويبعدهم عن الرذائل ويقربهم من الفضائل، وقد تحمّل (عليه الصلاة والسلام) في هذا السبيل الكثير من المعاناة والمصاعب التي ينوء بحملها سائر الناس، وقد أشار القران الكريم الى جزء يسير من ذلك.

وفي ظل هذه الظروف العصيبة فقد عانى الرسول (ص) أشد انواع الظلم والاذى والعداء على يد احد اقرب الناس اليه مثل عمه ابي لهب، وممن هم ابعد قليلاً في القرابة كبني امية احدى بطون قبيلة قريش المناوئين لأبناء عمومتهم من بني هاشم. وقد امتد ذلك العداء وبلغ غايته في معركة بدر الكبرى التي كان يقود جيش المشركين فيها ابو سفيان بمعية كبار بني امية كعتبة وشيبة والوليد، والتي انتهت بمقتل سبعين منهم.

وكان لهذه المعركة ومن قتل فيها سبباً في اثارة الاحقاد و الضغائن في صدور بني امية قاطبةً وخاصة آل ابي سفيان، وذلك على الرغم من اضطرارهم فيما بعد للتظاهر بالاسلام. ولكن حقدهم الاعمى وتعصبهم القبلي الجاهلي جعل احقادهم تلك تغلي كالمرجل في قلوبهم مما جعلهم يتحينون الفرص للانتقام من النبي (ص) وبخاصة من الامام علي (ع) الذي قتل كلاً من عتبة وشيبة أخوي هند زوجة ابي سفيان، وخالي معاوية، وقتل كذلك الوليد ابا خالد في معركة بدر. ومن خلال نظرة عابرة في تاريخ الاسلام منذ معركة بدر وحتى واقعة كربلاء ومروراً بمجلس يزيد وحتى آخر عهد بني امية (عام ١٣٢هـ) نجد من الشواهد البينة والدلائل القاطعة ما يؤيد هذا الكلام ويؤكده.

ان بني امية وخاصة آل ابي سفيان مابرحوا يكنون العداء لرسول الله (ص) وللدين الاسلامي الحنيف، فلم يبلغ الايمان الحقيقي من قلوبهم مبلغه. وفي هذا الصدد صرّح ابن ابي الحديد في شرح نهج البلاغة ج ٥ ص١٢٩ قائلاً: " وقد طعن كثير من أصحابنا في دين معاوية، ولم يقتصروا على تفسيقه، وقالوا عنه إنه كان ملحدا لا يعتقد النبوة، ونقلوا عنه في فلتات كلامه، وسقطات ألفاظه ما يدل على ذلك."

Abstract

In a community people believe in paganism ،steeped in violence ، bloodthirsty-oriented acts، female fetus exterminating، preislamic tribal fanaticism ، much moral and human abomination acts، in such a community the prophet sent to hold a script ، peerless، to prevent them from worshipping pagans ،shield them from abomination and guide them to virtue. Consequently the prophet (peace be upon him and his progeny) tolerates many plights and pains for the sake of people : the Glorious Quran mentions some of these incidents.

Under such circumstances ، the prophet suffers much from the nearest relatives ; his uncle Abi Lahib or other pedigree relatives ، to the extent the Great Badar Battle waged and led by

Abu Suffian with other Umayyad heads ; `Atiba، Sheeba and Alwaleed and terminated with the death of seventy Umayyad men.

The repercussions of the battle loom larger and larger on the Umayyad people in particular Abu Suffian people ، though pretending to believe in Islam، their blind vengeance knows no limitation ، they exploit any moment to take the revenge from the prophet and his cousin Imam Ali (Peace be upon him) ; history shows many evidences to such propensity for blood and conspiracy. The Umayyad people never cease having the acts of treason and treachery as Ibn Abi Alhadeed in the Road of Eloquence said :

Many people of us reprobate the religion of Ma`a`wia ، not only do they set him debauched ; they called him an atheist never believing in prophitship and observed his tongue slips and misconduct that certify all these points.

خلاصه پژوهش

خداوند متعال در میان مردمی درس ناخوانده، بت‌پرست، ـ خشن خونخواره، دخترکش، با عصبیّت قبیله‌ای جاهلی، و صدها رذیله اخلاقی و انسانی، پیامبری برانگیخت با کتابی بیانند تا آنها را از بت‌پرستی باز دارد و از رذائل اخلاقی بپیراید و به فضائل بیاراید و به راستی که در این راه چه رنجهای توانفرسای ناگفتنی که تحمّل کرد و به بخشی از آنها در قرآن اشاره شده است.

در این میان یکی از نزدیکانی مانند ابولهب عموی خویش و اندکی دورتر بنی‌امیّه ـ تیره‌ای از قریش در برابر بنی‌هاشم ـ بیشترین و شدیدترین آزار و دشمنی را دید. تا آنجا که جنگ بدر به سرکردگی ابوسفیان و حضور عتبه و شیبه و ولید از سران بنی‌امیّه به راه افتاد و با کشته شدن هفتاد تن از آنها پایان یافت، امّا کینهٔ همین جنگ و همین کشته‌ها، همچون آتشی سوزان در سینهٔ تمام بنی‌امیّه، بخصوص آل ابوسفیان، زبانه می‌زد و با توجه به خصلت قبیلگی جاهلی هیچگاه خاموش نشد و هر چند اینان پس از فراز و نشیبها سرانجام از سر اضطرار بظاهر تظاهر به اسلام کردند امّا همواره منتظر فرصتی بودند که آن کینه دیرینه را بازستانند و از پیامبر(ص) و بویژه از علی(ع) که عتبه و شیبه برادران هند، همسر ابوسفیان و دایی‌های معاویه و ولید پدر خالد را در بدر کشته بود به شدّت انتقام بگیرند و نگاهی گذرا به ماجرای تاریخ اسلام از بدر تا کربلا و مجلس یزید و تا آخر دوران بنی‌امیّه (سال 132 ه) این گفته را تأیید می‌کند.

این تیرهٔ بنی‌امیّه، بویژه خاندان ابوسفیان پیوسته حتی با خود رسول خدا (ص) و دین او سر ستیز داشتند و هیچگاه ایمان واقعی نیاوردند. ابن‌ابی‌الحدید در شرح نهج‌البلاغه ج ۵ ص 129 می‌گوید: بسیاری از اصحاب ما در دین معاویه طعن زده و تنها به فاسق شمردن او بسنده نکرده‌اند بلکه گفته‌اند که او ملحد بود و به نبوت باور نداشت و در لابلای سخن و پاره‌های الفاظش چیزهائی نقل کرده‌اند که مؤیّد این ادّعا است.

* * *

ماهیّت و ذات معاویه

زبیر بن بکّار ـ که نه به دشمنی با معاویه متهم است و نه با اعتقاد شیعه نسبتی دارد چرا که حال وی در دوری وانحراف از علی علیه‌السّلام، معلوم است ـ روایت می‌کند که مُطَرّف بن مُغیرة بن شعبه می‌گوید: با پدرم بر معاویه وارد شدیم و پدرم نزد معاویه رفت‌وآمد داشت و با وی گفتگو می‌کرد و بیرون می‌آمد و با من از عقل معاویه می‌گفت و از آن چه از وی می‌دید شگفت‌زده می‌شد.

ناگهان شبی آمد و شام نخورد و سخت اندوهگین بود. من ساعتی منتظر ماندم و گمان می‌کردم حادثه‌ای برای ما رخ داده. گفتم چرا امشب ترا اندوهگین می‌بینم؟ گفت فرزندم از پیش کافرترین و پلیدترین مردم آمده‌ام. گفتم: ماجرا چیست؟ گفت: در خلوتی که با وی داشتم به او گفتم ای امیرمؤمنان تو دیگر به سنّی رسیده‌ای و پیر شده‌ای اکنون جا دارد که عدلی آشکار سازی و خیری بگستر انی و به برادرانت از بنی‌هاشم بنگری و با آنها صلة رحم کنی، زیرا به خدا سوگند که امروز دیگر آنها چیزی ندارند که از آنها بترسی و این کار از آن کارهایی است که یاد و پاداش آن برایت باقی می‌ماند.

گفت هیهات هیهات! به بقای کدام یاد امیدوار باشم؟! برادر تیم (ابوبکر) به حکومت رسید و به عدالت رفتار کرد و کرد آن چه کرد، و فقط مرد و یاد و نامش هم مرد! جز این که گوینده‌ای بگوید: ابوبکر. سپس برادر عدی (عمر) به حکومت رسید و ده سال دامن همت به کمر زد و کوشید و او هم بیش از این نبود که مرد و حتی یاد و نامش هم مرد، جز این که گوینده‌ای بگوید: عمر، امّا پسر ابی کبشه (محمّد) هر روز به نامش فریاد می‌زنند: اشهدانّ محمداً رسول‌الله. دیگر پدر بیامرز! چه کاری بعد از این باقی می‌ماند و کدام یاد و نام دوام می‌یابد! نه! به خدا قسم مگر آن که (این شهادت به رسالت محمّد) یکسره دفن شود و در زیر خاک پنهان گردد"!

این سخن، بیان مافی‌الضمّیر کسی است که پدرش تا آخرین نفس با تمام توان با رسول خدا و با اسلام مبارزه کرد و سرانجام در فتح مکّه از سر ناچاری و تنها بظاهر شهادتینی بر زبان آورد و پس از آن هم که عثمان به خلافت رسید ابوسفیان گفت: این امر (خلافت) در خاندان تیم (ابوبکر) بود، امّا تیم کجا و خلافت کجا! سپس به خاندان عدی (عمر) رسید و باز هم دورتر و دورتر شد، سپس به جای خودش (بنی‌امیّه) بازگشت و در آنجا مستقر گردید. اکنون ای بنی‌امیّه آن را همانند گوی بغلتانید و همچون کودکان با آن بازی کنید، چرا که به خدا قسم نه بهشتی هست و نه دوزخی![1]

فرزند همین ابوسفیان، عثمان را یاری نکرد تا کشته شد و پیراهن خون‌آلودش را بر منبر شام کشید و گفت قاتل عثمان علی بوده است با آن که امیرالمؤمنین همواره مانع کشته شدن عثمان بود و حتی دو فرزندش حسنین (ع) را هم به یاری عثمان و دفاع از وی فرستاد و آنان در این راه زخمی هم شدند. پس از نبرد صفّین و نصب حکمین و حیلة عمروعاص و ... و شهادت امیرالمؤمنین(ع) و نقض عهد معاویه با امام حسن، و قرار گرفتن وی بر چار بالش حکومت، به گفته مدائنی «در کتاب الاحداث، نسخه واحدی به همه کارگزارانش نوشت که: ذمّة حکومت بری است از هر کس که چیزی از فضیلت ابوتراب و اهل بیت وی، روایت کند و به دنبال این، خطیبان در هر شهری و بر هر منبری به لعن علی[2] وبیزاری از وی و ناسزا گفتن به او و اهل بیتش پرداختند. در این میان مصیبت اهل کوفه از همه مردم بیشتر بود زیرا شیعیان امیرالمؤمنین در آنجا بیشتر بودند. معاویه زیاد ابن سمیّه (زیادبن‌ابیه زنازاده) را بر آنجا و بر بصره گماشت و زیاد چون در ایام امیرالمؤمنین(ع) در شمار آنها بود و آنان را خوب می‌شناخت آنها را از زیر هر سنگ و کلوخی جستجو می‌کرد و در می‌آورد و می‌کشت و می‌ترسانید و دست و پا می‌برید و چشم در می‌آورد و بردار می‌آویخت و آواره می‌ساخت و از

عراق بیرون می‌راند تا این که سرشناسی از آنها باقی نماند....

سپس نسخه دیگری به کارگزاران خویش در سرتاسر بلاد نوشت که بنگرید هر کس که بیّنه بر وی اقامه شود و حتی متهم شود که علی و اهل بیت وی را دوست دارد، نامش را از دیوان رزق و عطا بسترید و او را شکنجه کنید و خانه‌اش را ویران سازید .... تا آنجا که هر گاه کسی از شیعیان علی فرد مورد وثوق وی به خانه‌اش می‌آمد و رازش را با وی در میان می‌گذاشت، از خادم و برده خویش بیمناک بود و تا سوگند و پیمان‌های سخت از وی نمی‌گرفت چیزی به او نمی‌گفت (شرح نهج‌ابن ابی الحدید ج 11 ص ۴۵-۴۴)

کربلاء انتقام بدر

پس از مرگ معاویه یزید میگسار بوزینه‌باز، سگ باز متجاهر به فسق و فجور حسین‌بن‌علی(ع) را با آن وضع دلخراش به شهادت رساند و اهل بیتش را اسیر گرفت و با سرهای شهیدان به شام برد و در مجلس شراب و جشن پیروزی خویش **سرود:**

لمّا بدا تلک الرؤس و اشرقت — تلک الشموس علی رُبی جیرون

هنگامی که آن سرها نمودار شدند — و آن خورشیدها بر بلندیهای جیرون درخشیدند

صاح الغراب فقلت صِح اولا تصِح — فلقد قضیت من النبیّ دیونی

غراب بانگ سرداد، گفتم (می‌خواهی) بانگ بزن یا بانگ نزن — من از پیامبر وامها و طلبهایم را باز ستاندم

همچنین به برخی از اشعار ابن زبعری که پس از پیروزی کفار در جنگ احد سروده بود تمثل جست و شماری را هم خود، اضافه کرد ...

لیت اشیاخی ببدر شهدوا — جزع‌الخزرج من وقع الاسل

کاش بزرگانم (که در بدر کشته شدند) — بی تابی طایفه خزرج را از فرو افتادن نیزه‌ها بر سر آنها می‌دیدند

لأهلّوا و استهلّو فرحاً — ثم قالوا یا یزید لا تشلّ

از شادی فریاد می‌کشیدند — و می‌گفتند یزید! دستت مریزاد

لست من خندف (-عتبة-) ان لم انتقم — من بنی احمد ما کان فعل

من از قبیله خندف (یا از-عتبة-) نیستم — اگر از فرزندان احمد انتقام آن چه بر ما روا داشت نگیرم

لعبت هاشم بالملک فلا — خبر جاء ولا وحی نزل

بنی هاشم با ملک و فرمانروایی بازی کردند — امّا نه خبری از آسمان آمده و نه وحیی نازل شده است

قد اخذنا من علیّ ثارنا — وقتلنا الفارس اللیث البطل

ما خون خویش را از علی گرفتیم　　و آن شیر مرد تکسوار پهلوان را از پای درآوردیم

وقتلنا القرم من ساداتهم　　وعدلناه ببدر فاعتدل

ما شهسواری از بزرگان آنها را کشتیم　　و این کار را با بدر برابر نهادیم و برابر هم شد

ملاحظه می‌کنید که تمام کلام این است که کشتن و اسیر گرفتن خاندان پیامبر و ... همه و همه به انتقام کشتگان بدر است. امّا این که آن جنگ در راه اسلام بوده است برای خاندان ابوسفیان و هند و معاویه و یزید هیچ به حساب نمی‌آید، کینه، کینه طائفی و قبیله‌ای است بلکه کینه کفر و ایمان است و تا ابد هم ادامه دارد و هم اکنون هم وهابیت جاهلی همان راه را می‌رود و با قبر و بارگاه علی و آل علی کینه دیرینه دارد اما در پوششی دیگر.

عبدالملک مروان نیز حجّاج را بر عراق فرمانروائی داد تا در نزدیک بیست سال بدترین کشتار و شکنجه و زندان و تبعید و ویرانی خانه و ... را بر مردم مظلوم عراق تحمیل کرد.

باری از آغاز بعثت رسول خدا تا سال 132 هجری که این شجرة خبیثه بنی‌امیّه باقی بود ـ بجز دو سال حکومت عمربن‌عبدالعزیز ـ سراسر مقابله با رسول خدا و تلاش توانفرسا برای خاموش کردن نور رسالت وی و نور خاندان وی بود.

پس از بنی‌امیّه، بنی‌عباس بر سرکار آمدند و آنها هم با آن که در آغاز با شعار «الرضا من آل محمد» بر روی کار آمدند امّا به محض استقرار حکومت سختگیری‌ها آغاز شد و در زمان هرون و مأمون شدت یافت البته با آمیزة سیاست.

«متوکل قبر مبارک امام حسین علیه‌السلام و خانه‌های پیرامون آن را ویران کرد و به صورت کشتزار در آورد و مردم را از زیارت وی ممانعت نمود و به همین جهت شعرا او را هجو گفتند و اهل بغداد بر دیوارها و مساجد به او ناسزا نوشتند، از آن جمله همانند این بیت:

به خدا قسم اگر بنی‌امیّه فرزند پیامبر خویش را مظلومانه کشتند، عموزادگانش، هم همانند همان را انجام دادند. این‌ها افسوس می‌خورند که در قتل او شرکت نکرده‌اند و به همین جهت به دنبال استخوانهای پوسیده‌اش افتاده‌اند و هان، این تربت ویران او است.

تاریخ الخلفاء سیوطی ص 347.

و یکی از زائران وقتی فرا رسید و دید که بر قبر مبارک آب بسته‌اند و آثار آن را محو کرده‌اند سرود:

ارادوا لیخفوا قبره عن حبیبه　　و طیب تراب القبر ینبی عن‌القبر

یعنی خواستند قبرش را از دوستش پنهان کنند　　اما بوی خوش خاک قبر از قبر خبر می‌دهد.

تا اینجا به اختصار تمام فقط اشاره‌ای شد و همین اشاره کافی است تا نشان دهد که بر این اساس می‌بایست از اهل بیت پیامبر و بویژه از شخص امیرالمؤمنین(ع) و امام حسین(ع) دیگر اثری به چشم نیاید و آوایی به گوش نخورد اما به گفته آن دانشمند: چه باید گفت در حق کسی که دوستانش از ترس و دشمنانش از کینه فضائل او را کتمان کردند و با این همه، فضائل او جهان را مالامال کرد و از بنی‌امیّه بجز ننگ و نفرت و رسوایی و بدنامی و ... چیزی باقی نماند و کسی از آنان نامی بر زبان نمی‌آورد.

علی علیه‌السلام را از بیم خوارج نادان شبانه به خاک سپردند و پنهانی بازگشتند و حتی در میان اهالی بلخ شایع است که امام صادق(ع) به ابومسلم خراسانی فرمود جسد مبارک امیرالمؤمنین را به نقطه دوردستی (همچون خراسان) ببرید مبادا دشمنان به آن اهانت کنند و او هم آن را به بلخ برده و در واقع «مزار شریف» به‌زعم آنان جای جسد مطّهر آن حضرت است که بارگاه وسیع و مجلّل و ضریح و خادمان و زوار فراوانی دارد. بر بالای ورودی دومین حیاط این مزار شریف این رباعی از جامی عارف قرن نهم نوشته شده است:

گویند که مرتضی علی در نجف است
در بلخ بیا ببین چه بیت الشرف است
جامی نه عدن‌گوی نه بین‌الجبلین (بلخ)
خورشید یکی و نور او هر طرف است

از یکی از فضلای آنجا که اهل سنّت است پرسیدم شما هیچ کرامتی از این مزار شریف دیده یا شنیده‌اید، با شگفتی به من نگریست و گفت من هر روز نماز صبحم را در این حرم می‌خوانم و آن قدر برآورده شدن حاجت و شفای بیمار از آن دیده‌ام که انکارناپذیر است.

البته در این که تربت پاک امیرالمؤمنین در نجف است جای تردید نیست، زیرا امامان معصوم(ع) همین جا را معرّفی و خود نیز آن را زیارت کرده‌اند، اما همان شایعه انتقال به بلخ هم سبب شده است که جمع کثیری به نام علی(ع) در آن دیار دور گرد آیند و دعا کنند و حاجت بخواهند و گاهی هم حاجت‌روا شوند.

باری از همان عصر روز عاشورا که بظاهر، همه چیز به پایان رسیده و کار یکسره تمام شده بود آثار پیروزی امام حسین(ع)، و یارانش اندک‌اندک آشکار شد خواه به صورت گروه توابین و انتقام‌گیران خون فرزند پیامبر و خواه با به خود آمدن مردم و خواه در قالب رؤیاها، شفا گرفتن‌ها حاجت‌روا شدنها و مانند اینها که بیشمار است و تا قیام قیامت هم دامنه‌دار است و خواه از راه نگارش کتابها و مقالات که این هم از شمار بیرون است و خواه از طریق آثار بر جای مانده از امیرالمؤمنین و امام حسین(ع) و سایر اهل بیت علیهم‌السلام و همچنین ذریّه پاک رسول خدا (ص). هر اندازه از مرکز سیطرة بنی‌امیّه و محور حکومت آنها دورتر و دورتر می‌شویم تابش و تشعشع این خورشید بیزوال بیشتر و بیشتر نمودار می‌شود چنان که در ایران، در پاکستان، در هند، در افغانستان کنونی، در تاجیکستان و ... دانشمندان و شاعرانی بی‌پروا از بن دندان علی و فاطمه و خاندان پیامبر را با رساترین بیان ستودند و بنی‌امیّه و معاویه را نکوهش کردند.

سنائی غزنوی درگذشته به سال ۵۲۵ هـ. ق در نکوهش معاویه و دودمان ابوسفیان و در ستایش علی و خاندان وی چیزی کم نگذاشت. پیش از او هم عارفان و صوفیان باب‌الابواب وصول و ورود به آستان عرفان را محبّت و ولای امیرالمؤمنین علیه‌السلام و تبار پاک او دانسته‌اند. عطّار آغاز و پایان تذکرةالاولیای خویش را با نام و گفتار امام صادق و امام باقر علیهماالسلام آراسته است.

مولانا که وقتی به نام امیرالمؤمنین(ع) می‌رسد گل از گلش می‌شکفد و بی‌اختیار می‌سراید:

راز بگشا ای علیّ مرتضی　　ای پس از سوءالقضا حسن القضا

ای علی که نور چشم و دیده‌ای　　شمّه‌ای واگو از آن چه دیده‌ای

و اقبال لاهوری را بنگریم که در باب امام حسین(ع) می گوید:

رمز قرآن از حسین آموختیم　　ز آتش او شعله‌ها افروختیم

خون او تفسیر این اسرار کرد　　ملّت خوابیده را بیدار کرد

ای صبا ای پیک دور افتادگان　　اشک ما بر خاک پاک او رسان

و گاندی رهبر استقلال هند گفت که من در آزادسازی هند از حسین درس گرفتم.

در مسجد بزرگی در دوشنبه پایتخت تاجیکستان امام جماعت سنّی آن‌جا با چنان سوز و شوری مصیبت امام حسین(ع) خواند که سرتاسر مسجد یکپارچه شور و سوز و گریه و ناله و اشک و آه شد و خود او هم زارزار گریس و ناله کرد و اشک ریخت. این از کجا است، آن هم بعد از هفتاد سال دین‌زدایی کمونیستی؟!

جز از تابش همان خورشید بیزوال حقیقت؟

ابوالفرج اصفهانی 356ـ284 هـ.ق از تبار مروان بن حکم ـ سرسخت‌ترین دشمن امیرالمؤمنین و فرزندان او ـ کتاب مقاتل الطّالبیین را نوشته است که به گفتهٔ مقدمه‌نویس آن آقای سیّداحمد صقر، چون موضوع آن برای وی دلنشین بوده آن را در قالب بهترین و رساترین عبارات به تصویر کشیده است، زیرا که وی گرچه تبار اموی دارد امّا در سرش هوای شیعی است و این، جای شگفتی نیست چرا که تشیع حقیقی از محبّت پیامبر و اهل بیت وی سرچشمه می‌گیرد و نسب را در حوزه محبّت راستین وزن و مقداری نیست. آری ابوالفرج اموی ـ مروانی ـ شیعی بود و این نشأت گرفته از همان طبیعت و نهاد خورشید بیزوال حقیقت است که مردی مروانی را برمی‌انگیزد تا با نگارش این کتاب مظلومیت آل ابی‌طالب را با بیانی دلنشین و رسا به رشته تحریر در آورد. چرا برای بنی‌امیّه تبار خودش این کار را نکرد؟!

این همه کتاب که اهل سنّت از حنبلی و حنفی و مالکی و شافعی در فضائل اهل بیت نوشته‌اند که به هزاران هزار مجلّد می‌رسد و نمونه‌اش را می‌توان در ده‌ها مجلّد ملحقات احقاق الحق آیةالله مرعشی دید، مولود همان تشعشع و تابش ذاتی این خورشید است. موفّق بن احمد مکّی سنّی اخطب خوارزم، شاگرد زمخشری صاحب کشاف، و راوی از او، کتاب مقتل الحسین را نگاشته که منبع بسیاری از عالمان، حتی علمای شیعه است و خود زمخشری هم در جای تا جای تفسیر کشاف به هر مناسبتی از فضائل اهل بیت می‌آورد، در ذیل آیهٔ فمن حاجّک فیه من بعد ماجائک من العلم (سوره آل عمران) ... حدیث کساء را از عائشه! نقل می‌کند و در سوره دهر ماجرای بیماری حسنین و روزه‌گرفتن همه اهل خانه و نزول این سوره را به همین مناسبت نقل می‌کند ... و این همه برخاسته از آن اقیانوس پهناور فضائل اهل بیت است که جائی برای کتمان و یاکم توجّهی باقی نمی‌گذارد مگر کسی مانند وهابیت معاند باشد که هنوز هم خیابانی یا فروشگاهی در مکه به نام ابوسفیان نامگذاری کرده‌اند ـ که راستی باید مایه شرمساری آنها باشد. آخر با کدام دستاویز؟ ابوسفیان؟!

در پایان لازم است گفته شود که خورشید بیزوال حقیقت که هیچگاه غروب نخواهد کرد همان حقّی است که قرآن کریم در سورهٔ انبیاء آیه ۱۸ به آن توجه داده و فرموده است: بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَي الْباطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذا هُوَ زاهِقٌ: ما حق را بر باطل پرتاب می‌کنیم و مغز باطل را می‌شکافد و باطل درجا نابود می‌شود...

در سرتاسر قرآن کریم هر جا درگیری حق و باطل مطرح است حق پیروز و ثابت و ماندنی و باطل مغلوب و تباه

شدنی است و به تعبیر علامة طباطبائی (ره) باطل همچون سرابی است که همواره در پناه حق وجودی تبعی و طفیلی و سایه‌وار دارد وگرنه از خودش هیچ ندارد و هیچ و پوچ است.

بنابراین، بقا و شکفتگی فزاینده این شعشعه نورپاش از طبیعت و نهاد خود همان است چرا که حقّ است و حق ثابت و پایدار است و پیامبر(ص) هم دربارة علی(ع) فرمود: علیّ مع الحقّ و الحق مع علّی.

الهوامش

۱. شرح نهج‌البلاغه ابن‌ابی‌الحدید، ج 2، ص ۵ـ۴۴.

۲. این بیت معروف است که:

۳. سبعون الف منبر و منبرة من فوقهنّ یلعنون الحیدرة

البعد الأخلاقي في الثورة الحسينية
التزام بالقيم وتمسك بالمبادئ

Ethical Scope of the Husseinist Revolution:
Believing in Doctrines and Holding Principles

الأستاذ المشارك الدكتور مسعود فكري

جامعة طهران / كلية الاداب والعلوم الانسانية/قسم اللغة العربية وآدابها

و الباحث المتعاون مع مؤسسة "سمت" الإيرانية لتدوين الكتب الجامعية للعلوم الإنسانية

Asst.Prof.Dr. Mas`ud Fakri, Department of Arabic, College of Arts, University of Tahran, the researcher in cooperation with Samt Foundation on the Terrain of Documentation of Humanist Scientific University Books

ملخص البحث

إن الثورة الحسينية شجرة معطاءة تؤتي ثمارها منذ انبثاقها و على مرالتأريخ .والسر الكامن في هذا الخلود المشرق أنها جاوزت الحدود المألوفة للحركات و الثورات و النهضات البشرية حيث أنها ثورة شاملة تعكس في مكوناتها و تداعياتها مختلف الجوانب العقدية و الخلقية و السلوكية و الثقافية و الإجتماعية .فليس من الغريب إنها بحاجة إلى دراسة عناصرها التي ساهمت في تكوين هذه المنظومة الشاملة.فقلما نجد ثورة بشرية على مستوى تغيير أنظمة الحكم أو الظروف الإجتماعية يهمها الالتزام بالقيم و الدفاع عن المبادئ .وهذا ينم عن هادفية هذه الثورة بما أنها لم تكن حركة عشوائية تنطلق من مبدأ الصدفة و تشق طريقها عبر أسباب خارجة عن إرادة المقيمين لها،بل إنها خطة ممنهجة جمعت بين تخطيط هادف مسبق وبين المبادئ و القيم التي ترسم خطوطها العريضة . إضافة إلى مكانة رائدها و قائدها كأهم عنصر في رقي هذا التخطيط .و مع أن الفصل بين عناصر و مكونات هذه الثورة لما بينها من تآلف و تآزر و تشابك يمس من استيعابها على أرض الواقع،لكنه و من الممكن التركيز على الجانب الأخلاقي الذي يشع بالنور و يسطع بالأضواء في سلوك الإمام الحسين عليه السلام و تصرفاته المثالية كقائد لهذه الثورة و الكواكب التي تحيط به من أهل بيته و أصحابه عليهم السلام على المستوى النظري. ونحن نريد أن ندرس المواقف و المشاهد التي تجسد هذا الالتزام و التمسك بالمبادئ متزامنا مع المرونة التي يتطلبها التفاعل الإجتماعي مع مختلف الشرائح.فالمشكلة الكبيرة التي عانت و تعاني منها البشرية والتي استطاعت الثورة الحسينية أن تقدم حلولا لها هي كيف يمكن الجمع بين الصمود على القيم و المبادئ وبين المرونة في التطبيق.و هل يمكن التضحي بواحد لأجل الآخر؟ فأصحاب ملحمة كربلاء قد تمكنوا من تجسيد هذا الجمع لما تلقوا من دروس و ارشادات قيادتها التربوية.

الكلمات الدليلية:الجانب الأخلاقي،الثورة الحسينية،الالتزام بالقيم،المبادئ،المرونة و الصمود

Abstract

The Husseinist revolution is a prolific one throughout ages ، whose secret lurks in the way of surpassing all the frontiers of insurrections and revolutions ; it lays the foundations of scopes doctrinal، ethical، behavioral ، cultural and social ،so it is quite convenient to focus on such a revolution ، precise and reformative ، to change man into perfection، whose leader surges as unique and peerless in drawing the lines of such a universal revolution giving importance to ethics though it is war time . Consequently ، it is of importance to study such a scope ، the amalgam between persistence into holding principlism and doctrines ، Karbala battle warriors do imply such an amalgam as having instructions from their educational leadership.

Key words

Ethical Scope، Husseinist Revolution، Principlism ، Quixoticism and altruism.

المقدمة

إن ثورة الإمام الحسين عليه السلام وملحمته الخالدة تعتبر ظاهرة عظيمة قل نظيرها في تغيير مسيرة التأريخ ومصيره. إن دراسة أسباب هذا الخلود وهذا التأثير المستمر والمتواصل تكشف عن شمولية هذه الثورة واشتمالها على جوانب مختلفة ساعدتها أن تصبح منظومة متنوعة الأجزاء ومتناسقة الأركان ومتوازنة العناصر. فلا شك أن كل حركة دينية ونهضة إلهية يتم تقييمها من أربع جهات رئيسة وهي مبدؤها وغايتها وفاعلها ومضمونها.

إن التوحيد والقيام لله تعالى والاجتهاد في تحقيق طاعته وبسط فكرة العبودية الخالصة ونفي الشرك ورفض الطاغوت هو المبدأ الأساس للملحمة الحسينية. فإن الإمام الحسين عليه السلام ما من موقف إلا وقد صرح فيه بهذا المبدأ العظيم كركيزة أساسية لثورته وهذا النمط من السلوك هو اتباع سيرة الأنبياء والأوصياء وسنتهم.

حيث يقول القرآن الكريم «قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى» (سبأ الآية ٤٦) فكان قيامه عليه السلام لله تعالى معتمدا على عقيدة التوحيد والعبودية له.

وقد نشأت غايتها من نفس المبدأ حيث أن الإصلاح المنشود في هذه الثورة كان لأجل تطبيق أوامر الله وشريعته في الأرض وإصلاح ما ظهر من الانحراف في سيرة الرسول وأهل بيته وسلوكهم عليهم السلام وهذا النوع من الإصلاح يأخذ طابعا اجتماعيا وإن كان الهدف منه الإصلاح في إطار شريعة الله ودينه. يقول الإمام:

إني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا مفسدا ولا ظالما وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي. أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي. (الخوارزمي، ج ١، ص ١٨٨)

أما بالنسبة إلى قائد هذه الثورة ورائدها فإنه لم يكن على مستوى القيادات المعتادة حيث إنهم يحاولون تطبيق فكرتهم والتي تنبثق في كثير من الأحيان من مبدأ السيطرة على السلطة والحصول عليها. ولذلك فإن النتيجة رهينة إمكانية الحصول على هذه الأهداف وليست ناشئة عن مبدأ الإيمان لأداء الواجب ولذلك نجد أن المعادلات والصيغ المعهودة لتقييم النتائج المادية لم تكن تسود على مبادرات الإمام وإنه كان يعرف جيدا أن نهاية المطاف ستكون قتلا في سبيل الله واستشهاده مع مجموعة من أهل بيته وأصحابه الكرام وقد أشار إلى ذلك في رده الصريح على طلب أخيه محمد بن الحنفية لمكوثه بمكة المكرمة حيث يقول: أتاني رسول الله وقال: يا حسين أخرج فإن الله شاء أن يراك قتيلا. (إبن طاووس، ص ٦٥)

فالإمام عليه السلام قد استطاع أن يقود هذه الحركة الدينية الاجتماعية بفاعليته النابعة من صميم الإيمان بالعقيدة والالتزام بالواجب والاتصاف بالخلق السامية والبصيرة النافذة التي جعلته مختلفا عن القادة الثوريين من مختلف الشرائح البشرية على مر العصور.

بالإضافة إلى ذلك فإن المضمون الراقي والمشرق في هذه الثورة وهو بث الوعي وإيقاظ النفوس وتشجيعهم على العودة إلى سبيل الرب والتمسك بالقيم الإلهية يشمل جانبا مهما آخر من جوانب هذه الملحمة.

وبما أن موضوع الشمولية في الأركان الآنفة الذكر والشمولية في الجوانب لثورة الإمام الحسين عليه السلام تستوعبان دراسة موسعة حاولنا في هذه المقالة أن نسلط الضوء على مجال السلوك العملي للإمام عليه السلام حيث يعتبر هذه السلوك رمزا وسرا خالدين أثر في رسم الخطوط العريضة لنمط الحياة المشبعة بالقيم للأجيال القادمة وهذا ما أنار الدرب لملايين من الموالين له عليه السلام للاقتداء بسيرته ونهجه وسلوكه.

ويمكننا القول بأن الجانب الأخلاقي والسلوكي حيث أنهما وجهان لعملة واحدة من حيث المبدأ والظهور بما أن الأفعال والتصرفات الإنسانية تنبعث من الصفات الأخلاقية التي جاوزت مرحلة الطروء إلى مرحلة الرسوخ، فالكرم والشجاعة

والجود والإباء والشفقة وغيرها من الفضائل الأخلاقية على سبيل المثال إذا تجذرت وترسخت في النفس الإنسانية فإن التصرفات المتناسقة معها تظهر في سلوك صاحبها.

وبما أن الإمام الحسين عليه السلام وليد بيت الوحي وربيب أحضان المدرسة الإسلامية العليا قد تمكن من ترسيخ هذه الصفات الكريمة في شخصيته كما استطاع أن يطبقها في سلوكه فيمكننا القول بأن الملحمة الحسينية هي ملحمة أخلاقية قد تبلورت فيها هذه القيم وبتعبير أدق تمنحنا حلولا عملية للجمع بين الالتزام بالقيم الأخلاقية ومتابعة الإصلاح الاجتماعي وحتى محاولة تغيير نظام الحكم على المستوى الاجتماعي والحصول على السلطة كآلية لإصلاح إدارة المجتمع.

١ـ ما المقصود بالجانب الأخلاقي

من الواضح جدا أن علاقات الإنسان بما يحيط به ويوجد حوله متأثرة بما يحمله من المبادئ الأخلاقية وإن الأخلاق كما يعرفها علماءها منهج سلوك الإنسان وتعامله مع بني جنسه. كما يظهر من هذا البيان أن الأخلاق منهج مستمر ويسود على أفعال الإنسان. فإذا كانت العقيدة تسود على علاقات الإنسان بربه تعالى ويظهر ذلك في عبوديته وعبادته له. فالقواعد الحاكمة على علاقة الإنسان ببني جنسه تظهر فيما نسميه بالأخلاق.

كما أن هناك أسس ومبادئ معرفية وعملية تحكم علاقتين أخريين للإنسان وهما علاقة بالكون وعلاقته بنفسه حيث أن الأولى تخضع لقوانين حسن الإدارة والاستغلال من هذه الموارد والاستفادة منها بشكل صحيح والتجارب العلمية تخطط ذلك والثانية تخضع للقوانين التربية وتهذيب النفس.

وهناك ثلاثة أسئلة رئيسة تطرح نفسها:

ـ هل كان الإمام الحسين عليه السلام في ملحمته العظيمة يراعي الجانب الأخلاقي ويلتزم به كقائد لهذه النهضة؟

ـ ما هي المؤشرات والمواقف التي تؤيد هذه الميزة لثورته عليه السلام؟

ـ هل قدم الإمام حلا تطبيقيا ووظيفيا للجمع بين الالتزام بالأخلاق كركيزة أساسية وبين متابعة الواجبات الاجتماعية ومحاولة ممنهجة لتغيير نظام السلطة والحصول عليها؟

أما بالنسبة إلى السؤال الأول فكما أشرنا سابقا أن ملحمة كربلاء وثورة الإمام الحسين عليه السلام كانت تمحور على أساس الالتزام بالأخلاق الإسلامية وقيمها وهذا هو سر الخلود لها.

فإذا كان منهج الإمام كذرائعيين الذين يبررون الآلات بالغايات ويستغلون كل شيء في سبيل تحقيق أهدافهم فانه ثمة لم يكن فارق أساسي بين هذه الثورة وغيرها من الحركات الاجتماعية ولانخمد ضياءها بعد فترة حدوثها. فالمثالية التي نمر عليها تكشف عن الإجابة الإيجابية والصارمة لهذا السؤال.

٢ـ الفضائل الأخلاقية المتسجدة في سلوك الإمام وأقواله

لا شك أن إحصاء جميع الفضائل والمكارم الخلقية المتواجدة في شخصية هذا الإمام العظيم بحاجة إلى استيعاب شامل لمختلف مراحل عمره الشريف منذ طفولته وحتى استشهاده لكن بما أن فترة جهاده عليه السلام وكفاحه المشع بالنور تناولتها صفحات التأريخ أكثر من غيرها نحن نركز عليها كمقتبس من حياته الشريفة. وهنا نورد جملة من مبادئه الأخلاقية بالإجمال وإن كان جميعها بحاجة إلى دراسة تفصيلية.

الف ـ الإباء وكرامة النفس

إن كرامة النفس وعلو الهمة وعدم الخضوع والخنوع للدناءة واللئامة والضيم مما يعطي الإنسان مكانة سامية ويجعل الإنسان أعلى مستوى من سائر أفراد بني الإنسان. فهما كان ثمن هذا التمسك والالتزام لكن كرامة النفس تمنع الإنسان من هذا الحط والتدني.

فعندما طرح عليه عمر الأطرف وهو أخوه من غير شقيق الإعراض عن التوجه إلى العراق يقول: والله لا أعطي الدنية من نفسي. (بن طاووس، ص ١٢٣)

ويقول في موقف آخر: ألا وإن الدعي وابن الدعي قد ركزني بين إثنتين السلة والذلة ولكن هيهات منا الذلة، يأبى الله لنا ذلك وحجور طابت وطهرت.

وفي رؤيته عليه السلام لا قيمة للحياة إذا كانت مقترنة بالعار.

فيقول: الموت أولى من ركوب العار والعار أولى من دخول النار. (ابن ...، ص ٤٨)

ب ـ الالتزام بنزاهة النفس وعدم اقتراف الرذائل

الإنسان المثالي يحاول دوما أن يتجنب ما يدنسه ويزيل نزاهة نفسه ونقاوة روحه.

فلا يمكن صدور الأفعال النزيهة إلا من مبدأ نفساني نزيه.

فعندما عرض عليه والي المدينة المبايعة ليزيد بن معاوية يعلل امتناعه عن ذلك بمقارنة بين نفسيته وشخصية من سمي نفسه بخليفة المسلمين فيقول:

ويزيد رجل شارب الخمر وقاتل النفس المحترمة، معلن بالفسق ومثلي لا يبايع مثله. (الخوارزمى، ج ١، ص ١٨٤)

و من الملاحظ أن الإمام يقدم قاعدة أخلاقية ثابتة لا تزعزعها الظروف والمتغيرات. فإن موضوع مواجهة الإمام ومعارضته مع هذا المتورط في المعاصي لا يعتبر أمرا شخصيا بل عدم إمكانية هذا التناسق يعود إلى جوهرة الفضيلة ونواة الرذيلة. فكل من يتمتع بهذه النفسية النزيهة لا يمكن أن يقترف مثل هذه الذنوب.

وإذا كانت قدوة المجتمع لا تحظى بهذه الطهارة والنزاهة فكيف يمكن لأعضائه أن يسلك طريق الأخلاق السامية والقيم الراقية. ولذلك يرى الإمام مثل هذه الظاهرة بلية وكارثة للبشرية فيقول: على الإسلام السلام اذ قد بليت الأمة براع مثل يزيد. (بن طاووس، ص ٢٠)

ج ـ الحب للمعروف والكراهية للمنكر

من المواقف الضرورية للسلوك الأخلاقي أن يحدد الإنسان انتماءه إلى المعروف وابتعاده عن المنكر وهذا أكثر من مستوى تطبيقه العملي بالنسبة لها.

فإذا كان الإنسان يهتم بدعم المعروف ودحض المنكر إضافة إلى ما يعمله في حياته الشخصية فهذا يسبب نشر الخير وبث الفضيلة في المجتمع. فالأنبياء والأوصياء كانوا داعمين للمعروف ورافضين للمنكر.

وعندما أراد الإمام الحسين عليه السلام وداع قبر جده أعلن شعاره الخالد فقال: اللهم إني أحب المعروف وأنكر المنكر. (خوارزمي، ج ١، ص ١٨٦)

د ـ التسليم لقضاء الله

إن الصبر والتجلد لا يتحققان إلا إذا كانت النفس الإنسانية تؤمن بقضاء الله وتسلم أمرها إليه. لكن ذلك لا يعني عدم القيام بالواجب وبذل الجهد لتغيير الظروف والاستفادة من قدرات الإنسان وقابلياته. لأنه من الواضح أن الله تبارك وتعالى فوض إليه جانبا واسعا من قرارات حياته. لكن ما يخرج عن إطار إدارته وخياراته يعود إلى ناموس قضاء الله في الكون وهذا ما يغير موقف الإنسان تجاه الظواهر والأحداث ويزيد في تماسكه وثباته. فإذا كان الخيار الموجه إلى الإنسان قبول مشيئة الله وإرادته لابد للمؤمن أن يستسلم أمامه. فالإمام الحسين وفي مواقف مختلفة يصرح بهذا المبدأ العقدي والذي يظهر في سلوكه العملي.

فعندما طلبت أم المؤمنين أم سلمة الانصراف عن توجهه إلى العراق قال:

يا أماه وأنا أعلم أني مقتول مذبوح ظلما وعدوانا وقد شاء عزوجل أن يرى حرمي ورهطي مشردين وأطفالي مذبوحين مأسورين مقيدين. (البحراني، ص ٢٤٤)

وإن هذا التسليم ينشأ من مبدأ الإيمان بمصارعة الحق والباطل المستمرة وعدم إمكانية الوئام بينهما فيقول:

لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت يزيد بن معاوية. (الخوارزمي، ج١، ص ١٨٨)

وينشأ من ذلك عدم الخوف من خياره لأن هذا القرار يأتي من الاعتماد على البصيرة والوعي.

فكان عليه السلام يتمثل بأبيات من يزيد بن مفرغ حيث يقول:

لا ذعرت السوام في فلق الصبح مغيرا ولا دعيت يزيدا

يوم أعطي مخافة الموت كفأ والمنايا يرصدنني أن أحيدا

(إبن أثير، ج ٣، ص ٢٦٥)

هـ ـ عدم متابعة الهوى

إن من أسرار خلود الملحمة الحسينية الالتزام بأداء الواجب واجتناب متابعة الهوى فكان يتوقع الإمام عليه السلام أن الأجيال القادمة وبتأثير من تزييف الحقيقة ربما يحللون هذه النهضة بأنها محاولة للحصول على عرش الحكم والسلطة فقال عليه السلام تبيينا لدوافعه من هذه الثورة:

إني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا مفسدا ولا ظالما وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي. (الخوارزمي، ج١، ص ١٨٨)

و ـ عدم فرض رأيه على الآخرين

مع أن الإمام عليه السلام بذل جهدا حثيثا في إثارة الوعي وبث البصيرة بين شرائح مجتمعه لكن هو في نفس الوقت لم يكن يفرض رأيه على الآخرين وحتي أقاربه وأصحابه.

فيقول: فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق ومن رد علي هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم وهو خير الحاكمين. (السابق، ج١، ص ١٨٨)

كما أنه عليه السلام في مواقف مختلفة خير أنصاره لمتابعة نهضته أو الانصراف عنها فيقول بعد استشهاد مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة وعبدالله ين يقطر: فمن أحب منكم الانصراف فلينصرف فليس عليه منا ذمام. (الطبري، ج٧، ص ٢٩٤)

ف في ليلة عاشوراء وعندما يخاطب أهل بيته وأصحابه يقول:

وإني قد أذنت لكم فانطلقوا جميعا في حل ليس عليكم مني ذمام. (إبن أثير، ج٣، ص ٢٨٥)

ز ـ الاعتبار بالماضي

من الميزات السلوكية والأخلاقية التي يمكن اعتبارها مبدأ لتصرفات الإمام الاعتبار بالماضي. فكان الإمام عليه السلام يسرد مشاهد من مواجهة الكفار والمشركين مع الأنبياء والرسل فقال الإمام مخاطبا عبدالله بن عمر.

يا أبا عبدالرحمن، أما علمت أن من هوان الدنيا على الله أن رأس يحيي بن زكريا أهدي إلى بغي من بغايا بني إسرائيل؟ أما تعلم ان بني إسرائيل كانوا يقتلون ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس سبعين نبيا لم يجلسون في أسواقهم يبيعون ويشترون كأن لم يصنعوا شيئا فلم يعجل الله عليهم بل أمهلهم وأخذهم بعد ذلك أخذ عزيز ذى انتقام. (بن طاووس، ص ١٢٦)

ج ـ المسؤولية الاجتماعية

هناك أحيانا تعارض بين المسؤولية الفردية والمسؤولية الاجتماعية فالسلوك الأخلاقي يقتضي تقديم المصالح العامة على المصالح الفردية.

فعندما يشرح الإمام أسباب تراجع أهل البيت عليهم السلام عن مقامهم كأوصياء رسول الله يفسر ذلك بتقديم مصلحة عامة المسلمين على حقهم.

فقال في كتابه الموجه إلى أهالي البصرة:

إن الله اصطفى محمد ص من خلقه وأكرمه بنبوته وأختاره لرسالته ثم قبضه إليه وقد نصح لعباده وبلغ ما أرسل به وكنا أهله وأولياءه وأوصياءه وورثته وأحق الناس بمقامه في الناس فاستأثر علينا قومنا بذلك فرضينا وكرهنا الفرقة وأحببنا العافية ونحن نعلم أنا أحق بذلك الحق المستحق علينا ممن تولاه. (الطبري، ج٧، ٢٩٧)

كما أنه وفي أكثر من موقف يشير إلي قيامه بمسؤوليته الاجتماعية ويعلق إجابته لدعوة أهل الكوفة باجتماع رأيهم على مناصرته. (المفيد، ص ٢٠٤)

وإن المقصود من الاهتمام بالمسؤولية الاجتماعية ليس بمعنى الإعراض عن الحق والتمحور عليه بل تؤدى هذه المسؤولية في إطار الالتزام بالحق كما أنه عليه السلام يؤكد دوما على الأمة الإسلامية بأداء هذا الواجب.

ففي خطبته المشهورة التي ألقاها في منزل البيضة يروي عن جده فيقول:

إن رسول الله قال: مَنْ رأى سلطانًا جائرًا، مستحلًّا لحرم الله، ناكثًا لعهد الله، مخالفًا لسنّة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يُغيِّرعليه بفعل ولا قول، كان حقًا على الله أن يدخله مدخله. (الطبري، ج٦، ٢٢٩)

ط ـ الكرم والإحسان

من الواضح أن الكرم سجية مترسخة في شخصية الإمام كغيره من أهل البيت عليهم السلام ولذلك قد تمكنوا من السيطرة على القلوب فمن المثال على ذلك عند الالتقاء بجيش حر بن يزيد الرياحي ففي منزل شراف أمر عليه السلام أن يملؤوا القراب من الماء ويحملوها إلى الخيام فعند بلوغ جيش حر إلى منزل شراف وقد شاهد الإمام ملامح التعب والعطش عليهم أمر أصحابه بسقيهم وسقي خيولهم ويرشون عليها الماؤ ليزيلوا عنها العناء. فيقول على بن طحان المحاربي وهو أحد جنود جيش حر بن يزيد أن أصحاب الحسين عليهم السلام كانوا منشغلين بسقي الجيش فلم يلتفت إلي أحد حتى خرج رجل وسيم من جانب الخيام وتوجه إلي بتقديم الماء فعرفته فيما بعد أنه الحسين عليه السلام. (إبن أثير، ج٣، ص ٢٨٠)

فلم يقتصر إحسانه على الجانب المادي فكان شفيقا على الآخرين لهدايتهم وإرشادهم. ودعوته لعبيد الله بن حر الجعفي

لمناصرته خير دليل على هذا الاهتمام البالغ.

وإذا أردنا أن نشير إلى بعض العناوين الرئيسة لسلوك الإمام الأخلاقي يمكن أن نشير إلى كراهيته للصراع مع الآخرين.

ما كنت أبدأهم بالقتال. (الطبري، ج ٣، ص ٢٨٣)

ورفضه لحب الدنيا:

فإن تكن الدنيا تعد نفيسة فإن ثواب الله أعلى وأنبل

فإن تكن الأموال للترك جمعها فما بال متروك به المرء يبخل

(إبن عساكر، ج٤، ص ١٦٤)

وشوقه إلى الله « وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف». (بن طاووس، ص ٢١)

كما أن التضحية بالنفس والأهل من سجايا الإمام الثابتة ويؤيدها كثير من المواقف وخاصة عندما يتعامل مع العبيد كما يتعامل مع ولده وفلذة كبده.

وهذه كلها إضافة إلى علاقته بربه واحترامه للمقدسات وحبه للعبادة.

ومع غض النظر عن تفاصيل هذه المبادئ الأخلاقية والقيم السلوكية فإن النقطة الجديرة بالالتفات تسوية المشكلة التي كانت ولا تزال تعاني منها البشرية وهي كيف يمكن الجمع بين التمسك والالتزام بهذه المبادئ وفي نفس الوقت المبادرة بأداء الدور الاجتماعي وإدارة الحياة.

فالإمام قد أثبت مدى نجاح إمكانية الجمع بين هذين في التطبيق العملي.

لكن شريطة أن لا يضحي الإنسان بالقيم لأجل المصالح بل يتابع المصالح في إطار القواعد الأخلاقية وهذا هو سر نجاح السلوك الأخلاقي للإمام الحسين الذي جعله مثالا وقدوة وأسوة على مر التأريخ.

المصادر:

القرآن الكريم

١. إبن إبى الحديد، شرح نهج البلاغة، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، ١٤٣٢ هـ.ق
٢. إبن أثير، معز الدين، الكامل في التاريخ، بيروت، ١٣٨٧ هـ.ش
٣. ابن عساكر الدمشقي، تاريخ إبن عساكر، دار العلم، بيروت، لبنان، ١٤١٨ هـ.ش
٤. الحلي، إبن نما، مثير الأحزان، طهران، بلا تأريخ
٥. الخوارزمي،الخطيب، المقتل، قم المقدسة
٦. سيد بن طاووس، اللهوف على قتل الطفوف، دار الكتب العلمية، طهران، ١٣٢١ هـ.ش
٧. المفيد، محمد بن نعمان، الإرشاد، المطبعة الحيدريةٌ، النجف الأشرف
٨. الطبري، محمد بن جرير، تأريخ الطبري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤١٣ هـ.ق
٩. المقرم، عبدالرزاق، مقتل الحسين (ع)، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٢٩٦ هـ.ش

واقعة الطف برواية الشيعة الايرانيين في القرنين السابع والثامن الهجري

واقعۀ کربلا به روایت شیعیان ایرانی قرون هفتم وهشتم ه.ق

Al-Taff Battle Narrated by Iranian Shiites in the Seventh and Eighth Century Hijra

د. رقیه میرابوالقاسمی

مؤسسة سمت الإيرانية

دائرة المعارف الاسلامية

Dr.Ruqeia Mira Abu Al.qossim

Samt Iranian Foundation

Knowledge Islamoc Houfe

ملخص البحث

ما فحوى واقعة كربلاء؟ ولماذا حدثت؟ ولماذا جاءت على هذا النحو؟

حاول الشيعة الايرانيون منذ عقود عدة الاجابة على هكذا اسئلة، غير أن هذه الاسباب بلا شك هي فوق التوقعات الخاصة في المسلمين بشكل عام والشيعة بشكل خاص، إذ إن هناك الكثير من الكتابات حول هذه التساؤلات لتجيب عن الحاجة العقدية في حياة انصار اهل البيت (عليهم السلام).

وهنالك الكثير من المصادر المتسننة منها رحلة اليد البيضاء وبستان المعرفة العام لمحمد بن الحسين الرازي وشهب الاخبار لكاتب مجهول ومناقب الطاهرين لكمال الباهي وزينة الشجعان في مناقب الائمة الاطهار وهناك العديد من الاخبار والمقولات في فضائل اهل البيت عليهم السلام وامجاد ابناء البتول لعماد الدين الطبري في عام(١٠٧هـ) وراحة الارواح ومؤنس الاشباح في اصول النبي صلى الله عليه وآله وسلم والائمة (عليهم السلام) ومصابيح القلوب لحسن الشيعي السبزواري في عام (٧٥٧هـ) وكل هذه المصادر تُعد ارثًا مهمًّا للدارسين الايرانيين وفي الحقب التاريخية المهمة المكتوبة بالفارسية التي توثق تاريخ المذهب الشيعي وحيث أن مؤلفوا هذه الاصدارات حصلوا على دعم حكومي ومثال على ذلك دعم عائلة الجويني الى عماد الدين الطبري وحكومة السربارداية الى حسن الشيعي الزبزباري.

Abstract

What is the chore and chore of the bloody Karbala battle ? Why Occurred ? Why Happened in such a way ?

From centuries such questions the Iranian Shiites endeavour to answer ، without doubt they are not beyond expectation for Muslims and Shiites in particular as there are many writings about these inquires to meet the mind requirement of the doctrinal life of the adherents . Certain sources ; Journey of the Benevolent and The Orchard of the Common Orchard for Mohammed Bin Hussein Al-Razi، Shahab Al-Akhbar for anonymous ، Manaqib Al-Tahreen for Kamal Al-Bahi، Ornament of the Brave in the Mention of the Immaculate Imams، News، Sayings and Tales in the Merits of the Ahalalbayt ، Glory of the Soins of Al-Batul for `Amad Al-Deen Al;-Tabari in 701 Hijra ، Raha Al-Arwah and Munis Al-Ashbahg in the Circumstances of the Prophet and Imams، Masabeh Al-Qulub for Hassan Al-Shiite Al-Sabzwari 757Hijra are all considered as meritorious remains for the Iranian scholars in the mentioned eras and written in Persian and document the history of the Shiite denomination and some of their authors gaiun buttress and government patronage ، for instance، the buttress of Al-Jueini family to `Amad Al-Deen Al-Tabari and the government Al-Sarbadaria patronmage to Hasasn Al-Shiite Al-Sabazwari .

چکیده

« ماهیت واقعۀ کربلا چیست؟ چرا اتفاق افتاد وچرا « اینگونه» اتفاق افتاد؟ »

اینها سئوالاتی است که قرنها پیش برخی ایرانیان شیعه مذهب،با جدیت درصدد پاسخگویی بدانها برآمدند.چنین

دغدغه ای البته برای مسلمانان و به ویژه شیعیان،تازگی نداشت و تا آن زمان صدها سال بود که دربارۀ آن سخنان بسیار گفته ونوشته شده بود با این حال برای آن دسته از شیعیان ایرانی سده های هفتم وهشتم ه.ق که بدان پرداختند،پاسخ به این دغدغه به مثابه عملیاتی سرنوشت ساز در تداوم حیات مذهبی حال وآینده شان به شمار می رفت.

«نزهة الکرام وبستان العوام(تالیف محمد بن حسین رازی)،شرح شهاب الاخبار(ازمولفی ناشناس)،

مناقب الطاهرین،کامل بهایی،تحفة الابرار فی مناقب الائمة الاطهار،اخبار واحادیث وحکایات در فضایل اهل بیت رسول(ص)ومناقب اولاد بتول(س)(همگی تالیف عمادالدین طبری:زنده در ۵۷۰۱.ق)،راحة الارواح و مونس الاشباح فی احوال النبی والائمة علیهم السلام و مصابیح القلوب (هردو تالیف حسن شیعی سبزواری(زنده در ۵۷۵۷.ق)»مجموعه ای قابل توجه از آثار به جای مانده از ایرانیان مورد بحث در ادوار یاد شده را تشکیل می دهند که در همان زمان و به زبان فارسی به نگارش درآمده اند.رویکرد غالب این آثار، تاریخ نگاری مذهبی شیعی است ومولفانشان به رغم برخورداری برخی از آنان از حمایتهای حکومتی(نظیر آنچه که خاندان جوینی برای عمادالدین طبری[۱] وحکومت سربداران برای حسن شیعی سبزواری[۲] فراهم ساختند)بر اساس انگیزه های اعتقادی دست به نگارش زدند.انگیزه هایی چون ترویج وتبلیغ تشیع امامیه وپاسخگویی به شبهات مخالفان ومعاندان که مورد اخیر،چرایی جدلی بودن محتوای بخشهایی از این نگاشته ها را تبیین می کند. محوریت این آثار،« شرح سرگذشت معصومین(ع) » که البته کاربرد اصطلاح « تاریخ نگاری» برای بخش اعظم مندرجات آنها به دلیل آنکه تکیۀ اصلی مولفان، نه بر گزارشهای تاریخی بلکه بر روایاتی داستان گونه بوده،جز با تسامح ممکن نیست. این رویکرد در رابطه با واقعۀ کربلا، حاوی تصاویر روشنی است که انعکاسی از طرز تلقی جامعۀ شیعیان ایرانی آن روزگار در این خصوص نیز به شمار می رود.

سئوالات وابهامات دربارۀ واقعۀ کربلا واز آن جمله « چرایی» وقوع این رویداد دلخراش،بی شک دغدغه ای مهم برای مولفان ایرانی مذکور بوده و تردیدی هم نیست که آنان به اهمیت این واقعه به عنوان بخشی مهم وتعیین کننده در تاریخ وقایع صدر اسلام آگاه بوده اند.با اینهمه«نحوۀ مواجهۀ»آنان با این رخداد،گویای آنست که این « دغدغه » نه در راستای « تبیین وتشریح علل وابعاد این واقعۀ تاریخی » بلکه با هدف « تقدس بخشیدن به اصل واقعه » شکل گرفته است: تقدس خاک کربلا از آغاز آفرینش[۳]،تفسیر آیۀ « کهیعص(مریم:1) » به رویداد کربلا وشهادت امام (ع)[۴]،نقل حدیث پیامبر(ص)در خصوص آنچه که در شب معراج دربارۀ حسین(ع)در عرش دید[۵]،پیشگویی کعب الاحبار دربارۀ شهادت حسین (ع)،گریستن فرشتگان هفت آسمان،بارش باران خون وگرفتگی خورشید وماه تا سه شبانه روز پس از شهادت امام (ع)[۶].

در همین راستا تبیین واقعۀ کربلا به گونه ای صورت گرفته که گویا آنچه که رخ داده، نه رویدادی سیاسی در زمان ومکانی خاص،بلکه سرنوشت ازلی مقدر شده برای امام حسین(ع) بوده وپیش آگهی آن از مدتها قبل وجود داشته است:

« چون حق تعالی گوسفندی فرستاد از برای فدای اسماعیل وابراهیم آن را ذبح کرد،به خاطرش بگذشت که اگر فرزند خود را به دست خود قربان کردمی،ثواب عظیم ودرجۀ رفیع حاصل شدی.پادشاه عالم به وی وحی فرستاد که ای ابراهیم! از جماعت خلقان، که را دوستتر داری؟ گفت: محمد که حبیب توست....پادشاه عالم گفت:فرزند اورا که نامش حسین باشد،گروهی ظالمان بکشند به خواری وزاری هرچه تمامتر و فرزندان وی را در پیش وی، بعضی را به تیغ بکشند وبعضی را به تشنگی هلاک کنند.پس ابراهیم بگریست».[۷]

از همین نمونه است گریهٔ زکریای نبی (ع) بر امام حسین (ع) وتشبیه شهادت ایشان به شهادت حضرت یحیی(ع)[۸] وداستان فطرس : «چون حسین بن علی (ع) به وجود آمد.....(یکی از ملائکه به نام فطرس که به میمنت ولادت حسین(ع) از خشم خداوند رهایی جسته بود، به پیامبر(ص) عرض کرد):یا رسول الله امت تو اورا بکشند و او را نزد من مکافاتی هست.هیچ کس زیارت او نکند الّا من زیارت او برسانم وهیچ کس سلام او نکند الّا که من سلام او برسانم وهیچ کس صلوات او نفرستد الّا که صلوات او برسانم».[۹] نیز (پس از ولادت حسین(ع)) : « جبرئیل سلام حق تعالی را(به پیامبر(ص)) برسانید وتهنیتش گفت وتعزیتش داد.رسول(ص) آب در چشم گردانید وفرمود: از امت من کسی وی را بکشد؟ گفت: آری جماعتی از بدبختان. رسول (ص) فرمود: من از ایشان بیزارم و خدای نیز از ایشان بیزار باشد.پس جبرئیل گفت: یا رسول الله پیش فلطمه شو وسلام حق تعالی برسان..... و تهنیتش وتعزیتش بده.رسول به نزدیک فاطمه شد.....وچون تعزیت بداد،فاطمه....بگریست .....فاطمه گفت: ای پدر از جبرئیل بپرس که وی را در کودکی شهید خواهند کرد یا در وقتی که بزرگ شود؟فرمود: وی را شهید نکنند تا وقتی که از صلب او امامی در وجود آید که پدر امامان ومعصومان وحجت خدای در زمین باشد».[۱۰]

برجسته ترین مفهوم در این رویکرد، مفهوم « شهادت » است که تمامی رویداد کربلا حول آن شکل گرفته ومفاهیم قدسی مرتبط با آن به شدت تقویت می شود. در این طرز تلقی آنچه که اهمیت داردنه « چرایی» وقوع این واقعهٔ هولناک بلکه « اثبات قدسیت شان امام حسین (ع)» است که به رغم « مقدر بودن از ابتدای آفرینش» جز با « شهادت در کربلا» محقق نمی شده است.شهادت در این معنی،علاوه بر بار معناییمذهبی واعتقادی،حاوی مفهوم «ابتلاء» است.ابتلایی که یگانه راه دستیابی به رستگاری ابدی و همهٔ انبیاء و اولیاء وصالحان به فراخور حال خود با آن مواجه بوده اند:

« عاشقان مولی کیستند؟ سابقان که مقربان حضرتند که « السابقون السابقون اولئک المقربون» (واقعه:10-11). عمل از برای رضای حق کنند. روح ایشان سابق ارواح بود.به تخصیص«یحبهم» مخصوص ومشرف گشته،تاج کرامت «یحبونه» برسر ایشان نهاده،صد هزار تیر بلا از جعبه ی قضا بر دل وجگر ایشان زده،ایشان روی گشاده ولب خندان پیش آمده وکاسات زهر نوشیده و آهی نکرده.اگر این مقالت را تصدیقی وتحقیقی می طلبی،در احوال ومقامات انبیاء واولیاء نظری کن تا حسرت آدم بینی،فریاد نوح شنوی،اره بر فرق زکریا وسر در طشت بریدن یحیی بینی.جگر سوخته و دل کباب محمد مصطفی بینی وتیغ بر فرق علی بینی وجگر پارهٔ حسن بینی،حلق بریده وسینهٔ شکسته وفرزندان به غارت بردل حسین شهید کربلا بینی که « البلاء موکل بالانبیاء ثم بالامثل فالامثل».حسین علی به درجه ای رسید که از آن رفیع تر نباشد وبه ثوابی که از آن عظیم تر نیست».[۱۱]

بدیهی است که در چنین دیدگاهی،«تاریخ» اهمیتی اساسی ندارد وتوجه بدان هم جز در قالب روایات مقّطع وگزینش شده ای که در خدمت رویکرد «تقدس گرای» پیش گفته است،صورت نمی گیرد.چنین رویکردی البته نوعی «تغافل» است.تغافلی که هم عامدانه وآگاهانه وهم سهوا صورت پذیرفته است.آگاهانه است به آن دلیل که شرح وتفصیل تاریخی واقعهٔ کربلا در میان این آثار کاملا مفقود نیست وگزارش کاملی از این رویداد حداقل در یکی از آنها یعنی«کامل بهایی» یافت می شود و گویای توجه مولف به مستندات تاریخی است.درعین حال در همین اثر و اثر دیگرش موسوم به «مناقب الطاهرین»،طبری با احتجاجاتی عقلی،نقلی وتاریخی در صدد استدلال «چرایی» وقوع رویدادکربلاست که بر نگاه تحلیلی او ودغدغه اش برای پاسخگویی به شبهات موجود،صحّه می گذارد:

«بدان که هر که را دردین رسوخی هست در اعتقاد،ثباتی وازعقل،حظی وبا قیامت وجنت وجحیم، تصدیقی....وبه مطالعهٔ کتب تواریخ وسیراصحاب،تعمقی....وازطینت پاک خود،انصافی،داندکه یزید و معاویه باآن فعلات،مستحق

لعنت اند واز اسلام ایشان را هیچ بهره نباشد....اما بر اهل سنت این فتوی متعذر است که یزیدخلیفه و ولی معاویه بود ومعاویه،خلیفه....و گماشتهٔ عمر و عثمان بود واز قبل ایشان و ممکن و مسلط بر خلق خدا.چنین گویند که ملکی از ملوک مازندران از علوی پرسیدکه یا سید!حسین (ع) را با اصحاب و قرابات او کجا شهید کردند؟علوی گفت: به کربلا. ملک گفت:یا سید!حسین(ع) را روز سقیفهٔ بنی ساعده که با ابوبکر بیعت کردند،در آنجا شهید کردند....لاشک چون شیوخ،برعترت رسول،جرات تقدم کردند وحقوق ایشان بر نهج مذکور غصب کردند،فساق وکفار را این نظر افتاد و این عرصه بر منافقان،فراخ شد وشبهه در میان خلق بر قطب ضلالت بماند وضعفای اسلام گفتند که اگر این نوع مجوز ومرخص نبودی،صحابه که صدر اول بودند از مهاجر وانصار وصاحب عریش رسول بودند ومستمعان تاویل وتنزیل قرآن از رسول(ص)،دراین فعل ابتداء نکردندی وایشان قوت دفع شبهت نداشتندی ومهارت آن،نه واز قرآن ایشان را ثمره حظی وتصدیقی نبوده والّا معلوم ایشان بودی که چون حکم ظلم از اولاد انبیاء و اولیاءواقع شد،چنانکه قابیل بن آدم برادر خود هابیل را بکشت....و اولاد یعقوب،یوسف را در غیابت الجب انداختند و.....زن نوح و لوط کافر شدند».[۱۲]

عمادالدین درعین حال دغدغهٔ پاسخگویی به ابهام دربارهٔ علل عزیمت امام حسن(ع) به کربلا با علم به شهادت در آنجا را هم داشته است:

«مسئله:چون حسین(ع) دانست که که البته ویقینا وی را شهید گردانند،چراآنجا می رفت؟

الجواب عنه:برای حجت می رفت که معروف ومشهور است که اهل کوفه چهارصد نامه بنوشتند که: ما را امامی نیست....به طرف ما آی تا ما به جان ومال خدمت کنیم ونصرت تو دهیم....وبه هیچ جانبی،کس،حسین را –علیه السلام–طلب نمی کرد ودعوی نمی کرد الاّ اهل کوفه.وی را لازم بود آنجا رفتن وعذر برداشتن تا فردای قیامت رعیت را بر وی حجت نباشد.اگر فرضا به جانب دیگرطلب کردندی و وی دانستی که آنجا نفس وی به سلامت باشد،لازم بود ترک کوفه کردن وآنجا رفتن....و تبقیهٔ وی وحفظ وی برخدای تعالی واجب نبود زیرا که امامت وی ظاهر شده بود وخلق را معلوم شده که وی امام است.....چون نبوت کسی یا امامت ظاهر شد،تمکین نصرت وی بر رعیت باشد نه بر خدای از بهر آنکه وی، لطف رعیت است.چون(رعیت)وی را بکشد،لطف خویش به زیان برده باشد».[۱۳]

چنین آگاهی تاریخی واستدلالها وتبیین های مترتب برآن،البته صرفا در آثار عمادالدین طبری به چشم می خورد وآثار سایر مولفان مورد بررسی،تقریبا فاقد آنست و این خود امتیاز عمادالدین را بر فضلای شیعهٔ معاصرش نشان می دهد هرچند که لزوما به معنای عدم آگاهی سایرین از ابعاد تاریخی واقعهٔ کربلا نیست.با اینحال دربارهٔ عمادالدین هم، این آگاهی تاریخی،در نهایت به عرضهٔ همان نتایج « غیر تاریخی» منجر می شود که در سایر آثار مورد بحث،نمایان است و آن « تقدس بخشیدن به واقعهٔ کربلا»ست.[۱۴]درواقع،رویکردهای تاریخی نه به شکل گزاره هایی مستقل جهت عرضهٔ آنچه که اتفاق افتاده بلکه به عنوان مهملی برای تبیین و ترویج رویکردهای قوی اعتقادی مورد توجه قرار می گیرد که این همان وجه آگاهانهٔ تغافل مورد تاکید است.تغافل در این معنا یعنی«تاریخِ گزینش شده».گزینشی که حتی اگر تحریفی در آن اتفاق نیفتد وبه تمامی،درست ومطابق با واقع صورت گیرد،باز هم «تمام واقعیت» نیست وناگفته ها وابهامات بسیاری را باقی می گذارد.

تغافل آگاهانهٔ مذکور به نتیجهٔ دیگری نیز منجر می شود که همانا بُعد سهوی این تغافل است. شیعیان پرشوری که دست به نگارش این آثار زدند،به لحاظ فکری، میراث دار مناقبیان شیعه ای بودند که حداقل از قرن چهارم ه.ق در میان فارسی زبانان شناخته شده بودند.[۱۵]محور اصلی این مناقب خوانان،تبلیغ مذهب اهل بیت (ع) وتخطئهٔ دشمنانشان از طریق اشعار ستایشی بود.اشعاری مملو از فضایل ومناقب معصومین(ع) وترویج اعتقادات شیعی در این خصوص.

در قرون هفتم وهشتم ه.ق سنت مناقب خوانی همچنان رواج داشت ومناقب خوانانی چون حسن کاشی[۱۶]،شهاب سمنانی،حمزۀ کوچک ورامینی ونصرت رازی[۱۷] مجدّانه فعال بودند.دیدگاههای عرضه شده دراشعارستایشی این مناقب خوانان،تاثیرات فکری عمیقی براذهان شیعیان و دوستداران اهل بیت (ع) به جای نهاد که بخشی از مهم ترین تاثیرات آن،به صورت آنچه که می توان آن را «معجزه نگاری» در آثار شیعی مورد بحث نامید، بازتاب یافت.«معجزه نگاری» در این معنا یعنی تبیین سرگذشت و سیرۀ معصومین(ع) صرفا در قالب «کرامات ومعجزاتشان» که به زعم مولفین مذکور،مهم ترین جنبۀ زندگی اهل بیت (ع) به شمار رفته وهدف نهایی نیز آشنایی مخاطبان با این جنبه از زندگی معصومین (ع) وتقویت ایمان وباور مذهبی شان بدان بود.در این راستا سرگذشت امام حسین(ع) هم به رغم برخورداری از ویژگی منحصر بفردی چون«واقعۀ کربلا» در همین قالب مورد توجه قرار گرفته است.

مولف «نزهة الکرام وبستان العوام» رویداد کربلا را در بخش«معجزات حسین(ع)» مورد توجه قرار داده وبه رغم اشارۀ گذرا به اعتراض امام(ع) به «بیعت ستاندن برای یزید»از[۱۸] تمامی واقعۀ کربلا را در ذکر چند معجزه خلاصه کرده است.نخستین معجزه هنگام حرکت امام(ع) به سوی عراق رخ می دهد تا«علت اقدام امام» تبیین شود:

«روایت کند جابر عبدالله الانصاری که چون حسین بن علی عزم کرد که به عراق رود،نزد او رفتم و گفتم:توفرزند رسولی ویکی از سبط رسول.مصلحت آن می بینم که صلح کنی با این طاغی چنانکه برادر تو کرد....گفت:یا جابر برادرم آن به فرمان خدا و رسول کرد.من نیز به فرمان خدا ورسول کنم.می خواهی که رسول وبرادر را به گواهی آرم در این ساعت؟....درحال آسمان گشوده شد.رسول وعلی وحسن وحمزه وجعفر وزیدفرو آمدند.....رسول گفت:یا جابر.....به تو نگفتم....هر چه امامان کنند،مسلم داری وبر ایشان اعتراض نکنی؟می خواهی که جای معاویه وحسن وجای یزید وحسین بینی؟گفتم:بلی یا رسول الله.رسول پا بر زمین زد وشکافته شد وبحری پدید آمد.از هم باز رفت. زمینی پدید آمد،شکافته شد تا هفت زمین شکافته شد وهفت بحراز هم باز شد وزیر آن آتش دیدم و در میان آتش،معاویه ویزید ووولید بن مغیره و ابوجهل در زنجیر کشیده و بعضی ازمردۀ شیاطین باایشان قرین بودند وعذاب ایشان سخت ترازآنِ اهل دوزخ بود.پس(رسول(ص)) گفت:سر بردار...درهای آسمان گشوده دیدم وبهشت بر بالای آن بود.پس رسول وآنها در هوا برفتند ورسول آواز داد وگفت: یا حسین بیا.حسین از پس رسول می رفت تا در بهشت اعلاء رفتند. پس رسول از آنجا به من نظر کرد ودست حسین گرفت وگفت: ای جابر!این فرزند منست. با من آنجاست.فرمان بر وافعال او مسلم دار و در آن به شک مباش تا مومن باشی».[۱۹]

به همین ترتیب از بقیۀ وقایع کربلا نیز جز یادکرد از تشنگی امام(ع) وهمراهانش،خداحافظی امام (ع) با خانواده و در نهایت شهادت امام (ع) سخن دیگری در میان نیست که همگی عمدتا با همان رویکرد « معجزه نگاری» تبیین شده است:

«خدای تعالی چهارملک از کبار ملائکه نزد وی (امام (ع)) فرستاد،گفت:....اگر می خواهی دنیا وهرچه درو هست،همه به تو دهیم و تورا نصرت دهیم بر اعداء؟ یا رفیق اعلاء می خواهی؟ حسین گفت: رفیق اعلی می خواهم. و شربتی آب به وی دادند،بازخورد.ملائکه او را گفتند: بعد از این تشنه نشوی».[۲۰]بنا به روایتی دیگر چون یاران امام (ع) از تشنگی شکایت کردند،فرشته ای نزد امام آمد و با راهنمایی او،با معجزۀ امام(ع) نهری سفیدتر از شیر و شیرین تر از عسل ظاهر شد که امام(ع) وهمراهانش از آن آشامیدند وسیراب شدند.[۲۱]

درمناقب الطاهرین نیز نظیر همین رویکرد با نقل روایات مشابهی پیرامون معجزات امام حسین(ع) ،به چشم می خورد.[۲۲]عمادالدین طبری حتی در تبیین چیستی حکمت الهی در وقوع فاجعۀ کربلا (به رغم نگاه استدلالی سابق الذکرش)

از تاکید بر روایاتی از این دست،خودداری نکرده است:

«امام محمد باقرگوید:....حجت را به قائم خواندند زیرا که چون حسین را شهید کردند،ملائکه به عزا وگریه مشغول شدند ومناجات کردند که: الهی چرا ظالمان را مهلت دادی وتمکین،تا با ولی تو وخلیفهٔ تو این کنند؟حق تعالی کشف غطاء بکرد وصور ائمه بدیشان نمود وگفت: این ائمه از ذریّت وصلب حسین باشند.و در میان ایشان شخصی ایستاده بود و نماز می کرد.ملائکه گفتند: الهی این قائم کیست؟گفت:این خاتم ائمه باشد وانتقام این کفار به دست او خواهم کردن».[۲۳]

توجه به این نوع روایات وبرجسته سازی آنها،ازمهم ترین ابهامات فکری مولفان مذکور یا مخاطبانشان ویاهر دو گروه در باب واقعهٔ کربلا،پرده بر می دارد.به بیان دیگر برای این افراد، توجیه و تعلیل مسائلی چون علت عزیمت امام (ع) به عراق به رغم علم امام(ع) به آنچه که در شرف وقوع بود،تشنه ماندن امام(ع) وهمراهانشان در کربلا وچرایی وقوع فاجعه ای چنان سهمگین برای خاندان پیامبر(ص)، به راحتی میسر نبوده است.ضمن آنکه چه بسا در ذهن عوام الناس ایجاد تعارضی اعتقادی می کرد که با عدالت خداوند سازگار نبوده وآنان را نسبت به مشیت عادلانهٔ خداوند دچار تردید می ساخت.ظاهرا مولفان شیعهٔ مذکور در صدد بازکردن چنین گره های فکری بوده اند آنهم برای توده های مردمی که اکثریت شان با استدلالهای کلامی وعقلی وتاریخی میانه ای نداشته و یا از درک آن عاجز بوده اند.در چنین شرایطی بهترین وموثرترین وسیلهٔ اقناع،تمسک به مبانی اعتقادی ومذهبی است.همچنانکه نه فقط محتوا بلکه عناوین انتخاب شده برای این کتب هم به گونه ای بوده که بستر مناسب برای این اقناع سازی را فراهم آورد. به گفتهٔ حسن شیعی سبزواری «از جهت آنکه دانست که دلها را از گفتن و شنیدن آنچه در اوست، روشنایی ونور بود و جانها را خرمی وسرور»[۲۴] و«چون دانست که از خواندن آن جانهای مومنان راحت یابد ودلهای ایشان آسایش پذیرد».[۲۵] و اینکه « چون مولف این کتاب را.....به حکم وذکّر فانّ الذکری تنفع المومنین(ذاریات:۵۵)رغبت وعظ وتذکیر بود»[۲۶].

شارح ناشناس شهاب الاخبار نیز که تاکیدات مکرری بر ثواب زیارت امام حسین(ع) وگریه بر او وشفاعت روز قیامت برای زائران وگریه کنندگان امام دارد،مخاطبانش را این گونه اقناع می کند: « ونباید بر دلش بگذرد آن را که این فضل ها بشنود گوید که این نتواند بودن.....خدای تعالی آسمان وزمین و هرچه در وی است از بهر بندگان آفریده است و اگر بندگان نبودندی،هیچ بقعه را بر دیگر بقاع،شرف وفضل نبودی.اگر بندهٔ خاصه که فرزند رسول خدا باشد وهمیشه رضای خدا جوید و نفسی در ناشایسته برنیاورد،چه عجب که نفس وی از هزارکعبه وبیت المقدس وبیت المعمور بهتر بود وهرکه در حق آل رسول معتقد باشد،بدین گفتارش حاجت نباشد».[۲۷]

چنین رویکردی البته در میان علمای شیعه مخالفتهایی برانگیخت.بیش از دو قرن بعد از روزگار مورد بحث،قاضی نورالله شوشتری،عالم معروف اصولی شیعه، با انتقاد صریح از حسن شیعی سبزواری که وی را « مداح معرکه گیر» نامید[۲۸]،بخش هایی از این روایات را به دلیل ضعف سندی شان،زیرسئوال برد.اما یک عالم اخباری شیعه موسوم به میریوسف علی حسینی استرآبادی،ضمن تقبیح انتقاد قاضی نورالله، برای دفاع از رویکردهای اعتقادی مذکور، به استدلالی مشابه مندرجات کتب یادشده،تشبث جست: «برتقدیر تسلیم که مداح معرکه گیر بوده،مگر ندانسته اید که مداحی ومعرکه گیری واظهار فضایل حضرت امیر علیه السلام عین عبادت است؟»[۲۹]

چنین واکنشهایی توام با تداوم تالیف آثاری این چنین در اعصار بعدی،برفراگیر شدن بیش از پیش رویکردهای اعتقادی « تاریخ گریز» در تبیین تاریخ تشیع، در میان شیعیان ایرانی اعصار مورد بررسی وپس از آن صحه می گذارد.

الهوامش

۱. عمادالدین طبری(۱۳۸٦)،ص۷-۱۰؛همو(بی تا)،ج۱،ص٦۲

حسن شیعی سبزواری(راحة الارواح)،ص22-21

۲. عمادالدین طبری(۱۳۷٦)،ص٦۹

۳. عمادالدین طبری(۱۳۷۹)،ج۲،ص۹۱۸

٤. سبزواری(مصابیح القلوب)،ص۲٥٦ (حسن شیعی

٥. همان،ص۲۳٦-۲۳۷

٦. همان،ص۲۱۲

۷. عمادالدین طبری(۱۳۷۹)،ج۲،ص۹۱۷-۹۱۸

۸. (محمد بن حسین رازی،ج۲،ص ٦٥٤-٦٥٥؛عمادالدین طبری(۱۳۷۹)ج۲،ص۵۸۲-۵۸۵،۵۸۳؛حسن شیعی سبزواری(راحة الارواح)،ص۱٤۸-۱٤۹

۹. عمادالدین طبری(بی تا)،ج۲، ص۱۷٥-۱۷٦؛ همو(۱۳۸٦)، ص٦٦؛ همو(۱۳۷۹)، ج۱، ص۹۳-۹٥، ج۲، ص۵۷۱-۵۷۳، ۵۸۹

۱۰. حسن شیعی سبزواری(مصابیح القلوب)،ص۲۲۳

۱۱. عمادالدین طبری(بی تا)،ج۲،ص۳۰٤-۳۰٥

۱۲. عمادالدین طبری(۱۳۷۹)،ج۲،ص٦۰٤-٦۰٥

۱۳. برای نمونه:همو(۱۳۷٦)،ص٦۹؛همو(۱۳۷۹)،ج۱،ص۹۳-۹٥،ج۲،ص۹۱۸

۱٤. قزوینی رازی،ص٦٥؛ریاحی،ص۸۸؛شفیعی کدکنی،ص٤٤٦-٤٤۹

۱٥. حسن بن محمود کاشی،ص۱٥۳،۷٤-۱٥٥

۱٦. شهاب سمنانی وحمزة کوچک ورامینی،ص۲۱٤،۲۱۱،۱۹۱-۲۱٥

۱۷. ج۲،ص٦٦۷-٦٦۸

۱۸. ج۲،ص٦٤٦-٦٤۷،نیز نک ص ٦٥۰

۱۹. ج۲،ص٦٤۸

۲۰. ج۲،ص٦٤۸-٦٤۹

۲۱. ج۲،ص۵۸۲-۵۹۸،۵۹٤،۵۸٥

۲۲. ج۱،ص۳۹٤

۲۳. راحة الارواح،ص۲۲

۲٤. همانجا

۲٥. حسن شیعی سبزواری(مصابیح القلوب)،ص۲۸

۲٦. ص۲۰۷-۲۰۸

۲۷. جفری بغدادی،ص۷۸

۲۸. جفری بغدادی،ص۹۸

منابع

۱- جفری بغدادی،عبدالرحیم(۱۳۸۸) اسئلۀ یوسفیه(مکاتبات میر یوسف علی استرآبادی و شهیدقاضی نورالله شوشتری)، به کوشش رسول جعفریان، تهران:کتابخانه، موزه ومرکز اسناد مجلس شورای اسلامی

۲- رازی، محمدبن حسین(۱۳۶۱)نزهة الکرام وبستان العوام، به اهتمام محمد شیروانی، تهران: چاپخانۀ میهن

۳- ریاحی، محمدامین(۱۳۶۷)، کسایی مروزی، زندگی، اندیشه وشعر او، تهران: انتشارات توس

۴. سمنانی،شهاب وحمزۀ کوچک ورامینی(۱۳۷۷)«اشعارنصرت رازی»، به کوشش ایرج افشار ، میراث اسلامی ایران، دفترهفتم، به کوشش رسول جعفریان، قم: کتابخانۀ آیت الله مرعشی نجفی

۵. شفیعی کدکنی،محمدرضا(۱۳۸۰)،«حماسه ای شیعی از قرن پنجم»،مجلۀ دانشکدۀ ادبیات وعلوم انسانی مشهد،۱۳۰و۱۳۱(۳ و۴)

۶. حسن بن حسین،شیعی سبزواری(۱۳۷۵)راحةالارواح(درشرح زندگانی،فضایل و معجزات ائمۀ اطهار)، به کوشش محمد سپهری، تهران: اهل قلم، دفترنشرمیراث مکتوب

۷. (۱۳۷۵) مصابیح القلوب، به کوشش محمدسپهری، تهران:انتشارات بنیان، دفتر نشر میراث مکتوب

۸. طبری، حسن بن علی(عمادالدین) (بی تا)کامل بهایی، تهران: مکتب مرتضوی

۹. (۱۳۷۶)تحفة الابرارفی مناقب ائمة الاطهار، تصحیح وتحقیق سیدمهدی جهرمی، تهران: دفترنشرمیراث مکتوب، آینه میراث

۱۰. (۱۳۷۹)مناقب الطاهرین،تحقیق حسین درگاهی،تهران:رایزن

۱۱. (۱۳۸۶)اخبارواحادیثوحکایاتدرفضایلاهلبیترسول(ص)ومناقب اولاد بتول(س)،ترجمه عبدالملک بن اسحاق بن فتحان واعظ قمی،به کوشش رسول جعفریان، تهران:نشر مشعر

۱۲. قزوینی رازی،عبدالجلیل(۱۳۵۸)نقض(بعض مثالب النواصب فی نقض «بعض فضائح الروافض»)،تصحیح میرجلال الدین محدث،تهران:انجمن آثار ملی

۱۳. کاشی، حسن بن محمود(۱۳۸۸) دیوان حسن کاشی، به کوشش سیدعباس رستاخیز، با مقدمۀ حسن عاطفی، تهران: کتابخانه، موزه ومرکز اسناد مجلس شورای اسلامی

النهضة في سبيل الله ومن اجل الناس هما سر خلود عاشوراء

بنام خدا

مقاله :

قيام خدايي وبراي مردم؛ رمز جاودانگي عاشورا

Insurrection for the sake of Allah and people : the Heart of Eviternity

د . محمد جواد ابوالقاسمي

عضو هيأت علمي سازمان مطالعه وتدوين

كتب علوم انساني دانشگاهها (سمت)

مؤسسة سمت الإيرانية

Dr. Mohammad Jawad Abualqassim, A Member of
Scientific Committee of Reading and Recording (Semt)
Samt Iranian Foundation

ملخص البحث

هنالك الكثير من الاحداث التي حدثت في التاريخ لكونها اضمحلت ولم يبقَ منها شيء ولكن واقعة الطف ظلت في ابراج الخلود على الرغم من تقادمها ، تحاول الورقة الحالية تسليط الضوء على هذا المفصل المهم بالاشارة الى القرآن الكريم عن طريق جنبتين:

ففي الاولى الجنبة الالهية وفي الثانية المنفعة التي وهبت الى الناس اجمعين وكلما تصاعد العطاء اصبح –هذا العطاء– إلهيًّا ويمكن الافادة منه كلما اصبح الهدف منه نيل منزلة عند الله، وفي ضوء هذين الموضوعين ستحلل أدبيا كلمات الامام الحسين عليه السلام وتعرض لنا نتائج بان هاتين النقطتين كان من حقائق واقعة كربلاء فلا موت او زوال لواقعة عاشوراء على الرغم من مرور أربعة عشر قرنًا.

Abstract

There are many incidents happened in history but all vanished and nothing remains . In time the Karbala battle finds existence and eviternity though it occurred before many years ago . The current paper endeavours to answer such a locus in reference to the Glorious Quran as tackled in two merits: the first it is divine and the second is the benefit people could make use of : the more the achievement grows divine the more it could be exploited ; in line of these two merits the speeches of Imam Al-Hussein are dissected and the results show that these two points float into reality of the Karbala Battle : no demise to `Ashura Battle though 14 centuries passed ، there is revivalism.

Keywords

Imam Al-Hussein(Peace be upon him)، `Ashura، eviternity، divine and public.

چكيده

در تاريخ حوادث وجريانات بزرگ وهولناكي رخ داده است ولي همه آنها از خاطره انسان ها محو شده است وكسي از آن خبر ندارد؛ با عنايت به اين واقعيت چه سري در قيام كربلا وجود دارد كه پس از گذشت حدود ١٤ قرن ، هنوز ياد وخاطره قيام كربلا نه تنها از ذهن ها نرفته بلكه هر روز تازه تر گرديده است؟براي اين سؤال از منظر هاي مختلف پاسخ هايي داده شده است ولي در اين مقاله سعي گرديده است در آغاز ،آياتي از قرآن بررسي وچنين به دست آمد كه: چيزي ماندگار وپاينده است كه از دو ويژگي برخوردار باشد:

اوّل : خدايي وبرا ي خداوند با شد . دوّم : مردمي وبراي مردم مفيد باشد. وبه صورت طبيعي به هرميزان اندازه ودرجه خلوص وخدايي بودن كار بيشت وانجام دهنده آن كارخدايي تر باشد و همچنين به هر ميزان عظمت واهميت كاري كه انجام شدهبالاتر وعميقتر باشد وسود دهي آن براي مردم گسترده تر وباارزش تر باشد ، ميزان مانده گاري وجاودانگي آن كار وآن فرد بيشتر خواهد بود . با توجه به اين دومعيار ودواصل ؛كلمات امام حسين (ع)ورفتار آن بزرگوار مورد تجزيه وتحليل قرارگرفت وبه اين نتيجه رسيديم كه هر دو عنصر وعلت ماندگاري در حد بسيار بالا وبي نهايت در قيام ونهضت عاشورا وجود داشته است ؛ به همين دليل است كه پس از ١٤٠٠ سال هنوز خاطره عاشوراء از ذهن انسان ها پاك نشده وهر روز وهر سالي كه مي گذرد، تازه تر از روز وسال گذشته مي باشد

كلمات كليدي: امام حسين(ع)، عاشورا، جاودانگي، خدايي، مردمي

بنام خدا

قيام خدايي وبراي مردم ؛ رمز جاودانگی عاشورا

در تاريخ حوادث وجريانات بزرگ وهولناكي رخ داده است ولي همه آنها از خاطره انسان ها محو شده است وكسي از آن خبر ندارد. نسل كشي ها ، كشتارهاي دسته جمعي ،قتل ها ،غارت هايي كه در جنگ جهاني اول ودوم اتفاق افتاد وده ها ميليون انسان جان باختند و.. ؛ براي نمونه در جريان نسل‌كشی سال ۱۹۹۴ روآندا كه از آن تحت عنوان تاريک‌ترين فاجعه انسانی نيم‌سده گذشته ی‌اد می‌شود، علاوه بر كشته شدن حد اقل ۸۰۰ هزار مرد، زن و كودک، به ۲۰۰ تا ۵۰۰ هزار زن تجاوز جنسی شد. وصدها نمونه ديگر كه اتفاق افتاده ويا هم اكنون در حال اتفاق است .

با توجه به اين واقعيت تاريخي وموجود كه معمولاً گذار زمان وقايع مهم را به فراموشي مي سپارد ؛ سؤالي مطرح مي شود كه چه سري در نهضت كربلا وجود دارد كه باگذشت چهارده قرن نه اينكه حادثه كربلا از خاطره ها محونشده بلكه روز به روز زنده تر وهرسال ايّام عاشورا با شكوه بيشتري برگزار مي گردد ؟

براي اين سؤال مهم انساني وتاريخي دلايل وعوامل فراواني بيان گرديده است وهر گروهي بارويكرد خاص خود پاسخي داده است ؛ برخي از طريق تحليل تاريخي ،برخي عرفاني ،برخي عوامل غير عادي و..

در اين مقاله تلاش شده است ، با استفاده از قرآن مجيد وآيات الهي پاسخي متفاوت ارايه گردد در اين نوشتار از ميان دلايل ذكر شده بر دوعنصر اصلي تاكيد شده كه عبارت است از :

الف :خدايي بودن قيام ونهضت امام حسين (ع)

ب :انساني بودن قيام امام حسين (ع)،قيامي براي خدمت به نوع انسان .

به همين منظور ؛چند مقدمه بيان مي شودكه مي تواندبه عنوان مباني نظري واستدلال براي برخي از ديدگاه ها نيز به حساب آيد

مقدمه اول : در فرهنگ قرآن؛ بقاء وماندگاري فقط براي خداوند است . تنها چيزي كه باقي مي ماند وجاودانه است فقط خداوند است .

«مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللهِّ بَاقٍ / آنچه نزد شماست فانی می‌شود؛ امّا آنچه نزد خداست باقی است» [قرآن كريم، ۱۶: ۹۶]؛

«كل من عليها فان وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ / و تنها ذات ذوالجلال و گرامی پروردگارت باقی می‌ماند» [قرآن كريم، ۵۵: ۲۷]؛

«كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ / همه چيز جز ذات (پاک) او فانی می‌شود» [قرآن كريم، ۲۸: ۸۸]؛

مقدمه دوم : با عنايت به مقدمه اول ؛ هرچيزي كه براي خدا ودر جهت او باشد پايدار وجاودان خواهد بود

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ الله مَثَلا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ/ آيا نديدي خدا چگونه مثل زده سخني پاك كه مانند درختي پاك است كه ريشه اش استوار وشاخه هايش در آسمان است » [قرآن كريم، ۱۴: ۲۴]

«مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ / هركس سربلندي ميخواهد ؛ سربلندي يكسره از آن خدا است .سخنان پاكيزه به سوي او بالا مي رود وكار شايسته به آن رفعت مي بخشد وكساني كه با حيله ومكر كارهاي بد مي كنند عذابي سخت

خواهند داشت ونيرنگشان تباه مي گردد (سوره فاطر/ ١٠) » [قرآن كريم، ٣٥: ١٠]

مقدمه سوم : در فرهنگ قرآن، حق پايدار است وبا طل رو به زوال ونا بودي مي رود اوّلين معيار وشاخص فكر حق وكار حق ، فكر وكاري است كه براي خداوند ودر مسير خداوند انجام شود به همين دليل جاودان وپاينده است

و«قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا/ بگو حق آمد وباطل نابود شد .آري باطل همواره نابود شدني است » [قرآن كريم، ١٧: ٨١]

مقدمه چهارم :دوّمين معيار وشاخص حق بودن يك فكر ويا رفتار از نگاه قرآن اين است كه آن فكر ويا آن كار؛ با نيّت خالص والهي ودر مسير رشد وكمال انسان وانسانيت انجام گردد و بتواند سود ونفعي را نصيب انسان وانسانيت كند،به نفع مردم باشد .

« ...كَذَلِكَ يَضْرِبُ الله الحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ الله الأَمْثَالَ/ خداوند حق وباطل را اين چنين مثل مي زند ، امّا كف بيرون افتاد از ميان مي رود ولي آنچه به مردم سود مي رساند در زمين باقي مي ماند خداوند مثل ها را اينچنين مي زند. » [قرآن كريم، ١٣: ١٧]

« ... فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا / پس هركه به لقاء پروردگارش اميد دارد،بايد كاري شايسته انجام دهد وهيچ كس را در عبادت پروردگارش شريك نكند . » [قرآن كريم، ١٨: ١١٠]

مقدمه پنجم : هر انسان ويا گروه انساني كه در مسير حق قرار گرفت وخدايي شد و در اين راه استقامت وپايداري كرد وتوانست گامي براي رشد واعتلاي انسانيت بردارد جاودانه خواهد شد

« يثَبِّتُ الله الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ و../ خداوند كساني را كه ايمان آوردند ،بخاطر گفتار واعتقاد ثابتشان استوار مي دارد ؛هم در اين جهان وهم در سراي ديگر و.. » [قرآن كريم، ٢٨: ٨٨]

« ... يَرْفَعِ الله الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَالله بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ/ خداوند كساني از شماراكه ايمان آورده اند وكساني كه علم به آنها داده شده است را درجات عظيمي مي بخشد » [قرآن كريم، ٥٨: ١١]

« مَن عَمِلَ صالحاً مِن مُؤمِنٍ ومُؤمِنةٍ فَلَنُحينَّهُ حَياةً طَيِّبَةٍ و../ هركس كار شايسته اي انجام دهد خواه مرد باشد يا زن در حالي كه مؤمن است ، اورا به زندگاني پاك زنده مي داريم ». [قرآن كريم، ١٦: ٩٧]

٦. مقدمه ششم : يكي از نشانه هاي جاودانگي وحقّانيت يك فكر ويك انسان ويا جامعه انساني ، عشق ،شور ومحبت الهي مردم به آن شخص وجايگاه مي باشد .

«إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا / مسلّماً كساني كه ايمان آورده ،كارهاي شايسته انجام داده اند ،خداوند رحمان محبّتي براي آنان در دل ها قرار مي دهد . » [قرآن كريم، ١٩: ٩٦]

با جمع بندي آيات فوق درمي يابيم كه :

الف : تنها موجود مانده گار ،خداوند است وهر آنچه غير اواست فاني ونابود مي شود

ب : بعضي از انسانها به خاطر كارهاي خدايي ؛ خدايي مي شوند ودر نتيجه ماندگار مي گردند

ج :خدايي شدن داراي دو معيار وشاخص اساسي است :

يكم : كار فقط براي خدا ودرراه خدا با شد

دوم : كار انجام يافته براي انسان ها مفيد با شد

حال به هر ميزان درجه اخلاص بالاتر با شد ومخلصانه تر انجام گردد ودر مسير انجام آن، از عوامل وابزار خدايي

بيشتر استفاده شود ؛ماندگاري آن بيشتر خواهد بود وهمچنين به هر ميزان كار انجام يافته بتواند منافع بيشتر ومانده گار تري براي انسان ها فراهم كند ودامنه نفع رساني آن بيشتر وبالاتر با شد ؛ ميزان مانده گاري آن بيشتر خواهد بود

باعنايت به مقدمه فوق ، قيام كربلا را مورد تحزيه وتحليل قرار مي دهيم تا سر جاودانگي ورشد دايمي آن را با نگاهي قرآني فهم كنيم

براي فهم اين سر ؛ انديشه وادراك امام حسين (ع) را كه در گفتار ورفتار خود ويارانش تبلور يافته است را در دوقسمت مورد بررسي قرار مي دهيم:

قسمت اوّل: :خدايي بودن قيام ونهضت امام حسين (ع)

در نگاه قرآن كاري خدايي است كه حداقل داراي ويژه گي هاي ذيل با شد :

١. مقصد وهدف فقط براي خداوند با شد

٢. رفتار وكردار فاعل وانجام دهنده كار، خدايي باشد وبه گناه ومعصيت آلوده نباشد

٣. كاري كه قرار است انجام شود مورد رضايت وقبول خداوند باشد

٤. از ابزار وامكانات درست وخدايي استفاده شود

ويژه گي هايي كه برشمرده شد ،به عنوان عمل صالح از آن ياد مي شود .چون همان گونه كه اشاره شد عملي ماندگار است ومورد قبول خداوند مي باشد كه مزيّن به صفت عمل صالح شود

درزيارت امام حسين (ع) گفته شده است : أَشْهَدُ أَنَّكَ نُورُ الله الَّذِي لَمْ يُطْفَأْ وَ لَا يُطْفَأُ أَبَداً وَ أَنَّكَ وَجْهُ الله الَّذِي لَمْ يَهْلِكْ وَ لَا يَهْلِكُ أَبَداً[1]

شهادت مي دهم كه تو نور خدايي ؛ نور خدايي كه هرگز خاموش نشده وخاموش نخواهد شد وشهادت مي دهم كه تو وجه وتجلي خداوند مي با شي كه از بين نرفته است وهيچ وقتي هم از بين نمي رود

بررسي تاريخي زندگاني امام حسين (ع) گواه صادق بر اين ادعا مي باشد .در هيچيك از نوشته هاي تاريخي با اينكه از مذاهب مختلف بوده اند هيچ گزارش منفي از رفتار امام حسين (ع)گزارش نشده است ودر همه جا وحتي در مواجهه با دشمنان ومخالفينش به عنوان" سيدي شباب اهل الجنه" مورد ستايش قرار گرفته است . همه مسلمان ها بارها شنيدند كه پيامبر گرامي اسلام (ص) بار ها مي فرمود كه : "حسين منّي و انا من حسين"[2] حسين از من است ومن از حسين هستم .حسين (ع) از من است .يعني هر آنچه حسين (ع) مي گويد ويا انجام مي دهد ؛گويا من گفته ويا انجام داده ام ومتقابلاً هستي وبقاء راه ومكتب من هم بستگي به حسين (ع) دارد .شايد به اين معني است كه اگر او وقيام اونبود راه من وپيام من باقي نمي ماند.

علاوه برآن، خدايي بودن او وحركتي كه آغاز كرده است در وصيّت نامه وسخنان آغازين وي كاملا مشهود است .

امام حسين (ع)هنگام عزيمت از مدينه منوره بيانيه اي را تحت عنوان وصيّت نامه اي به برادرش "محمد حنفيه " صادر مي فرمايد وبه خوبي اهداف خودرا تبيين مي كند ومي فرمايد :

" إنّي لَمَ أَخرُج أَشِراً وَلا بَطِراً ولا ظالِماً ولا مُفسِداً إنَّما خَرَجْتُ لِطَلَبِ الإِصْلاحِ فى أُمَّةِ جَدّى اُريدُ أَنْ آمُرَ بِالْمَعْروفِ وَ أَنْهى عَنِ الْمُنْكَروَأَسيرَ بِسيرَةِ جَدّى وَ أَبى عَلِى بْنِ أَبيطالب.[3]" من از سر شادى و سرمستى و تباهكارى و ستمگرى قيام

نكردم، بلكه براى خواستار شدن اصلاح در امت جدم به پا خاستم، و اكنون مى‌خواهم امر به معروف و نهى از منكر كنم، و بر روش جدم و پدرم على بن ابى طالب راه بروم ..

با اندك تامل در قيام ها وحركت هاي اجتماعي در مي يابيم كه عمده آنها ريشه در يكي از عوامل ذيل دارد : ١ .رسيدن به امكانات اقتصادي وسرمستي (أشر) ٢. گسترش مستي وهوسراني ودستيابي به امكاناتي كه تامين كننده ابعاد حيواني انسان با شد (بطر) ٣. شورش ها ي ظالمانه كه براي تعدي وتجاوز به حقوق ديگران سامان دهي مي شود (ظالماَ) ٤. حركت ها وقيام هايي كه ريشه در خلق وخوي مستكبرانه وجهان گشايي (مفسداَ) دارد.

امام حسين (ع)،بيان مي دارد كه دراين حركت هيچيك از اهداف مرسوم چهارگانه را تعقيب نمي كند بلكه دنبال اهداف الهي وانسان دوستانه است كه عبارت مي باشد از :

١. حركتي مصلحانه براي ترميم شكاف ها وخرابي هايي كه در بين امّت جدش پديد آمده است

٢. گسترش واحياء خوبي ها وارزش هايي كه درحال نابودي است

٣. از بين بردن رفتار هاي زشت، بد وناهنجاري كه در جامعه پديدار شده است

٤ .احياءء واستمرار سيره وسنت پيامبر اكرم (ص)در جامعه

٥. پي گيري روش وسنت وسيره پدرش علي ابن ابي طالب (ع)،كه همان سيره وسنّت ناب پيامبر (ص) بود

امام حسين (ع) پس از نقد قيام ها وجنگ هاي مرسوم اهداف مصلحانه خودرا در پنج فراز تبيين مي كند، اهدافي كه فاقد هر گونه خواست وداعيه شخصي، قومي ،قبيله اي وبرخواسته از روحيه ومشي خودكامگي واستكبار است ؛اهدافي است كه مي خواهد ازدين خداوند پاسداري كند وسنت وسيره جد بزرگوار وپدرش كه باب علم وحكمت پيامبر (ص) است را زنده نگاه دارد

در زيارت نامه" اربعينيه " رسيده از سوي اولياء الله در باره امام حسين(ع) آمده است كه : فَأَعْذَرَ فِي الدُّعَاءِ وَ مَنَحَ النُّصْحَ وَ بَذَلَ مُهْجَتَهُ فِيكَ لِيَسْتَنْقِذَ عِبَادَكَ مِنَ الْجَهَالَةِ وَ حَيْرَةِ الضَّلَالَةِ[٤]

امام حسين (ع) با تمام وجود واز هر وسيله مشروع ومنطقي استفاده كرد تا راه وهدف خود را تبيين كند به گونه اي كه ديگر عذر وبهانه اي براي هيچكس باقي نماند واز سوي ديگر ؛ بسيار مشفقانه ودلسوزانه مردم زمان خودرا نصيحت كرد وپيشنهادهاي خير خواهانه براي بهبود شرايط جامعه واحياي دين وآيين جد بزرگوارش ارايه نمود ودر نهايت خون موجود درقلبش كه معمولا آخرين بخش از حيات انسان است را به پيشگاه خداوند هديه داد .

همه كارهاي پيش گفته را انجام دادتابه يك هدف بزرگ نايل شود وآن هدف اين بود كه :بندگان خداوند وبه تعبير ديگر مردم وجامعه را از جهالت وناداني وبي خبري وهمچنين سردر گريباني وتحيّر برهاند .

هر دين ،آيين وايدئولوژي اگر دچار تحريف وتفسير به رأي شد مانند تيغي است كه بردست زنگي مست قرار مي گيرد و بهترين حربه است براي فريب جامعه وطعمه قرار دادن مردم ساده لوح وزود باور .تاريخ قديم ومعاصر پر است از اين فاجعه انساني واينكه كساني پيدامي شوند كه به نام دين قتل وعارت مي كنند وخسن ترين نوع قتل وكشتار ،قتل هاي ايد ئولژيك است ؛چون با خشن ترين وجه سر آدمي را مي برد وهمزمان تكبير مي گويد وخودرا سرمست از پيروزي وكسب رضايت خدا وپيامر (ص) مي داند ؛لذا امام حسين (ع)حاضر مي شود خود وخانواده اش كشته واسير شوند تا جامعه آگاه وهشيار شود ومانع اين گردند كه عده اي بركرسي پيامبر رحمت (ص)تكيه بزنند وبه نام او قتل وغارت كنند . اگر پيامبر گرامي اسلام (ص) بار ها فرمود :" انامن حسين" همين نكته را خواست تاييد كند كه اگر حسين (ع)

نمي بود راه ومكتب من دستخوش تحريف ونابودي مي شد ؛ لذا مي توانيم بگوييم كه هدف عمده حسين ابن علي (ع) احيا ء وپاسداري ازدين خداوندو تلاش هاي همه انبياء الهي به ويژه جد بزرگوارشان در آزادي انسان ها از عبوديت وبندگي انسان ها ، از طريق آگاهي بخشي به جامعه ونجات جامعه از جهالت وگمراهي هايي كه به نام دين اسلام وجد بزرگوارش انجام مي گرديد بود .

قسمت دوّم : انساني بودن قيام امام حسين (ع)،قيامي براي خدمت به نوع انسان .

همان گونه كه در وصيت نامه امام حسين (ع) ملاحظه شد ؛يكي از اهداف آن حضرت ايجاد زمينه براي كارهاي خوب در جامعه وجلوگيري از كارهاي بد است . مهمترين معروف در نگاه امام حسين (ع) حفظ دستاوردهاي حركت تمامي پيامبران تاريخ است . همه آنها آمدند تا انسان هاي برجاي مانده راكمك كنند وغل وزنجير هايي را كه از سوي صاحبان قدرت بردست وپاي آنها بسته شده است را آزاد كنند . خداونددر فلسفه رسالت پيامبران به ويژه پيامبر اسلام مي فرمايد : وَ وَضَعَ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَ الْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ / بارهاي گران وسنگين را از دوش آنان برداشت. [قرآن كريم، ٣: ١٥٦]

وبزرگترين منكر در آن زمان ، مقابله با جريان سياسي حاكمي است كه دين پيامبر رحمت(ص) را كه عصاره وخلاصه همه اديات الهي است را مصادره كرده است و به نام دين وبا لباس پيامبر (ص) بر مردم حاكم شده است وبه اسم خداوند به مردم ظلم وستم مي كند وحقوق انساني آنان را پايما ل مي كند

امام حسين (ع) به خاطر اينكه تفسير ناروا ودل بخواه از كلامش وراهش ارايه نگردد منظور خودرا از امر به معروف ونهي از منكر بيان مي دارد ومي فرمايد :

وَ ذَلِكَ أَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ دُعَاءٌ إِلَى الْإِسْلَامِ مَعَ رَدِّ الْمَظَالِمِ وَ مُخَالَفَةِ الظَّالِمِ وَ قِسْمَةِ الْفَيْءِ وَ الْغَنَائِمِ وَ أَخْذِ الصَّدَقَاتِ مِنْ مَوَاضِعِهَا وَ وَضْعِهَا فِي حَقِّهَا

امر به معروف ونهي از منكر چيزي غير از فراخوندن ودعوت مردم به اسلام ناب نيست ولي دعوت وفراخواندني است كه با روش واسلوب خاصي انجام مي گردد اين دعوت فقط بازبان نيست بلكه با اجرايي كردن وتحقق برنامه هاي خاصي انجام شدني است كه عبارت است از :

١.جلوگيري از پيدايش وگسترش ظلم در ميان جامعه وممانعت از عواملي كه باعث تجاوز به حقوق فردي واجتماعي جامعه مي گردند

٢. برخورد ومواجهه با ستمگران ومظاهر ظلم موجود وكساني كه به حقوق فرد وجامعه تجاوز مي كنند

٣. تقسيم عادلانه سرمايه ها وثروت هاي عمومي بين مردم

٤. دريافت ماليات وحقوق شرعي به صورت دقيق وعادلانه وهزينه درست وبه جاي انها

با اين تعبير جلوي هرگونه فرو كاهي از تفسير امر به معروف ونهي از منكر ومحدود كردن آن در احكام فردي عبادي وشخصي وموارد جزئي وظاهري گرفته مي شود .

درزيارت نامه ديگري كه از سوي اولياء الهي وارد شده است ،خطاب به امام حسين (ع) گفته مي شود : "أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ أَمَرْتَ بِالْقِسْطِ وَ الْعَدْلِ وَ دَعَوْتَ إِلَيْهِمَا وَ أَنَّكَ صَادِقٌ صِدِّيقٌ صَدَقْتَ فِيمَا دَعَوْتَ إِلَيْهِ[٦] " شهادت مي دهم كه تو در مسير تحقق عدالت ودادگري گام برداشتي وتلاش كردي تا جامعه وحكومت را به آن فرابخواني وتو در رفتار وگفتار صادق

وراستگو بودي ودعوت وفراخوانت را صادقانه انجام دادي .دراين فراز بر پافشاري وحركت امام حسين (ع) براي تحقّق عدالت ودادگري اجتماعي تاكيد شده است

امام حسين (ع)در نامه اي كه به علما وروشنفكران زمان خود مي نويسد به خوبي اهداف بشر دوستانه خودرا از حركت وقيام خود بيان مي دارد وبه عنوان يك مصلح خدايي نجات خودرا در آخرت ودست يابي به رضا وقرب به خداوند را در گرو خدمت شايسته به مردم مي داند وپس از بيان حقايق تاريخي در مرگ مكتب ها وآيين ها وابلاغ رسالت الهي به عالمان وروشنفكران زمان خود مي فرمايد :

"فَيَا عَجَباً وَ مَا لِيَ لَا أَعْجَبُ وَ الْأَرْضُ مِنْ غَاشٍّ غَشُومٍ[۷] وَ مُتَصَدِّقٍ ظَلُومٍ وَ عَامِلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بِهِمْ غَيْرِ رَحِيمٍ "[۸]

بسيار در شگفتم وچرا به خاطر بي تفاوتي وبي دردي شما علماء وروشنفكران در شگفت نباشم در شرايطي كه نظام سياسي وحكومت در اختيار انسان هاي نيرنگ باز ،سنگدل وبي رحم قرار گرفته است ،مستبدان وخودكامه هاي سركش وخشن ؛كساني كه در جايگاه خدمت گزاري به مردم قرار گرفته اند واز صندوق بيت المال تغذيه مي شوند ولي به مردم ستم روا مي دارند وهمچنين كساني عهده دار مسؤليت هاي اجتماعي شده ومناصب حكومتي را تصرف كرده اند كه رحم ومروّت ندارند ونسبت به مردم مهربان نيستند

سپس كلام خودرا ادامه مي دهند ومي فرمايند :

" اللهمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَا كَانَ مِنَّا تَنَافُساً فِي سُلْطَانٍ[۹] وَ لَا الْتِمَاساً مِنْ فُضُولِ الْحُطَامِ[۱۰]"

خدايا تو مي داني كه هيچ كدام از ما اهل بيت نبي اكرم (ص) ، در هيچيك از معادلات ورقابت هاي ناسالم قدرت وارد نشديم وهيچ وقت هم به دنبال اين نبوديم كه بخواهيم با وارد شدن در قدرت وسياست، مال وامكانات دنيايي براي خود فراهم سازيم "وَ لَكِنْ:" ليكن درپي تحقق اهداف خاصي بوده وهستيم :

" لِنُرِيَ الْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ " اوّلين هدف ما از ورود به سياست اين است كه بخشي از نماد ها ونشانه هاي برجسته دين ودين داري را به مردم نشان دهيم وچراغ هاي روشني را درپيشاروي آنها قرار دهيم

"وَ نُظْهِرَ الْإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ " ودر پرتو نشان دادن راه دين ودين داري درست ؛اصلاح وآباداني را در سرزمين هاي اسلامي وغير اسلامي پديد آوريم به گونه اي كه مردم اصلاح وآباداني را لمس كنند ودر نتيجه "وَ يَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ "بندگان توو انسان هاي مظلوم ودرد كشيده در روي زمين، احساس امنيت وآرامش كنند .اگر چنين شد وما موفق شديم ؛ نمادهاي ديني وديندداري را نشان دهيم ،اصلاح وآباداني را در سرزمين ساري وجاري سازيم وانسان هاي مظلوم ورنج كشيده در پرتو آن احساس امنيت وآرامش نمودند يك اتفاق ميمون وشايسته اي را به دنبال خواهد داشت وآن اين است كه :

"وَ يُعْمَلَ بِفَرَائِضِكَ وَ سُنَنِكَ وَ أَحْكَامِكَ" زمينه عمل به واجبات ،محرمات ،مستحبات وديگر احكام الهي در ميان جامعه فراهم مي شود ومردم در آن جامعه رغبت پيدا خواهند كرد تا به احكام الهي عمل كنند .

اين كلام امام حسين (ع) پرده از بسياري از سؤال ها برمي دارد وبه خوبي بيان مي دارد كه اگر مردم در عمل نفعي از اسلام نبرند ودولت ها وحكومت هايي كه به نام اسلام بر مسند قدر هستند نتوانند در سرزمين هاي اسلامي آباداني وامنيت وآرامش حاكم كنند نمي شود انتظار داشت تا احكام الهي به مرحله اجرا در آيد

امام حسين (ع) چون در شرايط خاص اجتماعي قرار مي گيرد ومشاهده مي كند دين ودين داري رو به زوال ونابودي است وكساني بر كرسي حكومت نشسته اند كه لياقت وكفايت اداره جامعه را ندارند وبنام خدا ودين خدا بر مردم ستم روا مي دارند ،تكليف خودرا در اين مي بيند كه براي تغيير شرايط اجتماعي قيام كند وهم دين وآيين خداوند وهم مردم را از دست متجاوزان برهاند ،دين جد بزرگوار خودش را تطهير وانگ اتهام را از او بزدايد ونقش تاريخي خودرا ايفا كند، حال چه مردم زمانه درك كنند يا درك نكنند به همين دليل مي فرمايد : " فَإِنْ لَمْ تَنْصُرُونَا وَ تُنْصِفُونَا" اگر مارا ياري نكنيد وبه هشدار هاي ما توجه نكنيد " قَوِيَ الظَّلَمَةُ عَلَيْكُمْ " ظالمان وستمكاران قوي تر مي شوند وبرشما سيطره بيشتر پيدا مي كنند ودر نتيجه "وَ عَمِلُوا فِي إِطْفَاءِ نُورِ نَبِيِّكُمْ" تلاش مي كنند تا اسلام را به طور كلي از بين ببرند ونور پيامرتان را خاموش كنند .[11]

نتيجه :

با عنايت به آنچه بيان شد : از نگاه قرآن چيزي ماندگار وپاينده است كه از دو ويژگي برخوردار باشد:

اوّل : خدايي وبرا ي خداوند با شد . دوّم : مردمي وبراي مردم مفيد باشد. وبه صورت طبيعي به هرميزان اندازه ودرجه، خلوص وخدايي بودن كار بيشتر وانجام دهنده آن كارخدايي تر باشد و همچنين به هر ميزان عظمت واهميت كاري كه انجام شده بالاتر وعميقتر باشد وسود دهي آن براي مردم گسترده تر وباارزش تر باشد ، ميزان مانده گاري وجاودانگي آن كار وآن فرد بيشتر خواهد بود . با توجه به اين دومعيار ودواصل ؛كلمات امام حسين (ع)ورفتار آن بزرگوار مورد تجزيه وتحليل قرارگرفت وبه اين نتيجه رسيديم كه هر دو عنصر وعلت ماندگاري در حد بسيار بالاوبي نهايت در قيام ونهضت عاشورا وجود داشته است ؛ به همين دليل است كه پس از ١٤٠٠ سال هنوز خاطره عاشوراء از ذهن انسان ها پاك نشده وهر روز وهر سالي كه مي گذرد، تازه تر از روز وسال گذشته مي باشد

شايان ذكر است كه علاوه بر دوعامل اساسي كه با بهرمندي از آيات قرآن تبيين گرديد عوامل مختلف ديگري دخيل هستند كه در مقاله هاي ديگر به آن پرداخته خواهد شد كه اهم آن عبارت است از :

١. وجود بي نظير شخصيت امام حسين (ع)وجايگاه عاطفي ايشان نزد مسلمانان ؛
٢. عقلانيت در سازماندهی حركت متناسب با هدف (حركت از مدينه- حركت از مدينه- انتخاب كوفه)؛
٣. بهره‌مندی از عواطف و احساسات عميق مؤمنان و مسلمانان؛
٤. نقش اصحاب و بنی هاشم «اهل البيت(ع)»؛
٥. نقش امام سجاد(ع) در تداوم انقلاب ؛
٦. نقش بي بديل حضرت زينب (س) ؛
٧. ماهيت دشمن و خشونت بی‌سابقه ؛
٨. پای‌مردی و ستيز به ويژه مردم عراق در حفظ آثار... ؛
٩. نهادينه كردن عاشورا توسط امامان شيعه؛
١٠. و....

الهوامش

١. مجلسی، محمد باقر بن محمد تقی، بحار الأنوار (ط - بیروت) - بیروت، چاپ: دوم، ١٤٠٣ ق. ج٩٨ ؛ ص٣٤٢)
٢. فیروز آبادی، سید مرتضی (١٤١٠ ق)، فضائل الخمسة من الصحاح الستة،تهران ،١٣٩٢.ق ،چاپ دوم ،ج .٣ ص.٢٦٢ در این کتاب حدیث از منابع معتبر اهل سنت نقل شده است
٣. مجلسي ، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ج٤٤، ص: ٣٣٠
٤. . طوسی، محمد بن الحسن، تهذیب الأحکام (تحقیق خرسان) - تهران، چاپ: چهارم، ١٤٠٧ ق. ج٦ ؛ ص١١٣
٥. . مجلسی، محمد باقر بن محمد تقی، بحار الأنوار (ط - بیروت) - بیروت، چاپ: دوم، ١٤٠٣ ق. ج٩٧ ؛ ص ٧٩وتحف العقول عن آل الرسول ص، ص: ٢٣٨
٦. شهید اول، محمد بن مکی، المزار (للشهید الاوّل) - قم، چاپ: اول، ١٤١٠ ق.
٧. غش الرجل أظهر خلاف ما أضمره و زین غیر المصلحة. و الغشوم. الظالم.
٨. مجلسی، محمد باقر بن محمد تقی، بحار الأنوار (ط - بیروت) - بیروت، چاپ: دوم، ١٤٠٣ ق. ؛ ج٩٧ ؛ ص٨٠
٩. التنافس في السلطنة: الرغبة فیها علی وجه المفاخرة و المباراة.
١٠. مجلسی، محمد باقر بن محمد تقی، بحار الأنوار (ط - بیروت) - بیروت، چاپ: دوم، ١٤٠٣ ق. ؛ ج٩٧ ؛ ص٨٠
١١. ابن شعبه حرانی، حسن بن علی، تحف العقول - قم، چاپ: دوم، ١٤٠٤ / ١٣٦٣ق. ص ٢٣٩المحاسن ؛ ج١ ؛ ص٢٨٧

منابع ومصادر

١. قرآن مجید
٢. نهج البلاغه
٣. ابن شعبه حرانی، حسن بن علی، تحف العقول - قم، چاپ: دوم، ١٤٠٤ / ١٣٦٣ق.
٤. شهید اول، محمد بن مکی، المزار (للشهید الاوّل) - قم، چاپ: اول، ١٤١٠ ق.
٥. طوسی، محمد بن الحسن، تهذیب الأحکام (تحقیق خرسان) - تهران، چاپ: چهارم، ١٤٠٧ ق.
٦. فیروز آبادی، سید مرتضی (١٤١٠ ق)، فضائل الخمسة من الصحاح الستة،تهران ،١٣٩٢.ق ،چاپ دوم ،
٧. مجلسی، محمد باقر بن محمد تقی، بحار الأنوار (ط - بیروت) - بیروت، چاپ: دوم، ١٤٠٣ ق.
٨. **المحاسن ؛ ج١ ؛ ص٢٨٧**

بررسی قیام امام حسین (علیه السلام)؛ رویکرد برنامه ریزی راهبردی

دراسة نهضة الامام الحسين (عليه السلام) منهجية التخطيط الاستراتيجي

Revolution of Imam Al-Hussein: Strategic Planning Pathway

Dr.`Abidallah Tawakli ، a member of the Scientific Board in the University and Hawza Research Centre.
Samt Iranian Foundation
Mohammed Arifi Dansh Amokheth Karsheni Arshjamah Mustafa

د . عبدالله توکلی هیات علمی پژوهشگاه حوزه و دانشگاه
مؤسسة سمت الإيرانية
محمد عارفی دانش آموخته کارشناسی ارشد جامعه المصطفی

ملخص البحث

أمست نهضة الامام الحسين (عليه السلام) على مر التاريخ محط انظار الجميع على كافة الصعد الشخصية والعامة والاسلامي والعالمي وحتى على صعيد الدنيا والاخرة، فان جميع هذه الاصعدة توثق وتحلل الحوادث والسبب المنطقي للثورة الحسينية وفضائلها وانعكاساتها ومع هذا فإن هنالك نهضة في تغطية الجانب الاستراتيجي للثورة ولهذا تحاول الورقة الحالية تحليل وجهات النظر الاستراتيجية لهذه النهضة العظيمة وبعبارة اخرى فان هذه الدراسة تعيد ترجمة نهضة الامام الحسين عليه السلام في ضوء التخطيط الاستراتيجي للكشف عن زوايا القوة والضعف والفرص والتحديات على وفق الاستراتيجية التي خرجت بها الدراسة فان الامام الحسين عليه السلام عانق هدفين ومرحلتين وتمسك باستراتيجيات الثورة.

Abstract

Throughout history the imam Al- Hussein revolution tends to be under the limelight of certain levels personal، collective، public، Islamic ، global، and here-hereafter scope ، all intend to document and analyze the events and the rationale of the revolution and its merits and demerits . However there is rarity in tackling the strategic angle of the revolution that is why the current article endeavours to analyze the strategic viewpoints of the great revolution on earth .

In other words ، it is to reinterpret the imam Al-Hussein revolution in light of the strategic planning to reveal the forte and the defects ، chances and changes . On the scale of strategy the study concludes that the imam Al-Hussein revolution cuddles many two-fold targets and phases and takes hold of the meant strategies in the revolution.

Key words

Imsam Al-Hussein، `Ashura، the planning ، stategic planning

چكيده

در طول تاريخ قيام امام حسين عليه السلام، از ديدگاه ها، سطوح(فردى، گروهى، ملى،جهان اسلام و بين المللى، دنيا و اخرت)، با نظرداشت محورهاي گوناگون‌مورد بررسي قرار گرفته است. ثبت وتجزيه و تحليل، بيان فلسفة قيام، تبيين آثار قيام، و ... از آن جمله اند. اما بررسي قيام با رويكرد راهبردي و با تمركز بر برنامه ريزي راهبرد كمتر مورد توجه قرار گرفته است. از اين رو مقاله حاضر با استفاده از روش تحليل راهبردي اين مهم را مورد بحث و بررسي قرار می دهد. به عبارت ديگر اين مقاله قيام امام حسين عليه السلام را از منظر برنامه ريزي راهبردي مورد باز خواني قرارداده و ضمن تحليل نقاط قوت و ضعف و فرصت و تهديدهاي موجود در قيام راهبردهاي اتخاذ شده را احصا می نمايد. بر اين اساس قيام امام حسين عليه السلام از اهداف چند لايه اي برخوردار بوده، از مباني و ويژگي هاي خاصي نيز برخوردار است. افزون بر اين راهبردهای اساسی بدست آمده از تجزيه و تحليل از ديگر يافته های اين مقاله است.

واژگان كليدى: امام حسين عليه السلام، عاشورا، برنامه ، راهبرد، برنامه ريزى راهبردى.

مقدمه

تاریخ بشر حوادث تلخ وشیرین بی شماری را به یاد دارد وتاریخ سازان فراوانی را در دل خویش پرورش داده است، ولی کمتر حادثه ای را همانند حادثۀ عاشورای سال ٦١ هجری با پی آمد های گسترده اش به خود دیده وکمتر تاریخ سازانی همچون تاریخ سازان کربلا را به یاد می آورد.

این حادثه همچون سکه ای دارای دو روی کاملا متفاوت ومتمایز از یکدیگر است، یک روی آن، خیانت، بی وفایی، ناجوانمردی، ستمگری، پلیدی، قساوت، بی رحمی ومهمان کشی و ... وروی دیگر آن، وفاداری، جانبازی، جوانمردی، شهادت، سنم ناپذیری، صبر،حلم، برد باری، تسلیم دربرابر قضای الهی وعبودیت حق در عالی ترین درجۀ آن است. آنچه این قیام را از حوادث مشابه متمایز می نماید، هدف و انگیزۀ قیام خالص، الهی، کشته شدن حجت خدا توسط مردمی به ظاهر مسلمان، یاران بظاهر اندک ولی وفادار، ذلت ناپذیری ایشان، مظلومیت در ابعاد مختلف و قدرت تأثیرگذاری فروان قیام می باشد[1].

عموما حوادث تاریخی بریده از یکدیگر مطالعه می شوند و این مسئله باعث بی پاسخ ماندن بسیاری ازپرسش ها می گردد. زیرا حوادث تاریخ، مجموعه ای همانند حلقه های زنجیر به هم پیوسته اند، که اجزای آن با هم تعامل پیوسته داشته بر یکدیگر اثر می گذارند و از یکدیگر اثر می پذیرند. در عین حال به میزان گستردگی بزرگی حادثه، ریشه های، ابعاد وآثار فزون تری پیچیده تر را در بر خواهد داشت.

پژوهش در مورد قیام عاشورا نیز از این قاعده مستثنی نیست. از این رو نمی توان در بررسی آن را صرفا یک حادثه غم انگیز، یک تراژدی، یک عصبیت تاریخی وجدا از حوادث دیگر تاریخی تحلیل نمود. یکی از انواع مطالعه ای می تواند در بررسی جامع تر این قیام موثر باشد مطالعه قیام با رویکرد راهبردی خصوصا با تمرکز بر برنامه ریزی راهبردی بدین معنا که می تواند در تحلیل شرایط پیچیده محیطی زمان وقوع قیام امام حسین علیه السلام و دستیافتن به دیدگاه کلان تر در مورد آن مفید باشد.

از این رو این مقاله برآنست که قیام امام حسین علیه السلام را با رویکرد راهبردی و تمرکز بر برنامه ریزی راهبردی مورد بررسی قرارداد و تحلیلی جدید از آن ارائه دهد.

رویکرد راهبردی و برنامه ریزی راهبردی در مدیریت پیشنیه ای طولانی دارد و مفهوم راهبرد کاربرد وسیع در تاریخ بشر داشته به طوری که از این نظر دارای پیشینه ای قدیمی تر از علم مدیریت است. استفاده از راهبرد و استراتژی از دیرباز در جنگ های بزرگ متداول و مرسوم بوده است. اما ادبیات مدیریت راهبردی از دهه شصت قرن بیستم توسعه بیشتری یافته است به گونه ای که به عنوان یک گرایش و یا حتی یک رشته علمی دردوره های تحصیلات تکمیلی مورد توجه جدی قراردارد. در عین حال بررسی ها نشان می دهد اخیرا این موضوع با نگرش اسلامی نیز مورد پژوهش های قرار گرفته است برای مثال کتاب برنامه ریزی استراتژیک با نگرش اسلامی تالیف حسن صابری که اندیشمند مقیم امریکا است. افزون بر این چندین مقاله و پایان نامه در این خصوص وجود دارد از جمله مقالۀ ای بنام نگرش سیستماتیک توحیدی، برنامه ریزی راهبردی تالیف مرتضی صادق عمل نیک[2] که در ساختار مورد نیاز برای زمینه سازی شرایط ظهور در داخل و خارج از کشور برای هماهنگی وجهت گیری وبسیج نیروها درجهت مبارزه با ظلم و فساد و حرکت در مسیر عدالت اجتماعی بحث و بررسی شده است.

از سوی دیگر قیام امام حسین علیه السلام در طول تاریخ، از دیدگاه ها، سطوح، با نظرداشت محورهاي گوناگون‌مورد

بررسي قرار گرفته است؛ تجزیه و تحلیل، ثبت و نقل حوادث، بیان فلسفة قیام ، تبیین آثار قیام، بررسی حوادث رخ داده در جریان قیام از آن جمله اند. اما بررسي این قیام با رویکرد راهبردي و تمرکز بر برنامه ریزي راهبرد کمتر مورد توجه قرار گرفته است، بطوری که با وجود اهمیت رویکرد راهبردی و برنامه ریزی راهبردی در قیام حضرت امام حسین علیه السلام تا کنون مولفین به تحقیقی که به این مهم بپردازد دست نیافته اند. از این رو مناسب است باتوجه به اهمیت حادثه عظیم عاشورا و تأثیر شگرف آن براحیا و اصلاح اسلام و مسلمین، این رویداد بزرگ، از این منظر بازخوانی شود.

اهمیت و ضرورت تحقیق

انسانها باحرکت درمسیر تکامل و رشد عقلانی خود، بتدریج برضرورت برنامه ریزی[۳] در زندگی پی بردند و آن را به منزله ابزاری در خدمت مدیریت و رهبری نظامهای اجتماعی، قراردادند. کشورها وجامعه جهانی امروزه، بحدی از پیچیدگی مبتلی شده اند که بدون داشتن برنامه دقیق، امکان ادامهٔ حیات نخواهند داشت. برنامه ریزی مستلزم آگاهی از فرصتها و تهدیدهای آتی، و پیش بینی شیوهٔ مواجهه با آنهاست. بدون تردید افرادی موفق خواهند بود که دید روشنی ازآنچه که باید انجام دهند داشته باشند و بتوانند از مدیریت قوی وسیستم های سازمانی مورد نیاز برخوردار گردند. مسیرهای پیشترفت بسیاری برحسب کیفیت تفکر راهبردی[٤] بروز می یابند یا از محو می روند. تفکرراهبردی برتوان دیدن آینده و شناخت پویایی محیط و حضور اثربخش افراد، سازمانها، کشورها مورد نظر برای کسب موفقیت مستمر در طی زمان دلالت دارد، برای مثال، هنگامی که مدیران به استفاده از فن آوری برای کسب حداکثر مزیت رقابتی می اندیشند، باید نگرشی بلند مدت داشته باشند و بدانند که وقت و انرژی خود را کجا باید صرف کنند.

برنامه ها تعهداتی برای انجام یک سری عملیات به منظور تحقق اهداف هستند وهمچنین برنامه را می توان تعیین اهداف واقدامات نیل به آن اهداف دانست[٥] . برنامه ریزی از وظایف بسیار مهم مدیران است و با سایر وظایف آنها نیز ارتباط متعامل دارد. اگرنگرش مبتنی بر برنامه ریزی به سراسر زندگی افراد تسری یابد، نوعی تعهد به عمل بر مبنای تعقل و تفکر آینده نگر، و عزم راسخ بر استمرار آن، برای شان ایجاد می شود. به عبارت دیگر تحقق اهداف فردی وسازمانی نیز مستلزم برنامه ریزی است، در حقیقت برنامه ریزی برآنست که در محیطی پویا، با منابع محدود که موجب بروز رقابت های شدید می شود سازمانها را یاری رساند به هر جهت پویایی و تلاطم محیط، و عدم اطمینان ناشی از تغییرات آن، برضرورت انکار ناپذیر برنامه ریزی می افزاید[٦].

به دیگر برنامه ریزی عبارت است از تجسم و طراحی وضعیت مطلوب در آینده و یافتن راه ها و وسایلی که رسیدن به آن را فراهم می کند[٧]. و یا کوششی سازمان یافته و آگاهانه برای هماهنگی، جمع بندی و تلفیق مطلوب و بهینهٔ کلیهٔ امکانات فیزیکی و مادی و نیروی انسانی برای رسیدن به هدف یا اهداف مورد نظر در مدت زمان مشخص. فرآیند وضع اهداف و دستورالعمل های مناسب قبل از انخاذ عمل و انجام کار[٨].

راهبرد معانی مختلفی دارد آلدفر و چندلر[٩] (١٩٦٢) را به عنوان تعیین کننده اهداف اساسی بلند مدت و مقاصدی که متمایز است و تخصیص منابع و تطبیق فعالیت ها را برای رسیدن به اهداف را مشخص می کند تعریف نموده اند.

کنت آندروس[١٠] (١٩٨٠) راهبرد را الگوی تصمیم های شرکت که تعیین و مرتبط کننده مقاصد، اهداف،غایات، رویه ها سیاست های اصولی و برنامه های رسیدن به اهداف است.

مایکل پورتر(١٩٨٠)[١١] مسیر مشخصی که جگونه یک تجارت برای رقابت باید طی کند تعریف می کند[١٢].

جان زیمرمن[۱۳] (۱۹۸۰) راهبرد به عنوان چهارچوبی درانتخاب ها را هدایت کند که ماهیت سازمان را تعیین و سازمان را جهت می دهد.

هنری مینتزبرگ[۱٤] (۱۹۹٤) راهبرد را طرح، الگو، موقعیت، چشم انداز است او همچنین در حاشیه اشاره کرد که راهبرد می تواند شگرد باشد، یا مانور در نظر گرفته شود برای گول زدن یک رقیب.

جان برایسون[۱٥] (۱۹۹٦) راهبرد را به عنوان " الگویی از اهداف، سیاست ها، برنامه ها، اقدامات، تخصیص تصمیمات، یا منابع است که انجام خوب چه یک سازمان است، تعریف می کند،

راهبرد می تواند در یک سازمان/ شرکت و یا تجارت و در سطح کلان تر تعریف شود.

امام حسین علیه السلام فردی که در روزسوم شعبان سال سوم هجری قمری در مدینه از مادری بنام فاطمه زهرا سلام الله علیها وپدری بنام علی علیه السلام به دنیا آمد. امام حسین علیه السلام در میان جامعهٔ اسلامی ومسلمانان، دارای شخصیت خاصی بود، چرا که فرزند فاطمهٔ زهراعلیها سلام بود وازاین روفرزند رسول خدا نیز نامیده می شد این بزرگوار به سبب محبت ویژهٔ رسول خدا و نیز کلمات ارزشمندی که آن حضرت در بارهٔ او فرموده بود، مورد توجه ویژهٔ همه مسلمین قرار داشتند که حضرت پیامبر فرمود(الْحَسَنُ وَ الْحُسَيْنُ ابْنایَ سَيِّدا شَبابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ یعنی حسن وحسین سرورجوانان بهشتند[۱٦]. دارای سجایای اخلاقی متعدد و سومین پیشوای شیعیان و مورد تکریم مسلمانان واسوه وراهنمای آزادی خواهان جهان.

عاشورا دهم هرماه را در زبان عرب عاشورا گوید ولی واژهٔ عاشورا انصراف دارد به حادثهٔ عظیم و ناگوار روز دهم محرم سال٦١ هجری قمری در سرزمین کربلا، که در آن حضرت امام حسین علیه السلام و۷۲تن از یاران با وفای شان بدست مأموران یزید ابن معاویه به شهادت رسیدند و فرزند حضرت ایشان، امام سجاد علیهاالسلام وخواهرش، حضرت زیب کبری سلام الله علیها،و تمامی خانواده ایشان را به اسارت بردند.

تمرکز این مقاله بر برنامه ریزی راهبردی در قیام امام حسین علیه السلام درحادثه عاشورا است. در واقع دامنه طرح قلمروی زمانی و مکانی شامل حوادث منجر به قیام سال شصت و شصت ویک هجری قمری در قلمرو جامعه اسلامی می باشد[۱۷]. شناخت محیط قیام امام حسین علیه السلام با رویکرد راهبردی و تجزیه و تحلیل آن می تواند الگویی تازه از برنامه ریزی راهبردی را ارائه نماید. این هدف با پاسخ به سوال چیستی و تا حدودی چگونگی برنامه ریزی راهبردی امام حسین علیه السلام درحادثه عاشورا محقق می شود.

روش تحقیق

این مقاله در گردآوري اطلاعات؛ از روش فیش برداری (کتابخانه اي) برده است و با مطالعه کتب، اسناد تاریخی، مجلات و سایت‌های علمی که در زمینه هاي یاد شده مباحثي را ارائه نموده‌اند و نیز نظریات دانشمندان و تحلیل هاي آنان، و شواهدي از کتب تاریخي، فیش های لازم جمع آوري نموده، و به منظور استفاده طبقه بندي کرده است. همچنین در تجزیه و تحلیل داده ها از روش تجزیه و تحلیل راهبردی استفاده شده است.

مراحل انجام کار از این قرار بوده است که پس از طرح سؤالات اصلي و فرعي و تنظیم چارچوب تحقیق، براي رسیدن به پاسخ، منابع و متون تاریخی مورد مطالعه و بررسی قرار گرفته است و تحقیق پا بپای اسناد و گزارش های مکتوب و بجا مانده در لابلای استاد تاریخ شکل گرفته است. از این رو پژوهش حاضر در دسته تحقیات بنیادی/ توسعه

قرار می گیرد.

هرچند ادبیات مدیریت راهبردی و برنامه ریزی راهبردی عمدتا در سطح سازمان/ شرکت شکل گرفته است اما همانطور که در متن جوامع ملاحظه می شود از این ادبیات برای برنامه ریزی کلان در سطح کشور و یا برنامه های فراملی مانند سازمان های بین المللی نظیر سازمان ملل و بانک جهانی، و... استفاده می شود. بی گمان استفاده از این ابزار برای تحلیل برخی روایدادهای تاریخی با دامنه تاثیرگذاری کلان و گاه در طول تاریخی مفید به نظر می رسد در این چهارچوب تلاش می شود که با بهره گیری از این ادبیات تحلیلی از قیام امام حسین علیه السلام ارائه شود. به این امید که این تحلیل بتواند الگوی جدید برای مشتاقان به پیروی از آن اسوه مسلمین ارائه نماید. انشالله

تجزیه و تحلیل یافته:

همانطور که بیان شد چارچوب تجزیه و تحلیل محیطی به عنوان چارچوبی که در اکثر مدل های برنامه ریزی راهبردی مورد استفاده قرار می گیرد، برای جمع بندی و تحلیل بکار رفته است. از این رو در این بخش تلاش می شود قیام امام حسین علیه السلام با این ابزار مورد بررسی قرار گرفته، سپس سعی می گردد این قیام با نگاهی فرایندی در قیاس با فرایند برنامه ریزی راهبردی مورد تتبع واقع شود.

قبل از شروع این بخش اشاره به دو نکته مفیسد به نظر می رسد:

۱- بر اساس اعتقادات شیعیان و ارادتمندان به خاندان مکتب اهلبیت، افزون بر احادیث مسلم نقل شده ازپیامبر خدا، برای ضرورت امامت، اموری همچون؛ تبیین وتشریح قرآن وسنت پیامبر خدا، تلاش برای حفظ ونگهداری دین از نابودی و انحراف، تلاش برای تحقق دین، الگوبودن ائمه به گونه این که درروایت امام رضا علیه السلام [۱۸] مانند آن منعکس است، در تبیین ابعاد امامت استدلال می کند.

الف.ویژگیهای حق پویان

از داستان کربلا و قیام عاشورا قهرمان داستان پسران علی(ع) هستند. حسین بن‌علی(ع) است، عباس بن‌علی است، دختر علی، زینب است، یك عده از مردان فداکار درجه اولی هستند که خود حسین(ع) که حاضر نیست یك کلمه مبالغه و گزاف در سخنش باشد، آنها را ستایش می‌کند [۱۹].

۱-۱- غیرت وحماسه

ابن‌ابی‌الحدید در این خصوص می گوید:

«سَیِّدُ اَهْلِ اْلاِباءِ الَّذی عَلَّمَ النَّاسَ الْحَمِیَّةَ وَ الْمَوْتَ تَحْتَ ظِلالِ السُّیُوفِ اخْتِیاراً لَهُ عَلَی الدَّنِیَّةِ، اَبُوعَبْدِالله الْحُسَیْنُ بْنُ‌عَلِّی بْنِ‌اَبی‌طالِبٍ عَلَیْهِ السَّلامُ؛ عُرِضَ عَلَیْهِ الْاَمانُ وَ اَصْحابِهِ فَاَنِف مِنَ الذُّلِّ وَ خافَ مِنْ اِبْنِ زِیادٍ اَنْ یَنالَهُ بِنَوْعٍ مِنَ الْهَوانِ اِنْ لَمْ یَقْتُلْهُ فَاخْتارَ الْمَوْتَ عَلی ذلِكَ [۲۰].

شهید مطهری(ره) از حماسه حسینی با عنوان «مطلق و مقدس» یاد می‌کند؛ و تبین جالب از آن بدست می دهد [۲۱].

۱-۲- ژرف اندیشی

حماسه آفرینان کربلا، بیشتر نسل دوم اسلام بودند که پیام خدا را در دل نشانده بودند و بسان مجاهدان زمان پیامبر(ص)

با توصیف امیر مؤمنان صلوات اللهّ علیه؛«حَمَلُوا بَصائِرَهُمْ عَلی اَسْیافِهِمْ [۲۲]

۱-۳- عرفان

سالار شهیدان در دعای عرفه از خدا چنین‌می‌خواهد؛ «اَللّٰهُمَّ اجْعَلْنی اَخْشاكَ كَاَنّی اَراكَ [۲۳].

در شب عاشورا پس از سخنان امام و اعلام وفاداری اصحاب، امام آنان را دعا کرد، سپس؛ «كَشَفَ عَنْ اَبْصارِهِمْ فَرَأَوْا ما حَباهُمُ الله مِنْ نَعیمِ الْجِنانِ وَ عَرَّفَهُمْ مَنازِلَهُمْ فیها [۲۴]

۱-٤- پرستش ونیایش

امام سجاد(ع)فرمود: «پدرم در شبانه‌روز هزار رکعت نماز می‌خواند [۲۵]، عصر تاسوعا نیز وقتی جنب و جوش دشمنرا ملاحظه کرد، حضرت عباس(ع) را فرستاد تا از آنان خبر بیاورد، به او گفتند، قصد حمله دارند، امام برای بار دوم برادر را به سوی عمر سعد فرستاد تا از او مهلت بگیرد، جنگ را به فردا موکول کند تا یك شب دیگر را به درگاه خدا عبادت کنند، آنگاه فرمود: «خدا می‌داند که من نماز، قرائت قرآن و فراوانی دعا و استغفار را دوست‌دارم[۲۶]. و شب عاشورا تا صبح، مشغول نماز و دعا و استغفار و مناجات و تلاوت قرآن بودند[۲۷].

۱-۵- جانبازی برسر پیمان

در طول نهضت کربلا، امام حسین علیه السلام به مناسبت شنیدن خبر شهادت یاران خود، آیه شریف «مِنَ الْمُؤْمِنینَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا الله عَلَیْهِ [۲۸]... را تلاوت می‌کرد که نشان از استواری و پایمردی و وفاداری دلاورمردان کربلا داشت؛ سرگذشته حضرت مسلم در این زمینه یکی از نمونه های بارز این ویژگی است [۲۹].

۲- هدف قیام امام حسین

هدف حرکت امام حسین را باید استفاده با شیوهٔ کلامی و اهداف کلی امامت ودیگری مراجعه به سخنان ونامه های امام حسین علیه السلام بدست آورد. زیرا توجه به یکی از این دو، سبب لغزش وانحراف در تحلیل می گردد. گرچه قیام امام حسین علیه اسلام به شهادت ختم شد، ولی شهادت مقصد است، نه مقصود. بنابراین، اگرگفته شود که امام حسین برای شهادت قیام نکرد، بلکه برای تشکیل حکومت واحیای سنت پیامبر واصلاح امور امت قیام کرد، سخنی بی جا نیست، چراکه شهادت، مقصد است ومقصود، احیای سنت واصلاح اموراست. همچنین باید میان اهداف یک حقیقت، ونتایج وآثار مترتب برآن، فرق گذاشت. بنابراین، آنان که هدف قیام امام را فقط شفاعت امت و یا دستیابی به اجر اُخروی وآمرزش گناهان دانسته اند، گرفتار مغالطه شده اند.

دیدگا ها درباره اهداف قیام امام حسین

دیدگاه ها مختلفی که در زمینهٔ اهداف قیام امام حسین ارائه شده، عبارت اند از:

۱.نظریه شهادت طلبی[۳۰] (تکلیفی[۳۱] و[۳۲] و[۳۳])، (فدیه ای[۳٤])، (سیاسی[۳۵] و[۳٦] و[۳۷])

۲.نظریه تشکیل حکومت([۳۸]و[۳۹]و[٤۰] و[٤۱])

۳.نظریه حفظ جان[۴۲]

٤.نظریه جمع بین دو نظر اول ودوم، یعنی شهادت طلبی وتشکیل حکومت.

نظریهٔ جمع، درصدد سازگاری دادن میان نظریهٔ(شهادت طلبی) ونظریهٔ(تشکیل حکومت) است زیرا احادیث فراوانی ازپیامبر وائمه معصومین علیهم السلام نقل شده که برشهادت طلبی، دلالت دارند وسخنان، خطابه ها ونامه های امام حسین علیه السلام نیز برتشکیل حکومت، دلالت دارند.

به عبارت دیگر، ازیک سو پیشوایان دینی ازشهادت امام حسین علیه السلام خبرداده اند وامام حسین علیه السلام نیز به این پایان کار، اعتقاد و ایمان داشت و این راه با علم ومعرفت برگزیده، در هر حال به صورت اجمال می توان برای تبیین نظریهٔ هدفمندی قیام چند لایه با اعتقاد و باور به این که (امام حسین علیه السلام ازشهادت خویش آگاه بود، ولی شهادت را مقصد می دانست، نه مقصود هدفمندی حادثهٔ عاشورا را در دو لایه قابل تبیین دانست:

۱- اصلاح امت، احیای سنت، امر به معروف ونهی ازمنکر، مبارزه با سلطان ستمگر، وعزت وآزادگی را مطرح می سازد و احتمالا تشکیل حکومت.[۴۳] و[۴٤] و[٤٥] دستاوردهای این لایه از هدف حادثهٔ عاشورا، سست شدن بنیاد حکومت بنی امیه، نابودی حکومت یزید، پایه ریزی قیام های انتقام جویانه وآگاهی مردم در آن برهه از تاریخ است البته در بازه زمانی نسبتا کوتاهی اتفاق افتاد[٤٦].

۲- اهداف به یک برهه از تاریخ، محدود نمی شود، بلکه جاودانه وساختن مشعل آزادیخواهی، مبارزه با ستم، بروزکرامت انسانی وآگاهی بخشی منظور است[٤٧].

به سخن دیگر، امام حسین علیه السلام می دانست که دراین حادثه، به شهادت می رسد، اما برای رسیدن به این اهداف به میدان مبارزه با طاغوت زمان، درآمد:

۱.اصلاح اُمور امّت اسلام

۲.اقامهٔ حق وطرد باطل

۳. عزّت وآزادگی

٤.افشای ظلم وستمگری حاکمان بنی امیّه

٥. زمینه سازی برای تشکیل حکومت اسلامی. درآخر این قسمت به عنوان گفتار نهایی، به سخنان حضرت آیت الله سید علی خامنه ای حفظه الله تعالی اکتفامی شود[٤٨]

تحلیل محیط خارجی

تدوین برنامه ریزی راهبردی مدل های متفاوتی دارد در این مقاله به دلایل پیشگفته روش تجزیه و تحلیل S.W.O.T[٤٩] انتخاب شده است.

محیط خارجی تهدیدها[٥٠] (عوامل یا وضعیت برون سازمانی هستند که برسازمان تأثیر منفی و نامطلوب دارند یا آن را از انجام وظایف یا مأموریتش بازمی دارند و می تواند بازدارنده باشد) و فرصتها[٥١](عوامل یا وضعیتهای برون سازمانی که برسازمان تأثیر مثبت و مطلوب دارند و یا آن را در انجام وظایف یا مأموریتش کمک می کند)ت حلیل می شود.

در محیط داخلی قوتها[٥٢] (قابلیت هایی که درسازمان وجود دارند و به آن در انجام وظایف یا مأموریتش کمک می کنند) و ضعفها[٥٣] (کاستی هایی که درسازمان وجود دارند و توان آن را در انجام وظایف یا مأموریتش کاهش می دهند)

تحلیل می شود.

بدیهی است در تحلیل محیطی، خط سیری که از شخص حضرت پیامبر اکرم سلام الله علیه شروع شده و ائمه معصومین علیهم السلام، شیعیان وکلیهٔ ارادتمندان به خاندان اهلبیت عصمت وطهارت علیهم السلام را به عنوان یک خانواده و محیط داخلی محسوب شده اند. وخارج از این محدوده به عنوان محیط خارجی لحاظ شده است.

محیط خارجی

آنچه از بررسی محیط آن مقطع زمانی بدست می آید در دو بخش تهدید و فرصت به صورت فهرست ارائه می شود:

الف) تهدیدها

۱- جلوگیری از تفسیر قرآن [٥٤]

۲- ترویج مذهب جبر [٥٥]

۳- تحریم ذکر فضایل علی علیه السلام و جعل حدیث درباره دیگران [٥٦][٥٧]

٤- ترویج ناسزاگویی به علی علیه السلام [٥٨] و [٥٩]

٥- به شهادت رساندن امام حسن مجتبی علیه السلام [٦٠] و [٦١] و [٦٢] و [٦٣]

٦- به شهادت رساندن شیعیان به بهانه‌های گوناگون. [٦٤] و [٦٥] و [٦٦]

۷- بدعت‌ها [٦٧]

ب) فرصتها

۱. نقض صلحنامه امام حسن مجتبی علیه السلام [٦٨]

۲. تلاش ناکام معاویه برای گرفتن بیعت برای یزید [٦٩]

۳. تغییراوضاع وشرایط بعد از مرگ معاویه و عدم مقبولیت یزید برای حکومت

٤. وجود اختلاف میان فرمان داران یزید. [٧٠]

٥. حکومت جنایت‌بار یزید [٧١] و [٧٢] و [٧٣] و [٧٤] و [٧٥] .

تحلیل محیط داخلی

مردم باقیمانده دوره صدر اسلام از میزان محبت پیامبر صلی الله علیه و اله به امام حسین علیه السلام آگاه بودند[٧٦]. و[٧٧] الْحَسَنُ وَ الْحُسَيْنُ سَيِّدا شَبابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ. [٧٨] همچنین حضرت رسول خدا فرمود: مَنْ أَحَبَّ الْحَسَنَ وَ الْحُسَيْنَ ع أَحْبَبْتُهُ وَ مَنْ أَحْبَبْتُهُ أَحَبَّهُ الله وَ مَنْ أَحَبَّهُ الله عَزَّ وَ جَلَّ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ وَ مَنْ أَبْغَضَهُمَا أَبْغَضْتُهُ وَ مَنْ أَبْغَضْتُهُ أَبْغَضَهُ الله وَ مَنْ أَبْغَضَهُ الله خَلَّدَهُ فِي النَّار[٧٩]

محیط داخلی

قوتها

۱. حدیث رسول خدا (ص): خلافت بر فرزندان ابوسفیان حرام است

«انَّ الْخِلَافَةُ مُحَرَّمَةٌ عَلى وُلْدِ أَبي سُفْيانَ» [٨٠].

۲. حدیث ازحضرت رسول خدا برامامت امام حسین علیه السلام

وَ قَدْ صَرَّحَ رَسُولُ الله ص بِالنَّصِّ عَلَى إِمَامَتِهِ وَ إِمَامَةِ أَخِيهِ مِنْ قَبْلِهِ بِقَوْلِهِ: ابْنَايَ هَذَانِ إِمَامَانِ قَامَا أَوْ قَعَدَا.

۳.پس از امام حسن علیه السلام نوبت به امامت رسیدن امام حسین علیه السلام

٤. نکوهش معاویه بر انتخاب یزید

ثُمَّ وَلَّيْتَ ابْنَكَ وَ هُوَ غُلامٌ يَشْرَبُ الشَّرابَ وَ يَلْهُو بِالْكِلابِ، فَخُنْتَ أَمانَتَكَ وَ أَخْرَبْتَ رَعِيَّتَكَ، وَ لَمْ تُؤَدِّ نَصيحَةَ رَبِّكَ، فَكَيْفَ تُوَلِّي عَلى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه و آله مَنْ يَشْرَبُ الْمُسْكِرَ وَشارِبُ الْمُسْكِرِ مِنَ الْفاسِقينَ، وَ شارِبُ الْمُسْكِرِ مِنَ الْاشْرارِ. وَ لَيْسَ شارِبُ الْمُسْكِرِ بِأَمينٍ عَلى دِرْهَمٍ فَكَيْفَ عَلَى الْأُمَّةِ فَعَنْ قَليلٍ تَرِدُ عَلى عَمَلِكَ حينَ تُطوَى صَحائِفُ الْاسْتِغْفارِ [۸۱] .

۵. تصریح امام حسین علیه السلام به شایستگی خود برای خلافت

أَيُّهَا النَّاسُ أَنَا ابْنُ بِنْتِ رَسُولِ الله صلى الله عليه و آله وَ نَحْنُ أَوْلى بِوِلايَةِ هذِهِ الْأُمُورِ عَلَيْكُمْ مِنْ هؤُلاءِ الْمُدَّعِينَ ما لَيْسَ لَهُمْ [۸۲] ای مردم من فرزند دختر رسول خدایم، ما به ولایت این امور بر شما (و امامت مسلمین) از این مدّعیان دروغین سزاوارتریم.

٦.اعلام آمادگی امام حسین علیه السلام در پاسخ نامه جمعی از مردم کوفه

«... فَالْصِقُوا بِالْأَرْضِ، وَ أَخْفُوا الشَّخْصَ، وَ اكْتُمُوا الْهَوى، وَ احْتَرِسُوا مِنَ الْأَظِنَّاءِ مادامَ ابْنُ هِنْدَ حَيّاً، فَانْ يَحْدُثْ بِهِ حَدَثٌ وَ انَا حَيٌّ يَأْتِكُمْ رَأْيِي [۸۳]

۷.نامه امام حسین علیه السلام به جمعی از بزرگان بصره

أَمَّا بَعْدُ: فَانَّ الله اصْطَفى مُحَمَّداً صلى الله عليه و آله عَلى خَلْقِهِ، وَ أَكْرَمَهُ بِنُبُوَّتِهِ، وَ اخْتارَهُ لِرِسالَتِهِ، ثُمَّ قَبَضَهُ الله إِلَيْهِ وَ قَدْ نَصَحَ لِعِبادِهِ وَ بَلَّغَ ما أُرْسِلَ بِهِ صلى الله عليه و آله وَ كُنَّا أَهْلَهُ وَ أَوْلِياءَهُ وَ أَوْصِياءَهُ وَوَرَثَتَهُ وَ أَحَقَّ النَّاسَ بِمَقامِهِ فِي النَّاسِ، فَاسْتَأْثَرَ عَلَيْنا قَوْمُنا بِذلِكَ، فَرَضينا وَ كَرِهْنَا الْفُرْقَةَ وَ أَحْبَبْنَا الْعافِيَةَ، وَ نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّا أَحَقُّ بِذلِكَ الْحَقِّ الْمُسْتَحَقِّ عَلَيْنا مِمَّنْ تَوَلّاهُ [۸٤] ... .

۸. رد تقاضای فرمانداری مدینه برای بیعت بایزید

: أَيُّهَا الْأَميرُ! إِنَّا أَهْلُ بَيْتِ النُّبُوَّةِ وَ مَعْدِنُ الرِّسالَةِ وَ مُخْتَلَفُ الْمَلائِكَةِ وَ مَحَلُّ الرَّحْمَةِ وَ بِنافَتَحَ الله وَ بِنا خَتَمَ، وَ يَزيدُ رَجُلٌ فاسِقٌ شارِبُ خَمْرٍ قاتِلُ النَّفْسِ الْمُحَرَّمَةِ مُعْلِنٌ بِالْفِسْقِ، وَمِثْلي لا يُبايِعُ لِمِثْلِهِ، وَ لكِنْ نُصْبِحُ وَ تُصْبِحُونَ وَ نَنْتَظِرُ وَ تَنْتَظِرُونَ أَيُّنَا أَحَقُّ بِالْخِلافَةِ وَالْبَيْعَةِ. [۸۵] و [۸٦]

ضعفها

۱. اطلاع مردم کوفه و امام حسین علیه السلام ازقصد یزید

۲. ناگزیربودن امام حسین علیه السلام از سفر

۳. اختلاف و پراکندگی درمیان مردم کوفه

٤. بی‌وفایی یاران و کمی نفرات

تجزیه وتحلیل شرایط بیرونی و وضعیت درونی

گرچه ما قصد تطبیق دادن هر وضعیت درونی با هر مجموعه ای از شرایط بیرونی را نداریم که در صورت تطبیق دادن باید راهبرد متناسب با زمان ومکان خودش طراحی کرد.

چگونگی ترکیب و اوضاع بیرونی ودرونی در اشکال زیر تشریح شده است.

وضعیت داخلی

نقاط قوت(1)	نقاط ضعف(2)
1-حدیث ازحضرت رسول خدا که خلافت بر فرزندان ابوسفیان حرام است 2-وجود حدیث ازحضرت رسول خدا برامامت امام حسین علیه السلام 3-به امامت رسیدن امام حسین علیه السلام 4-نکوهش معاویه بر انتخاب یزید 5-تصریح امام حسین علیه السلام به شایستگی خود برای خلافت 6-اعلام آمادگی امام حسین علیه السلام در پاسخ نامه جمعی از مردم کوفه 7-نامه‌ای امام حسین علیه السلام به جمعی از بزرگان بصره 8-رد تقاضای فرمانداری مدینه برای بیعت بایزید	1-برحذر داشتن مردم کوفه امام حسین علیه السلام رابه جهت ترس ازحکومت یزید 2-ناگزیربودن امام حسین علیه السلام از سفر به سوی کوفه 3-اختلاف و پراکندگی و ترس و بزدلی درمیان مردم کوفه 4-بی‌وفایی یاران و کمی نفرات
فرصتها(3)	تهدیدها(4)
1-نقض صلحنامه امام حسن مجتبی علیه السلام 2-تلاش ناکام معاویه برای گرفتن بیعت برای یزید 3-تغییراوضاع وشرایط بعد ازمرگ معاویه 4-وجود اختلاف میان فرمان داران یزید 5-حکومت جنایتبار یزید 6-ولادت و تربیت یزید 7-افکار، اندیشه‌ها و رفتارهای ضدّ دینی یزید	1-جلوگیری از تفسیر قرآن 2-ترویج مذهب جبر 3-تحریم ذکر فضایل علی (ع)و جعل حدیث 4-ترویج ناسزاگویی به علی علیه السلام 5-به شهادت رساندن امام حسن مجتبی علیه السلام 6-کشتن شیعیان به بهانه‌های گوناگون 7-بدعت‌ها

وضعیت خارجی

راهبردها

در نهضت عاشورا راهبردهای نظامی و تبلیغی وجود دارد. راهبرد نظامی به طور عمده یا حالت دفاعی داشته است، و گاه تهاجمی. راهبردهای تبلیغی نیز به طور عمده جهت آگاه دادن به مردم و پیام رسانی و شناساندن ابعاد قیام بوده است که در زمان خود آن حضرت و توسط ایشان انجام گرفته است، یا پس از شهادتش تا همیشه تاریخ. در اینکه آن حضرت در قیام کربلا به عنوان یك مبارز مسلط به همه فنون رزمی، راهبردها و تاکتیك های نظامی(دفاع یا تهاجم متناسب با شرایط زمان ومکان). و تبلیغی عمل کرده است، شکی نیست که تأمل بر حوادث این نهضت مدیریت شگفت و نظم و تدبیر و برنامه ریزی راهبردی و عمق راهبردی اندیشیدن آن حضرت را در آن حادثه که آمیخته‌ای از احساسات و عواطف و تعقل است، را به نمایش می گذارد. بخشی از راهبرد بدست آنده از تحلیل های پیشگفته عبارتند از:

۱. راهبردهای نظامی

۱-۱.حفاظت از شخص امام علیه السلام در شرایط خطر[۸۷] .

۱-۲.گزارشگیری اطلاعاتی از محیط

- از طریق محمد حنفیه و دیگران[۸۸]
- جمع آوری اطلاعات

با پرسش از مسافرانی که از کوفه می‌آمدند همچون «بشربن غالب» که در «ذات عرق» با امام

برخورد کرد، یا فرزدق در یکی دیگر از منزلگه‌ها. ومکاتبات و نامه‌نگاری با پیروان خود در کوفه، بصره ویمن (مناطقی که در محبت به

اهل بیت، ریشه دارتر بودند) و گرفتن گزارشهای مکتوب از اوضاع آن مناطق و...[۸۹].

۱-۳.راهبرد تبلیغی- نظامی؛ تهاجم موردی برای نشان دادن جدیت البته با رعایت حدود شرعی [۹۰].

۱-٤.جذب نیرو شایسته[۹۱] **و پالایش نیروی های موجود** [۹۲]

۱-۵.راهبردهای نظامی

- آرایش اردوگاه در کربلا
- سازماندهی لشکر در کربلا
- ایجادمانع در برابر دشمن

۲.راهبردهای روانی، تبلیغی

راهبردها که از سوی سید الشهدا(ع) در طول نهضت و توسط خاندان آن حضرت اتخاذ شد، هم مایه ماندگاری نهضت و مصونیت چهره آن است در طول تاریخ، عامل روحیه بخشی به یارانِ شرکت کننده در آن حماسه، که امام را با همه هستی یاری کردند، مایه تزلزل در انگیزه سپاه کوفه و موجب ضعف یا رسوایی یا خنثی شدن تبلیغات دشمن شده است:

۲-۱. عمل به وظیفه و مشروعیت نهضت

حضرت امام حسین علیه السلام، حرکت سیاسی خود بر ضدّ حکومت را به تکلیف شرعی و امر به معروف ونهی از منکر و احیای سنت پیامبر(ص) پیوند داد، تا ضمن مشروعیت بخشیدن به قیام خود، و تصریح به نامشروع بودن خلافت

یزید و تعارض آن با سنت.: ...وَ نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّا أَحَقُّ بِذلِكَ الْحَقِّ الْمُسْتَحَقِّ عَلَيْنا مِمَّنْ تَوَلّاهُ [۹۳] ... .

۲-۲.نکوهش دشمن و تاکید باطل بودن آنان

- نکوهش معاویه به دلیل انتخاب یزید برای خلافت [۹٤].
- نامشروع دانستن خلافت یزید [۹۵]، و [۹٦]
- رد تقاضای مروان حکم برای بیعت با یزید[۹۷]

۲-۳ ارتباطات موثر

- فرستادن سفیر خود به دعوت مردم کوفه.[۹۸] و[۹۹].
- نامه‌نگاری و پیام‌رسانی امام حسین علیه السلام به بزرگان کوفه و بصره و سران قبایل و تماس با پایگاه هواداران.

۲-٤.سنجش افکار

محاسبه ای زمینه اقدام سیدالشهدا علیه السلام در کوفه، از راه اعزام سفیران بویژه مسلم بن عقیل به آنجا و ارزیابی وضعیت هواداران و نویسندگان دعوتنامه‌ها و درخواست از مسلم برای گزارش دقیق از اوضاع کوفه و میزان تعهد و وفای مردم.

۲-۵.جبران کمیت نیروها با کیفیت آنها

- .تقویت بُعد معنوی

مهلت خواهی شب عاشورا و سپری کردن آن شب با انس با خدا و تلاوت و عبادت و زمزمه‌هایی که از خیمه‌ها بر می‌خواست، همه به عنوان عامل معنوی و تقویت روحی در شب قبل از عملیات مؤثر بود و یاران در صبح عاشورا بی تابِ شهادت بودند و شوخی می‌کردند و میان خود و بهشت، فاصله‌ای جز تحمل ضربت شمشیرها نمی‌دیدند.

۲-٦. درگیر کردن عواطف احساسات دشمنان[۱۰۰]و [۱۰۱]

۲-۷. استفاده از تمامی ظرفیت های موجود از جمله اتمام حجت[۱۰۲]

۲-۸. شهود صحن و همراهی خاندان گرامی حضرت

حضرت امام حسین علیه السلام با همراه بردن زنان و کودکان در سفر کربلا، به عنوان عاملان ثبت وقایع شاهدان زنده که همه صحنه‌ها را دیده‌اند، از تحریف و مسخ چهره واقعه جلوگیری کرد. بعلاوه حضور زنان و کودکان در قافله حسینی، تأثیر عاطفی و برانگیزنده افکار بر ضدّ امویان در طول سفرداشت؛ حتی پس از شهادت و در دوران اسارت با سخنرانی ها ودیدارهای که با مردم داشتند از وقایع دردناک که در حادثه عاشورا روی داد مردم را آگاه کردند.

۲-۹.آماده سازی یاران و اهل بیت خود را از نظر روانی برای شهادت و اسارت

۲-۱۰. تحول در فکر واندیشه مردم

برای همیشه روحیه آزادگی، ظلم‌ستیزی و مبارزه با مفاسد اجتماعی و سیاسی را در میان مسلمانان و جامعه اسلامی زنده و پایدار نگه دارد، تا برای همیشه تاریخ، حفظ و بقای اسلام تضمین گردد در آن شرایط حرکتی می‌توانست در فکر و اندیشه مردم تحول ایجاد کند وپیروز گردد کهاولاً: توان برانگیختن حساسیتهای از دست‌رفته و ضعیف شده توده‌های مسلمان را داشته باشد، و بتواند وجدانهای خفته آنان را بیدار کند.

ثانیاً: همه شهرهای قلمرو کشور اسلامی را پوشش دهد و صدای خود را به مراکز مهم آن‌برساند.

ثالثاً: از سرعت عمل بسیار زیاد برخوردار باشد تا بتواند، دستگاه تبلیغاتی قوی ونیرومند امویان را درموضع انفعال قرار دهد و پیش از آنکه آنان به فکر چاره جویی و طرح نقشه و برنامه برآیند، کار از کار گذشته باشد، در غیر این صورت مقهور دستگاه تبلیغاتی امویان قرار خواهد گرفت و کاری از پیش نخواهد برد.

امام حسین(ع) با الهام از علم غیب برای این کار بهترین شیوه ممکن را برگزید. او این بخش از نهضت و قیام خود را به عهده اهل بیت خویش که اکثریت قریب به اتفاق آنان را زنان و دختران تشکیل می‌دادند، واگذار کرد.

۲-۱۱ .راهبرهای فرهنگی،حماسی و ترویجی حضرت سجاد علیه و حضرت زینب کبری علیها السلام

این راهبردها خود بحث مستقلی نیاز دارد اما در اینجا از آن جهت اهمیت دارد که بخشی از راهبردهای اتخاذ شده توسط امام حسین علیه السلام برای تکمیل و تحقق کامل اهداف قیام است.

الهوامش

.....

۱. داوودی، سعید، رستم نژاد، مهدی، عاشورا: ریشه ها، انگیزه ها، رویدادها، پیامدها ،ص۲۹
۲. . سایت، همایش بین المللی دکترین مهدویت
۳. planning
٤. strategic thinking
٥. سیدرضا، سیدجوادین، مبانی سازمان ومدیریت، ص۲۷۷
٦. علی، رضاییان، مبانی سازمان ومدیریت، ص۱۷۸
۷. سیدرضا، سیدجوادین، مبانی سازمان ومدیریت، ص۲۷٥
۸. . علی، رضاییان، همان، ص۱۷۹
۹. Chandler, Alfred Jr
۱۰. Andrews, Kenneth
۱۱. Porter, Michael
۱۲.
۱۳. John Zimmerma
۱٤. Mintzberg, Henry
۱٥. Bryson, John M
۱٦. سعید،داودی،مهدی،رستم نژاد،عاشوراص٤۲، ،بحارالانوار، ج ۳۳، ص ۱۸۱- ۱۸٥
۱۷. سیدمحمداعرابی،هوشنگ نظامی وندچیگینی،برنامه ریزی استراتژیک
۱۸. إِنَّ الْإِمَامَةَ خِلَافَةُ اللَّهِ وَ خِلَافَةُ الرَّسُولِ ص وَ مَقَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع وَ مِيرَاثُ الْحَسَنِ وَ الْحُسَيْنِ ع إِنَّ الْإِمَامَةَ زِمَامُ الدِّينِ وَ نِظَامُ الْمُسْلِمِينَ وَ صَلَاحُ الدُّنْيَا وَ عِزُّ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ الْإِمَامَةَ أُسُّ الْإِسْلَامِ النَّامِي وَ فَرْعُهُ السَّامِي بِالْإِمَامِ تَمَامُ الصَّلَاةِ وَ الزَّكَاةِ وَ الصِّيَامِ وَ الْحَجِّ وَ الْجِهَادِ وَ تَوْفِيرُ الْفَيْءِ وَ الصَّدَقَاتِ وَ إِمْضَاءُ الْحُدُودِ وَ الْأَحْكَامِ وَ مَنْعُ الثُّغُورِ وَ الْأَطْرَافِ الْإِمَامُ يُحِلُّ حَلَالَ اللَّهِ وَ يُحَرِّمُ حَرَامَ اللَّهِ وَ يُقِيمُ حُدُودَ اللَّهِ وَ يَذُبُّ عَنْ دِينِ اللَّهِ وَ يَدْعُو إِلَى سَبِيلِ رَبِّهِ بِالْحِكْمَةِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ الْحُجَّةِ الْبَالِغَةِ... الْإِمَامُ أَمِينُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ وَ حُجَّتُهُ عَلَى عِبَادِهِ وَ خَلِيفَتُهُ فِي بِلَادِهِ وَ الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ وَ الذَّابُّ عَنْ حُرَمِ اللَّهِ الْإِمَامُ الْمُطَهَّرُ مِنَ الذُّنُوبِ وَ الْمُبَرَّأُ عَنِ الْعُيُوبِ الْمَخْصُوصُ بِالْعِلْمِ الْمَوْسُومُ بِالْحِلْمِ نِظَامُ الدِّينِ وَ عِزُّ الْمُسْلِمِينَ وَ غَيْظُ الْمُنَافِقِينَ وَ بَوَارُ الْكَافِرِينَ... مُضْطَلِعٌ بِالْإِمَامَةِ عَالِمٌ بِالسِّيَاسَةِ مَفْرُوضُ الطَّاعَةِ قَائِمٌ بِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ نَاصِحٌ لِعِبَادِ اللَّهِ حَافِظٌ لِدِينِ اللَّهِ إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ وَ الْأَئِمَّةَ ص يُوَفِّقُهُمُ اللَّهُ وَ يُؤْتِيهِمْ مِنْ مَخْزُونِ عِلْمِهِ وَ حِكَمِهِ مَا لَا يُؤْتِيهِ غَيْرَهُمْ فَيَكُونُ عِلْمُهُمْ فَوْقَ عِلْمِ أَهْلِ الزَّمَانِ(محمد،بن یعقوب،کلینی، الکافی،ج۱ص۲۰۰-۲۰۲)
۱۹. . مرتضی، مطهری، حماسه حسینی، ، ج۱، ص۱۳٥ - ۱۳٤
۲۰. . ابن‌ابی‌الحدید، شرح نهج‌البلاغه، ، ج۳، ص۲٤۹
۲۱. .مرتضی مطهری، مجموعه آثار، ج۱۷ص٦۳٦

۲۲. .نهج‌البلاغه، خطبه ۱۵۰.
۲۳. .مفاتیح الجنان، دعای عرفه
۲٤. . مقرّم، مقتل الحسین، ص۲٦۱
۲۵. . محمدباقر، مجلسی، بحارالانوار، ج٤٤، ص۱۹٦
۲٦. . ابومخنف، مقتل، ص۱۰٦
۲۷. .همان ، ص۱۱۲
۲۸. .سوره احزاب، آیه ۲۳؛ر.ك: مقتل، ابومخنف، ص۸۸؛ سید ابن طاوس، لهوف، ص۱٦۱.
۲۹. . ابومخنف، مقتل، ص۵۰.
۳۰. .گفتنی است علامه سید شرف الدین عاملی،درکتاب امجالس افاخرة ص۹٤برای شهادت طلبی۳۵ دلیل آورده، علامه سید محسن امین درجلداول اعیان الشیعة نزدیک به ۲۰دلیل آورده، ایت الله استادی درکتاب بررسی قسمتی ازکتاب شهیدجاوید، ۲۰دلیل، آیت الله لطفاالله صافی گلپایگانی نیز درکتاب شهیدآگاه۳۳ دلیل برای نظریه شهادت طلبی ارائه کرده است
۳۱. .محمدبن یعقوب، اصول کافی،ج۱ص۲۷۹، امینی،گلستانی، فلسفه قیام وعدم قیام امام زمان،ص۱۵
۳۲. .ابن طاوس، علی ابن موسی،اللهوف علی قتل الطفوف،ص٦۵، محمد، مهدی، اشتهاردی، غم نامه کربلا،ص۸۹، مجموعه آثارشهید مرتضی مطهری،ص۳۹٦، موسی، صدر حسین چراغ حیات کشتی نجات،ص۱۰۱، محمد، امینی گلستانی، فلسفه قیام وعدم قیام امام زمان،ص۱٦٤
۳۳. .محمد حسین،باقر جواهرالکلام فی شرح شرائع السلام،ج۲۱ص۲۹٦
۳٤. .مهدی،بن ابی بکیر، نراقی، محرق القلوب،
۳۵. نهضة الحسین علیه السلام،ص۳۱
۳٦. . نواویس، محلی نزدیك نینوا است که قبلا مقبره عمومی مسیحیان بوده است
۳۷. . محمد، مهدی، اشتهاردی غم نامه کربلا،ص۸۷، ابن طاوس، اللهوف علی قتل الطفوف،ص٦۰، سیدمحمد،حسین،حسینی‌تهرانی،لمعات‌الحسین،ص۳۷،،مجموعه‌آثارشهیدمرتضی‌مطهری،ج۱۷ص۳۳
۳۸. .رضا، استادی،شهید جاوید،ص۱۷۲
۳۹. .همان ص۲۱۵
٤۰. .اسماعیل بن عمر، ابن کثیر،ابدایة والنهایة،ج۸ص۱٤۹
٤۱. . ابن جوزی، عبدالرحمن،بن علی، الردّ علی المتعصّب العنید،ص۷۱
٤۲. .علی پناه، اشتهاردی، کتاب هفت ساله چرا صدا درآورد،ص۱۹۳-۱۹٤
٤۳. . جعفربن محمد، ابن نما،در سوگ امیر آزادی،ص۹۹، خوارزمی، مقتل الحسین، ج۱ص۱۸٤
٤٤. . سید محمد حسین، حسینی تهرانی، لمعات الحسین، ص ۱۷، این وصیّت را محدّث قمّی در «نفس المهموم» ص ٤۵، از علّامه مجلسی در «بحار الانوار» از محمّد بن أبی طالب موسوی آورده. و نیز در «ملحقات إحقاق الحقّ» ج ۱۱، ص ٦۰۲، از خوارزمی در کتاب «مقتل الحسین» ج ۱، ص ۱۸۸ طبع نجف آورده است. و در «مقتل علّامه خوارزمی» ج ۱، ص ۱۸۸ موجود است.

٤٥. .هود.٨٨

٤٦. .محمدی، ری شهری، دانشنامه امام حسین،ج٣ص٣٥٨.محسن، قرائتی، قرآن وامام حسین،ص٢١

٤٧. حسین، بن محمد، نوری،مستدرک الوسائل، ج١٠ص٣١٨، مجموعه آثار استاد شهید مطهری، ج١٧ ص٤٧٧

٤٨. سید علی، خامنه¬ای، هفتاد ودو سخن عاشورایی، ص١٢٢-١٢٩

٤٩. . Strengtheh, Weaknesses, oppotunitiecs, threats

٥٠. . . Threats

٥١. . . Opportunities

٥٢. . . Strengths

٥٣. . . Weaknesses

٥٤. ا. طبرسی، حتجاج ج ٢، ص ١٦ ، محمد، باقر، مجلسی، بحارالانوار، ج ٤٤، ص ١٢٤

٥٥. حیاة الصحابة، ج ٣، ص ٥٢٩ (به نقل از حسن، ابراهیم حسن،ترجمه، ابوالقاسم پاینده تاریخ سیاسی اسلام، ج ٢، ص ٤١٠).

٥٦. . ابن ابی الحدید، شرح نهج البلاغه ج ١١، ص ٤٤- ٤٦ (با اختصار)

٥٧. .شرح نهج‌البلاغه ابن ابی‌الحدید، ج ٤، ص ٧٣.

٥٨. الغدیر، ج ٢، ص ١٠١- ١٠٢

٥٩. کامل ابن اثیر، ج ٥، ص ٤٢ و شرح نهج‌البلاغه ابن ابی الحدید، ج ٤، ص ٥٨. (برای آگاهی بیشتر از ماجرای سنّت معاویه و پیروانش در سبّ و لعن مولا علیه السلام رجوع کنید به: الغدیر، ج ٢، ص ١٠١ به بعد و ج ١٠، ص ٢٥٧ به بعد؛ شرح نهج‌البلاغه ابن ابی الحدید، ج ٤، ص ٥٦ به بعد؛ پیام امام امیرالمؤمنین علیه السلام، ج ٢، ص ٦٥٢ و دائرة المعارف الاسلامیة الشیعیة، ج ١، ص ٥٩)

٦٠. مناقب ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ٣٨ و بحارالانوار، ج ٤٤، ص ٦٥. (البتّه مطابق نقل ابن قتیبه در «الامامة و السیاسة» جلد ١، صفحه ١٨٤، معاویه تعهّد کرده بود که پس از مرگش، خلافت به امام حسن علیه السلام منتقل شود. در این صورت انگیزه معاویه برای به شهادت رساندن آن حضرت، روشن‌تر است. همین انگیزه را علّامه امینی در الغدیر، ج ١١، ص ٩، از ابوالفرج اصفهانی نویسنده کتاب «مقاتل الطالبیین» نقل می‌کند؛ ابن عبدالبرّ نیز در استیعاب، ج ١، ص ٤٣٨ و ٤٣٩ می‌نویسد: امام حسن علیه السلام با وی شرط کرده بود که خلافت پس از معاویه، در اختیار او قرار گیرد)

٦١. رجوع کنید به: کتاب‌های معتبر تاریخی از شیعه و سنّی؛ مانند: ارشاد مفید، ص ٣٥٦ و ٣٥٧؛ مناقب ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ٤٧- ٤٩؛ بحارالانوار، ج ٤٤، ص ١٤٧؛ تاریخ الخلفاء سیوطی، ص ٢١٤؛ شرح نهج البلاغه ابن ابی الحدید، ج ١٦، ص ٢٩؛ مختصر تاریخ دمشق، ج ٧، ص ٣٩؛ تذکرة الخواص سبط بن جوزی، ص ١٩١ و ١٩٢. ابن عبدالبر نیز در استیعاب، ج ١، ص ٤٤٠ در شرح حال امام حسن علیه السلام می‌نویسد: گروهی گفته‌اند که آن زن به دسیسه معاویه و پولی که برای وی فرستاد، آن حضرت را مسموم ساخت (وَ قَالَتْ طائِفَةٌ: کَانَ ذَلِكَ مِنْهَا بِتَدْسِیسِ مُعاوِیَةَ إِلَیْهَا وَ مَا بَذَلَ لَهَا فِي ذلِكَ)

٦٢. .على ابن حسين، ابوالفرج ،اصفهانى، مقاتل الطالبيين، ص ٤٨

٦٣. .ناصرمكارم، شيرازى،عاشورا ريشه‌ها، انگيزه‌ها، رويدادها، پيامدها ص ١٨٨

٦٤. . ابن ابى الحديد، شرح نهج‌البلاغه ج ١١، ص ٤٦

٦٥. .همان ج ١١، ص ٤٣ ، محمد، باقر، مجلسى، بحارالانوار، ج ٤٤، ص ٦٨

٦٦. فَقَتَلَهُمْ تَحْتَ كُلِّ حَجَرٍ وَ مَدَرٍ، وَ أَخَافَهُمْ، وَ قَطَعَ الْأَيْدِي وَ الْأَرْجُلَ، وَ سَمَلَ الْعُيُونَ وَ صَلَبَهُمْ عَلَى جُذُوعِ النَّخْلِ، وَ طَرَدَهُمْ وَ شَرَّدَهُمْ عَنِ الْعِراقِ؛ فَلَمْ يَبْقِ بِهَا مَعْرُوفٌ مِنْهُمْ (شرح نهج‌البلاغه ابن ابى الحديد، ج ١١، ص ٤٣ و بحارالانوار، ج ٤٤، ص ٦٨). محقّق ارجمند جناب شيخ باقر قرشى مى‌نويسد: زياد قصد كرد كوفه را از شيعيان خالى كند و شوكت آنان را در هم بشكند؛ از اين رو، پنجاه هزار تن از شيعيان كوفه (و عراق) را آواره منطقه خراسان كرد، و البتّه همين جمعيّت موجب نشر تشيّع در آن منطقه و تشكيل گروه‌هاى مقاومت و مبارزه عليه امويان شد. (حياة الامام الحسين بن على عليه السلام، ج ٢، ص ١٧٨) احتجاج طبرسى، ج ٢، ص ٨٧؛ الغدير، ج ١١، ص ٢٨

٦٧. .جعفر، بن محمد، ابن نما، در سوگ امير آزادى،ص ١٢٤

٦٨. ، سعيد داودى، همان، ص١٦٣

٦٩. .عبدالله، بن مسلم، ابن قتبيه الامامة و السياسة، ج ١، ص ٢٠٧- ٢٠٩ و محسن امين،اعيان الشيعة، ج ١، ص ٥٨٣- ٥٨٤

٧٠. . ابن شهر آشوب، مناقب ج ٤، ص ٩٦

٧١. .على، ابن حسن، ابن عساكر، مختصرتاريخ دمشق، ج٢٨ص١٩

٧٢. حياة الامام الحسين بن على عليه السلام، ج ٢، ص ١٨٠

٧٣. المناقب و المثالب، ص ٧١ (مطابق نقل حياة الامام الحسين عليه السلام، ج ٢، ص ١٨٠)

٧٤. .زكار، سهيل، المنتظم، ج ٤، ص ١٧٩ (حوادث سال ٦٣).

٧٥. حياة الامام الحسين بن على عليه السلام، ج ٢، ص ١٨٢

٧٦. . الارشاد في معرفةحجج الله على العباد(ج٢)،ص: ١١٥

٧٧. . جوادى، آملى، شكوفايى عقل درپرتو نهضت حسينى،ص١٧٢-١٧٣

٧٨. اين حديث با تعبيرات مختلف در منابع سنّى و شيعه نقل شده است از جمله: مسند احمد، ج ٣، ص ٣، ٦٢، ٦٤ و ٨٢؛ سنن ترمذى، ج ٥، ص ٣٢١؛ مستدرك حاكم، ج ٣، ص ١٦٧؛ بحارالانوار، ج ٤٣، ص ٢١، ٢٥، ١٢٤، ١٩١- ١٩٢

٧٩. الارشاد في معرفة حجج الله على العباد(ج٢) ص٢٨

٨٠. .ابن اعثم كوفى، محمدابن على،، الفتوح،ج٥ص١٧، ناصرمكارم، شيرازى،عاشورا،ريشه ها،انگيزه ها،رويدادها،پيامدها،ص٣٢٣

٨١. .نعمان، بن محمد، ابن حيون،دعائم الاسلام، ج ٢، ص ١٣٣، ح ٤٦٨، باعبارت متفاوت دردوكتاب،عبدالله بن مسلم، ابن قتيبه الامامة و السياسة ،ج١ص٢٠٤، على، حسينى ،ميلانى،ناگفته هايى ازحقايق عاشوراء،ص٩٨، ضيا آبادى،حسين چراغ هدايت وكشتى نجات،ص٦٨

۸۲. . ابن اعثم، فتوح ج ٥، ص ۱۳۷ و محمد ابن جریر، طبری، تاریخ طبری، ج ٤، ص ۳۰۳ (با اندکی تفاوت)
۸۳. .بلاذری،انساب الاشراف، ج ۳، ص ٣٦٦
۸٤. . محمد ابن جریر، طبری تاریخ طبری، ج ٤، ص ٢٦٦ ومحمد، باقر، مجلسی، بحارالانوار، ج ٤٤، ص ٣٤٠
۸٥. . ابن اعثم، فتوح ج ٥، ص ۱۸- ۱۹؛ خوارزمی، مقتل الحسین ج ۱، ص ۱۸٤ (با مختصر تفاوت) ومحمدباقر،مجلسی، بحارالانوار، ج ٤٤، ص ۳۲٥
۸٦. .سعید داودی، همان، ص ۳۰٦
۸۷. . خوارزمی، مقتل الحسین ،ج ۱، ص ۱۸۲ و رجوع کنید به: محمد ابن جریر، طبری، تاریخ طبری، ج ٤، ص ۲٥۱ و ابن اثیر، کامل ج ۳، ص ۳۷۸
۸۸. . ابن‌اعثم، فتوح، ج ٥، ص ۳۰- ۳۲؛ خوارزمی، مقتل الحسین ،ج ۱، ص ۱۸۸ ومحمدباقر، مجلسی، بحارالانوار، ج ٤٤، ص ۳۲۹
۸۹. . ابن طاوس،لهوف،ص۱۰۷، اللهوف علی قتلي الطفوف،ص ٦۹، محمدجواد، نجفی، زندگانی حضرت امام حسین(ع)ص ۳۲٦
۹۰. . محمدباقر، مجلسی،تاریخ طبری (ترجمه) ص۲۹٦۸
۹۱. . محمد بن محمد،مفید،الارشاد في معرفة حجج الله على العباد(ج۲) ص۹۱
۹۲. . محمود،مهدوی، دامغانی،ترجمه اخبار الطوال، ص ۲۹٤
۹۳. .محمد ابن جریر، طبری،تاریخ طبری، ج ٤، ص ٢٦٦ و محمدباقر، مجلسی، بحارالانوار، ج ٤٤، ص ۳٤۰، بلاذری، انساب الاشراف، ج ۳، ص ۱۷۱.
۹٤. .ابن حبون، نعمان، بن محمد،دعائم الاسلام، ج ۲، ص ۱۳۳، ح ٤٦۸، باعبارت متفاوت در دوکتاب، عبدالله بن مسلم، ابن قتیبیه الامامة و السیاسة ،ج۱ص۲۰٤، علی، حسینی، میلانی،ناگفته هایی ازحقایق عاشوراء،ص۹۸، ضیا آبادی،حسین چراغ هدایت وکشتی نجات،ص٦۸
۹٥. .بقره/۱٥٦
۹٦. .محمدباقر، مجلسی، بحارالانوار، ج ٤٤، ص ۳۲٦.
۹۷. ابن طاوس،ملهوف (لهوف)، ص ۹۹ و محمدباقر، مجلسی، بحارالانوار، ج ۱، ص ۱۸٤
۹۸. .محمدابن جریر،طبری، تاریخ طبری، ج ٤، ص ٢٦٦ و محمدباقر، مجلسی، بحارالانوار، ج ٤٤، ص ۳٤۰
۹۹. . محمدابن جریر،طبری ،تاریخ طبری، ج ٤، ص ٢٦٦ و محمدباقر، مجلسی، بحارالانوار، ج ٤٤، ص ۳٤۰
۱۰۰. . سید هاشم محلاتی ،زندگانی امام حسین(ع)، ص ٤۲۲.
۱۰۱. . همان
۱۰۲. .محمد بابن جریر، طبری، تاریخ طبری ،ج ۷ص۳۲۸

Bibliography

القرآن الكريم

Amrohi, Z. H. 2007. **Morals and Manners of the Holy Imams**. Qum: Ansariyan Publications.

Ayati, I. (n. d.). **A Probe into the History of Ashura**. Karachi: Islamic Seminary Publications.

Bussmann, H. 2006. **Routledge Dictionary of Languge and Linguistics**. London: Routledge.

Jamieson, K. H. 1985. **Communication and Persuasion**. London: Croom Helm.

Johnstone, B. 1989. "Linguistic Strategies and Cultural Styles for Persuasive Discourse", in *Language, Communication, and Culture: Current Directions*, pp.139-156.

Jowett, G. and O'Donnell, V. 2012. **Propaganda and Persuasion**. London: Sage Publications, Inc.

Na'imi, S. R. and Al-Azhari, H. A. H. (n. d.). **Imam Hussain and the Tragedy of Karbala**. Leicester: Islamic Centre.

Shakir, M. H. 1999. **The Quran**. New York: Tahrik Tarsile Quran.

van Eemeren, F. H. 1984. **Speech Acts in Argumentative Discussions**. Dordrecht: Foris Publication.

(Web Resource 1)

http://www.sibtayn.com/ar/index.php?option=com_content&view=article&id=15586:%D8%AE%D8%B7%D8%A8%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B3%D9%8A%D9%86-%D8%B9%D9%84%D9%8A%D9%87-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85-%D8%B9%D9%86%D8%AF-%D8%A7%D9-%84%D8%AE%D8%B1%D9%88%D8%AC-%D9%85%D9%86-%D9%85%D9%83%D8%A9&catid=211&Itemid=305

(Web Resource 2)

http://www.imamreza.net/eng/imamreza.php?id=7102

(Web Resource 3)

http://ashouraa.almaaref.org/maqalet/khotab_karbala.htm

(Web Resource 4)

http://www.almaaref.org/books/contentsimages/eng_book/The%20Journey%20of%20Martyrdom/page/lesson4.htm

5. Conclusions

On the basis of the findings of the two types of analyses conducted by this work the following conclusions can be introduced:

1. The findings of the above analyses verify the first hypothesis set by this paper in that Imam Hussein عليه السلام exploits the three persuasive strategies while addressing his followers and his enemies. Precisely, he bases his argument on rationality and logical reasoning by adopting the *quasilogical strategy.* He reinforces his speech and decorates it by applying certain linguistic and rhetorical devices within the *presentational strategy*. The Imam also utilizes the *analogical strategy* by making reference to certain time-tested values and timeless past events.

2. Within the *quasilogical strategy,* the Imam uses subordinate clauses that link premises to conclusions such as conditional clauses as well as making extensive use of rhetorical questions.

3. Within the *presentational strategy*, the Imam employs linguistic and rhetorical devices such as: simile, imagery, repetition, parallelism, and deixis.

4. It has been noticed that when addressing his followers, the most prevalent persuasive strategy adopted by the Imam is the *presentational strategy* which makes evident the Imam's splendid eloquence and skillful management and manufacturing of what he is saying even though he is delivering these speeches at the time of war. This also clarifies that when addressing his family and his followers the Imam bases his speech on emotional involvement of the audience more than on rationality and logical reasoning.

5. The most common strategy employed by the Imam when addressing his enemies is the *quasilogical* one. This makes evident that the Imam عليه السلام bases his speech on rationality and logical reasoning when addressing his enemies rather than depending on emotions and sympathy of the audience.

6 Moreover, the second hypothesis set by this work has been also verified in that the Imam employs more persuasive strategies when he is addressing his enemies than when addressing his followers because with his enemies he is applying the mechanism of attitude change whereas with his followers he is practicing attitude reinforcement.

Frequency Total	1		2	6	3	1	1
	1		12				1
Percentage	7.14%		85.71%				7.14%

As table (2) illustrates, the most common persuasive strategy exploited by the Imam when addressing his followers is the *presentational strategy* with the percentage (85.71%). This, in fact, manifests the Imam's great eloquence and skillful management of what he is saying even though he is delivering these speeches at the time of war. Moreover, it is convenient to add here that when addressing his family and his followers the Imam bases his speech on emotional involvement of the audience more than on rationality and logical reasoning.

Table (3) Statistical Analysis of Persuasive Strategies employed by Imam Hussein عليه السلام when addressing his Enemies

No. Of Texts	Persuasive Strategies						
	Quasilogical Strategies		Presentational Strategies				Analogical Strategies
	Conditional Clauses	Rhetorical Questions	Simile	Repetition	Parallelism	Deixis	
Text (3)	2			6			1
Text (4)	1	6					1
Frequency Total	3	6		6			2
	9		6				2
Percentage	52.94%		35.29%				11.76%

Table (3) above demonstrates the percentages of persuasive strategies used by the Imam when addressing his enemies. Here, the most prevalent strategy is the *quasilogical* one with the percentage (52.94%). This makes evident that the Imam عليه السلام bases his speech on rationality and logical reasoning when addressing his enemies rather than depending on emotions and sympathy of the audience.

Figure (1) Percentages of Persuasive Strategies utilized in Imam Hussein's عليه السلام Speeches to his Followers and to his Enemies

Figure (1) above elucidates that Imam Hussein عليه السلام uses more persuasive strategies when addressing his enemies (54.83%) than when addressing his followers (45.16%). This is due to the fact that when addressing his followers the Imam is practicing *attitude reinforcement*; whereas when addressing his enemies, he is applying the mechanism of *attitude change* which requires more persuasive strategies and more mental efforts on the part of the speaker.

-أَوَ ليسَ حمزةً سيدُ الشُهداءِ عمِّي؟

Was not Hamza, the chief of Martyrs, the uncle of my father?

- أَوَ ليسَ جعفر الطّيّارُ في الجنّةِ بجناحَيْنِ عَمِّي؟

Was not Ja›far, who flies with two wings in Paradise, my Uncle?

-أَو أوَلم يَبْلُغْكم ما قالَ رسولُ الله لي ولأخي : هذان سيِّدا شبابِ أهلِ الجنّةِ؟

Did not the Tradition of the Prophet reach you in which he has said about me and my brother that both of us are the chiefs of the youth of Paradise?

-أمَا في هذا (حاجز لكم) عن سَفْكِ دمي؟

Is not this sufficient to refrain you from shedding my blood?

The Imam also uses the conditional clause to link premises to conclusions:

-، وإن كذّبتموني فإنّ فيكم (مَنْ لو) سألتموه عن ذلكَ أخْبَرَكم.

If you do not believe to what I say, there are alive among you the companions of the Prophet. Go to them and ask them and they shall bear testimony to the truthfulness of my speech.

Furthermore, Imam Hussein عليه السلام in this speech exploits the analogical persuasive strategy to reinforce his argument by making reference to the Prophet's saying:

أَو أوَلم يَبْلُغْكم ما قالَ رسولُ الله لي ولأخي : هذان سيِّدا شبابِ أهلِ الجنّةِ؟

Did not the Tradition of the Prophet reach you in which he has said about me and my brother that both of us are the chiefs of the youth of Paradise?

4.3 Statistical Analysis

This type of analysis is conducted to quantitatively support the findings of the above text analysis. Besides, it offers statistic indicators that verify or reject the hypotheses of this work. The two tables and the figure below show the findings of this type of analysis. They demonstrate the frequency of occurrences as well as the percentage of each persuasive strategy utilized by the Imam in his speeches to his followers and to his enemies.

Table (2) Statistical Analysis of Persuasive Strategies employed by Imam Hussein عليه السلام when addressing his Followers

No. Of Texts	Persuasive Strategies						
	Quasilogical Strategies		Presentational Strategies				Analogical Strategies
	Conditional Clauses	Rhetorical Questions	Simile	Repetition	Parallelism	Deixis	
Text (1)	1		2	4	2		1
Text (2)				2	1	1	

Quran:

- « إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ» (الأعراف: ١٩٦

'Surely my guardian is Allah, Who revealed the Book, and He befriends the good.'

(Shakir, 1999: 78)

Text (4)

"أيها الناس: انسبوني فانظروا مَن أنا، ثمّ ارجِعوا إلى أنفسِكم وعاتِبوها ، وانظروا هل يصحُ لَكُم قَتلي وانتهاكُ حرمتي؟ ألستُ ابنَ بنتِ نبيِّكم ، وابنَ وَصيِّه وابن عمِّه وأَوّل المؤمنين بِالله والمصدِّقِ برسولِهِ بما جاءَ به من عندِ ربِّه؟ ، أَو لَيسَ حمزةَ سيدُ الشُهداءِ عمِّي ، أَوَليسَ جعفر الطّيّارُ في الجنّةِ بجناحَيْنِ عَمِّي؟ ، أَوَلم يَبْلُغْكم ما قالَ رسولُ الله لي ولأخي : هذان سيِّدا شبابِ أهلِ الجنّةِ؟! فان صدَّقتموني بما أقولُ وهو الحقُّ ، واللهّ ما تعمّدْتُ كذِباً منذُ عَلِمْتُ أنّ اللهَّ يمقُتُ عليه أهلَهُ ويضر به من اختَلَقه، وإن كذّبتموني فإنّ فيكم (مَنْ لو) سأَلتموه عنَ ذلكَ أخْبَركم ، سَلوُا جابرَ بنَ عبدِاللهّ الأَنصاريّ وأبا سعيدٍ الخُدْريّ وسَهْلَ بن سعدٍ الساعديّ وزيدَ بنَ أرقَمَ وأنسَ بنَ مالكٍ ، يُخْبروكم أنّهم سمعوا هذه المقالةَ من رسولِ اللهِّ صلى‌الله‌عليه وآله لي ولأخي ، أمَا في هذا (حاجز لكم) عن سَفْكِ دمي؟!!" (Web Resource 3)

"O People! Consider my family, and ponder as to who I am and then admonish yourselves. Then do you consider that killing me and plundering my sanctity and respect is lawful for you? Am I not the grandson of your Prophet and the son of his Vicegerent and cousin, who was the foremost in believing and the bearer of witness upon everything that the Prophet had brought from Allah? Was not Hamza, the chief of Martyrs, the uncle of my father? Was not Ja'far, who flies with two wings in Paradise, my Uncle? Did not the Tradition of the Prophet reach you in which he has said about me and my brother that both of us are the chiefs of the youth of Paradise? Then if you agree to what I say, and verily what I have said is nothing but the truth, then it is better, for by Allah, from the time I have realized that Allah dislikes the liars, I have never ever spoken a lie. Then if you do not believe to what I say, there are alive among you the companions of the Prophet. Go to them and ask them and they shall bear testimony to the truthfulness of my speech. Ask Jabir bin Abdullah Ansari, Abu Sa'eed Khudri, Sahl bin Sa'ad Sa'edi, Zayd bin Arqam and Anas bin Malik, they will tell you that they have heard this tradition from the Prophet of Allah regarding me and my brother. Is not this sufficient to refrain you from shedding my blood?"

(Web Resource 2)

Imam Hussein عليه السلام in this text utilizes the quasilogical persuasive strategy by employing a number of rhetorical questions to cast the argument on his enemies and to arrive at valid conclusions:

-هل يصحُ لَكُم قَتلي وانتهاكُ حرمتي؟

Do you consider that killing me and plundering my sanctity and respect is lawful for you?

-ألستُ ابنَ بنتِ نبيِّكم ، وابنَ وَصيِّه وابن عمِّه وأَوّل المؤمنين بِالله والمصدِّقِ برسولِهِ بما جاءَ به من عندِ ربِّه؟

Am I not the grandson of your Prophet and the son of his Vicegerent and cousin, who was the foremost in believing and the bearer of witness upon everything that the Prophet had brought from Allah?

– ألا وإنّي أظن يَومنا من هؤلاء الأعداءِ غداً.

-Indeed, I do believe that tomorrow is our destined day to face these enemies.

Here the Imam employs deictic expression (**غداً**) which refers to the day of Ashura that will witness the battle between the two parties, i.e. Allah›s party represented by Imam Hussein and his followers and the devil›s party represented by Yazid›s army.

4.2 Imam Hussein's عليه السلام Speech to his Enemies

Texts (3) and (4) which will be analyzed below are extracts from the Imam's speech on the day of Ashura in which he addresses Yazid's army. The speech is long and the limited space available in this paper makes it necessary to analyze only some extracts of the speech**.**

Text (3)

"أَيُّها النّاسُ اسمعَوا قَوْلي ولا تَعجَلوا حتّى أَعِظَكم بما يَحُقُّ لكم عليّ وحتّى أَعْتذِرَ إِليكم عن مقدمي فإن قبلتم عذري وصدقتم قولي و أعطيتموني النّصفَ مِن انفسِكم كنتم بذلكَ أسعدَ ولم يكن لكم عليَّ سبيلاً وَإِنْ لَمْ تَقْبَلُوا مِنِّي العُذْرَ و لم تُعْطُوني النّصفَ من أنفسِكم فأجمعوا رأيَكم ثمّ لا يَكنْ أمرُكم عليكم غُمّةً ثمّ اقضوا إِليَّ ولا تنظِرونَ ، إِنَّ وَلِيّي اللهُ الّذي نزّلَ الكتابَ وهو يتولّى الصّالحينَ.» (Web Resource 3)

"O people! Listen to what I say and do not make haste, so that I may fulfill the responsibility (to counsel you) which rests upon me and that I may submit my plea regarding my arrival towards you. Then if you accept my plea and believe my words while giving me justice, then you shall be fortunate and there will be no excuse for you to fight with me. And if you do not accept my word and deal unjustly with me, then 'Muster therefore your designs and (gather) your accomplices, then let not your designs be dubious, then execute on me and give no respite (to me)'. And Verily my Protector is Allah Who sent down the Book (Qur'an) and He guards the virtuous ones'. (Web Resource 2)

In this text, the Imam makes use of the quasilogical persuasive strategy by basing his argument on rationality and logical reasoning through the use of conditional clauses:

– **فإن قبلتم عذري** وصدقتم قولي و **أعطيتموني النّصفَ مِن انفسِكم** كنتم بذلكَ أسعدَ ولم يكن لكم عليَّ سبيل.

- Then if you accept my plea and believe my words while giving me justice, then you shall be fortunate and there will be no excuse for you to fight with me.

– وَإِنْ لَمْ **تَقْبَلُوا مِنِّي العُذْرَ** و لم **تُعْطُوني النّصفَ من أنفسِكم** فأجمعوا رأيَكم ثمّ لا يَكنْ أمرُكم عليكم غُمّةً.

- And if you do not accept my word and deal unjustly with me, then ‹Muster therefore your designs and (gather) your accomplices, then let not your designs be dubious.

In the same sentences above, the Imam utilizes the presentational persuasive strategy by employing repetition. Repeating the highlighted words above helps the Imam to reinforce his agreement and make sure that his idea will stay in the minds of his receptors.

Moreover, the Imam employs the analogical strategy by quoting a verse from the Glorious

a timeless event which is the story of Prophet Ya'qoob's عليه السلام longing to his son Prophet Yusuf عليه السلام. The aim behind this is to strengthen his argument and to beautify it at the same time.

Text (2)

" أُثني على الله تباركَ أحسن الثناءِ... أما بعد: فإنّي لا أعلم أصحاباً أولى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عنّي جميعاً خيراً، ألا وإنّي أظن يَومنا من هؤلاء الأعداءِ غداً، ألا وإنّي قد رأيتُ لكم، فانطلقوا جميعاً في حلّ، ليس عليكم منّي ذمام، هذا الليل قد غشيكم فاتّخذوه جملاً، وليأخذ كلّ رجل بيد رجل من أهل بيتي، ثمّ تفرّقوا في سوادكم ومدائنكم، حتّى يفرّج الله، فإنّ القوم إنّما يطلبونني، ولو قد أصابوني لهوا عن طلب غيري.»
(Web Resource 3)

"I do praise Allah, the Blessing the Almighty, to the utmost. Indeed, I have never heard nor seen companions more loyal or better than mine. There is no family purer and more caring than mine. May Allah reward you for your behavior with me with his best rewards. Indeed, I do believe that tomorrow is our destined day to face these enemies, thus, I grant you all permission, and you may all go free of any obligation towards me. Now that it is night time, you can ride secretly, then, each one of you should take the hand of a man of my family, do spread in the glooming long darkness of the night till you reach your people and cities and await Allah's relieve comes. Those people are after me. Should they get me, they will stop searching for any other one…" (Web Resource 4)

On the night of Ashura, Imam Hussein عليه السلام delivered this speech addressing his followers and his family. He thanked them saying that they had been the best followers and the best family ever. He then asked them to leave and save their lives because his enemies were after him and when they got him they would not search for anyone else. All his followers refused to leave the Imam.

Historians have recorded nothing after the Imam's speech of the Ashura night except the self-sacrifice and steadfastness of the companions of the Imam. All of them write that when the Imam finished his speech and he insisted that they should leave him and escape trouble, his brothers, sons, nephews (sons of his brothers) and the sons of Abdullah bin Ja'far led by Abbas bin Ali said with one voice: "Should we go away to live after you? We pray to Allah that the time may not come when you may be killed and we may remain alive" (Ayati, n. d.: 62).

In this speech, the Imam utilizes only the presentational persuasive strategy by employing certain linguistic and rhetorical devices to convince his audience and gain their attention. More specifically, the Imam uses repetition to reinforce his argument:

– فإنّي لا أعلم أصحاباً أولى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي.

-Indeed, I have never heard nor seen companions more loyal or better than mine. There is no family purer and more caring than mine.

In the same sentence above, the Imam uses parallelism in that the two clauses underlined have the same syntactic structure.

عن يومٍ خُطّ بالقلم.

- It is as if I see the wolves of the desert (of Bani Umayyah) separating each part of my body between Nawawees and Karbala, and filling their empty bellies and utricles. There is no escape from that which has been written down by the pen of destiny.

In this speech, Imam Hussein utilizes three persuasive strategies, namely: *quasilogical, presentational,* and *analogical* strategies. Within the quasilogical strategy, he bases his argument on rationality and logical reasoning by using the *conditional* clause:

ـ من كان باذلاً فِينَا مهجتَه، وموطِّناً على لِقَاء الله نفسه، فلْيَرْحَل مَعَنا.

- Then whoever desires to lay down his life for us and strive in the way of Allah, should come out with us. for I shall be leaving tomorrow morning, Allah willing.

Within the presentational strategy, the Imam exploits many rhetorical devices to attract the attention of his audience and gain their involvement in what he is saying. At the beginning of his speech, the Imam employs a remarkable simile the theme of which is the inevitability of death:

– خُطّ المَوتُ على وِلدِ آدم مخطّ القِلادَة على جِيدِ الفَتاة.

- Verily death is bound with the sons of Adam as a necklace around the neck of a maiden.

Another simile drawn by the Imam is:

– ما أولَهَني إلى أسلافي اشتياقَ يَعقُوبَ إلى يوسف.

- How I desire and long to meet my Ancestors similar to (Prophet) Ya'qoob, who was desirous of meeting (Prophet) Yusuf.

This simile entails that the Imam is longing to martyrdom so that he can meet his ancestors in heaven because he is very desirous to see them. This longing is so great like Prophet Ya'qoob's عليه السلام longing to his son Prophet Yusuf عليه السلام.

The Imam repeats some words to achieve harmony and connectivity that neat the constituents of his speech together. He repeats such words as (خط, رضى, نصبر, يرحل). The Imam also uses parallelism by saying:

– تقرُّ بهم عَينه، وينجزُ بهمْ وَعدَه.

-Thereby his (the Prophet's) eyes will be cooled due to us and thus Allah will fulfill what He has promised through them.

Both clauses joined by the coordinator 'and' have the structure of (verb+ prepositional phrase+ noun). Another parallelism employed here is:

– أكراشاً جوفاً، وأجربة سغباً.

-Filling their empty bellies and utricles.

Furthermore, the Imam employs the analogical persuasive strategy by making reference to

4. Text Analysis

4.1 Imam Hussein's عليه السلام Speeches to his Followers

Text (1)

" الحَمدُ لله، ومَا شاءَ الله، ولا قُوّة إلّا بالله، وصلّى الله على رسوله، خُطّ المَوتُ على وِلدِ آدم مخطّ القِلادَة على جِيدِ الفَتاة، وما أولهَنِي إلى أسلافي اشتياقَ يَعقُوبَ إلى يوسف، وخيّر لي مَصرعٌ أنا لاقيه، كأنّي بأوصالي تقطّعُها عسلان الفلوات بين النّواوِيسِ وكَربلاء، فيملأنّ منّي أكراشاً جوفاً، وأجربة سغباً لا مَحيصَ عن يومٍ خُطّ بالقلم، رِضا الله رِضَانا أهل البيت، نصبر على بلائه، ويوفّينا أجور الصابرين، لن تشذّ عن رسول الله لَحمته، بل هي مجموعة له في حظيرة القدس، تقرُّ بهم عَينه، وينجزُ بهمْ وَعدَه. من كان باذلاً فِينَا مهجتَه، وموطِّناً على لِقَاء الله نفسه، فلْيَرْحَل مَعَنا، فإنِّي راحلٌ مُصبِحاً إن شاء الله.»

(Web Resource 1)

"Praise be to Allah! By Allah's will only! There is no power but with Allah! And Blessings of Allah be upon His Messenger! Verily death is bound with the sons of Adam as a necklace around the neck of a maiden. How I desire and long to meet my Ancestors similar to (Prophet) Ya'qoob, who was desirous of meeting (Prophet) Yusuf. Verily I proceed towards the place of my martyrdom, which has been selected for me. It is as if I see the wolves of the desert (of Bani Umayyah) separating each part of my body between Nawawees and Karbala, and filling their empty bellies and utricles. There is no escape from that which has been written down by the pen of destiny, and the pleasure of our Household (Ahlulbayt) lies in the pleasure of Allah. Verily we will endure His trials and secure the reward due for the forbearing ones. The cord of the Prophet and his child cannot be separated from him, but will all be united together with him near the Right (Allah). Thereby his (the Prophet's) eyes will be cooled due to us and thus Allah will fulfill what He has promised through them. Then whoever desires to lay down his life for us and strive in the way of Allah, should come out with us, for I shall be leaving tomorrow morning, Allah willing." (Web Resource 2)

Imam Hussein عليه السلام in this speech is addressing his followers before his departure from Mecca to Karbala. The Imam opens his speech by eulogizing Allah (,) and sending blessings on Prophet Muhammad صلى الله عليه وآله. Then the Imam talks about death and how every human being is destined to die. This entails that social and religious corruption at that time could not be remedied except by the martyrdom of a person like Imam Hussein عليه السلام who is the son of the daughter of Prophet Muhammad صلى الله عليه وآله. What is remarkable about this speech is that it genuinely differs from all the speeches delivered by leaders addressing their followers before going to war. Instead of motivating his followers by talking about the bounties they will gain after the war, the Imam talks about the inevitability of death. By doing this, the Imam wants to be honest with himself and with his followers. He gives his followers the freedom to choose between staying in Mecca or leaving with him to Karbala. Imam Hussein عليه السلام knows for sure what is destined for him in Karbala which is illustrated in his speech in a subtle way saying:

– كأنّي بأوصالي تقطّعُها عسلان الفلوات بين النّواوِيسِ وكَربلاء، فيملأنّ منّي أكراشاً جوفاً، وأجربة سغباً لا مَحيصَ

This paper utilizes Barbra Johnstone's (1989) framework for persuasive strategies.

Johnstone (1989: 145) believes that for persuasion to take effect, in certain contexts, displays of rationality and logic are required, while emotions are needed in others. What is significant to realize in this regard is that the persuasive strategy which proves to be effective in one context might not be so in another. She identifies three linguistic strategies for persuasive discourse. They are **quasilogical**, **presentational** and **analogical** (see Table 1 below).

Table (1) Persuasive Strategies and Techniques

Persuasive Strategy	Techniques
Quasilogical Strategy (arguments based on rationality)	The quasi-logical arguer utilizes the following techniques: a. informal use of Mathematical notion of transitivity or syllogistic reasoning in constructing arguments, b. logical connectives, such as "thus", "hence", "therefore", "accordingly", "consequently", etc., c. subordinate clauses that relate premises to conclusions, such as "conditional clauses" and "cause clauses", d. enthymeme, and e. rhetorical questions, so as to arrive at a valid logical conclusion.
Presentational Strategy (arguments based on involvement)	The speaker can create involvement and arouse audience›s consciousness by utilizing the following techniques: a. rhythmical flow of words, b. rhythmical flow of sounds or poetic alliteration, c. imagery, d. parallelism, e. repeating claims, paraphrasing them, and calling attention to them, f. visual metaphors ("look", "see", "behold") g. deixes, such as "here", "now", "this", etc. h. simile, and i. metaphor.
Analogical Strategy (arguments based on teaching using narrative)	Analogical arguer constructs his argument throughout: a. calling to mind a traditional wisdom in the mode of storytelling, b. reminding audience of the time-tested values, c. making use of formulaic language such as "that reminds me of …","you know that what they say", d. utilizing the words and proverbs of the ancestors, and e. referring to timeless past events ("once upon a time…").

(Johnstone, 1989: 145)

ing individuals' or groups' attitudes or behaviour towards specific issues, ideologies or objects by employing written or spoken discourse.

According to Jowett and O' Donnell (2012:32) persuasion can be defined as:

a complex, continuing, interactive process in which a sender and a receiver are linked by symbols, verbal or nonverbal, through which the persuader attempts to influence the persuadee to adopt a change in a given attitude or behavior.

The above definition emphasizes the fact that persuasion is an interactive communicative process in which the persuader attempts to influence the beliefs, attitudes and behaviours of the persuadee (ibid.).

In persuasion, the active role of the persuader is characterized by deliberate intention, that is, persuasion does not occur by chance but due to the persuader's purposes. In this respect, Jamieson (1985: 49) explains:

Intention is a kind of focusing device in the imaginative consciousness ;it concentrates and thus it excludes; it is a selective device, selecting an image to be raised into consciousness from a range of alternatives. Without intention, nothing has prominence, therefore one has to intend when one imagines.

The persuadee's role, on the other hand, is never passive in the sense that an active audience (persuadee) seeks to have his needs fulfilled by the persuader, and an active persuader knows how to appeal to audience needs by asking such audience to fill his or her needs by adopting the message purpose (Jowett and O'Donnell, 2012: 33).

van Eemeren (1984: 43-45) characterizes the illocutionary act of *persuasion* in the following way. It has:

1. *Propositional content,* the totality of propositions expressed.

2. *An essential condition*, the fact of articulating this series of propositions constitutes an attempt by the speaker to justify an opinion (O) to the hearer.

3. *Preparatory conditions*, the speaker believes that *a)* the hearer will not accept opinion O at the outset, *b*) the hearer will accept the totality of propositions expressed, *c*) the hearer will accept the constellation of propositions as a justification of O.

4. *Sincerity conditions*, the speaker believes that *a*) O is acceptable, *b*) the propositions expressed in the utterances are acceptable, *c*) these propositions constitute a reasonable justification of O.

To put it another way: speakers, who know they have an opinion O which is not accepted at the outset by the interlocutors, employ a series of propositions which are thought to be acceptable and which are thought to be a good justification of O, in order to change interlocutors' initial opinion.

Although there is wide variety of definitions on the term 'persuasion', in the current paper persuasion is viewed as a social act or event which promotes change; it intends to modify or change attitudes, values, behaviours, and to establish ideology and reconstruct reality.

3. Model of Analysis

1. Introduction

Imam Hussein عليه السلام is the revolutionary leader who made the ultimate sacrifice for the sake of social justice to eliminate corruption and tyranny. His revolution carried lots of intellectual values and educational ideals that represented the moral victory of the revolution that was never intended to save one nation only but to include all people on this globe.

Imam Hussein's عليه السلام services to Islam are countless and precious. He lived his entire life preserving the fundamentals of Islam in words and actions. In short, he came to represent the ideals of his Grandfather Prophet Muhammad صلى الله عليه وآله (Na'imi and Al-Azhari, n. d.: 3).

Moreover, Imam Hussein عليه السلام is an incomparable scholar of Quran, exegesis and traditions. When Muawiyah came to Medina in connection with the allegiance of Yazid, many companions of the Holy Prophet صلى الله عليه وآله went to meet him. The conversation turned to the topic of the most superior personality of the day in knowledge and virtues. Muawiyah wanted them to mention the name of Abdullah Ibne Umar but no one expressed this opinion. All of them unanimously said, "We cannot find anyone better than Imam Hussein عليه السلام." Why shouldn't it be so? He was brought up by sucking the Prophet's tongue. His chest is joined to the chest of the Prophet. He rode upon the shoulders of the Messenger of Allah صلى الله عليه وآله (Amrohi, 2007: 29).

Persuasion is an interactive communicative process in which the persuader aims at influencing the beliefs, attitudes, and behaviours of his audience (Jowett and O'Donnell, 2012: 32). In accordance with its appellative intention persuasive speaking is carefully planned and characterized by the most effective employment of linguistic means possible (Bussmann, 2006: 884). As such, there are certain persuasive techniques and strategies employed by the persuader in order to achieve his ultimate goal of gaining his audience's agreement and support.

Accordingly, the current paper endeavors to study the speeches of Imam Hussein's revolution with the aim of identifying the persuasive strategies utilized by Imam Hussein عليه السلام in his speeches and whether there are any differences between strategies employed by him when addressing his followers and those used when addressing his enemies. Consequently, this work hypothesizes that (1) the Imam employs the three persuasive strategies, namely, *quasilogical, presentational,* and *analogical* strategies and (2) he utilizes more persuasive strategies when addressing his enemies than when addressing his followers. To achieve the aim of this study and test its hypotheses, some speeches of the Imam are chosen to be analyzed by utilizing Barbra Johnstone's (1989) framework for persuasive strategies. The speeches selected for analysis are classified into two categories. The first category includes the speeches in which the Imam is addressing his followers and is represented by the Imam's speech before leaving Mecca to Karbala and his speech on the Night of Ashura. The second category includes the Imam's speech to his enemies and is represented by his speech at the Day of Ashura addressing the army of Yazid.

2. Persuasion

Persuasion is often defined variously by different linguists. It is an umbrella term which has powerful influence on all aspects of human life. Generally, it is a process aiming at chang-

ملخص البحث

الامام الحسين (عليه السلام) هو ذلك القائد الثوري الذي قام بالتضحية الكبرى من اجل ان تسود العدالة الاجتماعية و ان يمحى الفساد و الطغيان. تحمل ثورة الامام الحسين (عليه السلام) في طياتها الكثير من القيم الفكرية و المثل التربوية العليا التي تمثل الانتصار الفكري و الأخلاقي لهذه الثورة التي لم تكن تهدف لأنقاذ امة بعينها بل كانت عامة شاملة لجميع البشر في ارجاء المعمورة. وفقاً لذلك، يسعى هذا البحث لدراسة خطاب الثورة الحسينية بهدف تحديد ستراتيجيات الأقناع التي يوظفها الامام الحسين (عليه السلام) في خطبهِ التي يلقيها على اتباعهِ و اعدائهِ و كذلك معرفة اذا كان هناك اي اختلاف بين الستراتيجيات التي يستخدمها الامام عند مخاطبة اتباعهِ و تلك التي يوظفها عند مخاطبة اعدائهِ. لذا يفترض البحث (١) ان الامام يتبنى ثلاث ستراتيجيات و هي: الستراتيجية الشبه منطقية، ستراتيجية العرض، و الستراتيجية التشابهية و (٢) عندما يخاطب الامام اعدائهِ يستخدم سترتيجيات اقناع اكثر من الستراتيجيات المستخدمة لمخاطبة االتباعهِ. لتحقيق هدف البحث و اختبار صحة فرضياتهِ، اختيرت بعض خطب الامام الحسين (عليه السلام) ليتم تحليلها وفق اطار ستراتيجيات الأقناع الذي وضعته باربرا حونستون (١٩٨٩). تقسم الخطب المختارة في هذا البحث الى فئتين. الفئة الاولى تشمل الخطب التي يخاطب فيها الامام اتباعهِ و تضم خطبة الامام (عليه السلام) قبل خروجهِ من مكة الى كربلاء و خطبتهِ في ليلة عاشوراء. اما الفئة الثانية فتشمل خطب الامام التي يخاطب فيها اعدائهِ وتضم خطبة الامام في يوم عاشوراء الموجهة الى جيش يزيد. اثبتت نتائج التحليل صحة الفرضيات المذكورة اعلاه.

Abstract

Imam Hussein (عليه السلام) is the revolutionary leader who made the ultimate sacrifice for the sake of social justice to eliminate corruption and tyranny. His revolution carried lots of intellectual values and educational ideals that represented the moral victory of the revolution that was never intended to save one nation only but to include all people on this globe. Accordingly, the current paper endeavors to study the speeches of Imam Hussein's revolution with the aim of identifying the persuasive strategies utilized by Imam Hussein (عليه السلام) in his speeches and whether there are any differences between strategies employed by him when addressing his followers and those used when addressing his enemies. Consequently, this work hypothesizes that (١) the Imam employs the three persuasive strategies, namely, quasilogical, presentational, and analogical strategies and (٢) he utilizes more persuasive strategies when addressing his enemies than when addressing his followers. To achieve the aim of this study and test its hypotheses, some speeches of the Imam are chosen to be analyzed by utilizing Barbra Johnstone's (١٩٨٩) framework for persuasive strategies. The speeches selected for analysis are classified into two categories. The first category includes the speeches in which the Imam is addressing his followers and is represented by the Imam's speech before leaving Mecca to Karbala and his speech on the Night of Ashura. The second category includes the Imam's speech to his enemies and is represented by his speech at the Day of Ashura addressing the army of Yazid. The findings of the analysis verify the above hypotheses.

Persuasive Strategies in Imam Hussein›s عليه السلام Speeches

استراتيجيات الاقناع في خطب الامام الحسين (عليه السلام)

By: Manar Kareem Mehdi
Department of English
College of Education for Human Sciences / University of Babylon

م.م. منار كريم مهدي
كلية التربية للعلوم الانسانية / جامعة بابل / قسم التدقيق

فأخَذوا لا يُكلِّمونَه ، فنادى : «يا شَبَثَ بنَ ربْعيّ ، يا حَجّارَ بنَ أَبجرَ ، يا قيسَ بنَ الأشْعَثِ ، يا يزيدَ بن الحارثِ ، ألم تكتبوا إِليّ أنْ قد أيْنَعَتِ الثِّمارُ واخضَرَّ الجَنابُ ، وانّما تَقدمُ على جُندٍ لكَ مُجَنَّدٍ؟!»

فقالَوا له: لم نفعل!

فقالَ سُبحانَ الله بَلى والله فَعَلتُم ثمَ قالَ: أيُها الناس إذا كَرِهتموني فَدَعوني انصَرِفُ عنكم الى مَأمَني من الارض

فقالَ له قيسُ بنُ الأَشعثِ : انْزِلْ على حُكمِ بني عمِّكَ ، فإِنّهم لن يُرُوْكَ إلا ما تُحِبُّ ولَن يصل اليك منهم مكروه .

فقالَ الحسينُ : انتَ اخو أخيك أتريدُ ان يطلبكَ بَنو هاشم أكثر مِن دمِ مُسلِم بن عَقيل ؟ لا واللهِّ لا أُعطيكم بيدي إعطاءَ الذّليل ، ولا أَفِرُّ فِرارَ العبيدِ. ثمّ نادى : يا عبادَ الله ، إِنِّي عُذْتُ بربِّي وربِّكم أن ترجمون ، أعوذُ بربِّي وربِّكم من كلِّ مُتكبِّرٍ لا يُؤْمِنُ بيومِ الحسابِ.

Endnotes

(Endnotes)

1. The English translation of the speech is taken from: http://www.imamreza.net/eng/imamreza.php?id=5884.

2. Al-Ash'ath bin Qays is one of those who showed hatred and hostility to Prophet Mohammed's household. He was against Imam Ali عليه السلام. His daughter, Jiada Bint Al-ashth poisoned Imam Hasan عليه السلام who was her husband. His two sons, Mohammed and Qays participated in fighting Imam Hussein in Kerbala and killing his cousin Muslim Ibn Aqeel in Kufa, respectively (Al-Jibouri, 2011: 64 and 91).

3. Muslim Ibn Aqeel Al-Hashimi was the son of Aqeel ibn Abi Talib and thus, he is a cousin of Imam Hussein. When the people of Kufa called upon Imam Hussein to overthrow the Umayyad dynasty, he wanted to confirm the loyalty of the people of Kufa, so he sent his cousin and his ambassador, Muslim Ibn Aqeel, a famous warrior, to Kufa to observe the situation. They betrayed him and finally killed him (Web resource 6)

4. Yazeed bin Muawiyah is a tyrant. He was the sixth caliph of Islam, the second of the Umayyad line; he succeeded his father Muawiyah. Famous of the laxity of his lifestyle and for his indifference to the values of Islam, he is the one who ordered the war against Imam Hussein and killed him in Karbala (Web resource 7).

5. Different versions of the speech have been found in terms of wording. (المقرم 2005: 236) for instance, quotes a different version of this speech with some words or phrases being added or others deleted. The basic skeleton and meanings, however, are similar. The version analyzed in this research is taken from: http://arabic.tebyan.net/index.aspx?pid=58587 . The complete speech under analysis is given in Appendix (1).

6. The translation of the Quraanic verses are adopted from Abdullah Yusuf Ali's translation of the Glorious Quraan, as cited in references.

7. Shimr bin Dhiljoshan is on the side of Imam's enemies while Habeeb ibn Mudhahir is one of his best followers and supporters. They are exchanging turns.

Appendix (1)

خطبة الامام الحسين يوم عاشوراء

لما نظر الحسين عليه السلام إلى جمعهم كأنه السيل رفع يديه بالدعاء وقــال:

"اللهم أنت ثقتي في كل كرب ورجائي في كل شدة وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعدة كم من هم يضعف فيه الفؤاد وتقل فيه الحيلة ويخذل فيه الصديق ويشمت فيه العدو أنزلته بك وشكوته إليك رغبة مني إليك عمن سواك فكشفته وفرجته فأنت ولي كل نعمة ومنتهى كل رغبة".

بعد أن صفّ ابن سعد جيشه للحرب ، دعا الإمام الحسين (عليه السلام) براحلته فركبها ، و نادى بصوت عال يسمعه جلّهم:

«أَيُّها النّاسُ اسمعَوا قَوْلي ولا تَعجَلوا حتّى أَعِظَكم بما يَحُقُّ لكم عليّ وحتّى أَعْتذِرَ إِليكم عن مقدمي فإن قبلتم عذري وصدقتم قولي و أعطيتموني النّصفَ مِن انفسِكم كنتم بذلكَ أسعدَ ولم يكن لكم عليَّ سبيل ، وان لم تُعْطُوني النّصفَ من أنفسِكم فأجمعوا رأيكم ثمّ لا يَكنْ أمرُكم عليكم غُمّةً ثمّ اقضوا إِليَّ ولا تنظِرونَ ، إِنَّ وَلِيّي اللهُ الّذي نزّلَ الكتابَ وهو يتولّى الصّالحينَ ».

فلمّا سمعنَ النّساء هذا منه صحنَ وبكينَ وارتفعت أصواتهنَّ، فأرسل إليهنَّ أخاه العبّاس وابنه علياً الأكبر وقال لهما:«سكّتاهنَّ فلعمري ليكثر بكاؤهنَّ ولمّا سكتنَ، ثم حَمدَ اللهّ وأثنى عليه وذَكَرَ اللهَّ بما هو أهلُه ، وصَلّى على النّبيِّ صلى‌الله عليه وآله وعلى ملائكةِ اللهّ وأَنبيائه ، فلم يُسْمَعْ متكلِّمٌ قطُّ قبلَه ولا بعدَه أبلغ في منطقٍ منه ، ثمّ قالَ:

الحمدُ لله الّذي خلَقَ الدنيا ، فَجَعلَها دارَ فناءٍ و زَوال ، مُتصَرّفة بأهلِها حالاً بعدَ حال ، فالمَغرور مَن غَرّته ، و الشَّقي مَن فَتَنته ، فلا تَغُرَّنّكم هذِهِ الدُنيا ، فَإنّها تقطَعُ رَجاءَ مَن رَكنَ إليها ، و تُخِيبُ طَمَعَ مَن طَمعَ فيها ، و أراكُم قَد إجتَمَعتُم على أَمرٍ قَد أسخَطتُم اللهَ فيهِ عَليكُم ، و أَعرَضَ بِوَجهِهِ الكريم عَنكُم ، و أحلّ بِكُم نَقمَتَه ، و جَنّبَكُم رَحمَتَه ، فَنِعمَ الرَبُ رَبّنا ، و بِئسَ العَبيدُ أنتم . أقرَرتُم بالطاعة ، و آمَنتُم بالرَّسولِ مُحَمّد (صلى الله عليه وآله) ، ثمّ إنّكم زَحَفتُم إلى ذرّيتِهِ و عِترَتِهِ تُريدونَ قَتلَهُم ، لَقَد استحوَذَ عليكُمُ الشيطان فَأنساكُم ذِكرَ الله العَظيم ، فَتباً لَكُم و لِما تُريدون ، إنا لله و إنا إليهِ راجِعون ، هؤلاءِ قومٌ كَفَروا بَعدَ إيمانِهم ، فَبُعداً لِلقوم الظالمين.

أيها الناس: انسبوني فانظروا مَن أنا، ثمّ ارجِعوا إلى أنفسِكم وعاتِبوها ، وانظروا هل يصحُ لَكُم قَتلي وانتهاكُ حرمتي؟ ألستُ ابنَ بنتِ نبيِّكم ، وابنَ وَصيِّه وابن عمِّه وأَوّل المؤمنين بِالله والمصدِّقِ برسولهِ بما جاءَ به من عندِ ربِّه؟ ، أَو لَيسَ حمزةَ سيدُ الشُهداءِ عمِّي ، أَوَليسَ جعفر الطّيّارُ في الجنّةِ بجناحَيْنِ عَمِّي؟ ، أَوَلم يَبْلُغْكم ما قالَ رسولُ الله لي ولأخي : هذان سيِّدا شبابِ أهلِ الجنّةِ؟! فان صدَّقتموني بما أقولُ وهو الحقُّ ، واللهّ ما تعمّدْتُ كَذِباً منذُ عَلِمْتُ أنّ اللهَّ يمقُتُ عليه أهلَهُ ويضر به من اختَلَقه، وإِن كذّبتموني فإنّ فيكم (مَنْ لو) سألتموه عن ذلكَ أَخْبَركم ، سَلوُا جابرَ بنَ عبدِاللهّ الأَنصاريّ وأبا سعيدٍ الخُدْريّ وسَهْلَ بن سعدٍ الساعديّ وزيدَ بنَ أرقَمَ وأنسَ بنَ مالكٍ ، يُخْبروكم أنّهم سمعوا هذه المقالةَ مَن رسولِ اللهِّ صلى‌اللهعليه وآله لي ولأخي ، أمَا في هذا (حاجز لكم) عن سَفْكِ دمي؟!!

فقالَ له شمرُ بنُ ذي الجوشن : هو يَعْبدُ اللهّ على حَرْفٍ إِن كانَ يدري (ما تقولُ) فقالَ له حبيبُ بنُ مُظاهِرٍ : واللهّ إِنِّي لأراكَ تَعْبُدُ اللهّ على سبعينَ حرفاً ، وأنا أشهدُ أنّكَ صادقٌ ما تدري ما يقول ، قد طبَعَ اللهُ على قلبِكَ

ثمّ قالَ لهم الحسينُ عليه السلام : «فإِن كنتم في شكٍّ من هذا ، أفتشكّونَ أَنِّي ابن بنتِ نبيِّكمْ! فواللهّ ما بينَ المشرقِ والمغرب ابن بنتِ نبيٍّ غيري فيكم ولا في غيرِكم ، ويحكم أَتطلبوني بقتيلِ منكم قَتلتُه ، أومالٍ لكم استهلكتُه ، أو بِقصاصِ جراحةٍ؟!»

Humanities and Cultural Heritage at RANLP pp. (78– 85).
- Vanderveken, D. (1990). *Meaning and Speech Acts: Principles of Language Use.* (Vol.1) Cambridge: Cambridge University Press.
- Widdowson, H.G. (1974). "Stylistics". In *Techniques in Applied Linguistics* (eds.) Allen, J.P.B. and S. Pit Corder. Oxford : Oxford University Press, pp. (202-231)

B. **Web Resources**

1. http://monajati.tumblr.com/post/48676368205/withheartnsoul-a-l-h-u-s-s-e-i-n-a-rescue-ship
2. http://www.merriam-webster.com/dictionary/chiasmus
3. https://wordpress.com/2010/07/22/hadith-my-ahlul-bayt-are-like-ark-of-noah/
4. http://www.merriam-webster.com/dictionary/intertextuality
5. http://www.sibtayn.com/en/index.php?option=com_content&view=article&id=35&Itemid=110
6. https://en.wikipedia.org/wiki/Muslim_ibn_Aqeel
7. http://www.newworldencyclopedia.org/entry/Yazeed_I
8. The English translation of this speech is taken from: http://www.imamreza.net/eng/imamreza.php?id=636 retrieved at 29-3-2016
9. الخطبة الاولى للامام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء has been taken from: http://arabic.tebyan.net/index.aspx?pid=58587 retrieved at 30-5-2016

المصادر العربية

- القران الكريم.

١. - ابن هشام، عبد الملك. السيرة النبوية. (١٩٥٥). تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي. ج ٢. مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده.

- البحراني، هاشم. (١٩٩١). مدينة المعاجز: معاجز ال البيت عليهم السلام. ج ٢. بيروت: مؤسسة النعمان للطبع والتوزيع.

٢. - الحراني، الحسن بن علي. (٢٠٠٢). تحف العقول عن آل الرسول. تقديم الشيخ حسين الاعلمي. بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات.

٣. - المجلسي، محمد باقر.(١٠٣٧ هـ). بحار الانوار الجامعة لدررأخبار الأئمة الاطهار. الكتاب العاشر. ج ٤٣. قم المقدسة: مؤسسة احياء الكتب العالمية

٤. - المقرم ، عبد الرزاق. (٢٠٠٥). مقتل الحسين (ع). بيروت: منشورات مؤسسة الخرسان للمطبوعات.

A. **REFERENCES**

- Ali, Y. (1987). *English Translation of the Meanings of the Holy Quran*. Al-Madinah Al-Munawarah: King Fahad Holy Quran Printing Complex.
- Al-Ameedi, R.T. and Mahdi, M. K. (2014). "Imam Hussein's Supplication on the Day of Arafah: A Linguistic Study", in *Al-Ameed Journal* (Third Year, Third Volume), pp. 21-55
- Al-Jibouri, Y. (2011). *Kerbala and Beyond: An Epic of Immortal Heroism.* Bloomington: Author House.
- Alston, W. P. (2005). "Religious Language." In *The Oxford Handbook of Philosophy of Religion*. Ed. William J. Wainwright. Oxford: Oxford University Press. pp. (220-244).
- Azuike, M. N. (2006). "Style and the Madman". *Journal of General Studies*. Vol. 1, No. 1, pp. (77-82).
- Baird, A. C. (1974). "Oration". In *Encyclopaedia Britannica*. Vol. 13. Chicago: Encyclopaedia Britannica, Inc.
- Biber, D., Susan C. and G. Leech. (2002). *Longman Student Grammar of Spoken and Written English*. Essex: Pearson Education Ltd.
- Charteris-Black, J. (2005). *Politicians and Rhetoric: The Persuasive Power of Metaphor.* Basingstoke: Palgrave.
- Cook, G. (1989). *Discourse*. Oxford: Oxford University Press
- Crystal, D. and Davy D. (1969). *Investigating English Style*. London: Longman.
- Etim, F. (2006). *Issues in Philosophy of Religion*. Uyo: Afahaide & Bros Press.
- Ijsseling, S. (1976). *Rhetoric and Philosophy in Conflict: A Historical Survey.* The Hague: Martinus Nijhoff.
- Leech, G. and M. H. Short (1981). *Style in Fiction*: *A Linguistic Introduction to English Fictional Prose.* London: Longman.
- Quirk, R. ; S. Greenbaum; G. N. Leech, and J. Svartvik (1985). *A Comprehensive Grammar of the English Language*. London/New York: Longman.
- Robert, E. and Ukpongetuk, N. (2014). "Lexico-Semantic Features in the Language of Religion and Advertising" In *Research on Humanities and Social Sciences* Vol.4, No.9, pp. (60-75).
- Spolsky , B. (2009). "Religious Language Management" In *Contemporary Applied Linguistics* (Ed.) by Li Wei and Vivian Cook, pp. (64-82).
- Stajner, S and Mitkov, R. (2011). "Diachronic stylistic changes in British and American varieties of 20th century written English language". In *Proceedings of the Workshop on Language Technologies for Digital*

Muhammad (2). He uses the explicit name of Allah (1) to swear saying:

فَوَاللهِ ما بَينَ المَشرقِ وَالمَغرِب اِبن بنت نَبي غَيري فِيكُم

By Allah there is no son of the Prophet other than me amongst you and amongst the people from East to West.

Secondly; he swears to affirm their shameful deed of lying when they denied that they sent for him to save them. This is enhanced by two emphatic devices: لام التوكيد (and قد). To prove he is honest and they are but liars, Imam عليه السلام says:

بَلى وَاللهِ **لَقَد** فَعَلْتُم

By Allah you did.

Thirdly; he uses this device at the end of his speech when he completely assures his final status, his brave decision and stable position as he swears that he will never change his opinion or path whatsoever. He states:

لا وَاللهِ لا أُعطيكِم بِيَدي إِعْطاءَ الذَليل وَلا أَقِرُّ اِقْرارَ العَبيد

By Allah, I will never give you my hand like a man who has been humiliated; nor will I flee like a slave.

It is worth mentioning that in the three places, Imam Hussein عليه السلام uses the same word to swear: الله. He swears by the greatest name of Allah (1) to mimic the great condition he is in.

Conclusion

The language of Imam Hussein عليه السلام in this piece of discourse is rich, highly articulated, eloquent and polished although it is delivered in such a special speech event, i.e. before a short time of his martyrdom. Although anticipating immediate death, Imam's language is characterized by using figures and rhetorical devices that show his intelligence, knowledge, honesty, courage and faith. This finding sheds light on Imam Hussein's عليه السلام stability and strong faith and argument. The polite language he uses demonstrates the main purpose of this speech. It is advising and preaching those people not to commit the crime of killing him using the language of rationality. Using rhetoric to persuade them of his right point of view and displaying their wrong one, although having no immediate effect, is manifested via language. Quotations from the Glorious Quran should be effective if his interlocutors were really believers as they ironically claim. Fully aware of their intention and decision, the Imam did his best to change them through language directed to minds and hearts.

From a literary perspective, the speech can be a model to be followed in terms of its literary figurative language. Those who deliver speeches to people on certain occasions, literary men and writers can utilize similar techniques to those of the Imam عليه السلام. The effect of language is supposed to be always tremendous.

ness in front of those thousands of enemies. Imam عليه السلام says:

فَلمّا سَمِعْنَ النّساء هذا مِنْه صِحْنَ وَبَكينَ وَارْتَفَعَتْ أَصْواتهُنَّ، فَأَرسل إليهنَّ أَخاهُ العَبّاس وَابْنَهُ عَلياً الأَكْبَر وَقالَ لَهُما: سَكّتاهُنَّ فَلَعَمْري لَيَكْثُرَ بُكاؤهُنَّ

When the womenfolk in the tents heard Imam Hussein عليه السلام say this, they raised their voices screaming and crying. He sent his brother Abbas and his son Ali Al-Akber to the women to calm them down and remarked, "Alas! They will be crying a lot"

Secondly, turns take place between Imam and his enemies. He calls some by names and they respond to him. Imam says:

يا شبثَ بنَ رَبعي ويا حَجارَ بِن أبجَر ويا قَيس بِن الأَشعَث ويا زَيد بِن الحارِث أَلَم تَكتُبوا إِليّ أَنْ قد أَيْنَعَتِ الثِّمارُ واخضَرَّ الجَنابُ ، وانمّا تَقدمُ على جُندٍ لكَ مُجَنَّدٍ؟

فقالَوا له: لم نفعل

فقالَ: .. بَلى واللهِ فَعَلتُم .

O' Shabath bin Rab'ee, Hajjar bin Abjar, Qays bin al-Ash'ath, and Zaid bin al-Harith, didn't you write (to me) to come that: The fruit has ripened; the dates are ready for picking; come to an army which has been gathered for you?

They responded: "We didn't"

He answered: .. By Allah, you did.

Thirdly, there are turns between Imam's followers and the enemies. The speech reports this turn:

فقالَ له شمرُ بنُ ذي الجوشن : هو يَعْبدُ اللّهَ على حَرْفٍ إن كانَ يدري (ما تقولُ)[٧]

فقالَ له حبيبُ بنُ مُظاهِرٍ : واللهِ إنِّي لأراكَ تَعْبُدُ اللّهَ على سبعينَ حرفاً ، وأنا أشهدُ أنّكَ صادقٌ ما تدري ما يقول ، قد طبَعَ اللّهُ على قلبِكَ

At this point, Shimr bin Thiljoushan interrupted saying, "If I understand what you are saying then I only worship Allah very shakily on the edge." Habeeb ibn Mudhahir responded, "I do think that you worship Allah very shakily on several edges and I testify that you are right. You do not understand what he (Imam Hussein) is saying for Allah has impressed ignorance upon your heart."

These dialogic turns can be ascribed to the fact that when the enemies saw Imam's righteous argument, they wanted to prevent him from going on in speaking and to weaken the power of his words, claim and argument. One leader in the enemy party takes the turn and the follower of Imam responds to him and then a group of them talk to the Imam عليه السلام. Moreover, this reflects the spirit of rational dialogue Imam enjoys and how strong his argument is. He is ready to negotiate, argue and discuss with them due to his desire to convince them to stop their war against him. Conversation is a tool of logic and rationality. However, it was all in vain.

4.2.3.1.5 Swear

To confirm a statement, many people resort to swearing by the name of Allah or one of His attributes. Usually, it is used in case of very serious matters. Imam Hussein عليه السلام manipulates this device three times: first, to affirm his truthfulness and legitimate status as the heir of Prophet

Al-Dukhan Surah (verse 20) (إنِي عُذتُ بِرَّبي وَرَبكُم أَن تَرجِمُون) where Imam عليه السلام says:

إنِي عُذتُ بِرَّبي وَرَبكُم أَن تَرْجِمُون، أَعُوذُ بِرَّبي ورَبِكُم مِنْ كُلِ مُتَكَبر لا يُؤمِنُ بِيومِ الحِسابْ

I take refuge in my Lord and your Lord from every haughty man who does not believe in the Day of Reckoning.

Here, the Imam عليه السلام ends his speech by referring to this verse and gives the conclusion that those people will never listen to him out of their arrogance and haughtiness. The meaning of the verse sums up the state of those people as unbelievers conceited men who never and will never change. However, the indirect reference is found in these words:

استَحوَذَ عَلَيكُمُ الشَيطان فَأَنساكُم ذِكرَ الله

Satan has taken hold over you, precipitating you to forget the remembrance of the Almighty.

This is indirect in that it is not completely in conform with the Quraanic verse in Al-Mujadala (verse 19) where Allah (1) says:

(اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ) (المجادلة: ١٩)

Satan has got the better of them; so he has made them forget the remembrance of Allah. They are the party of Satan that will lose (Al-Mujadala: 19).

Changes have been made by Imam عليه السلام but keeping the description of the evil unbelievers; this modification is direct and powerful in that he compares them to devils Allah (1) has mentioned in His Glorious Book. They are doomed to be from Satan's party and the past tense used assumes its definite occurrence. The indirect quotation was perhaps to avoid the last words in the original verse) اولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ (out of Imam's politeness, yet the reference is there.

The other kind of intertextuality is portrayed in Imam's words saying:

أوَلم يَبْلُغْكم ما قالَ رسولُ اللهِ لي ولأخي : هذان سيِّدا شبابِ أهلِ الجنّةِ؟!

Have you not heard of the tradition of the Prophet (2) concerning myself and my brother, "These are the two leaders of the youth of the inhabitants of paradise."

This is a direct reference to Prophet Muhammad's hadith about Imam Hasan and Imam Hussein as masters of the young inhabitants of paradise. The Prophet (2) says:

أبنايَ هذانِ : سَيِّدا شَبابِ أَهْلِ الجَنَةِ ، و أَبُوهُما خَيرٌ مِنْهُما.(بحار الإنوار،ج٤٣ : ص ١٤٠)

These Quraanic references and prophetic traditions allusions termed as intertextuality are figurative. Iinertextuality is defined in Merriam Webster dictionary as "the complex interrelationship between a text and other texts" (Web source 5).

4.2.3.1.4 Peripheral Turns

This special speech event is characterized by peripheral dialogues or turns between the speaker and his followers or his interlocutors. Three cases are noted. Firstly, Imam speaks with his brother (Al-Abbas عليه السلام) and his son (Ali Al-Akber عليه السلام) and asks them to go to his family members to calm them down when he hears them crying by loud voices and painful tears upon hearing his speech. His household who attended the congregation were able to hear him from a distance. The women in Imam Hussein's family understood that these words mean that the Imam عليه السلام is going to be killed soon on the hands of those people. They realized his helpless-

4.2.3.1.3 Intertextuality

This figurative and rhetorical use of language has been achieved by the Imam ﷺ in terms of Quraanic references and prophetic traditions. The first is direct and indirect. The direct quotation from the Glorious Quran is accomplished by choosing and interweaving certain verses to appear in the text as Imam ﷺ says:

فَأجمَعوا رأيَكم ثُمّ لا يَكنْ أمرُكم عَليكُم غُمّةً ثمّ اقضُوا إلِيَّ ولا تنظِرونَ ، إنَّ وَلِيّي اللّهُ الّذي نزّلَ الكتابَ وهوَ يَتَولّى الصّالحينَ

Otherwise, resolve upon your affair, let not your affair be in darkness to you, then have it executed against me and do not reflect (any further). Allah is my Helper and He is the Guardian of the righteous.

Two Quraanic references are here: the first is taken from Yunus Sura (verse 71):فَأَجْمَعُوا رَأيَكم ثُمَّ لا يَكنْ أمْرُكُم عَلَيْكُم غُمّةً ثمُّ اقْضُوا إلِيَّ ولا تَنْظرُونَ (يونس: ٧١)

Then pass your sentence on me and give me no respite (Yunus: 71)[6]

The second Quraanic references is from Al-Aaraf Sura (verse 196):

الّذي نزّلَ الكتابَ وهوَ يَتَولّى الصّالحينَ (الاعراف: ١٩٦) إنَّ وَلِيّي اللّهُ

For my Protector is Allah, Who revealed the Book and He will befriend the righteous (Al-Aaraf: 196).

The purpose of this direct reference is to increase effect on hearers and for the great magical influence of the Glorious verses on people, even unbelievers. It is the miracle of this Glorious Book. In the first, the speaker is referring to the story of Noah ﷺ whose people never believed in him. This is also an indirect implicit allusion to the Prophetic Hadith of Muhammad (2) saying:

(مَثَلُ أَهلِ بَيْتي فِيكُم كَمَثلِ سَفينة نُوح مَن رَكِبَها نَجا ومَن تَخَلَّفَ عَنها غَرِق)

My Household is like the Ark of Noah. Whoever embarked in it was saved, and whoever turned away from it was perished (Web resource 3).

The second reference in the same line above means that Imam ﷺ is asking help from Allah (1) as He is the Guardian of good honest people (like him) and He will bestow him victory later. After all, he has no one to resort to but Allah (1). The following next reference to the Glorious Quran is exemplified in Imam's words:

(فَبُعداً لِلقَومِ الظالِمين)

So away with the unjust people.

First, as taken from Hood Surah (verse 44), this reference hints to the same story of Noah ﷺ. The two Quraanic references mentioning the story of Prophet Noah ﷺ might serve as an indication hinting to another Prophetic Hadith about Imam Hussein ﷺ where the followers and believers in Imam will join the Ark of Noah, metaphorically explaining, and be guided and saved as this Hadith shows:

إنّ الحُسينَ مِصباحُ الهُدى وسَفينةُ النَّجاة (البحراني: ص٣٢٧ رقم ١١٦)

Al-Hussein is the light of guidance, and the ship of survival (Web resource 4).

Second, this reference is uttered by Imam ﷺ asking Allah (1) to destroy and get rid of those wicked who ganged upon him. The final words in this speech is another direct reference to

He has nothing to do with those people who betrayed him. They asked him to come and save them from the injustice of Umayyad's oppression. Yet, they turned upon him when he arrived and decided to fight him if he does not surrender to the Umayyad's reign. The Imam عليه السلام says that what is happening to him is all by Allah's knowledge and his acceptance as his wisdom and philosophy allow such a horrible deed of slaying the Imam, his family members and followers to occur. He considers his death in this way a blessing and he alludes to the result and effect of his speech upon those people. They will not hear or understand mindfully his words. Thus, he relates his pains to Allah (1). This is a great teaching and moral lesson to all of us: to relate everything we face to our Allah, our Creator. He is the best manager of our affairs. This shows as well the highly important status of supplication in Islam and in our lives. The Imam has resorted to it in his most serious moments: prior his immediate death. It is a figurative use of language here. After that, the Imam عليه السلام directs his speech to the people he wants to address. It is worth mentioning that the some of the internal structure of this supplication is built on a sense of parallelism such as: (أنتَ ثِقَتي في كُلِ كَربٍ وَرَجائِي في كُلِ شِدَّة) and (وَلِّيُ كُلِ نِعمَة ومُنتَهى كُلِ رَغبَة) and chiasmus (يَخذِلُ فِيهِ الصَديق وَيَشمَتُ فيهِ العَدُو) which harmonize the schemes discussed in the previous section.

4.2.3.1.2 Vocative

Quirk et al. (1985: 773) define the vocative as "an optional element, usually a noun phrase, denoting the one or more persons to whom the sentence is addressed". The analysis demonstrates two types of vocatives in this text. The first can be termed as "general vocatives". The word أيُّها النَّاس 'O people' is repeated three times. The Imam عليه السلام is addressing the whole crowd in three different places: at the very beginning, in the middle and just before the end of his speech. This figurative use is employed by the Imam to keep his audience paying attention to his words. In the three cases, the vocative is followed by a request to listen to Imam, to refer the Imam to his honorable origin and to let him leave safely, respectively. This satisfies the different purposes of employing vocatives.

The second kind of vocative realized here can be called "specific vocative" where a certain person is called upon. Imam Hussein عليه السلام is addressing specific present people among the crowd whom he knows well and he calls them by their own full names asking them to advocate him and his claim. He uses this technique to affect his listeners by addressing some names who are now among his enemies. They are not caring or listening to his words. This proves that this man is dealing with liars, insincere and dishonest people. This strengthens his claim and empowers his standpoint. Those he mentions by names sent him letters for coming to Kufa to save them from the unjust rulers of Umayyad regime. Nevertheless, they denied everything as if it never happened and changed their stance out of fear or greed. Imam عليه السلام says:

يا شبثَ بنَ رَبعي ويا حَجاَّر بِن أبجَر ويا قَيس بِن الأَشعَث ويا زَيد بِن الحارِث أَلَم تَكتُبوا إليَّ...

O' Shabath bin Rab'ee, Hajjar bin Abjar, Qays bin al-Ash'ath, and Zaid bin al-Harith, didn't you write (to me)...

فان صدَّقتموني بما أقولُ وهو الحقُّ ، واللهِ ما تعمّدْتُ كذِباً منذُ عَلِمْتُ أنّ اللهَ يمقُتُ عليه أهلَهُ ويضر به من اختَلَقه، وإن كذّبتموني فإنّ فيكم (مَنْ لو) سألتموه عن ذلكَ أخْبَركم

Whether you believe in what I say –and it is the truth, for I swear by the Almighty I have never told a lie since I learnt that Allah hated people who told them – or you regard me as a liar, and choose not to believe in my statement, there are amongst you who, if you asked them, would tell you!

Other instances of antonymous ideas are found in many meanings mentioned in the entire speech like:

(الكُرْه ، الحُب): love and hatred, (العَدو ، الصَديق): friend and enemy, (المَشْرِق ، المَغْرِب): sundown and sunrise, (الكُفْر، الايمان): belief and disbelief, (النِقْمة ، النِعْمة): blessing and resentment, (الله/ الخير، الشَّيطان/الشَّر): Allah representing virtue and Satan representing the evil.

All these critical ideas represent two opposing concepts the whole world is built on. It is just like the state of Imam عليه السلام at that moment. The people there are either with or against him and there is no an in-between state of affairs. Either one loves or hates the Imam, either he is a believer in Imam and his truth or not, either he is good or bad. One is either a friend or enemy. Such contrasts are the poles that shade this whole universe.

4.2.1.3 Rhetorical Strategies

4.2.1.3.1 Supplication

As some versions may report the speech[5], it starts with a supplication of two lines. From a religious perspective, Al-Ameedi and Mahdi (2014: 23) define supplication as:

> An act of worship that enables man to enrich his relationship with his Creator, the Almighty Allah (1). The essence of supplication is to revive Allah's (1) remembrance inside man's heart. Moreover, supplication makes clear the fact that man is imperfect, poor and needy to his Lord, the Perfect, the Rich, and the One Who needs nobody at all.

From a linguistic point of view, Vanderveken (1990:192) clarifies that to supplicate is to beg in a very humble manner usually from a superior or someone in power. Imam عليه السلام says:

اللهَمَ أنتَ ثِقَتي في كُلِ كَربٍ ورَجائِي في كُلِ شِدَة وأنتَ لِي في كُلِ أمرٍ نَزَلَ بي ثِقةً وعِدة كَم مِن هَمٍ يَضعُف فيهِ الفُؤاد وتقِلُ فيهِ الحِيلة ويَخذل فيهِ الصَديق ويَشمتُ فيهِ العَدو أنزَلتهُ بِكَ وشَكَوتَه إليكَ رَغبةً مِني إليك عَمَن سِواك فَكَشفته وفَرَّجته فأنتَ وَلي كُل نِعمة ومُنتهى كُل رَغبة

O' my Lord ! You are my haven in every mishap, my hope in every predicament, my refuge and defender in every ordeal. How many a distress that weakens the heart, makes the enemy rejoice at the misfortune. When I entrusted it to You out of preference over others, You did not let me down and had driven away and eliminated all these distressing things. You are the Giver of every boon and the Ultimate source of every wish to be granted.

Imam Hussein عليه السلام introduces his speech with those people he addresses by this supplication which summarizes his current status. He is in a real anguish and deep grief for what is going to happen to him and his family and for those people who will deserve Allah's revenge and punishment for this horrible deed. Only Allah (1) knows his feelings; he puts his trust in Him.

hurting him. The purpose of this question is to introduce the next set of rhetorical questions which all serve one main aim: he is the person they should follow and obey according to the religion they adopt if they were real Muslim believers. Imam Hussein عليه السلام says:

أَلَستُ ابنَ بِنتِ نَبيكُم وابن وَصِيه وابن عَمِه وأولُ المُؤمِنينَ بِاللهِ والمُصَدِق بِرَسوُلِهِ بِما جاءَ مِن عِندِ رَبه؟ أَوَ لَيسَ حمزة سَيد الشُهداءِ عَم أَبي؟ أَوَ لَيسَ جَعفَر الطَيَّار عَمَّي؟ أَو لَم يَبلغكُم قَولُ رَسولِ الله لي وَلأخي هذان سيِّدا شبابِ أَهلِ الجَنَّة؟

Am I not the son of your Prophet's daughter and the son of his vicegerent and cousin, the first of the believers in Allah and His Messenger? Was not Hamza, the master of martyrs, the uncle of my father? Was not the winged Ja'ffar my uncle? Have you not heard of the tradition of the Prophet (2) concerning myself and my brother, "These are the two leaders of the youth of the inhabitants of paradise."

In all these four questions, which implicitly answer the first one in that they have no right in doing what they are doing, the Imam عليه السلام is affirming one fact all Muslims perfectly know and are aware of: he is the honest person they have to obey. All companions of Prophet Muhammad (2) know Imam's uncles "Hamza" and "Ja'ffar" and they have heard these sayings from the Prophet himself and all Muslims agree upon that (ابن هشام, 1955: 380). The basic reason is to make them admit in themselves his right by questioning them about what they are really quite certain of. He needs no response; he is but reminding them so that his claim can be clearer and stronger. The manipulation of these questions echoes the state of a person who waits responses as Imam عليه السلام is waiting death. He is puzzled as a response- seeker.

4.2.1.2.3 Metaphor

In classical rhetoric, metaphor is one of the master tropes, i.e., figures of speech that may directly impinge on thought. It is described as a stylistic device that consists in presenting one entity by associating it with the qualities of a different entity, mainly to impress recipients (Charteris-Black, 2005: 20). Imam Hussein عليه السلام directs his words in this speech to Qays bin al-Ash'ath[2] saying:

أَنتَ أَخُو أَخيك أَتُريدُ أَن يَطلبَك بَنوُ هاشِم أَكثرَ مِن دَمِ مُسلِمَ بِن عَقيل

You are your brother's brother. Do you want sons of Hashim to ask you for more than the blood of Muslim bin Aqeel.

The metaphor used here is that of referring to Qays as the brother of his brother. Instead of directly calling him as a traitor or betrayer like his brother in Kufa, Muhammad bin al-Ash'ath, the Imam عليه السلام is using this metaphor. It was Muhammad bin al-Ash'ath who betrayed Muslim bin Aqeel[3] in Kufa by telling Yazeed's[4] followers that Muslim bin Aqeel arrived Kufa. This led to the martyrdom of Muslim عليه السلام. The Imam is giving him the trait of his brother, i.e. betrayal . This metaphor can be seen as a polite usage of language by the Imam عليه السلام. It is a reference to the betrayal and death of Muslim Ibn Aqeel in Kufa.

4.2.1.2.4 Antonyms

In the following sentence, an antonym lies in the two cases of believing or disbelieving the Imam (صدقتموني ، كذبتموني). Imam Hussein عليه السلام says:

chiasmus shows pillars of opposition here. If people do not strive to get the mercy of their creator by their good deeds and avoid bad ones, they will be doomed losers. Allah (1) is fair in both cases: in punishing and in being merciful as He is the Great Fair Lord. Imam عليه السلام portraits praising and dispraising of Allah and people respectively. A similar picture can be seen correspondingly: two parties are there. The followers, supporters and lovers of Imam عليه السلام and his enemies. They are two poles where no third one may ever exist. Either one is with or against this man, i.e. Imam Hussein عليه السلام. His followers enjoy mercy and his enemies will suffer punishment from Allah (1) sooner or later.

4.2.1.2 Tropes

4.2.1.2.1 Personification

It is a figure of speech where human qualities are given to animals, objects or ideas. According to Charteris-Black (2005: 61), "it is a linguistic figure in which an abstract and inanimate entity is described or referred to using a word or phrase that in other contexts would be used to describe a person". Personification means representing a non-human thing as if it were human. The use of personification in the text is found when the Imam عليه السلام says:

الحَمدُ للهِ الذي خَلَقَ الدُنيا فَجعلَها دارَ فَناءٍ وَزوال مُتَصَرِفَةً بأهلِها حالاً بَعْدَ حال فَالمَغرورُ مَن غرَّته والشَّقي مَنْ فَتنَته

Praise be to Allah Who created this world and made it an abode of destruction and transience, taking its inhabitants from one phase to another. It deceives the conceited and seduces the wretched.

In this construction, the speaker is drawing a picture for this world as if it is a person who seduces or deceives others. Life is personified here as a human being having one feature of humans. It is characterized by deception (الحراني, 2002: 126). Comparatively, the devilish wicked Umayyad leaders seduced ignorant people and gave unreal promises that they would make them enjoy the luxuries of life if they fought the Imam عليه السلام. All their promises were lies sooner or later. So, those who promised others were also just like this world: changeable, unreal and deemed to utter destruction. Thus, they are all conceited wretched by this miserable world and its followers.

4.2.1.2.2 Rhetorical Questions

A question that does not expect a direct response is rhetorical (Quirk et al., 1985: 824). It is syntactically an interrogative but semantically a statement (ibid.: 804). Its use is no doubt intended to enhance the interest, attention or participation of the congregation. Several rhetorical questions are found in Imam's speech. However, they are all invoked by this question which reads:

هَل يَحِلُ لَكُم قَتلي وإنتِهاكُ حُرمَتي؟

Is it right for you to kill me and encroach upon my integrity?

He is wondering in what right or privilege they want to kill him. He did nothing wrong to them or to any other person. He is their Imam, supposedly. They should not even think of

4.2. Stylistic Categories

4.2.1 Figures of Speech

4.2.1.1 Schemes

4.2.1.1.1 Parallelism

Parallelism is a stylistic device of repetition; a technique where words in successive lines are arranged in a balance. It is "a device which suggests a connection, simply because the form of one sentence or clause repeats the form of another" (Cook, 1989:15). When two sentences (phrases or clauses) have the same structure, a strong relationship occurs between them on the basis of sameness or oppositeness. Instances appear in mentioning the state of this ending meaningless world; Imam Hussein عليه السلام, for example, says:

فَالمَغْرورُ مَن غَرَّته **والشَّقيُ** مَن فَتَنته

It deceives the conceited and seduces the wretched [1]

فَانَّها تَقطَعُ **رَجاءَ** مَن رَكنَ اليها وتُخَيِّبُ **طَمَعَ** مَن طَمِعَ فِيها

It is capable of dashing the hopes of those who put their trust in it and let down those who are greedy for its riches.

In these two instances, the first two clauses are in parallelism. Also) المَغْرُور) as an adjective is in parallelism with (الشَّقي) as the structure of من غَرَّته) (is to that of (مَنْ فَتَنتْه). The same applies to the second clauses where the verb plus the noun (تقطعُ رَجاءَ) parallels with (تُخَيبُ طمعَ). The effect of the description is enhanced by presenting these parallel structures. The vivid repetition serves to draw a clearer picture that can attract attention. Moreover, they have some musical effect on hearers. As a cohesive device, the use of parallelism here makes the text comprehensive, logical, informative, efficient and ordered. Other instances of parallelism which undergo a similar analysis are the following:

فَإنْ قَبِلتُمْ **عُذْري** وَصَدَّقْتُم **قَوْلي**

If you accept my reasoning, believe my speech…

بِقَتيلِ مِنْكُم **قَتلتُه** ، أَوْ مالٍ لَكُمْ **اسْتَهْلَكْتُه**

Are you seeking retribution from me for one of your dead I have killed, or for property of yours I expropriated?

4.2.1.1.2 Chiasmus

It is an inverted relationship between the syntactic elements of parallel phrases; a figure of speech in which words, grammatical constructions, or concepts are repeated in a reverse order, in the same or a modified form (Web source 2). The speech exemplifies the following:

وأحَلَّ بِكُم نقمَته **وجَنبَكُم** رَحمَتَه.....

فَنِعمَ الرَّبُ رَبنا وَبِئسَ العَبيد أنتم

bringing the wrath of Allah upon you, spread amongst you His revenge not His mercy
Glory be to our Lord, and woe to you.

These two samples are given in one line to express reversed parallel ideas where (رَحمَة) 'mercy' is the opposite of (نِقمَة) 'punishment' and (رَب) 'Lord' is opposed to (العَبيد) 'slaves'. This

The percentage of each is given in Table (2) below. Dynamic verbs are higher in percentage than mental ones. The fact that action verbs compromise the higher percentage might denote that those people are going to take action against Imam عليه السلام soon. They are not using their minds. They came to fight and kill Imam without thinking of his solemn status as son in law of their Prophet or his being an honest true believer in Allah (1). The speaker is fully aware that their minds will never think or change. His responsibility and duty, however, call him to attempt to advise them. These are the percentages of verbs analysis appearing in the text.

Table (2): Analysis of Verbs

Verb type	Frequency	Percentage
Mental	27	33.75
Dynamic	53	66.24
Total	80	99.99

4.1.3 Use of Adjectives

Adjectives are analyzed with regard to being mental or behavioural. Few mental adjectives are found such as: أسْعَد 'happier', and صالِح 'righteous' while behavioral ones include instances like مَغْرُور 'conceited', شَقِي , 'wretched', ظالِم 'unfair', صادِق 'honest', كَريم 'generous'.

It is clear that the use of adjectives is very few in the text as Imam Hussein عليه السلام is not mainly concerned with description. The situation speaks of itself and needs no further description. The behavioural adjectives are more in number and this can be due to the fact that those people intend to act rather than try to feel what they are doing or what the state really is. Obviously, they have no minds that Imam can communicate with. Table (3) below demonstrates the analysis of adjectives in the speech.

Table (3): Analysis of Adjectives

Adjective Type	Frequency	Percentage
Mental	5	33.33
Behavioural	10	66.66
Total	15	99.99

4. Data Analysis and Discussion

Widdowson (1974: 221) explains one approach to stylistic analysis which is proposed by Leech (1965). In this approach, Leech relates "linguistic description with critical interpretation". This section adopts the same trend. The model of analysis is applied and it is enhanced by a kind of critical interpretation. The speech of Imam Hussein on the day of Ashuraa' is analyzed according to the proposed model of analysis presented above. The full speech appears in Appendix (1).

4.1 Lexical Categories

4.1.1 Use of Nouns

Nouns are analyzed in terms of being abstract, concrete and proper as far as their meanings in the text itself are concerned. Abstract nouns (e.g. النَّصِف 'fairness', سَبيل 'way', غُمَّة 'darkness', طَمَع 'greed', نِقْمة 'revenge', عُذْر 'excuse', كُفْر 'unbelief', إيمان 'faith', حَق 'right', الجَنة 'paradise') compromise (50) %. Concrete nouns (e.g. النَّاس 'people', الكِتاب 'book', الرَّسول 'messenger', دَم ' blood') represent (23.68) % whereas proper nouns (like , عَبدُ الله , حَمزة,جابِر سَعيد , سَهل) compromise (26.31) %. The high percentage of abstract nouns might be attributed to the fact that Imam Hussein عليه السلام endeavors to get those people leave the materialistic world and move to the spiritual one by reminding them that life is not immortal. Death will be the end and Allah (1) will ask them about their deeds. The proper nouns are justified in that Imam (عليه السلام) attempts to refer them to some people whom they know well and believe in to refer to, concerning the true status of the Imam عليه السلام as being the legitimate heir of Prophet Mohammad (2). Those people he mentions do know the reality very well. They know the Imam (عليه السلام) and his status in Islam. Table (1) below shows the percentages of nouns analysis.

Table (1) Analysis of Nouns

Noun Type	Frequency	Percentage
Abstract	57	50.00
Concrete	27	23.68
Proper	30	26.31
Total	114	98.99

4.1.2 Use of Verbs

Verbs are analyzed in terms of being mental or dynamic. Some mental verbs are صَدَّق 'believed', نَسى 'forgot', عَلِمَ 'knew', مَقَتَ 'hated' whereas action or dynamic examples may include: إسْمَع ' listen', أعِظ ' advise', أعْطى ' gave', قَتَلَ ' killed', جاءَ ' came', كَتبَ 'wrote', or نادى 'called'.

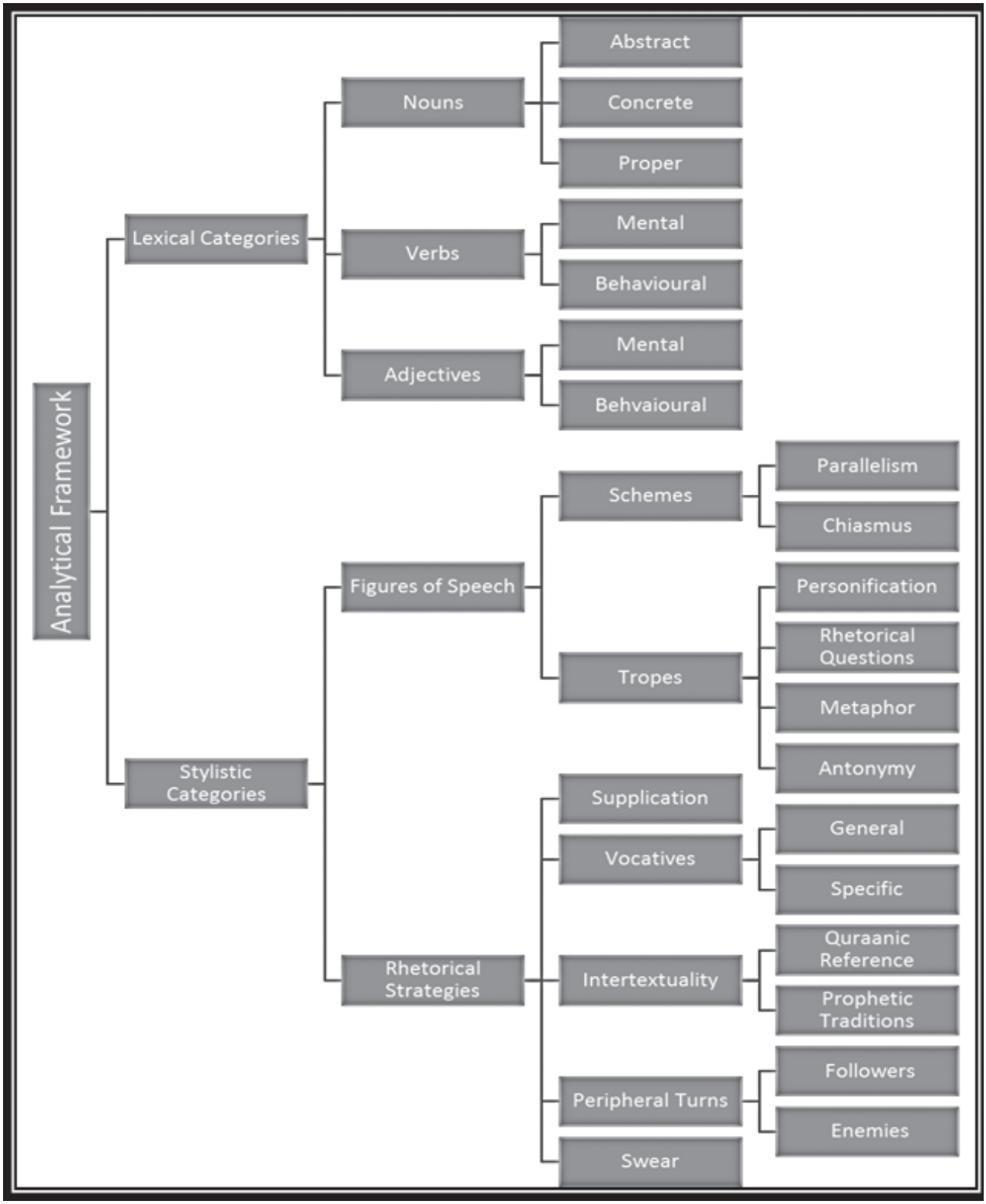

Figure (1) Analytical Framework

B: Stylistic Categories

This second part of the model of analysis covers the figurative use of language. Two branches of analysis are conceptualized. The first refers to figures of speech as explained by Leech and Short (1981) whereas the second is completely devised by the researcher. It includes all the figurative strategies that Imam عليه السلام opted to stylistically use to enhance his claim and strengthen his argument in this piece of language. They are postulated to be of a critical role and importance in manifesting the stylistic figurativity noticed in the speech under scrutiny. This skeleton of the model of analysis is enhanced by the fact that its schematization is based on the data-driven model type. Reciting a supplication, swearing or quoting from the Glorious Quraan are viewed as stylistic options one might resort to for the sake of making an effect on his interlocutors. Such strategies are idiosyncratic to persons as well as to specific contexts.

Leech and Short (1981: 63) consider "the incidence of features which are foregrounded by virtue of departing in some way from general norms of communication by means of the language code". For the purpose of identifying such features, the traditional figures of speech (schemes and tropes) are useful categories.

1. Schemes: Are there any cases of formal and structural repetition (e.g. anaphora, parallelism) or of mirror- image patterns (chiasmus)? and the like. Schemes are studied on the lexical, grammatical and phonological levels.

2. Tropes: Are there any obvious violations of, or departures from the linguistic code? For example, are there any neologisms? Personification? Such deviations will often be the clue to a special kind of interpretation associated with traditional figures of speech such as metaphor, metonymy, synecdoche, irony, and so on (ibid.).

As far as schemes as figures of speech are concerned, Leech and Short expound that all that is related to formal or structural form whether lexical, grammatical or phonological is viewed as a scheme (ibid.) . The analysis is confined, however, to parallelism and chiasmus as related to the lexical and grammatical levels. With regard to tropes as a figurative use of language, some tropes discussed by Leech and Short (1981) are utilized in this analysis such as personification, metaphor and antonymy. These tropes specified constitute the violation, departure and deviation from the norm that might be abound even in everyday communication. As such, the model of analysis is diagrammed in figure (1) below as follows:

an idiosyncratic use of language; the peculiarities or linguistic habits identified with individuals. Eloquent speakers' speech is characterized by highly influential style. Crystal and Davy (1969: 62- 77) identify linguistic variables such as individuality, dialect, time, province, status, modality and singularity as markers of style. Stajner and Mitkov (2001: 79) define style "as a set of measurable patterns which may be unique in a particular period of time" to examine whether "certain aspects of the writing style used in a specific text genre can be detected by using the appropriate methods and stylistic markers".

2. **Model of Analysis**

The model of analysis in this study depends mainly on Leech and Short's work (1981: 60-63), which is explained as a checklist of linguistic and stylistic categories. However, it is modified here to suit the purpose of this study. The lexical categories of Leech and Short (1981) borrow their theoretical explanations and meanings from Biber et al. (2002). As Leech and Short (1981: 60-61) maintain, lexical categories include nouns, verbs, adjectives and adverbs. It is worth mentioning, however, that adverbs are deemed out of the realm of this analysis. The co-authors state the following concerning the use of adverbs in texts: Are they frequent? What semantic functions do they perform (manner, place, direction, time and the like)? (ibid.: 62). Since adverbs do not evidently appear in the data, they are excluded from the analysis. The lexical categories are explained below with their implications and meanings quoted from Biber et al. (2002) to represent the first part of the model of analysis.

A: Lexical Categories

1. Nouns: Are the nouns abstract or concrete? What use is made of proper names? (Leech and Short, 1981: 60).To Biber et al. (2002: 57), concrete nouns refer to physical entities or substances. Abstract nouns, on the other hand, refer to abstractions. Proper names are used for an individual person, place, or organization, spelled with initial capital letters.

2. Verbs: Are they stative (or mental) or dynamic (referring to actions)? Do they 'refer' to speech acts? And the like (Leech and Short, 1981: 62). The analysis is primarily concerned with activity and mental verbs (Biber et al. 2002: 57). Activity verbs usually refer to volitional activity: an action performed intentionally by an agent or doer like 'bring', 'give', 'use', 'work'. Activity verbs involve communication activities such as: 'say', 'ask', 'call' as well. Mental verbs, on the other hand, refer to mental states and activities such as 'think' , 'hate' or 'love' (ibid.: 106-107).

3. Adjectives: Are the adjectives frequent? physical? psychological? visual? And so on. Are they gradable or non- gradable? (Leech and Short, 1981: 61). The types of adjectives suggested for the analysis are mental and behavioural. Mental covers those adjectives which describe mental states and emotions like 'happy', 'pleased', and the like; behavioural ones include adjectives that describe behaviour such as 'polite', 'restless', and 'shy' (Biber et al, 2002: 197).

Religious Language

In much of the world today, religion remains an important social force (Spolsky, 2009: 64). In Islam, religion and politics meet as they stem from the same origin. Furthermore, religion is the tent under which all other aspects of life are embraced. The term "religious language" refers to statements or claims made about God (the Creator, the Lord) or in relation to Him (Alston, 2005: 220). Statements of belief, prayers, supplications, sermons and praise are pieces of religious discourse (Crystal and Davy, 1969: 166).

Religious language is characterized by being intelligible to all (ibid.: 171). It has a balance between intelligibility, pronounceability, relative dignity and formality (ibid.: 150). Religion itself is often emotive, lofty, serious and spiritual. As such, its language reveals grave, sober, solemn, serious and spiritual discourse (Robert and Ukpongetuk, 2014: 60). This language is figurative in nature and most often, embellished with different figures of speech. Crystal and Davy (1969: 147) explain some main features like the use of theological terms: archaisms, collocations, synonyms, antonyms and so on. Religious language is often poetic, with such literary devices as antithesis, paradox, inversion or metaphor. Language of religion is dynamic and complex regarding its function, style and interrelation with other texts. It is sometimes ambiguous. This means that it has meanings or interpretations other than the surface meaning. This statement is confirmed in Etim's assertion (2006: 27): "Religious language is meaningful but only within a context. The meaning of religious words then can best be understood not abstractly but within the context in which it is used".

According to Baird (1974: 400), there are four types of oratory: legal, political, ceremonial as well as religious. This last type is also political, as some maintain (Ijsseling, 1976: 75). The speech of Imam Hussein عليه السلام under scrutiny reflects all these perspectives. It is seen in this event as religious since it reminds people of Allah, His true followers, His words and how He wants people to be and behave. It is political in that it refers to the present status of the Islamic state and the seriously devastated situation and problems that followed taking the legitimate right for Caliphate of Imam Hussein after his brother's and father's, Imam Hasan عليه السلام and Imam Ali عليه السلام respectively. They are appointed by Allah (1) according to Prophet Muhammad's (2) recommendation as his well- known statement shows: مَن كُنتُ أنا نَبِيه فَعليٌ أميرَه "*Whoever I am his prophet, Ali is his ruler*" (Web source 1). It, thus, fixes a legal claim too and it is presented in the saddest cruelest ceremonial event in the history of the world. It is the unfair murder of Prophet Muhammad's son in law and the real legitimate leader of Islam to all the world according to Prophet Muhammad's (2) instructions.

1. **Style and Stylistics**

Selecting and organizing language, as well as deviating from its norms is the concerns of style. In his view, Azuike (2006: 79) states that stylistics as a linguistic study of style is a reference "to all the elements of language that aid a writer or speaker to achieve a pattern of writing or speaking identifiable as unique or peculiar to him". Style in this regard refers to

ملخص البحث

ألقى الامامُ الحسين عليه السلام حفيد النبي محمد (صلى الله عليه وآله) خطبةً نهار عاشوراء قبيل استشهاده وموته المأساوي الذي لايمكن وصفه على ايدي جيوش الامويين . كانت كلماته تشكل حدثاً كلامياً خاصاً لخطبةٍ فريدةٍ ذاتَ لغةٍ رفيعة. تحتوي هذه الخطبة جوانب ومضامين شاملة دينية وسياسية واخلاقية .

ومن المعلوم بديهياً ان اختيار اللغة يترك اثره على طريقة تشكيل وايصال الرسائل فكلما كانت الكلمات والتراكيب سليمة كان إيصال الأفكار اكبر تاثيراً . وهذا الامر كان نقيض خطاب الامام لان المستمعين للخطبة حافظوا على وجهات نظر مختلفة مع مخاطبِهم . ولعلَ ذلكَ وللأسف كان السبب في عدم تحقيق تأثيراً مباشراً لهذه الخطبة على متلقيها ، فلم يحدث تغيير في موقفهم او نيتهم ابانَ سماعِ كلمات الامام عليه السلام، اذ كان الشيطان قد استحوذ على اولئكَ الناس الى درجة انهم كانوا صمٌ وعميُ بلا افئدة . فضلاً عن ذلك، كان حدث الخطبة حرجاً جداً اذ كان الامام عليه السلام يخاطب أولئك الذين احتشدوا لقتلهِ وقتلِ اهلِ بيتِه في ابشعِ حدثٍ في التأريخ بمقطعٍ خطابٍ فريد. ورغمَ ذلك فان قوة الخطبة هذه تتجلى بخلودها وبمخاطبتها جميع الأجيال القادمة وهنا تكمن أهمية وقيمة البحث فيها.

وبناء على ذلك فان هذه الدراسة تضع لذاتها مهمة إيجاد إجابةٍ عن السؤال الاتي: ماهيَ الخصائص الاسلوبية والأدوات اللغوية التي تميز هذه الخطبة الخاصة للامام عليه السلام؟ كما وتهدف الى تحديدِ الصور البلاغية التي وظفها الامام في مخاطبةِ اعدائهِ. لقد استغل الامام أسلوبا مميزا ، كما هو معروف عنه، ولغة بليغة باستعاراتها وادواتها في سعي منه لتغيير موقف خصومه وتأكيد منزلته ومنزلتهم امامَ الاخرين وامامَ الله(١). تستند الدراسة الاسلوبية هذه على الصور البلاغية لانموذج تحليل لكل من ليتش و شورت (١٩٨١) والذي يخص الصور البلاغية والمستويات اللغوية في الوصف. بينت الدراسة بلاغة الكلمات التي القاها الامام في هذا الحدث الكلامي المميز. وتسهم النتائج المستحصلة في اثبات الفرضيات الموضوعة والتي بدورها تشكل أهمية وقيمة لاولئك المهتمين في الدراسات الاسلوبية علاوةَ عن المهتمين بدراسة الخطابات الدينية .

Abstract

Imam Hussein, the grandson of Prophet Muhammad (صلى الله عليه وآله), delivered a speech on the day of Ashuraa' before his martyrdom by Umayyad's armies. His words constitute a special speech event with a highly elevated language. It is religious, political, moral and preachy. It is a truism that the choice of language affects the way messages are composed and conveyed. The more proper the words and structures are, the more effectively the ideas conveyed. Paradoxically, this is never the case with this speech of Imam Hussein (عليه السلام) because the hearers maintain different opposite dissenting points of view with their interlocutor. This is why this speech never achieved its immediate influence on its receivers. No change in point of view or intention upon hearing Imam's words appears as those people were completely fully possessed by the devil to the degree of being deaf and blind with no hearts or minds. Moreover, the speech event is very critical in that the Imam (عليه السلام) is addressing those people who gathered to kill him and his household soon in the cruelest event in the history of the world with a unique piece of discourse. The power of this speech, nevertheless, is immortal comprehensible for all coming future generations. Here lies the importance and value of probing into it.

Accordingly, this study sets for itself the task of finding an answer to the following question: what are the stylistic features and linguistic devices that characterize this special speech of Imam Hussein (عليه السلام)? It aims at identifying the different figures of speech employed by the Imam in addressing his enemies. Distinguished style is manipulated by the Imam who is known of his eloquent language with different figurative speech devices in an attempt to change his opponents' stance and to affirm his and their status in front of others and in front of Allah (جل جلاله). This is the hypothesis of the study. This stylistic study for the speech of Imam Hussein (عليه السلام) on the day of Ashuraa' hinges on Leech and Short's (1981) figures of speech and the linguistic levels of description. The findings of the analysis verify the set hypothesis. It shows the highly stylistic figurative meaningful eloquent language that Imam Hussein (عليه السلام) uses in this speech event. It is hoped that this study is of value to those interested in stylistics and to those concerned with religious language studies.

A Stylistic Study of Imam Hussein's Speech in Ashuraa'

دراسة أسلوبية لخطبة الامام الحسين (ع) يوم عاشوراء

م.م. وفاء صاحب مهدي

Asst.Lectur: Wafaa Sahib Mehdi
Department of English, College of Languages,
University of Baghdad

Events of the First International Imam Hussein Conferencr

On Slogan

Husseinist Revivalism:
Lantern of Human Perfection

of content
and thoughts comes to meet the
requirement of the intellectual global Islamic libraries .
Consequently , the international Al-`Ameed centre for Research
and Studies endeavours vehemently to lay the hand of the prescient
readership and scholars upon such products in an occasional edition of
the conference events to surpass the frontiers of the halls into greater orbits
the researcher could revert into to find what they pursue and to wreathe such
thoughts emanating from the Husseinist revolution impetus whose eviternity
and products continuity provoke the quills of the researchers in all the genres
worldwide granting them more research horizons to widen the inspiration of
the free and the revolutionaries against injustice , to solidify their stamina and
the acts of revivalism and to emulate those who abnegate themselves from
mundanity to set the right most triumphant , the colour of Mohammed religion
most sublime and the shout of « far , far be from us to be held in humility»
most resonant in all regions . No success but from Him

Edition Word

INTERNATIONAL IMAM AL–HUSSEIN CONFERENCE

In the Name Of Allah

Thanks to the Evolver of the universe and peace be upon our prophet and his immaculate progeny

Now

The revolution of Imam Al-Hussein Bin Ali Bin Abitalib against those who desire to devastate Islam , twist its teachings and deface its doctrines casting great drastic changes in the human and Islamic mind as such a revolution hoists the flag of missions with values and thoughts religious, intellectual, social, political and educational and events rocking the human conscience into confronting the despot though tyrannical and fierce : Imam Al-Hussein does take hold of resuscitating the religion and reforming what the Umayyads and the devious corrupt and sacrifices himself ,his family and companions to elevate Islam into the pinnacle . Merely and verily that blood triumphs over sword rendered into a slogan to the revolutionaries worldwide.

For truth , the rays of the blessed revolution stimulate many a scientist and researcher into exploiting its values , thoughts , lessons and experiences , to the extent it tends to be a prolific fount of articles and studies and be a title to many a symposium and conference : the current conference is one of these and held in Karbala by the ministry of Higher Education and Scientific Research , International Al-`Ameed Centre for Research and Studies , University of Karbala and Iranian Foundation of Semite under the shade of Holy Al-`Abbas Shrine halls; it is a significant conference researchers from Lebanon, Bahrain, Iran and Iraq participate in , whose research studies tackle angles religious, educational, political, social, ethical , literary and linguistic and written ion Arabic, English and Persian.

Beyond any reasonable doubt , such a constellation of research papers and articles congested with intellectual sublimity , research authenticity and diversity

In the Name of Allah
Most Gracious, Most
Merciful
Allah will
Raise up to suitable ranks
And degrees, those of you
Who believe and who have
Been granted knowledge
And Allah is well acquainted
With all ye do*.

(*)Abodullah Yussif Ali, The Holy Quran, Text Translation and Comment,(Kuwait : That ,11 Iyat ,1509(1989,El-Salasil Sura,Mujadila, or The Woman Who Pleads.

Dr.Hamid Sadqi
Teaching staff member
Dr. Balasim `Azeez Shabeeb
College of Islamic Sciences, University of Karbala
Dr.Fadhil Madib Mut`ab
College of Islamic Sciences, University of Karbala
Dr.`Abid Ali Kadhim Jalab
College of Tourist Sciences, University of Karbala
Preparation Committee
Prof.Dr. `Adil Natheer Baeeri
College of Education for Humist Sciences, University of Karbala
Prof.Dr.Hana Hassin Mohammed Manager of Scientific
Affairs Department , Research and Development Directorate
Asst.Prof.Dr.Maki Muhi
`Aedan Dean of College of Islamic
Sciences, University of Karbala
Asst.Prof. Dr. Nawriss Mohammed Rasheed
Dean of College of Science , University of Karbala
Asst.Prof.Dr.`Ala Jabir Al-Moosawi
College of Arts, University of Al-Mustansiriyah
Asst.Prof. Dr. Shawqi Mustafa Al-Moosawi
College of Fine Arts, University of Babylon
Asst.Prof. Dr. Ahmmed Sabeeh Al-Ka'abi
College of Education for Humist Sciences, University of Karbala
Asst.Prof. Haider Ghazi Jassim Al-Moosawi
College of Education for Humanist Sciences , University of Babylon
Dr. Mohammed Ridha Safadi
Vice-Manger of Financial and Admistrative Affairs in Semit Association
Dr. Mohhammed Hussein
`Abud College of Islamic Sciences, University of Karbala
Radhwan Abid Al-Hadi Al-Salami / International alameed center
asst,lectu. yassin khudheir abeiss / International alameed center
Mr. Mustafa Ghala Muheisan Zada
International Affairs Coordinator in Semit Association

Supervision Committee

Prof.Dr.Muneer Hameed Al-Sa`adi

Karbala University Chancellor

Prof.Dr.Ghasan Hammed `Abidalmajeed

General Manager of Devloping and research Directorate

Dr. Hassin Hajari

Vice-Chairman of Reserash Affairs, Semit Association

Prof.Dr. Ryadh Tarq Al-`Ameedi

Chairman of the International Al-`Ameed centre for Research and Studies.

Scientific Committee

Prof. Dr. Kareem Hussein Nasah

scintific consultant of the center

Prof. Dr. `Abbas Rasheed `Abidalwahab

College of Education for Humanist Sciences, University of Babylon.

Prof. Dr. Sahan Jafat Salman

College of Education, University of Al-Qadesiya

Prof.Dr. Ali Kadhim Mohammed Ali

College of Humanist Sciences, University of Karbala

Prof.Dr. Mus̆taq `Abbas Ma`an

Ibn Rush College of Education , University of Baghdad

Dr.Ahmmed Ahmmedi

Dean of Semit Association

Dr. Mas`aod Fakri

Manger of Development and Research Centre for Humanist Sciences

in Semit Association

Dr.Ghala Muheisan Zada

Head of Persian Language Department in Semit Association

Dr. Mohammed Danishkar

Teaching staff member

Dr.Moheiman Banhi

Teaching staff member

Events of the First International Imam Hussein Conferencr

Publisher: Holy Al-Abbas Shrine, International Al-Ameed Centre for Research and Studies

Technical Management

Hussein Fadhil Eesee

Gayath Abduljabbar Mustafa

Thaeir F. H. Ridha

design

Hussein A. Shemran

Copy Number:250

Thoul Ki,dah 21 to 22 thualgada, 1437 AH - August 25 to 26 july, 2016 AD

All copyrights are reserved for the International Al-Ameed Centre for Research and Studies